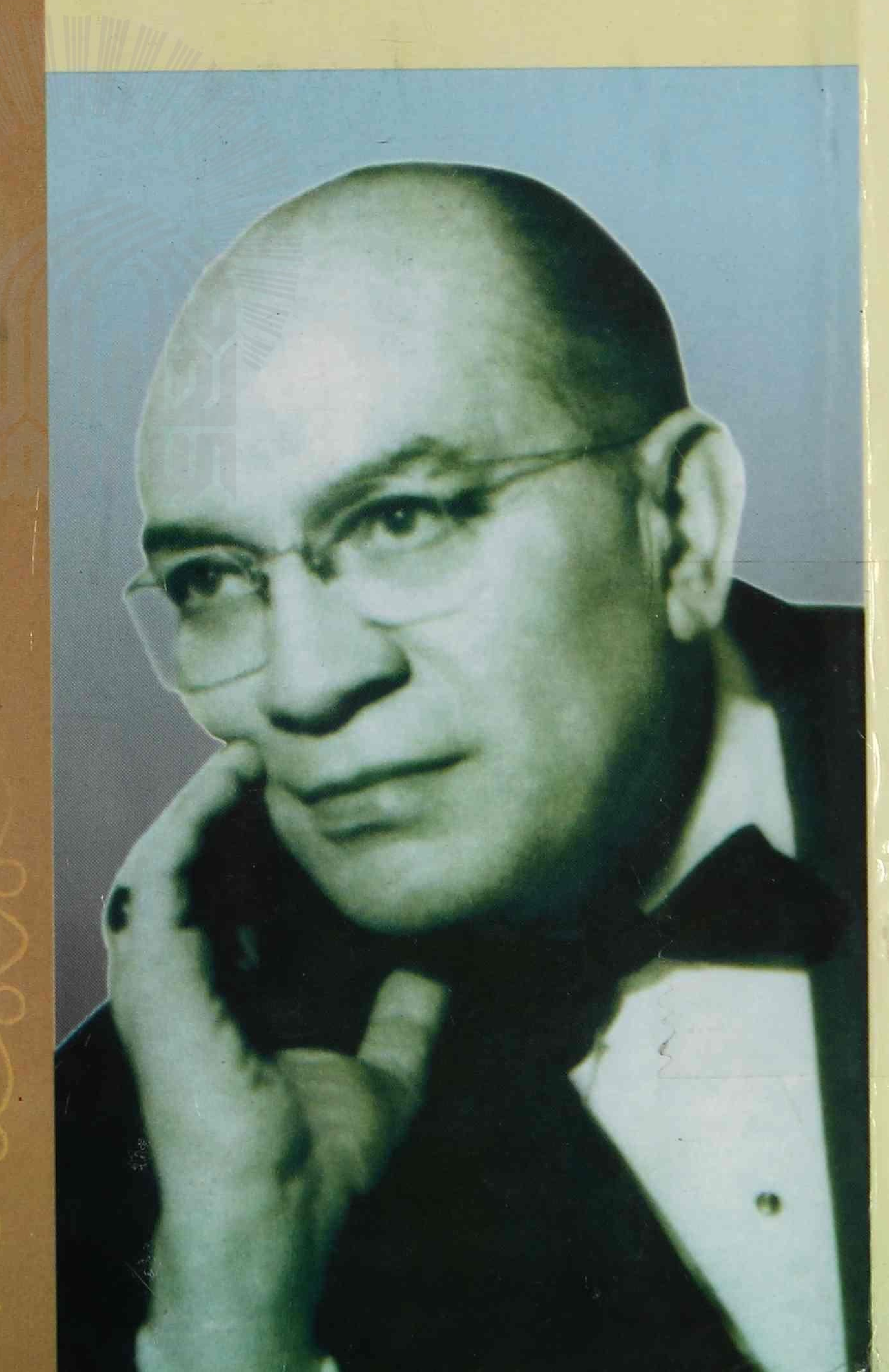
الأعمال الشعرية الكاملة

أحمد زكي أبو شادي





الأعمال الشعرية الكاملة

أحمد زكي أبي شادي

دار العودة . بيروت

يطلب من دار العودة / بيروت - لبنان
كورنيش المزرعة – بناية الريفيرا سنتر
هاتف : 01 818405
فاكس :01 818 406
Email :lguemradi@yahoo.com
ص.ب. :146284 بيروت - لبنان

صورة من قُرب
للأديب الشاعر الدكتور أحمد زكي أبي شادي

لم يعد باقياً من المعاصرين الذين تواصلوا مع الشاعر أحمد زكي أبي شادي المولود في حي عابدين بالقاهرة في التاسع من شباط (فبراير) ١٨٩٢ إلاّ أربعة أدباء هم الأديب الأردني روكس بن زائد العزيزي والأديب التونسي أبو القاسم محمد كرو والأديب المصري الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي وكاتب هذه السطور، وهم قد تواصلوا مع رائد جماعة أبولو في مهجره الأمريكي السحيق إلى تاريخ وفاته في واشنطن العاصمة في الثاني عشر من نيسان (إبريل) ١٩٥٥ عن ثلاثة وستين عاماً.

وكان أبو شادي يعرف عني أنني صديق لشاعر القطرين خليل مطران بك الذي عانى صنوفاً من الأمراض سنوات طوالاً في أواخر أيامه، فأشار عليّ بأن أنصح المطران بأن يسافر إلى أمريكا حيث تتوافر أسباب العلاج الحديثة، ولكن مطران لم يستجب لهذه النصيحة وعاش إلى أن بلغ السابعة والسبعين من عمره في حين أن أبا شادي الذي عاش في بلاد المعالجات الحديثة مات عن ثلاثة وستين عاماً فقط.

وفي ظني أن التعريف بأبي شادي، ولاسيما بالجوانب الشخصية من حياته المجهولة، أبدى من دراسة شعره في هذا المقام لأنه في وسع أي باحث أن يتصدى لهذه الدراسة من أي زاوية تتراءى له استناداً إلى دواوين أبي شادي ومؤلفاته. بل لقد صدرت في حياة أبي شادي وبعد وفاته طائفة غير قليلة من الدراسات الجامعية والأدبية باللغتين العربية والإنكليزية، والمؤكد أنها كتبت بلغات أخرى لاهتمام المستشرقين الروس وغيرهم بآثاره، مما يُغنيني عن الخوض في هذه الدراسة، ولا سيما بالنظر إلى غزارة إنتاج أبي شادي شعراً ونثراً وباللغتين العربية والإنكليزية وهو إنتاج بثّ فيه أبو شادي آراءه ومعتقداته ورؤاه بتمام الصدق والأمانة مع نفسه، حتى وإن خالف ما تواضع عليه الناس أو مالت إليه جمهرتهم.

ولد أبو شادي في بيئة ذات حظوظ مقدورة من الثقافة والمنزلة الاجتماعية، فوالده محمد بك أبو شادي محام مرموق، وكان نقيباً للمحامين وعضواً في مجلس النواب (البرلمان)، وكان صديقاً شخصياً للزعيم سعد زغلول باشا (١٨٥٩ - ١٩٢٧) وكان انتماؤه الحزبي إلى الوفد، كما كان يصدر جريدة "الظاهر". فلا غَرْوَ أن يرث الشاب أحمد زكي أبو شادي عن أبيه انتماءه إلى الوفد على مدى عمره، وهو ما عانى منه بسبب الحزازات الحزبية في مصر. أما والدته فهي أمينة نجيب، وكانت شاعرة ولها ديوان بقي مخطوطاً في حوزة ابنها فلم ير النور.

تلقى أحمد زكي أبو شادي تعليمه في المدارس المصرية قبل أن تقرر أسرته إيفاده إلى لندن لدراسة الطب والتخصص في البكتيريولوجيا، وكان قرار إيفاده إلى الخارج راجعاً أساساً إلى أن أبا شادي كان يهيم بقريبة له اسمها "زينب حسيب" على غير هوى الأسرة، فباعدت الأسرة بين الاثنين بهذه الرحلة العلمية. ولم ينسَ أبو شادي هواه القديم، فأصدر ديواناً عنوانه "زينب" تخليداً لهذه العاطفة البريئة التي ملكت عليه لُبّه وجميع مشاعره. في حين تزوجت زينب بشخصٍ آخر، تزوج أبو شادي في إنكلترا سيدة إنكليزية أنجب منها بعد عودته إلى مصر أبناءه الثلاثة: رمزي وصفية وهدى. وكان أبو شادي قد أسرَّ إليَّ بأنه بعدما ترملت زينب وتوفيت زوجته الإنكليزية، أعربت له زينب عن رغبتها في الانضمام إليه في مهجره لتحقيق حلم الصبا، ولكنّه صارحها بأن الحبّ القديم أصبح تاريخاً، وأن ظروفه الجديدة بدّلت من مشاعره القديمة.

قضى أبو شادي اثني عشر عاماً في إنكلترا حيث أنشأ مجلة "مملكة النحل" باللغة الإنكليزية تنازل عن امتياز إصدارها لهيئة بريطانية، ولعلّها ما زالت تصدر حتى اليوم، كما اهتمّ بتربية الدجاج وأصدر مجلة متخصصة في هذا المجال. وكان قد أكمل دراسته الطبية بما يؤهله للعمل كبكتيريولوجي عند عودته إلى مصر.

وعند عودته في عام ١٩٢٢ تلقفته وظائف الدولة في معامل التحليل البكتيريولوجي، ثم في معمل المستشفى الحكومي في الاسكندرية، ورغبةً منه في إفادة القراء عموماً والأطباء بصورة خاصة، أصدر كتاباً ضخماً عنوانه "الطبيب والمعمل" يزيد عدد صفحاته على ألف صفحة، وقد أهداه إلى صاحب السعادة الجليل الأستاذ الدكتور محمد شاهين باشا وكيل وزارة الداخلية للشؤون الصحية وزعيم النهضة الطبية المصرية، وإلى صاحب العزة المفضال الأستاذ الدكتور علي توفيق شوشة بك (١٨٩١ – ١٩٦٤) وكيل معامل الصحة العمومية اعترافاً بجهدهما العظيم لرفع مستوى الطبيب والمعمل وحفظ كرامتهما في مصر". ثم أردف هذا الإهداء ببيتين من الشعر جاء فيهما:

فإنَّ الذي يبني لنا رتبة العلى	عظيم، وما في الجاهدين عظيم
ومن يعرف التقدير للفضل مرغماً	وينكره حُرّاً، فذاك أثيم

على أن هاجس الشعر كان يؤرق أبا شادي منذ يفاعته، ولم يلبث أن استولى عليه حتى كاد يباعد بينه وبين الطبّ، فباع من ممتلكات أبيه ما طوّع له شراء مطبعة وإنشاء مجلة "أبولو" فكانت المجلة الشعرية الأولى والوحيدة في العالم العربي حتى ذلك الوقت، بل نجحت في تخريج جيل كامل من الشعراء الذين انضمّوا إلى جماعة أبولو وحملوا الراية بعد جيل أحمد شوقي (١٨٦٨ – ١٩٣٢) وحافظ إبراهيم (١٨٧٢ – ١٩٣٢) وخليل مطران (١٨٧٢ – ١٩٤٩) وبعد جيل عبد الرحمن شكري (١٨٨٦ – ١٩٥٨) وعباس محمود العقاد (١٨٨٩ – ١٩٦٤) وإبراهيم عبد القادر المازني (١٨٩٠ – ١٩٤٩)، وصار للمجلة تواصل واسع وعميق مع شعراء العالم العربي والمهاجر الأمريكية.

ولئن طغى الشعر على اهتمامات أبي شادي حتى كاد يحجب مناحي اهتماماته الأخرى، فقد كان متعدّد المواهب والمجالات: فهو رسّام وكانت لديه مجموعة من اللوحات الفنية التي أبدعها بريشته تضم ٣٦ لوحة ولكن زوجته

الثانية الأمريكية استولت عليها بعد وفاته ولا يعرف مصيرها، كما واصل هواية تربية النحل سواء في مصر أو بعد هجرته إلى أمريكا، كما عُني بالصناعات الزراعية وبالرسالة التعاونية، فكان في هذه الميادين سبّاقاً بل منفرداً في الساحة، ربّما إلى هذا اليوم.

أما اهتمامات أبي شادي الفكرية فقد انصرفت إلى معظم فنون الكتابة والتحرير من أدب إلى تاريخ إلى اجتماع إلى فلسفة إلى دين إلى نقد أدبي إلى ترجمة، هذا عدا ما أنتجه من مسرحيات شعرية وأوبريتات، وما ترجم من رباعيات عمر الخيام وسواه.

ولقد كان في وسع أبي شادي وهو منشئ جماعة أبولو في عام ١٩٣٢ أن ينصّب نفسه رئيساً لها، ولكنه – كدأبه دائماً – آثر أن يكون أمينها العام، واختار الشاعر أحمد شوقي رئيساً وخليل مطران وأحمد محرم وكيلين أو نائبين للرئيس، وبقي أبو شادي سكرتيراً. أما أعضاء مجلس الإدارة الأوّل فقد ضمّ إلى جانب هؤلاء إبراهيم ناجي والدكتور علي العناني وكامل كيلاني ومحمود عماد ومحمود صادق وأحمد الشايب وسيّد إبراهيم (الخطاط) وعلي محمود طه (المهندس) ومحمود أبو الوفا وحسن القاياتي وحسن كامل الصيرفي.

وفي العاشر من أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٢ دعا شوقي أعضاء مجلس إدارة جمعية أبولو إلى عقد اجتماعها الأول في دارته المسمّاة "كرمة ابن هانئ" على شاطئ نيل الجيزة لبحث المشروعات التي تضطلع بها الجمعية. وبعد أربعة أيام تماماً، فجعت جمعية أبولو في رئيسها الشاعر أحمد شوقي الذي رحل إلى الرفيق الأعلى في فجر الرابع عشر من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٢، فاختير الشاعر خليل مطران خلفاً له في رياستها.

وكان شوقي قد أعرب عن سعادته بقيام هذه الجمعية فحيّاها بقصيدة من ثلاثة عشر بيتاً رحّب فيها بسوق عكاظ الجديدة، ونشرتها مجلة "أبولو" في صدر عددها الأول المؤرخ في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٢. ولست أثبت نصّها هنا

من قبيل التسجيل وحسب، وإنّما لكي أورد بعد ذلك النصّ الذي لفّقه الشاعر محمد مصطفى حمام (١٩٠٤ – ١٩٩٤) ونسبه ظلماً وغدراً إلى الشاعر شوقي. أما قصيدة شوقي فنصّها:

أبولو، مرحباً بك يا أبولو ... فإنك من عكاظ الشعر ظلُّ

عكاظ وأنتِ للبلغاء سوق ... على جنباتها رحلوا وحلّوا

وينبوع من الإنشاد صافٍ ... صدى المتأدبين به يُبَلُّ

ومضمار يسوق إلى القوافي ... سوابقها إذا ما الشعراء قلّوا

يقول الشعر قائلهم رصيناً ... ويحسن حين يكثر أو يقلّ

ولولا المحسنون بكل أرضٍ ... لما ساد الشعوب ولا استقلّوا

* * * * *

عسى تأتيننا بمعلقاتٍ ... نروح على القديم بها نُدِلُّ

لعلّ مواهباً خفيت وضاعت ... تذاع على يديك وتُستَغَلُّ

صحائفك المدبجة الحواشي ... رُبَى الورد المفتَّح أو أَجَلُّ

رياحين الرياض يُمَلُّ منها ... وريحان القرائح لا يُمَلُّ

يمهّد عبقريُّ الشعر فيها ... لكل ذخيرة فيها محلُّ

وليس الحق بالمنقوص فيها ... ولا الأعراض فيها تُستحلُّ

وليست بالمجال لنقد باغٍ ... وراءَ يراعه حسدٌ وغلُّ

وقد أثبتت هذه القصيدة في الجزء الرابع من "الشوقيات".

ولكن خصوم أبي شادي، وسأورد أمثلةً على خبائثهم، لم يكونوا ينفكّون عن الكيد له، سواء في عمله التوظيفي أو في نشاطه الأدبي أو حتى بعد هجرته إلى الولايات المتحدة. وإزاء هذه الشهادة العظيمة الصادرة من أمير الشعراء أحمد شوقي، زعم محمد مصطفى حمام أن شوقياً استدعاه إلى مكتبه قبيل وفاته وصارحه بأنه ندم أشدّ الندم على نظم هذه القصيدة في "قوم آذوه بألسنتهم وأقلامهم" – وهو ما لم يحدث بدليل أن مجلة أبولو

أصدرت بُعيد وفاة شوقي عدداً خاصاً عنه في ٣٠٠ صفحة في تمجيد ذكراه شارل فيه جميع أعضاء جمعية أبولو شعراً ونثراً، وكان تاريخ هذا العدد كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٢ أي بعد ثلاثة أشهر من وفاة شوقي. وزعم حمام أن شوقياً أملى عليه قصيدة نقض بها كل ما قاله في أبولو، وقام بنشرها في مجلة "الصباح" المصرية التي كان يصدرها مصطفى القشاشي. ونصّ القصيدة، ومؤكد أنها قصيدة ملفقة، كالآتي:

أبولو ضلّة لك يا أبولو	فإنك من بقايا اللؤم ظلّ
أبولو أنت للسفهاء سوق	على جنباتها رحلوا وحلّوا
وينبوع من الإسفاق صرف	صدى المتشاعرين به يُبَلُّ
يُميت الشعر قائلهم جنيناً	ويقبح حين يكبر أو يقلُّ
ولولا المفسدون بكل أرضٍ	لساد بها الشعوب أو استقلّوا
صحائفك المدبجّة القوافي	شعارير القريض بها تحلُّ
وأدواء الجسوم لها شفاء	وأدواء الحسائك لا تبلُّ
يمهّد مصرع للشعر فيها	لكل نقيصةٍ فيها محلٌ
وليس الحق بالمنصور فيها	وأعراض النوابغ تُستحلُّ
وأوسعت المجال لنقد باغٍ	وراء يراعه حسدٌ وغلُّ

وواضح أن حماماً عارض القصيدة الشوقية لفظاً وقافيةً ببراعةٍ يُحسد عليها، وإن تكن براعة المزيّف والمحترف.

ولم يرَ أبو شادي مندوحة من أن يبلغ النيابة العامة ضد محمد مصطفى حمام متهماً إياه بالتزوير الأدبي والقذف في حقه وحق جماعة أبولو، وعندما استدعي حمام للتحقيق معه، زعم أن القصيدة لشوقي نفسه، وأنه لم يزوّرها، وأن دوره فيها كان دور الناقلِ لرغبة شوقي الأخيرة قبل وفاته، وقال إنه لا يمانع في تعيين أربعة من الشعراء كخبراء لفحص هذه القصيدة، يختار حمام اثنين منهم ويختار أبو شادي اثنين. ونظراً لأن وكيل النيابة

المحقق ألفى نفسه إزاء قضية أدبية تحار فيها النصوص القانونية، فقد تخلّص من المأزق بأن قرّر حفظ البلاغ.

وقد عرفت حماماً، وهو على مواهبه الكثيرة، مهذار كبير، بارع في التقليد واختراع الروايات وتقويل الناس ما لم يقولوه. ومن غير المعقول أن يرأس شوقي اجتماع مجلس إدارة جمعية أبولو في بيته في العاشر من تشرين الأول (أكتوبر)، ثم تستولي عليه مشاعر الندم في الأيام الأربعة التي مُدَّ أجله فيها بعد ذلك الاجتماع، وعوضاً عن أن يطلب الاستعفاء من هذه الجمعية إذا كان قد ساءه أمر من أمورها، فقد لجأ إلى استدعاء حمام ليملي عليه هذا الهجو السفيه الذي ليس له مثيل في أجزاء "الشوقيات" الأربعة، حتى إذا ما أصبح شوقي موسّداً في الثرى، طلع حمام على الناس بهذه الأكذوبة أو الشوقية المزعومة، ولو كانت هذه الشَوقية صريحة النسب إلى شوقي، فلِمَ لم تدرج في "الشوقيات" ولو في ذيل باعتبارها آخر ما نظمه الشاعر قبل رحيله، ولِمَ لم يدرجها الدكتور محمد صبري السوربوني (١٨٩٤ – ١٩٧٨) في كتاب "الشوقيات المجهولة" بجزئيه؟ بل لقد كان شوقي يعرف عن نفسه أنه ضعيف في الإلقاء، وكان يستعين بالدكتور سعيد عبده (١٩٠١ – ؟) وفكري أباظة (١٨٩٧ – ١٩٧٩) لإنشاد شعره، فلِمَ لم يستدع هذا أو ذاك لإملاء القصيدة عليه؟ ومعذور أبو شادي إذا ما اضطر إزاء هذه الألعبانيات المتكررة من حمام وغيره إلى تكليف محاميه محمد لطفي جمعة (١٨٨٦ – ١٩٥٣) بمقاضاتهم على ما ورد في مذكراته التي نشرها نجله المستشار رابح لطفي جمعة (١٩٠٨ – ٢٠٠٣).

ويروي لطفي جمعة أن واحداً من صغار الكتّاب في الاسكندرية اسمه البطّاح أذاع أن الدكتور أبا شادي ملحد وإباحي، ممّا جعل وزارة الصحة التي كان يعمل فيه إلى اتهامه بأنه يشتغل بالسفاسف ونهته عن التهتُّك في الشعر وفيما لا يعنيه غير وظيفته. كما كانت لأبي شادي خلافات مع كامل كيلاني (١٨٩١ – ١٩٥٩) ومنازعات وخصومات حامية، فاستعمل له

الكيلاني أشخاصاً مثل محمد مصطفى حمام فكتبوا عنه أموراً تشيب لها الأطفال في مجلات هزلية، فشكاهم أبو شادي إلى النيابة. ويرى لطفي جمعة أن الخلاف بين أبي شادي وكامل كيلاني يرجع إلى تنافسهما على رياسة "رابطة الأدب العربي".

وقد عرفت كامل كيلاني، وكان يحذّرني دائماً من أبي شادي، وهو ما كنت أتجاهله. وعندما أقمنا حفلاً لتأبين أبي شادي بعد وفاته في "دار الحكمة" — وهي مقرّ نقابة الأطباء التي كان أبو شادي عضواً فيها -- وكان ذلك في ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٥٥، لاحظت وانا جالس على المنصة أن كامل كيلاني يحتلّ الصف الأول في القاعة بين الحاضرين. وبعد انتهاء الحفل تقدّم منّي مصافحاً ومثنياً على كلمتي! فتذكرت ما كنت أسمعه منه من تحذير من أبي شادي!

احتضنت جمعية أبولو شعراء الشباب في ذلك الحين مثل الدكتور إبراهيم ناجي وعلي محمود طه وأحمد محرم ومحمود أبي الوفا وصالح جودت وجميلة العلايلي ومختار الوكيل وحمد عبد المعطي الهمشري وعبد العزيز عتيق وحسن كامل الصيرفي ومصطفى عبد اللطيف السحرتي ومحمود حسن إسماعيل ومحمد عبد الغني حسن وإسماعيل سري الدهشان وعبد اللطيف النشار وغيرهم. كما رعت شعراء من البلدان العربية مثل أبي القاسم الشابي التونسي وإلياس أبي شبكة وحليم دموس اللبنانيين وشفيق معلوف في المهجر وغيرهم وغيرهم، فالقائمة طويلة. وواصلت مجلة أبولو الصدور بانتظام ثلاث سنين، حرصت خلالها على مستواها الأدبي الرفيع، ولكنها كانت — من الناحية الأخرى — تمثل استنزافاً مالياً وعبئاً إدارياً على صاحبها، فاضطر إلى حجبها بعد آخر عدد صدر منها في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٤ قائلاً "إنه يختم به جهوده العامة إلى غير عودة" وشاكياً من "المتاعب والتضحيات الكثيرة والمعاكسات المتنوعة والإساءات الجمة التي فاقت كل حدود الاحتمال". وهكذا نعى الشاعر أبو شادي مجلّته الأثيرة

بعدما أحدثت نهضة شعرية واسعة، سواء بما نشرته من قصائد الشعراء، أو بما ترجمته من عيون الشعر الغربي، أو بما حفلت به من دراسات نقدية للشعر، أو بما أصدرته من دواوين أعضائها من الشعراء بتمويل من أبي شادي نفسه. صحيح أن مجلات خالصة للشعر وقضاياه ظهرت بعد ذلك في سورية ومصر ولبنان وتونس وفلسطين، ولكن تبقى لأبولو ريادتها الأولى التي جعلت منها مدرسةً حقيقية في تاريخ الأدب العربي المعاصر.

وقد أحصيت لأبي شادي نحو ثلاثين ديواناً نشرها بين عامي ١٩١٠ و١٩٤٩، وكان في بعض الأحيان يكتفي بطبع نسخ محدودة من دواوينه على نفقته الخاصة ويهديها إلى أصدقائه، بحيث خلت المكتبات القومية من معظمها لأن قانون إيداع الكتب في المكتبة الوطنية لم يكن قد صدر وقتها. وقد طبعت جميع هذه الدواوين في مصر باستثناء ترجمته لرباعيات عمر الخيام التي طبعت في بيروت، وديوانه "من السماء" الذي طبع في نيويورك. أما ديوانه الموسوم "ألحان الغريب" فقد فُقد ربما في أثناء شحن مكتبة أبي شادي الخاصة من مصر إلى الولايات المتحدة.

وتسجيلاً لهذه الدواوين أورد قائمة بها بحسب تواريخ صدورها، وهي: "أنداء الفجر" وقد طبع مرتين في عامي ١٩١٠ و ١٩٣٤ و "ديوان زينب" (١٩٢٤) وديوان "مصريات" (١٩٢٤) و"الشفق الباكي" (١٩٢٤) و"مفخرة رشيد" (١٩٢٥) و"أنين ورنين" (١٩٢٥) و"شعر الرجدان" (١٩٢٥) و"وطن الفراعنة" (١٩٢٦) و"المنتخب من شعر أبي شادي" (١٩٢٦) و"الآلهة" وهي أوبرا رمزية (١٩٢٧) و"إحسان" وهي أوبرا تلحينية (١٩٢٧) و"إخناتون" وهي أوبرا تاريخية (١٩٢٧) و"أردشير وحياة النفوس" (١٩٢٧ و"الزباء ملكة تدمر" وهي أوبرا تاريخية (١٩٢٧) و"مها" وحي قصة شعرية (١٩٢٧) و"عبده بك" وهي قصة اجتماعية شعرية (١٩٢٧) و"مختارات وهي العام" (١٩٢٨) و"رباعيات عمر الخيام" (١٩٣١) و"عمريات فتزجيرالد" (١٩٣١) و"أشعة وظلال" (١٩٣١) و"الشعلة" (١٩٣٣) و"أطياف الربيع" (١٩٣٣) و"أغاني أبي

شادي" (١٩٣٣) و"الينبوع" (١٩٣٤) و"الكائن الثاني" (١٩٣٥) و"فوق العباب" (١٩٣٥) و"ديوان الريف" (١٩٣٥) و"عودة الراعي" (١٩٤٢) و"من السماء" (١٩٤٩)، وله ديوانان مخطوطان باللغة الإنكليزية هما "أغاني العدم" (Songs of nothing) و "أغاني الفرح والحزن" (Songs of joy and sorrow).

وعند وفاة أبي شادي كانت هناك أربعة دواوين مخطوطة لم يمهله العمر بطباعتها، فونفت بنفسي على تحقيقها وضبطها وتفسير مناسباتها وهي "الإنسان الجديد" وقد صدر عام ١٩٨٣ و"النيروز الحرّ" وقد صدر عام ١٩٨٨ و"من أناشيد الحياة" و"إيزيس" وقد صدرا في مجلد واحد في بيروت عام ٢٠٠٠ مع ٤ تمثيليات.

أما كتبه المطبوعة في النثر فهي "من نافذة التاريخ" في جزءين و"الطبيب والمعمل" و"مملكة العذارى" و"قضايا الشعر المعاصر" و"أبو شادي في المهجر" و"لماذا أنا مسلم" و"دراسات أدبية" و"دراسات إسلامية" و"نكبة نافارين" و"إنهاض تربية النحل في مصر" و"عقيدة الألوهة" وغيرها. كما قام الأديب المصري رضوان إبراهيم (١٩١٩ – ١٩٧٥) بنشر ثلاثة كتب لأبي شادي هي "شعراء العرب المعاصرون" و"الإسلام الحي" و"عظمة الإسلام".

يضاف إلى كل هذا التراث الضخم لأبي شادي أنه أثناء وجوده في أمريكا نشر في المجلات والصحف المختلفة وأذاع من الراديو سلاسل من الأحاديث في موضوعات اختار لها عناوين مثل "وليمة منيرفا" و"هذا ما يعنينا" و"أحاديث إسلامية" و"أدباء الأقباط" و"ملامح من الإسلام" و"الإسلام في نقائه" و"كتب حيّة" وهي مقالات كان أبو شادي يعتزم إصدارها في كتاب متعدد الأجزاء عنوانه "الكشكول" ولكن القدر لم يمهله، وخسارة أن تعدو عليها عوادي الضياع.

* * * * *

في عام ١٩٤٥ كانت الحرب العالمية الثانية تؤذن بالانتهاء عندما زرت صديقي المستشرق الأمريكي الدكتور جورج رنس Dr. George Rentz

(١٩١٢ - ١٩٨٦) الذي كان يرأس وحدة الترجمة في مكتب الاستعلامات الحربي الأمريكي بالقاهرة، وهو مكتب أنشئ بسبب ظروف الحرب وصُفّي بعد توقفها، فسألني إن كنت أعرف. الدكتور أحمد زكي أبو شادي، فقلت له: إنني أعرف عنه أنه أديب وشاعر كبير وله دور غير مجحود في الحياة الأدبية المصرية، ولكنني لا أعرفه شخصياً. ثم سألته عن سبب استفساره عنه فقال إنه تقدم بطلب إلى الحكومة الأمريكية للهجرة الدائمة إلى الولايات المتحدة مع أسرته المؤلفة من زوجته الإنكليزية وابنه وابنتيْه، وقد طُلب مني أن أكتب تعريفاً به. فقلت له: إنني لا أعرف ظروف تفكيره في الهجرة، ولكن المؤكّد أن هذه الشخصية الفذة ستكون مكسباً كبيراً لأمريكا.

وكان أبو شادي وقتها قد ضاق بألوان الجحود التي يلقاها من طامعين في وظائفه الحكومية ومن حاسدين قصرت وسائلهم عن مجاراته في الشهرة الواسعة التي حقّقها على حساب رأس ماله من الصحة والأعصاب والثروة، وكان أبو شادي قد صفى كل ممتلكاته الموروثة بما أنفقه من حرّ ماله على مجلاته وكتبه، بل كذلك على طبع دواوين أعضاء جماعة أبولو، ثم تباهظت مشكلاته بسبب مرض زوجته بداء عضال، فاتخذ قراره الحاسم بالهجرة إلى الولايات المتحدة على الرغم من أنه كان في سنّ متأخرة نسبياً (السادسة والأربعين) وكان مُراده في المقام الأول توفير أسباب العلاج الناجح لأم أولاده، وأيضاً الفرار من المزعجات التي صدفها في مصر والتي وصفها بقوله:

وطاردتني إلى منفاي جانيةً وعدّدت صفو آثاري كآثامي

ومن جملة هذه المزعجات أن عباس محمود العقاد هاجم أبولو وراعيها قائلاً إن أبا شادي عميل للسراي (أي للملك) ولرئيس الوزراء الطاغية إسماعيل صدقي باشا، وإنه ما أصدر مجلة أبولو وروّج فيها للمذهب الرومانسي الوجداني إلاّ لكي يصرف الاهتمام عن طغيان صدقي باشا ومشكلات البلاد المستحكمة. فقد استغرقت قضايا الحبّ والهيام كل عناية

شعراء أبولو، وترك صدقي باشا يبطش بالشعب بلا رحمة. وقد ردّ عليه أبو شادي قائلاً: "لو كنّا صنائع للسراي وصدقي باشا كما تزعم، لما توقفت مجلة أبولو بعد ثلاث سنين فقط من إصدارها، ولا استمرت في الانتظام بدعم من الحكومة. أما أن شعراء أبولو أسرفوا في نظم قصائد الحب والهيام، فسببه أنهم كانوا جميعاً في سنّ الشباب، وأن الرومانسية هي بضاعة الشباب الأولى.

ومن نماذج الحملة على أبي شادي أنه عندما أصدر إسماعيل أحمد أدهم (١٩١١ -- ١٩٤٠) كتاباً كبيراً باللغة الإنكليزية عن أبي شادي عنوانه "إضاءة الدرب" Blazing the Trail زعم النقاد أن هذا الكتاب من تأليف أبي شادي نفسه، وأن دور أدهم لا يعدو أن يكون وضع اسمه على غلاف الكتاب، وفات هؤلاء النقاد المغرضين أن لاسماعيل أحمد أدهم دراسات كبيرة عن خليل مطران وجميل صدقي الزهادي (١٨٦٣ – ١٩٣٦) وتوفيق الحكيم (١٨٩٨ – ١٩٨٧)، ومن غير المعقول أن يكون دور أدهم في جميع هذه الدراسات مقتصراً على وضع اسمه على أغلفتها لكونها من تأليف مطران والزهاوي والحكيم!

وأذكر من قبيل الاستطراد أنه كانت تربطني بالشاعر خليل مطران صداقة وثيقة، وكنت أزوره في بيته على ناصية شارعي ٢٦ يوليو وعرابي بالقاهرة مرة كل يومين إلى تاريخ وفاته. وكانت دراسة إسماعيل أدهم عن مطران تنشر مُنجَّمةً في مجلة "المقتطف" تطبع بضع عشرات من ملازم هذه الدراسة على أمل أن تقوم بتجليدها وتقديمها إلى المؤلف، لأنها لم تكن تدفع مكافآت للكتّاب. وبانتحار إسماعيل أدهم في عام ١٩٤٠ بقيت هذه الملازم الإضافية مخزونة في مستودع المجلة. ولما اكتشفت أمرها، لأنني كنت وقتها أعمل في دار المقتطف والمقطم، رجوت أمين المستودع أن يجهّز منها أي عدد من النسخ الكاملة ويجلّدها. وأمكن فعلاً إنقاذ نحو عشر نسخ لأن الأعوام قد أتلفت بقية الملازم، وحملت بنفسي خمس نسخ كاملة من دراسة أدهم

الموسومة "خليل مطران الشاعر الإبداعي" وقدمتها إلى الشاعر الذي كاد يجهش بالبكاء تأثراً، وقال لي: لقد فاجأني إسماعيل أدهم بهذه الدراسة، ولم يراجعني في أثناء إعدادها، وقد حزنت عندما علمت أنه انتحر بإلقاء نفسه في البحر (وقيل إنه قتل) فرثيته بقصيدة ستطالعها في ديواني عند طبعه، وكم كنت أودّ أن أشكره لا أن أرثيه.

فالذين استكثروا على إسماعيل أدهم أن يؤلف كتاباً عن أبي شادي كانوا ظالمين لأنفسهم قبل أن يظلموا أدهم أو أبا شادي.

بل أن هناك من اتهم أبا شادي بالإلحاد والإباحية – وهي في القانون جريمة قذف – وتواتر هذا الاتهام عندما أصدر إسماعيل أدهم رسالة عنوانها "لماذا أنا ملحد" فما كان من أبي شادي إلاّ أن ردّ عليه برسالة عنوانها "لماذا أنا مسلم" ولكنهم مع ذلك استمروا يتشككون في عقيدته حتى بعد هجرته إلى أمريكا.

تلك نماذج من المضايقات المفزعة التي عانى منها أبو شادي في مصر والتي "طاردته إلى منفاه جانيةً" لأنها "عدّدت صفو آثاره كآثامه"!

لم تكد الملاحة تنتظم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى كان أبو شادي قد تهيأ مع أسرته للهجرة في عام ١٩٤٦، ولكن قضاء الله كان قد نفذ في زوجته الإنكليزية، فكتم أحزانه، وتكتّم خبر وفاتها، ووسَّدها الثرى في مقابر المسيحيين في الإسكندرية لأنها بقيت على دينها، وعجّل بالسفر قبل أن يجدّد أصدقاؤه مساعيهم لإثنائه عن الهجرة في سنّ الكهولة ولا سيما لأن أبناءه جميعاً لم يكونوا قد استكملوا تعليمهم الجامعي، ممّا يضاعف من تبعاته في بداية الهجرة عندما يشرع في إلحاقهم في الجامعات الأمريكية.

وقبل مغادرته الإسكندرية عبأ مكتبته الخاصة في صناديق وأودعها في مخازن "البونرد" في جمرك الإسكندرية على أمل أن تشحن إليه فيما بعد، كما رثى زوجته بقصيدةٍ مؤثرة مطلعها:

ماذا تفيدك لوعتي وبكائي ... هذا فناؤك مؤذن بفنائي

وبعث بهذه القصيدة إلى محرر "الرسالة" أحمد حسن الزيات (١٨٨٥ – ١٩٦٨) مع رسالة وداعية كتبها عشية سفره فنشرتها المجلة في عدد ٢٢ نيسان (إبريل) ١٩٤٦ بمقدمةٍ جاء فيها: "سافر إلى نيويورك يوم الأحد الماضي الدكتور أحمد زكي أبو شادي ليقيم فيها هو وأسرته وقد أرسل إلينا عشية سفره هذه القصيدة ومعها كتاب يقول فيه: "كان بودّي أن أزورك مودّعاً قبيل مبارحة وطني الذي لم تسمح لي الظروف بخدمته كما أودّ، ولكن أحوالي الخاصة لم تمكني من مغادرة الاسكندرية لهذا القصد، وسأبحر منها مع أولادي على الباخرة فلكانيا يوم الأحد ١٤ نيسان (إبريل) ١٩٤٦ وعلى فمي بيت المتنبي القائل:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم، فالراحلون همو!

وكان بودّي لو حملت رسالة توديعي طاقة باسمة لا هذه المرثية الحزينة لزوجتي، ولكنها أغلى ما أملكه الآن، وقد ارتسمت فيها ذكرياتي وعواطفي وآشجاني".

وعلق الزيات على هذه الرسالة بقوله: "كتب الله للدكتور السلامة، ومَنَّ عليه في مهجره بطيب الإقامة".

وصل أبو شادي إلى نيويورك في أول أيار (مايو) ١٩٤٦، وعوضاً عن أن يمارس الطب فتعتدل أحواله المادية ويهجر الأدب الذي جلب عليه المتاعب واضطره إلى الهجرة، أخذ يتطلع إلى الانضمام إلى عصبة الشعراء العرب المهاجرين المقيمين في القارة الأمريكية، ولكنه فوجئ بمقال نشره الشاعر إيليا أبو ماضي (١٨٨٩ – ١٩٥٧) في مجلته "السمير" بعنوان "ليس منّا"! وهو يقصد طبعاً أن الدكتور أبا شادي لن يصبح أبداً من شعراء المهجر. فما كان من أبي شادي إلاّ أن نظم قصيدة عنوانها "ليس منا" قال في مطلعها:

"ليس منّا!" قال الحسود المُعَنّى "ليس منا!" أعادها "ليس منّا!"

عِلمَ ا لله أنَّني لست من يرغب في مثلكم، ولا مَنْ تدنّى

وختمها بقوله:

شاعر نافس التعالي بما يحكي ويحكي القرود معنى ومبنى!

كان الهمّ الأول والملحّ لأبي شادي هو أن يهتدي إلى عملٍ يرتزق منه، وأن يدبّر لأولاده أسباب التعليم في هذا الوطن الجديد. فكان عليه وهو صاحب التراث الضخم في الأدب في مصر أن يبدأ من نقطة الصفر، مؤملاً أن تكون شهرته الأدبية قد سبقته إلى أوساط العرب المهاجرين بحيث يوطئ له ذلك مكاناً حفيّاً بينهم، سواء في الصحف العربية التي كانت تصدر هناك مثل جريدة "الهدى" لصاحبيها نعوم مكرزل (١٨٦٤ – ١٩٣٢) وسلوم مكرزل (١٨٧٩ – ١٩٥٢) وجريدة "السائح" لصاحبها عبد المسيح حداد (١٨٩٠ – ١٩٦٣) و "نهضة العرب" لصاحبها سعيد داود فياض و"الإصلاح" لصاحبها الدكتور ألفونس جميل شوريز وسواها، أو في أقسام الدراسات العربية في الجامعات الأمريكية أو في الأمم المتحدة التي كانت حديثة العهد بالنشوء. وبفضل تمكنه من اللغة الإنكليزية استعان به الوفدان السعودي والإرتري في الأمم المتحدة ليكون مستشاراً لهما، ثم انطلق يقيم الجسور مع الهيئات الجامعية والعلمية، فاختير أستاذاً في معهد آسيا في نيويورك، وأخذ يوافي الصحف العربية في المهجر بمقالاته. وجرياً على عادته في جمع شمل الأدباء، أنشأ في نيويورك "رابطة منيرفا" وجعل على رأسها الشاعر ندرة حداد (١٨٨١ – ١٩٥٠) الذي توفي فجأة في حفلة عرس، وعندئذ اختار الشاعر نعمة الحاج (١٨٨٩ – ١٩٧٨) خلفاً له، مكتفياً بمنصب الأمين العام كدأبه دائماً.

وعندما أصدر في نيويورك ديوانه الأول والأخير الموسوم "من السماء"، انتهزت أكاديمية الشعراء الأمريكيين وجمعية الشعر الأمريكية هذه الفرصة، فتنادتا إلى إقامة حفل تكريم جامع في فندق والدورف أستوريا – وهو أكبر وأشهر فنادق نيويورك – يوم ٣٠ نيسان (إبريل) ١٩٥٠ تكريماً للشاعر أبي

شادي. وقد وصف أبو شادي هذا الحفل في رسالةٍ بعث بها إليّ تاريخها ٨ أيار (مايو) ١٩٥٠ وهي أول رسالة أتلقاها منه، قال فيها:

"في الواقع لم تشهد نيويورك من قديم حفلة أدبية في فخامتها وروعتها ومغزاها وفي شخصياتها مثل هذه الحفلة التي جمعت بين العديدين من رجال الأدب والشعر والصحافة والفكر الحر أمريكيين وعرباً، فضلاً عن أعلام من المستشرقين ومن رجال الجامعات وسيدات القلم والفن، حتى كان يصعب أن تفصّل تأليف جماعة من الحاضرين على أخرى بالنسبة للموائد المبثوثة في قاعة الزمرد الفخمة بفندق والدورف أستوريا العالمي الشهرية. وما كان يمكن مطلقاً في الوقت المحدد تناول العشرات من الرسائل والدراسات القيمة والقصائد الرائعة من العالم العربي، بل من أقطار أخرى كذلك من جنوبي أمريكا وشماليها وأوربا....إلخ. وبالرغم من كل اختصار، استغرقت الحفلة أربع ساعات وكانت مظاهرة منقطعة النظير لأدبنا العربي وللروح الإنسانية التي ألتزمها في شعري وفي كل جهودي. وكان بين الخطباء أساتذة من ثلاث جامعات، كما خطب الأديب الإنساني الشهير روجر بولدوين رئيس الجمعية الدولية لحقوق الإنسان (إحدى المنظمات الاستشارية لهيئة الأمم المتحدة)، وتلا الممثل الذائع الصيبَ ليو كارول الترجمة الإنكليزية لقصيدتي. ولم يسمح بأن يشترك في الحفلة أحد من غير المفكرين والأدباء المعروفين والشخصيات البارزة. وبلغ رعاة الحفلة من الأكابر زهاء المائة، بينهم وزير لبنان المفوض وسفير المملكة السعودية ودولة فارس الخوري بك وقنصل سوريا العام في نيويورك. وأما مصر، التي تعود إليها في النهاية كل هذه الحفاوة، فلم تمثل إطلاقاً في الحفلة!!! وقد حضر محمد أفندي لبيب أمين القنصلية المصرية بصفته الشخصية فقط، لأن عنده شيئاً من الشجاعة الأدبية وعرفان الجميل، ولأنه لم ينس بعد أنّي كنت المصري الوحيد هنا الذي دافع عن الديمقراطية المصرية وعن حق الوفد في الحكم أثناء العهد الماضي المشؤوم".

أما ديوانه "من السماء" فقد أهدى منه ألف نسخة إلى دولة أحمد حلمي باشا (١٨٨٢ – ١٩٦٣) رئيس حكومة عموم فلسطين التي كان مقرها في القاهرة لكي تباع وترصد حصيلتها لقضية فلسطين.

توهم أبو شادي أن هجرته كفيلة بدفع الأذى عنه من الذين كانوا يضيقون به في مصر. ولكن ما كان ينشره من قصائد ويكتبه من مقالات مطالباً بالإصلاحات في مصر أسيء فهمه واعتبر هجوماً منه على وطنه الأم. فقد كانت أخبار الملك فاروق المشينة تملأ الصحف الأجنبية، مما حدا بالدكتور أبي شادي الذي كان أستاذاً للملك فاروق في شبابه، إلى نظم قصائد رمزية في الحملة عليه كقصيدة "الكركدن" وقصيدة "جنون البستاني" وغيرهما. مما جاء في قصيدة "الكركدن" قوله:

من دمعة الشعب ومن كدّه	ومن دم الأمة في نرده
مُملّكُ الحدّ على صفوها	يا ليتها تملك من حدّه
كم يجعل الدين حبالاته	ليخنق المصلح في مهده
يمرّغ الأمة في رجسه	ويسرق الأمة في رفده

إلى أن قال:

حتّام يا قوم ضلالاتكم؟	تْمكّن الفاجر من قصده؟
كنّا نرجّيه مثال الهدى	فأصبح الغاشم في حقده
كنّا نغنّيه أغاني العلا	فأصبح المبدل من حمده
كنّا نغذّيه بأرواحنا	في روحه العالي وفي زهده
ما باله أصبح فتىً ماجناً	الشارد، الخادع في وعده
حتّام يستهزئ من مجدكم؟	حتّام، والخسّة من مجده؟
حتّام يسترسل في غيّه؟	حتّام والسوقة من جُنده؟
حتّام أعلاكم له صاغر؟	حتّام، بل أهون من عبده؟

أعقلكم دون دفين الثرى   لو يعتل الميت في لحده

أما قصيدة "جنون البستاني" فقد جاء فيها قوله:

ماذا أصابك أيها البستاني   وذويك؟ ما هذا الجموح الجاني؟

ضيّعت غرساً صوّحت أفنانه   وشُغلت بين مهازل وغواني

الليل ينفق في القمار وفي الزنا   رجسان مأثوران للشيطان

تتضاءل الحسنات منك وتمّحي   في حين جسمك بعدها جسمان

ماذا دهى الأمل العريض، فطالما   أوحى لنا، والآن لطمة عان؟

كنّا نرى الوجه الصبيح كأنّه   رمزٌ لكل تطلّع روحاني

ماذا دهى هذي الغوالي كلها   وشخوصها ما زلن في وجداني؟

إلى أن قال:

هيهات يُفلح فاسق مُستهتر   أو يستقلُّ بعزّةٍ ومكان

ما زلتُ أخلصك النصيحة، فاتّعظ   وتحاش مَنْ خرّوا إلى الأذقان

هيهات ينفعك التملّق والرُّقى   وجميع ما يوحي جنون أناني

مهلاً ومهلاً أيها البستاني   ارجع لغرسك أيها البستاني

هذا الشعر، الذي وصفه صاحبه بأنه شعر رمزي لأنه لم يورد فيه اسم الملك فاروق صراحة، اعتبر هجوماً على مصر من خصوم أبي شادي عوضاً عن أن يعتبر نصيحة خالصة من غيور على رمز بلاده. واتفق في ذلك الوقت أن كان الصحفي مصطفى أمين (١٩١٤ – ١٩٩٧) يزور الولايات المتحدة، فأبرق إلى جريدة "أخبار اليوم" برسالة قال فيها إن أبا شادي يهاجم مصر ويدعو إلى النظام الجمهوري لا الملكي! وتلقف عباس خضر (١٩٠٨ – ١٩٨٧) هذه البرقية، وجرياً على عادته في التحرش بكبار الأدباء هو وزميله أنور المعداوي (١٩٢٠ – ١٩٦٥) في مجلة "الرسالة" أثناء غياب صاحبها في ضيعته في مدينة المنصورة، فكتب مقالاً في عدد ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٤٩ من

المجلة قال فيه: "إن أبا شادي مكث دهراً ينظم كلاماً فارغاً ويقذف به ديواناً وراء ديوان، وهو يحاول أن يقنع الناس بأنه شاعر فأخفق ولم يفلح إلاّ في إفساد المذهب التجريدي في الشعر العربي، حتّى لقد نفّر أبو شادي بعض المجيدين من لفظ التجديد، وأصبح مثار التندر في مجالسهم. إن مصر لا تستحق هجومه عليها إلاّ لسبب واحد هو أنه من أبنائها، وإن كانت كفّرت عن ذنبها بلفظه وقذفه إلى ما وراء البحار".

وهذا كلام لا يصدر إلاّ عن موتور، وما كان يصحّ أن يجد له موضعاً في مجلة رصينة كمجلة "الرسالة". فأبو شادي كان ينصح ويحذّر من العواقب التي جلبها طيش الملك فاروق على نفسه وعلى بلاده وكأن أبا شادي كان يرجم بالغيب ويعرف ببصيرته أن الثورة ستطيح العرش والمتربع عليه. ولعلّ الذي أغرى عباس خضر بكتابة هذا الهجاء المسفّ اعتقاده بأن أبا شادي المقيم في أمريكا لن يطلع على هذا الكلام، فيكون هو قد حسم الأمر وكسب القضية، ولا سيما لأن القراء يجهلون تفاصيلها.

ولكن أبا شادي كان يقرأ "الرسالة" حتى في مهجره. ولئن غضب على كاتب هذا الكلام المهين، فقد تجاهله تماماً في الردّ الذي بعث به إلى صاحب "الرسالة". ففي العدد الصادر في ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٩ نشر أبو شادي مقالاً عنوانه "بين الأدب والوطنية والأخلاق" عاتب فيه صاحب "الرسالة" أحمد حسن الزيات على سماحه بترديد مطاعن جارحة في أخلاقه وفي محبّته لمسقط رأسه، واستنكر أن تقابل خدماته لوطنه الأول بالجحود قائلاً "إنه وجد في الصحف الأمريكية مجالاً لنشر آرائه بعدما حال الرقيب دون نشر آرائي الحرة في مصر، ولحمتها وسداها الدفاع عن صوالحها العليا وعن عاملها وفلاحها وعن حرياتها العامة وعن عرش مصر".

ومن مدينة دمنهور في شمال دلتا النيل جاء صوت منصف استَهْوَلَ ما كتبه عباس خضر فتصدى من تلقاء نفسه وبروحه المنصفة للدفاع عن أبي شادي، حيث نشرت "الرسالة" في نفس العدد مقالاً بتوقيع عبد الحفيظ نصّار

من دمنهور جاء فيه: "آلمني حقاً الأسلوب الذي تحدث به الكاتب الفاضل عن رجل كان له في الحياة الأدبية أثر لا ينكر. ومن المعروف أن أبا شادي بذل مجهوداً صادقاً في خدمة الأدب الحديث. وأقلّ ما يُنسب إليه من فضل أنه جمع جمهور شعراء العربية وحفزهم، الشباب منهم بنوع خاص، ومن ينكر نشاط جماعة أبولو التي كان رئيسها شوقي ووكيلها أحمد محرم (١٨٧٧ - ١٩٣٢) وسكرتيرها أبو شادي؟ وأعتقد أنه قبل مجلة "أبولو" - وهي مجلة خاصة بالشعر ودراساته مما لم يسبق له نظير في عالم الصحافة العربية - كان القارئ العربي لا يعرف شيئا عن هذا العدد الكبير من شعراء الشباب بنوع خاص، نذكر في طليعتهم الشاعر أبا القاسم الشابي (١٩٠٩ - ١٩٣٤). فهل أفسد أبو شادي سليقته؟".

ولّما فاضت الكأس بأبي شادي، أصدر بياناً شاملاً للمواطنين المصريين نشرته مجلة "الصباح" القاهرية لصاحبها مصطفى القشاشي في عددها بتاريخ ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٥١ قال فيه: "آمنت بأن العوامل التي أرغمتني إرغاماً على الهجرة عن وطني لا تزال سائدة، بل إنها شرٌ ممّا كانت عليه. وبناءً على ذلك فإني سأقضي في أمريكا البقية القصيرة الباقية من حياتي، وعلى الأخص بعد اشتداد المرض عليّ في أواخر نيسان (إبريل) من هذا العام، حتى أني لم أنج من الموت إلاّ بأعجوبة. والآن، بعد اضطراري إلى تنظيم استقراري في أمريكا نهائياً، لا أطلب إلاّ تركي وشأني هنا. والأَوْلَى بأولئك الأصدقاء والمريدين الذين يودّون، كرماً منهم، عودتي إلى مصر ألاّ ينسوا أن شخصي هو مبادئي وتفكيري فحسب. وسأظل إلى آخر أنفاسي على هذا العهد من الحبّ والوفاء، دون نظر إلى أي جزاء".

ولئن عَالنَ أبو شادي بالقطيعة مع مصر، وقرّر في حزم صارم ألاّ يعود إليها حتى في صندوق، فهو لم يكفّ عن الحنين إلى مصر والتغني بها في شعره. ففي قصيدة عنوانها "وطني" قال:

مَنْ مُبلغٌ وطني الحبيب تلهفي للقائه كتأسفي للقائه

لجّ الحنين وما عرفت بهجرتي / أن أستخفّ بعنفه وزكائه
وطني الذي رُبِّيتُ تحت سمائه / ووهبته فنّي نجوم سمائه
ورضعت من أزهاره، وسكرت من أسماره، وشربت من أضوائه
مَنْ ليس يَعْدِلُهُ سوى حُبّي له / حُباً تشرّد كاليتيم التائه
مَنْ طالما غنَّيتُ في أفيائه / برؤاي حين سُجنت في أفيائه

وقال في قصيدة عنوانها "لا تهزوا روحي":

لا تهزوا روحي لفرط ولوعها / دمعي الذي تَأبَوْنَ بعض دموعها
مصر الحبيبة جنّة لا أشتهي / منها الخيار، فخيرها بجميعها
أهوى لها الإعزاز كيف تمثّلت / بحياتها، وتصوَّرت بصنيعها
إن كان عاقبني الزمان بغربتي / فلقد أفاءَ عليَّ حُلْم بديعها

وفي قصيدة عنوانها "الزيارة الأخيرة" قال:

وددت قبل مماتي / أراكِ يا مصر مرّهْ
وإن أكن في جنانٍ / فريدة الحسن حُرّهْ
ولم أزل في جنيني / إليك أكرع جمرهْ
يهتاجني كل صفوٍ / وقد أعاني المسرّهْ
أهفو إليك وأَعْصى / روحي وأرسل عبرهْ
وإن عرفتِ جمودي / فما عرفتِ المبرّهْ
فإن تجوهلتُ عمداً / وأصبح الحبّ غمرهْ
وظلّ مثل وفائي / مرمىً لحقدٍ وغيرهْ
فالنَّفْيُ أجدى لمثلي / والبعدُ أسلم عثره
حتى أجود بروحي / ولا أفوز بنظرهْ!

في شهر حزيران (يونيو) ١٩٤٦ افتتح الدكتور أبو شادي لنفسه مكتباً في شارع ماديسن بنيويورك أطلق عليه اسم "المكتب الأدبي المصري" في حين اتخذ لنفسه منزلاً في ضاحية جامبكا. وظلّ يزاول أعماله الأدبية ومحاضراته الجامعية من هذا المكتب إلى أن قرّر راديو صوت أمريكا الاستعانة بخدماته في الترجمة وتأليف المسرحيات وإلقاء نماذج من شعره، مع الانتقال إلى واشنطن العاصمة، فاختار لإقامته بيتاً ذا حديقة جميلة، وكان قد تزوج أمريكية من أصلٍ إيطالي وتبنى ابنها الذي رزقت به من زوج سعودي سابق وصار هذا الابن يعرف إلى هذا اليوم باسم كلايف أبي شادي.

كنت مبتوت الصلة بأبي شادي وهو في مصر، فلمّا هاجر إلى أمريكا وأقيم له مهرجان التكريم الحاشد في فندق والدروف أستوريا – وقد تقدّم الحديث عنه – أطلعني صديقي الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتي (١٩٠٢ – ١٩٨٣)، وهو من رواد أبولو، على تفاصيل هذا الحفل، ووافاني بالكلمات التي ألقيت فيه وكذلك بصورة بانورامية للجمهور المجتمع في قاعة الزمرد. فنشرت في "المقطم" صفحة كاملة وصفت فيها هذا المهرجان المصري في نيويورك تزيّنها الصورة الفريدة. وقام السحرتي بعد النشر بإرسال نسخة من الجريدة إلى أبي شادي الذي أهداني ديوان "من السماء". ولمّا شكرته على هديته، بدأ يراسلني بانتظام اعتباراً من ٨ أيار (مايو) ١٩٥٠ وكانت آخر رسالة تلقيتها منه مؤرخة في ٨ نيسان (إبريل) ١٩٥٥ أي قبل وفاته بأربعة أيام. كان أبو شادي يوم الوفاة جالساً في حديقة منزله بين المناحل التي يربي فيها النحل عندما صرخ قائلاً إنه فقد الرؤية تماماً، ولم يلبث أن لفظ أنفاسه متأثراً بجلطة في المخ. ومن المفارقات المغيظة أنني زرت واشنطن في شهر تموز (يوليو) من العام نفسه، أي بعد ثلاثة أشهر من وفاته، ولو تقدّم موعد زيارتي أو لو أُرخي له في العمر هذه الأشهر الثلاثة لصافحت وجهه بدلاً من الوقوف على قبره في ولاية ميريلند الذي دلّتني على موضعه ابنته الوفية صفية، فهو مدفون في قبرٍ مُسوّىً بالأرض تغطيه لوحة

من البرونز نقش عليها اسمه وتاريخا ميلاده ووفاته. أما المقبرة التي تضم رفاته، وهي بحدائقها وزهورها تكاد تكون دوحة غناء، فتعرف باسم non-sectarian cemetery وفيها يدفن أبناء الطوائف غير المسيحية، حتى الهنود. ولذلك أقيمت فيها محرقة لإحراق جثث الهنود. ولأنني عرفت من صفية أن القرنفل الأبيض كان أحبّ الزهور عند أبي شادي، فقد وضعت باقة من القرنفل في أصيص مثبت على المقبرة بعدما ملأناه بالماء.

أما مكتبة أبي شادي التي خلّفها وراءه في مستودع "بوترد" جمرك الاسكندرية معبأةً في صناديق، فقد بقيت جاثمة في مكانها نحو ست سنين، ولم تسلم من آثار الأنواء والرياح الهابّة ومن الأمطار السخينة التي تتعرض لها الاسكندرية. وكان أبو شادي قد كلّف مندوباً بأن يسعى لدى الجهات المعنية لشحن هذه الصناديق إليه، ولكن الإجراءات البيروقراطية المعقدة حالت دون ذلك، وعندما كاد أبو شادي يفقد الأمل نهائياً في الإفراج عن كتبه التي يحتاج إليها في دراساته ومحاضراته، استنجد بي ظنّاً منه أنه بوسعي تذليل العقبات الخانقة. وكان لوزارة المالية المسؤولة عن الجمارك وكيل واحد – وليس عشرات من الوكلاء كما هو الحال اليوم – وكان هذا الوكيل صديقاً لي، وكان على درجة عالية من حسن الفهم والقدرة على الحزم والتغلّب على التعقيدات الدهرية، ألا وهو الدكتور محمد توفيق يونس بك الذي صار بعد ذلك رئيساً لديوان المحاسبة. وحتّى لا أحرجه بالاتصال الشخصي، بعثت إليه برسالة على ورق عادي وبالبريد العادي. كلّفتني خمسة مليمات هي رسم البريد، ولم نكن وقتها نعرف الدمغات التي تباهظت قيمتها، ولا عرض حالاتها القبيحة! وأوضحت له في رسالتي أن أبا شادي يسخّر كل حياته في مهجره لخدمة وطنه وأمّته وثقافته العربية، وأنه في أشدّ الحاجة إلى مكتبته الخاصة التي تتعرّض في جمرك الاسكندرية لعوامل التعرية المدمرة، وأنه ليس تاجر كتب وإنما عالم كبير يقتنيّ هذه المكتبة للاستعانة بها في مآربه الأدبية والعلمية. ورجوته بأن يأمر بالإفراج عنها إنقاذاً لها من الدمار

المحتوم، وخدمةً لرسالة الثقافة والعلم التي يضطلع بها أبو شادي في أمريكا. وبمجرد وصول رسالتي إلى الدكتور يونس هاتفني قائلاً إنه أصدر أوامره المشدّدة بالإفراج فورا عن الكتب، ولكن بعد عرضها على الرقابة، لأن الرقابة ليست من سلطانه أو مسؤولياته. فكتبت إلى مندوب أبي شادي في الاسكندرية لأبلغه أن أمر الإفراج قد صدر، ولم يبق إلاّ الاتصال بالرقيب الهمام، ورجوته أن يلحّ على هذا الرقيب بأن يعجل بمهمة الإفراج، ولا بأس طبعاً من إمهاله فترة معقولة لقراءة نحو خمسة آلاف كتاب باللغتين العربية والإنكليزية! وكأي موظف حكومي لا يتعب نفسه كثيراً في أداء عمله، طلب قائمة الكتب ووقع عليها دون أن يقرأ كتاباً واحداً إبراءً لذمته! وعلى الأثر، شحنت الكتب إلى وجهتها فوصلت إلى أبي شادي في نيويورك في أواخر عام ١٩٥١ أي بعد ست سنين من هجرته وبقائها جاثمة في مستودع جمرك الإسكندرية.

وكنت أحسب أن أبا شادي سيفرح بوصول كتبه إليه، ولكنه كتب إليّ رسالة تاريخها ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥١ جاء فيها: "لم أشأ أن أبلغك من قبل عن المأساة التي أصابت صناديق كتبي حتى لا تتكدر، وحتى نصل إلى حل. فأولاً، الصناديق وصلت مكسورة الجوانب ومسروق منها مئات من الكتب حتى اضطرت مصلحة الجمارك هنا إلى سدّها بألواح من الخشب. وثانياً، ضاع صندوق كامل فلم يصل. وثالثاً، جميع المخطوطات والمستندات والرسائل الأدبية المهمة مفقودة، ولم أعثر إلا على مخطوط ديوان عبد الحكم الجرّاحي (وهو من شهداء الوطنية من طلاب جامعة فؤاد الأول في الثلاثينات من القرن الماضي) وأشياء قليلة أخرى. وأما ديوان "ترنمات الشيطان" للزهاوي فلم نهتد إليه. وما زلنا في أخذٍ وردّ مع شركة الملاحة دون جدوى إلى الآن. وأنا لا يهمني التأمين، وإنما تهمني تلك الآثار الأدبية".

ومخطوط ديوان "الترنمات" للشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣ – ١٩٣٦) يحتاج إلى وقفة. كان هذا الشاعر العراقي قد أودع

مخطوطة هذا الديوان لدى صديقه سلامة موسى (١٨٨٧ – ١٩٥٨) بغية نشره ذات يوم لأن في المخطوطة شطحات عُرفت عن الزهاوي وقد لا يرضى عنها الرقيب. فقام سلامة موسى بإيداعها لدى أبي شادي لأنه كان مستهدفاً من رجال الشرطة الذين كانوا يقتحمون بيته في أي وقت ويصادرون كتبه وأوراقه كلّما تكررت عملية اعتقاله، وبقي هذا المخطوط لدى أبي شادي. ولكنه بحث عنه ضمن صناديق كتبه عند وصولها إليه فلم يعثر له على أثر واعتقد أنه كان ضمن المفقودات، وهو اعتقاد لم يفارقه إلى وفاته. واتفق أن كريمته صفية كانت تقلّب في كتبه بعد ذلك وعثرت مصادفة على المخطوطة، فقامت باستنساخها وأهدتني نسخة منها مع رجاء بعدم نشرها لأن الديوان كان عُهدةً أو أمانةً لدى أبيها ولم يكن مرخصاً له في نشره.

وفي هذه الأثناء كان الشاعر العراقي هلال ناجي، اللاجئ السياسي في القاهرة، يعدّ كتاباً عن الزهاوي، ورغب إليّ في مساعدته في الحصول من أسرة أبي شادي في أمريكا على نصّ ديوان "الترنمات". ووعدته بذلك دون أن أذكر له أن الديوان تحت يدي، ولكنني تعهدت بعدم نشره استجابةً لرجاء صفية أبي شادي. ولمّا تكررت زياراته واشتدّ إلحاحه قلت له إن صورة الديوان عندي، ولكنني وعدت بعدم نشرها، فقال إنه لا ينبغي إلاّ الاطلاع عليه للاسترشاد بالديوان في بحثه عن الزهاوي، وإنه سيعيد المخطوطة إلي دون تأخير. وتلقاء إلحاحه ووعده بعدم نشر الديوان، أعرته إياه. وفوجئت بعد ذلك بصدور كتاب "الزهاوي وديوانه المفقود" وفي متنه النّص الكامل لديوان "الترنمات" الذي زعم المؤلف بأنه بحث عنه بنفسه جاهداً حتى عثر عليه!

وكنت احتكمت إلى أستاذنا العقّاد في تحرّي مدى نسبة هذا الديوان إلى الزهاوي، فكتب مقالاً نشرته في مجلة "قافلة الزيت" السعودية التي كنت أمثلها في مصر وذلك في عدد أيار (مايو) – حزيران (يونيو) ١٩٦٣ أكد فيه

"أن كل الشواهد والقرائن مقنعة بل قاطعة في إثبات نظم الشاعر لجملة القصائد والمقطوعات التي احتواها ديوان الترنمات".

وقد يسأل القارئ عن مصير مكتبة أبي شادي الخاصة، سواء ما كان يقتنيه من كتب في مصر أو ما استجدّ من كتب اقتناها أو أهديت إليه في أمريكا (وكنت أوافيه بناءً على طلبه بما يزيد كيلو غرامين يومياً من الكتب الصادرة في مصر والبلاد العربية). فبعد وفاته قامت كريمته صفية بإهدائها إلى مكتبة جامعة يوطا UTAH الأمريكية عندما كان المؤرخ المصري الدكتور عزيز سوريال عطية (١٨٩٨ – ١٩٨٨) صديق أبي شادي يعمل أستاذاً للتاريخ فيها. فخصصت الجامعة لها جناحاً وعهدت في الإشراف عليه إلى أمين مكتبة من أصل عربي.

وعندما أصدر الشاعر المهجري جورج صيدح (١٨٩٣ – ١٩٧٨) موسوعته الضخمة "أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية" لم يعترف بأبي شادي شاعراً من شعراء المهجر. ولكنني راجعته في هذا الرأي، وقلت له إن أبا شادي كان حريصاً على أن يؤكد للدارسين أن المرحلة المهجرية في حياته – وإن تكن امتداداً للمرحلة السابقة عليها في الوطن – إلاّ أنها قد تميزت عنها بخصائص جديدة أكسبتها إياه حياة المهجر فتراءت في آثاره الشعرية النثرية، حيث ازدادت إنسانيته شفافيةً، وازداد أفقه رحابةً عالمية، وازداد حنينه إلى وطنه النائي وازداد توهجاً بحكم تحلله من الوظائف والأعمال الإدارية التي كانت تبهظ كاهله، وازداد استشرافه على العالم العربي وقضاياه المصيرية والتحررية، بحيث يصحّ القول بأن شعره المهجري يختلف في نسيجه وصوره ومضمونه عن شعره السابق. وقد اقتنع صيدح بوجهة نظري، وبأحقية أبي شادي وابنته صفية صاحبة ديوان "الأغنية الخالدة" في الاندراج ضمن شعراء المهجر، وأفرد لهما حيّزاً في الطبعة الثالثة من هذه الموسوعة النفيسة اعترافاً لهما بهذه الصفة.

وطرأ لي عند كتابة هذا الحديث أن أراجع رسائل أبي شادي الكثيرة إليّ، فألفيتها طافحة بالشكوى من أشكال الجحود التي كانت تلاحقه حتى في مهجره، ممّا اضطره إلى الدفاع عن نفسه في شعره، وكأنه إزاء اتهام بالعقوق أو النكران كقوله:

سألوني لِمَ ارتحلت، كأنّي لم أجبهم بسيرتي نصف قرن
شادياً بالطليق من شعريَ الباكي أغنّي لمجدهم ما أغنّي
ما كفاهم أني ارتضيت شقائي لي جزاءً، ويهدمون وأبني
ما كفاهم هذا وهذا فنادوا بعقوقي، وما رعوا حق سنّي
وأظلّ الوفي رغم اغترابي للبلاد ما غُيِّبت قط عنّي

وعندما توفي ابن أبولو البكر الشاعر إبراهيم ناجي (١٨٩٩ - ١٩٥٣) حسيراً مقهوراً بعدما طرد من وظيفته بزعم "التطهير"، رأى أبو شادي في محنته شبيهاً بمحنة كل شاعر حرّ مثله، فرثاه بقوله:

كيف قد غاله الردى فجأةً، غادراً، وفرّ؟
أتُرى كل ذنبه أنه شاعر شعر؟
أنه نغّم الأسى أنه طارد الضجر؟
أنه أنقذ الورى من شرور ومن شرر؟

وعندما تعرضت بدوري للبطش والاعتقال في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٢ غيلةً وغدراً، أهداني أبو شادي قصيدة عنوانها "الأخطبوط" قال فيها:

هيهات أرضى أن أساوم مرّه في الحق، أو أرضى به مدحورا
إن الإساءة من عتيٍّ فاجرٍ ملأ البلاد مقابحاً وشرورا
نِدّ الإساءة من زعيم صالح قتل المواهب جاهداً مغرورا
إن ترتضوا هذا فحسبي أنني أبقى بمنفاي السحيق شكورا

وعندما توفي أستاذه وصديقه الشاعر خليل مطران في عام ١٩٤٩ وكان يسميه "الشاعر السامي" رثاه بقصيدة عامرة الأبيات ختمها بقوله:

يا مصر، إن أنسَ لا أنسَ الهوى ثملاً — على ضفافك في شتّى عناصره

رضعتُ فيك حناني للجمال كما — ركعتُ فيك لساميه وطاهره

لألبثنَّ وفيّاً لا يغيّره — عادي الخطوب، أبيّاً في ضمائره

لئن أُميتَ كفاحي في منابته — فسوف يحيا كفاحي في مهاجره

أما أسرة أبي شادي التي تعيش في أمريكا فقوامها ابنته صفية التي عملت في بادئ الأمر في جريدة "الهدى" ثم انتقلت للعمل في السفارة السعودية بواشنطن وكانت تقوم بأعمال السكرتارية للأمير فيصل بن عبد العزيز وزير الخارجية السعودي عندما كان يمثل بلاده في الأمم المتحدة، وعملت بعد ذلك في راديو صوت أمريكا مترجمة إلى أن تقاعدت. وهي التي حافظت على تراث أبيها بعد وفاته، وبفضلها أمكن نشر الدواوين الأربعة المخطوطة التي خلفها أبوها.

أما هدى أبو شادي فقد هوت التصوير الفوتوغرافي وعملت في وظائف شتّى كمصورة محترفة، ونالت جوائز متعددة على ما أقامته من معارض لصورها. وقد تزوجت الطبيب الأمريكي ميريل جارنت Dr. Merril Garnett الذي يعكف منذ أكثر من عشر سنوات على الاهتداء إلى عقار للسرطان، وقد نشر نتيجة أبحاثه في كتابه عنوانه "النبضة الأولى" First Pulse، ولو تنبهت إليه الجهة المانحة لجائزة نوبل في العلوم فلعلها كانت تمنحه جائزتها.

وأما رمزي أبو شادي فقد عمل في وظائف شتى في الأمم المتحدة، ولمّا تقاعد، ترك الإقامة في مدينة نيويورك الصاخبة، وانتقل إلى ضيعته يمارس فيها كل فنون الزراعة وتربية الماشية.

ولكل من هدى ورمزي أبناء وأحفاد يحمل الذُكور منهم اسم "أبو شادي"، أما صفية فلم تتزوج.

وديع فلسطين

أنــداء الفجــر

الديوان الأول للشاعر

إهـــداء الدّيــوَان

إلى زينب

رُبْـعُ قـرنٍ مضـى وهيهات تَمْضـي ... شُـعلةُ الحُـبِّ عـن وثـوبٍ ووَمْـضِ

لم أزل ذلـــك الفتـــى في جُـنـوني ... وفــؤادي بنبضـــهِ أيَّ نـــبْضِ

ذكريـاتُ الهـوى وأشـباحهُ النَّشْـ ... ـوى أمـامي في كـل صـحوٍ وغمـضِ

أنـا منهـا فكيـف أرتـدُّ عنهـا؟ ... مَرْحبـاً بالخيـال لمسـي وقَبْضـي!

نُشِـرَتْ في السـطور بعدَ احتجابٍ ... كنـثيرِ الحيـا علـى زَهْـرِ رَوْضِ

فـإذا بـي أعـودُ طفـلاً صـغيراً ... باكيـاً لاهيـاً بأُنْسـي ورَكْضـي

فـاقبَلي يـا سمـاءَ وَحيـي زُهـوراً ... مِنْ حَياكِ السَّخيِّ لا جودَ أرضـي

وأَعيـدي علـى الصِّبَا في نظيمـي ... نظرةَ الحـبِّ يَنـتفَضْ مثـل نفْضـي

كــم شـــقينا تَفَرُّقـــاً وحيـــاءً ... وخَضَـعْنَا لِحكْـمِ دهـرٍ مُمِـضٍّ

ورَجَعْنَـــا ننـــوحُ نَـــوْحَ يتيمـيْـ ... ـنِ علــى ذلــك الصِّــبا المــنقضِّ

علـمَ الحـبُّ لـيس غـيركِ مجـدي ... في وفـاءٍ ولـيس غـيركِ خَفْضـي!

أحمد زكي أبو شادي

بولية سنة ١٩٢٤

أنــداء الفجــر

مِنْ دُموعِ النجومِ، مِنْ سَهرِ العا ... شـقِ صِـيغتْ ومِـنْ رجـاءِ الحيـاةِ
في حَنـانٍ ورقّــةٍ وهــي لا تمــ ... ـلكُ مِـنْ عمرهـا سـوى لحظـاتِ
في ثُغـورِ الأزهـارِ، في ألَـقِ العُشـ ... ـبِ، وفـوقَ الغصـونِ تحيـا وتَفْنَـى
وهَبـتْ حُسـنَها الضحيةَ للشمـ ... ـسِ كـأنَ الفنـاءَ للشـمسِ أغنَـى
ويعـودُ الفجـرُ الـوفيُّ بهـا بَعـ ... ـثاً، ولكـنْ تعـود تمضـي الضّحِيهْ
هــي مِلْـكٌ لنــا حيـاةً وموتــاً ... وهــي بـالرُّوحِ صـورةُ الأبديَّــهْ

الحب والأمل
(نظمها الشاعر وهو عليل)

وَفَـى الربيـعُ فحـيِّ الحـبَّ والأَمـلاَ ... وسـائلِ الذكرَ إن كـان الفـؤادُ سَـلاَ
واحفظ حـديثَ الغـواني في أزاهـرِهِ ... واحـرصْ علـى النفس أن يُدني لها الأَجَـلاَ
مِنْ كل هيفاءَ إن ماست وإن نظرتْ ... لم تـتركِ القلـب إلاَّ حـائراً وَجِـلاَ
رنـتْ إلــيَّ بلحـظٍ نـاطقٍ لَعِـبٍ ... والسِّحْرُ إنْ عـزَّ لا أبغـي لـه بَـدَلاَ
يـا رائـقَ الشِّـعْرِ هـل بلَّغْتَنـا نبـأً ... عن حال مَنْ كان لولا العهدُ مُرْتَحِلاَ[1]
يخطــو إلى المــوت والآلامُ تلفتُــه ... إلى العهـود فيُثْنَـى جازعـاً خَجِـلاَ
ليـتَ الـوفيَّ الـذي تُنْسَـى مُروءَتُـهُ ... مـا عاهـدَ البـدرَ أن يرعـاه ممتـثلاَ
إنْ عـاش كانـت علـى التسـهيدِ نضـرتُه ... أومأت أزجى المُنَى مِنْ قبره رُسُـلاَ
لا يسـتقرُّ لــه رأيٌ علــى سـبَبٍ ... وربَّ صـوتٍ ثنَـى[2] مِـنْ همِّـهِ وجَـلاَ

---

[1] راحلا من هذا العالم. يشير إلى مرض سابق.
[2] ثنى: طوى.

سـهلٌ لديـه التأسّـي عـن مَدامعـهِ … يـومَ اللقـاء، فأمّـا في الـوداعِ فـلا!
رأى النعـيمَ همومـاً في صـبابتهِ … وقـرَّبَ الحسـنُ مثـواه لـهُ فَحـلاَ
مـا أجـزعَ الصـبَّ يُبكيـه متيّمـهُ … مِنَ الجمالِ، ومـا أهنـاه لـو وَصَـلاَ

* * * * *

ودّعـتُ هَمّـي، وهمّـي كلُّـهُ أمـلٌ … يـا ربَّ لحظٍ ولفظٍ في الهوى قتَلاَ
مـرَّتْ كحلـمٍ يجاريـه الـدّلالُ فـلا … نمْـتْ عليـهِ، ولا أخفـتْ لـه مـثْلاَ
وداعبـتْني بصـوتٍ خافـتٍ وبكـتْ … وقـرَّبتْني وقالـتْ حسْبُنا جـدَلاَ!
الـدّهر فرَّقَنـا، والـدّهر ألَّفنَـا … فـانسَ الذنوبَ، ولا تعتبْ لِما فعلاَ
الكونُ زاهٍ قشـيب، والظـلام سـنَاً … والنـورُ كنـزُ معـانٍ تُـبهج المُقَـلاَ
فاجلُ القريضَ وحدّث طائراً غَرِداً … وادْعُ النّسـيمَ ولَحّـنْ بعـده زجَـلاَ
فسرتُ في الروضِ من فرطِ الهوى ثمِلاً … مثلـي النّسـيم بـدا مِـنْ رقّـةٍ ثمِـلاَ
والطـيرُ دانٍ فلّمـا جئتُـه خطـرتْ … فيـه الظُّنـون فخلّـى إلْفَـهُ وعـلاَ
واللهِ لستُ الذي يرضى السّهادَ له … حتى يخـافَ، ولكنْ لستُ مَنْ عَذلاَ
يـا طيرُ آلمتَ نفسي – كلّنا دنِفٌ … ما كنتَ باعدتَني لـو كنت من عذَلا
ويـا زهـوراً كسـاها مِـنْ مدامعـه … هـذا الغمـامُ عقـوداً نضـرةً وحُلـى
ويـا شُـعاعاً سُـحِرْنا مِـنْ تألّقـه … يبكـي ويلعـب بسّـاماً ومقتـتلاَ
ويـا نجومـاً توافينـا ومـا برحـتْ … تُفشي حديثَ الدُّجى، لا تعرِف الخجَلاَ!
ويـا أديمـاً جلسـنا في بدائعـهِ … يـأبى علينا الهوى أن نـترك الغَزلاَ
ويـا ملاكـاً يحيّينـا ومـا فتئـتْ … منـه اللحـاظ سـهاماً.. ليتـه غفَـلاَ
ويـا زمانـاً نعمنـا مِـنْ نضـارتِه … والأنـسُ وقـفٌ عليـه دامَ أم أفـلاَ
ويـا ربوعـاً وقفنـا في معابـدِها … أَسْرَى الجمال، نزفُّ الحبَّ والأملاَ
لا قلتُ معنىً يروق الشّعرَ جوهَرُهُ … لو أنّ بعضَ نعيمي مِنْ هواكِ خلاَ!

حيــاتــان

أمّي (الطبيعة)! في نجواكِ إسعادي
وفي ابتعادي أعاني دهريَ العادي

وفي حمى أخوتي من كلّ طائرةٍ
وكلّ نبْتٍ نبيلٍ وحيُكِ الهادي

ما بالها هي صفوي وحدَها فإذا
رجعتُ للناس لم أظفر بإسعادِ؟

كأنما الناسُ أعداءٌ: فبعْضُهمو
حربٌ لبعضٍ وحُسّاد لحسّادِ!

حظُّ الناقمين

فؤادي برغمِ الحادثاتِ كبيرُ
وطرفي وإنْ عزَّ العفافُ كسيرُ

تَلينُ ليَ الأيامُ في كلِّ شدةٍ
ولو أن جُلَّ الفاتحين أسيرُ

سلختُ من الأعوام بضعاً وعشرةً
أُقيم على دين العلى وأسيرُ

وفي النفسِ حاجاتٌ وفي القلبِ لوعةٌ
على أنّ كلّي همةٌ ومَريرُ[1]

وما انقطعتْ أسبابُ أنسٍ ونعمةٍ
ولكنَّ حظَّ الناقمينَ عَسيرُ!

التبرُّم

يا ربّ! كيف خلقتني متبرّماً
بالناسِ حين وددتُ هذا الناسَ

أتراكَ أنتَ معلّمي، وكأنّما
قد عشتَ في نَدَمٍ وعشتَ تُواسيَ؟!

---

[1] المرير: العزم.

الألوهية

ملكتَ قلباً عليلاً … جنى الغرامُ عليهِ
فراقبِ اللهَ فيمنْ … فؤادهُ في يديهِ[1]
وسائلِ اللحظَ عمَّن … يذوبُ شوقاً إليهِ
وسامحِ العبدَ يوماً … فأنتَ ربٌّ لديْهِ!

الشاعر المصوِّر

(أصلح الشاعر بيراعته صورة حبيبته التي لم يحسن المصوّر إخراجها)

كذبَ الضياءُ على المصوِّرِ مرةً … أخفى بها المشهودَ مِنْ آيّاتِهَا
فوضعتُ في كفّي يراعةَ عاشقٍ … كانَ البيانُ يجول في لَفتاتِهَا
ونقشتُ تأثيرَ العيونِ لأنني … أدرَى بوقعِ السّحرِ مِنْ نظراتِهَا!

قوس قُزح

مَلْهى السماء يرشّنا بنثيرهِ … والماءُ ذوبُ أشعّةٍ وأغاني
والسُّحْبُ تلعبُ فيه لعبةَ صاعدٍ … أو هابطٍ دَرَجاً مِنَ الألوانِ!

---

[1] أي يقدمه إليك.

على صفحة الماء

يشقّ القاربُ المزهوُّ مثلي طريقاً في المياه مع ابتهاجي
فينكسرُ صفحةً للماءِ راقتْ ونسمعُ صوتَ تكسيرِ الزُّجاجِ!

إلى سجين القلم
(محمد فريد بك)

مَنْ كان يدرك في الوجودِ هواكا أسفاً عليه إذا بكى ولحاكا
لستَ الذي يجد الحياةَ بغفلةٍ ويعاف في بثِّ اليقينِ حراكا
نفسٌ لديها المجدُ خدمةُ قومها تستعذب الآلامَ والإنهاكا
تشقى وتَضْرَعُ أن تموت على هدى لا ترهب الأغلالَ والأشراكا
حجبوا سناكَ عن العيونِ وما دَرَوْا أن القلوبَ خلالهنّ سناكا
أكرمتَ نفسكَ هادياً ومفادياً شعباً يقيم على الدوام فِداكا
والحرُّ أوْلى أن يجود بنفسه من أن يرومَ عن الصواب فِكاكا
سيانِ كنتَ بنعمةٍ أو نقمةٍ ما دمتَ تُرْضِي بالجهادِ حِجاكا
سيانِ كنت مقرَّباً أو مبعداً ما دام حربُ العابثين مُناكا
وكفاكَ فخراً أن تناضل دولةً كم أرهقتْ منْ مصلحين سِواكا
والعمر ساعاتٌ يطيب أمَرُّها لو أنَّ في حسم الضلالِ هلاكا

عهـد الصبـابة

خطَـرتْ فمكّنــت الهـوى تمكينــا وشــدتْ فرجّعــتِ القلــوبُ رنينــا

نزعـت برقّتهـا الشـعورَ فأشـفقتْ وبكــتْ فكــان أنينهــا التأبينــا!

تخشى الملامةَ فِي الغرام إذا عفتْ فجفـتْ وكنـتُ علـى الشـقاءِ أمينـا

عُـوِّدْتُ مـرّ العـيشِ حتـى لم أبـت إلاّ بصــيراً بــالهمومِ رزينــا

ما ينفعِ الصبَّ الكئيبَ من الجوى حتـى يِحـنَّ إلـي البكـاء حنينـا؟!

أسفي علـى عهـد الصبابة لم يكـن إلاّ شـعاعاً كاذبــاً مظنونــا!

أسـفي عليـه وقـد فقـدتُ شـبابَهُ ووهَبــتُ فيــه فــؤاديَ المغبونــا

وظللــتُ محزونــاً أكفكـف أدمعـي أمَــلاً، وعشــتُ متيَّمــاً مفتونــا

متصـدّعاً مــن لوعــةٍ، متراجعــاً مــن هيبــةٍ، مسـتغفراً، مسـجونا

يا حسرةَ القلبِ الضعيفِ إذا رجا مَـنْ لا يـزالُ علـى الـوفيِّ ضـنينا!

غــدر الجمــال

بسـمتْ فمــا فتكـتْ ومــا عبثــتْ إلاّ بمهجــةِ صَــبِّها العــاني

ورنَــتْ فمــا أحيـتْ ومــا قتلــتْ إلاّ المشــوقَ لطرفهــا الرانــي

اللهَ فِي حُســـنٍ يحيّرنــــا مِـنْ لحظِهـا المتخشّـع الجـاني!

بعد الفراق

ويومَ أثار البينُ كامنَ لوعتي — وأغرقتُ في شكوى تخفف من هَمّي[1]

نفضتُ الكَرى وارتحتُ للبثّ بعدما — تهالكتُ ما بين الصّبابةِ والسُّقمِ

يكاد يكون الحبُّ ديناً أعزُّه — وهذا الشّقاءُ العذبُ مِنْ مُنتهى هَمّي[2]

ولكن يهون البؤس في كل لحظةٍ — إذا زاد حِفظُ العهد غماً على غمّي

نزحتُ عيوناً عن بلادٍ أحبها — تساق بها الأحرارُ للخسفِ والضَّيْمِ

أقمتُ بها عمراً على الوجدِ صابراً — وخلّفتُها بين التلفُّت والأمّ

ذكرتُ بها بدراً ضللنا لبعدهِ — فأرسلتُ توديعَ الفؤادِ على اليمّ

سلامٌ على حسنٍ دفنّا سهامَه — بأضلعنا بين التكتُّم والنمّ

سلامٌ وفي نفسي شجونٌ كثيرةٌ — تفيض لدى التذكار في مدمعي الجمّ

تحمَّلتُ قلباً دامَ رهن ودادهم — وما زال مملوكاً على الطّوعِ والرّغمِ!

الطب الحائر

نظر الطبيبُ إليَّ نظرةَ ناقدٍ — أعياه مكمنُ عِلّتي ودوائي

والطبُّ يقصرُ عن شفاءِ مُسَهَّدٍ — أَلِفَ الأسى لتسفُّل الأهواءِ

ما كلُّ بأسٍ في الجسوم بصحّةٍ — أو كلُّ وهنٍ للجسومِ بداءِ

والعيشُ عيشُ حقائقٍ ودقائقٍ — والموتُ موتُ سلامةِ الآراءِ

نفسي تحرّكها الهموم إذا بدتْ — مكنونةً في أنفسِ الضعفاءِ

---

[1] حزني.
[2] اهتمامي.

والنـاسُ فِي هـذي الحيـاة غنـيُّهُمْ ... قـد يسـتطيبُ تَحـرُّقَ التُّعسـاءِ
اينَ العقـول وأيـن أربـاب النُّهـى؟ ... أيـنَ الشّـعورُ وحكمـة الرُّحمـاءِ؟
فِي القلـبِ هَـمٌّ لا أجـلُّ بغـيره ... والمـرءُ صـورةُ حِسِّـهِ المترائـي

دمعـة على قبـر

(قيلت في حسناء انتحرت يأساً لفقد عزيزٍ لديها)

مودّعـةَ الأيـامِ والعمـرُ شـقوةٌ ... علي سلامُ الحبّ فِي القُرْبِ والهجرِ
فزعتِ من الدار التي طال هَمُّها ... وبِنتِ، وهـذا البينُ أقربُ للغدرِ
نفوسٌ على الوجدِ الذي فيكِ كلُّه ... تَقلَّبُ بين الموتِ واليأسِ والصبرِ
تَلَمَّسُ فِي الأَحزان سلوى، وهكذا ... يعيش شفيُّ العمرِ فِي السُّقم والمُرّ
أميطي لثاماً أسدل الموتُ تُشرقي ... حناناً... عساه الآن يطفئُ مِنْ جمري
حَـرامٌ علـى قلبٍ عرفنا كمالَـهُ ... يـردُّ رجاءَ الحيِّ للترب والقبرِ
حرامٌ على شمسٍ أضاءَت بطُهرها ... تغيبُ ونحن اليومَ أحوجُ للطهرِ
حـرامٌ علـى روضٍ نمونـا بمائـهِ ... يجفُّ بـلا ذنبٍ جنينا ولا عـذْرِ
أكـان الـرَّدى حلـواً لفقـدِ فقدْتِـه ... فأحببتـه حُبّـاً وإنْ كنتِ لم تَـدْري
وخَلَّفْتِ آمالاً على العُسْرِ لم تَحُلْ ... وكنتُ أظنُّ العسر يُخْلَفُ باليُسرِ؟!
فيا دهرُ ما أقساكَ! للبأسِ غايـةٌ ... وأنتَ تخال اللّينَ يُعقَبُ بالخُسْرِ
حنَانـاً ورفقـاً بـالأُلى غـابَ أُنْسُـهُمْ ... وشـتَّتَهُ فقـدُ الملاحـةِ والـبرِّ
دموعي وإن قلَّتْ –وفي الدمع راحةٌ– ... نداءُ شجونٍ يزدحمنَ على صَدْرِي!

* * * * *

وأنـتِ أيا سِـرّاً مِنَ اللهِ لَـمْ نكـنْ ... لنـذكرهُ إلاّ علـى الطُّهْـرِ والبِشْـرِ

ذكرتُـــكِ مَبْكِيـــاً شـــبابٌ خذلتـــهِ ... وحسنٌ حواهُ النعشُ في غيبةِ البدرِ

بخلتِ على الوافينَ بالعيشِ والردى ... ولا بـدَّ هـذا الجمـعُ يتبـع في الإثـرِ

فلا تَهزئي من عَبْرَةٍ هاجَها الأسـى ... فما كلُّ دمعٍ سـالَ عن ذِلَّةٍ يَجْري

ولا تَضـحكي مـن دارِ جهلٍ ونقمـةٍ ... وأوْحي إلى الأحياءِ عن مخبأ الفجرِ

فما البؤسُ كلُّ البؤسِ في الفضلِ والهدى ... وما الحظُّ كلُّ الحظِّ في الشَّرِّ والمكرِ

ولـيسَ جـزاءُ الميتِ بـالحيِّ يُرْتَجَـى ... وكيف وكلُّ الناسِ في حيرةِ السَّفْرِ

فجـارُكِ في الـدنيا عفـافٌ عبدتِـه ... ونُبـلٌ رواهُ النبـلُ في ذكـركِ العَطـرِ

إذا قلتُ لم أنطق عن الزَّيْغِ والهوى ... وحسبُكِ أنّي لا أرخّص مِنْ شعري

جمالُكِ في نفسي، وذكرُكِ في فمي ... وشخصُكِ في عيني مقيمٌ وفي فكري

الدنيـــا

لمســتُ قلـبي بكـفٍّ مَسَّــها وجَـلٌ ... مـن الخفـوق فلـم أعـرفْ لـه سـببَا

إنْ كـان هَمّـي مـن الـدُّنيا وفتنتهـا ... عَمَّ الهوانُ فمـا بـاتَ الشّـقا عجبَـا

الراحــل المقيــم

(قيلت في جنازة المرحوم محمود عبد الغفار بك
النائب الوطني الكبير والعضو بمجلس المعارف الأعلى)

مــاذا تؤمّـل مِـنْ رحـيمٍ صـامتٍ ... والمــوتُ حــقٌّ والمؤمَّــلُ راحــلُ؟

يبكـي عليـه الناشـئون ومـا بكـوْا ... جســداً يُشَـيّعهُ الجبـانُ الغافـلُ

والــذكرُ يفقــده الخــؤونُ لقومــهِ ... والحُــرُّ يرفعــهُ الشّــعورُ الكافـلُ

والعقلُ أسخفُ ما يكون مؤلِّهاً ... بأساً يعزّ بهِ الذليلُ السافلُ
غُضُّوا العيونَ فما الرجالُ بكثرةٍ ... وابكوا فقد ذهبَ الحكيمُ العاملُ
واصغوا إلى صوتٍ تردّدَ داوياً: ... إنّ الحياةَ مآثرٌ وجلائلُ
فالموتُ أصدقُ ناطقٍ عن عِبْرَةٍ ... والفضلُ يعرفه الأبيُّ الفاضلُ
والخُلدُ أقربُ ما يكون لو انّما ... تُعْزَى إليهِ رواتب ومنازِلُ!

شفيعي

شفيعي لدى الحسن الذي لاح سِرُّهُ ... بعيداً وما أَدريهِ في لحظةِ القُرْبِ
خيالٌ أطال الحبُّ مثواه آمناً ... بنفسي، وصَفوُ العيشِ في سكْرَةِ الحبِّ
إذا كان لا يَرْثي لضعفي وشِقوتي ... فإني برغم "العهد" أشكو إلى ربّي
أرومُ النوى – والبعدُ في نكرهِ جوى– ... وهيهات بعد البين يُسعدني قَلْبي
ومَنْ كان لا يُحييهِ سخطٌ ولا رِضىً ... فكيف يُقضّي العيشَ في حيرةِ اللُّبِّ؟!

عيش الحر

قليلٌ على الأحزان ما انهدَّ مِنْ جسمي ... إذا كان عيشُ الحُرِّ أشبهَ بالإثْمِ
بكيتُ وما أبكي على سالفِ الهوى ... وحولي الأُلى يبكون مِنْ خَشْيَةِ الفَهْمِ!
يصيحون مِنْ خوفٍ على سرِّ عيشهم ... إذا غابَ نورُ الحسِّ بالحالكِ الجمِّ
جسومٌ على الإفساد تُفني رجاءَنا ... وتَدْفعُها الأطماعُ للخسفِ والضَّيْمِ
جسومٌ برغمِ الزَّجرِ أسرى لعصبةٍ ... تحرّكها الغاياتُ في القيدِ والكمِّ

ومَـنْ كـان لا يُرضـيـهِ إسـعادُ قومـهِ أحـقُّ بفقـرِ الـذكر لا القـدحِ والذَّمِ!
تريـدون إعـزازَ النفـوسِ الـتي هَـوَتْ ومـا يصـنعُ المغلـوبُ بالسـيفِ والسـهمِ؟
تريـدون تسـخيرَ العقـول الـتي سمـتْ وتـخشـون من بأسِ الحقيقـةِ والعلـمِ
أفيقــوا فإنّــا أمــةُ الــدَّهر لم نــزلْ نـهشُّ على الذكرى فكونوا على وَجْمِ!
أفيقوا فلسنا اليومَ نُغضـي على القَذَى ورُدُّوا الرزايا من غُرورٍ ومن وَهْـمِ
فهيهـات تَسْـتَعْلي علـى الحـقِّ قـوةٌ وهيهـات أن يبقـى بنـاءٌ علـى ظُلْـمِ
وأُقســمُ أنّ الشّــعبَ لا بــدّ يعتلــي وكـلُّ فسـادٍ أو ضـلالٍ إلى هَـدْمِ
ولــو شــاءَ ربُّ المُلْـكِ إسـقاطَ أمـةٍ تقدّسـه لارتــدَّ بــالخزيِ والغُـرْمِ
فيـا مَجْـدَ مَـنْ يسـعى بـنفسٍ أبيـةٍ ويا ذُلَّ مَنْ يَرْضَى عن الذُّلِّ والهمِّ!
إذا صَــحَّ أنّ الأمــسَ ولّــى بخيبــةٍ فـلا بُدَّ من فوزِ المجاهدِ في اليومِ!

إلى الصديق الشاعر الرقيق
عبد الحليم حلمي المصري

يـا ناشرَ السِّحرِ في يومٍ بكيتُ بـهِ عـذَّبْتَ خِـلاً بحكـم الحـبِّ لم يَـنَمِ
مـا كـان ضـرَّكَ لـو أمهلْتَنـا زمنـاً فرقَـةُ الشـعرِ تُحيـي ميـتَ الألمِ؟
مِـنَ البيـانِ شـفاءُ الـنَّفسِ سـاليةً ومـا عرفـتُ شـفاءَ الصَّبِّ في القلمِ
يهفـو الجمـال لشـعرٍ قلـتَ أعذبَـه ويبسـمُ الزّهـرُ في سُكْرٍ وفي حُلُـمِ
وربَّ قلـبٍ - لمعنـىً روحُـه فِـتَنٌ يحيا الجمالُ بها - ناجٍ مِنَ العَدَمِ
أحنــو عليــه وأتلــوه كــأَنَّ بــهِ وعـدَ الحبيـبِ، وأُدني لفظَـه لفمـي!
فمــا عبســتُ قلـيلاً في بدايتـه إلاّ طربـتُ وولّـى بعـدَها نَـدَمي
وأقـدرُ النـاسِ يُبكـيهمْ ويُفـرحهمْ مِنْ رُوحِـهِ الحـيِّ في شِعْرٍ وفي نَغَمِ

المعنى الأقدس

حبيبتي! أنتِ لي معنىً أبجلُهُ | فوقَ المعاني التي تُحكَى بتعبيري
معنىً تَقدَّسَ في طهرٍ وفي ألَقٍ | كالنورِ، لكنْ تَسامَى عن سنى النُّورِ
معنىً أظلُّ سنينَ العمرِ أنشدُه | ولستُ أعرف منه غيرَ تقصيري
وكلُّ مغزاهُ أن ألقاكِ في شغَفي | كلاهما في مَداه غيرُ محصورِ!

* * * * *

رضيتُ هذا الصِّبا قربانَ آونةٍ | يجيب فكرُكِ فيها كلَّ تفكيري
ما دمتِ نائيةً عني ففي طربي | هَمٌّ، وفي مَرَحي شتَّى الأعاصيرِ!

بحر الأماني

حمدْتُ مِنَ الصِّبا بحرَ الأماني | ففيهِ سفينتي وبهِ أماني
ولولاهُ ارتطمتُ بكلِّ صخرٍ | فكم في العيشِ مِنْ نُوَبِ الزَّمانِ
نشأتُ على الدموع غذاءَ روحي | فدانَ إلى بواعثها كياني
فصرتُ إذا ابتسمتُ رأيتُ دمعي | هو البسماتُ في صُوَرِ المعاني

* * * * *

أزَيْنَبُ! إنْ حييتُ فما حياتي | سواكِ، وما عداها الآن فاني
ترى هل بعضُ أشواقي يُرَجَّى | لديْكِ، أم الطفولة لا تُعاني؟!
كلانا في الهوى طِفلٌ، ولكنْ | أنا الطفلُ الغبينُ، أنا المُعاني
ويا بحرَ الأماني أنتَ عوني | ولو غرقَ الهوى بينَ الأماني!

فــؤادي

تَشَـجَّعْ في المصـائب يـا فـؤادي | وكـنْ بصـلابةِ الحجـرِ الكـريمِ
ألسـتَ كجـوهرٍ في طـيّ جسـمي | خـبيءٍ لا يُعـرَّفُ للئـيمِ؟
إذا الأحـداثُ عَضـَّتْ فيكَ فاكسـرْ | نُيوبـاً لـن تَنـالَ مِـنَ العظـيمِ
ولا تـكُ في الأسـى لحمـاً ورخـواً | فتـدمَى بـالكلومِ وبـالكلومِ
فـؤادي مـا عـددتكَ بعضَ جسـمي | فمـا أصـل القلـوبِ مِنَ الجسـومِ
ولكـنْ نفحـةٌ طافـتْ ووافـتْ | علـى خَفْـقِ الشـعاعِ مِنَ النُّجـومِ
ففيـكَ مـن النجـوم شـواظُ نـارٍ | وفيـكَ تـدفُّقُ النـورِ العمـيمِ
تلـوذُ بـك الحيـاةُ وأنـت منهـا | بمنزلـةِ اليتـيمِ مـن اليتـيمِ
فصـاحبْها مصـاحبةَ المفـدّى | ولازمهـا ملازمـةَ الحكـيمِ
ولا تجـزع علـى دنيـا تُسـاوِي | نفـوسَ الـبُهْمِ بـالحرِّ الصَّـميمِ
ففيمـا تشـتكيه نعـيمُ يـأسٍ | وبعـضُ اليـأسِ من صُوَرِ النّعيمِ!

أول الشهــداء

لا تنـدبوا هـذا الشـهيدَ فإنـه | لـتراثُ أجيـالٍ وفخـرُ قُـرونِ
ذهـب الضـحيةَ للحيـاةِ بشـعبهِ | متنزهـاً عـن مُشْـبِهٍ وقـرِينِ!

إلى صديقي الشاعر المجيد
علي الغاياتي*

رددْتُ شعرَكَ مطرَباً وعليلاً ... ولكم أُردِّدُ مِنَ الجمالِ قتيلاً
صَحَّ الشعورُ به فشاقَ تهافتي ... وحلا الأنينُ به فكان قليلاً
قبّلتُه ووعيتُه نوجدتُه ... عذباً بآمالِ الأبيِّ كفيلاً
وإذا المهيبُ ترقرقتْ آياتُه ... وجد النّداءُ إلى القلوبِ سبيلاً
قَلَمٌ إذا أجرى الوفاءُ دموعَه ... أجرى البيانَ مهذّباً وصقيلاً
أنا مِن معانِ نضرةٍ متمايل ... جَذِلاً، وأعشقُ ذلك التمثيلاً
وإذا البيانُ سمتْ به حسناتُه ... طُبِعَ الجلالُ به فعاش جليلاً
فاربأْ بشعركَ أن يُذالَ، ولا تقلْ ... إلاّ لتنتظم للهدى إكليلاً
إنّ اليراعَ وإن تدفّقَ سحرُهُ ... يبدو بأيدي العابثين ضئيلاً
فاذكر لنا قِيَمَ الرجال وقلْ لنا ... حرَّ المقالِ وأنت تُرضي (النّيلاَ)
حَسْبُ العظيمِ جلالةً وسعادةً ... أن لا يرومَ عن الصوابِ بديلاَ

أوهام....

غرامُكَ لا عذلٌ عليه ولا رَدُّ ... فما للسّنى حَدٌّ، وما للهوى حدُّ
بيانُك غلاّبٌ، وعذرُكَ مُفحِمٌ ... ولحظُكَ بسّامٌ، وقلبُكَ منقدُّ
يبيتُ عليلاً خافتَ النبضِ متعَباً ... يئنُّ، فلو أصغى المغرّدُ لم يَشْدُ
إلى العينِ ما يُحْيِيكَ من خطرةٍ حلتْ ... وللقلبِ داءٌ فيكَ يَسرِي ويَشْتَدُ

---

* أرسلت إليه لمناسبة ظهور ديوانه (وطنيتي)، وقد صودر فيما بعد.

ولولا اللّقا ما كنتَ جذْلانَ عابساً ولولا الجَفا ما كنتَ تبكي وتحتدُّ
حياتُك لغزٌ، والهوى كلُّهُ جوىً يهونُ، فلا غَمٌّ لديكَ ولا سَعْدُ
فيا لشبابٍ فيكَ لم تُبقه النَّوَى ويا لجلالٍ منكَ ما فاته الصدُّ
تركتَ لحكم الحسن نفساً عزيزةً وأيُّ عظيم النّفس في شرعهِ عبدُ
ومهما يكن مِن دفعِكَ السقمَ والأسى فأنت على الحالين تفنى وتنهدُّ
وربَّ صفاء عزَّ في مذهبي عَناً وربَّ شقاءٍ دام في مذهبي رغدُ
نَعيمُ الفتى فيما يرى الأنسَ حوله وهَمُّ الفتى فيما يُخالُ به الوَجْدُ

حول تمثال مصطفى كامل

ودّعِ القلبَ بين مُضنىً وخالِ وتناسَ الأسى وهمَّ الليالي
وانظر العقلَ ناطقاً مِنْ جمادٍ وارقبْ المجدَ صادقاً في خيالِ
نظراتٌ على الهوى باقياتٌ تَدَعُ الحُرَّ في إسارِ المعالي
وشبابٌ ما زال تصويرُهُ الحقُّ (م) مَنارَ الشُّعورِ والإجلالِ
وحياةٌ ما زال تذكارُهَا العَذْ بُ مَقَرَّ الحياةِ والآمالِ
يا أميرَ النفوس هل ينقضي العمـ رُ وركنُ الهدَى حليفُ الزوال؟!
نحن أسرى على الحياةِ وإنْ جلَّـ تْ، وأنت العظيمُ في كلِّ حالِ

* * * * *

لكَ غالٍ من الهوى غيرُ بالِ لوفاءٍ على المدى غيرِ بالِ
صمتُكَ اليومَ مثلُ سعيكَ بالأمـ سِ مهيبٌ لمخلَدِ الأعمالِ
ضجعةُ الموتِ رقدةُ السهدِ والوجـ ـدِ لقلبٍ على الردى غيرِ خالِ
دُمْ حليفَ الجلالِ في حُفْرةِ القبـ ـرِ كما كنتَ يا حليفَ الجلالِ

وادَّكرْ مصرَ وارفع الصوتَ والذكـ ــرَ، كما شئتَ يا فقيدَ المعالي

تخطبُ الدهرَ مِنْ مَبيتِكَ في الخلـ ــقِ وتأتي بأصدق الأمثالِ

وتهزّ العقول للحزمِ والعز ــمِ إذا أخفقتْ فحولُ المقالِ

وقْفةُ الشعبِ عند تمثالكَ اليو مَ فخارٌ له وللتمثالِ

آهِ! كم يخطئُ المضلّلُ في الخلـ ــدِ وكم يزدرى بحسنِ الفعالِ

إنَّ مجدَ الإنسانِ في خدمةِ الإنسانِ، لا فرقَ بين دانٍ وغالي

خافِقاتٌ لكَ القلوبُ من الحبِّ (م) وإنْ لم تثبْ لبأسٍ ومال

واهباتٌ لك الحياةَ على المو ــتِ، وإنْ لم تكنْ قرينَ الزوالِ

يا كبيرَ اليقين في قوَّةِ الحقِّ (م) ويا بانياً قلوبَ الرجال

يا كثيرَ الإباءِ في دولة البغـ ــيِ، ويا ناسفاً صُروحَ الضلالِ

أمةٌ تحفلُ الزمانَ بماضيـ ــكَ وتعزو إليكَ حُسْنَ المآلِ

وتُحَيِّي خيالَكَ الليلَ والفجـ ــرَ بدمعٍ على الهوى فيك غالي

* * * * *

أيها الصّانعُ المصوِّرُ إجلالَ أمةٍ – تعبدُ الهُدَى – في جلالِ

كيف وَفَّقْتَ بين عهدٍ ومجديْـ ــنِ وما بين وصْفِ تلك الخِلالِ؟

صنعةٌ تخجلُ البيانَ مِن الحسـ ــن وتُزْهَى عن كلّ سِحْرٍ حلالِ

صورةٌ تفتن المفكّرَ مبهو تاً وعبداً لصمتِ هذا الجمالِ

ثَقْ بشكر القلوبِ والفضلِ والجو دِ، وتِهْ فاخراً بذاك الكمالِ

ليس بدعاً إذا حلفتَ بما أتـ ـقنْتَ صِدقاً واختلتَ أيَّ اختيالِ

ولك اسمٌ يصونهُ أثرُ العلـ ـمِ، ورسمٌ بنضرةِ المجدِ حالي

أنفــاس الخــزامى

أيُّ عطرٍ فـاق أنفـاسَ الخزامـى
في حنـانٍ يمـلأ الـروحَ سـلا مَـا

بنــتُ مصــرٍ في حيــاءٍ زهــرةً
وخشــوعاً وســلاماً وابتســامًا

لا يراهــا غــيرُ مَــنْ كانــت لــه
روحُهــا أو مَــنْ يحاكيهــا غرامًــا

تجــذبُ النحــلَ إلى أكوابهــا
وهي سكْرى ترشفُ الشهدَ المُدامًا

تتــوارَى عــن عيــونٍ لا تَــرَى
دقّــةَ الحسـنِ وأخـرى تتعـامَى

أيهــا الأنفــاسُ طــيبي وانشــري
خطـراتِ الحــبِّ حتــى يتســامَى

كــم وقفنــا في مجــالَي نشــوةٍ
عنــد مَــرآكِ فتونــاً واحتشــامًا

لم نُقبّــلْ غــيرَ معنــىً حــائمٍ
حولنــا منــكِ عشــقناه دوامًــا

هجــر الكريـــم
(إلى أستاذي خليل مطران)

سل النجمَ كم أودعته الحبَّ مِن فني
فإنَّ له من صحةِ القولِ ما يُغني!

وربَّ جمارٍ صادقِ الذكر مُفضحٍ
وأيُّ حياةٍ لا تحـومُ علـى أفْـنِ؟

أراقبــهُ في كــلِّ ليــلٍ وعنــدها
أبثُّ له ما يشتكي السُّهدُ من جَفْني

وأســألُه تبليــغَ عــتبي لهــاجري
لعلمـيَ أنَّ الحسـنَ أطوعُ للحُسْنِ

وأحسبهُ أشجاكَ في وصف حالتي
وهل كان هذا ما يخففُ من حُزني؟

أميرَ القوافي! أنتَ في اللبِّ ماثلٌ
وليس بياني عن سناكَ بمستغنٍ

توخّيتُ داراً شئتَ أن نلتقي بها
لقاءَ الوفا بالمجدِ والخدنِ بالخِدنِ

فلمّــا رأيــتُ الوعـدَ آمــالَ حــالمٍ
وأسلمني طـولُ الترقُّـبِ للـوهنِ

نثــرتُ بهــا مِــنْ أدمعـي كــلَّ درةٍ
وكلّفتُها تبليغ صدقِ الهوى عنّي!

عالمٌ وعالمٌ

أرسل الأستاذ الجليل حامل لواء النهضة الأدبية خليل مطران إلى صاحب هذا الديوان قصيدة ودية رائعة مطلعها:

يا ابنَ أخي بشّرتني مرةً — بملتقى السبتِ ولم تحضرِ
ما دمتَ في خيرٍ وفي صحةٍ — فانسَ الذي تنساه أو فاذكرِ

ومنها:

تحكي سهيلاً قطرةٌ من دمٍ — وتكفؤ الذَّرةُ للمشترى
كلاهما في نوعهِ عالمٌ — أدقّه يُدهشُ كالأكبرِ!

فأرسل إليه صاحب الديوان الردّ الآتي:

يا سيدي العمّ ويا مَن له — أدينُ بالحُلْوِ وبالمُزْهِرِ
ما كنتُ إلاّ بضعةً مِن هُدًى — أهديتَهُ أنتَ إلى مَعْشَري
هيهاتَ أن أنسى مواعيدَنا — لكن تخالَفْنا فلم نَحْضُرِ[1]!
وكيف أنساها وأنت الذي — لولاه لم أُزْهِرْ ولم أثمِرِ؟
مقالةُ الصدقِ، وحَسْبي غنًى — مقالةُ الصدقِ وحبّي السَّري

* * *

يا شاعرَ العصر ويا مُرْشِدي — ورافعَ الخُلْقِ ويا مُظْهِري
نصائحُ الودِّ التي سُطِّرَتْ — في شِعْرِكَ الحيِّ جَنَى أسطري
تَفْتَرُّ بالإلهامِ وضّاءةً — كعهدِكَ الدائمَ بالمُبْهِرِ
حبّبتَ لي الطبَّ كأني به — كَفَرْتُ بالدّنيا ولم أكْفُرِ
استصغر العالَمَ مِنْ عزّةٍ — بالعلمِ والجهلِ وبالمُنْكَرِ!
كأنما العُرْفُ وإنكارُهُ — سيان في الرُّوحِ وفي الجوْهَرِ

---

[1] يريد أخطأ كلانا في تعيين الموعد فلم نتلاق.

مـــا زلـــتُ بالبـــاب ولكـــنني كالهـــاربِ التائـــه في عَسْـــكَرِ!

والمجْهـــر[1] الكاشـــفُ لا ينـــثني يشـــوقني وهمـــاً ولا يَمْتَـــري

أســـتنبطُ الأحيـــاءَ في نُـــورِهِ كـــأنني مُسْـــتَنْبِطٌ عُنْصـــرِي!

كـــأنني الخـــلاّقُ في رِقَّـــةٍ والعـــالمُ الأكـــبرُ في مُجْهـــرِي[2]

كأنمـــا الإنســـان في قبضـــتي مســـتحدثاً حيـــاً لـــدى مَخْبَـــرِي[3]!

أو أنمـــا تشـــريحهُ نفحـــةٌ تحييـــه بـــالعلمِ وإن يُقبَـــرِ!

* * * * *

مـــا أعجـــبَ الطـــبَّ وإلهامَـــهُ للشـــاعرِ النـــاثرِ والمجْتَـــرِي

أقصـــى الخيـــالاتِ لأشـــعارِه لا شـــيءُ جَنْـــبَ العلـــمِ في المخْبَـــرِ!

لوعـــة الخـــريف

(١) إلى أستاذي خليل مطران

شِـــعري لـــدى العـــمّ الخليـــلِ صِـــفرِ الهـــوى في مَـــدْمَعِي

صِـــفْ لَـــوْعتي حـــينَ الخريـــفُ يـــئنُّ في ألمٍ معـــي

حـــين الصِّـــبَا رَهْـــنُ الـــذّبولِ وحـــينَ قلـــبي لا يَعـــي

متقطِّعـــاً متوجِّعـــاً في حُلمـــه المتقطِّـــعِ

حُلْـــمٌ يروّيـــهِ الصِّـــبَا فيجـــفُّ عنـــدَ المنْبَـــعِ

لهفـــي علـــى الحُلُـــمِ الجميـــلِ مُضَـــيَّعاً ومُضـــيِّعي!

وعلـــى الهـــوى بـــين المُعَـــانِدِ والمكَـــابِرِ والـــدَّعي!

---

[1] مرداف الميكروسكوب.

[2] مجهري: ميكرسكوبي.

[3] المخبر: المعمل العلمي الاختباري.

وعلـى الصِّبَا يـذوى عتقـا … بـاً للغـرامِ المبْـدِعِ!

* * * * *

شِـعري لـدى العـمّ الخليـ … ـلِ عـزاءُ قلـبي الموجَـعِ

عَبّـرْ لـه عـن كـلِّ آ … لامـي ووجـدي واسْـمَعِ

وعُـدِ الطيـوفَ مِـن المحـ … ـبةِ هامسـاً في مِسْـمَعي

عُـدْ بـين آمـالِ الربيـ … ع مِـن الحنـانِ المُمْـرِعِ

فهـو الكفيـلُ بحبّـهِ … طبـاً لحرقـة أضـلعي

أدبـي يَـدينُ إليـه بـل قلـبي وغايـةُ مَطمعـي

وقـوامُ تفكـيري الجديـ … ـدِ ووثْـبَتي وتـدفُّعي

ولديـهِ أغتـنمُ الربيـ … ـعَ بوحشـتي وتَفجُّعـي

يطـوي الفصـولَ بسـحره … فـإذا الخريـفُ مـودِّعي

وإذا الربيـعُ أضـمُّهُ … في نشـوةِ المسـتمتعِ

وإذا الحبيـبُ كأنـه … مـا غـاب أو هـو مُبْـدِعي

سِـحْرٌ مـن العهـدِ القديـ … ـمِ بفنّـهِ المترفّـعِ

يُحْيـي المـواتَ مِـن القلـو … بِ بلـذّةِ المتـبرّعِ

* * * * *

شـتّانَ بـين هـوىً يجـو … دُ وبـين حُـبٍّ يَـدَّعِي

شـتّانَ بـين هـوىً بـه … مَجْـدي وآخـرُ مَصْـرَعِي!

(٢) رد أستاذي مطران

أزكـــى تحيـــاتِ الفـــؤا ... دِ إلى الزكـــــــيِّ الأروعِ
أهـــدى إلـــيَّ قصـــيدةً ... كخريــــــدةٍ لم تُفْــــرَعِ
عمـــرتْ مكـــانَ الأنـــسِ عنـــدي مِـــن فـــؤادٍ بلْقـــعِ
حســـناءُ بارعـــةُ المعـــا ... نـــي في نظـــامٍ أبـــرَعِ
تجلَـــى فتَحْلَـــى أو تغيـــ ... بُ فحلْيُهـــا في المســـمعِ
مَـــنْ لـــي بمنصـــرمِ الشـــبا ... بِ وفكــــريَ المتـــوزِّعِ
فأجيـــــد في ردِّ الثنـــا ... ءِ علـــى الأخِ المتـــبرِّعِ
قَصَّـــرْتُ في شـــأو الـــبلا ... غـــةِ عـــن تمـــادي مَطْمَعـــي
أهـــلاً بحاملـــةِ الكتـــا ... بِ أمينـــــةَ المســـــتودعِ
أهـــلاً بناقلـــةِ البديـــ ... ـــعِ مـــن الطـــرازِ الأبـــدعِ
أهـــلاً بصـــادحةٍ شـــجتْ ... قلـــبي وأجـــرتْ مَـــدْمَعي
بثَّـــتْ حكايـــةَ وجـــدهِ ... بأنينهـــــا المتقطِّــــــعِ
وشـــدتْ علـــى توقيـــعِ ســـر ... بٍ مـــن حمـــامٍ سُـــجَّعِ
نغـــمُ الملائـــكِ بـــين مبـــدو ... ءٍ وبـــــين مرجَّـــــعِ
أحســـنتِ تأديـــةَ الـــبلا ... غ عـــن الصـــفيِّ الألمعـــي
كوفائـــهِ لـــيكنْ وفـــا ... ءُ الخِـــدْنِ غـــيرَ مصـــنَّعِ
وكـــودِّهِ فليشـــرعِ الـــ ... ـــودَّ النقـــيَّ المَشْـــرَعِ
وكعزمـــه في المجـــد فلْـــ ... يَـــكُ عـــزمُ كـــلِّ سميـــذعِ
لا خُلْـــقَ أنـــزعُ للعلـــى ... بجمـــالِ هـــذا المنـــزعِ

المتصرِّف

(كتبت على صورة أهداها الشاعر إلى أحد أوفيائه)

القلـــبُ لا يرجـــو دُنُـــوَّ مَآلِـــهِ ... مـــا دمـتَ أنـت مصـرِّفاً في حالِـهِ

كـنْ كيـف شـئتَ مقـدِّراً لجلالـه ... ونعـيمِ مُهجَتِـهِ وحـظ "خيالـهِ"

لـو رمـتَ أسـعدتَ الأسـيرَ بأسرِهِ ... أو شـئتَ أذللـتَ العزيـزَ بآلـه

الإستشفـــاء

دع الرحيـلَ لـدارِ الحـبِّ والغيـدِ ... واصبرْ على القيظِ في قاسٍ من البيد

فمـدمعُ العـينِ مـن حُسْنٍ تَقَـرُّ بـه ... ولـذةُ السَّـمْعِ في أسـرِ الأغاريـد

يحلـو الهجـيرُ إذا صـحَّ الفـؤادُ بـه ... عـن النسـيمِ بتعـذيبٍ وتسـهيد

على قبر الشهيد

شـهدتُك مشـنوقاً وزرتُـكَ مقـبراً ... ولستُ على الحالين أبخسُ من قدري

وقفـتُ عليـكَ اليـومَ وقفـةَ عابـدٍ ... يحـجّ لآي الله يـا صـاحبَ القـبرِ

وطأطأتُ رأسـاً لم تشَـأْ خفضـةً لـه ... يخرّ لـدى ذكرى مماتِكَ لـو تَـدْري

إذا متُّ محروماً مَدَى النطق بالهدى ... فيا حسرةَ الفاني وآهاً على عمري

ولو مسنى من خَشيةِ الظلمِ هزّةٌ ... فـإني علـى الإحجـامِ أقـربُ للكفـرِ!

وطنـي! وطنـي!

وطــــني! وطـــــني ... يـــا ابـــنَ الـــزّمنِ!

أوَ لَـــــمْ تَـــدْرِ ... سِـــــرَّ الـــدَّهْر؟

هيهـــات يَســـودْ ... بـــاغٍ وحســـودْ

فـــيمَ الأحـــزابْ ... والخلـــفُ خـــرابْ؟

حـــــبٌّ ووِئـــامْ ... سِـــرُّ الأيّـــامْ

فـــإذا ذهبـــا ... تركـــا العطبـــا!

الطائر الجديد

(لمناسبة اجتياز بليريو خليج المانش بنجاح باهر وانتعاش حركة الطيران)

أيها الإنسانُ يا ابنَ الأرض فيما ... تشـتهي أن تعتلي هـذا السَّـديما

لــك أن تســموَ مــا شــئتَ ولكــنْ ... أصلحِ الأرضَ تجـدْ فيها المفـاتنِ

قبــلَ أن تمضـــيَ لهـــواً وتطـــيرْ ... عمّــر الأرض ولا تَــنْسَ المســير

كــم خــرابٍ شــاملٍ فيهــا نَــرَاهْ ... أنــت تُبقيــهِ علــى غــيرِ انتبــاه

عمِّــر الأَرضَ تكــنْ فيهــا إلـــهْ ... إنّ هــذا وحــدَهُ مجــدٌ وجــاه

عمِّــر الأرضَ وَعِـشْ عــيشَ أخيـكْ ... لــيس في الإنســانِ عبــدٌ ومليــكْ

ثــم طِــرْ مــا شـئت ولتغـزُ الجـواءْ ... لـــيس للأحـــلام حـــدٌّ وانتهـــاءْ

مســـرح الليــل

مسـرحَ الليـل! أيُّ مَلْهـىً عجيـبٍ أنــتَ تبــدو للشــاعرِ الفنَّــانِ؟!
كـم مَـرَاءٍ خلقتَهـا وهـي شـتَّى مــن مديـرِ التنــاقض الفتّــانِ
أنــت مَلْقَـى العُبَّـادِ والطهْـرِ بَيْنـا أنــتَ مَجْلَــى التهتُّــكِ المتَفَــاني
كــلُّ راءٍ يــرى الــذي يشــتهيهِ ويــذوقُ الــذي يـرى مِـنْ مَعَـانِي
والنجــومُ الــتي تُطــلُّ علينــا في حَنــانٍ وزعشــةٍ وافتنــانِ
بــين حُــبٍّ لنــا كــأمٍّ رَعَتْنــا والتيــاعٍ كخفــقِ قلــبِ الجبــانِ
حَبســـتْ دمعَهــا فــإنْ بذلتْــه فشــآبيبُ دمعهــا النــوراني
شـهبٌ تسـتحيلُ مِـن دمعِها الصا في إلى حُرقــــةٍ إلى صــــوّانِ
فكــأنّ الأجــواءَ لــلأرضِ آذتـــ ـــها فحاكــتْ طبيعــةَ الإنســانِ!

نبـــع الصبــابة

هــذي الأنامــلُ مَــنْ أبــاحَ لوقعِهــا قلـبي سـوى عينيـكِ يـا حَسْنَائي؟
لولاهمــا مــا كنــتُ أفهــم وَقْعَهَــا سِـحْراً يُميـتُ كمـا يُعيـدُ رجـائي
جُــودي بأنغــامِ الحيــاةِ وجــدّدي مــا شــئتِ إلهامــاً علــى إلهــامِ
لغــةُ العواطــفِ تُستســاغُ كأنّهــا نَبْــعُ الصــبابةِ فــاضَ بالأنغْــامِ
أصــغيتُ كالطفــلِ الرضــيعِ لأُمّــهِ ورشــفتُ منــكِ بمســمعيّ حيــاتي
ونعمــتُ قُربَــكِ في صــلاةٍ حــرّةٍ للفــنِّ لم تُقْــرَنْ بــأيّ صَــلاةِ!

لِمَ يحجبونك؟

يا "زينَ" دنيايَ التي ما نالني … منها سوى قلقي على حرماني؟
لِمَ يحجبونكِ؟ هل أثمتُ بكلِّ ما … أعطيتُ حسنَكِ من جمالِ بياني
هل لي سوى دينِ الطهارة ملّةٌ … أو لي سواكِ حمايَ أو ديّاني؟
فإذا حُجِبْتِ فمن أخصُّ بمهجتي؟ … ولمن أعيشُ؟ ومَنْ له وجداني؟

عبــادات

ما لعيني كلما ألقاكِ بالفرحةِ تَدمعْ؟
أهي لي الفرحةُ أم خشيةُ حلمٍ يتصدَّعْ؟
بي رجاءٌ ليس يحبو ورجاءٌ ليس يَلْمَعْ
وأنا كالتائهِ العاني إلى الأوهامِ أفزَعْ
هاكِ قلبي يا حياتي! نبئيهِ كيف يصنعْ!
هو في القربِ بعيدٌ عنكِ يهفو ثم يجزعْ
آهِ كم يجني حيائي! آهِ من شوقٍ مضيَّعْ!
كم تلاشتْ قُبُلاتي في غرامٍ يتورَّعْ!
قبلاتي في امتناعٍ هو بعثٌ لي ومَصْرَعْ
وحياءٌ هو تسليمي بعقلٍ ليس يَخْضَعْ
وعباداتٌ تناهتْ وأبَتْ لي كلَّ مطْمَعْ!

موسيقى الوجود

(نظمها صاحب الديوان متأثراً بقصيدة للشاعر جبرائيل سيتون)

حـدَّثوني عـن الوجـود المغنّـي: كـلُّ مـا فيـه صـادحٌ يتَغَنَّـى

مِـن جمـادٍ ومِـن نبـاتٍ وأحيـا ءِ، فلـيس الغنـاءُ مـنهن يَفْنـى

وعجيـبٌ إذا تناءيـتِ عـني لم أجـدْ للغنـاءِ فـيهنَّ مَعْنـى

وإذا مـا ظفـرْتُ منـكِ بأنسـي صـار هـذا الوجـودُ لحنـاً وفنّـا!

بـاقة أنغـام

إذا اسـتمعتُ إليـكِ فُتنْـتُ مِـن توقيعِـكْ

كـأنَّ سمعـي لـديكِ عـيني بمجْلَـى ربيعِـكْ

أُصغي إلى هـذه الألحـانِ زاهيـةً كأنهـا نُخَـبُ الأزهـارِ للعَـيْنِ

فكـلُّ لحـنٍ لـه لـونٌ يُضـيءُ بـه وجمعُهـا باقـةٌ مـن زهـرِكِ الفنّـي

وكـلُّ لحـنٍ لـه عِطْـرٌ يفـوحُ بـه وإن تخيَّلـه غـيري مـن الظّـنِّ

وأنـتِ كـوني، وكـوني في حقيقتِـه جَمُّ المعاني التي غابتْ عن الكونِ

إذا اسـتمعتُ إليـكِ فُتِنْـتُ مِـن توقيعِـكْ

كـأنَّ سمعـي لـديكِ عـيني بِمَجْلَـى ربيعِـكْ

الإكسـير

لـو سـاعةُ الـدهرُ يـأبى منحَهـا إلا بتوقيـتٍ لـه وقُيـودِ

أو عُـدتُ يـا أملـي إليـكِ فجـدّدي عُمـري بنفحـةِ روحِـكِ المعبـودِ

ألقاكِ لُقْيَا خاشعٍ متعبِّدٍ … والقلب يخفقُ للعناقِ سؤولاَ

فيصدّني هذا الخشوعُ كأنني … أجدُ العبادةَ أن أعيش خجولاَ!

ضَيَّعتُ أحلامي وسنّي هكذا … في الشوقِ والتعذيبِ والحرمانِ

أنا لا ألومكِ يا حياتي بل أرى … حظّي كحظِّ الحارسِ البستاني

فأنا الأمينُ عليكِ غيرَ محاسَبٍ … إلا محاسَبةَ الضميرِ القاسي

فإذا لحظتكِ كالغريبِ فإنما … أنا وحديَ القربانُ دونَ الناسِ

هذا هو الأسبوعُ مرَّ وها أنا … قد عدتُ فرحاناً إلى إكسيري

متناولاً في الوهمِ كأسَ رحيقهِ … مِن صمتِنَا المُغْني عن التعبيرِ!

الخالق الفنان

تباركَ ربي مبدعاً ومصوِّرَا … لقد خلقَ الآياتِ كالسحرِ للورَى

يراها الفتى لكنْ كأنّ الذي يرى … خيالٌ وخلفَ الكون كونٌ تستَّرَا

وما عظّمَ الخلاقَ إلاّ احتجابُهُ … فسبحانَهُ يبدو ويَخْفَى مكرَّرَا

وما شاقني في الكونِ إلاّ خَفِيُّهُ … فإن وراءَ الكونِ عقلاً مدبِّرَا

يعاف نُهى الفنّان إعلانَ ذاته … ويُعلن عنه الفنُّ أضعافَ ما يُرَى

كذلك خلاَّقُ الوجودِ فإنه … تحجَّبَ واستهوى به عقلَ من دَرَى

فهذا هو الفنُّ الإلهيُّ للذي … يرى الفنَّ والفنَّانَ في النجم والثرَى

وهذا هو المَجْلَى العجيبُ لمبصرٍ … يرى الخالقَ الفنَّانَ عيناً ومُضْمَرَا

* * * * *

وكوّنتِ أنتِ الحبَّ لي عالَماً كما … تحجبتِ كالخلاّقِ إذْ باعدَ الورَى!

بنــات الخــريف

هلمّـــــي! هلمّـــــي! بنـــات الخريـــفْ!

وطـــوفي وطـــوفي بهـــذا الحفيـــفْ!

نـــــراكِ بأوهامنـــا جائلـــــهْ

كباحثـــةٍ عـــن تـــراثٍ فقيـــدْ

وقـــد حُرِمَـــتْ منـــه في يـــوم عيـــدْ

فتمضـــي بلـــهفتها ســـائلَهْ!

نـــراكِ تطـــوفين وَلْهَـــى شـــريدَهْ

تهـــزّين حتـــى الغصـــون الوحيـــدَهْ

وتـــذرين حتـــى الريـــاح الـــتي

تظـــنين فيهـــا خفايـــا الجمـــالْ

وقـــد حجبتْهـــا أيـــادي الليـــالْ

فهـــل تنـــتهين إلى غايـــةٍ؟

الســـاعة

نمنـا جميعـاً وأنـتِ يقظانَـهْ
وقـد غَفِلنـا ولسـتِ غفلانَـهْ

بـل كلُّنـا فيـه روحُ غفلتِـه
كفيلسـوفٍ يعـاف إنسـانَهْ

كـم دَقّـةٍ منـكِ جـدّ منـذرةٍ
فمـا انتفعنـا ودمـتِ لهفانَـهْ!

الوسـاوس

هل في الهواءِ مِن الحديث محجَّبٌ إلاّ عن الفنانِ بين الناس؟!
ما لي أحسُّ بهاتفٍ وبهاتفٍ وعوالمٍ شتَّى من الإحساس؟!
مُلِئَ الفضاءُ بها وكم في طيِّها صُوَرٌ من الماضي العزيزِ الفاني
فكأنَّها كلُّ الذي ظفرَ الورى بالخلدِ بين مَشَاعرِ الإنسان!

الطائر الرقيب

رقيبٌ ولكنْ يغنِّي لنا ويُعطي الحديقةَ مَعنَى الغِنَى
لعلَّ الربيعَ وقد فاتنا أهابَ به ليريهِ لنَا!
نُتابعُهُ في حُبورِ الصِّبا ونُصغي إلى الشَّدْوِ مُسْتَعْذَبَا
فيا مرْحَباً ثم يا مَرْحَبَا بهذا الرقيبِ وما حَبَّبَا!
ويا طائري أنتَ يا طائري بسمتَ إلى روحيَ الشَّاعِرِ
وأصغيتَ للشاعرِ الطائرِ فهلاّ أصختَ إلى خاطِرِي؟
إذنْ لعرفتَ غرامي الدفينْ وما لجَّ بي من جَوىً أو حنينْ
وحُبِّي الذي مثلَ حَيِّ الغُصونْ تَفَرَّعَ، بل مثلَ حيِّ الفنونْ!

وحي المطر

أنا ظامئٌ والكلُّ حولي ظامئٌ فتقطَّري يا سُحْبُ كيف حننتِ
هذي الغصونُ تناولتْ ما خصَّها ولبثتُ في ظمئي لوحيك أنتِ

تتساقطُ القطراتُ مِن يد زهرةٍ ليدٍ، لأخرى، والجميعُ سكارَى

وأنا الوحيدُ فأين أين حبيبتي حتى تردَّ جوىً وتطفئَ نارًا؟

هلا بعثتِ إلى دفين شعورها برسالةِ الحبّ الوفيِّ الباكي

فلعلها تأتي وتنثرُ عطفها كالقطرِ فوق الزهرِ والأشواكِ!

القطة اليتيمة

جلستِ قربي كأنَّ قربي عزاءُ إحساسكِ اليتيمْ

وكم تألمتُ في جُنوّي عليكِ في صمتكِ الأليمْ

فقدتِ أماً وما فقدنا لكنَّ في عزلتي افتقادْ!

كأنني ثاكلٌ شبابي وسائدُ الصمت مِن حدادْ!

أحببتُ في وحدتي عزاءً مذ لم أنلْه من الجمَالْ

قد أسرفَ الحسنُ كبرياءً أو برُّه يُشبهُ المُحَالْ

فلتغنمي أنتِ من حَناني ما شئتِ يا طفلةَ الغرامْ

فالحبُّ جانٍ وأيُّ جانٍ والحبُّ كم يَتَّمَ الأنَامْ!

ديوان
مختارات وحي العام

(٣١ ديسمبر ١٩٢٨)

إهـــداءُ الدّيـوَان

إلى المشاعر الحية

أودعتُ فيك عزيز وحي مشاعري ... فـدعيت ديـوان الـوفي الشـاعر
وجَمعتُ من صُورِ الحياة منوّعاً ... ومن (الطبيعة) ما استعز بخاطري
ونقلت وصفِي للأنام وحالهم ... وصف الأمين يهزهم لمآثر
فإذا خصصت من البيان بمدحة ... فأحق بالمدح الشريف مشاعري
فإلى الشاعر – وهي عنوان النهى ... والروح–أهدي الشعر غير مفاخر
فرض عليَّ مدى الحياة لملكها ... فلملكها حسّي ونور خواطري

النـاظم

تصديـــــر

جمعت هذه الصحائف ما أتيح لي نظمه في موضوعات عامة متنوعة من قصائد ومقطوعات أدبية واجتماعية وإنسانية عامة في غضون هذا العام، ما عدا المراثي التلحينية لزعيم الأمة الأكبر ونحوها مما نظمته في خريف العام الفائت ورأيت من المناسب إضافته إلى قصائد هذا الديوان.

وإذا سمح الأجل وظروفي الخاصة وما يجتمع لي من نظم ففي نيتي إذاعة مثل هذا المجلد في نهاية كل سنة (اللهم إلا ما تدعو المناسبات إلى نشره مستقلا عنه)، تبادلاً للفائدة الأدبية مع إخواني الشعراء ومحبي الأدب ونقاده الأفاضل الغيورين، ونشراً لما أعزه في هذا النظيم من عواطف وعقيدة ومبادئ وآراء هي ذخيرتي وسلواني في الحياة.

وقد عوّدني الكثيرون من أفاضل الأدباء حسن الظن والتشجيع والتعاون الكريم الذي أبذل أقصى جهدي لاستحقّه، بيد أن ديني لهم يضاعف إذا هم شملوني أيضاً بنقدهم الأدبي المستقل، فانتفع وينتفع أهل الأدب من وراء هذا النقد ومناقشته، ونساعد بذلك على تحبيب النقد الأدبي وتقاليده النزيهة إلى المؤلفين عامة كما نساعد على رفع منزلته.

ورجائي أن لا تخلو هذه الصحائف – وما سأنشره نظيرها في المستقبل – من وفاء صادق لشِعر العصر، ومن حسنة موجهة إلى خير الأدب والوطن والإنسانية؟

أحمد زكي أبو شادي

٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٨

الفــن البــاكي

مرثية تلحينية لساكن الجنان سعد باشا زغلول نظمت لتنشدها السيدة منيرة المهدية

إسمعي يا (مصرُ) من قلبي النَّحيبْ		وأنـيـنَ (العُـودِ) أيضـاً و (المثـاني)

كلنــا في الــرزء بــالنوح خطيـب		تسـتوي الأدمـع منـا والأغـاني!

* * * * *

أيّ صـوتٍ بعـد (سـعد) يسـتبيح		لـــذة إلاّ بـــذكراه العظيمـــه؟

كلنـا مـن صـدمة الخطـب جـريح		وجـراح الـنفس كـم تبقـى أليمـه!

* * * * *

إسـمعـــي! هـــذا غِنـــائي كلـــه		نبـعُ وجـداني وإحساسـي اليتـيم

مـــن فـــؤادٍ ذاب حزنـــاً أصـــلُهِ		وتبقّـــى فيـــه نـــار وهشـــيم

إسمعي يا (مصر) من قلبي اسمعي!

* * * * *

لا أعـــزّي! كلنـــا ذاق المصـــاب		ورأى الـدنيا وإن جلّـت حَقـيره

مـا عـزاء الشـعب عمـن لا يُعـاب		مجـدُه إلاّ بـدنياه الكـبيره؟!

* * * * *

كـان روحَ (النيـل) يـوحي بالحيـاه		لبنيـه بـل (لشـرقٍ) بـات يبكـي

كلنـا المفجـوع إذ يرثـي أبـاه		رغـم خلـد حفّـه مـن غـير شـك!

* * * * *

غـير أنـي حينمـا أتلـو رثـائي		لسـت أنسـى فـرض حـب وجهـاد

أنـا (بـالفن) صـلاتي ودعـائي		وجهـادي لمنـى هـذي الـبلاد

فاسمعي يا (مصر) من قلبي اسمعي!

* * * * *

(سعد) أسمى من مدى جسم يموتْ		(ســعد) ســر لحيــاة باقيــه

نــورُ إلهــامِ وإيحــاءِ وقــوتْ	للأمــاني الخالــدات الراقيــه[1]

* * * * *

تضــحياتٌ ومســـاعٍ جمـــةٌ	كوّنــت تاجــاً لــه فــوق العصــور

كيــف تهــوى بعــد هــذا أمــة	اســتمدت منــه نــوراً بعــد نــور؟!

* * * * *

فــاعملي يــا (مصــر) مهمــا تنــدبي	بعــده إن كنــت حقــا بنــت (ســعد)

أصــغري المــوت كمــا كــان الأبــي	وارفعــي مجــدين مــن ذكــر ولحــد

إسمعي يا (مصر) من قلبي اسمعي!

الوفـــاء الحـــي

روح سعد

مرثية تلحينية نظمت لتنشدها الآنسة ملك

مجــدُ (ســعْدٍ) مـــا تناهـــتْ	في ممـــــنـــــاتِ دولْتُـــــــــهْ

عـــاش في خلــد وعاشـــت	في وفــــــــــاء أمتـــــــــــه

* * * * *

(ســـعد) روح ســـوف يبقـــى	في العصـــــور الأبديـــــه

ينشـــر الحـــب ويرقـــى	بـــالنفوس البشـــــريه

* * * * *

كلنـــا نشـــدو بـــه	كلنـــا نبكـــي عليـــه

العلـــى مـــن دأبـــه	والنـــدى مـــن راحتيـــه

* * * * *

---

[1] الراقية: السامية.

كلنــــا تكـــوين (ســـعد) في ثبـــــات وأمـــــل
أي مجـــد غـــير مجـــد يلـــهم النـــاس العمـــل؟

* * * * *

عـــاش نبراســـاً عظيمـــاً ومثـــــالاً للأبــــوَّه
كـــان بـــالروح كريمـــاً كـــان في خلـــق النبـــوَّه

* * * * *

في ســـبيل (النيـــل) ضـــحّى في ســـبيل الحـــق عـــانى
واهبـــاً (للنيـــل) سمحـــاً عمـــره المحســـود شـــانا

* * * * *

أندبيـــه يـــا معـــالي قدّســـيه يـــا (فنـــون)
كـــل محمـــود وغـــالٍ حـــين ينســـاه يهـــون

وهو حي لي يُنسى!

إلى أم المصريين

نظمت ليصدَّر بها نشيد (النادي الفني) في تابين الزعيم الأكبر

إلى التي مِنْ معالي وحْيها قبستْ رُوحٌ (لسعْدٍ) فغـذَّتْنا بآمـالِ
إن كان (سعد) مضى فالروح باقيةٌ وأنت ما زلت معنى وحيها العالي
يـا أم شـعبٍ يتـيمٍ لا يطيـب لـه شيء سوى الدمع في تذكاره الغالي
رآك صـورة (سـعد) في جلالتهـا فـزاد قَـدرُك إجـلالا لإجـلال
قـومي إلى العلَـم المفجـوع رافعـة شِـعاره اليـوم نبراسـاً لأجيـال
ثم انشري صوتَ أهل (الفن) فهو لهم صـوت الجلالـة يتلـو سرها التـالي
يحـي نشيد العلى في وجده سِيَرًا للتـابعين، ويرويهـا كأمثـال

عهد سعد

(ألقي هذا النشيد في حفلة التابين الكبرى التي أقامتها نقابة موظفي الحكومة بمسرح محمد علي بمدينة الاسكندرية يوم ٥ أكتوبر سنة ١٩٢٧م)

لَبَّيْـــتُ دعـــوةَ وجـــداني	في أحزانـــــــــــــــي
وجئـــتُ أنشـــر إيمـــاني	بـــــاكي الأشـــــعارْ!
رثيـت (سـعداً) مـن قلبي	يـــــوم الخطــــــــب
وزاد تـــأبيني خطـــبي	بـــــأبي الأحـــــرار!
مهمـا رثيـت فلـن يـوفّى	قلــــــبي المـــــوفى
وبـــث دمـــع ملـــهوف	عتـــــب الأقـــــدار!
أبكـي ومـا أرضـي دمعـي!	أيـــــن المنعـــــى
مـن دام شـغلاً للسـمع	مــــلء الأفكــــار؟!
نبكـــي لأنـــا لا نـــدري	ســــراً يجــــري
في الكـون مـن بـدء الـدهر	طــــول الأعصــــار!
نبكـي لأنـا كـم نخشـى	ســــراً يغشــــى
للمـوت، كـم نلقـى النعشـا	مثــــل الجبــــار!
ولــو عقلنــا مــا كنــا	نـــذوي حزنـــا
المــوت في العليـا معنـى	لبلــــوغ فخــــار!
مـا جئـت أرثـي بـل أحكـي	دون الشـــــــــك
عهـداً (لسـعد) كالفلـك	نـــوراً ســـيّار!
منـــه اتخـــذت لأنفاســـي	وحـــي الآســـي

ومنه عزة إحساسي وأجل شعار!
ومنه عاد لوادينا عن ماضينا
تقديس (مصر) لنا دينا عالي الأسرار!
قال: "انتهيت" فناجانا في ذكرانا
عهداً بحرر أوطانا من حكم العار!
قد كون الشعب الباقي دون شقاقِ
يسعى إلى الملك الراقي رغم الأخطار!
كان المعلّم والباني دون توانِ
أحلام شعب مزدانِ بحلى الآثار!
وقد أتم على وعد عهد المجد
ونحن أهل للجهد في غير عثار!
(سعد) حياة في الجسم بل في الإسم
فكيف بالروح المسمي[1] نبل الأوطار؟!
وهو الغني عن الشكر بل والذكر
كم عد ميزان القدر ورضى المقدار!
وكل وصف يرويه من يبكيه
تالله دون معاليه رغم الإكبار!
ساوى البليغ بإعجاز دون مجاز
من لم يخصّ بممتاز من شعر ثار!
كل ينقب مذهولا أو متبولا[2]

---

[1] المسمى: الرافع.
[2] متبولا: سقيما.

فــــلا يبلــــغ مـــــأمولا ... وينـــــــوح مـــــرار!
ما (سعد) شخصاً أو فردا ... بــــل مـــــن عُــــــدّا
في ذمــــة الــــدنيا حـــدّا ... لحجـــــــىً قهــــــار!
ســـرٌّ مـــن الخلـــد العـــالي ... للأجيــــــــــــــــالِ
وســـــفر مجـــد للتـــــالي ... وضـــــيــــاء نهـــــار!
فمجِّـــدوه بـــلا وصــــفِ ... وبـــــــلا ضــــــعفِ
فـــــبرُّكُمُ حقـــاً يكفـــــي ... هــــــذا التيــــــار!
إن (البطولـــــة) تســـتغني ... عمــــــن يـــــبني
بـــــالنظم آنـــــاً والفـــــن ... وأســـــــى الأوتـــــار!
لكنهــــا تـــــوحي فينـــــا ... مــــــا يحيينــــــا
ومــــا يســــوق أمانينـــا ... لجنـــــى الأثمـــــار!
يا (سعد) عهدك لن ينسى ... فالبــــث شمســــا
تهــــز روحـــاً أو رمســـا[1] ... حتـــــى الأحجـــــار!

سعد الخالد

نشيد شعبي

يـــــا أبـــــا الشـــعب المُرجَـــىًّ ... في حيـــــــاةٍ وممــــــاتْ
مــــا يـــزال الشـــعب يشـــجى ... بالعظـــــات الخالـــــدات
مـــــن حياتــــك ... ومماتــــــــــــك

---

[1] أي سواء روحا أو رمسا.

يا عظيم!

* * * * *

هـــذه الـــذكرى فـــدعنا نمـــلأ الـــدنيا رثـــاء

لا بألفـــاظ ومعنـــى بـــل بآيـــات الفـــداء

في جهادٍ للخلود

كخلودك!

* * * * *

أنـــت روح ســـرٍ بمديه مثّلـــت (مصـــر) وحلّـــت

في النفـــوس العبقريـــه فانتشـــت منهـــا وجلّـــت

من حياتك ومماتك

يا عظيم!

* * * * *

إنمـــا الحـــج لقـــبرك أي فـــرض وصـــلاه

يشـــعر الـــوافي لقـــدرك كـــل أســـرار الحيـــاه

في جهاد للخلود

كخلودك!

* * * * *

(ســعد) يــا قائــد (مصــر) في علـــو وشمـــمْ

أنـــت قبـــل (النيـــل) أحـــرى بجـــلال في الأمـــم

من حياتك ومماتك

يا عظيم!

* * * * *

عهـــدك المرعـــيّ حـــيّ لينـــاجي كـــل جيـــل

أنـــت والله نـــبي كـــوّن الشـــعب النبيـــل

في جهادٍ للخلود

كخلودك

يا عظيم!

* * * * *

نمْ قريراً بعد عمرٍ ... في عذاب التضحيات

عشن ذكراً بعد ذكرٍ ... كنَّ للشعب الهبات

من حياتك ومماتك

يا عظيم!

* * * * *

إنَّ شعباً أنت فيه ... دائمَ الإيحاء يبقى

دأبه ما تبتغيه ... لن يسام الدهر رِقا

في جهاد للخلود

كخلودك!

شبل إسماعيل

إلى جلالة الملك فؤاد الأول

فقدتْ رُبُوعُ (النيل) أحزمَ قائدٍ ... عرفتْهُ حين بقيتَ أنت أباها

فإذا اصطفت خلفاً له ما فاتها ... أن تحتمي بحماكَ في بلواها

جدّدتَ عهدَ أبيك في استعلائه ... بالعلم والإصلاح يوم بناها

وأراك أكبر من يصون تراثه ... شرَفاً، واقدر من يُعز حِماها

وإذا تعاونت الرؤوس فلن ترى ... في أمة رؤساءَها أدناها

عشْ ما بدا لك من محبة أمة ... عدَّتك تاج رجائها وعُلاها

وكن المليك كما نراك مضحياً ... ومزكّياً ومبلغاً لغناها

تحيا كفرد في الرعية حينما ... حُب الرعية في عُلاك تناهى

ومن التكبر والتغطرس ذلة ... ومن التواضع ما يزين إلها!

هدى

رزق صاحب الديوان في الثاني من أكتوبر سنة ١٩٢٧م برمل الإسكندرية طفلة أسماها (هدى) فبعث إليها الشاعر العصري المعروف الأستاذ عبد الله بكري صاحب "مقامات أبي الشمقمق" الأبيات التالية، يتبعها شكر الشاعر ورده عليه.

(١) تهنئة الصديق

رُزِقتَ (أبا شادي) فتاةً دعوتها ... (هُدىً) تبتغي للخاطبين هُداها!

لقد وضعت في (الرمل) فهي نقية ... تسر بحسن أمها وأباها!

ألا ليتَ شعري هل سبيل لقبلة ... فأنشق منها زهرة بنداها؟!

تمتع بها يا شاعراً بين صحبه ... بها أو (أمين) أو (صفية) باهى!

بكري

(٢) شكر الشاعر

كفاها من الشعر الذي قد وهبته غنىً، وكفاني أن أكون أباها!
وما ولدتْ بنتُ الأديبِ فقيرة وهذي هدايا الشاعرين حلاها!
تهانيك زانتها، فعش للغد الذي به أنت مرجواً تزين فتاها!
ونورتها[1] بالشعر حتى بدت (هدى) فأنت ضمين ما حييت هداها!

أبو شادي

هيكل الشهيد

في بُقعةٍ من بلاد الهند قد رفعوا للذّكر مدفنَ كلبٍ بين تكريمِ
وصوروا هيكلاً منه يقدسه من لم ير الكلب عنواناً لتعظيمِ

* * * * *

قال الرواة: بعهدٍ سالفٍ عرفوا مرابياً في جوار القبر مسكَنُه
وكان يشتد بل يطغى معاملة من لم يمت منه كان الهم مدفنه!
ومرة كان جوال بسلعتا في شدة الضيق حين الدين يرهقه
وما المرابي بمن يدري القلوب ولا من حل غلاً لمديون يضيقه!
فجاءه التاجر المهموم سائله أن يقبل الكلب رهناً منه أياما
وكان كلباً ثميناً لا نظير له فبعد لأي أجاز الرهن شتّاما!
وراح صاحبه للبيت يبحث عن شيء يُباع لكي يستخلص الكلبا
وعندها يشتري أيضاً كرامته وعمره بعد ما قد أصبحا نهبا!

* * * * *

---

[1] يقال: نور المصباح أي أزهر.

مضى المدين، وشاء العدل أن نقبت … عصابة من لصوص بيت دائنه

فنبه الكلب إعواء ذويه فما … نال اللصوص سوى أغلال ساجنه!

وهكذا أنقذ الكلب الذي رهنت … حياته ثروة للدائن القاسي

فسره ذاك منه راضياً قنعاً … من بعد ما كان أطغى الناس في الناس

وقال: لا بد من إطلاقه، وأتى … برقعة ضمنت ما كان من بره

وقد تخلى بها عن دين صاحبه … وعلق الشكر وضاء على صدره!

فأسرع الكلب جذلاناً لصاحبه … فاغتاظ منه وألقى نحوه حجرا

وقال: يا أيها الملعون إمش فما … أردت عودك إلا بعد مقتدرا

فمات من وقعه، حتى إذ قرئت … تلك الرسالة أشجته فأبكته

قضى بطيش وجهل منه حين رمى … على حميم، فبئست تلك رميته!!

* * * * *

والآن بالقرب من (ريبور) هيكله … ممثّلٌ صدقَ وجدانٍ لصاحبه

لم يفده المال من أسر فقدسه … بعد الممات فداء عن مناقبه!

ولّى سعد

مصطفى النحاس باشا

(نظمت في ذكرى الأربعين لوفاة الزعيم الأكبر)

إصعدْ مكانكَ بين شعْبٍ وافر! … واعتزَّ بين تَشبُّث الأُلاَّفِ!

واجلس بكرسيّ الرئاسة رافعاً … تاج الجهاد وراية الأشراف

إرث الجلالة للعظيم بطبعه … ولمن يجل مفاخر الأسلاف

وأرى (أبا بكر) بذاتك ماثلاً … بعد (النبي) على أبرّ طواف

حجـاً إلى القـبر الشـريف مؤبّنـاً ... ومعاهـداً عهـد الإبـاء الـوافي
وإذا النزاهـة والوفـاء تلاقيـا ... في الـنفس فالجهـد المسـدد كـاف
حـزت الـذكاء بجانـب النبـل الـذي ... مـا كـان فيـك لمبحـث وخـلاف
ووهبـت روحـك (للـزعيم) وبعـده ... عـادت بـنفحٍ للجـوارحِ شـاف
عَلَـمُ النزاهـة أنـت جنـب مـروءة ... وشـهامة وتفـاؤل وعفـاف
خـل الـذين يصـغّرونك جهـدهم ... لنقـائص مـا كـن في الأحـلاف
مـاذا يضـير المهتـدين بشـيعة ... جـازوا سبيل الرشـد والإنصـاف؟!
هـاك الملايـين الـذين تكـاتفوا ... ودّوك محمـولاً علـى الأكتـاف!
وقد اصطفوك كما اصطفوا سعداً لهم ... رمـز الحيـاة نَمـتْ بكـل شـغاف
مـا كنـت بـالمجهول فضـلاً أو عـلاً ... إلاّ مواهـب صُـنَّ في الأصـداف!
واليـوم آن لنـا شـروق كمالهـا ... في دهمـة[1] الليـل البهـيم الضـافي
عمـراً بـذلت كمـا بـذلت مـآثراً ... كـن السـلاف لألسـن الوصـاف
أنـت المخضـرم بـين عهـد فتـوة ... لسـميّك البطـل العظـيم النـافي[2]
وزمـان تكـوينٍ وعهـد مثبـت ... لكيـان (مصـر) (بسـعدها) الوقـاف
فحييـت في عمـل وفي شـرف ومـا ... ألفيـت في طـرف[3] الخطـوب بغـاف
بـل كنـت مـن يمهـي الجهـاد بعزمـه ... ويحـارب التضـليل في إرجـاف[4]
تغنيـه همتـه وقـوة روحـه ... عـن جحفـلٍ لجـبٍ مـن الأسـياف
جـيش بـه اعتـز (الـزعيم) وكنْتَـه ... لمـا تطـاير كـل غـرٍ هـاف![5]

* * * * *

---

[1] دهمة: ظلمة.
[2] المغفور له مصطفى كامل باشا؛ وكان روح سياسته المصرية سلبياً غالباً.
[3] طرف (بكسرفسكون): حديث.
[4] يمهى الجهاد يشحذه. والإرجاف: الزلزلة.
[5] تطاير: تفرق. وهاف: ذليل. إشارة إلى حوادث التبرؤ من الوفد في عهد الاتحاديين.

يا ابن (المحاماة) الذي بلغ المدى ... بسموه عن وهدة الإسفاف

وأبا (القضاء) وكم له من موقف ... للحق معصوم من استئناف!

وفتى الهدى والتضحيات بلا ربى ... وأخا الكرامة واليقين الصافي

قد بايعتك نفوسنا وقلوبنا ... لجواهر في الخلق غير زياف

ومبادئ في الحق ما خجلت وقد ... بزغت وراء ستارها الشفاف

ونضارة الوجدان رغم عواصف ... أودت بآلاف موت جفاف

رب الوديعة أنت بعد معيدها ... جلت لديك اليوم عن إتلاف

وقيت لديك من العثار وبلغت ... أمل الخلود ببرك الوكاف

والدهر يقصر عن فلاح مزعزع ... ثقة خصصت بها كحلو نطاف[1]

هي كل ما تصبو إليه نهاية ... من عالم الدنيا بلا إلحاف

وكأنما النغب العذاب متاعب ... في ذمة الوطن الحفي العافي[2]

عرفت سجاياك الضمائر فانتشت ... بعوارف الآثار والأوصاف

وعرفتها عرفان ذاكر حبها ... بالطبع قبل حنانه الكشاف

شخصت إليك اليوم دون تردد ... وبدت تناجي الفضل دون سجاف

وثقت بذمتك النقية مثلما ... وثقت بروضة خلقك المئناف

ولو إنما اللسنُ اللهاذمُ[3] سلطت ... ما نلن من حب وصدق هتاف!

* * * * *

وطني وإخواني وأهل عقيدتي ... ما العيش بين رضى وحظ كفاف

إن الحياة شهية وعظيمة ... في حالي الحرمان والألطاف[4]!

---

[1] جمع نطفة وهي الماء الصافي.

[2] النغب: الجرع. والحفي: العارف الشيء حق معرفته. والعافي: الطالب الفضل.

[3] اللهاذم: الحدود القاطعة للسيوف.

[4] مفردها اللطف: أي التوفيق والعصمة.

مــا الــذل ذل للجســوم، وإنمــا ذل النفـوس هـو الشـقاء الطـافي[1]
فتعاضــدوا وتــدرعوا بثبــاتكم وإخـــائكم، إن الإخـــاء يعـــافي!
لكـم الحيـاة مـع التـألق كلمــا كنـــتم رجـــال توحّـــد وتـــلاف
لا تســـتخفوا بالهنـــات فربمـــا فقـد القـدير السـبق باسـتخفاف
أو تيأسـوا عنـد المصـاعب بينمـا قامــت مفــام المرشــد العــراف
أو تخـدعوا بالنصـر فهـو كخمـرة ساوى الصريع بها صريعَ سُلاف!
صـنتم بوحـدتكم تـراث زعـيمكم لا تفقــدوه اليــوم بالسفســاف[2]
إن الرئاســـة همـــة جذابـــة لا صــيحة أو صــدحة العــزاف!
واليـوم قائـدكم صـنيعة رشـدكم وفـؤاد (مصـر) النـابض الرفـراف!
إن تخـذلوه فقـد خـذلتم حقكـم ومـــن الحماقـــة نـــزوة المـــتلاف
أو تحسـبوه أبـا العجائـب ضـلة لم تقطفـــوا منـــه أبـــر قطـــاف[3]
فلتنصـــفوه وأخلصـــوه وفـــاءكم يحمـل مـن الأعبـاء غـير خفـاف
ودعـوا خرافـات الخصـوم ولغـوهم فكثيرهـــا يحكـــي ثغـــاء خِـــراف!
خلّـــوا الأمانـــة ديـــدناً لتعـــاون تجـدوا التعاون أصدق الإسـعاف
وتـــأملوا الضـــوء العزيـــز بوحـــدة فـــإذا تفـرق ضـــاع في الأطيـاف[4]!
روح الــزعيم تجــاهكم فــتخيروا نهـــج البطولـــة للغـــد الصـــدّاف[5]
تلقـــاكم زمـــر المخـــاطر فـــادأبوا مـــا كـــان حـــظ الفـــوز للمخـــلاف[6]
بـــل واســـتعدوا للـــهموم جديـــدة قبـــل النعـــيم وبهجـــة الإتحـــاف!

---

[1] الطافي: الشامل المنتشر.
[2] السفساف: الأمر الحقير.
[3] القطاف: جمع القطف (بكسر القاف) بمعنى الثمار المقطوعة.
[4] الأطياف: جمع الطيف (spectrum) أي رسم انحلال النور.
[5] الصداف: المقاطع المنصرف.
[6] المخلاف: الكثير الخلف في وعوده.

وأنا الضمين لكم جلال سيادة ... وحياة ملكٍ ثابت الأكناف[1]
بنيت قواعده على دستوره ... فنمته أضعافاً على أضعاف
وحبته للدنيا منار حضارة ... (للشرق) ثم ذخيرة الأخلاف[2]
فارفع زعيم الشعب صوتك هادياً ... يغنيه عن خطب وسحر قواف!

التقصير

(من صورة الحياة)

قالت: أتعلم أي ذكرى لم تزلْ ... تترددُ في خاطري المحزون؟
فأجبت: هل هي فرصة تضييعها ... قد كان في عقباه شبه جنون؟
أم ذاك ذنب ما عملت لمحوه ... وغنمت منه نهاية المغبون؟
قالتْ: إليكَ روايتي، وكأنما ... قاربت في التقدير والتخمين
من عهد أعوام طوالٍ كنت في ... متنزهٍ في نشوةٍ وسكون
أستنشق العطر الذي حملته لي ... بيض البراعم فوق تاج غصون
فإذا بشيخ عاجز في البعد قد ... سقطت عصاه وزل دون معين
وجلست أرقبه بغير تحرك ... وهو الضرير فلاح جد حزين
حتى أتى عرَضاً فتى وأغاثه ... ومضى ولم يعبأ بكل فتوني
والآن أسمع كل مدحٍ شائق ... عن بهجتي ورشاقتي وعيوني
وأظل يؤلمني امتعاضٌ لاذعٌ ... من ذكر ذاك الأمس بين شجوني!

---

[1] ثابت الأكناف: راسخ الجوانب.
[2] النبت الناشئ: أي رجال الغد.

يا حامل الأرض بل والكون في يده   وواصفاً كنهه في شبه تحديد[1]
قد جزت حد خيال الوهم في ثقةٍ   بما حسبت بتقريب وتبعيد
إن الأساطير ما فاتتك في عجب   بما روته، وما اعتزت بتأييد!

* * * * *

وما (جلليو)[2] و(كوبرنيك)[3] قد وهبا   ولا (نيوتن)[4] ما حققت للناس
صار الزمان قريناً للفضاء كما   صار الزمان يوافينا بمقياس
حين الفضاء تراءى حاكياً كرة   من بعد ما كان لا يعنو لإحساس

* * * * *

وأصبحت نسب الأشياء أجمعها   من التقلب ما يوحيه موضعها
فما الحساب نبي صادق أبداً   لولا ارتباط بأسباب يشايعها
وما الوجود وجود يستعز بنا   لولا اكتشاف معان كدت تبدعها

* * * * *

يا ليت شعري –وأقوى الناس أعرفهم   بسرهم وبأحوال لدنياهم –
من ذا يفوقك تمكيناً بصولته   في العقل حين أمير الناس أحجاهم
لقد فتحت لهم دنيا تحددها   فهل فتحت لهم من بعد أُخراهم؟!

---

[1] الكون متناه حسب نظرية اينشتين الذي يعتبر أن الفضاء (space) والوقت اصطلاحان مترانفان تقريباً، وهو يعتبر الوقت (الزمان) بعداً أو مقياساً رابعاً – fourth dimension –، ويرى أن الفضاء كروي، وكان هذا لا يكيف بشكل من قبل، وقد برهن بناء على نظرية النسبية أن الضوء يسير في خطوط منحنية (لا مستقيمة كما كان يظن سابقاً)، وعارض نظرية الجاذبية حسب العرف القديم. وقد أصبح الحساب الرياضي علماً نسبياً لا علماً مضبوطاً (exact) على قواعد يوكلد (Euclid). فتأثير اينشتين على التفكير العلمي بل على التفكير الإنساني عامة في جميع نواحيه بعيد المدى. وهو بلا جدال أعظم شخصية علمية في هذا العصر.

[2] Galileo: هو الفلكي الإيطالي العظيم، ولد في مدينة بيزا سنة ١٥٦٤م، وتوفي سنة ١٦٤٢م، واكتشف وهو حدث قانون اهتزاز الرقاص، وهو مخترع أول تلسكوب، وبه استطاع أن يقوم بدراسات فلكية عديدة.

[3] Nicolas Copernicus (١٤٧٣م – ١٥٤٣م) هو الطبيب البولاندي والفلكي المشهور واضع النظام الفلكي المعروف باسمه، وعليه قامت أبحاث كبلر وجليليو ونيوتن.

[4] Sir Isaac Newton الفيلسوف الرياضي الإنجليزي العظيم (١٦٤٢م – ١٧٢٧م) مكتشف أو واضع قانون الجاذبية.

حسناء وعبدها

(وصف مرتجل لآنسة جميلة يحرسها عبد زنجي)

لم ألق في كلّ ما لاقيتُ من عَجبٍ كعابدٍ ظِلُّهُ حِرْزٌ لمعبودِ
ماذا على الشَّمسِ لو أحيت لنا أملاً؟ وما على الأرض لو قالت لها جُودي؟!

عواطفي

مُلِّكْتِ أحلامي ونُورَ دُمُوعي وقَهَرتِ نفْسَ إمامِيَ المتبوع[1]
ما العقل حين تسيطرين؟ وما الحجى إن لحت أنت لشاعر مطبوع؟!
قالوا: "تغالي في العواطف" حينما هذي العواطف مهجتي ونزوعي
لولاكِ ما كان البيان أشعة كلاّ، ولا كان النظيم دموعي
لولاكِ لم أدر (الجمال) ولا (الهوى) أبداً، ولا قدر (الحياة) ولوعي
لولاكِ لم أسغ (الطبيعة) بينما أنت (الطبيعة) لي وأنت ركوعي
غُذّيت منك فلا عدمتُك مرةَ ظمئي نواك إذا سقمت وجوعي
وأرى (الألوهة) من جداك مثولها فإذا احتجبت مضت لغير رجوع
فلئن حرصتُ عليك كان تحرّقي غُنْماً، وكان تحجُّبي كطلوعي
وحييت بعد منيتي بك في النهى شعراً وألحاناً ووقد شموع
وغدا خشوع القارئين تحيتي لك عين تقديسي وعين خشوعي!

---

[1] يريد العقل.

عبد المجيد

مرثية تلحينية في تابين منشئ (المسرح)
نظمت لمناسبة ذكرى الأربعين

بـــذلتَ والله عمـــرَكْ بـــذلَ الكمـــيِّ الأمـــينْ
إن يجهـل النـاس قـبرك فلســـت أنـــت الغـــبينْ!

* * * * *

كنـت الجـريء الشــجاع في الحـب مثـل الخصـومهْ
كنـت السـري الشـعاع يعــزو وينفـــي همومـــهْ!

* * * * *

مضـيت (عبـد المجيـد) لكـــن لغـــير انتهـــاء
مـــن قـــال إن الفقيـــد في الكـون سـر الـذكاء؟!

* * * * *

إن يشـمت الحاسـدون فـأنـــت لاه ضــــحوك
لعلــــهم في جنــــون أهـــل لـــه شـــانئوك!

* * * * *

يـا رمـز ذاكـي الشـباب ويــــا شــــهيد الجهـــاد
مـــا المجـد إلا العـذاب لمبـــدأ واجتهـــاد!

* * * * *

وضـعت في (مصـر) فنـا (للنقـد) حتـى اسـتطال
فصــار مبنــى ومعنــى وكـــان شـبـه المحـــال!

* * * * *

مـن بـات يحصـي عيوبـك فنـــاكر للجميــــل
يكفيـــك أن لا يشـــوبك مـــوت الجمـود الثقيـل!

* * * * *

قــد كنــت نــوراً ونــاراً　　　مــن انــدفاع الشــباب
وكنــت قبســاً معــاراً　　　فغــاب مثــل الشــهاب!

* * * * *

مضــيت لكــن كريمــاً　　　بوحيــك المســتطاب
أنظــر تجــده مقيمــاً　　　علــى عهــود الصــحاب!

* * * * *

في زمــة الفــن تمضــي　　　حيــاً لــذكر البقــاء
و (المســرح) الحــر يبكــي　　　عليــك أشــجى البكــاء

* * * * *

مــا نــاح إلا حنينــاً　　　إلى البنــان القــدير
فــاغفر وفــاءً حزينــاً　　　مــا دمــت أنــت القريــر

الطبيعــة

زُرْتُهــا أشــكو إليهــا لــوْعتي　　　مِــنْ جُحــود نــالني في زمــني
فــاكفهرت في اكتئــاب سُــحْبُها　　　ثــم صــاحت صــيحة المــتهن[1]!
وتجلــت[2] بعــدها في بســمةٍ　　　تبعــث الســحر للــب الفَطِــن!
هــزأت بالجهــل حتــى أخجلــت　　　نظرتــي للعــالم المــتحن!
وكــأني مــذنب في عرفهــا　　　فهــي أمــي، وهــي مــن تلــهمني!
مــوئلي في ظلــها أو نورهــا　　　وهــي مــن في عطفهــا تنعشــني
كيــف أشــجى وهــي حــولي دائمــاً　　　ملجئــي بــل معبــدي بــل وطــني

---

[1] إشارة إلى صوت الرعد.
[2] أي الطبيعة. إشارة إلى انقشاع الغيوم.

ثم لم تلبث على سخط فقد ... صفحت عن زلتي وحَزَني

حين غنت بعصافير لها ... لعب الأطفال قبل الوسن!

بين وثب واختباء في على ... حيرتني بل غدت تقهرني!

وفرادى النحل جاءت تحتسي ... خمرة الزهر بغير زمن

أنشدت حولي أناشيد الهوى ... وأغاني رفقة[1] تعرفني!

والنسيم الحر يحكي ما رأى ... من غرامٍ ومعاني الفتن

والفراش اللاعب اللاهي يلي[2] ... تحت أصباغ الغرورِ الحسن!

والأصيلُ السمح يروي شعره ... ملء ألوانٍ لوَحْيِ الفَطِن

ورآني ناهلاً من نوره ... فحباني كل ما يسكرني

وإذا الجدول يروي حقله ... مثلما يطفي بأنس شجني

وعذارى الريف في لهو الصبا ... واهبات مستطاب المنن

لسن يعرفن هموماً غير ما ... تعرف الورقاء فوق الفنن!

أخجلتني[3] هكذا من حسرتي ... بينما في الكون ما يسعدني

وأرتني حينما أفهمها ... أنني أنعم إذ تفهمني

فاغتدى طبعي حنيني دائماً ... لمجاليها التي تفرحني

فأناجيها بحب معلن ... وتناجيني ببرٍ معلن

منشداً شعري، وحسبي سمعها ... فهو منها ولديها يغتني

جلسَتْ في عرشها مصغية ... لوفاء الشاعر المفتتن

وكأني وارثٌ ملكاً لها ... وكأني حاكم في زمني!

---

[1] رفقة: صحاب.

[2] يلي: يدنو.

[3] أي الطبيعة.

الإلقاء والتمثيل

نظمت في استقبال العام الثاني للكونسيرفاتوار المصري (معهد الإلقاء والتمثيل) بالقاهرة في الخامس عشر من نوفمبر سنة ١٩٢٧م.

عشْ للغد الزاهي أعز مثيل ... يا (معهد الإلقاء والتمثيلِ)

أهلاً بعيدك بعد عام طفولة ... قد بلغتك مكانة التبجيلِ

(الفن) بارك عمرك الحالي فما ... أُحوجت بعد دليله لدليل

لم تدر من سنن التطور حاكماً ... فطفرت منفرداً بوادي النيل

أصبحت مدرسة (البيان) موفقاً ... في شبه إعجاز لهذا الجيل

أكرم بمن غذّوك من إخلاصهم ... وبمن حبوك رجاء كل نبيل

وبمن رأوكَ ملاذ حسٍ أو حجىً ... يحتاج للتعبير والتدليل

كافأتَهم بالبر فوق صنيعهم ... وغدوتَ ملجأهم من التضليل

في موطن ضاع (النبوغ) سدى كما ... أضحى الجميل يعدّ غير جميل

دنيا خرافاتٍ وجهلٍ شائعٍ ... وفنونِ إفسادٍ بكل سبيل

(الفن) كاد يموت منها حسْرة ... ما بين قال في الضلال وقيل

لم يبق للأحرار غير مباءَةٍ ... بحماك من عبث ومن تدجيل[1]

إبعث ضياءك للشباب مرحباً ... وإلى الشيوخ مطمئناً كوكيل

وانهض برغبة (مصر) في استعلائها ... بثقافة تزري بكل دخيل

مصرية النفحات، ليس يشوبها ... فقر ولا عجز وحس ذليل

وليعل صوت الرشد فيك مؤذناً ... حيناً، وآناً آية التنزيل

---

[1] التدجيل لغة بمعنى التغطية، ومجازاً بمعنى المخادعة.

قصـص الحيـاة تعـاد فيـك قويـة عــبراً، فمــا تحتــاج للتأويــل
ومواقــف الخطبــاء فيـك عظيمـه تســتأهل التقــدير بالتكليــل
دم في زكاتــك هــذه تعطــى لنــا روحــاً وريحانــاً وطــب عليــل
حتـى نعـالج (مصـر) مـن أدوائهـا في المســرح العــاني عنــاء كليـل
حتـى يرن صـدى الخطابة بالهدى في كــل عاصــمة وكــل قبيــل
حتـى يعـود إلى الفصـاحة مجدها في بهجــة غنيــت عــن التهليــل
حتـى ترى مصـر الجديدة قسطها مــن قــوة التبيــان غــير ضـئيل
حتـى يصـير (الفكـر) دينـاً سيداً ولــه الصــلاة وأروع الترتيــل
وأنــا الكفيــل بأننــا في برنــا لــن نكتفــي بالشــكر والتقبيــل!

التعــالي

رجــاؤكَ أن تُصــيبَ وفــاءَ قــوْمٍ بــررْتَ بهــم رجــاءٌ للمحــالِ!
فــإن كنــت المصــيب لــه فهــذا مثــالٌ بــذّ مــألوف المثــال
ومــن شــاء السيادة في شمــوخٍ فمــا يعليــه نبــل مــن فعــال
ولكــن الســيادة – وهــي عنــدي تعـالي النفس لا بطش التغـالي –
تنــال بكــل تضــحية وطعــن وإيــذاء كأنــك لا تبــالي!
فتغــنم غايــة التســفيه ممــن بــدلت لــه الرشــاد وكــل غــال
ويغـدو كـل حسـن فيـك قبحـاً وكــل كرامــة شــبه الضــلال
وتلقــى الاتهــام يســاق ســوقاً إليــك، وحــين لم يخطــر ببــال!
فمــا تــدري أصــار الفضــل عيّــاً وبــات النقص نوعــاً مــن كمـال؟!
أم الــدنيا تعــيش علــى خيــالٍ ولــن تشـفى الـدهور مـن الخبـال؟!

أم الأحـــداث فيهـــا لم تزدهـــا شـــعوراً بالحقيقـــة والجـــلال؟!
وســـاوى الألمعـــيّ بهـــا جهـــولاً وأصـــبحت المســـاوئ كالمعـــالي؟!
وهـــل هـــذي الجبـــال لهـــا رؤوس عليهـــا، أم تقـــوم بـــلا جبـــال؟!
قيـــاس النـــاس أوهـــام تناهـــت ومـــنطقهم خيـــالٌ في خيـــال
وتوشـــك أن تغـــص بكـــل وجـــد وتســـرف في التشـــاؤم غـــير ســـال
ولكـــن عنـــدها ترنـــو بعيـــداً بإيمـــان العظـــيم إلى الجمـــال
فتقبـــل كـــل تضـــحية وتنســـى حياتـــك في جمـــال بعـــد تـــال
وتجعـــل نفســـك المثـــل المرجًـــى تعاليـــه لتكـــوين الرجـــال
فلـــن ترقـــى الحيـــاة بـــلا كفـــاح نبيـــلٍ بـــين عـــزم واحتمـــال

الفلاّحـــة

ســـيري خـــلال القطـــن بـــين تبسّـــمٍ مـــا القطـــن إلاّ مـــن تبسُّـــمِ فيـــك
ودعـــي الـــذي يـــدعوك ربـــة مصـــره يجـــني ابتســـام الحـــب دون شـــريك
إنـــي أبـــايع بالســـيادة مـــن لهـــا في مجد (وادي النيل) مجدُ مليك!
ربـــت لـــه همـــم الرجـــال وأطلعـــت أمـــلا كوعـــدٍ للصـــباح وشـــيك
وأعـــز ثروتـــه ســـخاء بنانهـــا وحبورهـــا جـــدوى لكـــل ضـــريك
وكـــأن رفـــق الشـــمس لفظـــة ثغرهـــا فيحـــول في طَمْـــيٍ يعـــز ســـبيك!

* * * * *

يـــا وَحـــى (بنتـــاؤور) لم نـــزل العلـــى كـــالفن في أيـــام (منـــف) تليـــك!
مـــا زلـــتِ لابســـة الحـــداد كَســـيفةً فلتنزعيـــه، فـــنحن نســـتوحيك!
أنـــت المؤلّهـــة العزيـــزة بيننـــا وإن احتملـــت متاعبـــاً لـــذويك

سـيري متوّجـةً بتـاجٍ محبـة ... للنفـع والإصـلاح جنب أخيـك

وإذا تناسـاك الـذين تخـاذلوا ... جاهـدتِ إشـفاقاً علـى ناسـيك

وعملـت زارعـةً وحاصـدةً لهـم ... وغـذوتِ أفئـدةً بـروحٍ فيـك

حتـى إذا انقشـع الغـرور تنبهـوا ... فـإذا العـتي الـنفس يسترضـيك

ويعـاف إلا أن تكـوني حـرة ... في عيشـة تهنيـه إذ تهنيـك

قسـماً بقدرك لـو نصـفت لأدركت ... (مصـر) العزيـزة كل مـا يرضـيك!

لغـة العـرب

تحية مجلة (لغة العرب) وصاحبها العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي في يوبيله الخمسيني

في عيـد مجـدكِ يهتـزّ الألبّـاءُ ... وتحمـل البِشْـرَ للأبنـاء أنبـاءُ

طلعت عنوان فضـل لا يحـد لـه ... نبلٌ لمن أمتعـوا بـراً كما شـاؤوا

وكنـت شـارة خِـلٍّ كلـه شمـم ... حيّـا جلالـة ماضـيه الأجـلاء

في نصف قرن بنى علماً وتجربة ... وحكمـة فـوق مـا يرجـوه بنّـاء

ولا يـزال عظـيم الجهـد مبتـدعاً ... لـه أيـادٍ علـى الإصـلاح غـرّاء

إن كنت إبنة ست في السنين فكم ... في دفتيـك مـن الأعـوام أحيـاء

وذمـة مثـل حـد السيف قاطعـة ... وبسـمة للـذكاء الجـم حسـناء

ما بين بـأسٍ عظيمِ البطش في ثقة ... بـالحق إن عصـفت بـالحق أهـواء

وبـين مرحمـة بـالفكر بالغـة ... وبـالتراث المعلّـى فهـي أنـداء

وبـين نـارٍ تلظّـى، مـن تأجُّجهـا ... هـذي العقـول وإشـعاع وعليـاء

وبـين سـعي لـدفعٍ بـ ل مقاتلـة ... للجهـل، والجهـل أدواء وأرزاء

جمعت شتى من الدنيا وما وهبت — لرشدنا همة شمّاء قعساء

* * * * *

أهلاً بيوم (أنستاس) تُكرمه — مآثرٌ هي للتاريخ صهباء
كم تضحيات أضاءت حولنا قبساً — والتضحيات حرارات وأضواء
حياته سيرة للنفع دائمة — (موسوعة)، ولها الأعوام أجزاء
أعاد مجداً من الأسلاف مندثراً — إلى (لسان) له الآباء[1] أبناء
الرافعون مناراً من سماحتهم — والعالمون الأجلاء الأعزاء
كأن بغداد قد عادت لعزتها — و (للخليل) بها وحيٌ وإيماء
ولم يفت (سيبويه) في تقمُّصه — وجدانك الحي إرشاد وإفتاء
قضى عليه (الكسائي) في مناهضة — زوراً، وطعنتك الغراء نجلاء
ثأرت للعلم، فليخسأ محاربه — فما لنا بعد للحساد إصغاء
هذي صحائفك البيضاء ساطعة — وحسبنا صفحة في الحق بيضاء
أغنتك في موقفٍ عزَّ النصيرُ ففي — مبادئ الحر تعزيزٌ وتأساء
إن شاء أن يتعامى عن مفاخرها — غر فللوهم إضحاك وإبكاء
أو شئت أنت احتجاباً عن علانية — فللمآثر مثل العطر إفشاء
أو ناظرتك عقول جَدُّ مجدبة — فما تحس بجدب الترب فيحاء
أو صورتك بأغراضٍ مزعزعةٍ — فإنما مقلة الإغراض عمياء
أو عاب حكمك من يهوى مجاملة — فليس في العدل إيثار وإقصاء
إن العظيم عظيم النفس عن شرف — يعنو لهيبته رعد وأنواء
وليس من شادَ فوق المال هيبته — وهماً، وهيبته جوفاء خرساء
بل من تعيد في تعييده أمم — طوعاً، ويتبع نجواه الألباء

---

[1] إشارة إلى الآباء الكرمليين الذين يؤازرون في إصدار (لغة العرب).

بيت النور

ترحيب (بنادي جمعية الشبان المسلمين) بالقاهرة

روضوا النفوسَ فمن أهوائها الداء ... ورُبَّ داء توالت منه أدواءُ
روضوا شباباً على لهو وفي كسل ... يقسو عليه الهوى والجهل والداء
ونوّروا من هُدى (النادي) مشاعرهم ... فخلف أضوائه للنشء أضواء
بيتٌ يُلاذ به علماً، وترضية ... للصفو، وهو بصافي الحب وضّاء
حيث الإخاء عزيزٌ في جوانبه ... حي، وحيث حياة النبل غراء
يبثُّ فيه من الآدابِ أرفعَها ... ومن معارف هذا العصر أصداء
فما يفوت الصدى نفساً بلا هبة ... ويزدهي بعلى الآداب أبناء
وتمحى فيه أجقاد ويخلفها ... بر وصدق وإخلاص وإغضاء
ويبتني من حضارات منوعة ... ذخر البنين وذخر الدين آباء

* * * * *

قد طال عهد التراخي، يا له زمناً ... ضاعت به همم شتى وآراء
حيث التفرقِ أنواع مجددة ... وللظهور حزازات وإغراء
والمسلمون حيارى في وساوسهم ... وكل يوم ضلالات وشحناء
والقائد الفذ مغمورٌ، وغايته ... من جهده السمح حرمان وإشقاء
وليس للدين معنى غير سفسطةٍ ... كأنما الدين إضحاك وإبكاء
عادوا به الفنَ والعرفان في زمنٍ ... الفن كالدين في الإصلاح بنّاء
وصوَّروه بما يأبى تصوره ... عقل، وما عاف نجواه الألباء
فهان دينٌ وعِلمٌ بيننا، ومضت ... بالدين والعلم غايات وأهواء
وكاد يقضي على أخلاقنا، وغدا ... للعابثين مجال الهدم ما شاؤوا
فحيَّرتنا مقاييس لحكمتهم ... وجهلهم كلها نكراء خرقاء

وكـاد يُيئسـنا مـن حالنـا عجـبٌ — لا يســتتب، وزلــزال وأنــواء
حتى تجلى شعاع الصبح مؤتلِقاً — وســار يتبــع داعيــه الأجــلاء

* * * * *

إذا شكرتُ فشكري سـابقٌ لفتـى — المدحُ فيـه – وإن حققـت – إيـذاء
أبـى ظهـوراً وخلّـى جهـده علمـاً — فلـيس ترضـيه ألقـاب وأسمـاء
ولـو تـدبّر لم يحجـب محامـده — فإنهـا هبــة للخلــق زهــراء
من قاد لم يغن عن صيت يخص به — فالصـيت للجهـد إسـعاف وإحيـاء
شـتان بـين الـذي يحيـا لشـهرته — وحظـه العمـر تغريـر وإغـواء
وبــين تاخــذها جســراً لغايتــه — في النفع للناس حيث الذكر مشاء
كرمت فينا "محب الدين"[1] بل كرمت — مـن أجـل جهـدك آمـال وعليـاء
أعلنـت دينـك إصـلاحاً ومَحْمَـدةً — فكـان مـن حقـه طـوع وإصـغاء
وكـان بـرءاً جميلا مـن تسـامحه — ومـا كإيحائـه للشـعب إيحـاء
وصنت أخلاق شبان نصون لهم — حبـاً، فهـم لرجـاء المجـد أكفـاء
لم ينكروا فضل ماضيهم ولا جحدوا — تراثــه، فهــو للتــاريخ أنبــاء
ولا اكتفوا بالسنا الماضي ولا قبعوا — فكلــهم همــة للفــتح شمــاء
مـن نـام مـاتَ، ومـن أيامـه عمـلٌ — حي، وهل يستوي موتى وأحياء؟!

[1] هو الأديب الشهير الأستاذ محب الدين الخطيب مستسر (جمعية الشبان المسلمين) ومؤسسها الأول وصاحب مجلتي (الزهراء) و (الفتح).

أمين

رثاء فقيد الصحافة والوطنية المغفور له أمين بك الرافعي صاحب (الأخبار)

رُويدَك أيُّها النَّاعي (أمينَا)! نَعَيْتَ به خِلالاً ما نُعِينَا!
نَعيت لنا مطهرة السجايا وركناً قد حوى (الأخلاق) دينا
بحسب جلالها أنَّا عرفنا معالمها صفات الخالدينا
رويدك! لن نرى للموت حكماً على علم الهداة الجارئينا
فتىً وهب الحياة وغاب لما تغلغل في نفوس الجاهدينا
وكم من ناهضٍ تلقاه يسعى وتلمح حين تلقاه (أمينا)
شباب روحهم منه، وفرض عليهم أن يكونوا الناهضينا
وما مات الذي يحيا ذووه حياة الأوفياء الذاكرينا
إذا مضت الأشعة في غياب فقد تركت لنا صوراً بنينا
مآثر لن تموت وليس يفنى لها وحيٌ، ولن يلفي مهينا
إذا انتسبت (فللإخلاص) حتى غدا (الإخلاص) حارسها الأمينا
مضى الرجل الذي ما خط إلاّ دفاعاً يسعف الوطن الغبينا
له وهب الجهود بلا انقطاع وخلّفها حديث المعجبينا
فكان لنفسه في زهد راعٍ وكان لقومه في الطامحينا
فما عرف الهوادة في حقوق (لمصر) وظل يحرسها ضنينا
وإن عرف القناعة في حياة فعز ولم يعش يوماً ظنينا
فتىً فيه (الرجولة) قد تمادت فعاش لأجلها في المرهقينا
ودام غذاؤه (الإيمان) حتى قضى وله ابتسام المؤمنينا
وراح بثروة التقدير لما أباح لقومه العمر الثمينا
فعاش بمثل صومعة مكباً على التحبير يزجي اليائسينا

يحـــارب باليراعـــة في اطــراد جيوشـــاً أو خصــوماً غالبينـــا

بـه ازدهـت (الصحافة) واشرأبت وكـــان مهـــذباً لمهـــذبينا

ومـــا وجــد الثبــات لــه وفيــاً تحمّــل مثلـــه في الكاتبينـــا

فمـــا بـــالى عــداء النـــاس لمـــا رأى وجدانـــه الـــوافي قرينـــا

ولم يرهـــب بوحدتـــه عـــدواً كقرم[1] يسكن الحصن الحصينا

وهـل عـرف الهزيمـة مـن تسـامى ومـــن دام (الـــيقين)[2] لـــه يقينـــا[3]

* * * * *

أخـــي في الحـــب للـــوطن المفـــدى وفي الأدب الـذي أضـحى حزينـا

فـديت المـوطن الغـالي، فطـوبى لمثلـــك في عـــداد المفتـــدينا

وعشــت القــدوة المثلــى شـريفاً وكنــت لنـــا مثـــال الصـــابرينا

مثـــال أخـــرس الســـفهاء لمـــا تغـــالوا في اتهـــام النابهينـــا

حفظـــت جميـــل ودك في ســـنين فلـــم يـــذبل علـــى رغـــم الســـنينا

ومـــن يـــنسَ الوداعـــة في حيـــاء ولطـــف يأســـرِ المتحاملينـــا؟!

ومـــن يـــنسَ نفـــائس ألمعـــيٍّ حـــوت نخـب الفضـائل أجمعينـا؟

فـــإن الصـــدق حَليتـــه، وأجمِـــلْ بـــه مـــن شـــارةٍ للنابغينـــا

وإن النبـــل شـــيمته، وأعظـــم بـــه مـــن عـــزة لمتوجينـــا

وإن النصـــر غايتـــه، وأكـــرم بحـــزم يمـــلأ الـــدنيا رنينـــا

وإن الصـــبر خِلّتـــه، وأنعـــم بـــه مـــن مســعف للعاملينـــا

مواهـــب في الحيـــاة ملكـــن حبـــاً وبعـــد نـــواك مُلّكـــن الحنينـــا

* * * * *

[1] القرم (بفتح فسكون): السيد العظيم.

[2] التحقيق.

[3] عقيدة.

رثـاك النـائحون وقـال قـوم ... شـبابك هكـذا ظلمـاً أهينـا

وأنـك مـا غنمـت سـوى عنـاء ... لشـعب نبـات نصحك سـتهينا

ومـا عرفـوا قلـوب النـاس، كـلا ... ولا عرفـوا سـكون الثائرينـا

ولا فهمـوا اعتـزازك حـين تلفـى ... وأنـت الشـهم بـين الوادعينـا

ولا هـم قـدروا أن المعـالي ... بـرغم البـؤس رهـن المخلصـينا

ولـو خيِّـرتُ في مـوتي فـإني ... أعـد مماتـك الفخـر الرزينـا

لقـد ضـحيت كالشـهداء حتـى ... لروحـك كلنـا أضـحى مـدينا

صـحائف تنقـل (الأخبـار) عنهـا ... علـى مـر الزمـان لمهتـدينا

موت الجبـن

لا تخـش مـن نُـوَبِ الزمـان فإنهـا ... موصـولة أبـداً بسـر نعيمـه

تهـب العظـات لمـن يشـاء عظاتهـا ... وتفكـه مـن بؤسـه وهمومـه

وتـثير همتـه فيرفـع نفسـه ... عن مستوى الفـاني ونـار جحيمـه

فيسـود أحـداث النوائـب مثلمـا ... يغـزو بإيمـان دهـاء غريمـه

الجـبن والإقـدام في حكـم الحجـى ... الفـرق بـين سـفيهه وحكيمـه!

أنـا وغيـري

(مثال من الشعر المرسل)

إنْ نفسـيَ نفسـي، ولكـنَّ نفسـي ... هـي غـيري لمـا تشـاء الحيـاة

لسـت إلا كنقطـة البحـر تجـري ... في حمـى المـوج لا تطيـق انفكاكـا

فأنـا بعضـه وإن كنـت أدري أنـني غـيره كفـرد سَـوي

وأنـا رهنـه: فـإني إليـه أتنـاهى وإنـني فيـه أجـري

فشـعاري تعـاونٌ وتـآخٍ شـأن حُـرٍّ حنَـا علـى ود حـرٍّ

إنمـا المـرء غـيره في سمـو وحيـاة الإنسـان ملـك أخيـه

والـذي يـرفض التعـاون يحيـا كغريـب وتائـه وسـفيه

أو كغـر مضـى بقـارب خُـوصٍ في ميـاهٍ حيالهـا ظلمـات

حسـب الفـتح في الجهـاد وحيـداً وجهـاد الغـبي فيـه الممـات!

تغلغل في الحياة

تغلغـل في الحيـاة ولا تجانـب مسـاوئها فقـد تحـوي جميـلا

وفـرض أن تكـون بهـا عليمـاً إذا مـا شـئت أن تحيـا جليـلا

ومـن خـاض الرذيلـة في دروسٍ تنـزه عـن عواقِبهـا عليـلا

ولكـن المُجانِـب خـوف ضـعفٍ يـزلُّ ويغتـدي بعـد الـذليلا

فخَـلٌ مصـاحب التسـبيح يلـهو بـأوراد يرددهـا ثقـيلا

يعممـه النفـاق علـى فسـادٍ وقـد تَخِـذَ الهـوى سـراً زمـيلا

وكـنْ رجـل التسـامح والتسـامي وكـنْ أيضـاً لتجربـة خليـلا

فمـن رام الطهـارة في وجـودٍ بـلا رجـسٍ يـروم المسـتحيلا

ومـن شـاء الصـلاح عليـه حتمـاً ليـنجح أن ينقـب مسـتطيلا

ومـا أصـل النبالـة في اعتكـافٍ ولا أن نصـغر الحـظ الضـئيلا

ولكـن في انـدماج الـنفس صـدقاً بـدنياها لتسـديها جمـيلا[1]

---

[1] يقال ألحم ما أسديت: أي تمم ما ابتدأته من الإحسان.

وما كـــان الترفـــع في ثـــراء ولكـــن الترفـــع أن نقـــيلا[1]

تغلغـــل في الحيـــاة إذن وأدرك بأنـــك مـــا بهـــا، وانظـــر طـــويلا

وحاســب عقلــك الــواني إذا مــا تخلّـــى عـــن فرائضـــه بخـــيلا

فـــإن العقـــل معتـــزلاً شـــبيه بـــنجم قـــد هـــوى فغـــدا محـــيلا

ومــا هــذا الوجــود سـوى شـعاع يحجُـــب خلفـــه ظِـــلاً ظلـــيلا

نقـــائض في اجتـــذابٍ واتصـــالٍ وتـــأبى أن نفرقهـــا قلـــيلا!

قـاطع طـريق

(أو ضحية الكوكايين)

تخـذ السـبيل إلى الشـكاة سـبيلا! أرأيـت مـن قطـع الطريـق ذلـيلا؟!

كانـت شـجاعته التَّسـولَ هكـذا! بئْسَتْ شجاعةُ من يطوف سَؤولا!

صـاحٍ وما هـو رهـن صـحْوٍ، إنمـا أمســى النـؤومَ الواقـفَ المشـغولا!

وكأنـــه كالديـــدبان تهـــزه خمـرٌ، ومــا ذاق الشــقي شمــولا

يشكو إلى الغادى الحياة وبؤسـها شــكوى تخــال معيــدها مقتــولا!

وبصـــوته خطــر الملــحّ مهــدداً بينـــا تـــراه المســـتكين طـــويلا

ويكــاد يســقط مــن عيــاء تــارة ويكاد يحسب – إن أراد – مهولا!

والـبرد يقصـره فيرقـص ضـاحكاً لكنـــه ضـــحك يُخـــال عـــويلا!

والـــريح تصـــفر حولـــه وكأنـــه في ملعـــب قـــد شـــوّه التمثـــيلا!

لم يبـق مـن ثـوبٍ يقيـه وصـانه إلا كســـاء لا يصـــون نحـــيلا

---

[1] أن نسعف.

قــد لفّــه لفّــاً فبــان كأنــه | في الكرنفــال، محــوّلاً تحــويلا!
وكأنــه كفــنٌ أطــلّ برأســه | شــبح كعفريــتٍ يظــل قتــيلا!
أو أنــه (إبلــيس) جــاء محجَّبــاً | ومروعــا مــن شــامه مــذهولا!
فــإذا مضــى المغبــون بعــد لقائــه | جزعــاً كمــن لاقــى الــبلاء وبــيلا
ومــن افتــدى بالمــال بعــد لقائــه | أو شــق في خــط الممــات ســبيلا
أوفــى علــى الشــبح العليــل فتــىً لــه | كــالهر خفتُّــه، وســاء خلــيلا
وبمثــل لمــح الــبرق أســعف شمــه | ببطاقــةٍ وتناوبــا المنــديلا!
وتقاســما المــال الــذي اقتنصــا لكــي | يتقاســما الســمَّ المميــتُ الجــيلا
جــرم تجســم في الظــلام مكــررٌ[1] | مــذ كــان بــالموت الكفيــل[1] كفــيلا[2]

* * * * *

أكــذا الحضــارة والمواهــب تغتــدي | عبئــاً علــى هــذا الزمــان ثقــيلا؟!

صــلاة العشــاء

لفردي، الموسيقار الإيطالي الشهير

ردّدي ردّدي جميــل اللوديــا[3] | يــا نعــيم الأسمــاع والأرواحِ
ردّدي للــذين يصــغون للســحـ | ـر وكــل كحــالمٍ وهــو صــاح
ردّدي للصــلاة مــن متــع الألــ | ـحان مــا ســال مثــل معســولِ راح
بــين ســامي الصــعود في نغمــاتٍ | ترفــع الحــس فــوق حــظ متــاح

---

[1] المثيل.
[2] ضامنا.
[3] Melody: أي اللحن العذب.

وقـرار علـى سـلامٍ مـن الـرا ... حـة للـنفس في لذيـذ ارتيـاح
نتخلى بها عن البؤس في الدنـ ... ـيا وعـن نقمـة وعـن أتـراح
ونحاكي الأنغام في اللطف إسرا ... ء إلى غـير عـالم الأشـباح
يـا صـلاة الإسعاد طولي وأحـ ... ـيينا العِشـاء للأصـباح!

وليمتـي

لبيت داعي الهوى من حسنه الزاهي ... ورحـت أشْـوق مشـتاق إلى (الله)
مـدت موائـده حـولي وطلعتـه ... ترنـوا إلـيّ، وإن غابت عن اللاهـي
والناس قد فرحوا بالخمر تسكرهم ... وبالمـدائح، ملقـاة بـأفواه[1]
بينـا (الطبيعـة) ترعـاني وتسـعدني ... ببرهـا المتسـامي دون أشـباه[2]
لم تتل مدحاً على سخر وفي عبث ... ولم أكـن كفتـى بـالوهم تيـاه
لكنهـا عطفـت عطفـاً علـى أدبـي ... وعـانقتني كـدرٍّ بـين أمـواه
فيهـا اندمجت ولم أجحد رعايتها ... علـى المدى، فإليهـا منتهـى الجاه
وقد سـها عن غنـائي من بدائعها ... موتى الحياة وقلبي ليس بالساهي
في كـل أحلامهـا حلـم يشـوقني ... جـم الجلالـة لا فـانٍ ولا واه
ومتعـة مـن معـانٍ لا يسـاورها ... داعي التشاؤم من غافي الورى الناهي
المشـتكي وهـو في يسـر وفي مرح ... وحظـه العمـر بـين البـث والآه
والحاسب السقم أو هماً يلم به ... نوعاً من الرزء أو شبه الردى الداهي
لا أزدري العيش والأتراح حيث أرى ... من (الطبيعة) سلوى حسنها الباهي
ولـيمتي هـذه الـدنيا بأجمعهـا ... فكلـها صـور مـن صـورة (الله)!

[1] شبّه الشاعر المدائح المغررة الكاذبة بالخمر المسكرة التي تلقى في أفواه سامعيها في ولائم الظهور الفارغة. وقد صاغ تعبيره هذا صياغة تحقير.
[2] أي ببرها المتعالي عن الأمثلة.

هنا وهناك

قصيدة ترحيب بأستاذ الأدب والطب الدكتور عبد الرحمن بك عمر – مدير مستشفى الحكومة ورئيس (الجمعية الطبية) بالإسكندرية – في المأدبة التكريمية التي أقيمت له مساء ١٩ فبراير سنة ١٩٢٨ في فندق "سمر بلاس" إثر عودته من رحلة علمية في انجلترا.

رَجَعْتَ لِتُسْعدَ (الثغْرَ) الأمينَا ... فأهلاً يا إمامَ الطبِّ فينا

رجعت وقد مرضت غداة عود ... فلما أن شفيت به[1] شفينا

كذاك الوصلُ فِي سقم غرامٍ ... دفينٍ هيّج الألم الدفينا

قد ازدوجتْ تهانينا وَأوحتْ ... مهنئة العلى لمهنئينا

لقاؤك كان عيداً ثم أضحى ... شفاؤك نعمة لمعيِّدينا

وعدت كعود (أمون) المرجّى ... (لطيبة) بعد أن حرمت (أمونا)

وكالأسد الذي خلّى شُبولا ... موفقة فما كفت العرينا

له شخصية العظماء بينا ... له نفسية المتواضعينا

كشمسٍ تسعد الدنيا وتعلو ... ولا تستصغر الملأ المدينا

حرمنا فِي الغياب جنى حديثٍ ... شهيٍّ ينشر الأدب الثمينا

وعلم مستعزٍّ كم كفانا ... ولو أنا اشتياقاً ما كفينا

وخلقٌ مستطاب إن تجلى ... رأيناه نعيم المخلصينا

يلين بشاشةً ويصد حزماً ... فيعشق هكذا صداً ولينا

عظيم النبل: لم يقتل جريحاً ... بمعركة، ولم ينبذ طعينا

فيرضاه الخصوم رضى صحاب ... إذا احتكموا ويملؤهم يقينا

[1] أي العود.

وما مثلي الذي يخشى اتهاماً فيوجز في صفاتك مستهينا
ولكن قد كفى وصفي تجلّى نُهى (الفاروق) عندك و(ابن سينا)
وما كان احتفاء الناس إلا وفاء، لا غلوٌّ المحتقينا
ومن كانت مواهبه كباراً فما يغنى بمدح المادحينا

* * * * *

ألا حدِّث – وأمتعنا – حديثاً كعهدك راوياً[1] سمحاً معينا
ولا توجز فقد غيبت عنا وطال حنيننا فاجز الحنينا
أسابيع الفراق على وداد تمر[2] كأنما مرت[3] سنينا
بحقك في صراحة مستقلٍ ومعتدٌ بصحب مؤمنينا
أجبنا: هل بلاد (التمز) تحكي بلاد (النيل) أخلاقاً ودينا؟
وما سر المناعة في رباها قروناً لم تزل تتلو قرونا؟
وكيف تعيش أجيالاً مناراً يشع بلا ونى للتابعينا؟
وكيف تدوم في خصب سخيٌ بأذهان وتأوي الخالدينا؟
وهل مجهودها (للفرد) أم هل غدت حيراتها للحاكمينا؟
وهل فخر العظام لها بصيت ومال، أم فخار المصلحينا؟
وهل (للنابغين) بها حياة تذال كحالنا والنابغينا؟
وهل (للجهل) سطوة مستعز على (عقل) يدين له مهينا؟!
وهل للعلم شعوذةٌ تناهتْ فكان جهالة للعالمينا؟!
وهل (للفن) سخرية ولهوٌ وأضحى (الفكر) فيها مستكينا؟!
وهل (للشعر) ألقاب وزهوٌ ودولات تظِلُّ الفاسقينا؟!

---

[1] راوياً: من روى القوم بمعنى استقى لهم.
[2] من المرارة.
[3] تولت.

وهـل (للطـب) مـا نلقـى: دعـاوى تعيـد لنـا زمـان السـاحرينا؟!
وهـل (للمـرأة) القسـطُ المعلّـى مـن التقـديس بـين العابـدينا؟!
فعـزت.. أم غـدت لهـواً ووهمـاً ومظهـر متعـة للمالكينـا؟!
وهـل كانـت (صـحائفهم) خليطـاً مـن الأدران تـؤذي الناشـئينا؟!
وهـل عـادت (كنائسـهم) نهوضـاً فكفّـرت الهـداة الفاتحينـا؟!
وحاربـت (الـذكاء) وإن تغـالى وهـدّمت البنـاة المحسـنينا؟!
وكـم مـن (مالـك) أضـحى عتـواً يـدوس الفـالحين الزارِعينـا؟!
وكـم مـن (خـادم) لم يعـط حقـاً مـن الـدنيا فمـات بهـا غبينـا؟!
وهـل (حريـة الوجـدان) صـدق بهـا، أم أنـه صـدقاً أهينـا؟!
وهـل (للبـاحثين) بهـا مجـال أم ابتـدعت عـداء الباحثينـا؟!
وهـل (للجامعـات) بهـا جـلال وملـك لا يهـاب الثائرينـا؟
تسـود بهـا (الحقيقـة) في شمـوخٍ وقد عدَّت لها الحصن الحصينا؟
فتطبـع في النفـوس صـفات نبـل وتكسـبها الفضـائل أجمعينـا
وتمـنح (للحضـارة) فضـول نـورٍ يـدوم هدايـة المتمـدينينا
وكيـف غـدت (مزارعهـا) جنانـاً ونـور الشـمس يلحظهـا ضـنينا؟!
وأصـبحت (الحيـاة) بهـا نعيمـاً مقيمـاً، و(الجمـال) لهـا قرينـا؟!
وصـار (العامـل) المسـكين قـبلاً معـافى لا يخـاف الآجرينـا؟
قريـراً بـين مصـنعه وبيـتٍ فـلا يلقـى شـقاء المرهقينـا؟
إذا مـا خانـه حـظٌ فعـانى تلقّـى المرشـدين المسـعفينا
فهـل كـانوا بوحـدتهم بنـاء يـؤازر بعضـه بعضـاً أمينـا؟
وهـل أضـحى جميـع النـاس فيهـا علـى سـررِ الهـدى متقابلينـا؟
لهـم فخـرُ (الأمانـة) قبـل فخـرِ ببـأسٍ أو بمجـد الغابرينـا

وكـــلٌّ حقـــه حـــيٌّ، وكـــل ... لـــه فيهـــا حيـــاة الآمنينـــا

كـــأن (انجلـــترا) في كـــل فـــرد ... وقـــد ملـــك البـــوارج والســـفينا!

لنهضـــته الجهـــود بكـــل قطـــرٍ ... حـــوى إخوانـــه المستبســـلينا

تـــرى الإيثـــار مبـــدأه، ولكـــن ... بـــرغم مـــداه لا تلقـــى غبينـــا

فيكـــرم بعضـــه بعضـــاً بـــبر ... ويحيـــون التســـاوي فاخرينـــا

ويحترمـــون (حكـــم الشـــعب) حتـــى ... غـــدوا علمـــاً لـــه في العالمينـــا

فمـــا عرفـــوا الـــتحكّم مـــن فريـــق ... يســـود ولا نهـــى المســـتوزرينا

وفـــيهم مـــن أصـــالتهم دليـــلٌ ... إلى حســـن التوسّـــط ظافرينـــا

إذا ســـألوا: فكـــم يســـدون نفعـــاً ... إلى الـــوطن المفـــدّى والبنينـــا

ولـــيس ســـؤال مـــن عـــاثوا فســـاداً ... لينتفعـــوا، وكـــانوا هادمينـــا!

أجبنـــا! ثـــم حـــدِّثنا بـــوعظٍ ... فأشـــهى الـــوعظِ وعـــظُ السـائحينا

رحلـــت بـــروح تلميـــذ وديـــع ... وأنـــت معلـــم لمعلمينـــا

وعُـــدْتَ لتخـــدم الـــوطن المربّـــى ... مواهـــب قـــد بـــرَهْن المعجبينـــا

ونحـــن الكاســـبون بـــأي حـــالٍ ... زكـــاةً لا تـــرد الســـائلينا

فـــإن تغـــنم فغنمـــك في شـــعورٍ ... بأنـــك تســـعد الـــوطن الحزينـــا

وقـــد حرنـــا بأســـباب نراهـــا ... لعثرتنـــا، فنـــاج الحائرينـــا

بمثلـــك يقتـــدى في درس داء ... ويوصـــف طبـــه لليائســـينا

فـــأهلاً بابتســـامك! ثـــم أهـــلاً ... بعـــودٍ ينشـــر الإصـــلاح فينـــا!

الينبــــوع

La Source

(من تصوير إنجرز J. A. D. – ١٧٨٠م، ١٨٦٧م)

بَلَــغَ التَّخَيُّــلُ منــكِ غايــةَ سُــؤْلِهِ ... وكـذا الحقيقـةُ في الخَيـالِ تَضُـوعُ

هـل كـان للـدنيا سـواك رجاؤهـا ... أو كـان غـير جمالـك الينبـوع؟!

بنـت (الطبيعـة) أنـت، آيـة فنهـا ... فعلـى روائـك فنهـا المطبـوع

تعبـت ملايـين القـرون فأبـدعت ... ووفـت: فكـان سـناؤك المتبـوع

قسـماً بـه لـولاك مـا حفـز النهـى ... داعٍ، ولا صـحب النبـوغَ سـطوع

لـولاك أعلنـت العواطـف يتمهـا ... وقضـى علـى لـب الحيـاة الجـوع

منـك اسـتمد الملـهمون وأثمـروا ... فالأصـل أنـت ومـا عـداه فـروع

فـإذا اعتـززت فـإن عصـرك سـيدٌ ... وإذا أهنـت فعـزه ممنـوع!

ووقفـتِ عاريـةً فكنـتِ أمينـةً ... للحسـنِ حـين عـدوُه المصـنوع

في حافـة النبـع المرحـب مثلمـا ... بالبـدر رحَّـب مـاؤه المسـموع

وعرضت في فتن انثنائك ما اشتهت ... عـين، ومـا سـفكت لديـه دمـوع

وقلبـتِ جرّتـك العزيـزة فـارتوى ... مـن مائهـا الينبـوعُ فهـو زروع

أودعتِـه غرسـاً لظلـك مثلمـا ... أودعتـه ألقـاً يظـل يـروع

والنـرجس النـامي بقربـك مفعـمُ ... عبقـاً، كـذلك لحظـه مرفـوع

وأرى الجـدار قـد اسـتحال مباءة ... للـوحي، واسـتولى عليـه خشـوع

والناميـات حيالَـه مـن خضـرةٍ ... هـي للمحبـة نضـرة وذيـوع

والمـاء – وهـو يسـيل بـين أناملٍ ... لـك – كالحظوظ يفوتهـا المفجـوع

وأرى يمينـك فـوق رأسـك وحـدها ... كالتـاجِ زيّنـه سـنىً وولـوع

وعرفـتُ أنـكِ أنـت نـورٌ أو شـذى ... متجسّـمٌ، مستأسـرٌ، مجمـوع

هـذا هـو الينبـوع، لا النبـع الـذي ... أسـديته روحـاً لـديك يضـوع!

(مداعبة من الشاعر إلى صديقه الأستاذ علي أدهم)

أديـبَ الناقـدين لخـير جيـلٍ يـرى بعُـلاكَ إعـزازَ الكتابَـهْ

تهجّلنـا[1] فباركنـا فإنـا نـرى في الفكـر نوعـاً مـن قَرابـه

وأنـت خليفـةٌ في أرض (منـفٍ) لمـن (للكـون) قـد عـرف انتسابه

ومن جعل "التناقض" في "اتصال" فوحّـد مـا رأى وأبـى اقتضابه[2]

ومـن نسـب "التنـوع" في صـفات "لوحـدة" عـالمٍ جـم المهابـه

ومـا زالـت "رسـالته" حـديثاً يعـيش، ولم يـزل يـوحي خطابـه

ويتلـى في المكاتـب مـن ذويـه بعـزة مسـلمٍ يتلـو (كتابـه)

فباركنـا إذن واعطـف علينـا لعلـك ناشـر بـر الصـحابه!

لعلـك تثبـت الإيمـان فينـا فعنـدك يـذكر الإيمـان بابـه

نـئنُّ بفقرنـا... هـل كـان وهمـاً وعنـدك يرتجـي العـاني صـوابه؟

فـإن كـان "التناقض" محض وهـم فبلغنـا الغنـى وابعـث حسـابه!

وخـذ منـا إلى (هجـل) خضـوعاً إلى الأبـد القصـيٍّ ونـل ثوابـه!

ولا تطمـع بإيمـانٍ إذا مـا عـددت رجاءنـا هـذا دعابـه!

إذا عـدم الفقـير الحـظ عمـراً فمـا نسـي النعـيمِ ولا سـرابه!

---

[1] أي تمذهبنا بمذهب (هجل) وهو الفيلسوف الألماني الشهير (١٧٧٩م - ١٨٣١م) صاحب المذهب القائل بأن كل ما هو معقول حقيقي، وكل ما هو حقيقي معقول. وكان يعتقد بوجود وحدة مطلقة تتألف حقيقتها من التمثل المتنوع في الأفراد. وبعبارة أخرى كان يعتقد أن الوحدة والتنويع كلاهما لازمٌ للآخر. وقاعدته الثلاثية الفلسفية هي: التأكيد، فالتناقض، فالتأليف. ونظريته من أوفق النظريات للتقريب بين المتناقضات الظاهرة في الحياة. وهذه نقطة الدعابة بين الناظم وبين صديقه الأستاذ علي أدهم أشد المنتصرين (لهجل) في مصر.

[2] أي وأبى قطع الاتصال.

مناظرة وحنان

(نموذج من الشعر المرسل المتنوع الوزن – أي الشعر الحر، free verse – في وصف حسان أوروبيات ازدنّ بالأزهار وجلسن يتاملن في المرايا تجاه بعضهن في مجتمع عام.)

..... وجلسن بين تناظرٍ متأملاتٍ في المرائي

فلم التناظر؟

الحسن وحدته تجلٍ وإن تنوّع أو تباين

فله الجلاله!

وللمحبين أشواق وتقديس

هيهات يحصرها داع إلى حصر!

فالحسن سلطان، والجوهر الأسنى

لا قسمة المظهر،

مهما ازدهى وغلا!

وكأنما الأزهار أيضاً قد حنن إلى التناظر!

ما كن حليتهن، لكن كن رسل العاشقين

وكأن كلا تشتهي أبهى التفوق في الملاحة

وكذا الحسن ليس يتبع آخر،

بينا الأسارى التابعون على افتتان رهن رحمه!

أنظر إلى الأزهار!

أنظر جميل التثنّي!

وضعن في الأكمام

وكن بين اهتزاز ونشوة من غرام!

والزهر كالناس يهفو إلى الثغور الجميله!

فيا بنات الرشاقه!

إرحمن أزهار حب حياتها للجمال!

وقد كفاكنّ أنا ضحية الحرمان

فرحمة بالأزاهر!

فإنها ترجمان وإننا القارئون

وإننا العابدون!

عطفاً عليها لتحيا!

عطفاً عليها بقبله!

كأن هذا نعيم لنا وإن غاب عنا!

محبة الحسن لا تقضى بإيثار

ومن أحب (الطبيعه)

رأى نعيم سواه كمتعة قد أتته!

دعن المرائي إذن وانظرن في الأزهار

تنظرن أرواح ناس قلوبهم كالأزاهر!

محـــرر الفــلاح

(أحمد لطفي السيد بك)

عَلَّمْتَـــــهُ بــــــالأمْسِ أنَّ بِـــــلاَدَهُ ... لــن تَسْــتَعِزَّ إذا اســتمر التَّابعــا

فغــدوت أنــتَ لــه المــدين بمأمــل ... حتــى يصــير بــك الأعــز الــدافعا

ومـن العجائـب في الحيـاة لفـاتحٍ أن لا يـرى في الفـتح حظـاً ذائعـا
كونـــت للفـــلاح نبـــل ضـــميره فيمـــا د.بـوت، ولا يـــزال الطامعـــا
فـإذا رجعـتَ عـن الجهـاد تركتَـه في غصـة يلقـى المصـائب جائعـا
وإذا وقفتَ — ولا وقـوف لنهضـةٍ — آلمـــتَ أبصـــاراً لنـــا ومســـامعا
وإذن فمـــا أولاك أنـــت بعزمـــة فيمـــا بـــدأت محـــرِّراً ومقارِعـــا
حتـى يصـير أبـو الحيـاة بقطرنـا حيـــاً، وروحـــاً للمـــآثر شـــائعا
والشـعب إن يغفـل حقـوقَ صـغيره أضحى الكبير بـه الصغير الضـائعا!

خلود الوفاء

إذا مـــا ذكـــرتُ خُلُـــودَ الوفـــاءْ ذكـــرتُ اتّصـــالَ النفـــوسِ الوفيَّـــهْ
لهـــا وحـــدةٌ مـــن نهـــىً أو إخـــاء تعـــيش بعيشـــتها في البرِيَّـــه

* * * * *

فلـــيس الوفـــاء إذنْ كالجميـــل ومـــا هـــو إحســـان حـــرٌ لعبـــدِ
ولكنـــــه طبـــــع روحٍ أصـــــيلٍ تـــــوزع، لكـــــن لـــــردٌ وردٌ

* * * * *

فـــلا تـــرجُ يومـــاً وفـــاءً صـــحيحاً يـــدوم ســـوى مـــن فـــؤاد شـــقيق
ولا تُجْـــزِهِ عنـــد بـــر مـــديحاً فتمـــدحَ نفســـك مـــدحَ الرقيـــق

* * * * *

ولكـــن عليـــك صـــلاحُ الأنـــام فينمـــو الإخـــاء وينمـــو الوفـــاء
فـــإن ســـلِما عـــزَّ ملـــك الســـلام وصـــار خلـــود الوفـــاء الرجـــاء

تشـــاؤمي

تشَاءَمْتُ حتّى قد وجدتُ تشاؤُمي تفاؤلَ مَنْ ينأى عن العَرَض الفاني
وكم من همومٍ مُرةٍ قد شربتها لنفسي وغيري في الحياة كإنسان
وما غاب عني ما بها من مسائر ومجمع آلام ومعرض أحزان
ولم أنسَ يوماً ما حيالي من الأذى إذا نسي الثاوي بجيرة بركان[1]
ولكنني وجهت بحثي وخاطري إلى خلف ما تبدي الحياة لوسنان
إلى ذلك الصفو اللباب من الحجى إلى الأمل الحي المهيب بوجداني
إلى ما وعت دنيايَ من روحِ خيرها وعاملِها الساعي ومُصلِحها الباني
إلى قوة غلاّبةٍ ليس ينتهي لها عمل الإنشاء والهدم في آن
فأبصرتُ روحاً للجمال مجدّدةً وأدركتُ أنا للجمال كقربان
فعزى فؤادي أن أكون ضحية وأن يهب التجميل للكون حرماني
وإني إذا ما متُّ خلّفتُ حبرةً لدنيايَ تستهدي بها بعد فقداني
فيكسب نوعي[2] بعد خسري، وربحه أجلُّ، كأن الخُسر ليس بُخسران!
فأصبحْت حرّ النفسِ أستمرئ الأسى ووجدي، كأن الهم غاية سلواني!
وأيقنت أني صنو دنيايَ، فالذي ترجّى رجائي، وهي رشدي وحسباني
وما خفت موتي كالغريب الذي قضى وحيداً، فعمري والمنيَّةُ سيان
حياة على الآباد تبقى بنوعها وما عدمت للخلد أسطع برهان
فلما اطمأن الفكر ضحّت عواطفي بأنسي ولذّاتي وأجمل ريحاني
وأمتعت روحي بالنعيم الذي أبى سخاء بوحي للعتيّ[3] وللجاني

---

[1] أي بأماكن مجاورة لبركان.
[2] أي النوع الإنساني.
[3] الظالم الغاشم.

وما لاح إلا لامرئ عافَ إثرة فعُدَّ شقيَّ الحظ وهو هو الهاني
فيا بؤسَ زُرْ والهمّ قلبي وعذِّبا فلن تهدما يوماً معاقل إيماني
تذوقت مر العيش حتى جعلته دوائي إذا ما الخطب أقبل يغشاني
ووزعت روحي في الوجود بأسره فبات جحيم العيش أنضر بستان!

وطن الضباب

(إنجلترا)

عَدُوكِ دارَ الضَّبابِ ولذَّتي في ضَبابِكْ
قد كان شبه سياج إلا لدى أصحابك
ما ضاق صدريَ منه بل ضاق بعد احتجاجك
وكنت في الأسر حراً والآن رهن ببابك
من عاب لم يدر معنى علاك أو آدابك
الحسن فيك عزيزٌ متوّجٌ بهضابك
والمجد فيك أصيل في الناس مثل ترابك
بناك خلق أبيّ يصون سحر شبابك
فكان عيشي صلاة لديك في محرابك
و(التمز) ديوان شعرٍ مخضَّبٍ بخضابك
والريف مرآة طُهرٍ ممثل في كعابك
يروي النفوس حبوراً كريِّهِ من سحابك
والغرس فيك شموخٌ أليس من أحبابك؟
وكل ما فيك حي، لأنه من كتابك

* * * * *

من مبدلي شمسَ (مصرٍ) بنفحة من ضبابك؟!

الممات

عرفتُ (المماتَ) صديقَ العليلْ وإنْ كان يُجْحَدُ هذا الجميلْ

كريمٌ ولكنه كالبخيل إذا ما تباطأ عند الجواب!

* * * * *

يداوي وإن كان منه الجروح فروحٌ تُسرُّ وأهل تنوح

فيا آسياً برؤه كالقروح شكرتك شكر الثرى للرباب

* * * * *

شكرتك إن كنت تعنى بسؤلي وقدرتني مثل خِلٍّ لخلٍّ

فما سُمْتَني حال حزن وذل ولكن حميت فؤادي العذاب

* * * * *

تمر السنين بوعد اللقاء ولا شك أنك رب الوفاء

فهل لك – يوم تلبي الرجاء فتأتي – التودد مثل الصحاب؟

* * * * *

فتنبئنا مؤذناً بالوفود لكي نتنكّب عما يعود

لوعدٍ، فتنصف هذا الوجود وننصف أنفسنا في التراب؟

* * * * *

تقابل لا بانتضاء السيوف ولا بالأغاني ونقر الدفوف

كما في الدُّجُنَّة وحشٌ يطوف -ولا كالوحوش-ويفشي الخراب!

* * * * *

كأن الورى عند فوت الأجل أمامك في الروع صرعى الشلل

نسوا ما الدفاع وسر الحيل نسوا ما عداك ووقع المصاب!

* * * * *

ولكنني من عجمت الحياة ورضت الحظوظ وذقت الممات

ومن نغم البؤس شعراً، فبات غذائي، أنغم هذا الشراب!

* * * * *

ولن تتقصَّف مني الضلوع بحسرة عانٍ وقلب مروع

ولكن ألاقِيك بين الدموع كأني ألاقي أحب الكعاب

* * * * *

وأنهل من قينةٍ في تحية شهيّ العزاء لنفس شقيه

وأصدع عن نفسيَ المستحيّه قسية[1] أغلالها كالشهاب

* * * * *

وما كل سؤلي سوى أن أُوفي ديوني لجنسي وأهلي ونفسي

فما كان عيش الغطاريف[2] يكفي أبياً يرى اللهو عيش الذباب!

* * * * *

فدعني إذن كي أوفي ديوني فأسلم من لؤم ناس وهون

وإن عد سؤلي شبيه الجنون بفوضى الحياة التي لا تعاب!

* * * * *

حياة تمر وقد لا تعود بصورتها في مجالي الوجود

فلست أودِّعها في جحود ولست أودِّعها في ارتياب

* * * * *

ولكن أودِّعها في يقينٍ بأني خليٌّ ولست المدين

بروحٍ طليق ولب رصينٍ يشق السبيل له في الضباب!

* * * * *

---

[1] قسية: زائفة.

[2] بمعنى الغطارفة: مفرد الغطريف وهو السيد وأيضاً بمعنى الذباب. والمناسبة واضحة في الشطر الثاني للبيت.

وحينئـــذ لا أهـــاب انتقـــالي ولا أتجـــانف[1] يـــوم ارتحـــالي

عن النفـي دهـري وعـن فقـد مـالي مـن الحـظ أو مـن بقايـا الشـباب!

* * * * *

فـــأترك خلفـــي مـــآثر عمـــري شـذا الزهـر بعـد انـدثار الزهـر

يبـــث لشـــم، وحـــب، وفكـــر وتُتلـــى طرائفـــه في كتـــاب!

بلاسكو إيبانز

(١٨٦٧م – ١٩٢٨م)

(بلاسكو)! تَمُوتُ اليومَ في النَّفْي بينما تعيشُ بدُنْيَا قد ملكتَ وأوطانِ

وترثيكَ آلافُ العقول التي نمت بنورك في ليل من الخوف لهفان

ويسكنُ هذا الصدر بعد اعتياده طليقَ الهواء الصفوِ في قرب غدران[2]

عنتْ رئتاكَ اليومَ للموت بعد ما تعودتا حريةً دون إيذان

فيا أسفي للحر يمضي كعبده ويا ألم العقبان في موت غربان

وإن كان في موت العظيم مهابة يحس بها النائي ويلمحها الراني

ويذهل في تكييفها كل باحث ذَهولِ جبان عند وثبة طعَّان

تموت ممات الخلد وهو خرافة وحق، كأن الخلد والموت سيان

تهز نفوس العَابدين جلالة لحكمتك الكبرى بحيرة إيمان

كأن لم تكن بالأمس أنت عزاءهم ومبعث هم للتجدد في آن

---

[1] ولا أتمايل.

[2] مات بلاسكو إيبانز الأديب العالمي الجمهوري بالتهاب رئوي مفاجأة في كرمته بمنتون (بالريفييرا بفرنسا) يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٢٨م على أثر مرضه الذي لم يمهله سوى أيام ثلاثة، وكان منفيا من وطنه أسبانيا أو هاربا من الاضطهاد لدعايته الجمهورية.

وواصِفَ دنياهم بخبرة سائح ... وواصف أُخراهم بدقة فنان

و (بالمثل الأعلى) فتنت، وزدتهم ... من الفن فتاناً يضيء لفتَّان

فلاع بدع إن رِيْعَتْ قلوب ذكية ... ولا عجب فِي لوعة جنب نكران

مماتك إصغارُ الهوانِ لعالمٍ ... من الفكر قد لاقى الوجود بعصيان

فمثلك ترثيه البرية، إذ ترى ... منيتَهُ للعالمين كعنوان

وترثي به آلامها ورجاءها ... وأجرأ إنسانٍ، وأرحم إنسان

وما مدمعي هذا سوى قطرة جرت ... إلى سيل إشفاقٍ، إلى بحر أشجان

وأنت لهذا الكون تُعزى، فواجبي ... وفاء لمن بالفكر يرفع من شأني

بكل ربوع الفكر قامت مناحة ... وإن حجبت، فاقبل لواعج عرفاني

* * * * *

كبير العلى! ما قيمة العمر والعلى ... سوى فِي وفاء الكون من مصلحٍ بان

وأنت منحت الكون أضعاف مَنحِه ... جَنانك، حتى كنت أكبر جنَّان[1]

وبرهنتَ برهانَ النبوغ موفقاً ... بأنك من يأبى الحياة كإحسان!

فوفيت ديناً ثم زدت، فهل لنا ... بأن نسأل الدنيا الوفاء بحسبان؟

أم النبل أن نرقى برتبة نوعنا ... ونتبع هذا الرشد منك كفُرقان؟

شخوص بلا حصرٍ وصفت محللاً ... كأنك رسامٌ لمقبل أزمان

لتنتفع الأقدار من وصفك الذي ... به الدرس والتبيان معجز إتقان

وتقتبس الأجيال من علمك الذي ... تنوع تطبيقاً لرفعة وجدان

ولو كنتَ خلّاقاً بدنيا جديدة ... لكنتَ بهذا العلم خالقَها الثاني!

* * * * *

نشأت بحكم العسف حراً شعاره ... إخاءٌ وتحريرٌ لفكرٍ وعبدان

---

[1] الجنان: البستاني.

فأصليتَ من خاصمتَه النار ثائراً ... بمنطقك المتبوع من حب شبان
وكنتم شفاءً للجروح، وكنتمو ... على الظلم مدحوراً قذائف بركان
ولكن رماد النار ينسى، وهكذا ... نسيتم، فأصليتم مجدد نيران
وذقتم من السجن الوبيل مصائباً ... وأسراً وتحقيراً، كزمرة جرذان[1]
عناء به أثبتَّ حقك في العلى ... فما دانت العلياء يوماً لغفلان
وصرت وصحبٍ ناصروك أعزة ... لشعبٍ رأى التكريم أجدر بالعاني
تجشمت أهوالاً، فما دنت مرة ... لظلم، ولا كنت المذبذب والواني
نشأت العصي الذمر[2] منذ حداثةٍ ... ترى العارَ عيشَ الجبنِ في ظل طغيان
ترى الطوعَ للإصلاح والعلم عندما ... يصون أماني الناس من خبث شيطان
قضَيت الشباب الصفو ظمآن ثائراً ... ومُتَّ ولم تهدأ بحرقة ظمآن
ومَان اليراع الحر نَهْذَمَ فاتحٍ ... وصمصامة الساعي إلى الخطر القاني
جريحٍ، ولكن صبره جُنة[3] له ... تدرَّعه، والجرح شارة فرسان
وما رتَلُ الأزهار[4] أشهى لفاتح ... وأغلى من الآلام في رفع بنيان
كفتك غنىً في النفس أو عزة لها ... فإن الغنى أن لا تحن لغنيان
وقد كنت تاجاً للقناعة في الغنى ... وأحسب هذا التاج زينة تيجان
وكنت أميراً في الصحافة فاغتدتْ ... بسلطتها تعلو على كل سلطان
تهز العتيَّ الظلم وهو مدرع ... وتهدي إلى الألباب طاقة بستاني

---

[1] إشارة إلى ما ابتلى به وأصحابه من تعذيب وسجن في صباه إذ كان متحمساً بشدة يدعو إلى الحكم الجمهوري ويحلم بإنشاء نظام كنظام الولايات المتحدة في بلاده، فما كادت تهبط حرارة الحركة الجمهورية حتى أذيق ويلات الانتقام، ولكن عقيدته لم تتزعزع برغم ما عاناه من شدائد.

[2] الذمر (بكسر فسكون): الشجاع.

[3] جنة (بضم الجيم): ترس.

[4] المتناسق: المنتظم حسناً منها.

وكنت المعين الغمر تسقي ظوامئاً ... إلى الحق حيث الحق سلعة دهقان[1]

وكنت الذي خلى النيابة رتبة ... تجل، ومنه الوحي شع لأقران

مراراً تجلى في النيابة بينما ... (بلنسية) الحسناء تزهى بتبيان

إلى أن تنادى النابهون وقدروا ... جلالك في حبٍ بذلت وعدوان

فسرت إلى (الدنيا الجديدة) حاملاً ... لواء النبوغ الفذ في عزم يقظان

تلبي نداءً من قلوبٍ كبيرةٍ ... تجلت ألوفاً في حفاوة لقيان[2]

فلقنتها ما شئت من أدب العلى ... شهوراً بتطوافٍ وكنت بها الهاني

وكانت بك الأخرى على نعمة الهوى ... فطبت وطابت في وفاء وتحنان

وساقتك شوقاً للفلاحة نزعة ... إلى الفن قبل المال أو يسر خلصان[3]

فكم حن للأرض الذي عز فنه ... حنينَ الذي يعنو إلى وجه ديان!

وعاد إلى حب (الطبيعة) خاشعاً ... فتاها الذي ناجته من بين خلان

فمن ذا الذي ينهاك عنها بنقده ... إذا كان في حسٍ ولذة ضحيان[4]؟!

مساع له فخر الجهاد، وهكذا ... حياتك أمثال تزف لشجعان

منحت(بتاجونيا) فتوحاً جليلة ... من الخصب معواناً لنصرة معوان[5]

وعدت إلى نهر الحياة موزعاً ... نضوجك في علمٍ ودربة إمكان

فما أبت للتحريض ناراً، وإنما ... مزجت لهيب السخط بالأدب الحاني

قصصت حياة قد بلوت ضروبها: ... فمن طوع أوهام إلى رفع أوثان

---

[1] الدهقان: التاجر.

[2] لقيان: استقبال. إشارة إلى الحفاوة الحارة التي وجدها في (بيونس آيرس) حيث استقبله ثمانون ألفاً من مريديه.

[3] الخلصان: الأخوان الأوفياء. ويستوي في هذا اللفظ المفرد والجمع.

[4] ضحيان: مستمتع بالنور.

[5] أي الشعب الأرجنتيني الذي أحبه، وبتاجونيا من مقاطعات الأرجنتين حيث أنشأ بلاسكو إيبانز مستعمراته الزراعية.

وكيفَ بها الإنسان رغم حظوظه يسوق إلى أنثاه أجمل قربان
وكيف رجال الدين يبنون دورهم على نقض ما للعلم من شمٍّ أركان
وكيف جنت هذي السياسة دائماً على الناس حزناً لا يقاس بأحزان
ولما دعا داعي الحضارة للوغى[1] بذلت ولم تعبأ بصفقة خسران
وضحيت ما ضحيت من جهدك الذي كفى سُرر الآداب من رفعة الشان
وكانت به أولى، ولكن بذلته لظنك أن السيف ليس بخوَّان
فكنت تراعى كاللغيف[2] وقد مضى لصوص الوغى بالنصر في فرط كفران
وألفت سفراً ينصر الحق نشره فذاع كإنجيلٍ، وضاع بنسيان
وما زالت الدنيا بشرٍّ، وما انقضت عروش، وإن ثُلَّث عروش لبلدان
وما برح (الغرب) الشقيّ مرقصاً على الجمر محجوباً[3] بحجاب بهتان
وما فتئ المنهوب يرضى بحظه من النهب باسم الملك أو باسم صلبان
وما كان كل العدل في صف جيرة ولا كان كل الجرم في صف (جرمان)
ولا كل أذّان بدعوى حضارة أصاب كما تحيا الصلاة بأذّان[4]
ولو كان (دنتي) في الحياة لصاغها مهازله الأخرى بأروع ديوان!
فاشجاك ما أشجى قلوباً كبيرة وآثرت عيش النفي بل عيش إمعان
ولم ترضَ يوماً أن تكون مطيةً لشهوة حكّامٍ، فكنت كميزان
وكنتَ مليكاً دون تاجٍ يهابه أولو البغي: من عاشوا بلذة إثخان[5]

---

[1] إشارة إلى الحرب العالمية وانتصاره للحلفاء.

[2] اللغيف: من يحرس متاع اللصوص ولا يسرق معهم، وكتاب الحرب المشار إليه هو المسمى (الفرسان الأربعة) وقدراج رواجها نادراً، ودر خيراً كثيراً على ناشره الذي كان اشترى حق الطبع من المؤلف بمبلغ تافه.

[3] أي الجمر.

[4] الأذان: الأذين، والصيغة وضعية للمبالغة كعليم وعلام.

[5] الإثخان: المبالغة في القتل.

شـريدٌ، عزيـزٌ، مسـتقلٌ، شـعوبه
أعـم مـن الحصـر المخص بابـدان

وميراثـه للنـاس مـيراث ماجـر
أبى خسرهم، وهو المصاب بحرمان

قضـى حـرداً[1] في معزلٍ عن ربوعـه
وإن عاش في كون من الفكر روحاني

يفكـر في تـأليف دنيـا فتيـة
كتابـاً، ويحكـي مـن مـداه لفتيـان[2]

فعاجلـه المـوت الـذي غـال قبلـه
كنـوزاً أو آيـات أو نفـس أذهـان

وخلفنـا في حـيرة الشـك والأسـى
من الأمل الباقي إلى العرض الفاني

* * * * *

فيـا راحـلاً، والعـالم الحـرُّ نـادبٌ:
صديقك والخصـم المعاند صنوان

فإنــك فنــان وللفــن حرمــة
وإن أخطأ التقدير في حال إدجان[4]

ولا بـد مـن تـاج بكـى لـك خلسـة[3]
كمـا نحـن أسـوانٌ يبـث لأسـوان

ومـا كـان فينـا كـاره التـاج إنمـا،
جزعنـا لأن يطـوى النبـوغ بأكفـان

وإنـي كفـرد أشـتهي مـن يـذمني
إذا كـان مفتنـاً بأسـلوبه الشـاني!

فكيـف بـذي بـأسٍ عـلا عـن شماتـه
وإن كان مضطراً إلى خطة الجاني؟

ولـو كنـتُ في قـدرٍ كقـدرك لم يكـن
رثــائيَ إلاّ قصــةً ذات ألــوان

أضـمّنها إقـدامك العمـر، مثلمـا
أضمنها ما لاح من مجدك الثاني

وأروي حنينـاً مـن تـراب بمـوطن
بعيـد، ومـن شمـس لديـه وريحـان

وأحكي فخاراً في ثرى مدفنِ العلى
(بمنتون) إذ ضم (الحياة) بجثمـان

علـى لا الممات اليوم رغم شكوكنا
يجــازف مزهــواً بأسـوإ إعــلان

---

[1] حردا بكسر الراء: منفردا.

[2] هو كتابه الأخير المسمى (شباب العالم) وكان مشتغلا فيه قبيل مرضه وكان يتحدث عنه حتى دقائق قبل وفاته.

[3] إشارة إلى تقدير الملك ألفونسو له برغم عداء بلاسكو ايبانز للملكية، وبرغم تأليفه كتاباً ضد مليكه بالذات إذ وصفه بالألعبان!

[4] الإدجان: حالة إلباس الغيم الأرض وإقطار السماء والمطر الكثير (القاموس المحيط) والمعنى المقصود: حالة الظلام والاضطراب.

ولا الفيلسوف النافذ الرأي يدعي ... يقيناً بعقباها، ولا شرط إيقان

ولا الملك – الرافيك رغم قطيعة – ... ليجحدها، أو يزدري بأسها الداني

فحسبي إذن شعر العواطف والأسى ... فإني إذا حاولت وصفك أعياني

وما الشعر إلاّ للجمالِ مآله ... وسيرتك العلياء زينة أوزاني

وما الشعر إلاّ الحس بعد حدوده ... وقد كاد حسّي في وفاتك ينعاني

وحسبك موتاً لفظة الروح هادئاً ... على صدر من راعتك من غير نشدان[1]

بذلت لها حب الحياة بأسرها ... فجازتك براً لا يقاس بأثمان

وحببت الموت الأليم لكاره ... وأعطتك صفو الموت من حب أوطان

جوابي

عَدَدْتُمْ ثَباتي في يقينيَ ضلَّةً ... أصَبْتُمْ! فخلُّوني إذنْ ثابتاً وحْدي

لعمريَ ما باليتُ يوماً بجمعِكم ... خصيماً، كأني شامخاً لست بالفرد!

ولكنما باليتُ عمري بمبدئي ... ففي مبدئي عرض وأكرم ما عندي

وأوذيت حتى قد تمتعت بالأذى ... وبالحسد المشقي، وبالألم المردي!

ولم أكترث بالغامطينَ وحربهم ... وإن أنا أدبت المنافق عن عمد

سبيلي قويمٌ لا ضلال بنهجه ... وما كان رجمي ما يثبط من قصدي

فإن كان لي في جرأتي وصراحتي ... وفي تضحياتي ما حملتم من النقد

وإن كان حبي للحقيقة سنة ... وما حبها إلا التعالي بلا حد

وإن كان سبقي وابتكاريَ ذلة ... ولم أر كالتجديد أقرب للجد

---

[1] إشارة إلى زوجته، فإنه مات واضعا رأسه على كتفها، وكان يحادثها ويحادث ولديه قبل وفاته المباغتة.

فلا خير لي في مدحِكم بسلاسلٍ فإنَّ مديحَ العبدِ أصلحُ للعبدِ!

وأهلاً بطعني حين أمضي مسدداً خطاي، وأقضي بعد سد على سد!

وما خدم الأحرار مثل خصومهم ولا خدم الإبداع مثل ذوي الحقد!

وحسبيَ أني منتج من حشاشتي مآثرَ نفسي للمآثرِ من بعدي

ولستُ أحاكي من شكوا في قبورهم ولا أنا مثل القرد يفتن بالقرد!

أسير مسير النجم والرجم حوله وهيهات ينبو عن مدار وعن وعد!

وما فقده إلا اندماجاً بصنوه وهل كان فقد النجم نوعاً من النقد؟

ولي مذهبي، لا أستطيع خيانةً له، أو عزوفاً عن رجائيَ أو ودي

وما ضرني أن تجهلوا ما أردته وأن تنكروا أو تبخسوا ما به مجدي!

فحسبيَ أني طابعٌ نهضةً بدتْ بطابَعي الفنان في المثل والضد

يسير بها شعري الطليقُ محرراً وإن كان بعض الناس ينعم بالقيد!

وأبى مصف الناس في غير نشوة من الزهو، لكن في نُبُوٍّ عن الغمد!

فإما أشق الكون طوعاً لمهجتي وإما أشق اللحد في موت معتد!

آمــــال

(تهنئة من الشاعر إلى صديقه الإستاذ علي أدهم بعزيزته (آمال) في الذكرى الأولى لميلادها — ١١ فبراير سنة ١٩٢٨)

أخي! طربتُ لعيدٍ أنتَ خالِقُهُ فاقبلْ تحية آمالي {لآمالِ}

عيد تهشُّ له عيد نكرمه وقدره فوق قدر الجاه والمال

يكفيه زيناً صفاتٌ منكَ زاهيةٌ تشع في جيلنا الراجيك للتالي

يكفيه حب أبٍ وافرٍ لفلسفةٍ ... كأنها بنته الأخرى لإقبال

وحبه أدب التاريخ يرفعه ... كأنه إبن له في بره الغالي

عام مضى وله الأعوام تالية ... أجزاء ديوان شعر باسم حال

حتى تزف بيوم العرس نرقبه ... إلى محب العلى من حبك العالي

وما جعلت نظيمي طوع تهنئة ... لكن جعلت نظيمي طوع إجلال

وأنني والد أحنو على ولدي ... وأنت في الأدب المحبوب من آلي

على باب المستشفى

(في يوم الزيارة للسيدات)

أُعيذكَ من وقفةٍ أشبهتْ ... بروعتها يومَ حشرِ الأنامْ

وقد شمل الحشد شرّ السواد ... ملاءاتَ نسوتنا في ازدحام

وقد أوصد الباب حتى يحين ... قدوم الطبيب، فزاد الزحام

ولم تمنح الشمس من نورها ... جمالاً ونوراً لهذا الظلام

فأنّى التفتَ وجدتَ السواد ... وأنّى نظرتَ رأيتَ الخِصام

مئاتٍ تكفنَّ في لبسهنَّ ... وفي جهلهنَّ بموتٍ زؤام

تفوح الروائح من نتنهنَّ ... "مفتقة" من خبيث الطعام!

وأطفالهنَّ بشبه اختناقٍ ... وأنا فهنَّ بشبه اصطدام

وحام الذباب عليهنَّ لما ... تصبَّبن من عرق في انتقام!

كما حام بعض الرجال الألى ... يحبُّون في العيش رزق اللئام

ومن ذلِ من باعةٍ روَّجوا ... صنوفَ الغذاء الشبيه السمام

فلما أردت المضيَّ لبيتي ... وروعت من خوف هذا الصدام

دفعت صديقي الذي زارني أمامي وقلت: "عليك السلام!"

قال: "تفضل!" فقلت: "عفاء عليَّ إذا كنت غر الأنام

فإنك أولى بفضلٍ فدعني بسيري تباعك يا ابن الكرام!"

فسار وسرت فلما خرجنا من الحشر كنا فقدنا الكلام!

النبوغ السجين

(إلى الصديق الشاعر العبقري الأستاذ عبد الرحمن شكري)

إذا جحدَ الفَذَّ النُّبوغَ مُعاندٌ ففي الكونِ مِنْ برِّ النُّبوغِ حسيبُ[1]

وأنتَ برغم الصمتِ أفصحُ شاعرٍ يئنُّ فتبكي للأنين قلوب

وينتقص الحسّاد آيات خلده فيزدادُ مجداً في الخلود يطيب

تبسّم ولا تحزن بدنيا عبوسة فإنك قبلي للنفوس طبيب!

ولا تشكُ من لؤم الأنام فإنما شهادة نبلٍ أن يذم أريب

تقبل إذن مني تهانئ مخلص على القدحِ، فهو المدح، وهو عجيب!

مضت زمر الأعوام والدهر عاصف وقلبي على مر الزمان حبيب

وما خذل الألباب مثل تحاسدٍ فذلك داء للنبوغِ مُذيب

لقد حفر الشاني بذمِّك قبرَه ويفعل غر ما يعاف لبيب!

وعيِّر حيناً بالشذوذ وما دري بأنك في أقصى الشذوذ أديب

فعد يا نبيَّ الشعرِ للشعرِ هادياً أتسكت والشعرُ الكريمُ غريب؟

سجنتَ نبوغاً عاش طلقاً بطبعه فكل محبٍ يرتجيك كئيب

[1] حسيب: محاسب.

وقد راح عهدٌ كان للوهمِ بأسه ... ونحنُ بعهدٍ لا يسود مريب
إذا أنت خاصمت الوجودَ جميعَه ... فلي بوفائي من هواكَ نصيب!
وإني الذي يبكي على جرحِ غيره ... وما لي على جرحي الدفين نحيب!
وأحمد غيري إن أجاد وبذّني ... فإني لتقديس الجمال طليب[1]
وكل فتوحٍ للجمال أعده ... فتوحي، وخصمي إن أجاد نسيب!
فكيف بمن أخلصته الودَّ غائباً ... وهيهات عن لبي نداه يغيب؟
تحييك رغم السخط كل سنية ... من الكون، والكون الشكور رقيب
فحظك مستور، وفي اسمك رمزه ... وكم لك من شكرٍ وليس خطيب!
فدعني إذن أهدي الثناء معبراً ... عن الفن، فهو الكون وهو خصيب[2]
ودعني أرجّي من ودادك عودة ... إلى الفن، فالفن العزيز سليب
وأنت سماويّ الشعورِ، ومن له ... شعورك للحب الصميم يجيب

فانسي – *Vannessi*

(الراقصة الفاتنة الشهيرة)

وقفةٌ لِلحُسْنِ عاريةٌ ... وافتتانُ الحُسْن فتّانُ
صوروها منكِ في عجب ... من ضياء، وهو ألوان
كنت (حواء) مجددة ... وجنان الخلد إيقان
لونها[3] الفلّي مازَجَه ... من رحيقِ الحب فنان

---

[1] الطليب: الطلوب: أي الكثير الطلب.
[2] رحب الجناب كثير الخير.
[3] أي لون حواءَ المجددة.

عصبت رأساً معززة	كلها ورد وريحان
ثم مدّتْ ساعِدَيْ أملِ	وهي نشوى وهو نشوان
نثرت بالراحتين لنا	زهرات فهي ندمان
وثنت ساقاً رشاقتها	فوق ساق، فهي تزدان
سترتْ بالخز أوسَطَها	فإذا بالخز ريان
وعليه من محاسنها	جدة تزهي وريعان
كلنا منه يغار كما	أنه في الوصل غيران
وهو يحكي روضة أنِفاً	ولها الأحلام سكان
أكذاك الرسم يفتننا	فإذا بالقلب صديان
وكأن الرسم يعذرنا	وكأن الرسم حنان
نتملى فنه أبداً	وهو بالإحسان ضحيان
نثرت في خلفه زهراً	أنجم للحسنِ أخدان
في سماء أنتِ بهجتها	ورواء منك حليان
إن يكن هذا تعبُّدنا	لخيالٍ وهو وهنان
لبنِيِّ الطبعِ[1] مؤتلقاً	ولحبر منه تحنان
فلعشق الفن ربتُه	فوق ما يرجوه ديان
وسجود الناس في شغفٍ	عند قربٍ منكِ إيمان
عندما تغدين راقصة	والوجود الطلق سكران
تنعم الدنيا وزينتها	وتعمَّ الكون ألحان
يا قواماً حسنه عجب	كله سحر وإتقان
وجمالاً لا يعيِّره	أنّه كالكون عريان

[1] Printing – أي طبع صورتها الفنية المرسومة.

لـيس منـا نظــرة أثمــت ... كــل مــا نهديــه قربــان
ذاك إعجــازٌ يخبِّرنــا ... أن تــاج الحســن إنســان
والجمــال الفــذ دولتــه ... مــا لهــا حــد وأوطــان

نور الجحيم

(سونيتة غنائية)

إذَا كنْتُ أبكي لعسْفِ الحياهْ
فهيهات أبكي لقلبي الحزين!
لكنني أشجي لمن قد شجاه
من عيشه طول العذاب الدفين
لقد ذقت صرفاً ضروب الألم
فصارت لنفسي كبعض النعيم!
فإن كان بثي حليف النغم
فيا ربما النور بعض الجحيم!
على أنني زاهدٌ في سروري
فقد خلق القلب بِمعنى السرور
وحوَّل من صبره في شعوري
تعاسةَ نفسي وفيَّ الحبور!
فرجَّعتها في بكائي غناء
يعزي الورى وحجبت الشقاء!

الصـــدى

(سونيتة غنائية)

يا حياةَ الحُبِّ كيفَ الحَيَاهْ

بعد ما ضاعت عهود الحبيبْ؟

ما جمال الصوت يحكي صداهْ

لا، ولا الطب ظنون الطبيبْ!

إنما الذكرى لمثلي عذابْ

تشبه النوح بليل بهيمْ

مثلما حن لماضي الشبابْ

دائم الوجد مسنٌّ سقيمْ

هكذا الطائر لما بكَى

ما فاته حس بآتي الربيع!

لكنما قلبي إذا ما اشتكَى

يشكو كمسجونٍ بحضن منيع!

ما خيال الحب وهو البعيد

إلا تباريح الفؤاد العميد!

شوبنهاور والحياة

خطبة شعرية ألقاها الناظم في نادي موظفي الإسكندرية يوم ١٠ مارس سنة ١٩٢٨

(مهداة إلى الأستاذ الدكتور طه حسين)

(١) – الفلسفة والشعر

تخيَّرتُ (شُوبنْهاوَرَ) اليومَ مَبْحَثاً ... وما كان بَحثي غير مُتْعَةِ إلْهَامِ

وسيرتُه العظمى حياة شهيّة ... إلى (الفن) حتى في مواقف آلام

فإن مجال الفن في كل مَبحث ... إذا شاء، والفن المنغم أنغامي

وملحمة (العقل) الجليل حَريَّة ... بملحمةِ (الشعرِ) الحريِّ بإعظام

فصفحاً إذا قصَّرت رغم تطلعي ... وحسي شفيعٌ من شعوري وإقدامي

لأنشر في آدابنا بعض روعة ... من (الغرب) في روحٍ تجلت وأفهام

وأُتحف شعر العصر مما أعده ... غذاء ينميه من الأدب النامي

إذا الشعر لم يَهضم من(العلم) قوة ... ومن فلسفاتِ العيشِ ذابَ كأحلام

له نظرة الفنان للعلم والحِجى ... فيرسمها بالوهم حرباً لأوهام

ويهدي إلى الناس العزاء وصورة ... من الكون قد زينت بصبغة إحكام

ولا كان للشعرِ الخلودَ إذا كبا ... صعوداً بألباب إلى (المثل السامي)!

(٢) – فلسفة الرضى وخصيمها

فررت إلى حضن (الطبيعة) ناجياً ... بروحي إلى مرأىً كروحيَ بسَّامِ

كأني وقد غيبت عنها رأيتني ... يتيماً، ضريراً، تائهاً بين أيتام

فررت إلى حيثُ (الطبيعة) سمحة ... ومن حقها خفض المشاعر والهام

إلى حيث ناغتْ في وفاءِ مُحِبها ... بأجمل شعر جل عن أيّ إعجام

ودانت لها أقسى العواطف عبدة ... فما لمحتْ منها مظاهرَ إحجام

إلى حيث آيات (الجمال) عزيزة ... وأحكامه ليست لنقضٍ وإبرام

إلى حيث أزهار (الطبيعة) في ندىً ... من الطهرِ، قد ماست بحلية أكمام

لها دولة، والناسُ عند مثولها ... سواء لتقديسٍ، وليسوا كأخصام

فلا شِيعٌ فيهم أمام جلالها ... وإن بعدوا كانوا طوائف أحزام

فررت إليها أشتري خير نعمتي ... بروحي، وروح الصب أكرم مستام

إلى حيث رق (البحر) عند هديره ... وكفن ثوب (الشمس) خافيَ إظلامي

إلى حيث استوحي (الوجود) بأسره ... فيوحي بحب زاد حظي وأعوامي

وأنشقُ من صافي الهواء كأنني ... بدنيا تخلت عن همومٍ وأوغام[1]

وقد طاب لي بُعدي وراحة عزلتي ... هنالك عن خلق وشاهق آطام[2]

كما طاب لي قرب لأخرى رضية ... فأنشد كالصوفيِّ راحة إجمامي[3]

تأملتُ حتى كان طولُ تأملي ... دليلاً وإعلاناً لرشدي وإسلامي

وكان لقلبي ما اجتلى من عبادة ... كما لقي المحروم غاية إنعام

فلما انتحت شطر الغروب وودعت ... وقد تركت ذكراي في الشفق الدامي

تتبعت سير الأرض حول جلالها ... قروناً كأن الشمس سدة همام[4]

وأرسلت نفسي في ذهولي إلى مدى ... قصيٍ إلى خلف الزمان وقدّامي

فأدركتُ أني بعضه، بل أجلّه ... يهش ليَ الآتي الحفي بإكرامي

سألقاه في آتي قرونٍ بعيدة ... عزيزاً عظيم الفتح، من غير صمصام[5]

سألقاه في نوعي برغم تباين ... وللنوع قبل الفرد غاية أرحام

وقد كنت في نوعي بماض مغيَّب ... شريداً بآجام، طريداً لأيامي

فصيّرني دهري عزيزاً مبجّلاً ... وأصبَح دهري من سوائم أنعامي

---

[1] الأوغام: جمع الوغم وهو الحقد، والمستام: المغالي في الثمن.

[2] الآطام: القصور والبيوت العالية، ولحدها: الأطم.

[3] إجمامي: حضوري الروحي.

[4] الهمام: الملك العظيم الهمة.

[5] الصمصام: السيف لا ينثني.

وأصبحتُ أيضاً راسفاً في قيوده ... كلانا كضرغامٍ أسيرٍ لضرغام

وما المرءُ إلاّ (الكونَ) والكون نفسه ... فأعظِمْ بمقدام قرين لمقدام

تسيِّر هذا الكونَ روحٌ جميلةٌ ... تجمله دوماً بنزعة رسام

ونحن ضحاياها، ونحن رجاؤها ... إلى غاية (الفن) المنزَّه عن ذام

وما ذلك الفن السماوي غير ما ... يؤدي إلى نعمى الوجود بأقسام

وهيهات أن تنهدَّ يوماً جهوده ... ولكنها ما بين نقص وإتمام

أبى طفرة، لكنه غير عاجز ... ويأبى ارتكاساً[1] في نزوع وأحكام

وأكبر ظني أنه دائم، له ... مساعٍ، فلن يدري مساعيه إلمامي

إذن فحياتي طوعه، وحياته ... لأجلي بنوعي في التعاقب كالجام

يذوِّقنا منه سلافاً شهية ... ويتركنا في الخصب من بره الهامي

وننكر هذا الجود منه تجاهلاً ... لأعظم توكافٍ وأروع إرزام[2]

نقيس بفرد، والسخاء معمم، ... وتوزيعه من سر أحكم علاّم

فنخطئ في التقدير بين تشاؤمٍ ... وتعيا عقولٌ بين بحث وتحوام[3]

ومنذ رأت نفسي (الوجود) قرينها ... سواء بأرضٍ أو شموسٍ وأجرام

وحن إلى هذا السكون اندماجها ... بعالمها، و (الروح) فيه كعوام

عرفت استيائي من وجودي مماثلاً ... لسخْطي على نفسي، وشبهاً لإجرامي

وأيقنت أني إن شكرت فإنما ... بررت بنفسي دون شك وإبهام

عزائي إذن أنَّا وسيلة غاية ... إلى (المثل الأعلى) ولسنا كأغنام

ومن كان منا مطمئناً لكونه ... رأى في الحياة الصفو لا الأسف الظامي

---

[1] ارتكاسا: ارتداداً وانتكاسا.

[2] التوكاف: القطر المستمر، والإرزام اشتداد صوت الرعد الممطر.

[3] تحوام: تجوال.

ولم يشكُ من ضر بسخط وغضبة ... فما كانت الدنيا لتصغي للوام

وليست لفرد واحد لجمعنا ... ونحن جميعاً مثل فرد بإرغام

نلاقي بها فقراً، وفي فقرها غنى ... لنا كلنا، واليسر فيها كإعدام

وما نارها إلا ضياءٌ لجنةٍ ... ويتلو السلام السمح روعة إضرام

بحسّيَ هذا – وهو أس عقيدتي – ... فحصت الذي عد الوجود كآثام

وجئت أقصّ الآن فلسفة له ... وما كان داعي الخلف يدعو لإلجامي

وهيهات أن أنسى جلالةَ بحثه ... فمثلي يرى ظلاّمه عين ظلامي!

وإنيَ إنسان، وذلك صاحبي ... وآلامه تدعو كذاك لإيلامي

وما طلبي إلا (الجمال) وفنه ... فذاك دوائي في الحياة لأسقامي

وشعريَ للإنسان قبل متاعه ... وللنفس قبل النظم في سُقم أجسام

وقد كان رعداً للتشاؤم قاصِفاً ... وما خدع الدنيا ببشرٍ له وإيهام

رمى بذكاءٍ نادرٍ من تعاسةٍ ... (حياة)حبته الخلد في ذكره الحامي[1]

حمته صنوفاً من ظهور وعندها ... جزته بصيت لم يخص بأقوام

فحق له تقدير كل مفكّرٍ ... فليس شذوذ الفكر زلاّت أقدام

كأني محامٍ (للحياة) موفق[2] ... يرد برفق ما رماها به الرامي

وقد ندبتني بعد خلوة صحبة ... رأيت بها أعلامها نفس أعلامي

وإن ندبت قبلي عقولاً عتية ... وليس مُضيري أن تقدم أعلامي[3]

وما عابني أني الصغير وإنما ... يعيب فؤادي أن أُضيِّع أقسامي

وقد شمت (نرفانا الحياة) تغلغلي ... بها: حيث أغدو ذاتها بين إحرام!

---

[1] الحارس.
[2] أي موفق بينها وبين شوبنهاور.
[3] أساتذتي.

فأستوعب(الحسن)الذي هو روحها ... وأفنى به، حتى ولو بين أصنام
فإن جئت أطريها فلست بخادم ... لأوهامها، والمرء خادم خدام
ولكنني أطري شعاعاً لمحته ... يضيء عزيزَ النهجِ(للمثل السامي)

(٣) – إبداع شوبنهاور وطبيعته

نظرتُ فلم أكذِبْ وفيَّ تأملي! ... وما ساقني بحثي إلى حكم بهتانِ
فقلت جريئاً (للحياة): تأملي! ... جنيت، فمن قال الغبين هو الجاني؟!
فتىً شب محروماً شقياً موزعاً ... وأرهفته خلقاً فشذ ببنيان
له عذره بين الشذوذ وسقمه ... ودائم أتراحٍ أبحْت وأشجان[1]
ولكنه قد جاد رغم شذوذه ... بنورٍ، وكان النور إشعاع نيران
فتىً طالما زكى بخير ذكائه ... وإن عاش محروماً ومات بحرمان
كلوءاً[2] إلى أن مات موتَ كهولةٍ ... بجسمٍ، ولكن فيه عزمة فتيان
وكان عنيد الطبعِ في فرطِ حدة ... ولكنه الحاني بأسلس تبيان
له لغة معسولة في سياقها ... لها أدب (الخيَّام) في ظل بستان[3]
ترقُّ جمالاً كيفما كان بحثه ... فلا بدعٍ إن عدُّوه إنجيلَ فنان
وإني بحكم (الفن) في عد جيشه ... فقد عده للكون أعظم سلوان[4]
بحسبي إذن هذا لأرفع ذكره ... وأدفع عن آدابه محض عدوان
وما نظرات (الفكر) مهما تباينت ... سوى صورٍ شتى لذاتٍ بألوان

---

[1] إشارة إلى عصبية مزاجه السوداوي وإلى ما عاناه من متاعب في أسرته وفي حياته.

[2] كلوءاً: لا يغلبه النوم.

[3] إشارة إلى أسلوبه السلس البديع الذي امتاز به عن جميع الفلاسفة، وإلى صوفية فلسفته في غايتها.

[4] يرى شوبنهاور أن (للفن) قوة تخلصنا من استعباد (الإرادة)، وذلك بتأملنا في (الجمال) الذي يوحيه الفن، وبذلك تتمحي فينا شهوة النشدان وما يتبعها من تعاسة وشقاء.

فليس رضائي غير بعض تشاؤمٍ ... وما سخطه إلاّ عزاء لأسوان!

كلانا قريب من أخيه بحسه ... وقد يشبه العاني المنعَّم والهاني

عليَّ وفاءٍ كيفما كان موقفي ... فمَن مثله أحيا الفنون فأحياني؟[1]

كفته عُلى في الذكر آثار (فجنرٍ) ... فقد كان يزجيه إلى كل إتقان

وقد رفع (الشعر) الكريم إلى مدىً ... من الخلد والسلوان للعالم الفاني

وقد وجد (الفن) العزاء لعالمٍ ... بخيلٍ مسيء لا يبضّ بإحسان

وإن وجد استسلام من عاش خالياً ... عديم مبالاة نهاية إيمان

رآها سلاماً أو عزاءً مقدساً ... فكان (كبوذا)[2] في رجاحة عرفان

وكان له مثل الرسول مبشراً ... بدينٍ رأى فيه توحُّد أديان

وما همه شيء من (المادة) التي ... لها جيله قد زف أعظم قربان

ولكنه ألفى الجلال تصوفاً ... يوحد هذا الكون في عقله الراني

وقدر أن (الكون) محض (إرادة) ... تسيِّره من غير قصد وحسبان

وليس بدنيانا سوى ما نظنه ... حقيقته ليست سوى وهم أذهان

فعزز إيماناً (لكَنتٍ)[3] وصاغه ... بوحدة تعبير عجيب وبرهان

وقال هي الدنيا (الإرادة) وحدَها ... وليس عداها غير أحلام وجدان

وليس ذكاء الناس أو سر روحهم ... سواها، وما شيء سواها بروحاني

---

[1] لا يعرف من فيلسوف آخر ما كان لمثل شوبنهاور بآرائه الفلسفية عن (الفنون) من التأثير العظيم في نهضتها الحديثة ولاسيما في نهضة الموسيقى، وقد استوحى (فجنر) نظريات شوبنهاور. أما الشعر فلم يفرد شوبنهاور بين الفلاسفة بالإيحاء إليه، وقد ذكرتنا الأديبة (مرجريتا بير) بأن الشعر دائماً كان يستوحي الفلسفة وضربت الأمثلة على ذلك بـ (سبنسر) و (شلي) اللذين تأثرا بفلسفة (أفلاطون)، و(بجوتة) الذي تأثر بفلسفة (سبينوزا) و (وردزورث) الذي تأثر بفلسفة (كانت). ولدينا نحن في العربية أبو العتاهية وأبو العلاء وأبو نواس والمتنبي وغيرهم الذين تأثروا بألوان من الفلسفات القديمة والتصوف.

[2] إشارة إلى اقتباس شوبنهاور من فلسفة (بوذا) التجردية، وإليه يرجع الفضل الأكبر في إشهارها بأوروبا.

[3] إشارة إلى اعتبار (كنت) أن العالم مظهر وفكرة في أذهاننا فقط.

وليستْ جسومُ الناسِ إلاّ رسائلاً ... لحسٍّ بدنيانا، فما العيش جثماني

ولكنه هذي (الإرادة) دائماً ... فتلك هي اللغز العظيم لإنسان

تحركه من حيث يدري ولا يعي ... وأجزاء جسم المرء زمرة أعوان

إذن كل ما في الكون محض(إرادة) ... وإن تختلف شكلاً فليس لها ثان

وليست سوى معنى(الألوهَةِ)، فالذي ... تشاء هو الحيّ المهدم والمباني

وليست إرادات الأنام قوامها ... ولكنها تملى على كل ذي شان

وليس لها نورٌ، وليس لها حجىً ... وإن حكمت فينا، وسادت بأكوان

ومن عجبٍ هذا الوجود جميعه ... يسيِّره في عرفه دفْعُ عميان

فلا بدعَ إن أشجاه بين تشاؤمٍ ... يظل بسمع الدهر يدوي لأزمان!

ولا غرو إن عد (الحياة) مناحة ... تقوم بحاجات وتنهى بأحزان

تسيرها هذي (الإرادة) للأذى ... فتلك إله في غواية شيطان

فلا سبب فيها، ولا لنتيجةٍ ... تقود، ولا قاست هواها بميزان

جهادٌ سقيمٌ دائمٌ من (غريزةٍ) ... تمغطسنا جذباً ومن غير إمعان

هي (القَدَرُ) العاتي، فكيف يعدها ... (إلهاً) وليست في ذكاء وإيقان؟!

فمن حقه كفرٌ بها ونتاجها[1] ... وإنْ فات للجراح أرواح أبدان[2]

ومن عد أسباب الشقاء جميعها ... (إرادة) دنيانا بعيشة لهفان

- كفاحٌ، وعسفٌ، واقتتالٌ، ونزعةٌ ... نهايتها محضُ السكونِ بأكفان -

فلا عجبٌ إن عد خير سرورها ... خداعاً، ولاقاها بأسوأ لقيان

ولا بدع أن يَسْخَرْ بحب حياتنا ... على الرغم من شرٍ حوَته وإدجان[3]

---

[1] وبما تلده، أي وبآثارها.

[2] كان شوبنهاور يرى أن مبضع الجراح هو الكفيل بأخبارنا عن ماهية الروح، وأما العقل فليس إلا إحدى وظائف المخ فليس هو الروح.

[3] إدجان: حلوكة.

فكانت له الدنيا كلا شيءَ، والحجى ... كلا شيء،والأشخاص أصناف عبدان
وأذعــن للكفــران حتــى كأنمــا ... رأى الحكمة الكبرى العزاء بكفران!

(٤) – حياة شوبنهاور وبيئته

سمعتُ ضجيجاً (للحياة) كغضبةٍ ... إزاء دفاعي عن مغاضب أفكاري
وقد حسبتْ أني غدوت خصيمَها ... وأني لـه المزجي كرائم أشعاري
فقلت لها: "صفحاً، فأنت غنية ... غنى عن دفاع في الوجود وأنصار
وفيك انتسابٌ (للألوهةِ) فاشملي ... بعطف جميع الخلق في حلم جبار
وخلّي دفاعي عن خصيمك حجة ... على أنك الكبرى وأهلٌ لإكبار!
ألستِ التي صاغت دقائق نفسه ... فناحت بآراء، وذابت بأسطار؟
وقد ورث الضعف الذي نال أهله ... كما ترث الأغصان ضعفاً بأشجار
وأسوأ ضعفٍ ضَعفُ أعصابِ فاكرٍ ... فذاك على التكرار ينمو بتكرار
ولولا أب قد شذ حظ نبوغه ... لمات كمن عُدوا جنوناً كأصفار
كذلك لولا أمه في صفاتها ... لما كان جباراً يعب كزخّار[1]
ولولا اختلاف الوالدين ومره ... لما صار ذاك الطفل شيخاً بإمرار
ولولا سخافات تسمى ديانةً ... ببيئته طفلاً لما أصبح الزاري

---

[1] كان والد شوبنهاور معروفا بنكلته الجم وقوة نفسه، وكان تاجرا ناجحا وأديبا قديرا متشيعا لفلتير، وقد اطلع كثيرا على الأدبين الفرنسي والإنجليزي، وكان معجبا بالحياة الإنجليزية وبالثقافة الإنجليزية، وأما والدة شوبنهاور فكانت من أسرة راقية في دانزج، وتربت تربية حرة بالنسبة لبنات جيلها، وكان لها شغف بالآداب والفنون، وقد اشتغلت بذلك فيما بعد عندما ترملت، وأقامت في فيمار حيث كان بيتها منتدى لمشاهير أدبائها وفنانيها في ذلك العهد وبينهم أمثال جوتة وشلجل وفيلاند وجريم وفرنو. ومما هو جدير بالذكر أن أسرة شوبنهاور ترجع إلى أصل هولاندي من ناحية الجد وأن والد شوبنهاور هو الوحيد الذي كان معافى في أسرة تفشى فيها الشذوذ والجنون، ويظهر أن نصيبا من هذا الشذوذ شبه الجنوني أصاب فيلسوفنا.

فلمــا تغــذى بالمعــارف حُــرةً وبـالفنِ في (فيمـار) هـش (لفيمـار)[1]

إلى أن قضى طبعُ الخلاف بوحشـةٍ مشت بينه والأم والصحب كالنـار[2]

فعـاش بعيـداً يُنكـر المـرأة الـتي رآهـا؛ وينـأى عـن مجـالس سمّـار

ولمـا اغتـدى رب الرجولـة وارثـاً رأينـاه في شـكر الـوفيِّ بتـذكار[3]

فأهـدى إلى ذكـرى أبيـه كتابــه وقـدره تقـدير صـدق وإقــرار

وكـان بـدرس الفلسـفات يشـوقه شـذوذ لـه للطعـن في خـير آثـار[4]

مصـرٌّ علـى اسـتقلاله في تأمـلٍ وإن عـد تلميـذاً فريـداً بإصـرار

وكـان – و (بونـابرت) يرهـق قومـه – جزوعاً يهاب الموت والأخذ بالثار

ويهـرب في حـب الحيـاة وينتحـي إلى أمــه، لكــن يعــود بإعصــار[5]

ويتركهــا تركــاً إلى غــير عــودة كـأن حيـاة الأهـل عيشـة إخطـار!

ولـولا حماهـا مـا رأى مثـل (جوتـة) ولا(ماير)المفشي لـ(بوذا) بأسراره[6]

ولا كــان مفتنّــاً ببحــث، مؤلفــاً عن النور والأصباغ في عرف إبصار[7]

---

[1] إشارة إلى زمن إقامته بها للدراسة تبعا لاقتراح والدته. وكان يستمتع بتلك البيئة الفنية الأدبية العالية منمياً معلوماته الأدبية والموسيقية مما كان له أثر قيم فيما بعد في تكوين فلسفته.

[2] لم يكن من طبع شوبنهاور القدرة على حبس عواطفه، وكان كثير الشكوى والاستياء والتذمر من إسراف والدته ومن مجال سمرها فلم تستطع احتماله طويلا، لاسيما وقد كان كل منهما مولعاً بإظهار نفسه، فتعارضت الرغبتان ودب الخلاف بينه وبين أمه، وما استطاعا التفاهم فافترقا.

[3] إشارة إلى إهدائه كتابه الجليل (الدنيا كفكرة إرادة – The World As Will Idea) إلى ذكرى والده الذي خصّه في وصيته بنحو مائة وخمسين جنيهاً إيراداً سنوياً، وقد صاغ الإهداء في عبارات وفية مؤثرة، وهذا دليل من أدلة كثيرة على أنّ تبرم شوبنهاور بالحياة لم يكن ناشئاً عن شذوذه العصبي فقط، وإنما لما كان عاناه أيضاً بحيث إنه ما لقي سروراً منها إلا بادر إلى تقديره وتسجيله شاكراً.

[4] إشارة إلى طعنه في آثار فخت وشليرماكر وغيرهما. بينما كان يدرس في جامعة برلين في سنة ١٨١١م.

[5] إشارة إلى هربه من برلين بعد سقوطها في أيدي الفرنسيين قاصداً درسدن ثم رودشتاد، وأخيراً قصد أمه في فيمار ولكن ليعود إلى الاختلاف معها ومفارقتها إلى غير رجوع عائداً إلى دردسن حيث أقام بضع سنوات.

[6] هو المستشرق ف. ماير الذي اقتبس منه شوبنهاور الكثير من العلم عن الفلسفة البوذية.

[7] إشارة إلى بحثه العلمي في هذا الموضوع.

وكوّنَ وهو الشاب[1] فلسفة له ... أذابت حجاه في ترسّله الناري

رأى أمه عنوان إثرة شهوةٍ ... فما ساقه هذا إلى طبع إيثار

أقام زماناً في (درسدن) عاشقاً ... جمال الأنهر (الألب) في شعره الجاري

وفيها من التصوير كل كريمة ... ومن متع الألحان أكرم مختار

فعاش يناجي الكون والفن باحثاً ... يفتش عن معنى الوجود بأستار

وفي نفسه أنَّ الوجود تكالبٌ ... وجملة أوزارٍ تضافُ لأوزار

تناحرت (الأنواع) حتى تناثرت ... حقائق دنيانا ببؤسٍ وإضرار

فكلٌّ طعامٌ بينما هو آكل! ... وكم هدّ قهار ضحية قهار!

وليس سوى حب الحياة (إرادة) ... تسود، وأما (العقل) فهو كمنشار

تسخّره في قطع أوصال غيره ... وتزري به، وهو الجهول بها الزاري!

وأما (الزكاء) الحق فهو تجرد ... لكي يدرك الإنسان ما أعجز (الباري)[2]!

لكي يعرف الصفو (الجمال) وفنه ... ويلمح في دنيا الخيال السني الساري

لكي يبصر (الحسن) الذي قد ترومه ... طبيعة دنيانا فتعيا بتيار

ويلقى جمال (الفن) أنساً معزياً ... وفي عيش قديس تجرد أنوار

نعيم فريد (بالتصوف) مطلق ... تنزه عن نعمى الحياة وأوطار

فتى كان بين الحسن والقبح متلفاً ... فكان كبنيانٍ؛ وكان كمنهار!

ترقرق كالغدران عند رضائه ... وثار كبرهان لدى السخط فوّار!

لئن غفر الشيطان ذنباً لخصمه ... فليس فتاناً للخصيم بغفّار!

---

[1] إشارة إلى فلسفة التعاطف التي دعا إليها وإن ناقضها هو عمليا، اللهم إلا مع الحيوان الأعجم. ولا شك في أن هذا التناقض يرجع بعضه إلى تهيج أعصابه وشذوذه الخلقي.

[2] الباري: الخالق.

وقد خلق الأخصام خلقاً، بمثله ... إذا شاء صار الخصم صاحبه الباري[1]

ولكن كذا كانت جِبِلَّةُ نفسه ... فقسمت التصريف منه بمقدار

فكيف إذن – كيف (الحياة) تلومه ... إذا نحن لناه على قبح مضمار؟!

ضحيتها مذ كان خصماً لحكمها ... ولم يلق إقبالاً لديها كإدبار

تحمّل –وهو الطفل– جمع شدائدٍ ... وليس مشيل النحس من هائمٍ هاري

فلاقى جموداً من ثقافة جيله ... وكان كمثل السيل فاض لأحجار!

فظن بهم مسخ الطبائع، واقتضى ... شموخ له طول الزئير كأنذار

وما فاته حرصٌ على كل حقه ... بمالٍ، فحامى دونه غير خوار[2]

ولا فاته سعي لكرسي حكمة ... فسار إلى (برلين) في شبه أمار

فلما قضى طبع النزاع بخيبة ... وضاعت مساعيه أساء إلى الجار[3]

وراح يكيل الطعن كيلاً بلا ونى ... إلى (هجل)[4] والتابعيهِ كأنصار

خشونة طبع في خشونة شهوة ... وقد خص منها (المرأة) الحكم بالعار

وقد فات ذكراها بشهوة ذكره ... صحائف أرداها المريدون في النار[5]

ومن عجب كان المحب لكلبه ... وكانت له أيضا صداقة مزمار[6]

---

[1] الباري: الشافي، وقد صدر كتاب شوبنهاور (الدنيا كفكرة إرادة) وهو في العقد الثالث من عمره، وقد قوبل صدوره ببرود منتاه من مفكري عصره و أدبائه!

[2] هذا مثل أخر لكفاحه ونزاعه منشؤه سوء ظنه بالناس. والناظم يشير إلى نزاعه مع متجر دانزج الذي كان له ولبقية الأسرة صوالح فيه. وقد استمر هذا النزاع سنتين، واستطاع في النهاية أن يحصل على جميع حقه، بينما غيره من أصحاب الحقوق (وبينهم أمه وأخته) لم يغنموا غير ثلث استحقاقهم بل أقل، فمثل هذه الحادثة التجريبية كانت ذات تأثير غير قليل في تكوين آرائه في (الحياة).

[3] إشارة إلى حادثة تعديه المشهورة على امرأة زائرة لجارته مما أدى إلى عاهة مستديمة لها، فأرغمه القضاء على دفع غرامة دائمة لها طول حياتها.

[4] كان كلما فشل أو لاقى إعراضا عنه يتهم الفيلسوف العظيم (هجل) وأنصاره بالكيد له، وكانت علاقاته بجميع زملائه الأساتذة في جامعة برلين على أسوأ ما يمكن أن تكون.

[5] إشارة إلى إحراق مريديه لما كتبه بحرية عن المرأة والحب والزواج.

[6] وكان شغفا بكلبه الذي كان الناس يدعونه "شوبنهاور الصغير" وكان له ولع بمزماره للتسلية في أوقات فراغه.

رأى الكلب كالإنسان حقاً وحرمة فأسبل إشفاقاً على حظه العاري

وكان رحيماً بالسوائم لا يرى من العدل أن تشقى بجهد وإقتار

كما كان عباد (الفنون) جميعها ومزماره ما كان إلا كتذكار

وكان كثير الإطلاع موفقاً فيظفر بالأزهار من كل معطار

له ذوق فنان، فأجمل درسه إذا بثه في الطرس معرض أزهار

فتى جمع الجنات والنار هكذا وعاند دنياه كما كافأ القاري!

ومن عجب يخشى اللصوص وذهنه هو الكنز لا ماصان في حيلة[1] الفار!

وكان حريصاً في صيانة جسمه على عمره بالرغم من مبدأ زاري

فبيناه يدعو للتجرد ناسكاً إذا هو في التطبيق هان بإقصار

ولكنه في دعوة "العطف" مخلص إلى الحيوان الأعجم الألف والضاري

كأن جرد الإنسانَ من حق عطفه وإن كان لم يحرمه "عطفاً" بأسفار!

ولما مضى عهد "التفاؤل" واغتدت تحن إلى ما خط ثورة أفكار

تبسّم من بعد، العبوسة طافراً بفرحته، في بهجة دون أطرار[2]

ولكنه قد عاد ينكر غيره بغضبةِ مغترٍ، وثورة هدار[3]

وما كان هذا غير ضعف منوع وسقمٍ أصيل فيه كان لإظهار

وكان يعاف النقد حتى كأنما هو الواحد المعصوم عن أي إذكار!

---

[1] إشارة إلى تفننه الغريب في تخبئة نقوده بمنزله بحكم خوفه الدائم من اللصوص، وكان لا ينام إلا وبجانبه المسدس.

[2] أطرار: حدود. يشير الشاعر إلى انقلاب الآراء في جرمانيا بعد حبوط الحركة الديمقراطية سنة ١٨٤٨م، إذ حدث رد فعل ضد فلسفة هجل وانقلبت روح التفاؤل إلى تشاؤم ويأس، وكان شوبنهاور ضد الديمقراطيين ونصير الملكية بعكس والده الذي كان جمهوريا صميما، ومن أجل ذلك هجر دانزج (المدينة الحرة) إلى هامبورج في سنة ١٧٩٣ لما استولى عليها البروسيون، وكان فيلسوفنا شوبنهاور وقت ذلك طفلا.

[3] إشارة إلى رسائله إلى فراونستاد ولندنر وأشر، وكلها ناطقة بغروره النهم دائماً إلى التسبيح بحمده، مع اعتقاد ما يشبه العصمة في نفسه، رافضاً أي نقد أو تذكير! وحتى لما قدرته الجامعات سخط سخطاً عظيماً حينما منحت جائزة إلى طالب عده أديباً أكثر منه فيلسوفاً!

وكـــان أنانيـــاً عظيمـــاً مشـــوّهاً ... نـــداء الدمقراطيــة الســمح للـــدار

ومـن بيتـه كـان الجنود رصاصـهم ... يصــب علــى أهــل الفـداء وثــوار[1]

على من تنادوا "بالمساواة" واحتفوا ... بها، فإذا هم في الضحايا كأشرار

ومـــا فاتـــه عنـــد الوصـــية أنـــه ... حبا المال جرحى الجند براً كأصـهار[2]

ولـمـــا أصـــابته الكهولـــة بـــالأذى ... وقـد أطفـأت نـوراً بلحـظ لـه واري

أسـاءت إلى (ملـك الجمـال) إسـاءة ... تظـل علـى الأدهـار لوعـة أدهــار

ويـــا حزننـــا إذ نـــذكر اليـوم حزنـــه ... إذا هــو نــاجى مــا يشـيم لإخبـار[3]

فتحجبـــه عنـــه غشـــاوة نـــاظر ... ووقـر بسـدمٍ كـان أشـوق مشـتار

تنحى عن الحسن الذي طالما اشتهى ... ومات ممات الحزن في غير إشـعار

وكـــان حريـــاً أن يكفـــن جســـمه ... علــى عـزف أنغــام بنـورٍ ونــوار

وأن تســـمع الـــدنيا مناحـــة موتـــه ... من (الفن) في الأشعار حسرى كأوتار

فـــلا تذكريـــه يـــا (حيـــاة) بزلـــة ... إليـك تناهـت، واذكريـه كتـذكاري

كفـاه علـى رغـم الشـذوذ بطبعـه ... جلالـــة فنـــان عظـــيم لأعصـــار

ومن كان مثلي طوع فلسفة (الرضى) ... فما نم (فناً) شاق في سخطه الثاري

ولكـــنني أكـــبرت أي نبوغـــه ... وإن كـان أسـقاماً، ودمـت بإكبـاري

---

[1] إشارة إلى الجنود النمسويين الذين كانوا يصوبون رصاصهم من نوافذ غرفة شوبنهاور على أنصار الديمقراطية سنة ١٨٤٨، وكانت تلك الحركة أجمل ما في ذلك الوقت من نهضة سياسية، ولكن شوبنهاور بقي في شذوذه خصما لها: ينادي بأنه لا مهمة للدولة سوى المحافظة على الأرواح والأموال.

[2] لما كتب شوبنهاور وصيته في سنة ١٨٥٢م. أوصى بمعظم ماله للجنود الذين جرجوا في برلين في ثورة سنة ١٨٤٨م. السالفة الذكر أثناء دفاعها عن الملكية إذ كان باقيا على عقيدته بأنه من الخطأ تصور أية وظيفة أدبية للدولة والحكومة بل كل مزيتها صيانة الأمن! ولا عجب بعد ذلك إذا لجأ الناس إلى فلسفته بعد سقوط البرلمان الجرماني الذي عاش زمنا قصيرا في فرانكفورت وبعد هزيمة الديمقراطية في ذلك العهد.

[3] كان شوبنهاور يقول في أواخر أيامه أنه ما كان نظره يقع على شيء في زمن شبابه ونشاطه الروحي إلا وكان يستوحي من ذلك الشيء. ولكنه في شيخوخته صار إذا تأمل حتى في صورة المادونا (العذراء) لرفائيل لم تنطق له بأي وحي.

لـئن فاتـه خـير (الحقيقـة) فالـذي رآه هــو الحــق الجــريح بأوعــار
ومــن لم يُصِــغْ إلا لنغمــة ألفــة فقـد فاتــه مـن عيشـه كـل سـيار
وسـوف لـه تصـغي البريـة دائمـاً علـى رغـم خُلـف في شـعور وأقـدار
مباحثــهَ للعقــل كنــز منســق وذكـراه قـد زينـت بإكليلـه الغـاري"

(٥) – فلسفة السخط والشقاء

أصاخت إلى عُتْبي(الحياة)ورحَّبت بعُتْبى بصمت كان رمزاً لترحـاب
فقلــت لهــا: يكفيــك أنــك عنــده قرنـت مناحـات الوجـود بـإطراب
وذلــك فــن في تنــاهي فنونــه يـراه بسـخطٍ إذ يـراه بإعجـاب
يعلمنــا أن لــيس (للفــن) ضــابطٌ ولكنــه طبــع بحريّــة الآبــي
ومــا كــان لــلآداب أســر قواعــد وأنــت مثـال في تحـرر إنجـاب
فـأطلق أقلامـاً مـن الأسـر واغتـدت تفـيض بأوصـافٍ لـديك وأسـباب!
وقلت لها: صـفحاً إذا كنت مكثراً فـذاك جـلال فـاق قـدرة حسـاب
نريـني قلـيلاً شــارحاً لــب رأيــه (بيئس)، وقد يرضيك في الشرح إسهابي
نريني أصف ما قيمة (الفن) عنده ومـا (ربـه) الأعلـى المهيب بأربـاب
وحينئــذ تــدرين قــدر وفائــه لمـا نـال مـن لـب ذكـي وأعصـاب
فقـد بـر حقـاً بالـذي قـد وهبتـه وقــد كــان فنانــاً بــرأي وآراب
وكم من فتى قد نال منك كنوزه ولكنـه قـد عـاش جاحـدك الكـابي
وعالمنـا عـاش الغـبين ومـا ، ـلا جهــاداً، ولا شــرحاً لفــن وآداب
وكــان مريضــاً بينمـا كـان فنـه معـافى، فأضـحى فنـه ذخـر ألبـاب

رأى أن عقل المرء قالب ما رأى كما قال (كنت)[1] في هداية مرتاب

رأى أن ما يزجي الأنام (إرادة) تؤثر حتى في الصخور وفي الغاب

تؤثر في النبت الطرير وبذره وفي الملح مثل الماء بالدفع والداب

سواء بإنسان، وترب، وجوه سواء بأكوان تدور، وأعشاب

فلا فارق إلا التدرج وحده وإلا فلا فرق، ولا خلف أنساب

جميعاً ضحايا قوة مستكنة تسيِّر كالأعمى الوجودَ بأحقاب

ونحسب أن الأصل فينا، ولو درى جمادٌ لحاكانا بقول وإغراب[2]

فما الصخر نلقيه سوى نفس ذاتنا رمتها مرام (للإرادة) كذاب

فنحسب أنا السائرون برغبة وما نحن إلاّ كالصخور وأنصاب

تسيِّرنا عمداً مسير تطاحن ويلقي علينا الغيم أسود جلباب

وما النور إلا الأمس وهو مضيع وفي الأمل الغادي القصيّ عن الباب

ولكن إذا وافى رأيناه ضلة ووهماً، فأمّلنا بمقبلنا النابي

وإن صدَّنا عن ذلك الجهد عارضٌ حسبناه في الأعداء لا بين أصحاب

وإما بلغنا للكفاح نهاية وإن أصبحت وهماً، جنحنا لإطناب

ولكننا كالنبت هيهات تنتهي له دورة ما دام يغري بإخصاب

ومن عجب أن الجهاد إذا انتهى شرعنا بضيق، واضطربنا كهياب

---

[1] كان (كنت) – الفيلسوف المتشكك – يرى أن الأشياء كما تعرفها تجاربنا مكونة من قوالب ومظاهر بعضها أصيلٌ في الذهن وبعضها خارج الذهن، وأن ما نعرفه هو مزيج من كليهما، وأن ما هو خارج الذهن بتاتاً أو ما يسمى "بالنومينون" تستحيل معرفته مستقلاً، بل لا بد لكي ندركه من أن ينطبع بقوالب الذهن الأصيلة، وهو بهذا الانطباع يتغير عن أصله الأول، فليست لنا إذن معرفة إيجابية، وما نحسبه كذلك وهم وخداع في عرف (كنت). أما شوبنهاور فيوافق على آرائه، ولكنه يخالفه في استحالة معرفة النومينون، إذ يراه في (الإدارة) الكونية المتمثلة فينا وفي كل شيء.

[2] هذا ظل لتعبير (اسبينوزا) الذي كان يقول إنه لو كان للحجر الذي نلقيه في الهواء شعور لاعتقد أنه يتحرك من تلقاء نفسه، وذلك لجهله (بالإرادة) الكبرى التي تسيِّره كما نجهلها نحن في اعتقادنا أننا مخيرون لا مسيرون!

ونحسب أن السأم من حظ (جنة) وأن الشقاء الصِّرْفَ خُصَّ (بألهاب)

ولكن أذكى الناس أكثرهم أسى وأبلغهم حساً بوجدٍ وأوصاب

يرون (الفناء) الحتم غاية عمرنا برغم حذار من شقاء وأعطاب[1]

سواء بماض في عصور توحش وفي حاضرٍ زاهٍ بأعلم أنجاب

وما (الصفو) إلاّ خدعة الحس لحظة ونسقط من عليائه مثل أسلاب

وما (الكون) إلاّ عالم "الصدفة" التي تبادلها "الأخطاء" عوناً كأحباب

أولئك[2] قوم بالذكاء تعذبوا بعزلتهم ما بين هم ومغتاب

يرون الحياة الموت في كل لحظة وأن رضانا شبه سخر بأتراب

جهنم في الدنيا! فاعجب بجهلنا وما حجبت عنا لظاها بحجاب

فكيف إذن نرضى (التفاؤل) ديننا ونبسم للآلام تغزو كحراب؟![3]

وكيف نعد (النار) معهد حظنا ونعتبر الأقدار فيها كمحراب؟!

فقد جاوزت تقدير (دنتي) لما لها من الظلم والإجحاف كالمارد الجابي!

رآها (ليوباردي)[4] كذاك، وهكذا حكى عن أذاها ساخراً سخره الرابي

بشعرٍ يذيب الصخر من لذع ناره ويشغل فكراً في التغافل كالخابي

فأجدر بنا أن لا نخادع حِسَّنا فلا خير في بشرٍ بموقف إغضاب

وأجدرْ بنا أن لا نطاوع حيلةً توجهنا للنسل والبؤس والصاب

فإن صفاء العيش إفناء بأسها فنحيا ولسنا في الحياة كأغراب

ونسلم من ذل التطاحن والأذى ونكسب أرواحاً لنا نور أرباب!

---

[1] الأعطاب: جمع العطب أي الهلاك.

[2] أي (أذكى الناس) السابقي الذكر.

[3] جمع حارب بمعنى سالب.

[4] هو شاعر السخط على تعاسة الحياة وكان يعجب به شوبنهاور إعجاباً عظيماً.

(٦) – الحقيقة والخيال

شقاء (لشوبنهاور) العيش هكذا ... وليس كما أحسست جنة مصطاف

ولكنه يأبى انتحاراً، وعده ... رضوخاً إلى حكم (الإرادة) لا الشافي[1]

وما النفع في إفناء فرد، فإنه ... يكون خنوعاً في نهاية إسفاف

ولكنه في أن نصير جميعنا ... سواء بكرهٍ للرضوخ وإتلاف

وأوحى (لهرتيمان) نار غلوه ... فنادى كما نادى بفلسفة النافي[2]

دعا لفناء النوع لا الفرد وحده ... فأهْوِلْ به من ثائر جد متلاف

ولكن هذا لا يعد جريمة ... فقد كان كالحلم الغريب لأطياف

وما تركت آثاره من سحابة ... تنوب بحر الشمس أو نورها الضافي

ولو كان جرماً لاغتفرناه عندما ... نرى مثل (نتشي) شاكراً فضله الكافي[3]

فمنه تغذى في الشباب، وكم له ... أيادٍ عليه فوق أيدٍ لأسلاف

وقام يواسي الناس من بعد يأسهم ... فكفر عن يأس لأستاذه الجافي

وأعلن أن الخلد طوع بنانه ... بما صانه (للفن) من سحر أفواف

فآراؤه في (الفن) قد كونت علىً ... جديداً، وساقتنا إلى خلد ألطاف

بحيث أرانا أن (للفن) غاية ... هي (الخلد)، لا ما شامه الجاهل الغافي

---

[1] لم يعتبر شوبنهاور الانتحار جريمة كما يعتبرها المجتمع ولكنه عدها على أي حال خطأ أدبيا، إذ أن الانتحار يستبدل التحرر الحقيقي من شقاء الدنيا بتحرر ظاهري فقط، وبدل أن يكون تغلبا على (الإرادة) يصير في الواقع تعزيزاً لها لأن المنتحر لا يتلف سوى مظاهر الحياة الفردية. والمنتحر يتخلى عن الحياة لأنه عاجز عن التخلي عن تأثير (الإرادة).

[2] هو المفكر المتفلسف (إدوارد فون هارتمان) خليفة شوبنهاور في مناحي تفكيره، وإن لم يوافقه على اعتباره جميع اللذات مجرد تخفيف من الآلام. وكان يرى أن الرضى دائماً قصير بينما السخط دائم بدوام الحياة. وأن الألم في العالم يطغى طغياناً على اللذة حتى لدى المعدودين في زمرة السعداء في نظر الدنيا، وأن الراجح أن المستقبل سيزيدنا تعاسة على تعاسة. ولذلك كانت خلاصة حكمه أن نقضي على إرادة الحياة لا بصورة فردية بل بصورة عامة عاملين على إتلاف الوجود.

[3] اعترف (نتشى) بأن نظراته إلى الحياة تطورت تحت تأثير فلسفة شوبنهاور التي اهتز لها قلبه، وقد عده المثل الأعلى للفيلسوف لأنه لم يقتصر على التفكير بل كان رجل عمل أيضا، وقد اتجه (نتشى) أخيراً إلى احترام الحياة وتعزيزها ولكن ظل متأثراً بآراء شوبنهاور في الفنون.

يعبِّر عن(فكر)الوجود – الذي كبا ... بتعبيره عنه – بقوة كشاف[1]

وما همه التفصيل قدر اهتمامه ... بروح لما يلقى، وبالجوهر الخافي

كمن ينبذ الأصداف رغم ظهورها ... ويعنى برسم الدر في طي أصداف

وما (الفن) إلا الجسر ما بين عالم ... من الحق في برٍ وآخَرَ مخلاف

وما بين دنيا للمظاهر وحدها ... وأخرى تسامت عن ظهورٍ وتعطاف

سوى "للحجى الفنان" حيث ذكاؤه ... يفيض فيمضي في الوجود بتطواف

يفيض فلا يعطي (الإرادة) طوعه ... ويغدو كمرآة لعالمه الوافي

سوى للحجى الفنان حيث يقوده ... تخيّله السامي إلى خير إشراف

فيرسم ما لم يحسن الكون رسمه ... ويبصر ما قد جل عن كل سفساف

تحرر من بطش (الإرادة) هكذا ... فصار جديراً بالهدى دون آلاف!

وفي نظر (الفنان) لا الوقت والورى ... ولا نسب الدنيا حدود لأوصاف

فهذي جميعاً تمّحي في اعتباره ... ويبقى حلال(الفكر)في ملكة الطافي[2]

على (الفن) فرض: أن يكرر مبدعاً ... خلوداً من (الأفكار) في حسن إسراف

سواء بنقش، أو بنظم وتحفة ... من الشعر، أو نحْتٍ، وآية عزاف

فهذي مجالي العرض، و(الفكرة) التي ... يعبر عنها فوق نقض وإجحاف

هي (الخلد)، و(الفنان) ذاك أليفه ... ولكنه الوافي له بين آلاف

إذن فتملّي الفن ينقلنا هدى ... من الأسر في يأس لرحمة إنصاف

فيشملنا حظ (السلام)، وإنه ... لحظ بعيد عن مخاوف إرجاف

---

[1] كاز شوبنهاور يعتبر (الفنان) هو القادر المعبر عما عجزت الطبيعة عن التعبير الوافي عنه وعما لم تستطع إتقان تكوينه. وكان يعتبر الموسيقى هي صورة النفس (الإرادة) أو (الطبيعة) وليست مجرد صورة لأفكار، وعلى ذلك فقوتها أعظم من جميع الفنون الأخرى. وكان يجاري أرسطو في تقديم الشعر على التاريخ.

[2] الطافي: العالي.

هو النعمة الكبرى التي قد يعدها (أبيقور) للإنسان غاية أهداف

وحسبك فعل (العزف) في القلب خافقاً إذا كان عزف (الفن) في سحر توكاف

ترف لموسيقى الوجود نفوسنا كما رف طي الجسم أشوق رفاف

تغذى بطهر، وهي في قوة لها (إرادة) دنيانا بملك وأكناف

سواها من الفن الجميل خواطر ولكنها تسمو عليه بأضعاف

ولو لم تكن دنيا لكانت بذاتها أجلَّ من الدنيا، وقبلة أحلاف

تعبر عن أسمى الخلود، وخُلْدُها لنا القبس الزاهي وأجمل إتحاف

إذا قلت: ما هذي (الطبيعة)؟ جاوبت نداءك (موسيقى) الخلود بتطواف

شقيقتها أو أنها ذاتها التي تخلت عن الأجسام في كونها الصافي

ومنها تعلمنا (الفضيلة) هكذا بحرية من أسر عالمنا الجافي

(٧) – العزاء وتوحد الأضداد

أهبتُ بعدلِ (للحياة) بحكمها وكم حكمت قبلاً بغاية أباد

أهبتُ بها وهي الغنية دائماً عن النكر، أو عن مثل نصحي وإرشادي

فكنت كطفلٍ لاعبٍ شاقَ أمه فأصغت إلى تحنانه العاتب الشادي

يدافع عن ذكرى أخ في غيابه وإن لم يغب عنها بحب وترداد

وما جهلت شيئاً، ولكن تظاهرت بجهل لتزجيني إلى خير إنشادي

لتعرف أيضاً كيف أدت جهودها إلى رفع أذهانٍ وتطهير أجساد

وكيف وفاء الجيل للنابه الذي برغم شذوذٍ كان قائد قُواد

وقد كان فيه السقم بعض نبوغه كما كان فيه انبؤس رائد إسعاد

عظيم بنى (للفن) أسّ دعامة وألف دستوراً هو الفاتح الهادي

تغلغل في معنى (الحياة)، فإن يكن ... رماها بعسف أو رآها بإلحاد

فقد قدر اللب (الجمال) كذاتها ... بفن، وقد أذكى هوانا كعباد

فحنت إلى شرحي(الحياة)وشجعت ... ببسمتها، والبِشْرُ منها كإمداد

كأن لم تكن قد أغضبتها زراية ... بها من فتاها، أو مخافة إفساد

وقد رفعته في الخلود وسامحت ... عقوقاً، وأغنته عن الصيت والزاد

وأصبح جزءاً من سناها موزّعاً ... نراه طليقاً من عذاب وأصفاد

نراه بإبداع (الفنون) جميعها ... وفي الألق الماضي، وفي الأمل الغادي

شذوذ تمنته (الحياة) لغابة ... من الحسن والإبداع للزمن الصادي

فإن بسمت كان ابتسام دراية ... وما كتمت عنا سوى علمها البادي

فقلت لها: تكفي شهادة (فجنر) ... شفاعةَ أجدادٍ تُزفُّ لأحفاد

وحسبك أيضاً أن رسمك عنده ... مقيم (بموسيقى الخلود) لإخلاد

وأن يدعو (الشعر) العزيز ليحتفي ... (بفكرتك) الحسناء في حسن أفراد

ويخلق أشخاص المآسي معبراً ... عن (الفن) فيما قد خلقت بتعداد

كذلك صار (الفن) ديناً مقدساً ... يقدس لب الروح عن نقد نقاد

ولا عجب (فالدين) و (الفن) طالما ... على الدهر كانا توأمين بميلاد

وكم كمَّل (المثال) ما قد نسيته ... عياء، وكان المشق إبداعه البادي[1]

وقلت لها: هذي (الفضيلة) عنده ... تآخٍ، فتسليمٌ لنفس وأولاد

تآخٍ سداه العطف، لا قصد مطلب ... إلى حيوان هان كالمخلِّص الفادي

وللناس جمعاً في مراغةِ ذلهم ... وفي سحق آمالٍ لديهم وأكباد

وفي نزْعِنا كالطمر[2] رغبة عيشنا ... مهلهلة (المايا)[3]، وفي عيش زهاد

---

[1] أي البادئ كأنما (الحياة) نقلت عنه!
[2] الطمر: الكساء البالي.
[3] المايا: هو التعبير البوذي عن غشاء الغرور أو نقاب الوهم المسدول أمام عيوننا.

بحيث نرانا في اشتغال كما نرى
لنا شغفاً بالزهد في عيشنا العادي

وما صور (الإلهام) إلاّ (غريزة)
تسيرنا مثل (الإرادة) كالحادي

وحتى (الغرام) البحت بعض خِداعها
وما خص كل النوع ظنٌ لآحاد

فأجمل دنيانا تملي جمالها
وأجمل أخرانا حياة بلا عاد[1]

إلى أن يحين(الموت)في طهر نسكنا
فنلقاه في شكرٍ كمنقذنا الجادي[2]

فتصبح دنيانا كأخرى: كلاهما
بوحدة سلمٍ دامَ للحب منقاد

لذلك كان الناسك الزاهد الدنا
أجلّ وأسمى من عظيم بأجناد

وما كان أرقى من تصوُّف ثائرٍ
على حيل طوع (الحياة) وأسداد!

وقلت لها: خلّي قشور بيانه
ولا تحرمينا ما يغذي لآماد

نراه سنىً للروحِ خلف غمامه
ونهضمه في مثل سمعٍ لأعواد

ونرصي عظاماً في ثراه، وأعظماً
تهش له أيضاً، وكانت لحساد!

توحدت الأموات في وحشة البلى
ونحن كصياد يكيد لصياد!

فلا تنهريني إن جعلت عبادتي
توحُّد إحساسي بإحساس أضدادي!

ولا تصغريني إن جعلت مناحة
لنوعيَ في الذكرى فخاراً كأعياد!

فجازت وفائي في سكون تبسماً
شهياً كتأمين، فجئت لإنشادي!

فهل سخّرتنا (للإرادة) هكذا
فكنت وكنتم هكذا رهن ميعاد!؟

ونحن – وإن كنا عبيد (إرادة) –
ملوكٌ، فنوحي في شواسع أبعاد

ويوحى لنا، (فالنفس) خلد مردد
بخيرٍ وشر، في فناء وإيجاد

يردد ما بين الكواكب نورها
قبولاً وعكساً، في اطّراد بآباد

فنحن إذن وحي (الألوهية) دائماً
نشع بمعنى (للألوهة) وقاد

---

[1] أي حياة سلام بلا عدو مهاجم، بينما الضد هو شأن الحياة الحاضرة حيث الخصام والتناحر ودائماً مطاوعة لإيحاء (الإرادة).

[2] الكريم.

وأي إلــــه للشــــقاء مآلـــه؟! وأي إلــه للفنــاء هــو الحــادي؟!
ويــا علمــاً (للعبقريــة) شــاهداً تبسم! فنحن اليوم أخلص أشهاد
وقفنا على غـبن (الحياة) عتابنـا وزدنـاك مـن حـب كقـدرك مـزداد

ولاءان

إن كـان للـوطن العزيـز رعـايتي فلدولــة الإنســان عهـدُ ولائـــي
لا كـان إيمـاني بمصـر إذا نفـى حــبي لهـا يـبري بـدين إخـائي
وطـني كنفســي، فـالغلو يحبـه - إن طـاش - مثـل الأثـرة العميـاء
والمـوطن الأسمـى بـدنيا ملؤهـا عطـفٌ، وإخـلاصٌ، وكـرهُ عـداء
لـن يبلـغ الإنسـان أكـرم مجـده حتـــى يعـــيش لنـــده كفـــداء

المصريــة

أنـت الـتي هـي مـأملي في أمـتي فـإذا انتصـفت فكـل صـعب هـيِّنُ
لـو كـان لـي حـق التصـرف لم أدع متســلِّطا بعـــلاك لا يتـــديَّنُ
يـبني البنـاة وقـد نسـوك ومـا دروا فكـأنهم بعـد البنايـة مـا بنـوا

صوت الحرية

إلى صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا
لمناسبة بيانه الوزاري في مجلس النواب

خَطَبْتَ فكان الصَّوْتُ منْ رُوحِ (نِشْئَةٍ) يُحـذِّرنا مِـنْ أنْ نكُـونَ عبيـدا
خطبت فألهبت القلوبَ التي وعت خطابـك إيمانـاً يعـيش جديـدا
كأنـك ناجيت الزمـان الـذي يلـي وقدمتـه ديـن السـمو سـديدا
لمحـت أمـاني الغيـب ثـم نشـرتها قضـاءً علـى الظلـم الغبي شـديدا
فهشَّت لك الأحـلام حيث جمعتها حيالـك ذخـراً كـالحلي نضـيدا
ومن حفَّه التقديسُ من كل جانب فـأعظم بـه في الحادثـات جليـدا
وقـال فقيـه القـوم: "طـاش خيالـه وسـاء عميـداً للحجـى و(عميـدا)
بهـارج ألفـاظ إلى غـير غايـة سـوى فقْـدِنا عهـداً يلـوح مفيـدا
وهيهـات أن يرقـى إلى مطلـب بـدا قريبـاً، ويغـدو كالسـراب عنيـدا
يقربـه وهـم الخيـال، وإنـه ليلفـى بحسـن النـابهين بعيـدا
يضيِّع حـظ الشـعب خلـف عنـاده ويتركـه يـوم الشـقاء وحيـدا!"
فقلت لـه: "يـا جاحـداً فضـل قائـدٍ تمهَّـل! ولا تسـرف كـذاك جحـودا
إذا صاح فينا (مصطفى) كان صوته نـداءً لأحقـاب تعـاف جمـودا
يعـبر عـن حـس الضـمائر بيننـا وينصـف جنـدياً قضـى وشـهيدا
ويعلـن عـن مجـدٍ (لمصـر) مخلَّـدٍ وإن حسـبوه في الرغـام فقيـدا
كعهـد سمـى قبلـه[1] رن صـوته بعـزة مجـد لـن يفـوت خلـودا
وفيـه تجلـى روح (سـعدٍ) بوثبـةٍ وجـدَّد فينـا (مصـطفى) و (فريـدا)
وأعظـم مـا فيـه نبـوةُ فِكـره فكـان بمـا تملـي عليـه سـعيدا

---

[1] المغفور له مصطفى كامل باشا.

إذا الشعب لم يفقد رجاء بحقه ... وكد فلن يخشى أذى ووعيدا
ومن عاش في الأغلال طوعاً لضعفه ... وظن بها خيراً يموت قعودا
ولسنا ضحايا للعناد، وإنما ... أبينا إباءً سيداً ومسودا
فمن شاء أن يلقى مع الذل عيده ... فذاك، ولسنا من نسام عبيدا!"

رُباعيَّات الخَـيَّـام

عـن

عُمَريَّات فِيتزجَرالدْ

(١٩٢١)

نَقلها شِعراً عَنِ الإنكليزيَّة

الدكتور أحمد زكي أبو شادي

عمريّـات فتزجرالد

للأديب الإنجليزي إدوارد فتزجرالد فضل على الأدب العالمي بإخراجه سنة تسع وخمسين وثمانمائة بعد الألف للميلاد الترجمة الأنجليزية الأولى لرباعيات الشاعر الفارسي الفيلسوف، والمتصوِّف الأبيقوري عمر الخيام، والتي نقلها إلى العربية نقلاً بديعاً – ربما جمَّل به الأصل ذاته – الأديب العربي القدير وديع البستاني في سباعياته التي أخرجها منذ أربعين عاماً، فنبه بنشرها أبناء الضاد إلى دراسة الأدب وتعريبات أخرى. ومن بين هذه الترجمات ما أخرجناه منذ عشرين عاماً معتمدين على ترجمة الزهاوي النثرية عن الفارسية، ثم عنَّ لنا أن ننقل عمريات فتزجرالد عن الإنجليزية، وأسميناها هكذا نظراً لما فيها من تصرف، ونشرنا بالفعل نماذج من هذه الترجمة في المجلد الأولى من مجلة (أبولُّو) الشعرية. لكن توالي الأحداث التي أضاعت ذلك الأثر مع غيره من آثار أدبية وعلمية دعتنا من جديد إلى إعادة ترجمته التي سنذيعها على دفعات، معتمدين أساسياً على الطبعة الثانية المنقحة التي أصدرها فتزجرالد بعد الطبعة الأولى لرباعياته بتسع سنوات ولو أنه بدّل واختصر فيما بعدها، ومذهبنا في الترجمة رعاية حرمة الأصل، ولو جاء أُسلوب الترجمة مركزاً، وهو ما لا يرتضيه من يميلون بطبعهم إلى الأسلوب الفضفاض المهلهل، أو إلى حُرية التصرف، بحيث يخرجون على أسلوب المؤلف تعبيراً وخيالاً وفكراً، مكتفين بما يسمُّونه "روح" الموضوع، وهذا في نظرنا ليس من الأمانة الأدبية في شيء، إلا إذا اقترن بالتنبيه الوافي إلى وجود الخلاف بين الأصل والترجمة. وعدم الإكتراث لهذه الأمانة قد شجع بالفعل انتحال نُخَبٍ من الآداب الأوروبية والأمريكية، والأمثلة المؤسفة لذلك أشهر من أن تعرف وليست مما يشرّف أدبنا المعاصر.

لقد ظهرت ترجمة فتزجرالد لرباعيات الخيام – أو على الأصح شرحه لها – في أوج العصر الفكتوري، فجمعت ما بين التصوف الشرقي وتفاعيل

الروح الدينية التي كانت مسيطرة في ذلك العصر، وفيها ما فيها من حيرة وشكوك. ولم يظهر من أثر أدبي يقارن بها في ذلك العصر منتظماً رثاء البشرية والتفجع لمصيرها (وإن غلب فيه التأميل الشك) سوى ملحمة الشاعر تنيسون المسماة (الذكرى) وقد نقلها إلى العربية الأستاذ أنيس المقدسي.

ومهما يكن من شيء فهذه الرباعيات مبعث تأمل وعزاء، على الرغم مما تتضمنه من حيرة وشك وواقعية. وهي أبعد ما تكون عن العبث الرخيص والإباحية، وإن توهم فيها ذلك النقاد السطحيون كما توهموا في شعر ابن الفارض، ولا يطعن في قيمتها الأدبية كثرة الدخيل بينها وهو الذي دبجته أقلام أخرى ونسب إلى الخيام لدواع شتى.

نيويورك في السابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٥١

أحمد زكي أبو شادي

تَيقَّظْ! فهذي الشمسُ منْ خلْفِ ربْوَةٍ إلى الشرَّقِ ساقَتْ أنجماً تَصْحَبُ اللَّيْلا
رَمَتْها بَعِيداً عَنْه، ثمَّ إلى السَّما رَمَتْ قلعةَ السُّلطَانِ بالنُّورِ فاستَعْلَى!

تَخيَّلْتُ سَمْعي مَنْ يُنَادي بحانَةٍ قُبَيْلَ مَماتِ الطَّيْفِ مِنْ فَجْرنا الكاذب:
"إذَا ما أُعِدَّ الهيْكَلُ الآنَ كَامِلاً فكيْفَ تَوَانَى دُونَه العابِدُ الطَّالِبْ؟"

وعندَ صِيَاحِ الدِّيكِ صَاحَ الألَى أتَوْا وُقُوفاً أمَامَ الحَانِ: "افْتَحْ لنَا! أَسْرِعْ!
فإنكَ تَدْرِي كيفَ أَنَّ بَقاءَنا قليلٌ، وإذْ نَمْضي فَهَيْهاتَ أنْ نَرْجِعْ!"

لقد بَـدَّدَ النّيروزُ شَـوْقاً لِمَا مَضَى
وراحَةُ "موسَى" في بَيَاضٍ تَرقْرَقتْ

وَوِدَّ اعتِـزالاً فيـه رُوحٌ مُفَكِّـرُ
على الغُصْنِ، إذْ أنفَاسُ "عيسى" تُعَطِّرُ!

مَضَـتْ، آرمٌ، حقـاً بكـلّ وُرُودِهَـا
ولكنَّمـا اليَـاقوتُ مـا زالَ دَافِقـاً

وجَمشـيدُ، لم يُعثَـرْ علـى كُوبِـهِ المُغْـرِي
مِنَ الـرَّاحِ، وَالجَنَّاتُ في مَائِها تَجْـرِي!

وَأَطْبَـقَ "داوودُ" الشِّـفَاهَ، وَإِنَّمـا
"هَلُمِّـي! هَلُمِّـي بِالسُّـلافِ!" فَبُـدِّلَتْ

تَغَنَّـى غِنَـاءً فَهَلَوِيّـاً لنَـا البُلْبُـلُ:
بِحُمْرتِهَـا مِـنْ صُـغْرَةٍ وَرْدَةٌ تَخْجَـلُ!

هَلُـمَّ إلى الكَـأْسِ الرَّوِيَّـةِ، مُحْرِقـاً   مَتَـابَ شِـتَاءٍ في لَهِيـبِ ربيـعِ
فـذلكَ طَيْـرُ الوَقْـتِ لَـم يَبْـقَ عِنْـدَهُ   سِـوَى لَحْظَـةٍ إذْ طـارَ جِـدَّ سَـريعِ!

سَـواءٌ بَـدَا في "نَيْسَـبُورَ" و "بَابِـلٍ"   وسِيَّانِ مَـرَّ الكُـوبُ أو كـانَ حَالِيَـا
فـإِنَّ نَبيـذَ العُمْـرِ يَقْطُـرُ دَائمـاً   وتَسْـقُطُ أوْرَاقُ الحيَـاةِ تَوالِيَـا!

ذكَـرْتَ مـع الإصـبَاحِ تـأتي وُرودُه   صَـدَقْتَ، ولكِـنْ أيـنَ وردٌ لأَمْسِـنَا؟
ففـي مَطْلَـعِ الصَّـيْفِ المُحمَّـل وَرْدَةً   سَيَمْضي "كَيُقْبَادٌ" و "جَمْشِيدُ" مِنْ هُنَا!

إلى حَيثُ سَارَا دَعْهُمَا! ليسَ شَأْنَنا		"كَيُقْبَادُ" أَوْ "خُسْرُو"، وإنْ عَظُمَا شَأنا
وَدَعْ صَيْحَةً لِلْحَرْبِ "رُسْتُمُ" صَاحَها		و "حَاتِمٌ" إذْ يَدْعُو إلى المَطْعَمِ الأَهْنَا

تَعَالَي مَعي في شُقَّةِ العُشْبِ هذِهِ		وقد فَصَلَتْ قَفْراً عن الزَّرْعِ والعَرْشِ
وحيثُ تُنْسِي كُلُّ عَبْدٍ وسَيِّدٍ		وقُولي سَلاَماً لِلمَليكِ عَلَى العَرْشِ!

ويُمْسِي غِنىً خُبْزٌ قليلٌ وَدَوْحَةٌ		تُظِلُّ، وَديوانٌ، وأنتِ، مَعَ الرَّاحِ
تُغَنِّينَ قُرْبي وَسْطَ قَفْرٍ لِنَشْوَتي		وأوِ لِقَفْرٍ صَارَ جَنَّةَ أَفْراحِي!

تَلَهَّفَ قومٌ أعْرَضَتْ عَنْهُمُو الدُّنَى
كَمَا حَنَّ قَومٌ في فُتُونِ إلَى الأُخْرَى

ألاَ فَلْتَدَعْ وَجْداً بـاتٍ وخُذْ غِنـىً
تَـراهُ، ودَعْ طَـبْلاً بَعيـداً ومَـا غَنَّـى!

ألـيسَ جُنونـاً أنْ تحـوكَ حَيَاتَنَـا
كما حَـاكَ هَـذا العَنكبُوتُ سَرِيرَهُ

عَلاَمَ؟ فمَنْ يَدْري الشَّهيقَ الذي لَنَا
بلَحْظَتِنـا قَـد لا نُعِيـدُ زَفِـيرَهُ!

تَأَمَّلْ نَضيرَ الوَرْدِ حَوْلكَ واسْتَمِعْ
إلى وَرْدَةٍ في ضِحكِهَا تُعلِنُ السِّـرَّا

إذَا مَا فَضَضْتَ الكَنْزَ فَاضَ عَبيرُهُ
ثَـرَاءً علـى البُسْتانِ يُتْبِعُـه عِطْـرَا

تَساوى الأُلى صافوا الغِلالَ نُضارًا
ومَــنْ أمطَروهَــا في الرِّيَــاح نِثَــارًا

فما عادَ قَوْمٌ بَعدَ أنْ أودِعُوا الثَّرَى
ولاَكَـــانَ بَعْــثٌ لِلَّــذي يَتَــوارَى!

يَحولُ رَمَاداً مَأمَلُ النَّاسِ في الدُّنَى
وَإلاَّ فَمِــنْ بَعْــدِ التَّرعْــرُعِ لِلْغَــضِّ

كَثَلْجٍ علَى وَجْهِ الصَّحَارَى مُشَعْشَعٍ
تَــألَّقَ حِينــاً ثُــمَّ في لَحْظَةٍ يَمْضِــي!

تَأَمَّــلْ بهــذَا الخَــانِ وَهْــوَ مُهَــدَّمٌ
وبَابــاهُ صِــيغَا مِــنْ نَهــارٍ وَمِــنْ لَيْــلِ

وكيــفَ تَعلَّــى حَــاكِمٌ بَعْــدَ حَــاكِمٍ
وَوَلَّــوْا جميعــاً بَعْــدَ أُبَّهَــةِ الحَــوْلِ

على قَصْرِ "جَمْشِيد" المَلِكِ وقَصْفِهِ
تَـرَى السَّـبْعَ والحِرْبَـاءَ مـا لَهُمَـا قَيْـدُ

ويَجْرِي حِمَارُ الوَحْشِ غيرَ مُحَـاذِرٍ
علـى رأْسِ "بَهْـرَامٍ" ولم يَسْـتَفِقْ بَعْـدُ!

رَأَيْـتُ بِقَصْـرٍ تَرْفَـعُ الأُفْـقَ عُمْـدُهُ
وَحَيْـثُ مُلـوكٌ خاشِـعِينَ تَبَوَّكُـوا

مُطَوَّقَـةً ناحتْ وَصَـاحَتْ بِشَـجْوِهَا
كُوكُكُّـو كُوكُكُّـو، كُوكُكُّـو كُوكُكُّـو!

هَلُـمَّ بِكـأْسٍ يَـا حَبِـيبِي رَوِيَّـةٍ
لأَنْسَى أَسَى الماضي ومُقْبِلَ أيَّامي

تَقُـولُ "غـداً"، فِي حِينِ أنِّـي رُبَّمَـا
أُلاقِـي بِـهِ الماضِـي بـآلافِ أعـوامِ!

شَرِبْنَا علَى ذِكْرِ الأَحبَّاءِ خَمْرَةً تَولَّى الزَّمَانُ عَصْرَهَا وهو دائِرُ
شَربْنَا لِمَاماً نَخْبَهُمْ، فَتَسَلَّلُوا لِراحَتِهم فَرْداً فَفَرْداً وهَاجَرُوا

ونَحْنُ الأُلَى نَلْهُو بقاعةِ أُنْسِهِمْ وَقد رَحلُوا والصَّيْفُ في ثَوْبِهِ الزَّاهي
إلَى مَضْجَعِ الأَرْضِ العَميقِ مَآلُنَا لِنَبْسُطَ مَثْوَى آخَرِينَ وأَشْبَاهِ!

يُخَيَّلُ لي في حُمْرَةِ الوَرْدِ قانِياً دِماءٌ "لِكِسْرَى" حَيْثُ كانَ دَفِينَا
وفي السُّنْبُلِ البَرِّيِّ في كُلِّ رَوْضَةٍ حُلَى رَأسِ حَسْناءٍ نُثِرْنَ فُنُونَا!

وهَـذا البَهِـيجُ العُشْـبُ حَـفَّ بلُطْفِـهِ شِـفَاهاً لِنَهْـرٍ فوْقَهَـا تَتَّكـي حُبّـا
تَرَفَّـقْ حَبـيبي! رُبَّمـا كـانَ نَبْعُـهُ شِفَاهاً حِساناً نِمْنَ بالأَمْسِ والعُشْبا

تَمتَّـعْ بمـا أَحْـرَزْتَ قبـلَ زوالِـهِ تُرابـاً تُرابـاً في صَمِـيمِ تُـرابِ
ومِنْ قَبْلِ أنْ نَثْوي تُراباً ومَا لَنَا غِنَـاءٌ ولا شَـادٍ ودُونَ شَـرَابِ

سَـوَاءٌ لِمَـن كـانوا يُعِـدُّونَ زادهُـمْ لِيَوْمِهِمُـو أوْ مَـنْ يُعِـدُّونَ لِلْغَـدِ
أهـابَ منَـادٍ في الظَّـلامِ "جمـيعُكم مجانِينُ! لـن تَلْقَـوْا جـزاءً لِمُهْتَـدي"

وَفي رَقْدَتي أُسْمِعْتُ صَوْتاً منادياً ... "مَعَ الصُّبْحِ فلْتَبْسِمْ لنا الحلْوَةُ الوَزْنَة"

وَأُسْمِعْتُ هَمْساً مِنْ سِوَاهُ بيَقْظَتِي ... "ستَمْضِي كما جَاءَتْ وتَفْنَى بلاَ عَوْنَة"

لقَد سَخِرَتْ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَقَادةٍ ... نُبوءاتُهم عَنْ عَالَمِ النَّاسِ وَالأُخْرَى

تَرَدَّوْا وَقَد سَدَّ التُّرابُ حُلوقَهُمْ ... وَأَلفاظُهُمْ ضَاعَتْ وَقَد نُثِرَتْ نَثْرَا

أَضَعْتُ شَبابي في التَّرَدُّدِ باحثاً ... ببَيْتِ وليٍّ أو ببَيْتِ حكيمِ

وَلكنَّني مِنْ ذلكَ البابِ نَفْسِهِ ... خَرَجْتُ كما أُدْخِلْتُ غيرَ عليمِ

غَرَسنَا جميعاً بذْرَةَ الحِكْمَةِ التي جَهَدْتُ لأرعاهَا بمَا مَلكَتْ يَدِي
وكلُّ حَصَادِي قَوْلُها—جِئتُ نَحْوَكُمْ كماءٍ ومثلَ الرِّيحِ أمْضي وأَغْتَدِي

إلَى هَذه الدُّنيَا أَتَيْتُ وما أدْرِي لِمَاذَا؟ وَمِنْ أيْنَ؟ بطوعيَ أو رُغْمي
كماءٍ، ومثلَ الرِّيحِ فِي القَفْرِ هَبُّها إلَى أينَ؟ لاَ أدري علَى الطَّوْعِ والرَّغْمِ!

لِمَاذَا بلاَ سُؤلٍ جُلِبْتُ إلى هُنَا سَرِيعاً؟ ومِنْ أيْنَ لأَذْهَبَ عاجِلاً؟
إلى أيْنَ؟ جادَتْنَا السَّمَاءُ نَدَامَةً مِنَ الرَّاحِ كيْ نَنْسَى سَقَاهَةَ ما خَلاَ!

صَعِدْتُ مِنَ الأرْضِ العَميقَةِ سَارِياً إلىَ "زُحَلٍ" أرْقى علَى عَرشِهِ السَّاني
وَفي رِحْلَتي كم عُقْدَةٍ نِلْتُ حلَّها وأُعْجِزْتُ عن حَلِّ لِعُقْدَةِ إنْسَانِ

هُناكَ وَجَدْتُ البابَ مِنْ غَيْرِ مِفْتَاحِ هُناكَ وَجَدْتُ السِّتْرَ يَحْجُبُ نَظْرَاتِي
ودَارَ حَدِيثٌ تافِهٌ حَوْلَنَا مَعاً وَغَابَ فلَمْ تُسْتَبْقَ ذاتُكَ أوْ ذَاتي

وَمَا اسْتَطَاعتْ الأرْضُ الجَوابَ ولاَ رَوَتْ بِحَارٌ أَسَتْ مِنْ وَحْشَةٍ لِمُؤْتَمرِ
ولا أَضْحَتْ تِلْكَ السَّمَاءُ فقد غَدَتْ عَلامَاتُهَا طَيَّ الجَدِيدَيْنِ تَسْتَوِي!

تَسَاءَلْتُ: "مَا هَذا الذي مِنْكَ في نَفْسِي
تَحَجَّبَ مِنْ خَلْفِ الوُجُودِ بِما هَمَّا؟
وصِحْتُ لعَلّي وَاجِدٌ لِهِدَايَتي
ضِياءً فقَال الهاتِفُ: "المُبْصِرُ الأَعْمَى"!

حَنَوْتُ علَى ثَغْرِ لِقَارُورَةٍ عَسَى
تُحَدِّثُني عَنْ سِرِّ نَبْعِ حَيَاتي
فقالَتْ "تَمَتَّعْ في حَياتِكَ شَارِباً
فَهيْهَاتَ تَلْقَى البَعْثَ بَعْدَ مَمَاتِ!"

يُخَيَّلُ لي هَذا الإنَاءُ بِقَوْلِهِ
شَرِيدٌ، وقَبْلاً كانَ يَحْيَا وَيَشْرَبُ
ومِرْشَفُهُ المَيْتُ الذي قَدْ لَثَمْتُهُ
مِئاتٍ مِنَ القُبْلاتِ قد كَانَ يَصْحَبُ!

وأَذكر أنّـي كنتُ أبْصَرْتُ صَانِعاً تَنَــاولَ طِينـــاً جــابِلاً لإنائِـــهِ
فقــالَ لـــه: رِفْقــاً أُخَـــيَّ وَرَحْمَــةً وتَمْـــتَمَ في لَفْـــظٍ بِغَيْـــرِ أَدائِـــهِ!

أَمَا دَرَجَتْ مِنْ سَالفِ الدَّهْرِ قِصَّةٌ كَهــذِي كمــا قــد مُثِّلَــتْ طُــولَ أزْمَــانِ
فَمِــنْ مَــدَرٍ أوْ لاَزِبٍ كــانَ دَائِمــاً يَصُــبُّ نُهَــى الخَــلاَّقِ تكْـوينَ إِنْسَــانِ

ولَــمْ نُلْــقِ مِــنْ أكوابِنَــا أيَّ قَطْــرَةٍ عَلَى العُشْبِ مَلْفُوحاً بِغَيْرِ تَسَرُّبِ
لِتُطْفِــي ظَمَــاءً تَجْتَنَــا عِنْــدَ نَــاظِرٍ بَعيــدٍ بَعيــدٍ طَــيَّ أجْيَــال تَخْتَبِــي!

وحينئـذٍ تَهْفُـو بِرَشـفَةِ خَمْـرَةٍ سَـماوِيَّةٍ تُولِيبَــةٌ تَرْفَـعُ الرَّأسَــا
فكُنْ مِثْلَهَا يا ابْنَ الثَّرَى قَبْلَ أنْ تُرَى عَلَـى الأرْضِ مَقْلُوبـاً كما تَقْلِبُ الكَأْسـا

هَلُـمَّ إلَـى سَـرْوٍ تمـوَّجَ حَاضِـناً عَلَـى مُهْلَـةٍ مَحْـدُودَةٍ قَبْـلَ أنْ تَمْضـي
فَعَمَّـا قَريـبٍ سـوفَ تُحْضَـنُ ذَائِبـاً بهَا، وستَمْضـي في هَوَى أُمِّنَا "الأَرضِ"

وإمَّا انْتَهَتْ كَأسٌ شَرِبْتَ ومِرْشَفٌ ضَـغَطْتَ بمـا لاَ بُـدَّ مِنْـهُ قَبُـولا
تخَيَّلْ إذَنْ مَاضِيكَ حَاضِرِكَ الذي تَــرَاهُ، وآتيــكَ البَعيــدَ مَثِــيلاَ

وحِـينَ أخِـيراً عِنْـدَ شـاطئ جَـدْوَلٍ
يَـراكَ مَـلاكُ اللَّيْـلِ وَالـرَّاحِ حَاضِـرا

ويَعْـرِضُ كأسـاً فَلْتُبَـادِرْ لِشُـرِ بِهَا
بِرُوحِـكَ، واحْـذَرْ أن تكُـونَ مُحَـاذِرا!

ولا تَخْـشَ مِـنْ هـذا "الوُجـودِ" جَهَالَـةً
لِنَوْعِـكَ أو تَضْـييعَهُ حِينَمـا انْتَنَـى

فَكَـمْ هَمَـرَ السَّـاقي المُخَلَّـدُ دائِبـاً
مَلايِـينَ مِـنْ تلْـكَ الفَقَـاقيعِ مِثْلَنَـا!

مَتَـى مَا رَحلْنَا واغْتَدَى السِّتْرُ حَاجِباً
كِلَيْنَـا، ومـا دَامَ الوُجُـودُ رَهِينَـا

فمَـنْ ذَا يُبَـالي مَـنْ تَـوَلَّى وَمَـنْ أَتَـى
وَلَـوْ كحصـىً طَـيَّ المُحِيطِ رُمِينَـا؟

أَلاَ لَحْظَـةٌ عِنْـدَ الفَنَـاءِ وَقَفْـرِهِ
لقد أَوْشَكَتْ تَمْضِي النُّجُومُ وَأَوْشَكَتْ

أَلاَ لَحْظَـةٌ حيـثُ المَعِيشَـةُ تَتْبَـعُ
إِلَـى عَـدَمٍ تَمْضِـي القَوَافِـلُ، فأسْـرِعُوا!

أَتَرْضَـى بِبَـرْقِ العُمْـرِ يَـذْهَبُ خُلَّبـاً
وتَفْصِلُ بَـيْنَ الحَـقِّ والـزُّورِ شَـعْرَةٌ

بِبَحْثِكَ لُغْزَ الكَوْنِ؟ أَسْرِعْ إِذَنْ وَجِدْ
فَقُلْ لي علامَ العَيْشُ يَبْقَى وَيَعْتَمِدْ؟

يقُولُـونَ بَـيْنَ الـزُّورِ وَالحَـقِّ شَـعرةٌ
لَعَلَّـكَ تَلْقَـاهُ فَتَغْـنَمَ فَاتِحـاً

أَجَلْ، وكذَا المِفْتَـاحُ يُحْصَـرُ في "الأَلِفْ"
بِـهِ الكَنْزَ، إِذْ تَلْقَـى "المُسْوَدَّ" بالصَّـدَفْ!

تَـدَفَّقَ مثـلَ الزِّئبـقِ الحُـرِّ مُفْلِتـاً وإنْ كـانَ مَخْبُـوءَ الوُجُـودِ ومَـا تَـدْرِي
تَشَـكَّلَ أسمـاءً وزالـتْ جَميعُهـا ولكنَّـه مَـا زَالَ في مَجْـدِهِ الحُـرِّ

تُقَـدِّرُهُ في لَحْظَـةٍ ثُـمَّ بَعْـدَهَا يَغيـبُ ورَاءَ السِّـتْرِ بـيـنَ نُجَـاهُ
ودَبَّـرَهُ مِـنْ نَفْسِـهِ بِرِوَايَـةٍ كَمَـا اشْـتَرَعَ المَجْـرَى لهـا فيَـرَاهُ

ولكنْ إذَا أَصْبَحْتَ فِي اليَوْمِ نَاظِراً بيأسِكَ نَحْوَ الأَرْضِ إِذْ تُغْلَقُ السَّمَا
وأنْتَ الذِي مَا أَنْتَ، كيفَ إذَنْ غَداً مَتَى صِرْتَ "لاَ شَيئاً" وأَصْبَحْتَ مُبْهَمَا؟

مَتَى كُنْتَ حُرّاً مِنْ أذَى النَّاسِ وَالسَّمَا فَخَلِّ الغَدَ المَعْقُودَ في حَلِّ نَفْسِهِ
وأطْلِقْ يَداً في السَّرْدِ بَينَ ضَفَائرٍ تَجلَّتْ عَلَى السَّاقي الرَّشِيقِ بأُنْسِهِ

تَجَنَّبْ ضَيَاعَ الوَقْتِ في السَّعْي باطِلاً وخَلِّ نِزاعاً لَيْسَ يُثْمِرُ لو تَدْري
وأوْلَى بِكَ العُنْقُودُ يُثْمِرُ نَشْوَةً مِنَ الثَّمَرِ المفقودِ والثَّمَرِ المُرِّ

ألاَ فَاعْلَمُوا يا أصدقَائي بأنَّني أَقَمْتُ بِبَيْتي مَقْصَفاً لِزَوَاجي
فأَثَرَ طلاَقي العقلَ منْ بَعْدِ عُقْمِهِ تَزَوَّجْتُ بنتَ الكَرْمِ غيرَ مُدَاجِ

وما "نَعَمٌ" أو "لاَ" وإنْ كُنْتُ قَادِراً
بِحِنْقي علَى التَّكييفِ إنْ غَمَضَ الأَمْرُ

لِتَجْعَلَني المِنْطِيقَ مِثْلَ بَرَاعَتِي
بإدراكِ شيءٍ واحدٍ وهو الخَمْرُ!

يَقُولُ أُنَاسٌ عن حِسابيَ أنَّني
خَلَقْتُ مِنَ العَامِ المُلاَئِمَ والكَافي

فإنْ كَانَ هَذَا فامْحُ مَيِّتَ أَمْسِنَا
سَرِيعاً مِنَ التَّقْويمِ وامْحُ الغَدَ الخَافِي!

وفي وقْفَتي في مَدْخَلِ الحَانِ فَاغِراً
فَمي لاَحَ في ليلي مَلاكٌ وأَشْبَاحُ

وقَالَ - تَذَوَّقْ مِنْ وِعاءٍ رأَيْتُهُ
على مَنْكِبٍ زاهٍ فكانَ هو الرَّاحُ!

هو الرَّاحُ، مَنْ قد خَطَّأَ الجَمْعَ حَاشِداً بِمَنْطِقِهِ يَأبَى نِزَاعَ الطَّوائِفِ

هو الكيميائيُّ الوحيدُ، بِلَمْحَةٍ يُحيلُ رَصاصَ العَيْشِ تِبْراً لِخائِفِ!

هو النَّاشِقُ الجَبَّارُ رُوحَ أُلُوهَةٍ هو السَّيِّدُ المَحْمُودُ بالسَّيْفِ يَضْرِبُ

يُبَدِّدُ كالإِعْصَارِ أَحْزَانَ مُهْجَةٍ وأَوْهَامَهَا الظَّلْمَاءَ أيَّانَ يُشْرَبُ

إذا كانَ هَذَا مِنْ عَصِيرِ أُلُوهَةٍ فَمَنْذَا الذي يَبْغَاهُ لَوْناً من الشَّرَكْ؟

إذا كانَ نُعْمَى فَلْنُبَادِرْ لِرَشْفِهِ وإِنْ كَانَ شَرّاً كيفَ قَدْ جَاءَ لي ولَكْ؟

عليَّ جُحُودي بِلْسَمَ العَيْشِ، إنَّني ... لأَخْشَى حِسَاباً بَعْدَ حِينِ صَوَابِ
وأَشْرَبُ في وَهْمٍ شَرَاباً مُقَدَّساً ... لَدُنْ صَارَ كُوبِي الهَشُّ بَعْضَ تُرَابِ!

ولو أنَّ سَالي الكَرْمِ والعُصْبَةَ الأُلَى ... سَلُوا الحُبَّ كانوا في الجِنَانِ بِمَشْهَدِ
شَكَلْتُ إِذَنْ أنْ قد يَرَوْا ثَمَّ خالياً ... مكاناً لَهُمْ حَتَى ولاَ بَاطِنَ اليَدِ!

وآهٍ لِتَذْكيرٍ بِنَارٍ وَجَنَّةٍ ... إذا كانَ هَذَا العَيْشُ سوفَ يَطيرُ
فهذَا وهَذَا الحَقُّ، لاَ حَقَّ غَيْرَهُ ... فمَا عَادَ مِنْ بَعْدِ المَمَاتِ زُهورُ

أليسَ عَجيباً أنَّ بعضَ الأُلَى مَضَوْا ... أُلوفاً إلَى الظُّلْمَاتِ رَاحُوا ومَا عَادُوا
فصَارَ علَيْنَا كَيْ تُحقِّقَ مَا جَرَى ... لَهُمْ سَيْرُنَا أو بَدْؤُنَا مِثْلَمَا بَادُوا؟

ولَيْسَتْ رُؤىً لِلأتقِيَاءِ وَغَيرِهِمْ ... أُولِي العِلْمِ قبْلاً والنُّبُوَّةِ أُحْرِقُوا
سِوَى قِصَصٍ لمَّا أفَاقوا رَوَوْا لَهَا ... فلمَّا انْتَهَوْا عَادُوا وفي نَوْمِهِمْ بَقُوا

إذَا اسْتطاعَ هَذَا الرُّوحُ يَطْرَحُ جَانِباً ... نِفَايَةَ هَذَا التُّرْبِ حِينَ أُطِيرَا
أَلَيسَ حَرَاماً أو مَعِيباً بَقَاؤهُ ... طَوِيلاً سَجيناً في التُّرابِ أَسِيرَا؟

ولكـنَّ هَـذي لم تَكُـنْ غـيرَ خَيْمَـةٍ   يُقِـيمُ بِهـا السُّـلْطَانُ مثـلَ غَرِيـبِ
وغايتُـه لِلْمـوتِ، حَتـى إذَا مَضَـى   أُعِـدَّتْ لِضَـيْفٍ آخـرٍ وَقَرِيـبِ

بَعَثْـتُ برُوحِـي خَلْـفَ دُنيَـا خَفِيَّـةٍ   لِيَلْفِظَ حَرْفـاً غـابَ عَنّـيَ فِي السَّمَا
فلمَّـا أَتَـانِي قَـالَ – "نَفْسِـيَ وَحْـدَهَا   رَأَيْتُ السَّمَا فيهَا وَشِمْتُ جَهَنَّمَـا!"

إذا رَغْبَـةٌ نِيلَـتْ فَتِلْـكَ سَـمَاءُ   وإنْ مُهْجَـةٌ ذَابَـتْ فَتِلْـكَ جَحِـيمُ
فَعُـدْ لِظَـلامٍ قـد نَفَضْـنَاهُ سَـابِقاً   فَعَمَّـا قَلِيـلٍ عِنْـدَه سَـنُقِيمُ!

وَلَسْنَا سِوَى رَكْبٍ يَسِيرُ وكُلُّنَا ... خَيَالاَتُ تَمْضِي تَارَةً ثم تَغْتَدي

وقَدْ حَمَلَ المِشْكاةَ والشَّمْسُ طيَّها ... بِمَلْعَبِهِ اللَّيْلُ المُديرُ لِنَهْتَدي!

عَلَى لَوْحَةِ الجُوكانِ يَلْعَبُ بالدُّمَى ... تَسِيرُ على لَيْلٍ بَدَا وَنَهَارِ

يُحرِّكُهَا حِيناً هُنَاكَ وها هُنا ... ويُلْقِي بهَا مَوْتَى بِغَيْرِ سِتَارِ!

وَيالأُكَرِ الحَيْرَى تَفَنَّنَ ضَارِباً ... فَلاَ نَعَمٌ تَدْرِي، ولاَ لاَ بها تَدْرِي

وشَرْقاً وغَرْباً ما دَرَى غَيرُ لاَعِبٍ ... بِمِضْرَبِهِ أيَّانَ تَجْرِي لِمَا تَجْرِي؟!

يَدُ القَدَرِ الجَارِي لَقَد سَطَّرَتْ لنا ... وَمَرَّتْ، وَلَنْ تُثْنَى بِتَقْوَاكَ أو وَعْظِكْ
وَهَيْهَاتَ يَكْفِي كلُّ دمْعٍ بَذَلْتَهُ ... لِيَمْحُوَ لَفْظاً كانَ سُطِّرَ عَنْ حَظِّكْ

أَلاَ فَلْتَدَعْ لِلْفَيْلَسُوفِ حَدِيثَهُ ... ودَعْ لِطَبِيبٍ مَا يَقُولُ كَذَاكَا
فَلَيْسَا عَلَى الحَالَيْنِ إلاَّ كَحَلْقَةٍ ... بِسِلْسِلَةٍ لاَ تَسْتَحِيلُ فِكاكَا!

ومَا هَذِهِ الطَّاسُ المُسَمَّاةُ بِالسَّمَا ... وقد قُلِبَتْ، إذْ تَحْتَها سَامَنَا القَدَرْ
لِنَحْيَا وَنَفْنَى، لاَ تُطَالِبْ بِعَوْنِهَا ... فَقَدْ ضَؤُلَتْ شَأْناً كَشَأْنِك في القَدَرْ

بـأوَّلِ طِـينٍ كَوَّنـوا آخِـرَ الـوَرَى ... ومِنْ آخِرِ المَحْصولِ قَدْ نَثَرُوا البَذْرا
وأوَّلُ صُـبْحٍ لِلْوُجُـودِ بِرَقْمِـهِ ... رَوَى عَنْ أخِيرِ الفَجْرِ في عَالَمِ الأُخْرَى!

أَعَـدَّ لنَـا أَمْـسُ الجُنـونَ بيَوْمِنَـا ... وصَمْتَ غَدٍ والنَّصْرَ أو يَأْسَ مُنْفَضٍّ
فَلِلـرَّاحِ هَيَّـا! لَسْـتَ تَعْـرِفُ مَبْـدَأً ... ولاَ سَبَباً أو غايَـةً نَحْوَهَـا تَمْضِـي!

ألاَ خُـذْ مَقَـالي – حـين مَبْدَأَ كَوْنِنَـا ... رَمَوْا فوقَ كِتْفِ الشَّمسِ في اللَّهَبِ المُوحي
وفـوقَ "الثُّرَيَّـا" الفَخْمِ و "المُشْتَرِي" رَمَوْا ... مُقَدَّرَ حَظِّي مِنْ تُرَابٍ ومِنْ رُوحِ!

إِذَا مَـا أصَـابَ الكَـرْمُ عِرْقـاً حِيَالَـهُ
ومِـنْ مَعْدِنِي الـدَّانِي لِيُشْـغَلَ بَـارِدٌ

تَعَلَّقَ جِسْمِي فَلْيَكُ العَابِدُ السَّاخِرْ
لِمِفْتَـاحِ بـابٍ دُونَـه صَـارِخٌ ثَـائِرْ!

وهَـذَا الـذِي أدْرِيـهِ – سِيَّانِ وَمْضَـةٌ
لَخَيْرٌ لنَـا فِي الحَـانِ نَخْطَفُ وَمْضَـةً

مِنَ النُّـورِ حُبّـاً أو مِـنَ الشُّـعْلَةِ الحَمْـرَا
مِـنَ الأَلَـقِ المَفْقُـودِ فِي مَعْبَـدٍ فَـوْرا

أمِـنْ عَـادِمٍ لِلْحِـسِّ لا شَـيْءَ يَغْتَـدِي
يُعَـذَّبُ لِلصَّـفْوِ المحَـرَّمِ مِثْلَمَـا

كِيَانٌ مُحِسٌّ ثَائِرٌ يَرْفُضُ العَسْفَا؟!
يُعَاقَبُ دَوْمـاً إنْ أَبَـى ذلكَ الخَسْفَا!

أعَنْ خلْقِهِ المَرْضُوضِ تُزجِي له التِّبْرَا   وعَـنْ رَغْـوَةٍ هانَـتْ نَـرُدُّ لـه دَيْنَـا

يُحَاكِمُنَـا ظُلمـاً لِعقْـدٍ مُلَفَّـقٍ   فَلَمْ نَشْتَرِكْ فيهِ، ألاَ بِئْسَ مَا يُجْنَى!

وَلَـوْلاَ شُـعُورُ الرُّعْـبِ مِنْـهُ لِوَجْهِـهِ   لَمَـا قُلْـتُ إنَّ الظُّلْـمَ كـانَ سَـمَاحَا

وأُقْسِـمُكم مِـنْ صَـالِحٍ زارَ حانَـةً   لَيُشْـبِعُهُ رَفْسـاً، ولـيسَ جُنَاحَـا!

أيَا مَنْ طَرِيقِي في شُرُودِي مَلأْتَـهُ   وِجَـاراً، ومَـنْ فِيـهِ نَصَبْتَ شِـرَاكَا

أتَمْلَـؤُه بالشَّـرِّ مِنْـكَ مُقَـدَّراً   وتَنْسِـبُ لـي بَعْدُ السُّقُوطَ لِذَاكَا؟

أَيَا مَنْ بَرَى الإِنْسَانَ مِنْ طِينَةٍ دَنَتْ ولم يَحْرِمِ الفِرْدَوْسَ مِنْ صُحْبَةِ الحَيَّة
ألاَ فَامْنَحْ الإِنْسَانَ عَفْوَكَ إِنْ يَكُنْ مُسِيئاً وَلَوْ لَمْ تُبْقِ عَفْوَكَ أَوْ غَيَّة!

كما قَد تَوَارَى تَحْتَ سِتْرٍ لِغَابِرٍ لَدَى "رَمَضَانَ" الجَائِعُ الخَائِفُ الظِّلّ
ذَهَبْتُ إِلَى الخَزَّافِ وَحْدِي وعِنْدَهُ مِنَ الطِّينِ أشكالٌ تَجَمَّعْنَ مِنْ حَوْلِي

وقَالَ سِوَاءُ – مَا تَجَرَّأَ مَرَّةً صَبِيٌّ خَبِيثٌ كَاسِراً كُوبَ أُنْسِهِ
فكيْفَ لِمَحْضِ السُّخْطِ يُتْلِفُ صَانِعٌ تَفَنَّنَ مُخْتَاراً – وِعَاءً لِنَفْسِهِ؟!

فَمَـا نَطَقُـوا، لكنَّمـا بَعـدَ صَـمْتِهِمْ تَلَفَّـظَ مِـنْهُم وَاحِـدٌ ذاقَ ذُلَّـهُ

"لقَد سَخِرُوا مِنّي لِقُبْحي فَهَلْ نُرَى أُميلَتْ يَدُ الخَزَّافِ في رَعْشَـةٍ لَـهُ؟!"

يَفـيضُ سـؤالاً مَيِّتٌ مثـلَ عـائِشٍ لِمَـاذَا؟ ومَـاذَا؟ في شُـكوكِ سُـؤَالِ

وفي مـرةٍ أُسْـمِعْتُ صـوتَ تَـذَمُّرٍ: تُرَى مَنْ هو الخَزَّافُ والخَزَفُ البَالي؟!

فَقَـالَ مجيـبٌ - "إنَّ قومـاً لِسـيِّدٍ غليظٍ بِدُخَّانِ الجَحيمِ لَثُوا وَجْهَـهْ

وقـالُوا لنَـا عَـن شِـدَّةٍ لِحِسَـابِهِ فـأُفٍّ لَهُـمْ! هَيْهَاتَ يَظْلِمُ أو يَسْفَهْ؟"

وقال سِوَاهُ – إنّ تكُنْ طينَتي جَفّتْ
لإغفالِهــا وَقْتـاً مَديـداً بــلا ذِكْــرِ

فهيّــا تَقَــدَّمْ مِــنْ شَــرَابٍ مُحَبَّــبٍ
لِمَلْئِي لَعَلّي بَعْدُ يَرْجِعُ لـي بِشْرِي!

وإذْ حَـدَّثَتْ هـذي الأَوانـي حَـدِيثَها
تِبَاعــاً رأَتْ طِفْــلاً هِــلاَلاً نَشَــدْنَهُ

وفي فَرْحَــةٍ طابَــتْ تَغَــامَزَ جَمْعُهــا
وقَالَـتْ – "غَدَا الخَزَّافَ يَهْتِكُ فَنَّهُ"

أَلاَ فَلْتُــزَوِّدْ بالسُّــلاَفِ بقيَّــةً
لِعُمْـرِي وغَسِّـلْ بالسُّـلافِ رُفَـاتي

وأَلْـقِ بِجِسْـمِيَ طَـيَّ نَبْـتٍ مُنَضَّـرٍ
بِمَهْجُـورِ بُسْــتَانٍ تَـرُدَّ حَيَـاتي!

إذا مَا أتَى هذا الربيعُ بدِفْئِهِ تَلاَقَى حَبِيبٌ مِنْ قَديمٍ بِحُبِّهِ
بِظِلٍّ لِغُصْنٍ مَائِلٍ فوقَ حَائِطٍ وقَدْ نَثَرَ النُّوَّارَ فوقَ مُحِبِّهِ

وحينَئِذٍ حَتَّى رَمَادِي في الثَّرَى يكونُ كَفَخٍّ في الهَوَاءِ أُشِيرَا
بحيْثُ إذَا مَرَّ مَنْ كَانَ كَافِراً بِعَقْرَبَةٍ مِنْهُ يَصِيرُ أسِيرَا!

لَقَدْ أغْرَقَتْ مَجْدِي بِكأسٍ صَغيرةٍ مَحَبَّتِي الأَوْثَانَ طُولَ بَقَائِي
وكانتْ لِفَضْلي النَّقْصَ في أعْيُنِ الوَرَى فَضَيَّعْتُ صِيتِي بائِعاً بِغِنَاءِ

أكِيـداً أكِيـداً كنـتُ أعْلَنْـتُ تَـوبَتِي
وأقْسَـمْتُ، لكنْ هَل تُرَى كنتُ وَاعِيا؟

ومِـنْ بَعْـدُ قَـدْ وَافَـى الرَّبيـعُ وَوَرْدَةٌ
براحَتِـهِ فانْسَـلَّ تَـوْبي مُجَافِيـا!

ومِـنْ حَيْـثُ أنَّ الـرَّاحَ كانَـتْ أثيمَـةً
وقَـدْ سَـرَقَتْ مِنِّـي رِداءَ وَقَـارِي

فَـوا عَجَبِـي مِـنْ مُبْدِليهَا بمَـا أرَى
أقَـلَّ غِنـىً منْهَـا لبَائِعِهَـا الشَـارِي!

ولكـنَّ آهـاً لِلرَّبيـعِ الـذي مَضَـى
مَعَ الوَرْدِ، إذْ سِفْرُ الشَّبابِ تَوَارَى

كمـا لم يَعُـدْ لِلْعَنْـدَلِيبِ صُـدَاحُهُ
ولم نَـدْرِ أنَّـى جـاءَ قَبْـلُ وسَـارَا

أَلاَ لَيْـتَ صَـحْراءً لِعَيْنٍ حَبِيبَـةٍ تجُودُ علَى السَّارِي العَلِيلِ بِلَمْحَةِ
فَيَقْفِـزَ مِـنْ بَعْـدِ الهُمُـودِ كَأَنَّـهُ مَـدِيسٌ مِـنَ الأَعشَـابِ عَـادَ لِوَثْبَـةٍ!

وآهٍ لـو الـدُّنيا أُعِيـدَتْ لِخَلْقِهـا وقَبْـلَ كتـابِ الحَـظِّ يُخْـتَم دُونَنَـا
لِنَجْعَلَ مـنْ خَـطِّ الحُظُوظَ مُسَـجَّلاً بخَـيرِ أسَـامِينَا، وإِنْ يـأْبَ فَاتَنَـا!

لأَجْـدَى إذَا الـدُّنْيَا تَخَلَّـى سِـجِلُّهَا عَنِ اسْمٍ لِرُوحٍ مُتْعَبٍ سَيِّئِ العُمْرِ
وَمِـنْ ذَلِـكَ الفَـيْضِ المتَـابعِ قَطْـرَةً علَى قَطْرَةٍ فِي الكَرْبِ مِنْ أَعْصُرٍ تَجْرِي!

وآهِ حَبِــــيبي لَيْتَمَــــا نَتَــــآمَرُ مَـعَ الحَـظِّ كَـيْ هَـذَا الوُجُـودَ نُـدَمِّرُ
ونَخْلُقُــه خَلْقــاً جَدِيــداً مُهَــذَّباً وأَدْنَـى لِمَـا تَهْـوَى القُلُـوبُ فَيَعْمُـرُ!

ولكـنْ تَعَالَ انْظُـرْ حبيبي! فَهـا بَـدَا على الأُفْقِ هَـذا البَـدْرُ يَنْظُرُ نَحْـوَنَا
بِرَعْشَـةٍ يَرْنُـو، فَكَـمْ بَعْـدُ يـا تُـرَى سَيَرْنُو ولا يَلْقَى على العُشْبِ أَيْنَا؟

أطيـاف الربيـع

(سبتمبر ١٩٢٢)

إهـــداء الدّيـوَان

إلى الــرُّوحِ الجميـلِ وكـم إليـهِ — أبـثُّ مــن التلـهُّفِ رُوحَ ظـامِي
فــلا يُصْــغِي لآلامــي ويَنْسَــى — فــؤاداً حَسْــبُهُ بَعْـضُ ابتســامِ
أعــيشُ ببســمةٍ وأعــدّ زادي — أشــعّتَهَا وأشــربُها مُـدامِي
حُرِمْــتُ جمالَــكِ المعبـودَ حتـى — غــدا قلــي حطامــاً في حطـامِ
كــأنّ الــذكرياتِ بــه بقايــا — مــن الأشــلاء أشــتاتٌ دوامِــي
وصــارتْ مُهجـتي الثّكْلَـى بحُبّـي — كعاصــفةٍ تَرَامَــتْ في الرَّغــامِ
وعَيشتــي خُدعــةٌ لليــلِ تَتْـرَى — وهــذا الشـعرُ أطيـافَ الظـلامِ

*****

وحــين تَــنفّسَ الإصـباحُ شـعراً — وتــاه الحُسْــنُ بـاللحنِ البـديع
وردّدتِ الصــــباحةُ أُغنيــــاتٍ — تمــوجُ بنشــوة الــرُّوحِ الوديــعِ
وطــوَّقني النســيمُ بكــلّ عطــفٍ — وَجَفَّـفَ مـا ترَقـرقَ مِـنْ دُمـوعي
وَحيَّــتْني الأزاهــرُ وهــي سَـكْرَى — بخمــرِ الحُــبِّ في أدبٍ رفيــعِ
وداعبــتِ العصــافيرُ اللّــواتي — مــرحنَ تــأمّلاتي بــل خُشــوعي
عرفــتُ يــدَ الألوهــةِ منـكِ تُنْضِـي — ظــلامَ فــؤاديَ القلــقِ الصَّــريعِ
فحــال دُجَــايَ أضــواءً بشــعري — وصــار الشــعرُ أطيــافَ الربيــعِ

أبو شادي

شعر الدّيوان

تحت الوسادة

خَبَأتْ أغاني الحبِّ تحت وسادةٍ بسريرها

فكأنما خبأتْ بها روحاً تحنّ لنورها

واستنشقتْ منها العبيرَ وقبَّلتْ مَعناهَا

فرأتْ بها نورَ الحياة وحظَّها وغِناهَا

ومضت تُداعبُ روحَ هذا الشعرِ في تحنانهِ

وكأنما هو مُلْهَمٌ منها بسحر بيانهِ

وأطالتِ الإحسانَ والإلهامَ من شفتيْها

وكأنما قلبي الذي حملتْه بين يديْها

وأحسَّتِ اللَّهَبَ الحنونَ يفيض بين سطورهِ

فإذا لهيبُ شعورِها يَلْقَى لهيبَ شعورهِ

تتعارف الأرواحُ وهي على نوىً بجسومِها

وتذوقُ ملءَ الشعر طعمَ غَرامِها وهُمومِها

تلك السطورُ عواطفي وَمشاعري وجَناني

فترفَّقي بعزيزِ ما تحويهِ من خفقانِ

شاطئ الأحلام

(خليج استانلي – رمل الاسكندرية)

رُدّوا شعاعَ الشمسِ حيث تُطِلُّ ... ودعوا الحسان مكانَها تحتلُّ

الخالعات من الثياب أجلّها ... واللابساتِ الحُسْنَ وهو أجلُّ

من كلِّ لونٍ للأزاهرِ صبغةٌ ... فيهِ وإنْ ملكَ البيانَ الفُلُّ

في مَسْرَحِ البحرُ وثّابٌ به ... مثلَ العوادلِف يَعتلي ويَزلُّ

والموج يعبثُ بالصخور كأنها ... مُهَجٌ يحاربها الهوى فتَذلُّ

(فينوسُ)[1] تمرح فيه بين مَفَاتِنٍ ... ويَلي (كيوبيدَ)[2] العزيز (أبولُّو)[3]

وَطَنُ الألوهةِ في الحياة بما وعَتْ ... فلكلِّ رمزٍ للنعيمِ مَحَلُّ

لا تَسْقِني الخمرَ المعتَّقةَ المُنَى ... حين العيونُ تشوقنا وتَدِلُّ

حين السواعدُ في الشّهيِّ لِسُمْرَةٍ ... أشهى الكؤوسِ نذوقها ونَعِلُّ

الحُسْنُ لم يُعْبَدْ طَهوراً عارياً ... بأحبَّ مِنْ هذا الذي يَبتلُّ

واللهوُ لم يُغْنَمْ بريئاً حالياً ... بأرقَّ مِنْ صَفْوٍ عليه نُطِلُّ

فرحتْ به الأمُّ الطبيعةُ مثلما ... لاَقى الوصالَ العاشقُ المعتلُّ

مَرْأىً حياةُ الشعرِ مِنْ أوزانهِ ... ويعود للإكثارِ فيه مُقِلُّ

ومُنىً مِن الأحلامِ ترقصُ حولنا ... ومن الحقيقةِ ما حكاه الظِلُّ

كرُمَتْ، فكلٌّ ناهلٌ مِنْ طيبِها ... وقَسَتْ فأيُّ صَدىً هُناكَ يُبَلُّ؟!

---

[1] إلهة الجمال.

[2] إلهة الحب.

[3] إلهة الشعر.

في المعبد

وقفتْ تُناجي (الشمس) حين تجاهلتْ ... أنّ الشموسَ بحبِّها تتلالا

نطقتْ بروح الشمس واستوحتْ بها ... معنىً يبوحُ به الإلهُ تعالى

ومِن الرموزِ حقائقٌ ودقائقٌ ... حتى نكاد نرى الأصيلَ مثالاَ

وقفتْ تحنّ لها الضحايا مثلما ... حنَّ البَخُورُ تجاهَها إقبالاَ!

في الهيكلِ المُصْغي إليها رهبةً ... حتى الظِلالُ به وَقفْنَ ظِلالاَ!

وترى النقوشَ تقمَّصتْ أشكالَها ... أممٌ تُطِلُّ ولا تُريدُ زوالاَ!

وكأنما العمُدُ التي رَفَعتْ مَدَى ... هذي الفنونِ بزهوِها تتعالى!

وإذْ القُدُورُ تَضمَّختْ أنفاسُها ... بالحبِّ مِن أنفاسِها[1] يَتوالى

والشّمسُ تبسمُ روعةً وتألّهاً ... لِمَ لا وقد عشقَ الجمالُ جمالا!

*****

هذي حياةُ النيلِ ربَّةُ عرشِهِ ... ومُنَى (أتون) رشاقةً وجَلالاَ

وقفتْ تُصلّي والصّفوفُ وراءَها ... كالدهر يجمع نحوَها الآمالاَ

رفعتْ يداً بالزَّهْر وهو شفيعُها ... وتمدّ أخرى في ابتهالٍ طالا

والحُورُ والولدانُ من أتباعها ... حتى الخيال لهنّ ليس خيالاَ

وإذا بأخناتون يُنصِت غارقاً ... في الحُلْمِ يرقب حوله الأجيالاَ

وهبَ السلامَ إلى القلوبِ مؤاسياً ... ورأى الحروبَ سفاهةً وضلالاَ

وتحالفا[2] والشمسَ فيما أشرقتْ ... بهما ضياءً خالداً وكمالاَ

وكأنما هذي الأشعةُ لم تَزَلْ ... مِنْ ذلك الأمسِ العظيمِ مقالاَ

نطقتْ بها الذّرّاتُ لو يُصْغَى إلى ... ما حُمِّلَتْهُ تفاؤلاً وسؤالاَ

والفنُّ ينتظم القرونَ فإنه ... روحُ الزمانِ فما يَهابُ مُحَالاَ!

---

[1] يشير إلى نفرتيتي زوجة عاهل مصر أخناتون، وهي المرئية في موقف الصلاة والابتهال.
[2] أخناتون ونفرتيتي.

زيــوس ويــوروبا

(كبيرة الآلهة ونموذج الجمال)

شـاقَه الحُسْنُ وكم شـاقَ الجمـالْ — كلَّ ما في الكونِ بل ما في الخيالْ
لــيس بــدعاً مِــنْ إلــهٍ قــادرٍ — أن ينـال الحُسْـنُ منـه الإبتهـالْ
أو مُحَــالاً مِــنْ جَمَــالٍ مُعْجِــزٍ — أن تــرى المــألوفَ منـه كالمُحـالْ

*****

خطـرتْ بنــتُ المليــكِ الســافِرَهْ — في رُبَــى الشَّــاطئِ تلـهو سَـاحِرهْ
والمُــروجُ الخُضْـرُ تَزْهـو حَوْلَهَـا — بــين نُــورٍ ومعَــانٍ ناضِــرَهْ
وبـدا الشَّــاطئُ في رُوحِ الصِّـبَى — وأمــاني الحــبِّ فيــهِ طــائِرَهْ

*****

ورآهــا دُميــةَ الفــنِّ (زيــوسْ) — وغِنَــى الــدنيا وأحـلامَ الكـؤوسْ
فاشـتهاها وهــو أسمــى منـزلاً — وهي أسمى منه في حُسْنٍ يسوسْ
وأبــى اســتهواءَها إلا عَلَــى — صـورةٍ للفـنِّ تسـتهوي النفـوسْ

*****

فــتراءَى في خيــالِ الحيــوانْ — الأليـفِ الطِّبــعِ والجـمِّ الحَنَـانْ
صــورةَ الثَّــورِ البهــيِّ المنظـرِ — الخفيـفِ الظِّـلِّ ترضـاه الحسـانْ
واكتسَـى مِـنْ لونـهِ الصَّـافي حُلَـىً — فــإذا المَــرْجُ بمــرآهُ يُــزَانْ!

*****

ودنــا مِــن ربَّــةِ الحسـنِ الــتي — قــد تَجلَّــتْ في مَصَــفٍّ الآلهــة
في دُعابــاتٍ يُحَيِّيهــا بهــا — كتحيَّــاتِ القلــوبِ الوالهــهْ
ألْقَــتِ الخــوفَ وناجتْــهُ كمـا — داعـبَ الطفـلُ الـدُّمَى المسـتألهة

*****

وأتَــتْ بــالزَّهر إكلــيلاً لــه — ثــم عقْـداً شــاقَها في جيـدهِ

فـــازدهَى فيِ نشـــوةِ الحُـــبِّ كمـــا يزْدَهـــي المعتـــزُّ مـــن تأييـــدهِ
وانثنَـــــتْ تركبـــــهُ فيِ خِفَّـــــةٍ فأتَمَّـــــتْ حَظَّـــــهُ فيِ عِيـــــدهِ!

*****

ومضـــى فيِ الـــيمِّ يجـــري ســـابحاً غانمـــاً مُلكـــاً فريـــداً راجحَـــا
وجمـــــالاً عبقريّـــــاً بينمـــــا كـــانَ هـــذا الكـــونُ يرنـــو صـــادحَا
وتـــولّى يحمـــل الحســـنَ إلى حيث يلقـى الحُسْنُ عرشـاً صـالحَا

*****

وتَجلَّـــى بَعْـــدَ ذا فيِ صُـــورتِهْ حـــين (يوروبـــا) بـــدتْ فيِ رُتبتِـــهْ
وارتضـــتْه بعـــدَ لأيٍ زوجَهـــا حـــين عَـــدَّ الكـــونَ مَـــرْأَى زوجتِـــهْ
كـــم كـــبيرٍ بصـــغيرٍ يَعْتَلِـــي وصـــــغيرٍ بكـــــبيرٍ لم يَتِـــــهْ!

إيليـا وصموئيـل

نظـــرَ الشـــيخُ نظـــرةً مـــن حنـــانٍ للفتـــى الســـاحرِ النُّهَـــى اللـــوذعيِّ
نظـــرةً أُشْـــبِعَتْ بإلهـــامِ روحٍ كإلـــــهٍ بوحيـــــهِ الأزلـــــيِّ
ربَـــتَ الســـاعدَ القريـــرَ قريـــراً فســـرى النُّبْـــلُ فيِ الشـــعورِ الفـــتيِّ
وتـــرى زُرقـــةَ الســـماءِ تـــراءَتْ فيِ رضـــاءٍ مـــن الإلـــه العلـــيِّ
نفـــذتْ مـــن غضـــونِ نافـــذةِ البيـــ ـتِ كطيـــفٍ مـــن الســـما قُدســـيِّ
وتجلّـــى المصـــباحُ بـــالنور أمـــوا جـــاً كمـــوجِ الحيـــاة في كـــل شـــيِّ
وَبـــدا فيِ ســـكونه الآســـرِ الليـــ ـــلُ كمعنـــىً بمهجـــةِ الألمعـــيِّ
وتخـــال الأَصـــباغَ فيِ مَلـــبسِ الشيـــ ـــخ بيانـــاً مـــن الشـــعاع الســـنيِّ
لكـــأنَّ الزمـــان وهـــو مُسِـــنٌّ مُشـــرِقٌ لابنـــهِ المليـــح الصـــبيِّ

وكــأنّ الكتــابَ في يــده النشــْ ـــرُ لســرٌ الوجــود مــن بعــد طــيّ

تَلمــحُ الحكمــةَ العميقــةَ والفكــ ـــرَ بوجــهٍ مُنــوَّرِ الــنفسِ حــيّ

وتــرى شَــعْرَه المهيــبَ نُصــوعاً كجـــلالِ الحقيقـــةِ الأبـــديّ

مَشـــهدٌ صـــاغهُ الزّمـــانُ ليحيـــا في عصـــورِ بشـــاعرٍ ونجـــيّ

كـان لونـاً مـن نقشِ أحداثـهِ الكُبـ ـــرَى ومعنـــىً مـــن فنّـــهِ العبقـــريّ

*****

هتفَ الوحيُ في نُهَى الطفل إذْ قا مَ ليُصْـــغِي إلى الـــوليٍّ الـــوفيّ

فتغـــذَّى مـــن رُوحـــه بجمـــالٍ وتَحلّـــى منـــه بـــأبهى الحُلـــيّ

ومضَـى في الزمـان يغـزو جريئـاً بانيـــاً معقـــلَ الشـــعورِ الأبـــيّ

أمـــمٌ أُسْـــعِدَتْ بـــه في حيـــاةٍ ومَمـــاتٍ بروحِـــه العلـــويّ

مثلمـــا أســـعِدَ البيـــانُ بمـــرأى دائـــمِ الـــنفحِ بالجمـــالِ الســـريّ

*****

رُبَّ طفـــلٍ رَعتْـــه أمٌّ حَنـــونٌ وأبٌ في كفـــاحِ عـــيشٍ شـــقيّ

وتَـــولاّه هاديـــاً مَـــنْ تَـــوَلّى وحبـــاه بعطفـــه الأبـــويّ

وأثـــاروا فيـــه الرُّجولـــةَ والنّبْـــ ـــلَ وصـــدقَ التجمّـــل الروحـــيّ

صـــيَّرَتْه الأقـــدارُ مِـــنْ قـــادَةِ الفكْــ ـــرِ نبيـــاً أو في مقـــامِ الـــنبيّ

أفرديت وأدونيس

هَلُمِّـــي دُمُـــوعَ الجمـــالْ هَلُمِّـــي ولا تَكْتَفـــي
ويـــا جَـــذوةً في اشـــتعالْ أطيلـــي ولا تَنطفـــي
لهيباً بقلبي الوَفي!

*****

جَئَـــتْ قُرْبَـــهُ (أفْرُديـــتْ) تنـــوحُ نـــواحَ المـــرُوعْ
بقلـــبٍ كســـيرٍ شـــتيتْ يَســـيلُ مَســـيلَ الـــدّموعْ
ويُفشِي الأسَى في الزُّروعْ

عَلَـــتْ صـــرخةٌ داويـــهْ فهـــزتْ عَتِـــيَّ الصـــخورْ
كـــأنّ المُنـــى الفانيـــه تطـــوف بأهـــلِ القُبـــورْ
وتُحيي الشَّجى والثُّبورْ

أحبَّتْـــهُ دونَ الـــورَى ومـــا الحـــبُّ إلا الخلـــودْ
ولكنّـــه مـــا ارتضَـــى حيـــاةَ الغـــرامِ الســـعيدْ
شَغوفاً بوحشٍ يصيدْ

فجُنَّـــتْ جنـــونَ الغـــرامْ إذا القـــدَرُ اســـتنزفَهْ
ولم يَبـــقَ إلاّ ضـــرامْ تخادعُـــهُ مُتْلِفَـــهْ
وتمنـــه مُخْلِفَهْ

جثـــتْ قُربَـــهُ عاريَـــهْ وقـــد غرقـــتْ طـــيَّ يـــأسِ
ســـوى فضْـــلةٍ باليـــهْ مـــن اليـــأسِ، فاليـــأسُ يُمســـي
فناءً لجسمٍ ونفسِ

وأســـندتِ الـــرأسَ ولهَـــى وصـــاحتْ بســـخطِ الغـــرامْ

فأصـــغى (أبولـــو) إليهـــا وأقســـــمَ أن لا يُضـــامْ

إلـهٌ يسوسُ الأنـامْ

وبينـــا (أدونـــيسَ) تـــدعو وقـــد أطبقـــتْ ناظريْهـــا

بصـــوتٍ مـــن الـــرُّوح يحـــدو ويـــدعو البرايـــا لـــديْها

ويُزجِي الضحايا إليها

إذا الكـــونُ ســـاجٍ ســـقيمْ فنـــالَ (الألمـــبَ) الصـــمَمْ

ســوى مـــن (أبولـــو) الـــرحيمْ وقـــد نـــال منـــه الألمْ

فكم خصَّها بالنغمْ

فأنبتَـــــهُ زهـــــرةً هـــــي الأنِمـــونُ الجميـــلْ

نشـــــاهدها حســـــرةً علــــى ألمٍ يســـــتحيلْ

به الحبُّ موتَ العليلْ

ففارقَهـــــا في المســـــاءْ مُصِـــرّاً علـــى صـــيدِهِ

ومـــا هـــابَ مـــوتَ الضـــياءْ وكـــم مـــات في مَجْـــدِهِ

ولا خـاف من لَحدِهِ

وغادرَهَـــــا وهـــــي في تَلَهُّفِهـــــا ظامئـــــهْ

وفيهـــا شـــعورٌ خَفِـــي بنشـــوتِها الخاطئـــهْ

وحسـرتها الناشئهْ

ومـــا كـــادَ أن يتـــوارَى وإنْ يَتحـــدَّى الظـــلامْ

كمـــن وَدَّ يَغْـــزو النهـــارا - وإن فاتـــه - في اقتحـــام

ولو غاب بين الغمامْ

إذا بـــالجوادِ العزيـــزْ مـــن الجهـــدِ يَلقَـــى العثـــارْ

وبـــالموتِ طَفْـــراً يُجيـــزْ   - لـــرَتٌ بـــدَا[1] - أخـــذَ ثـــارْ

من الفارسِ المستثارْ

فلاقـــى (أدونـــيسُ) حَتْفَـــهْ   علـــى الأرضِ بـــين الـــدماءْ

ولم يَعـــرفِ المـــوتُ رأفَـــهْ   لحســـنِ ربيـــبِ الســـماءْ

له فـي الألمِ الرجاءْ

ورنّـــتْ لـــه صـــيحةٌ   فنـــاح الفضـــاءُ الرحيـــبْ

وثـــارتْ لـــه ثـــورةٌ   وأنَّ الوجـــودُ الســـليبْ

وقد شامَ فقدَ الحبيبْ

وطـــارتْ لـــه (أفرديـــتْ)   بلوعتهـــا والهـــوى

فألفتْـــهُ ميتـــاً يبيـــتْ   مَبيـــتَ المُنَـــى في الثـــرى

وقد كان زينَ الورى

ولكنهـــا في ذُهُـــولْ   عَـــدَاها الـــدَّمُ المزْهِـــرُ

عـــذابٌ ويـــأسٌ يَطـــولْ   ومَـــوْتٌ لـــه آخـــرُ

كذاك الهوى المقفِرُ

فيـــا لوعَـــةً للطبيعَـــهْ   بغُصـــنٍ ومـــاءٍ وصـــخرِ

تـــراءَت معـــاني الفجيعَـــهْ   بهـــا في ســـكونٍ وذُعْـــرِ

وناحتْ بشعرٍ وشعرِ

هَلُمِّـــي دمـــوعَ الجمـــالْ   هَلُمِّـــي ولا تكتفـــي

ويـــا جـــذوةً في اشـــتعالْ   أطِيلـــي ولا تَنطفـــي

لهيباً بقلبي الوفـي!

---

[1] الرت هو الخنزير البري أو الحلوف (sus scrofa).

ميلاد الربيع

(أبيات مرتجلة في مناسبة)

أَمِـنَ العواصـفِ والـدموعْ هـذي الملاحـةُ للربيـعْ؟
بـدتِ الأشـعةُ في الظـلا لِ كمـا تألقـت الـدموعْ
ولدتْـه أيـامُ التقشُّـف والتبتُّـلِ والخشـوعْ
وأتـتْ بـه الأيـامُ كالأطيـاف مـن حصـنٍ منيـعْ
فـإذا الصـباحُ بآيـةٍ سـحريَّةٍ عنـه يضـوعْ
هـذي الأشـعَّةُ جُسِّـدَتْ في كـل حسـنٍ تسـتطيعْ
مـا بـين زَهْـرٍ خاشـعٍ وسـواه معتكـفٍ وديـعْ
هـذا بحـالٍ للصـلا ةِ وذاك ملتفـتٌ سميـعْ
يـا عـينُ مـا النَّبْـعُ الـذي غمـرَ الجمـالُ بـه الربيـعْ!
جـاءتْ بـه حُـورُ الجنـانِ وحـاذرتْ أن لا يضـيعْ
وضـعتْه في الـروضِ الوضـيع فَشُـرِّفَ الـروضُ الوضـيعْ
فـإذا بـه الكـونُ الرفيـعُ لصـاحبِ اللـبِّ الرفيـعْ
وتلـوح مـن خلـفِ الأزاهـرِ والمـدامعِ للجميـعْ
روحُ المحبـةِ والدعابـةِ والتجـاوُبِ والشـفيعْ
هـي لمحـةٌ خُطِفَـتْ مـن الخلـدِ العصِـيِّ أو المُطِيـعْ
وَنـرى الإلـهَ حيالنـا في كـلِّ إعجـازٍ بـديعْ

*****

أحلـى التحايـا للربيـعِ حيـاةُ مـا يُـوحي الربيـعْ

رسالة الربيع

بسم الربيعُ بزنبقٍ وبوردةٍ   وأطلَّ يهتف من ثغور الليلكِ[1]

فأجبتُه بتحيةٍ علويّةٍ   وعشقتُ فيه النّورَ من خديكِ

ولمحتُه متهللاً متوثباً   فرأيته عرفَ الجمالَ لديكِ

هتفَ الربيعُ فمَنْ لمهجةِ شاعرٍ   بمُنى الربيع تُصاغ من شفتيكِ

وحُلىً من النُّوارِ ألثمها كما   لثمَ الصباحُ النورَ من عينيكِ

الشاعرُ الفنّانُ ترقب روحُه   نَجواكِ شعراً يستحيل إليكِ

فإذا نفحتِ فكلُّ ألوانِ الصّبى   والحبُّ راقصةً تطلّ عليكِ

وتصون حُسْنَكِ للفنون متوَّجاً   بحُلىً تفوق جُلىً على نهديكِ

وإذا بَخلتِ فيا أسَى حرمانه   بل يا أسىً للفنِّ بين يديكِ

عند الجبل الراصد

ساءَلتِ عن أملي وعن آهاتي   أوَ ما لَحَظْتِ بها رثاءَ حياتي؟

ونَظرتِ من عينيَّ وحيَ عواطفي   في عالمِ الأحلامِ لا الغاياتِ

حين السكوتُ يُظلّنا بجماله   ومن السكوتِ سواحرُ الكلماتِ

حيثُ التقينا دونَ وعدٍ سابقٍ   في جيرةِ الجبلِ الرفيقِ العاتي

فوق انبساط العُشْبِ وهو كجنةٍ   صِيغتْ من الأشواقِ والأنّاتِ

فرأيتني أغضي وأنبس بالهوى   والحزنِ في لغةٍ بغير أداةِ

---

[1] الليلك: زهر اللعلع.

فوعيتِ منها ما وعيتِ، وإنما غابت مَعَانيها غيابَ رُوَاتي

ماذا على الظمآنِ إنْ هو لم يَبِنْ حتى ببعضِ إشارةٍ وسِمَاتِ؟!

إنْ شئتِ أدركتِ الظماءَ بروحهِ فأغثتِهِ كالطَّلِّ للزهراتِ

أو شئتِ ساءَلتِ المعذَّبَ هكذا في روحِ فلسفةٍ كروح أذاةِ!

* * * * *

أخفقتُ في حبّي لأنيَ حالمٌ أتملّكُ الأكوانَ في كلماتي

تجري العوالمُ في مجالِ عواطفي جَريَ الحياةِ بمُفْعَمٍ بحياةِ

فوهبتُ حُبِّي للجمالِ جميعهِ ووهبتُ مَنْ تَهبُ الجمالَ صلاتي

وجعلتُ شِعري نفحةً عُلويةً لإلهةٍ ترعاه بالنفحاتِ

فإذا الوجودُ بأسرهِ في مَأتمٍ خالٍ من الأربابِ والربّاتِ

حتى سمعتُكِ فاتهمتُ عقيدتي وحلمتِ بَعْدُ فرُدِّدَتْ نغماتي

فسألتُ قلبي عنكِ وهو بفرحةٍ ما بين أحزانٍ وبين شكاةِ

فأذاه مضطربٌ بلوعةِ حائرٍ فصببتُ حَيرتهُ على خفقاتي!

* * * * *

وأخذتُ صورتكِ العزيزةَ مثلما أخذ النبيُّ هداهُ مِنْ عرفاتِ

تثبُ العواطفُ من جمالِ خطوطها وثبَ العطورِ من ازدهارِ نباتِ

فلثمتُ ألوانَ العزاءِ بوحيها لثمَ الضريرِ الطيفَ في الظُّلماتِ

وبكيتُ لكنْ بالأسى في نَشْوَةٍ فتلاقتْ البسماتُ بالعبراتِ!

* * * * *

لا تسأليني عن سلامٍ يُرْتَجَى أو عن نعيمٍ تشتهين لِذاتي

طُوِيَ الكتابُ سوى البقية من هَوىً كبقيةِ الأسحارِ في الفلواتِ

للحسنِ منها ما يشاء فإنما للحسن ما استبقيتُ من صفحاتي

فإذا عُنيتِ بها خلقتِ بليلها قبَساً فصار النورُ من آياتي!

عـذارى الخيـال

أَمْتِعي الشعرَ يا عذارَى الخيالِ ... يُنجبِ الشعرُ كلَّ غالٍ وحالِ

أيُّ دُنيا هذي التي تَتعالَى ... فوق فنِّ الصدَّاح والمثَّالِ؟

أيُّ دنيا هذي، وأهون دُنيا ... صاغها الشعرُ روعةً للمحالِ

كيف يحيا على ظماءٍ وَيفْنَى ... أهلُه حولَ مَنبع للجمالِ؟

يا عذارَى الخيال أنتنَّ أربابٌ ... وليس الأربابُ أهلَ الدلالِ

ليس يهوى الغرورَ إلاّ صغيرٌ ... يَتعالى في غير مَعْنَى التعالي

كنَّ أنتنَّ للفنون عزاءً ... في وجودٍ يسير سيرَ الخبَالِ

خُلِقَ الحُسْنُ للفنونِ قَرابـ ... ـينَ ولكنها لغير الزّوالِ

كلما زَوَّدتْ أولي الفن منها ... بجلالٍ جادوا لها بجلالِ

حينما الحسنُ لا يزالُ أسيراً ... حينما الوهمُ سيِّدٌ لا يُبالي

فإذا الحسنُ ضائعٌ لم يُبلَّغْ ... غايةَ الحسنِ والفنونِ العوالي

*****

يا عذارَى الخيال أمْتِعْنَ وِجدا ... ني، فلم يبق غيرُ هذا الخيالِ!

زهـر الليمـون

خَلقتْهُ أنفاسُ الطبيعةِ نفحةً ... للحبِّ واستوحتْ به رُوحَيْنَا

وكأنّه لم يَزدهرْ ببياضِهِ ... إلاّ ليُومئَ بالصفاءِ إلينَا

والعطرُ يَعبقُ منه مثلَ عواطفي ... هيهات تعرف في التخيُّل مَيْنَا

يا للشَّذى القدسي منه، وهل شَذىً ... إلاّ الذي أعطاه عَطْفُكِ دَيْنَا؟

أبدعتِ بالوصفِ الجميلِ لزَهْرهِ ... فإذا سُطورُكِ كالبراعمِ زَيْنَا

أشْبَعْتُ رُوحي من شميم عبيرها ... وسليتُ أسطرَها الذي استوحين

حُمِّلْنَ أَشباهَ الغصونِ قصائداً ... للزهرِ فابتسمَ الذي حُمِّلْنَ

فإذا فؤادي في ربيعٍ ناضرٍ ... مِنها ومنكِ، وقد بكى وتَغَنَّى

كم مِنْ صغيرٍ للجمالِ رآه مَنْ ... فَهِمَ الجمالَ مَدىً له فتَمَنَّى!

قلب الشاعر

ساءلتِ عن حِسِّي أمامَ الشمس في ... إشراقِهَا المتدلِّلِ المتهادي

وعن الذي حَجبتْه عن دُنيا الوَرَى ... مِنْ عالَمِ الأرواحِ والآبادِ

وذكرتِ حُبَّكِ للهلالِ لأنه ... رَمْزُ الطهارةِ والجمالِ الهادي

تتأمّلين سَناهُ مثل إلهةٍ ... تتأمّل المحظوظَ في العُبّادِ

تتأمّلين وتسألين، فهل درتْ ... ذكراك أنّ الكون مِلْءُ فؤادي؟!

ما الشمسُ ما القمرُ المطلُّ وما الورى ... والخلقُ جنبَ تَحرُّقي ووِدادي؟!

خَلِّي النسيمَ وزهرَه وطيورَه ... وهواجسَ الأسحارِ والآرادِ

وتَلفَّتي لفؤاديَ المغمورِ في ... سِحْرٍ يهيمُ به الزمانُ الحادي

تُصغي إلى همساتِه وحَنينِه ... حِقَبٌ تعود من القديم العادي

وخواطرُ الآتي البعيدِ تراجعتْ ... لتنالَ أغلى الوَحي من إنشادي

إن العباقرةَ الذين استأثروا ... بالخُلدِ وُحيُ الشاعر الوقّادِ!

*****

ولقد أطيرُ مع الخيال فلا أرَى ... غيرَ الجمال هو الخَيَالُ البادي

تتصادمُ الأحداثُ والأرواحُ والآما ... لُ كالأطفالِ بين تَنادِ

هذي تَصيحُ وهذه تجري على ... لهوِ بَوادِيَ ثم غيرَ بوادِ

صُوَرٌ بلا عَدٍّ تموجُ عواطفٌ ... منها وتُغْرِقُ حسرتي وحِدادي

فأرى الملاحةَ وَحْدَها بسّامةً ... فوق العُبَابِ على ظلال الوادي

وأطلُّ في قلبي فأبصرها كما ... لبّيتِ أنتِ البدرَ وهو ينادي!

الأحلام

أسْكَرْتِ بالأحلامِ هَواهْ ... والحُلْمُ يُسْكِرُ من رُوحِكْ

فإنْ يُغَنِّ الشِّعْرُ مُنَاهْ ... فمن جُروحٍ كجروحِكْ

شِعْرُ الحنينِ لمن يَهْوَاهْ؟

في نشوةِ البدرِ الزَّاهي ... والبدرُ يَسْكُبُ أضواءَهْ

رأيتهِ مِثْلَ إلهِ ... يبثّ في الحسنِ رجاءَهْ

والحُسْنُ ساهٍ أو لاهْ

والطيرُ في صَمْتٍ كعليلْ ... والدَّوحُ في لهفٍ مكبوتْ

والبَحْرُ – مَرأى كُلِّ جميلْ – ... أمسى كتيهٍ فيه يموتْ

هذا الضياءُ لفقدِ خليلْ

وكان يعزف ألحانَهْ ... ودَمْعُهُ يُفْشِي نجْوَاهْ

والحزنُ يَقطع أوزانَهْ ... وكم يعدّ الحُزْنُ غِنَاهْ

قلباً تشرَّبَ ألوانَهْ

فَلُحْتِ أنتِ بإشفاقِ فكاد يُسقِطُ قيثارَهْ
وقلتِ: دَعْ حُبّي الباقي يُزيل دمعَكَ أو نارَهْ
وإن يكنْ للخلاّقِ

فجاء يبسمُ في عطفِ وقال: أنتِ تواسينَ؟!
أنتِ الصغيرةُ؟ هل يكفي عطفٌ لديكِ فتحيينَ
مَنْ بالتعذُّب يَستشفي؟!

فقلتِ حين مددْتِ يدَا تُجفّف الدَّمعَ الحيَّا:
يدي الصغيرةُ لي أجْدَى بعطفها ممن يحيا
جُحودُها بأساً ومَدَى

وجئْتِ بالزَّهْرِ الحالي لرأسهِ والغصنُ يُطِلّ
قَطَفْتِهِ كالآمالِ تُظلُّه أو لسْنَ تُظِلّ
إلاّ خيالاً لخيالِ

وقلتِ: هذا من نَفْحِكْ هذا العبيرُ شَذَى لُبِّكْ
إن كان جُرحي من جُرحِكْ فما عرفتَ أسى قلبِكْ
وقد عرفتُ مَدَى نوحِكْ

وَهَمْتَ أنتَ بعرفاني وما وهمتُ بعرفانِكْ
لئنْ غُررْتَ بميزاني فما غُررْتُ بميزانِكْ
وقد فطنتُ لأحزانِكْ

هذا الفضاءُ بدا مُلْكَكْ هذي الطبيعةُ مِنْ جُندِكْ
فاطرحْ همومَكَ أو شكّكْ فالكونُ يُفْتَنُ من شَدْوِكْ
وكم يئن لدي أنِّكْ

إنـــي أعـــيشُ بهـــذا الكـــونْ لكـــنْ بـــأحلامِ الشـــعرِ
لا عيشـــــةً لأســـــىً ولـــــينْ فِي النـــاسِ فِي وِزْرٍ يُـــزْرِي

بكلِّ إجـلالٍ للحُسْـنْ

فلتَطَّـــــرِحْ دُنيـــا النَّـــاسِ ولتَحْـــيَ مثلـــي فِي الأحـــلامْ
مـــا أجمـــلَ الحُلْـــمَ الآســـي مُقَدَّســـــاً فـــــوق الآلامْ

وثـورةِ الدَّهْـرِ القاسي

لـــو كنـــتَ تعلـــم مـــا حُبِّـــي وقـــد تجـــرَّد مـــن جســـمي
لَطِـــرتَ مُصـــطحباً قلـــبي فِي عـــالمِ الصَّـــفْوِ المُسْـــمِي

إلـى روائـعَ للحُـبِّ

لســـتُ الـــذي يَرْضَـــى الأسْـرَا وفي فضـــاء الفـــنِّ أطـــيرْ
مَـــنْ لم يَعِـــشْ رُوحـــاً حـــرّا وإنْ تحـــرَّرَ فهـــو أســـيرْ

مـا الحُبُّ حُبٌّ للأسـرى!

*****

أســـكرتِ بـــالأحلامِ هَـــوَاهْ والحُلْـــمُ يُسْـــكِرُ مِـــنْ رُوحِـــكْ
فـــانْ يُغَـــنِّ الشِّـــعرُ مُنَـــاهْ فمـــن جُـــروحٍ كجروحِـــكْ

شِعـرُ الحنينِ لمن يهواه!

عبـــادة

إنـــي لأُخلـصُ للحيـاةِ عبـادتي وأرى العبـادة نَشـوتي وسـعادتي
هـلْ غـيرُ محـراب الجمـالِ أخصّـه بـدمي وأنشـق مِنْ شَـذاه هـدايتي؟
فـاح البخـورُ فلُحْـتِ أنـتِ زكيـةً بالحسـنِ حتـى خلـتُ أنـك غـايتي

لمَ لا إخالُ وفي الأنوثةِ بهجتي ... وهي الحياةُ، وفي الحياةِ صبابتي؟

قد طرتِ في دنيا الحياةِ وما أرى ... هذا الخيالَ سِوَى مَسالكِ مُهجتي

وسَخَرْتِ من دُنيا الحياة ولا أرى ... دنيا الحياة سوى بيان محبتي

لا تستقرُّ بغيرها نفسٌ وإن ... علقتْ بأقدس عالمٍ أو ربَّة

لا تدَّعي أني الذي لفؤاده ... شغفٌ بغير المستعِزِّ لغادتي

لولا شعوري بالجمالِ منزّهاً ... ما صُغتُ من غزلي المنزَّهِ آيتي

وأرى التنزُّهَ للجمالِ ولاءَه ... للفنِّ حتى يُعْرَفا بجلالة

وأراكِ فاتنةَ المشاعرِ في حُلىً ... من عبقريّ حنانكِ المتهافتِ!

فلمنْ تكون عبادتي إنْ لم تَكُنْ ... لسناءِ (أفروديت) أيُ عبادتي

بالروحِ والجسمِ الطهورِ وكلّ ما ... أعِنّي جعلتُ عبادتي وسعادتي

زهرة الحب

(تناول الشاعر بطاقة معايدة مزهرة من آنسة أديبة فبعث إليها بهذه الأبيات)

سلاماً زهرةَ الحبِّ ... سلاماً نضرةَ الوادي

نشرتِ هوايَ في عيدٍ ... وفي نجواكِ أعيادي

وفُحْتِ شَذىً فألهمني ... حنينَ البلبلِ الشّادي

شَذىً وصَدىً لفاتنة ... تُرَوِّي الشاعرَ الصّادي

بعثتُ لها تحيّاتي ... فؤادي بين إنشادي

تَخفَّى في بُيوتِ الشِّعْـ ... ـرِ وهو المُخْتَفِي البادي

فلما جاءَ جَنَّتَها ... تَجلَّى العابدَ الفادي

فألقاهــــا مُقَدَّسَـــــةً بأطيـــــافٍ وعُبَّــــارِ
ولكـــــنْ بجلَّـــتْ منــــه أغـــاني الســـاحر الحــادي
فَخَصَّـــــــتْهُ بمهجتهــــــا وطـــوَّقَ سِـــحْرُهُ الـــوادي

عــودة الطـائر[1]

(نظمت في حفلة عرس راقصة)

أُرقـــصْ وعَرْبِـــدْ يـــا فـــؤادي حتـــــى ولـــــو أفْنَيْـــــتَني
السّــجنُ لا يرضـــاه شـــادي غنَّـــــى كمـــــا غَنَّيْـــــتَني
أُرقـــــصْ فهـــــذي ليلـــــةٌ لم تحلـــــم الـــــدنيا بهـــــا
الحُـــــبُّ فيهـــــا دولـــــةٌ والخُلْـــــدُ مِـــــنْ أربابهـــــا
مَـــنْ علَّـــمَ الطـــيرَ الرُّجـــوعْ إلاّ حــــنينٌ أســــــكركْ؟
مَـــنْ بَلَّـــغ الطـــيرَ الـــدموعْ؟ هــل كــان مِــنْ دَمْعــي الشَّــرَكْ؟!
النّـــورُ مســـــكوبٌ رشـــيقْ كالصـــــفو في دُنيـــــا الهمُــــومْ
خَمــــرٌ مـــــن الظَّـــرفِ الرقيـــقْ قـــد هُيِّئَـــتْ خلـــفَ الغيـــومْ
مَـــنْ صـــاغها أو صـــبَّها إلاّ إلـــــــهُ العاشـــــــقينْ؟
الجـــوُّ مســـــحورٌ بهـــــا والنـــاسُ شـــبهُ الحـــالمينْ
واللحـــنُ... يـــا لَلَّحـــنِ في هـــذا النســـيمِ المضـــطربْ
كرســـالةِ القلـــبِ الـــوفي فيهـــا التـــألمُ والطـــربْ
قـــد مازجـــتْ ضـــوءَ القمـــرْ فالضـــوءُ واللحـــنُ ســـواءْ
فـــإذا المحبـــةُ والسَّـــمَرْ في كـــلِ أنفـــاسِ الهـــواءْ

---

[1] انظر قصيدة "الطائر التائه".

والرقصُ لم أشعر بهِ
إلاّ معانيَ للحياهْ

والحسنُ في تحبيبهِ
للرقص علَّمَهُ لُغاهْ

في أيِّ دنيا تنتهي
هذي الأغاني السابحاتْ؟

طُرَفٌ من الفنِّ الشهي
هيهات يدركها المماتْ

تتلقَّفُ الأجرامُ منْـ
ـها كلَّ مَعْنىً طائرِ

في كلِّ نجمٍ يَفتتِنْ
قلبٌ كقلبِ الشاعرِ

أرسلتُ روحي حرةً
بين الأغاني والضياءْ

حتى أراها مرةً
تحيا حياةَ الأنبياءْ

فتعبَّدَتْ هذا الجمالْ
شوقاً إلى معبودِهَا

حتى إذا تمَّ المحالْ
وهبتْه كلَّ وُجودِهَا

أهلاً وأهلاً يا حبيبي
هذا فؤادي ينتظرْ

أُسِرَ العتابُ مع الرقيبِ
وهزمتُ حُرَّاسَ القدَرْ

خُذْ قُبلتي أخذَ المُنَى
مِنْ كلّ أطيافِ الربيعْ

فيها الحرارةُ والسَّنَا
فيها البشَاشةُ والدُّموعْ

جمعتْ صَلاتي وابتهالي
وصَفَتْ بتعبيرِ الفؤادْ

وتَضمّ ألوانَ الخيالِ
وتجاوُبَ الشوقِ المُعَادْ

والآنَ أنتَ الآسري
صِرتَ الأسيرَ لشاعرِ

يَلقاكَ لقْيَا الساحرِ
هيهات تخدع ناظري!

يا لَيلتي طُرِدَ السَّحَرْ
وسَبَتْكِ أحلامي وحُبِّي

فَخُطِفْتِ مِنْ أيْدي القَدَرْ
فإذا جَمالُكِ رهنُ قلبي

طُولي إلى الأبدِ القصيّ
في روعةٍ لا تنتهي

قد أسلسَ الحُسْنُ العصيّ
فأخذتُ منه تألُّهي!

الأغاني الصامتة

يـا مَـنْ تُسـائل عـن شِـعري والشـعرُ فيِ صَـمْتي نـاطقْ
الشَّـمْسُ مِـنْ قبـلِ الفَجْـرِ تُـوحِي بنُـورٍ للعاشـقْ
والنورُ يُلمَحُ في السرٌ

كـم فيِ الأثـيرِ تحيّـاتٌ تشـدُو بأنغـامِ الحُـبٍّ
كـم فيِ الهـواءِ صَـباباتٌ بـين القلـوب، ومِـنْ قلـبي
ملءَ الوجـودِ عبـاداتٌ

لا تسـائليني عـن حُبِّـي بـل سـائلي القلـبَ الخـافقْ
قلـبٌ كَقلبـكِ لا يُـنبي إلاّ بإحساسـي الـدافقْ
مِنَ المشـاعرِ واللُّـب

لا تحـرميني أيَّ مُنـىً قـد تشـتهيها لـي رُوحـي
لـبس الـودادُ يُعَـدُّ غِنـىً أمـامَ حُـبٍّ مكبـوحِ
ونحـو جُـرحٍ كجـروحي

بـلْ سَـامحي قلـبي الظـامي إن بـات يرشـفُ مـن قلبـكْ
وإن أتيـتُ بـآلامي إلى التَّعِلَّـةِ مـن حُبِّـكْ
فصـُنْتِ لـي روحـي الدامي

مَـنْ ذا يَـردُّ هَـوَايَ الحُـرّ متـى رآكِ وناجـاكِ!
ومَـنْ يَصـدُّ عبـابَ البحـرْ عنـد العنـاقِ بلقيـاكِ
والشـطُّ جَـذلان يَفـترّ

ليلة في المعبد

عرفناهـــا علـــى خَطَــرِ ... وهــل حُــبٌّ بـــلا خَطَـــرِ؟
كـــانَّ غرامَنـــا فيهـــا ... هَـــوَى رُوحـــينِ في شَـــرَرِ
أبَيْنَـــا كـــلَّ وَهَّـــابِ ... وجئنـــا نحـــنُ بـــالأنسِ
خلقنـــاه بأنفســـنا ... وجُزْنـــا ظُلمـــةَ اليـــأسِ
طَعَنَّـــا الـــدَّهرَ، والـــدهرُ ... مـــن اســـتهزائنا حـــائرْ
ألـــيسَ الحُـــبُّ مهمـــا لا ... نَ يَبقـــى الجـــامحَ الثـــائرْ؟
تلاقينـــا بمعبـــدنا ... ولم نَحْـــذَرْ مِـــنَ القَـــدَرِ
كأنّـــا قـــد ضَـــمِنَّا الصَّفْـــ ... وَطـــوعَ جمالِهـــا السِّـــحري
فلمّـــا ضَـــمَّنَا الحُـــبُّ ... وكـــم للحُـــبِّ إعجـــازُ
طَرَحْنَـــا العقـــلَ حـــينَ القَلْـــ ... ـــبُ وثَّـــابٌ ونَهَّـــازُ
ففـــاض الشِّـــعْرُ مِـــنْ لحْظـــي ... ومِـــنْ قلـــبي وأنفاســـي
وكِـــدْتُ أذوبُ في قُـــبُلا ... تِ أشـــواقي وإيناســـي
أبَيْنَـــا النُّـــورَ: فـــالقُبُلا ... تُ شُـــعْلَةُ مُهجَـــتي الحَـــرَّى
ولم أحفـــلْ بصـــوتِ الوَقْـــ ... تِ أو بهواجســـي الحَيْـــرَى
فمـــن ثَغْـــرٍ إلى نَهْـــدٍ ... ومِـــنْ نَهْـــدٍ إلى ثَغْـــرِ
مَناهـــلُ للحيـــاةِ وَعَـــتْ ... أحـــبَّ مَناهِـــلِ الشِّـــعرِ
نَعِمنـــا باحتضـــانِ الحُـــ ... بِّ نعمـــةَ مَـــنْ تَبنَّـــاهُ
فـــلا هُـــوَ مُفلِـــتٌ مِنَّـــا ... ولا نحـــنُ زَجَرْنـــاهُ
ويَعْبَـــثُ ضـــاحكاً أبـــداً ... كمـــا شـــاءَتْ أمانيـــهِ
فضَـــجعتُنَا مَبانيـــهِ ... وَوَثْبَتُنَـــا معانيـــهِ

يُناولني تَفنُّنَهَا وَطَعْمَ الشَوقِ مِنْ فَمِها
فأسْحَرُ مِنْ تحايُلِهَا وأسْكَرُ مِنْ تألُّمِهَا
وأعشقُ كلَّ ما يبدو عليها مِنْ مَعَانيها
مَعَانٍ كلُّها فِتَنٌ ولكنْ لستُ أدريها!
فأنشَقُها وألثمُهَا وأرشُفُها وأطويها
وألبَثُ حائراً أبداً على شَغَفٍ أناجيها
فمرَّت ليلتي صُوَراً مِنَ الإعجازِ لا تُنْسَى
فَجَدَّدَ سِحْرُها نَفسِي وكنتُ الفاقِدَ النَّفْسَا!

الطائر الحائر

تصدير كتاب قصصي للآنسة جميلة محمد العلايلي

أهلاً (جميلةُ) بالحياةِ كما رأتْ عَيناكِ
فيها مَعَانٍ تُستطابُ فأيُّها مَعْنَاكِ؟
حَلَّلتِ ألوانَ المحبةِ والجمالِ الآسرِ
وشَرَحْتِ قِصَّةَ طائرٍ بينَ المَفاتِنِ حائرِ
ووَصَفْتِ أطيافَ التناجي والعذابِ القاسي
ومَظَاهرَ الحرمانِ والآلامِ بينَ النّاسِ
هذي هي الدنيا كما صَوَّرْتِها للغافِلِ
لهَفي على الزهرِ الجميلِ من الهجيرِ القاتِلِ!
لا يُسْأَلُ الفنَّانُ عن آرائهِ ورجائهِ

بــل يُسْــألُ الفنَّــانُ عــن إعجــازه بأدائــهِ
وأراكِ فاتنــةَ العواطــفِ بالخيــالِ السَّــاحرِ
أنفــاسُ شــاعرةٍ لهــا أنفــاسُ وَحْــيِ الشــاعرِ

الزهر الناعس

يــا زَهْــرُ مــا لــكَ لا تُجيــبْ
بــالعطرِ رُوحــا مــا ابتَعَــدْ؟
قــد نمــتَ عــن رُوحــي الحبيــبْ
مــا النَّــومُ عُــن حُبِّــي رَشَــدْ
يــا زَهْــرُ هــلْ يُغــني الخيــالْ
عــن نفــحِ عطــرٍ ســاحرِ؟
يــا زَهْــرُ هــل يَــدْري الجمــالْ
إلاّ فــؤادُ الشــاعرِ؟
فــيمَ النُّعــاسُ أيــا حبيــبي
والقلــبُ يرقــبُ يَقْظَتَــكْ؟
هــل صــرتُ عنــدكَ كالغريــبِ
أم شــاقَ غــيري مُهْجَتَــكْ؟
غــيري يَشُــمُّكَ ثــم يُلقــي
بــكَ ناســياً حتــى الجميــلْ
أمَّــا أنــا فيصــون شــوقي
لــكَ كــلَّ معنــاكَ الجميــلْ
مــا لــي ظمئــتُ وقــد سُــقيتْ؟
مــا لــي اكتأبــتُ بنشــوتي؟
مــا لــي فنيــتُ وقــد حَيِيــتْ؟
مــا لــي أخاصــمُ نِعمــتي؟
أوَ كــلُّ هــذا مِــنْ سُــلُوِّكْ
يــا نائمــاً عنّــي هنيّــا؟
عِطــرٌ ولــونٌ مِــنْ حُنُــوِّكْ
لولاهمــا مــا كنــتُ شَــيًّا!

الجمال العربيد

الآنَ يـــا قَلْـــبَ الخَلِــيُّ ... الآنَ تَلْقَـــى المُعْجِـــزَهْ
الحَـــبُّ يَقـــتحم الحصـــو ... نَ بروحـــــهِ المتحفِّـــزَهْ
حـــاكى الخَلِـــىُّ بهـــا الشـجيَّ ... كلاهمـــــا مستســـــلمُ
فِي مَعْبَـــدِ الحَـــربُ فِي ... أجوائـــــهِ لا تَـــرْحَمُ
حَـــرْبُ الغـــرام وفِي الهـــوا ... ءِ عواصـــــفٌ كترقُّـــبي
ثـــارتْ وقـــد أخفـــى السكو ... نُ هُبوبَهـــا وتَهَـــيُّبي
لم أدرِ كيـف دخلـتُ هـذا الــ ... معبـــدَ الحُـــرَّ الكـــريمْ
فكـــأنني طفـــلٌ شريـــ ... دٌ أرشـــدتْهُ يَـــدُ النَّعـــيمْ
حتـــى إذا عاينتُـــه ... كنـــتُ الشـــهيدَ بســـاحهِ
يَلْقَـــى السَّـــلامَ مـــع القتـــا ... لِ ويَشـــتفي بجراحـــهِ!

*****

قالـــت: حبـــيبي مَرحبـــاً! ... أهـــلاً وأهـــلاً يـــا حبـــيبي!
مـــا لِـــي سـوى هـــذه التحيّـــ ... ـــةِ مِـــنْ حبيـــبٍ للحبيـــبِ
فلثمتُهـــا ولثمتُهـــا ... وضَـــمَمْتُهَا ضَـــمَّ المَـــرُوعْ
وجَعَلْـــتُ للقُـــبُلاَتِ أصْـــ ... ـــداءَ التحيـــةِ والوُلـــوعْ
وكـــذلك الأرواحُ كالـــ ... أجســـام تظمـــأ أو تجـــوعْ
وكـــذلك الأنفـــاسُ كاا ــــ ... ألحـــاظ تنطـــقُ بالـــدموعْ
قبّلْتُهـــا مِـــنْ كـــلِّ قلْـــ ... ـــبي في إبتســـام المضـــطربْ
فـــإذا التلـــهُّفُ في السكيـــ ... ـــنةِ والتَّحَسُّـــرُ في الطَّـــرَبْ
هـــذا النَّعـــيمُ أراهُ رأ ... يَ العـــين لكنّـــي أخـــافْ
فـــيم التخـــوُّف والحيـــا ... ةُ جميعهـــا رَوْعٌ أطـــافْ؟

خُـذْ يـا فـؤادي – لا تَخَـفْ – مـا شـئتَ مـن هـذي الحيـاه
عمـرٌ جديـدٌ يـا فـؤا دي مـا تجـودُ بـه الشّـفاهْ!
قَبَّلْتُهـا فلثمـتُ أحْـ ـلامِي وأطيـافَ الربيـعْ
وضـممتُها فضـممتُ أغْـ ـلى النـورِ مـن ربٍّ وديـعْ
لا الـرُّوحُ تَشـبعُ، لا، ولا قلـبي بخفـقٍ يَتَئِـدْ
نَهَـمٌ علـى نَهـمٍ وجُـو دٌ لا يُمَـلُّ ولا يُحَـدّ
حتـى إذا سـقطَ الـرِّدا ءُ وقـد يُـرادُ سـقوطُهْ
هَـرَعَ الهـوى للحسـنِ يَحْـ ـمِي مُلْكـه ويَحوطُـه!

*****

مـا هـذه الأضـواءُ والـ ألـوانُ مـن ربّـي الكـريمْ؟
أكـذا المصـوِّرُ مِـنْ سمـا ءِ الفَـنِّ يبتـدعُ النّعـيمْ؟
مـا للتهيُّـبِ مالئـاً لُـبي وقلـبي لا يَهـابْ؟
شـأنُ المعابـدِ تَجمـعُ الـ شـيخَ الـرزينَ إلى الشَّـبَابْ
فتبسَّـمتْ وتَنهَّـدتْ بـالنورِ والنـارِ معَـا
واستسـلمتْ وتمنَّعـتْ حتـى دنـا مـا امتنعَـا
فركعـتُ عـن بُعـدٍ أحيِّـي (أفرديـتَ) السَّـاحرَهْ
مـن كـلّ إحسـاسٍ تفـ ـيضُ بـه عيـوني الشـاعِرَهْ
ونظـرتُ ثـم نظـرتُ للـ ـجسمِ البـديعِ المسـتحيْ
فرأيـتُ مـا معنـى الحيـاة فمـا الحيـاةُ بكـلِّ حـيْ
وركعـتُ عـن قُـربٍ لأنْـ ـتوحي العيـونَ الناعسـاتْ
فرأيتهـا مُلِئَـتْ بأحـ ـلامِ الغـرامِ التائهـاتْ
أرنـو إليهـا ثـم أر نـو خاطفـاً أسـرارَهـا

وتَنـــــالُ جســـــمي رعشـــــةٌ وكــــأنّ جســـــمي اشــــتارَها
رُوحــــانِ قـــد خُلِقَـــا كمـــا خُلِــقَ الضــياءُ مــعِ الحــرارَهْ
يتمازجـــــــان تهافُتــــــاً وكلاهمــــا قـــد نـــالَ ثـــارَهْ
في كـــلِّ حـــالٍ كيفمـــا اعـــ تَنَقَـــا ينـــالان الخُلـــودْ
فـــإذا همـــا افترقـــا فمـــا هـــذا الوجـــودُ مـــن الوجـــودْ!

*****

خُــذْ يــا فــؤادي مــا اشتهيــ تَ مـــن الجمـــالِ الشـــاردِ
الآنَ في قفـــــصِ الغـــــرا مِ بـــدا خيـــالُ الصـــائدِ
هـــو مَعْبَـــدٌ لم يَـــدْرِه إلاّ الهُــــواةُ المُلْهَمُـــــونْ
فيـــهِ الفتـــونُ مـــع الفنـــ ونِ، وحبّـــذا هـــذي الفُنـــونْ
دُنيـــا مـــن الشَّـــغَف الطليـــ قِ ومـــنِ جُنـــونِ العابـــدينْ
قـــد بـــات يحرسُـــها الزَّمـــا نُ وقـــد وَفـــى للعاشـــقينْ
لم أرْضَ مَرْحَمـــــــةً لهـــــا أبـــداً ففـــي العُنـــفِ الحَنَـــانْ
وعصـــــارةُ الـــــروحِ الحَبيـــ بِ يجلّهـــا هـــذا الهَـــوَانْ
أنهكتُهــــا إنهـــاكَ صُـــــو فيٍّ تبتَّـــــل في الصَّـــــلاَهْ
هـــذي مناجـــاةُ الجســـو مِ حكَـــتْ مناجـــاةَ الإلـــهْ
فـــإذا الجمـــالُ مُعَرْبِـــدٌ وأنـــا المحـــبُّ الجـــاني
وإذاهُ مبتســـــــــمٌ لمـــــا لاقـــاهُ مـــن إيمـــاني
والنـــورُ تضـــطرب الظـــلا لُ بـــه اضـــطرابَ العاشـــقِ
كقوامهـــا الســـاجي علـــى هـــذا الفـــراش الخـــافقِ
فســـألتُها الغفـــرانَ والـــ أضـــواءُ تضـحك مـن سـؤالي
لكنهـــا كانـــت بدنـــــ ـــيا للوصـــالِ وللخيـــالِ

فتنهَّـدَتْ والليـلُ يَـدْ ... نـو كالغريـبِ الزائـرِ
ولحاظهـا كـالنجم تنـ ... ـظر في شعورِ الحائرِ
فـإذا الغريـبُ[1] يَنـالُ مَلْـ ... ـعَبَنَا ومَعْبَـدَنا مَعـا
وإذا القريـبُ[2] غـدا الغـ ... ـريبَ ومـا وَعَـى مـا قـد وَعَـى
وإذا الملاحـةُ والغـرا ... مُ خيـالُ قلـبي الشـاعرِ
وإذا الوجـودُ بأسـره ... عَبَـثُ الإلـهِ السـاحرِ!

خلف الطبيعة

يا مَنْ تُفتش عن جمالِ وُجودِهَا ... خلفَ الغروبِ وفي الجديدِ المُشْرق
في وحـي عينيكِ الجمالُ لشاعرٍ ... قَلِقٍ وفي تفكيركِ المتـألِّقِ
حَـدَّثْتِ عـن قلـبي حـديثَ غَرَامـهِ ... في شِبْهِ أحـلامٍ وشِبْهِ أمـانِ
مَنْ ذا أبـاحَ لـكِ الوصـولَ لِسـرّهِ ... فعلمـت مـا يحويـه مِـنْ خَفَقَـانِ؟
النشـوةُ الكـبرى عرفـتِ نعيمَهـا ... في كـلِّ مدسـوسٍ وكـلِّ خيـالي
فدَعي التأمُّلَ في هـوايَ وحسـرتي ... فمـداهما أنـأى مـن الأجيـالِ
لكـأنَّني اسْتُودِعْتُ حَسْرَةَ خـالقي ... وهَـوَاهُ حـين بَنَـى الوجـودَ فقصَّرَا
فلـواعجُ القلـقِ الـدفينِ تحفـني ... فـأرى الحيـاةَ تسـامياً وتَعثُّـرَا!
وأطـارحِ الخـلاَّقَ شِـعرَ عـواطفي ... فيبـثني أشـعارَه وخيالَـهُ
صُوَرَ الوجود الباسماتِ قصائداً ... والباكيـاتِ مآلَنـا ومآلَـه

---

[1] الليل.
[2] الشـاعر.

فَرِحتْ[1] كفرحةِ طفلتي بأُبوَّتي
وبَكتْ كما بكتْ الطفولةُ للهَوَى

مَنْ ذا الذي يدري: فلو فقدَ الورى
هذا الوجودَ فقد هوى رَبُّ الوَرَى!

ما ذلك القلقُ المساورُ مهجَني
أتراه إلاّ لوعةً للخالقِ؟

هو فيِ صميم مَشاعري منغلغلٌ
وبروحه أحيا بقلبي الخافقِ

إنْ تبحثي خلفَ الغُروب فخلفه
ما خَلْفَ نفسي مِنْ جَوىً وحنانِ

دُنْيا احتوتْها مهجتي، ولربَّما
نَمَّتْ عن الأرباب والأكوانِ

دنيا تَملَّكَها الجمالُ بكلِّ ما
يَعْني الجمالُ وأنتِ منْ مَعْناهُ

فيها العواصفُ، والعواصفُ ما لها
أمْنٌ وقد يُبكيه ما أرضاهُ

حارسة الفن

(مهداة إلى السيدة المهذبة زينات إمام فهمي زوجة الصديق العزيز حسن الجداوي)

مَنابعَ الفنِّ كم ناجاكِ فنَّانُ
وكم بَخَلْتِ وكم أفناهُ حرمانُ

وُزِّعتِ، لم يَحْظَ مفتونٌ ولو أملاً
فيِ الحُلمِ منكِ بحظٍّ فيه غُنيانُ

حتى امتثلتِ لمن راعتْكِ حارسةً
للفنِّ فابتعثَ الفنَّان إحسانُ

جُمِعْتِ في ظلها الممدودِ حاليةً
وقلَّما جَمعَتْ نجواكِ أزمانُ

قد كِدتُ أفقدُ إيماني فأرجَعني
منها إلى الرّشدِ إحسانٌ وإيمانُ

*****

أهلاً بجنةِ دنيا أنتِ (زينتُها)
وصاحبٍ هو فيها الآنَ جَنَّانُ

مَحَضْتُهُ الودَّ عمراً وهو يُكسبني
بودِّهِ ما اشتهى فنٌّ وفنَّان

---

[1] صور الوجود.

أرخصتُ كلَّ عزيزٍ في محبتهِ فمثلُه بعزيز النفس يزدانُ
ما خِفْتُ يوماً على نَجواهُ مِنْ زمني فأنتِ دُنيا له بل أنتِ أكوانُ

* * * * *

لمّا رأيتُكِ في الآمالِ حاكمةً وحولَكِ الحُبُّ ألحان وألوانُ
وأنتِ في حسنكِ العلويِّ ظافرةٌ بكلِّ ما يشتهي في الخلدِ إنسانُ
زوجٌ وفيٌّ ومُلكٌ من محبّتهِ ومَرْبأٌ بجمالِ الصفوِ فتَّانُ
وطفلةٌ كربيع الحبِّ في مَرَحٍ ووجهُها بمعاني النُّورِ ضحيانُ
عرَفتُ كيف تصون الفَنَّ حارسةٌ وأينَ يَرْوي حنينَ الروحِ ظمآنُ

معابد الحب

معابدَ الحبِّ إني الهائمُ الصَّادي أهيمُ ما بين آبادٍ وآبادِ
لم تَلقَ روحي صفيّاً تستضيءُ بهِ إلاَّ صفيةَ أحلامي وإنشادي
لقيتُها وكأني ما لَقيتُ سوى حُلمٍ من الوهمِ لا خافٍ ولا بادِ
جعلتُ كلَّ صلاتي في عبادتها وإن تَنَهّتْ صلاتي بين عُبَّادِ

* * * * *

معابدَ الحبّ روحي لا حدودَ لها في كلِّ ركنٍ عزيزٍ منكِ إيماني
وحَّدتُ كلَّ مناجاتي وإن نُشِرَتْ على الجمالِ بأزمان وأزمانِ
فسامحيني على دينٍ أهيمُ بهِ وهيِّئي لي رجاء عند ديَّاني
وما ضحيةُ روحي عند ساحتهِ الاّ تباريحُ وجداني وألحاني!

* * * * *

مَعابدَ الحبِّ ما للحبِّ مضطهداً وما لأربابه ليسوا بأربابِ؟!

تَحجَّبوا وهمُ الدنيا بأجمعها وحاذَروا من زمانٍ جِدِ هيّابِ

عُلوية أنتِ كالجنّات قد خُبئَتْ لكنّها بين نيران وإرهابِ

نمشي إليها على الأسيافِ قاطعةً ونَشتفي بمزيجِ الشّهدِ والصابِ!

*****

معابدَ الحُبِّ ما لي كلّما ظفرتْ روحي بحظٍّ أرَى صُبحي من الظُّلمِ؟

ما لي أرى الحُلْمَ يُوحي يقظتي فإذا بيقظتي من معاني اليأسِ في الحُلُمِ؟

ما لي أبشّرُ بالحبّ الذي خُلِقَتْ له الحياةُ فلا أجني سوى ألمي؟

ما للمعابد تأباني فهل حُسِبَتْ روحي لديكِ كمنبوذٍ ومتّهمِ؟!

الفنان

أماناً أيها الحُبُّ سلاماً أيها الآسي!

أتيتُ إليكَ مشتفياً فِراراً من أذى الناسِ

أتيتُ وحوليَ الدنيا تَصيح بلفظها النّاري

بيومٍ كلُّه لَهَبٌ كأني مطمحُ النارِ

حنانكَ أيّها الداعي فأنتَ مليكُ أنفاسي

فررتُ وحوليَ الدنيا تحاربُ كلَّ إحساسي

فررتُ إليكَ من سِجْني فِرارَ المذنبِ الثائرْ

وهذا الدهرُ يتبعني بجيشٍ حانقٍ زاخرْ

أذنْبي أنني تَبَعٌ وأنت السيدُ الناهي

وأنّ الخلق مُذْ جَحدو كَ فاتوا رحمةَ اللهِ؟!

أمانـــاً أيّهـــا الثـــاوي بهيكلـــــك المنـــــاديني
فمـــا للنـــاسِ مـــن ديـــنٍ وإن عـــــادَوْكَ للـــــدّينِ
خَلَـــتْ ونـــأتْ عـــن الرقبـــاءِ بـــل عـــنِ روحِهَـــا الطُّـــرُقُ
ولكـــنْ مِلْؤُهَـــا قَلَـــقٌ وروحـــي مِلؤُهـــا القَلَـــقُ!
فمـــا لخـــواطري الحَيْـــرَى تـــروم اليـــومَ تُغْـــري بـــي؟
ومـــا لـــي أشـــهد الأحـــلا مَ كالأيـــامِ تُغْـــري بـــي؟
أمانـــاً هـــذه روحـــي وجســـمي طـــوعُ مـــا تَرْضـــى
خلَقْـــتَ مُنَـــى ســـماواتٍ فجُـــزْتُ بمهجـــتي الأرضَـــا!

*****

دلفْـــتُ إلى ســـماءِ الحُـــبِّ فهـــي بمعبـــدي الضَّـــاحي
وقـــد صـــار الهجـــيرُ بـــه نســـيمَ الـــرُّوح والـــراحِ
دَلَفْـــتُ إلى مَفاتِنهَـــا وكـــم عُـــدَّتْ مُحرَّمَـــةً
وهـــل يَعْصِـــي أســـيرُ الفَـــنِّ لحظـــاً بـــاحَ أو شَـــفةً
ومـــا كـــادتْ مُنـــايَ تَـــرَى رِحَـــابَ الحُسْـــنِ تـــرمقني
إذا بمُنـــىً وأيِّ مُنـــىً تـــواتيني وتعشـــقني
يمـــوج الجـــوُّ بالألحـــان وهـــو الصـــامتُ النـــاطقْ
ويَعبـــق مـــن شـــذَى (نيســـان) مثـــل الطـــائش العاشـــقْ
فمـــا للجـــوِّ مثـــل النفـــس إيمـــانٌ وأحـــلامُ؟
ومـــا للحـــبِّ ذابـــت فيـــه آلامٌ وآلامُ؟
ومـــا لـــي قـــد طرَحْـــتُ الهـــمَّ والهـــمُّ يُنـــاديني؟
تُـــذيبُ حـــرارةُ الحـــبِّ تُلـــوجَ الهـــمِّ في لـــينِ!

*****

تأمَّـــلْ أيهـــا القلـــبُ تأمَّـــلْ! هـــذه الـــدنيا!

مفاتِنُهــا قـــد اجتمعـــتْ وكـــادتْ تخـدع الأخـــرى!

صـــلاتكَ مـــا لهـــا حَـــدٌّ فصـــلٌ ونـــاجِ مَـــنْ تهـــوى

تَسَـــاوَى الحـــرُّ والعبـــدُ إذا عبـــدا الهَـــوى مَعْنَـــى!

تأمَّـــلْ أيهـــا الطـــائشْ! تأمَّـــلْ! لا تَخـــفْ غَبْنَـــا

لمـــاذا أنـــت تضـــربني وقـــد أعطيتُـــكَ الـــدُّنيا؟

*****

ولَمّـــا أقْبَلَـــتْ وثَبَـــتْ معـــاني الحـــبِّ مِـــنْ نفســـي

بـــأيِّ لُغـــىً أحيِّيهـــا مـــن الاحـــلامِ والحـــسِّ؟

تَصـــادمَتِ العواطـــفُ والـــ معـــاني مِـــنْ مَشـــاعرِها

فطـــوّقَ حُســـنُها الغـــالي عزيـــزاً شـــوقَ شـــاعرِها

أهـــذا الحســـنُ فِي كَنَفـــي وكلّـــي عبـــدُه الطـــائعْ؟

مُنِحْـــتَ الآنَ يـــا شـــغفي فُتـــونَ الخـــالقِ الرائـــعْ!

كـــأنّي حينمـــا عانقـــ تهـــا بغرامـــيَ الـــدافقْ

تركـــتُ معـــالم الـــدنيا ونـــالَ مَشـــاعري الخـــالقْ

وقـــد أدْري ولا أدري ســـناها فِي ذراعـــيَّ

سَـــناها نعمـــةُ الـــدنيا هواهـــا يُبـــدع الحَيَّـــا

أحقَّـــاً نِلْـــتُ مـــا فِي الخُلـــ ـــدِ مِـــنْ معنـــىً وإحســـاسِ

فيـــا لَنعيمـــيَ الـــوافي وإنْ شُـــرِّدْتُ فِي النـــاسِ!

يـــديَّ! يـــديَّ! لا تَـــدعَا خلـــودَ ســـعادتي يَمْضـــي

سمـــاءُ الحـــبّ صـــافيةٌ ونائيـــةٌ عـــن الأرضِ

ومَـــنْ عـــرفَ (الألمـــبَ) كمـــا عرفـــتُ وذاق نُعْمَـــاهُ

أبَـــى كـــلَّ الإبـــاءِ فـــرا قَ رَبٍّ قـــد تَـــوَلّاهُ!

*****

تَرفَّــقْ أيهــا الطَّــائعْ! … لقــد أخْضَــعْتَني عَطْفــا!

نأيــتَ فلــم أكــن أُشْــفى … وعُــدْتَ فلــم أعُــدْ أُشْــفَى!

أهــذي غايــةُ الحــبّ … ففــي الحرمــانِ تعــذيبُ

وفي الإحســان تطبيــبٌ … فتعــذيبٌ فتطبيــبُ!

نعيمــي كلّــه حَــرَقٌ … ونــاري كلــها نُعْمَــى

فســلمي يُضــمر الحَرْبــا … وحربــي تضــمر الســلْمَا

فمــا لــي لم أعــشْ غِــرّاً … غبيّــاً أقتــل الفكــرَا

فــألقى الحُــبَّ مبتســماً … وأدفــن مهجــتي الحــيرى!

*****

رأتْ حُزْنــي وأحلامــي … وهــذا الصــفوُ يشــملني

فــردَّتْ كــلَّ آلامــي … ببســمةِ رُوحِهــا الفنّــي

وكنّــا قــد هزمنــا الحَــرْ … رَ والحَــرُّ يُعادينــا

فلــم نلــبس ســوى الأشــوا … قِ فالأشــواق تُغنينــا!

ونمنــا نومــةَ الحــبّ … وعطــرُ الحُــبّ فيَّــاحُ

بجســمٍ كلّــه عَبَــقٌ … ورُوحٍ دُونَهــا الــراحُ

أشــمُّ عبيرَهــا الفنَّــا … نَ في سُــكرٍ يحيّرنــي

وأشــربُ هــذه الألــوا … نَ مــن نُــورٍ يُــداعبني

وأصــفح عــن أســى الماضــي … وإنْ ضــحَّى مَســرّاتي

فهــذي نعمــة الماضــي … أتــتْ في نعمــةِ الآتــي

أطلّــي يــا حيــاة الــرو … حِ في عــينيَّ تحيــيني

شــرابي منــك أضــواءٌ … وقــوتي أن تنــاجيني

أطلّــي وانظــري شَــغَفي … تَــرَيْ مَعنــى عبــاداتي

عبادات خُصِصْتُ بها / وفي عيني مِرآتي

ولكنْ أين نَظْرَتُها / وقد هامتْ بأحلامِ؟

يُظَلِّلُها حنانُ الحبِّ / من ملكوتِهِ السَّامي

وغابتْ هذهِ النَّظرا / تُ خلفَ الغيبِ في الربِّ

وأستوحي مَعانيها / كأني ناظرٌ ربّي!

وأسمعُ دَقَّةَ القلبِ / لأعرفَ سِرَّه بدمي

فيدرك نَهْدُها طربي / ويخفق ساكِراً بفمي

فلمّا نلتُ معناها / ونالتْ كلَّ ما أغْني

جعلتُ الشعرَ مَبناها / وعانقَ فنَّها فنِّي!

السكوت

ما للسكوت يطيب عِنـ / ـدكِ؟ هل سكوتُكِ من صَلاتِكْ؟

كالفجرِ للنهرِ الجميـ / ـلِ إذا تَبسَّمَ عن صفاتِكْ

ما بالُ ثورة نفسك الظـ / ـمأى بصمتك لم تُواتِكْ

أتعبتُ راحتَكِ العزيـ / ـزةَ بالتحدُّثِ عن حياتِكْ

وأظلُّ أعشقُ شعرَكِ الـ / ـغرّيدَ عِشْقي لُطْفَ ذاتِكْ

وبَنَاتُ وحيك لن أملَّ / حديثهنَّ بمعجزاتِكْ

شِعْرٌ تُغنّيهِ الحرو / فُ فكنَّ بين مُغنّياتِكْ

وتُردِّدُ المُهَجُ الرقيـ / ـقةُ لحنهنَّ بمسكراتكْ

فعـــــلامَ حرمـــــاني وفي الــــــ ــــــحرمانِ قســـوةُ كــلِّ فاتِــكْ
رُوحٌ كروحـــك لـــن تجـــفَّ لهـــا مناهـــلُ أغنياتِـــكْ
والفـــــنُّ خصـــمٌ للقنـــــا عـــةِ والســـماحةُ مـــن لِـــداتِكْ
إرْحَـــلْ ودَعْنَـــا يـــا ســـكو تُ فلـــيس فنّـــي مـــن هُواتِـــكْ!

الأحـــدب

(مشهد من الأسطورة المكسيكية "الحنطة الثائرة")

فِي قـــديمِ الآبـــادِ غـــرَّدَتِ الأرضُ بلحـــنِ المحبَّـــةِ القدســـيِّ
لم يكـن أهلُهـا ،ـ سـوى كـلِّ محبـوبٍ سـعيدٍ وكـلِّ قلـبٍ وفيِّ
فاستَوى الأحدبُ الخبيثُ على العرشِ كئيباً بملكِهِ السفليِّ
حـائراً لا يَـرى سـبيلاً إلى الثـأرِ مـن النـاسِ والوجـودِ الهنيِّ

*****

اســـتوى الأحـــدبُ المـــروِّعُ كـــالقردِ وأوْفَـــى بروحـــهِ إبلـــيسُ
فـوقَ صـخرٍ كقلبـهِ، اخضـرَّ كالمـاءِ إذا نالـه النبـاتُ الحبيسُ
مَشْهَدٌ للتناقضِ الجمِّ مِنْ فنٍّ عجيبٍ فيه النفيسُ الخسيسُ
وتَـراءَى الأصـباغُ في جوِّهِ القاسـي كمـا يُجتلَـى النحـاسُ الرسـيسُ[1]

*****

أي دنيا هذي من الصّخْرِ والمعدن والطحلب الذي ساءَ لونَا؟!
أيُّ مرأىً هـذا الذي يجعل الفنَّانَ يهوى ويكره الفنَّ عَيْنَـا؟!
أيُّ ســوءٍ يُطِـلّ مــن هــذه اللوحــةِ للفــنِّ إنْ تمثَّــل مَعْنَـى؟!

---

[1] الرسيس: الأثري الصدئ.

أيُّ رَمـزٍ وأيُّ نُطـقٍ وإفصـاحٍ وهَـوْلٍ ووحشـةٍ تَتَجنَّـى؟!

*****

جلسَ الأحدبُ المروِّعُ حيرانَ ومِنْ حَوْلِهِ الطُّيورُ الكواسرْ

فِي نظامِ الحُرّاسِ حولَ زعيمٍ وجههُ صورةُ الرَّدَى والمخَاطِرْ

وَتـراءَى الطُّيـورُ أنفسـها نونـاً مـن الشَّـرِّ سـاكناً وهـو طـائرْ

فِي سوادِ الجلبَابِ والمعطفِ الأبيضِ كالليلِ مُقْحِماً نُورَ ثائرْ

*****

مَشْـهَدٌ داعبَتْـهُ رُوحٌ مـن السِّـحرِ فـأوْحَى بروحـهِ الأثـريِّ

وتَجَلَّـى البَخورُ فيه ضحايا فِي دخانٍ يُصاغُ مِن كلِّ حيٍّ

وعجيبُ النقوشِ والنحتِ فِي الصَّخرِ تهاويلُ للزمانِ العتيِّ

هـو مـرأىً أحـارُ مـن نظرتـي فيـه.. أفيـهِ غباوةُ العبقريِّ؟!

*****

صـاحَ: "يـا عَبْدُ! خُذْ إلى ظاهر الأرض حريصـاً رُسْـلا لنـا أوفيـاءَ

خُذْ لهـا نلكَ (التحاسُد) و (الأثَرةَ) و (المكر) و (الدَّنا) و (الريـاءَ)!"

قـال هـذا لـه وقـد ركـع العبـدُ ولاءً والطـيرُ أصـغى ولاءً

وهـو في فرحـةٍ بمـا بَثَّ فِي الأرضِ مـن الرُّسْـلِ كـي تُعـاني الشـقاءَ!

بيـن المـروج

(عبـادة الحـزن)

جَلسَـتْ تفكّـر فِي خيـالِ غَرَامـي ... وتُطِـلُّ فِي غـيبي وفي أحلامـي

وتَعُبُّ من شعري ووحي صبابتي ... خمـراً مـن الأنغـامِ والآلامِ

فتهزُّهـا مثلـي وتُسـكرها كمـا بـالفنِّ تسـكر ريشـةُ الرسّـام

تاهـتْ بـدنيا الحـبِّ، فهـي غنيـةٌ بالحـبِّ، حـين سـقامُها كسـقامي

وتخيَّلـتْني عاطفـاً ومواسـياً أحنـو بكـأسِ هَـوىً وكـأسِ مُـدَامِ

حتـى إذا مـا قـد ذكـرتُ شـقاوتي ومناحـةَ المفقـودِ مـن أيـامي

وغرامـيَ الماضـي الـذي كفَّنْتُـهُ بـدمي وأُودِعَ في فـؤادي الـدامي

غَلَبَتْ علـيَّ من الشـجون عواصـفٌ فسـقطتُ في كنَـفِ المُـرُوجِ أمـامي

والتعـتُ حتـى لم أردَّ تحيـةً منهـا وكـان سـلامُها لسـلامي

فتوهمَّـتْ أنـي نسـيتُ ودادَهـا أو أنَّ شـعريَ غـيرُ روحِ هيـامي

والحـبُّ يَعلـم أنـني في غمـرةٍ وعواصـفٍ مـن قسـوةِ الأيـامِ

أحْيَـا بأشـجانٍ تُميـدُ رواسـياً وتُميـتُ كـلَّ رجـائيَ البَسَّـامِ

فـإذا فـررتُ إلى الضـياءِ هنيهـةً أجفلـتُ ثـم قصـدتُ كهفَ ظلامـي

وعَرفْتُ عن طيب المرُوجِ وإن تكنْ فنَّـاً مـن الإبـداعِ والإلهـامِ

وسـكنتُ للـنفسِ الحزينـةِ جاثيـاً قلقـاً أُفـتِّش عـالمي المترامـي

فأَعُبُّ كـأسَ الحـزنِ وحدي صـامتاً والصـمتُ بعـضُ عبادة المتسـامي

وأصـونُ عنهـا الحـزنَ، إنّ شُـبوبَه حَرَقـي، وإنّ رُكـودَ لحُطَـامِي!

مدام بترفلاي

(نظمها الشاعر ارتجالاً على إثر إحدى مشاهداته لهذه الأوبرا المشجية)

دَمْعـي (مَـدَامُ بَتْـرفِلاَيَ) دَمِـي (مَـدَامُ بَتَـرْفِلاَيْ)

خُلِقَـا لمثـلِ عـذابِكِ القاسِـي ومـا لهُمـا سِـوَايْ!

أبصرتُ مَصْرَعَكِ المكرَّرَ كالمآسي في نُهايْ

حيناً تُصَوِّرُ في الحُبورِ، وكلُّ ما فيهِ أسَايْ

وتُشَامُ في السّقمِ المبرِّحِ مستسِرّاً في حَشَايْ

يا حُلوةَ الرُّوحِ الحبيبِ شَجِيٌّ ذِكراكِ غِنايْ

ما لي أرومُكِ في المَشاهدِ والعواطفُ مُقلتايْ

وتَعُبُّ روحي مِنْ عذابكِ ما ينوءُ به حِجايْ

أكذا الغِنَى للنفس آلامي؟! أهذا مُبتَغايْ؟!

أعذابُ روحي طُهرُها المبقي عليها أم فَنَايْ؟!

أفديكِ للذكرى فهذا شعرُ تقطيعي فِدايْ!

يا للسّذاجةِ والحنانِ تَبدَّدَا كشذَى هوايْ

يا للضحيةِ للحياةِ نداؤها أبداً نِدَايْ

خدَعَتْكِ أطيافُ الربيع وكم حسبتُ بها نَدَايْ

والحُبُّ يَلعبُ مارحاً مَرَحَ الصبابةِ في بُكايْ

والطيرُ يَبني عُشَّه كبناءِ وَهْمي في صِبايْ

والغيبُ يُخفِي سِرَّهُ كالبِشرِ إنْ أخْفَى عِدايْ

خَدعتْكِ في شتَّى مَرَايِيها وكم خَدَعتْ رَجَايْ

ففقدْتِ كلَّ مؤمَّلٍ ولَفَظْتِ رُوحَكِ في مُنَايْ

فإذا الضحيةُ مُنتهاكِ وللضحيةِ مُنتهايْ!

البأس الساحر

أنـا لا أُخـادع أمّـتي بنصـيحتي ... مـا كنـتُ مـأجوراً ولسـتُ بـآجرِ
مـنْ ذا يُسـخِّر مهجـتي وعـواطفي ... لِهَـوَاهُ أو يلـهو بـروحِ الشـاعرِ؟
وطـني العزيـزَ بكيـتُ حظَّكَ حينما ... خَـذلَ البنـون مُنَـاكَ خـذلَ الفـاجرِ
تخـذوا التنابـذَ ديـدناً وتفرّقـوا ... جَرْحَى التخاذلِ تحت جيشٍ ظافرِ
وتقـاذفوا تُهَـمَ الهـوانِ كأنَّمـا ... غنموا إذا اقتسموا هوانَ الخاسرِ
مـنْ مُبْلِـغٌ أحـداثهُمْ وشـيوخَهمْ ... أنَّ التنـاحرَ مَـأرَبٌ للنـاحرِ؟!
تمضـون أنـتم كالضـحايا بينمـا ... هـو سـاخرٌ منكم وأعجبُ سـاخرِ!
لـ ولا تنابـذُكم لأذعـن بأسُـه ... لكمـو، فـإنَّ الحـزمَ أبلـغُ سـاحرِ
والآن يـا وطـني الـذليلَ ألاَ فتـىً ... جـمّ البطولـة مسـتقلّ الخـاطرِ
يَقْضِـي علـى هـذا التنابـذ ضـارباً ... بعوامـلِ التفريـقِ ضَـرْبَةَ قـادرِ
فيعيد مجدَكَ وهـو مَجدُهُمو، فما ... غـيرُ القـويّ يُعيـد حـظَّ العـاثرِ
إنَّـا بعصـرٍ للتعـاونِ وحـده ... حـين التعـاونُ قـاهرٌ للقـاهرِ

سماسرة الهوان

مـا لـي وأطيـافُ الربيـع تشـوقني ... أُشْجى كما يُشْجَى الغمامُ بموطني
فيجـيء حتـى في الربيـعِ كأنّـه ... صُـوَرُ الحِـدادِ لمحـزنٍ ولمحـزنٍ؟!
وطـني! نُكِبْـتَ بكُـلّ غـرّ نـافخٍ ... في شُـعلةِ الحقـدِ المـدمّر لا يَـني
يتظـاهرون وأنـتَ وحـدكَ غـارمٌ ... وهُـمُ الجُنَـاةُ وإن عُـددْتَ المجـتني

كُــلٌّ يحقّــر نِــدّهَ وكأنمــا المجـدُ أن يـؤذي أخـاه بمطعـن
فــإذا التعــاونُ سُــبّةٌ وجريــرةٌ وإذا التنابــذُ مثــلُ داءٍ مُــزمنِ
لـولا سماسـرةُ الهـوانِ لمـا غـدا هـذا الهـوانُ ينـال عـزّةَ مـوطني

هـدأة الصيف

مـا بـالُ هـذا الصيفِ يهدأ عنده قلـقُ العواطـفِ بـل تنـام هنيئـا
وأنــا الــذي إحساسُــه متوثّــبٌ فــإذا تَبَاطَــأ لا تــراه بطيئــا؟!
أيــن الهـدوءُ لشــاعرٍ أحلامُــهُ قـد طوّقَـتْ هـذا الوجـودَ مِـرَارًا
فيتــابع الأجــرامَ في حركاتهــا ويصــاحب الأنــداءَ والأزهــارًا؟!
عرفَ الجليلَ مع الحقيرِ فلم يَزلْ يسـتوعب الـدنيا المنوّعَـةَ الصُّـوَرْ
فـتراه يَلْقَـى الصيفَ مثـلَ ربيعـهِ ففـؤاده لحـظَ الجمـالَ وإن سُـتِرْ؟
يـا نبـعَ وحْـيٍ كلُّـهُ طُـرَفُ الهَـوَى هل جَفَّ هـذا النَّبْعُ إثرَ الصيفِ؟
حاشــاه! هــذا النبــعُ إيمــانٌ بــلا حَـدٍّ، وصـمتُكِ فيـهِ معنـى العطفِ!

الدنيــا المريضــة

يـا ليـتَ طـوعَ يـدي الشـفاءَ فإنمـا أولَــى بإســعادِ الجمــالِ الطــبُّ
ألَمِــي لهــمٌّ في فــؤادكِ ثــائرٍ ألمُ الضـعيف سـلا دُعَـاهُ الـرَّبُّ
أتنـاول الحسـراتِ كـأسَ مُـدامتي والحَـظُّ يخطـو عـاثراً ويَــدِبُّ
وأودّ لـو أنـي أصـونُكِ عـن أسـى دنيـايَ، فهـي دُنـىً أباهـا الحُـبُّ

لـو أنهـا قـدرَتْ شُـعورَكِ هَيَّـأتْ لـكِ في السـعادة مـا تخَيَّـلَ صَـبُّ

رُوحٌ كروحِـكِ كلُّـهُ لُطْـفُ النُّهَـى أوْلَـى بـه مـا يَشـتهيهِ مُحِـبُّ

لا أن يُعَـذَّبَ في عواطفـهِ بمـا يَلقـاه مـن دُنيـا جفاهـا الطِّـبُّ!

النـاسي

نَسِيتَ وَجْدِي وكم أنْسِيتَ يا قاسِي أنـا العليـلُ ولكـنْ قلبُـكَ النّاسِـي

يـا راحـلاً عائـداً مَرْضـاهُ كالآسـي وكلُّـهُ رحمـةٌ يُشْـفَى العليـلُ بهـا

مـا بـالُ قلبي هـو المَنْسيُّ في النـاسِ؟

زعمتَ أنّي الذي يسلوكَ في بُعْدِكْ فهل جهلتَ فؤاداً عاش مِنْ ودِّكْ؟

كيف السُّلُوُّ ورُوحي مِنْ جَنَى شَهْدِكْ وعَهْـدُها للـهَوَى أنـتَ العليـمُ بـهِ

فقد شرحتَ مَعاني الحُبِّ في عَهْدِكْ؟

يَنْسَاكَ مَنْ كان يَنْسَى حُسْنَكَ الآسِرْ يا مَنْ غدا حُسْنُهُ للشعرِ والشاعِرْ

حُسْنٌ من النورِ يَغزو فَنُّهُ الزاخِرْ أهـلَ الحيـاةِ فيُحيِـيهم لأجيـالِ

فإنّ رُوحَـكَ كالإلهـامِ للسـاحِرْ!

الإعصار العاتية

(بعث الشاعر اللبناني المجدد إلياس قنصل بمخطوط شعره إلى صاحب هذا الديوان لكتابة مقدمة له فأرسل إليه التحية الآتية بعد اطلاعه على ذلك الشعر)

أللخلدِ يـا ابـنَ عزيـزِ الخيـالِ تطـوف علـى القِمَـمِ العاليَـهْ؟
جَـديرٌ بشـعرِكَ وَحْـيُ الجمـالِ بأوصـافِكَ الحُـرَّةِ الآبيـهْ
ومـا فيـهِ مـن ثـورةٍ للمُحَـالِ ومِـنْ وَثْـبِ إعصـارِكَ العاتيَـهْ
لـئنْ جمَحـتْ فجمـوحُ المَعَـالِي وإنْ هَـدأتْ فـالمُنَى الراضيَـهْ
غنـاءٌ يفـيضُ بسِـحْرِ الليـالي وفلسـفةِ الأنجـمِ الرّانيَـهْ
فمـن كـان يُنشِـده لا يُبـالي بـدنيا الـورى والمُنَـى الفانيـهْ
ومـا الشـعرُ إلاّ عزيـزَ ابتهـالِ ورُوحـاً مـن الشُّـعلةِ الباقيـهْ

المعبـد المعتـزل

(جلسة مسائية في متحف فني للتصوير وقد اجتمعت فيه أضواء فنية ساحرة)

ومَعْبَدٍ مِنْ مغـاني الخُلْدِ معتـزل قـد أطلـعَ الفـنُّ فيـه كـلَّ إعجـازِ
الضـوءُ فيـه أمـانيٌّ منوَّعَـةٌ مـن كـلِّ لـوْنٍ خفـّي الـروح نَهّـازِ
جلسـتُ فيـه وحـولي مـن نماذجـه روحُ الطبيعـةِ في تعبيرهـا الغَـالي
تمثّلَـتْ صُـوَراً هيهـات يجحَـدها حتى الخليّ فما في الفنِّ من خـالي
سِحْرٌ من القبَسِ العالي تطوف به مِن مُهجة الخـالقِ الوهَّـابِ أشعـارُ
كأنّـه جـالسٌ يُصـغي ويرسـم مـا فيـه الحيـاةُ وفيـه المـوتُ والثـارُ
هـل هـذه صِـبغةُ الـرحمن خالقنـا جـادتْ لنـا بجمـالِ الكـونِ شـفّافا؟

هــذي الطبيعــةُ جاءَتنــا مجمَّعــةً وجاذبتنـــا تهـــاويلاً وأطيافَـــا
وحينمــا قدَّســتْ أرواحُنــا مُــثُلاً منهــا عبدنا الــذي نــاجَى أمانينــا
وقــد لثمنــا يــدَ الــرحمنِ ناقشــةً هـذي الحياةَ خُلـوداً شـاق أو دينا

قصيدتي الكبرى

أن لا ألـــوم الغـــافلين إذا أبَـــوْا شــعري، وعــابُوا رَوْعَــتي ورُواتــي
هــل يُــدركون قصــيدةً لعــواطفي وهــم الــذينَ أبَــوْا قصــيدَ حيــاتي؟
أحْيَــا لغــيري والــدقائقُ مِلْؤُهَــا نَغمــي ومِــلءُ دموعهــا أبيــاتي
فقصــيدتي الكــبرى حيــاتي كلّــها وأقلّهــا شــعري ووهــمُ عُــداتي
ســتيعش روحــي في جديــدٍ دائــمٍ للشــعرِ ثــم تعــيش بعــدَ ممــاتي
ومَــنِ اســتطابَ لــه الوجــودُ بقــاءَه صُــوَراً مــن الشــعرِ الأبــيِّ العــاتي
هيهــات يأبــه للصــغير إذا أبَــى جَـدواه في الماضــي ووحــي الآتــي
إنْ يــأنَفِ العُبَّــادُ حَــنَّ لمهجــتي - لخلوصِها - المعبودُ في صلواتي
أوْ لم يُصِبْ نَغَمَ الصُّخورِ فحسبُهُ سَـــمْعٌ مـــن الأربـــابِ والربَّـــاتِ!

أمنــا الأرض

أمَّــاه! إنَّ لــديكِ صــفوَ حنــيني وإليــك مَرجــعُ فــرحتي وأنــيني
ألقــاكِ في كنَــفِ السُّكُونِ عبــادةً وأقبِّــل التُّــربَ الــذي يُحيــيني
وأروح أعشــق كــلَّ مــا أنجبتــه فجميعــهُ شــعرٌ إزاءَ حنــيني

ما النحلُ، ما هذي الدواجنُ كلها ... والغرسُ إلاَّ الشعر ملءَ رنيني
شِعرٌ تُجاوبه عواطفُ مهجتي ... وأنا المدينُ له بأجمل دين
وأرى الألوهةَ فيه بين توثبٍ ... وتطايرٍ ووداعةٍ وسكونِ
والناسُ تعجب من توزُّعِ خاطري ... وهو الموحَّدُ فيك غيرُ غبينِ
أماه! مَوْئِلُ كُلِّ لبٍّ شاعرٍ ... نجواكِ، فهي مفاتني وفنوني

اليد البخيلة

لمستُ كأسَ الهوى، لكن وقد لمستْ ... يدي الهوى، غابَ عن نجوايَ مذعورا
يا حُبُّ أيُّ نشيدٍ أنت تطلبُهُ ... وأنت تبخل بالإيحاءِ مسرورا؟
هاتِ الرحيقَ وخُذْ مني مرنَّحةً ... من الخُلُودِ تَبُثُّ اللحنَ والنّورَا
لا أكذب الله؟ إني لن أعيشَ سُدىً ... حتى أرى في الجنانِ الخمرَ والحُورَا
بل أوثر العيشَ في دنياي محتملاً ... أذى لها إنْ غنمتُ الحبَّ موفورَا
أين الملاحةُ تُرضيني مَناهلُها ... فتغنم الفنَّ إلهاماً وتصويرَا؟
أين الجمالُ بلا صدٍّ ولا كَلَفٍ ... يبادل الفنَّ تحريراً وتقديرَا؟
هيهات! هيهات! ما للفنّ منتصفٌ ... وكم يعيش جليلُ الفنِّ مَقْبورَا

الدموع

ما للدّموع ترفّ من عينيكِ ... وتُثير قلباً كم يحنّ إليكِ؟
فيم البكاءُ؟ وفي الحياةِ جميعها ... تجري الدموعُ ندىً بدمع ربيعها؟

أحَنَنْتِ للدمع الذي هو ساجِ ... في الكون، في الأجواء والأمواج؟

أم قد عطفتِ على فؤادي الثائرِ ... - وهو الوديعُ - على الوجود الجائر؟

قَلْبٌ يَلُوح كأنَّه في أنْسِهِ ... وهو المحجَّبُ مأتماً في عُرسِهِ

ويَرَى الجمال مرتّلاً ومُغرّداً ... متعبداً ومناه أن يَتعبَّدا

وهو الذي حرموه حظَّ عبادةِ ... وتوهّموه بنعمةٍ وسعادةِ

فإذا نأيتِ فإنّ روح وداعي ... خافٍ عن الأبصارِ والأسماعِ

ويرفّ حولكِ من فؤادي الباكي ... كالعطرِ بعد الزهرِ والأشواكِ

الطبيب

ودَّعْتِ عاصمةَ المعِزِّ، فهل تُرى ... ودَّعتِ غيرَ تلهفي ووجيبي؟!

وحَسبتِ أنَّ ليَ العزاءَ بما أرى ... حولي من التشويق والتحبيبِ

وكأنّ بدرَ التمّ آمنَ وَحْدَهُ ... بأسايَ أو بهوايَ أو بنحيبي

فرأيتُهُ في حالِ ممتقعٍ له ... من صُفرةِ الإشفاقِ والتعذيبِ

لوني، وقد شاهدتُ مصرعَ نعمتي ... عُمراً من التشريدِ والتغريبِ

والجوُّ في قيظٍ تأجّج مثلما ... تتأجّجُ الآلامُ ملءَ غريبِ

وتكاد أنفاسي تُرَدُّ وإن يكن ... جسمي بنبضٍ للحياة عجيبِ

وأرى الطبيعة كلها في حسرةٍ ... وكأنما ريْعَتْ لنأيِ حبيبي

أوّاه من ظمأٍ على ظمأٍ، وكم ... يلقى قريبَ الريّ غيرَ قريبِ

أشْبعْتُ سخريةَ الحياة وكيدها ... وجَزيتها بنشيد كلِّ أديبِ

فغدرتُ شاعرَها الطبيب وإن أكن ... بأسايَ محروماً عزاءَ طبيبِ!

الغروب الثائر

مـا للغُـروبِ يثُـور بـالأنواءِ مِـنْ قلـبي الحـزينْ؟!
مـا للـدماءِ تَكاثَفـتْ كـالموجِ والغيـبُ السـفينْ؟!
أيـنَ الضـحايا قـد تَـراءَى الأفـقُ يعكـسُ رُوحَهـا؟!
هيهـات! قـد ذَهَبـتْ وإنْ أبقـى الزمـانُ جُروحَهـا
يـا ثـورةً عنـد الغـروبِ لمحـتُ فيـكِ فـؤادي
هـذي دمـائي اسـتُنْزِفَتْ وعلـى السّـماءِ حـدادي
كم في السّماءِ شعورُ هذي الأرضِ في ماضي القُرونْ
كـم تعكسُ الأقـدارُ في صـفحاتها صُـوَرَ الجنـونْ:
صُـوَرَ العواطـفِ وهـي قَتْلَـى مـن جُنـونِ الحادثـاتْ
ويكـاد هـذا الأفـقُ يَصـرخُ مـن تصـاريفِ الممـاتْ
هـذي رُؤَى الأصباغِ كالصَّـيحاتِ للقتلـى تَـرُوعْ
مـا الحشـرُ يـومَ الحَشْـرِ أروعَ مِـنْ شَجَاهَا للمَـرُوعْ
صُـوَرٌ تُعـذِّبُ خـاطري والأمـسَ كـانـت نعمتَـهْ
ألآنَ بُعـدَكِ قَهْـرُ نفسـي صـار صـفوي ثورَتَـهْ؟
يـا خـاطري ثُـرْ دائمـاً أو لا تَثُـرْ فالحـبُّ فـاتْ
بعـدَ الـوداعِ لأيِّ حُلْـمٍ أنـتَ تُنشـدُ للحيـاةْ
ليسـتْ ثُمالـةُ كأسـيَ الحَسْـرَى كخمـرِ العاشـقينْ
جمعـتْ مَـراراتٍ مـن الـذكرى ومِـنْ نَبـعِ الأنـينْ
مَـنْ ظـنَّ أنـي مُسْـعَدٌ في نشـوتي فهـو الضـريرْ
ضَـحكي كقهقهـةِ القنـاني وهـي تُـذبَحُ للخمـورْ!

وأغــالِط الأيــامَ في وهمــي بــأني مُــنْعَمُ
فــإذا مَناهــلُ خــاطري يــا خــاطري تَتضــرَّمُ
والآنَ فاشــربْ مــن رُؤَى هــذا الغــروبِ الثــائرِ
اشــربْ دمــاءَكَ في الســماءِ بنظــرةٍ للشــاعرِ
إشْــرَبْ دمــاءَكَ أو رثــاءَكَ في ممــاتٍ لــن يَهــونْ
مــوتُ التــوزّعِ والتــألُّمِ في العواصــفِ والجُنُــونْ!

ساعة التوديع

وأتـى الـوداعُ فما بَخلْـتُ بمـدمعي
لكـنْ بَخلْـتُ بـأن يُـراقَ شُـعوري

فحبسـتُ كـلَّ عـواطفي إلاّ الـتي
هربـتْ هُـروبَ العاشـقِ المقهـورِ

وأخـذت أنظـر ثـم أنظـر واعيـاً
مـا افـترَّ عنـكِ مـن المُنَـى والنـورِ

رُوحٌ كروحِـكِ أُشْـبعتْ رُوحَ العلـى
والبعــث للمحــروم والمقبــورِ

أتأمَّــلُ اللحظــات في أســرارها
وكــأنني أرنــو بلمــح دهــورِ

كـم فيـكِ مِـن سِـرٍّ عَصِـيٍّ ثـائرٍ
يَخفَـى ويبـدو مِـنْ خـلالِ سـطورِ

ألقــاه بالإمعــان وهــو يجــود لــي
بــالفنِّ ثــم يجــود في تعــبيري

ألقــاه لُقيــا طالــبِ إحســانَه
فأنــا إلى الإحســانِ جــدُّ فقــيرِ

وأُطِـلُّ مِـنْ عَينيـكِ في حِقَـبٍ بـلا
عَـدٍّ وقـد فلَتَـتْ مـن التَّصـويرِ

مـا هـذه الأحـلامُ؟ مـا هـذي المنـى؟
مــا ذلــك الإلهــامُ للمســحورِ؟

هـذا جَمـالُ النَّفْسِ في اسـتعلائها
متملِّكــاً لُبِّــي ووحــيَ ضــميري

فأظـلّ أرنـو ثـم أرنـو حـائراً
مــا بــينَ آلامٍ وبــينَ ســرورِ

وكـأنَّني ألْقَـى الألوهـةَ سمحـةً   فتُـنيرُ نهجـاً كـان غـيرَ مُـنيرِ

وكـأنَّني وأنـا أطيـلُ تـأمُّلي   أتنـاول الإبـداعَ مـن تفكـيرِي

وأصـونُ كنـزاً مـن حنانـكِ نـادراً   لـيردَّ ففـرَ البـائسِ المهجـورِ

وكـأن مُـدَّخَرَ العواطـفِ ثروتـي   للشـعر لا لِنُهَـايَ بـل لِعُصـورِ

وكأنمـا القمـرُ المُطِـلُّ مُسَـجِّلٌ   غُنْمـي وخُسـري في رضـىً وفُتـورِ

فالتـاعَ مِنْ قَلَقي الدَّفينِ وحسرتي   وافـترَّ عـن نـورٍ لـبعض حُبـورِي

فبـدا مزيجـاً مـن ضـياءٍ مُحْـزِنٍ   كفـؤاديَ المتوثّـبِ المغمـورِ

*****

مـا سـاعةُ التوديـعِ إلاَّ سـاعةٌ   للمـوتِ مهمـا أُعْقِبَـتْ بنُشـورِ

نور ولهب

يـا مَعبـداً للحـبّ لا ألقاكَـا   إلاّ كمـا يَلقـى الشـعاعُ حِماكَـا

إنّـا كلانـا للفنـاءِ ومـا لنـا   مَثْـوىً نَغيـبُ بظلـه إلاّكَـا

هـذا فنـاءُ الخُلـدِ إلاّ أنـه   قـد يُسـتطابُ تَحَـرُّراً وشِـراكَا

فـإذا مَنحـتَ فأنـتَ خَـلاّقُ الهوى   وإذا حَرَمـتَ فمـا قتلـتَ هواكَـا

*****

يَمَّمْـتُ رُكنـكَ في تلـهفِ بـائسٍ   قَلِـقٍ ومـا أَوْلاَهُ بالإسـعادِ

خُلِقَـتْ لِمَـرْآكَ الشَّـهيِّ حياتـه   فـإذا بـه المحـرومُ كـلَّ ودادِ

إنْ كـان يطمـع فيكَ فهـو كخُلسةٍ   للحـظِّ بـين مصـائبٍ وحِـدادِ

ليسـت نعيمـاً رغـمَ كـلِّ تَـنَعُّمٍ   فيهـا، وليسـت غـيرَ طعـنِ فـؤادي

*****

إنـي خُلِقْـتُ لكـي أعيشَ كخـالقي   للفـنِّ في عـيشٍ حليـفِ نَقـاءِ

عـيشٌ أوحّـد فيـه كـلَّ صـبابتي | وعبــادتي وتَعَشّــقي ورجــائي
ففقـدتُ مَـنْ أهـوى وإن أدركتُهـا | ولــربَّ وصــلٍ فيــه روحُ جفــاءِ
وحييـتُ ألـتمس النعـيمَ حيالَهـا | فـأرى النعـيمَ مصـوّراً لشـقائي

*****

ولّـى زمانُـكَ يـا فـؤادُ فـلا تُطِـلْ | هــذا الحــنينَ إلى خَيــال شــبابي
تَرْنُـو إلى صُـوَرِ الجمـالِ لَعلّهـا | تشـفيكَ مِـنْ حَـرَقٍ ومِـنْ أوصـابِ
وتُحيـل كـلَّ تـنَعُّمٍ تَحظَـى بـه | صُـوَراً مـن الفَـنِّ العزيـزِ الآبـي
وتظـلّ أنـتَ بحسـرةٍ لا تنتهـي | ظمـأً علـى ظمـأٍ وطـولُ عَـذابِ

*****

ولّـى زمانُـكَ يـا فـؤادُ ومـا أرى | في هــذه الـدنيا عـزاءً يُشْـتَرى
مهمـا مرحـتَ فمـا كُفِيـتَ سـعادةً | وهـواك يسـمو فـوقَ أحـلام الـورى
أيـن الـتي هـي غُينـةٌ لمحـبتي | رُوحـاً وجسـماً في السماء وفي الثرى؟
هيهـات! حُبّـي لا يُحَـدُّ ومـا أرى | كفـؤاً لـه مهمـا سـعيتُ لأن أرَى

*****

تشـكو عتـابي؟ كيفَ تشـكو حينمـا | الأرضُ ضـاقتْ عن هَـواكَ بل السما؟
أيـن الأليـفُ ونفسُـه لـكَ شُـعلةٌ | وكيانُـه لـك جنّـة تـروي الظمـا؟
أيـن الـتي تلقـاكَ لُقيـا سـاحرٍ | مسـتوعبٍ لهـواكَ كيـف تجَسَّـمَا؟
أين التجاوبُ في الحياة؟ فما أرى | إلاّ الغـرامَ مُفرّجـاً ومَضَـرَّما!

إمـــرأة الأبـــد

وامـرأة الحيـاة

هيهـات أن أنْسَـى الحيـاةَ وسِرَّهـا	وأنــا أسـيحُ بعــالَم الوجــدان
إنـي انـدمجتُ بكلِّ مـا تُـوحِي بـهِ	ومَزَجْـتُ مِـنْ ألوانهــا ألــواني
وجعلـتُ شـعري مَسـبحاً لخيالهـا	وتَخـــذتُها ألقــاً وكنــز مَعــاني
فرسمتُهَـا صُـوَراً تكـاد بروحهـا	تحيـا، وأعطيـتُ الـذي أعطـاني
مُتبــادلَيْنِ مَباهِجــاً ونَفَائِســاً	والفـــنُّ مِـلءُ تَبــادُلِ الفنَّــانِ

*****

أعزيــزةَ الأحــلامِ لا تَتَخيَّلـــي	للمــرأةِ الضــدّينِ في الإحســانِ
المــرأةُ الــدنيا بحــالٍ واحــدٍ	في صـورةِ الإحسـانِ والحرمـانِ
أخـذتْ عـن الأبَـدِ القصـيِّ ألوهـةً	وتَعـيشُ مُفصـحةً عــن الـدَّيَّانِ
بنـتُ الحيـاة وأمُّهـا، فكيانُهـا	وشُـعُورُهَا قَـبَسٌ مـنَ الـرَّحْمَنِ
هيهــات تَحْيـا للتبتُّـل حينمـا	دنيــا التجـاوب عِـزَّةُ الإنسـانِ
إلا التَّبَتُّــلَ للفنــونِ وأهلِهــا	حـين الفنـونُ تخصُّـها بحنـانِ

*****

لا تحسـبيني في التَّعَبُّـدِ مُسْـرِفاً	بمعابـدِ الحُـبِّ الـذي واسـاني
أو أنَّ في هــذي العبـادة ضَـلَّةً	وأنــا أعُـبُّ بصـفوها أحزانـي
إنــي أعــذِّب مهجـتي بنعيمهـا	وأصــوغ مــن آلامهــا ألحــاني
وأرى الحياةَ بها كما ألقى الرَّدى	ونقــائضَ الإيمــانِ والكفــرانِ
وإذا بهــا طُهْـرُ الحيـاة وإثْمُهَـا	وجَنَـى الخلـودِ وعثـرةُ الفقـدانِ

*****

يــا مَــنْهلاً للــروح لا تَتَطلَّعـي	للخلـدِ مُصْـغِرَةً هَـوَى الأبـدانِ
هيهـاتَ تحيـا الـروحُ دونَ كيانهـا	أو يسـتقلُّ النـورُ دون كيـانِ

هــذا الوجــودُ بأســره متجــاوبٌ كتمــازج المحســوسِ بالرُّوحــاني
مــا كــان لامــرأة الخلــود خلودُهــا إلاَّ كمــا عــرفَ الخلــودَ الفــاني
أو كــان لامــرأةِ الحيــاة فناؤُهــا مــا دامَ في الإنســانِ روحٌ بــانِ
مَــنْ فاتَهــا هيهــات يخلــد دونهــا إنَّ الحيــاةَ وضــدَّها ســيّانِ

كــأس الشــاعر

مــا هــذه الكــأسُ وفيهــا الخيَــالْ يَطْفُــو علــى الكــونِ بــوحي الجمَــالْ
قــد صــار لــي الكــونُ بمــا يَزدهــي كأسي، وفي كأسي وخمري المُحَالْ
لا تَســقني الخمــرَ ودَعــني لمــا في الكــونِ مــن روعــةِ هــذا الخَيــالْ
مــا أعــذبَ النــورَ شــرابَ الهُــدَى وأروعَ الليــلَ شــرابَ الضَّــلالْ
كلاهمــا حُسْــنٌ لنفســي الــتي لا تَحصــرُ الحُسْــنَ بمعنــى الكمــالْ
دَعْــني إلى حُلمــي، فمــا غَــيرُهُ يَشْــفي فــؤادي مــن هُمــومِ الليــالْ
يَســتوعب العــالَمَ في نظرتــي ونظرتــي فيهــا أحَــبُّ ابتهــالْ

طائر الطبيعة

(رآه الشاعر في صورة حسناء ذات جناحين محلقةً في السماء على ثغرها بسمةٌ هادئةٌ وفي عينيها فكرٌ عميقٌ والطيورُ حولها تائهةٌ)

إلى أيِّ مَبْــدأً وأيِّ انتهــاءْ تطيريــنَ فاتحــةً قــاهِرَهْ
تحــومين فــوق بُــروجِ الســماءْ وتَطــوين أنجمَهــا الســاحرَهْ؟!

تَطيريـــن في بَسْــمَةٍ فاتنــهْ ... لـديكِ وفي بســمةٍ للوجــودْ
كأنــكِ ربَّتُــهُ الآمنَــهْ ... تطــوف وتُحْيــي فقيــدَ الوعُــودْ
ويبــدو بعينيــكِ ســرُّ الألوهَــهْ ... فيجتــذبُ الطــيرَ شَــتَّى إليــهِ
فمعنــاكِ أسمــى المعــاني النزيهَــهْ ... ومَــرآكِ أحلــى المَرائــي لدَيْــهِ
تطيريــن والطــيرُ عــانٍ يَتيــهُ ... حواليــكِ، وهــو شَــرُودٌ قريــرْ
يَتيــهُ، وكــم في الطيــور النَّبيــهْ ... يَتيــهُ بنــورِ كتيــهِ الضــريرْ
فمــن أنــتِ يــا طــائراً للطبيعَــهْ ... يحلّــق فــوق النُّهــى والجمــادْ
فيســبح فــوقَ الطبــاقِ المنيعَــهْ ... مــن الكــونِ ثــم يَســوسُ العبــادْ؟!

الشروق الهادئ

أشْــرَقَ الصُّــبْحُ في هــدوءٍ عميــقِ ... كهــدوءِ الحبيــبِ بعــد الوصَــالِ
أيُّ جَمْــعٍ مــن الأســاطيرِ والسِّحْــ ... ـرِ يَــزفُّ الخيــالَ تلــوَ الخيــالِ؟!
صُــوَرٌ تَمَّحــي وأخــرى تَــراءَى ... في انبثــاقِ الضــياءِ بــين الظــلالِ
والعصــافيرُ هاتفــاتٌ بألحــا ... نــي هتــافَ الخشــوعِ نحــو الجمــالِ
في نشــيدٍ مــن الخفــوتِ حبيــبٍ ... كحــنينِ الوليــدِ أو كالــدلالِ
أمَــمٌ أرســلتْ دُعــاءً مُجَابــاً ... ولكــلٍّ لُغــىً وروحُ ابتهــالِ
مُثِّلــتْ في الطيــورِ والزَّهْــرِ والنَّبْــ ... ـتِ وفي المــاء والحَصَــى والرمــالِ
وجميــعِ الــذي تــراه ومــا قــد ... حَجَّبَتْــهُ ســتائرُ الأجيــالِ
أمَــمٌ كلــها، ومنهــا خَفِــيٌّ ... في انطــلاقٍ بجــوِّه المتعــالي
أنْشَــدَتْ كلُّهــا بصــمتٍ رهيــبٍ ... أو بنُطْــقٍ كالصَّــمْتِ حــيِّ الجــلالِ
أنْشَــدَتْ دعــوةَ الصــباح فلبــى ... ذلــك الصُّــبْحُ مــن إســارِ اللَّيــالي

وأتـى هائبـاً تَوسَّـل بالشمـ ـس حِمَاه فأشـرقتْ في اختيـالِ
وخشـعنا جَميعُنـا في نُهَانَـا كخشـوعِ الفنَّـانِ نحـو "المثـالِ"

*****

كـمْ هُـدوءٍ تَمـوجُ فيـه وتَطْغَـى ثَـورةٌ للـيقين أو للضـلالِ!

وعي الرسام

أبَـ ،َوْتِ لـي أمْ لُحْـتِ للرَّسَّـامِ حُورِيَّـةَ الأوهـامِ والأحـلامِ؟
البـدرُ أرسـلَ للتحيـةِ نُـورَهُ والنـورُ منـه عواطـفٌ كهيـامي
فـدَعِي لشـعري أن ينالـكِ مـرّةً بالوصـفِ في ملكوتـكِ المُتسَـامِي
لغـةُ الفنـون تَوَحَّـدَتْ أنَّـى بـدتْ بتنـوُّعِ الألـوانِ والأنغـامِ
لغـةُ الألوهـةِ أفصحتْ وتناوبـتْ لُـبَّ الحيـاةِ بنفحـةِ الإلهـامِ

*****

ألقـاكِ خلـفَ البَـدْرِ شـبهَ مُطِلَّـةٍ وأراكِ بـين تهافُـتٍ وتَسَـامِي
فـإذا تعبـتِ بَعثْـتِ أطيـافَ الهوى يرقصـن في هـذا الضيـاءِ أمـامي
رُسُـلُ الجمـالِ، وكـلُّ فاتنـةٍ لهـا نَغـمٌ وإيمـاءٌ وعَـذْبُ كـلامِ
يُسْرِينَ بي نحوَ الخلودِ، وما أرى للخلـدِ مِـنْ نهْـجٍ سـوى أحلامـي

*****

أنفقـتُ عُمري أرقـبُ القمـرَ الـذي يفـترُّ عـن إحسـانه البسَّـامِ
وأراه موفـورَ الحـنين كأنـه أهلـي وأصـرتي ونَبْـعُ غرامـي
وكـأن أمّـي الأرضَ أبقتـه الهُـدَى لأخٍ ضـريرٍ أو أخٍ متعـامي
فـإذا الضـياءُ ورمـزُه ورواؤه بنـتُ الطبيعـةِ في الخيـال السـامي
سـكنتْ بـأمواجِ الضيـاءِ وداعبـتْ في الليـلِ وحـيَ الشـاعرِ الرسَّـامِ

الزهـرتان

فِي بيئـةِ الحُسْـنِ وَجـوٌ الغـرَامْ
نشـأتِ يـا زهـرةَ حُبّـي القـديمْ[1]

مَـنْ ذا الـذي يَرْضَـى لقلبي المَلامْ
إنْ رامَ قلـبي مـن جَنـاكِ النَّعـيمْ؟

الزّهـرةُ الكُبْـرَى لهـا مـا لهـا
مِنْ قلـبيَ الحـيِّ بنـبضِ الشـباب

والزهـرةُ الصُّـغْرَى لهـا مِثْلَهـا
مـا حُمِّـلَ القلـبُ لهـا مـن عَـذابْ

يـا تَـوْأَمَي حُسْـنٍ أنـا عَبْـدُهُ
هـل أنتمـا إلاَّ مَـدَى سِـحْره

قَلْـبٌ كقلـبي قـد طغـى وَجْـدُهُ
هيهـات أن يعقـلَ مِـنْ زجـره

مـا أجمـلَ الحُـبَّ بعـيشِ الجُنُـونْ
وأعجـبَ الحـبَّ بأمسـي ويَـوْمِي

يـا مَطْلَـعَ الـوحيِ ومَجلَـى الفنـونْ
يـا حُسْنُ، لا تُسْرِفْ بسـحري ولوْمِي

إلى أفرديت

لَبَّيْـكِ قـد يُخلـدُ المعبـودَ فنَّـانُ
كلاهمـا خـالقٌ للخلـدِ ديّـانُ

ولـو عـددنا حيـاةَ الحسـن زائلـةً
فلـيسَ يَرضـى فنـاءَ الحسـنِ فنّـانُ

دُنيا كأخرى استطابت أن تخادعَنا
كمـا يخادعنـا كفـرٌ وإيمـانُ

إلاَّ جلالـةَ إيمـانٍ أقـدَمُها
فِي مـذبحٍ بضـحايا الحـبِّ يـزدانُ

هـذا جمالُـكِ يبـدو كـالربيع حُلـىً
بالسـحرِ والنـورِ أخّـاذٌ وجـذلانُ

مجـدَّدٌ دائمـاً فِي كـلِّ فاتنـةٍ
وكـم يُجـدَّدُ بالإلهـامِ فتّـانُ

روحُ الألوهـةِ إلاّ أن مُبـدعَها
هـذا الغـرامُ الـذي يُخفيـه إنسـانُ

---

[1] يناجي الزهرة الصغرى ربيبة الزهرة الكبرى.

لـــولا حـــنينٌ لأرواحٍ مُعَذَّبـــةٍ ما كـان في ملكوتِ الحـبِّ أكـوانُ

*****

يــا ربــةَ الحــبِّ مشــبوباً لعارفــهِ ومَشْــربَ الصــفوإنّ الفــن ظمــآنُ

عيشـي لـه مَنبعـاً مـا عـاش يقصـدُه فــتملأ الــدهرَ مــن ريّــاكِ ألحــانُ

فــيمَ التمنُّــعُ والــدنيا علــى ســفرٍ؟ ومــا التحجُّــبُ حــين الفــنُّ لهفــانُ؟

ألقـــي الشُّــفوفَ وحيّيــهِ معانقــةً فتصـــبغ الكـــونَ بالإلهــامِ ألـــوانُ

مـا أصـغرَ الحسـنَ مأسـوراً ومحتجبـاً وأعظم الحسنَ حـين الحسـنُ إحسـانُ

إن الجمـال بـلا عطـفٍ يجـود بـه كمهمَـــلِ الـــنظمِ إيقـــاعٌ وأوزانُ

كـلَّ الحـرامِ حـلالٌ للفنــون، فمــا غير الفنـون لهـا في الـدهرِ سـلطانُ

فــإنْ أصِــيبَتْ بحرمــانٍ يعــذِّبها نـال الجمـالَ مـن الحرمـانِ حرمـانُ

نسيم الصباح

أيـرفّ عنـدَكِ مِـنْ نسـيمِ صـباحي إلاَّ عـــبيرُ صـــبابتي ومِراحـــي؟

فـــإذا تعثـــرَ أو لمحْـــتِ غيابَـــه فلأنّـــه العـــاني لفـــرطِ نُـــواحِي

لمَ لا أنــوح وإنْ يكــن في عُــزلتي صَـمْتاً يجـلّ مَـداهُ عـن أفصـاحي؟

إنـي الفتـى الباكي الطَّرُوبُ ومـا ترى قلـــبٌ مجـــالَ تـــألُّمي وجراحـــي

ولو استطعتُ حجبتُ عن ربّي الذي عانيـــتُ في الأحـــزانِ والأفـــراحِ

عانيتُ في عُمري الشَّجَا أضعافَ ما غنيـتُ في غزلـي ومـلءَ مِراحِـي

ورَسَــمْتُهُ صُــورَ التفــاؤُلِ مُشــبهاً رسمـي اللـهيبَ بنـورِهِ الوضّـاحِ

ألِـيَ العتـاب؟ إذنْ فمـنْ أولَـى بمـا أُهديــهِ مِــنْ رُوحــي إلى الأرواحِ؟

ألـيَ العتـابُ ولم أعـشْ إلاّ كَمـا	عـاشَ الشُّـعَاعُ لزهـرةٍ ونُفـاحِ؟
إنـي الأسـيرُ وإن عُـدتُ مُحَـرَّراً	في عـالمٍ حالفـتُ دونَ فَـلاحِ
أعطيتُـهُ مـا قـد أخـذتُ وزِدْتُـهُ	مـا شـاءَ مـن إبـداعيَ المَنّـاحِ
فعرفتُـه رمـزَ العُقُـوقِ، ولم أجِـدْ	صـفواً يُتـاحُ وكـانَ غـيرَ مُتـاحِ
وحَييـتُ في زَهْـوِ الضـحيةِ قُـدِّمَتْ	للـرَّبِّ عنـدَ تَـبلُّجِ الإصـباحِ!

*****

هـذي حيـاتي كلُّهـا تَعَـبٌ علـى	تَعَـبٍ، وأتـراحٌ علـى أتـراحِ
أبكـي وأضـحك غـير أنـي لا أُرَى	إلاَّ الضـحوكَ بنشـوة المـلاَّحِ
وكـأنني جـاوزتُ خُلجـانَ الـرَّدى	بسـفينتي فنعمـتُ بالأقـداحِ
والـدهرُ يعلـم أنـني في نشـوتي	في قبضـةِ الجَـرَّاحِ والسَّـفَّاحِ
لم ادرِ إن كـان الشـفاءُ أو الـردى	بيديْـهِ أو أنّ المنيـةَ راحـي!
ألهـو وأدأبُ مازحـاً ومجاهـداً	في ثـورةِ السـبّاقِ والسَّـبَّاحِ
والـيمُّ يُطبـق شـاطئيه علـيَّ في	مَرَحِـي، وتلـك نهايـةُ المـراحِ

السجين

سـألتُكِ صَفْحاً عن هُمومي فإنني	أعـيشُ بسـجنٍ لا نوافـذَ فيـهِ
لـئن مَرِحَـتْ نفسـي قليلاً فإنهـا	تحـسُّ بليـلِ للمِـراحِ كريـهِ
ومـا الليـلُ إلاّ مَحبسـي، وتَطلُّعـي	إلى عـالمٍ نـائي الحـدودِ نزيـهِ
إلى عـالمٍ لا تَشـعر الـروحُ عنـده	بحـربِ خصـيمٍ أو بجـرمِ سـفيهِ
وما أفسحَ الدُّنيا لمن لم يَضِقْ بها	سُـلوكاً ومـن يَلْقَـى الرجـاءَ كتيـهِ

ولكـــنني في عـــالَمي كمقيَّـــدٍ   وإنْ جُلْــتُ فيــه مُطلقَــاً كبنيــهِ
ومــا خُلِقَــتْ رُوحــي لــدنيا كهـذه   وإن عــابَ هــذا الكــونَ لـؤمُ ذويـهِ
ولو أُطْلِقَتْ منها لما شارفتْ سوى   فنــاءٍ، فهــل كــان الرجــاءُ يَليــهِ؟!

نشيد الألم

دَعِــيني أُغنّــي نشــيدَ الألمْ   فكــم مِـلْءَ آلامِنَــا مِــنْ نَغــمْ
رأيــتُ ٱلتفــاؤلَ نَبْــتَ التَّشَــا   ــؤمِ حــينَ الوجــودُ وليــدُ العَــدَمْ
دعــيني أبثُّــكِ راحَ الحيـــاةِ   وهــل راحُهـــا غــيرُ راحِ الألمْ؟
فــلا تَعــزفي عـن شـرابي المريـرِ   فحســبي التعــالي بــه والشَّــمَمْ
عُصــارةُ رُوحــي أغــاني العــذابِ   بشــعري، وكــم في البكــاءِ ابتسَــمْ
أغــانٍ حَلــتْ بمعــاني الشــبابِ   ومَضَّــتْ بكــلِّ معــاني الهَــرَمْ
وإنْ مَرِحَـــتْ مــرةً لم تكـــن   مِـراحَ الهـوى بـل مِـراحَ السَّـقمْ
أعــيشُ بــدنيا الخيــالِ الفســيح   كــأنّي الــذي بالخيــالِ اعتصــمْ
وأعشــقُ أسمــى مَعَــاني السُّــمُوِّ   فمهمــا سمــوتُ سَــباني الحُلُــمْ
فألبــــثُ في عــــالَمي طــــائراً   حليــفَ الرجــاءِ حليــفَ النَّــدمْ
حيــاةُ التنــاقُضِ فِي الجــوِّ حــولي   فأجعلــــها وَحْــــدَةً تُغْتَــــنَمْ
وأرسمُهـــا صُــورةً للجمـــالِ   وكم في الجمالِ النَّدَى والضَّـرَمْ!

راهب الدير

(تطلع الشاعر إلى السماء من شرفة منزله فلمح راهباً تجاهه في مثل وقفته)

لمحتُه رانياً شطرَ السماء كما ... لمحتُهُ بشعورِ اليأس يَرمقني
لمحتُه وأنا في الأسرِ أغبطُه ... فهل تُرَى هو بين الأسرِ يغبطني؟
نُعْمَى التَّجَرُّدِ مَنْ لي أن ألوذَ بها ... فكم بها مِنْ أمانٍ لامرئٍ فطِنِ؟
سئمتُ كلَّ غرورٍ أستعزُّ به ... واشتقتُ ما يَشتهي الصوفيُّ مِنْ زَمني

*****

يا راهبَ الديرِ! هذي وقفتي حَزَناً ... أرنو إلى ملكوتِ الله حيرانَا
وأنتَ ترقب مثلي عالَماً عجَباً ... شتَّان بين مدَى اللحظين شتَّانَا
إني لأحملُ أعباءً مُنوَّعةً ... وأحملُ الهمَّ كفراناً وإيمانَا
فهل تحمَّلتَ مثلي للشَّجا ألماً ... وهل تَعَذَّبْتَ مِنْ أتراحِ دُنيانَا؟

*****

يا راهبَ الديرِ! حولي للحياة مُنىً ... وكم حيالي من اللذاتِ ألوانُ
زَهدتُها وأنا القَاسِي على أمَلي ... وكم يُميت ويُحيي الحظُّ فنَّانُ
وصار كلُّ رجائي في الحياةِ غنىً ... عن الحياةِ ومَنْ عَزُّوا ومَنْ هانوا
فلا أعيشُ سوى مَعْنىً يُحَبُّ كما ... يَعيشُ في حُلُمِ الجنَّاتِ (رضوانُ)

*****

يا راهبَ الدَّيرِ ! نبئني: ألاَ خَبَرٌ ... عن الحياةِ تَراهُ العينُ في الأُفُقِ؟
ألاَ سبيلٌ إلى زُهدٍ تُصاحبهُ؟ ... ألاَ سبيلٌ إلى التحريرِ مِنْ قَلَقِي؟
ما لي أراك قريراً كلُّه وَهَجٌ ... أناً، وأناً مَرُوعاً بالغَ الحَرَقِ؟
فهل كلانا – وهذي الشمسُ غاربةٌ ... مِن المعاني التي تُشْجِي مِن الشَّفَقِ؟

حـزن الفجـر

يـــا فَجــرُ تَنــبسُ فيــكَ أنفـــاسٌ تُنمّيهـــا الحيـــاهْ
مـــا بالهـــا هَمَـدتْ هُمــودَ الطفـلِ في أسـرِ الجُنَـاهْ؟!
أنـــتَ الجـنِينُ ومـــا وُلِـــدْتَ وإنْ لمحنـــاكَ الوليـــدْ
كـــم مَأمَـــلٍ فيــكَ القريـــبُ وكُلُّـــهُ أمَــلٌ بَعيـــدْ
أنـــتَ الجديـــدُ وأنـــتَ كشّـــافُ الســعادةِ للســعيدْ
حـــين الشــقيُّ يــراكَ مَهْزِلَـــةً مـــن القَــدَرِ العَنِيــدْ
يـــا فَجْـــرُ مـــا هـــذي التهاليـــلُ المنوَّعــةُ الحِسَـــانْ؟
أتـــراكَ مَـــنْ خَطَــفَ الحيـــاةَ لنـــا علـــى رغـــمِ الزَّمَـــانْ؟!
يـــا ربمـــا أنـــتَ الكـــريمُ بهـــا لقلـــبٍ يرتجيـــكْ
قلـــب يداعبُـــه الأليـــفُ كمـــا يؤانسُـــه الشـــريكْ
فتَلَـــقَّ مـــن هـــذي العصـــافيرِ المغـــرِّدةِ الصـــلاَهْ
فلعلّهـــا أدرَى بمعنـــىً فيـــكَ أهدتْـــه الحيـــاهْ
وتَلـــقَّ مـــن تلـــكَ المظـــاهرِ للوجـــودِ تحيّـــةً
مـــا دُمـــتَ تُكســـبها التَّجـــدُّدَ نفحـــةً علويـــةً
أمّـــا فـــؤادي فهـــو في حُـــزْنٍ وتـــبريحٍ دفـــينْ
فـــيرىَ بُزوغَـــكَ كالأســـى في النـــارِ والشَّـــدْوَ الأنـــينْ!

الذكريات

أنساكِ والماضي البعِيدُ أمامِي جَيْشٌ من الأحداثِ والأحلامِ؟
مَرَّتْ كتائبُهُ أمام نواظري مِنْ كلِّ مُكتئبٍ ومِنْ بَسَّامِ
صُوَرُ الطُّفولةِ والشَّبابِ كأنَّها صُوَرُ الخيَالةِ[1] مِن خلالِ ظلامِ
صُوَرٌ بألوانِ الحنينِ تجَسَّدَتْ وَخَلَتْ من الإغرابِ والإبهامِ
فعرفتُها باللونِ حيناً، والشَّذَى حيناً، وبين تَسَمُّعٍ وكلامِ
وحييتُ بين جُموعِها متنظِّراً شتَّى العهودِ وأعجبَ الأيامِ
هيهات أُنكرها وقلبي بينها في بيئةٍ مِن نَشوةٍ وغرامِ
فإذا احتجبتِ فأنتِ مِلْءُ عوالمي وإذا نأيتِ فأنتِ أنتِ أمامي
وإذا لقيتُكِ كنتِ أنتِ لمهجتي فوقَ الوجودِ بروحكِ المتسامي
والناسُ تعجب مِنْ تألُّق ناظري وسَناك مَبْعَثُ نُورِه البسَّامِ
وكأنني ألقَى الإلَهَ فأغتدي رُوحاً سما فوقَ الخيالِ السَّامي!

بلوتو وبرسفون

(في هذه القطعة مثال معتدل من النظم الحر الجامع بين الشعر القصصي وشعر التصوير)

كم عذَّبَتْ (بلوتو)[2] حياةُ الشُّرُودْ عن عَالَمِ الحيِّ وحُسْنِ الوجود
قد خصَّهُ الموتُ، وفي مُلكهِ قد عاشَ في اليأسِ الإلهَ الوحيدْ
لم تَرْضَهُ زوْجاً ولا آمَنَتْ بمُلْكِهِ الضافي بناتُ الألوهَهْ

---

[1] Cinema Pictures – مشاهد السينما.

[2] إله عالم الموت.

عـيشٌ كمـوتٍ كلُّـه مُظلِـمٌ وحسـرةٌ مـلءُ الحيـاةِ الكريهَـهْ

كمـا سـاءلَ الأربـابَ إنصـافهُ وسـاءل الربَّـاتِ إسـعادَهُ

فلـم يَنَـلْ غـيرَ عُـزوفِ المُنَـى عنـه، كـأنّ الـرَّدَى صـادهُ

وهكـذا قَضَّـى حيـاةَ الأبَـدْ في عُزْلـةٍ بـل ظُلمـةٍ للعَـدَمْ

لا يَعـرفُ العطـفَ عليـه أحَـدْ إلاّ صَـدَى المـوتِ ونَـوْحُ الأَلَـمْ

حتـى إذا اليـأسُ تمَـادَى بـهِ وأظلـم الكـونُ جميعـاً لـهُ

أراد أن يغـزوَ ربّاتـهِ ويخطـف الحـظُّ كمَـنْ نالَـهُ!

*****

هـذي (دِمِتْـرا)[1] أنْبَتَـتْ زَهْرَهـا في المرْجِ مُذْ هامَت بهِ (برسفونْ)

وأنْضَـجَتْ مـا شـاقَها نُـورُهُ مـن مُثْمِـرٍ يَبسِـمُ للنـاظرينْ

فراحـت الإبنـةُ في فَرْحَـةٍ تقطـف مـن زهـرٍ ومِـنْ فكاهـهْ

الفَرْحـةُ تُسْـمِي نفـوس الـوَرَى فكيـف إنْ طـارتْ بـه الآلهـهْ؟!

وشـامَها (بلوتـو) فشـامَ المُنَـى في أخـذِها أخـذَ القـويِّ العزيـزْ

قـد يُسـرفُ الجِرْمـانُ، لكنّـه إذْ يُسـرفُ في مَنْعِـهِ قـد يجيـزْ

وبينـا الزَّهـرُ لـدى (برسـفون) يُحيّـي سَـنَاهَا ويَحْيَـا لهَـا

ويَـنعم مـن لَمْسِـها مِثلَمَـا تُنـاجي الجـداولُ إقبالَهـا

وتَهـوَى الحشـائشُ مَشْـياً عليهـا فمـا كـان ذلـك إذلالَهـا

ويَحتضـنُ المَـاءُ أطيافَهـا برفـقٍ إذا الحَـرُّ قـد نالهَـا

وتُلْقِـي عليهـا الغُصـونُ الظـلالَ حـواني بالحـبِّ في نومِهـا

وبينـا تُغنّـي أغـاني الجمـالِ ميـاهُ الجـداول مـلءَ الطـرَبْ

وكلُّ الوجودِ قريرٌ بهـا كما نعمتْ بجمالِ الوجودْ

---

[1] دمترا: إلهة الأرض، وبرسفون: ابنة دمترا الجميلة.

رآها (بلوتو) فتاق إلى اغتنام التي يشتهيها شريكهْ

فلـــيس لِلْمُلْـــكِ جمَـــالٌ يُحَـــبُّ إذا حُـــرِمَ المُلْـــكُ عطـــفَ المليكـــهْ

*****

أهـــابَ (بلوتـــو) بـــذاك الثَّـــرَى فشُـــقَّ، وأقبـــلَ في مَرْكَبَـــهْ

فأفزعهـــا أنْ بَـــدَا عنـــدَها وأنَّ الإســـارَ غـــدا حَظُّهـــا

وهبهـــات يُجـــدي صِيـــاحٌ لهـــا ففـــي لمحـــةٍ مُسْـــرِعاً نالَهـــا

وفي الأرضِ غـــار بهـــا وانتهـــى إلى مُلكـــه فازدهـــتْ كوكبَـــهْ!

وكـــان الربيـــعُ حليـــفَ الـــدوامِ علـــى الأرضِ لا ينتهـــي نَضْـــرةً

فلمـــا مضـــتْ ونـــأتْ (برســـفونُ) تَجلَّـــى الشـــتاءُ وراحَ الربيـــعْ

فناحت (دِمترا) التي استصرختْ لإنصـــافِها كـــلَّ ربٍّ سميـــعْ

ولكـــنْ (بلوتـــو) أخـــيراً وَفَـــى إلى أمِّهـــا فَـــترةً كـــلَّ عـــامْ

تـــزورُ بهـــا الأرضَ في نَشْـــوَةٍ فتلقـــى (دِمـــترا) وتَلْقَـــى الزهـــورْ

فتبـــتهج الأرضُ مـــن زورةٍ لهـــا وتُغَنِّـــي نشـــيدَ الســـلامْ

وتُكسِبها مِـــنْ حيـــاةِ الربيـــعِ رواءً يغيـــب ببـــاقي الشـــهورْ

ففـــي الأرضِ غيبتُهـــا غيبـــةٌ لأنـــسِ الربيـــع الصـــبيِّ الجمـــالْ

فَيَطْغَـــى الشـــتاءُ ويحيـــا الـــورى بـــذكرى الربيـــعِ الحبيـــبِ الخيـــالْ

إلى أن يحـــينَ الظهـــورُ الجديـــدْ فيـــأتي الربيـــعُ ويَمْضِـــي الجليـــدْ!

*****

الأرضُ تفـــترُّ لهـــا خُضـــرةً بـــالزّهرِ في مَـــوْجٍ جميـــلٍ نضـــيرْ

كأنَّـــه نَثْـــرُ أغـــاني المُنَـــى مـــن بَعْـــدِ تجـــوالٍ لهـــا بـــالأثيرْ

وإذْ تَعتلـــي (برســـونُ) الرُّبَـــى لتجمـــعَ الزَّهـــرَ لإكليلِهَـــا

يَروعُهـــا (بلوتـــو) بوثـــبٍ لـــه مِـــنْ بـــاطنِ الأرضِ لتـــذليلِهَا

كصُـــفرةِ الحُلـــةِ تَلْقَـــى لهـــا مِـــنْ صُـــفْرَةِ الخـــوفِ ولـــونِ الألمْ

مَرُوعَــةً تَعجــزُ عــن وقفــةٍ كمــا فاتهــا جَمْــعُ رشـيقِ الزَّهَــرْ
فكانــت بلفتتهـــا حــيرةً تَحــدَّتْ وخافــتْ وُثُــوبَ القَــدَرْ
ومــا رحــمَ القــدَرُ المســتعزُّ ولا هــابَ أمــراً إذا مــا اقــتحمْ
وثــارَ الجــوادان – مِــنْ ثــورةٍ لهـذا الضـيـاءِ – ببحــرِ الضـيـاءْ
فقــد ألفــا ظُلمــةً المـمــاتِ وليــلُ للممــاتِ بُحــورُ الفنــاءْ
ولكــنْ (بلوتــو) ببــأسٍ لــه يصــدّ بقبضــته الثــائريْنْ
ويرنــو إليهــا بســحر العــتيِّ ويخطفهــا بيــدٍ مــن حديــدْ
ومــا لمحــةُ الفــنِّ في صُــورةٍ تَثُــورُ علــى دهشــةِ النــاظريْنْ
بــأهونَ مــن دهشــة للــتي أدالــتْ نظــامَ الربيــعِ الفريــدْ

وصــارت عــزاءَ المـمــاتِ الوحيــدْ!

الشعرة البيضاء

مـا هـذه الشـعرةُ البيضـاءُ مُشـرقةً مِنْ شَعْرِكَ الفاحمِ المُخْفـي لأشـواقي!
لعلَّهـا مِـنْ غرامـي أُشْـعِلَتْ حَرَقـاً ثـم اسـتحالَتْ ضـياءً بعد إحراقـي!
كم يَحجبُ الشَّـعرُ مـا وزَّعتُ من قُبَلٍ عليـهِ كالمـاسِ طـيَّ المـنجمِ الغـالي
هـذي الحلوكـةُ تُخفـي طيَّهـا فِتَنـاً مـن الجمَـالِ وتَحْـوِي شِـعرَ أمـالي
لا تَنهـريني! فـإنّي حـين أنظرهـا أراقــبُ الحــبَّ ألوانــاً بمَعْنَاهَــا
كـم مِـنْ تَحـرُّقِ قلـبي في تَألُّقِهَـا ومـنْ تَلَهُّـف رُوحــي في ثَنَايَاهَــا!

أركتوروس

(استغلّ علماء مرصد هرفارد شعاع النجم أركتوروس – السماك الرامح – في توليد تيار كهربائي أداروا به زراً خاصاً متصلاً بأسلاك الإضاءة في معرض شيكاغو الكبير سنة ١٩٣٢ فضاءت مصابيحُه وانطلقت صفارتُه وكان ذلك بمثابة إعلان لافتتاح ذلك المعرض العالمي)

(أركتــوروسُ) قــد جعلــوا شــعاعَكَ شــبهَ مفتــاحِ
فــأعلنَ فــتحَ مَعرضِــهم وأشــعل كــلَّ مصــباحِ
ودوّى الجــوُّ بالتَّصــفيرِ إيــذاناً بمعجــزةِ
وكــم مــن مُعجــزٍ أضــحى كمــألوفٍ بــلا ثِقــةِ
فقــدْنَا مُعجــزِ الأَبعــادِ والأزمــانِ في الــدنيا
وأوشــكنا نَــرى الإقــدام والتجــوالَ في الأخــرى
عــلامَ نحــنُّ للــدنيا ونُبــدع في مَناحيهــا
إذا كــان المــآلُ لنــا مَــآلَ المــوتِ يطويهــا؟
سَــتَفْنَى الشَّــمسُ والأرضُ ومــا احتويــا ومــا وهبــا
فمــا مَعْنَــى تعشُّــقنَا خَرابــاً بــات مقتربــا؟
(أركتــوروسُ) هــذا ضــوءُكَ الهــادي ينــاديني
فمــا دارُ الــوَرَى ســكني ولا ديــنُ الــوَرى ديــني
عــلام أصــوغ أشــعاري بألفــاظٍ وأنغــامِ
إذا كانــت ســتهوي في فنــاءٍ مثــلَ أيــامي؟
فــدعني مُرْسِــلاً شِــعري إليــكَ بنظرتــي الحَسْــرَى
لعلــك في طويــلِ الــدهرِ تنقــذ مهجــتي الحــيرَى
فتحيــا فيــك أضــواءً وأحلامــاً وأشــعارَا
إذا كــان الخلــودُ النــارَ فلأعبــدْ بــك النَّــارَا!

الفراش الهائم

أحسـنتِ في الإبـداعِ والتصـويرِ فأنا الفـراشُ أهـيمُ حـولَ زُهـورِ
خُلِقَتْ بمثلِ عـواطفي فحياتُها قَلَـقٌ وحرمـانٌ وحُلـمُ ضـريرِ
أحنـو عليهـا طـائراً في نورهـا والنـورُ كنـزُ عـواطفي وشـعوري
فيهـا مـن الأوضـاعِ كـلُّ محبَّبٍ وبهـا مـن الألـوانِ كـلُّ نضـيرِ
جُمِعَتْ بريشتك التي خَضَعَتْ لها أصـباغُ هـذا العـالَمِ المسـحورِ
أهـلاً بهـا وبرمزِهـا وبكـلِّ مـا حملتْـه مـن وَحْـيٍ ومـن تَصـويرِ

*****

وشكوتِ من صمتي كأنَّ الصمتَ لي صمتٌ، وهل صمتي سوى تعبيري؟
رُحمـاكِ! إنـي في العـذابِ مخلَّـدٌ فدعي العتابَ فما عرفتِ ضميري
قلـبٌ كقلـبي لا يَضـيقُ بعـالَمٍ رحبٍ، أيصغر من هموم صغيرِ؟
إيـاكِ أن تتصـوَّريه سـوى المُـدَى مِـنْ رحمـةٍ وهَـوىً أجـلَّ طَهُـورِ
همّـي كبحـرٍ للفنـاءِ، فغـارقٌ فيـه جميـعُ تَهـافُتي وحبُـوري!

عقابـك

أيُّ لـونٍ مـن العقـابِ عقـابٌ يَـتراءَى علـى جَهامـةِ سُـخْطِكْ
لهـفَ نَفسِـي تعـافُ خَطَّـكِ! إنّـي مِـنْ وفـائي آبَـى الجُحُـودَ بخطِّـكْ
آهِ! لـو تُـدركين مَعْنـى وَلائـي في زمـانٍ وَلاؤُه كـالعُقُوقِ
آهِ! لـو تَعـرفين مَغْـزَى سـكوتي وفُـؤادي يـئنّ كالمصـعوقِ
لحَظَـاتُ الوجـودِ يَحملـن مِنّـي أيَّ سُـخْطٍ علـى الوجـودِ الأثـيمِ

ثــائراتٌ بحــرقتي، وهـــي بعــضٌ مِـــنْ مآســـي فـــؤاديَ المكلـــومِ
قبـلَ خَلْـقِ الحيـاةِ كانـت حيـاتي شُـعلةَ الهـمِّ فانتهـتْ للحيـاةِ
أَبَـديٌّ همّـــي، وهــل كــان همّـــي غــيرَ هَـــمِّ العظـائمِ الباقيـاتِ!
أنـا أحيـا مـا بـين أَلـفِ حسـودٍ هُـمْ كـأَهلي لـو يُـدركون ونفسـي
حسَـدُوني لحـبّهم، وأنـا الحـا نـي علـيهم والمسـتهينُ بأُنسـي!
ليـتني قـد حَبيـتُ كالراهـبِ النـا ئـي عـن الخَلْـق في كُهـوفِ الجبـالِ
ليـتني مـا وُجِـدتُ حتـى خَيـالاً في وُجـودٍ وُجُـودُه كالخيـالِ
كـم أُعـاني وكـم أُسـامحُ عمـري وابتسـامي علـى بكـائي شـهيدُ
قـد عرفـتُ الإحسـانَ أجملَ أحـلا مِـي، ولكـنني بحسفحي شـهيدُ

الحياة الكونية

أَرثـي بـني الإنسـان حـين رثـاؤُهم وَهْـمٌ، وحـين مَـدَامعي بسـماتُ
هـذي الحيـاةُ هـي البقـاءُ، وغيرُهـا عَـرَضٌ، وهـل عَـرَضُ الحيـاةِ حياةُ؟
الأرضُ إنْ ضـاقت بهـا أو لم تَـدُمْ خُطِفَـتْ إلى الأجـرامِ دونَ تـواني
ليسـت حيـاةُ النـاس إلا مَظْهَـرا والـروحُ فـوق مَظـاهرِ الإنسـانِ
إنَّ المحـيط أبٌ لنـا، ومَـدَاهُ في هذا الوجودِ، وليس في دُنيا الورى
نَمْضـي إلى حضـنِ المحيطِ إذا غدا عَيْشُ الثرى بَدَداً أو اندثرَ الثرى

ألحان الخلود

هل هذه الألحانُ تَنقل مُهجتي ... فوقَ الأثيرِ إلى عُلى الأرواحِ؟
ما لي نسيتُ جميعَ ما هو ماثلٌ ... حولي، وحتى حسرتي وجراحي؟
لغةُ الحياةِ تجرَّدتْ وتنزَّهتْ ... عن مسمعِ الأهواءِ والأبدانِ
مِنْ أيِّ نَبْعٍ تَستقي أمواجَها؟ ... ولأيِّ سَمْعٍ تنتهي كأغاني؟
كم مِنْ غناءٍ ما لَهُ نَبْضٌ، وكمْ ... لَحْنٍ تَجرَّدَ عن وُجودٍ باقِ
لا تعجبنَّ لِلَهْفتي، فعواطفي ... حَيٌّ الغناءِ بقلبيَ الخفّاقِ
هذي مَعَاني الخُلدِ وزَّعها الهَوَى ... للخالدينَ بعالَمِ الإحسانِ
هيهاتَ تفنى أو ينالُ خُلُودَها ... فانٍ، وإن أَبقتْ حياةَ الفاني
هيهات يدركها سوى الأرباب مِنْ ... أهلِ الفُنونِ المعجزين فنونا
العائشينَ مَعانياً لا تنتهي ... الفائضين رجاحةً وجُنونا!

روحي

بعثتُ اللحنَ في شعري لنفسي ... وخِلْتُ به العزاءَ من الحياةِ
فما للكونِ مستمعاً لشَدْوِي ... وما لنجومِهِ متلفّتاتِ؟!
أهذا وهمُ مجنونٍ بريءٍ ... أم الكونُ استقلَّ به فؤادي؟
وهل في كلِّ جارحةٍ بنفسي ... صَدَاه؟ وهل كذاكَ هواه صادي؟
أرى رُوحي تعافُ حدُودَ جسمي ... وتأبى فُسحةَ الدنيا حُدودا
تغلغلَ نورُها في الكونِ طُرّاً ... ونال صَفاؤُها هذا الوُجودا

قسوة الحب

أقسو عليكِ؟ نَعَمْ هواي القاسِي ... في هذه النَّظراتِ والأنفاسِ
مُسْتَوْعِباً ذُخْرَ الحياة، فإنّما ... أشْرَقتِ أنتِ بمتعةِ الإحساسِ
في كُل ما خَطفتْه عَيْني أو فَمي ... كنزٌ من التعبيرِ والإيناسِ
وَمفاتنٌ شتَّى أعيشُ لأجلها ... وبها انتقمتُ من الوجودِ القاسي
فَتَسَامُحِي في نظرتي وتهافتي ... وقَساوتي، فالصَّبُّ غيرُ النَّاسِ
وَدَعِي احتضاني للألوهة مِثلما ... يهفو على نَهديْكَ زهرُ الآسِ
لَمْ تَسْأمِي منه وكم في لَثْمهِ ... أو رشفهِ الأضواءَ رشفَ الكاسِ!
فعلامَ أُشْكَى مِنْ تَهَافُتِ مُهجتي ... وإذا قَسَوْتُ فهل سواكِ الآسي
مَن ذا يَراكِ ولا يودّ لروحه ... هذا الفناءَ بروحِكِ الحسَّاسِ؟

الأحياء

غرانيقُ لم تَنطقْ ولا هي أومأتْ ... ولكنْ أطلَّ الفَنُّ منها لِمَنْ سَمَا
فناجيتُها حتى كأني أرى بها ... ذويها ومَنْ قد صاغَها أو تَوَهَّما
فليس بِنَحْتٍ مُشْرِقٍ ما شَهدتُه ... وقد شِمْتُ فيها الرُّوحَ واللحمَّ والدَّمَا
ولكنّها الأحياءُ بالفنّ حينما ... إليها انتمَى الفانون والخالدُ انتمَى

الجاذبية

تمضي نماذجُ كُلِّ حُسْنٍ رائعٍ   والنّاسُ بين تَلَفُّتٍ وحُبُورِ
وأنا الذي وحدي أرى الحرمانَ لي   ما دام غيرُكِ مُستَمَدَّ النُّورِ
مُثُلٌ من الأصنامِ تَمضي، كلُّها   حُسْنٌ، ولكنْ لا تنال فؤادي
ولئن فُتِنْتُ بها ففتنةُ عازفٍ   متصوّفٍ، متنوِّعِ الإنشادِ
هذي المعاني للحسانِ حبيبةٌ   لكنها ليست معانيَ رُوحي
لم ألقَ غيرَكِ عارفاً أسرارَهَا   ومُواسياً ومُداوياً لجرُوحي
عَيناكِ أشعلتا الغرامَ وفيهما   نبعُ الحنوِّ مُلطفاً أشجاني
وعلى محياكِ الحبيبِ سماحةٌ   ومَفاتنُ الإحسانِ للديّانِ
الجاذبيةُ منكِ أشهَى نِعْمةً   في ثغركِ الوضّاءِ بالبسماتِ
مِنْ كلِّ لونٍ للجمالِ كأنه   خَرِبٌ، فما يَعْدو جمالَ مَمَاتِ!

ثورة ببغاء

البيئة الطائشة

البَّبغاءُ تثور ضدّي؟ يا لَها   مِنْ غِرَّةٍ فأنا الذي أخشاهَا
باعدتُهَا جُهديَ، فإنّ مقالها   كمقالةٍ للسوءِ لا أرضاهَا
يا بَبَّغاءُ ترفّقي! لا تُسرفي!   هل تسمعين وتفقهين مَقالي؟
سيانِ مَدْحُكِ أو قِلاكِ فجنِّبي   صوتاً كصوتكِ أن ينالَ خيالي
ما كان رأيُكِ بالذي أعْنَى به   لستُ الذي يهفو إلى الأبواقِ
لكنّ صوتَك في كآبةِ وقعهِ   قَلِقٌ، فما حظي من الإقلاق؟!

أُكَرُ الضيــاء

يــا للوليـدِ الصُّـبْحِ تُطفـأُ حزنُـه ... هــذي المصــابيحُ الــتي تــتلالا
مـا بالهـا اختُطِفَـتْ أو انطفـأتْ كمـا ... خُبئـتْ عيـونُ السـاحراتِ مُحَـالا؟!
هـل كـان أوْلَـى منـه بـالأُنسِ الـذي ... مَنحَتْــه فِي كهــفِ الإلــه تعــالى؟
أُكـرُ الضـياءِ أحَـبُّ للطفـلِ الـذي ... يَلقَــى الغــذاءَ أشــعةً وخَيــالا
قـد غـاب هـذا الليلُ حـين تـدحرجتْ ... وهــوتْ بمــوجٍ للضــياءِ تَــوَالى
يـا للصـباح مـن الأمومـةِ! إنهـا ... ربَّتــه في حضــنِ الفنــاءِ فــزالا
ونًــى ســريعاً فِي كهولــةِ حــالمٍ ... وهــو الوليـدُ ومـا عَـدَا الأطفـالا[1]
فيغيــب فِي أُكَـرِ الضـياءِ كأنـه ... طيـــفٌ ألمَّ بنـــا وردَّ سُـــؤالا!

الحــراس

(رأى الشاعر أشجاراً حائطة روضاً لحمايته حينما هي عرضة للتلف من عصف الرياح)

مــا لــي أراكِ وَقفْــتِ فِي صَـمتٍ علـى مــرِّ الســنينْ؟
هــل أنــتِ حارســةٌ علــى هــذا الجمــالِ مِــنَ الزمــانْ؟
تَمضــي الســنينُ وأنــتِ في هـــذا التَّفَــرُّسِ، لا يَلِــينْ
لا تعــرفينَ النــومَ، لا، بـــل لا سَــلامَ ولا أَمــانْ!

*****

غَرَسُــوكِ حــائطَ رَوْضِــهمْ، فــالروضُ ملتفــتٌ إليــكِ
ناجــاكِ مِــلءَ النُّــورِ ثــم دعــاكِ فــي جُــنحِ الظــلامْ

---

[1] ولم يتجاوز سن الطفولة.

فـــإذاكِ موئـــلُ هـــذه الأرواحِ جاثمـــةً لـــديْكِ
مِـــنْ كُـــلِّ زَهْـــرٍ حَظُّـــه مَـــرآكِ حتـــى لا يُضَـــامْ!

*****

وبَقيـــتِ أنـــتِ أسـيرةً لـــلأرضِ تحمـــينَ النَّبـــاتْ
مِـــنْ كـــلِّ عَصْـــفٍ للريـــاحِ وكـــلِّ سَـــهْمٍ للضـــياءْ
وتُعرِّضـــينَ جمالَـــكِ المـــأمولَ في وجـــهِ المـــاتْ
يـــا لَلضـــحيةِ! هكـــدا الـــدُّنيا تهاويـــلُ الفَنَـــاءْ!

المنصورة

(زار الشاعر مدينة المنصورة بعد غيبة أعوام طويلة فألهمته هذه الخواطر)

مدينـــةَ الحُـــبِّ والجمـــالِ أراكِ كـــالحُلْمِ في الخيـــالِ
عشـــرون عامـــاً كانـــت حجابـــاً كـــأنني ســـاكنُ الجبـــالِ
فـــلا زمـــانٌ ولا رَجـــاءٌ ســـوى رجـــاءٍ مـــن المُحـــالِ
والآنَ ألقـــاكِ بعـــد نَفْـــيٍ في عـــالم اليـــأسِ والخَبـــالِ
ألقـــاكِ بَسَّـــامةً كـــأنّي أتيـــتُ في موعـــدِ الوصـــالِ!

*****

يـــا دُميـــةَ النيـــلِ! فيـــك سِـــحرٌ للعصـــرِ والأَعْصُـــرِ الخـــوالي
لم تَســـأَمي نظـــرةً إليـــهِ كأنهـــا نظـــرةُ ابتهـــالِ
مَـــرَّتْ عصـــورٌ وأنـــت سَـــكْرَى بمائـــهِ المُسْـــكِرِ الـــزّلالِ
وموجُـــهُ ماثـــلٌ لـــديكِ علـــى اصـــطدامٍ وفي اقتتـــالِ
وأنـــتِ منصـــورةٌ تســـامتْ بالحـــبِّ فيهـــا وبالجمـــالِ
فالنيـــلُ عبـــدٌ لهـــا حبيـــبٌ وحســـنُها عَبـــدُه المُـــوالي!

*****

مدينــــــةَ الفـــــنّ! خَبـــــريني كــم شـــاعرٍ فيــك لم يُغَـــالِ؟

مدينــــــةَ النُّـــــور! أيُّ نُـــــورٍ بـــــلا انتهـــــاءٍ ولا انتقـــــالِ؟

كـــم مُتحـــفٍ فيـــكِ مـــن عُيـــونٍ ومِـــنْ خُـــدورٍ ومـــن جَـــلالِ

والشـــمسُ عنـــد الأصـــيل حَيْـــرَى علـــى حَـــنينٍ وفي اشـــتعالِ

وتَلـــــثم المـــــاءَ في لهيـــــبٍ كأنـــــه حســـــرةُ الـــــزوالِ

وتخضِـــــب الأفـــــقَ بالأمـــــاني قتيلـــــةَ الحـــــربِ لليـــــالي

فـــــتُطلعين الحبـــــورَ صـــــرفاً شمـــوسَ حُســـنٍ بـــلا مثـــالِ

مِـــــنْ كـــــلِّ ظمآنـــــةٍ لـــــديها مَناهـــــلُ الفـــــنِّ والكمـــــالِ

مجـــــدِّداتٍ لنـــــا الأمـــــاني بـــــلا خُضـــــوعٍ ولا تعَـــــالي

فكـــم خطـــابٍ بـــلا حـــديثٍ وكـــم عَطـــاءٍ بـــلا ســـؤالِ

وكـــم حُـــروبٍ بـــلا قتـــالٍ وكـــم سَـــلامٍ بـــلا امتثـــالِ

جزائـــرُ النيـــلِ[1] شـــاهداتٌ وكـــم تُبـــالي ولا تُبـــالي

والشـــاطئُ المســـتعِزُّ زهـــواً بكـــلِّ نبـــتٍ عليـــه غـــالي

وكـــلُّ نُـــورٍ في المـــاء يجـــري وإنْ حســـبناه في الظّـــلالِ

عواطـــفٌ هُـــنَّ شاخصـــاتٌ ممـــثّلاتٌ بكـــلّ حـــالي

النبـــتُ والنـــاسُ والمغـــاني[2] ومـــوجُ مـــاءٍ علـــى دلالِ

ومُســـتطابُ النســـيم يَســـري كنشـــوة الحـــبّ في خيـــالي

عواطـــفٌ هـــنَّ فاتنـــاتٌ بـــلا حُـــدودٍ ولا مجَـــالِ

فكـــلُّ شـــيءٍ أراه حـــيٌّ وإنْ تَـــولّى فللتَّـــوالي

والجـــوُّ فيـــه مِـــنَ المعـــاني مـــا يغمـــرُ الـــرُّوحَ بـــالنَّوالِ!

---

[1] إشارة إلى الجزر التي تظهر في النيل أمام المنصورة عند انخفاض مستوى النهر.

[2] المنازل.

*****

يا دُميةَ النيل! مَنْ مُعيدي لساعةٍ فيكِ وابتهالي؟

كم من "مِثالٍ"[1] لديك يوحِي للشاعرِ النادرِ المثال!

العناق

لم أنسَ رعشتَكِ التي لم تَكتملْ ملءَ العناقِ وفي انبثاقِ النُّورِ

قد كنتِ كالطيرِ الحبيسِ مُبَلَّلاً بندىً على فجرٍ من البَلُّورِ

تتنفَّسين بلهفةٍ، وكأنّ ما تتنفَّسين عواطفي وشُعوري

يا لَلأُنوثةِ في انطلاقِ جمالها رُوحاً أضِنُّ بها على التعبيرِ

أفْلَتِّ خادعةً، وما أَفلتِّ مِنْ شغفي، وقد أفلتِّ كالعصفورِ

والطيرُ تَعجبُ من خداعِكِ حينما الحُبُّ بَعْثُ العالَم المقبورِ

الناسُ تهربُ مِنْ نوازعهِ كما يتهاربون من الجَنَى المسحُورِ

ولو انَّهم عرفوا الحياةَ وسِرَّها عَبُّوا، فما في الحُبِّ غيرُ طَهُورِ

والدهرُ يَضحك من غباوتهم وقد ظنّوا نعيمَ الحبّ للتعميرِ

هيهات! مهزلةُ الحياة ضنينةٌ إلاَّ بكلِّ خديعةٍ وغُرورِ

مَنْ لم يذقْ مِنْ زادها ورحيقِها سيموت في الحرمانِ موتَ ضريرِ

[1] يعنى نموذجاً فنياً للجمال.

الفاكهة المحرّمة

أيُّها الطّفلُ! يا فؤادي! تمَهَّلْ! قد تماديتَ في الذي قد هويتا

تعشقُ الحُسْنَ حينما الحسنُ ألوا نٌ، فيا مُسرفاً بما قد عشقتا!

ألـنُ لونٍ من الجمالِ تراءتْ كيف تهوى جميعَ ما قد رأيتا؟

كيف لم تَدْرِ أنّ هذا حَرَامٌ وسواءٌ رضيتَهُ أم أبيتا؟

هكذا الحسنُ مثلُ فاكهةِ الجنَّـ ـةِ يغوِي، وخاسرٌ إنْ غويْتا!

هكذا الحسنُ أيها الطفلُ مسجو نٌ، وفي سجنه يحاكي الميتا!

هكذا شَرْعَةُ الأنامِ، وكلٌّ خادعٌ نفسَه حياةً ومَوْتا!

صلاة الصباح

غرّدي يا طيورُ، إنَّ صلاتي لإِلَهي مِنْ نفسٍ ينبوع لحنِكْ!

أستبينُ الألحانَ كالجدولِ الجاري، فهل كان في صلاةٍ بفنِّك؟!

ما أحبَّ الجمالَ في وقفتي هذي أمامَ الأغصان والفجرُ راني

كلُّ شيء عليه من مَسحةِ الخالقِ حُسنٌ مُنوَّعُ الإحسانِ

ما أَحَبَّ الشُّرُوق والشمسُ ما زالتْ كنعسانةٍ تعافُ الصَّباحْ

ثم ترمي نقابَها في شُعاعٍ وتستطيبُ المِراحْ

فإذا بالوجودِ يرنو إليها في اغتباطٍ كما رَنَتْ للوجود

وإذا بالنفوسِ تخشع للخالقِ من وحيِ نوره الممدودْ

البيـــت

(على لسان تلميذ)

بَـيْتي، وهـل بَـيتي سـوى جَـنَّتي؟ فكــلُّ مــا فيــه عزيــزٌ حبيــبْ
يَحْنُـو، وكـم يَحْنُـو علـى مُهْجـتي وكــلُّ مــا فيــه عَطــوفٌ رَقيــبْ
مِـن زَهْـرِهِ الباسـمِ، مِـنْ عُشْـبِهِ مِـنْ مائـهِ العـاثرِ فـوق الحَصَـى
مِــنْ طَـيرهِ العابــثِ في وَثْبـهِ مِـنْ كلبـهِ اللاعـبِ مثـلَ القَطَـا
مِــنْ كُــلِّ نُــورٍ أو ظِــلالٍ بــهِ وكــلِّ صَـوْتٍ أوْ سـكوتٍ عميـقْ
أسـتقبلُ الترحيـبَ مِـنْ حُبِّـهِ وألْمـحُ الحُـبَّ يَشُـقُّ الطَّريـقْ
وأسمـعُ أقـدامي لهـا كالصَّـدَى مِـنْ سـقفهِ أو مـن جـدارٍ تحايـا
فكــلُّ مــا حَـوْلي صـديقٌ إذا عبسـتُ لم يَعْبسْ ونـاجَى رِضـايا!

الصديقــان

(على لسان تلميذ)

أوّلُ الأصـدقاءِ في هـذه الأرضِ وأبقـاهمُو بخـيري وسُـقمي
والــدٌ منجِـبٌ وأمٌّ إليهــا وإليــه مــلاذُ رُوحــي وجسـمي
كيـف أنسـاهما وكيـف تراني مُنكـراً للـولاءِ أو للجميـلِ؟
أنــا قلباهمــا، وهــذي حيـاتي لهمـا، وهــي للرجـاءِ النبيـلِ
جاحـدُ الوالـدينِ مـا كـان إلاّ جاحـداً ربَّـه وجاحـدَ نَفْسِـهْ
طَـائعُ الوالـدينِ مـا كـان إلاَّ عارفـاً نفسَـه ومَنْبَـعَ أنْسِـهْ

ذكرى حافظ إبراهيم

(لمناسبة مرور عام على وفاته)

الـذكرُ ذكـرُكَ يـا أديـبَ النيـلِ يـا شـاعراً غَـرِداً بكـلِّ نبيـلِ
يـا مُخْلِـداً للضـادِ في أشـعارهِ مَجْـداً مـن الإحسـانِ والتجميـلِ
فتَّشْـتُ عـن قـبرٍ حننـتَ لِرُكنـهِ حتـى أُبجِّـلَ فيـهِ شـعرَ الجيـلِ
وأقبّلَ الحَجرَ الذي حرسَ العُلى مـا كـان أجـدرَ منـه بالتقبيـلِ
وأجـدّدَ العَهـدَ الـذي أزكيتَـه بـدمي لحرمـةِ مـوطني المغلـولِ
فعَييـتُ حـينَ المـوتُ ينظـر حـائراً منّـي، ومِـنْ أَلَمـي، ومِـنْ تـأميلي
ورجعـتُ والحـزنُ الدفينُ يمضّـني وينـال مـن جَلـدي ومـن تَعليلـي
وأكـاد أفقـدُ كـلَّ إيمـاني بمـا في النـاسِ من خيرٍ عرفتُ جزيـلِ
قـد عشـتَ محبوبـاً ومجهـولاً كمـا قـد مُـتَّ مثـلَ الفـاتح المجهـولِ
في بيئـةٍ أمسَـى الـدخيلُ أصيلَها وغـدا الأصـيلُ بهـا أذلَّ دخيـلِ

*****

يـا أوحـدَ الفصـحاءِ في تبيانـهِ خُـذْ مـن رثـاءِ الحـبِّ كـلَّ جليـلِ
قـد كنـتَ تُفْتَنُ بالجمـالِ وهـا أنـا أرثيـكَ في بلـدٍ عَشِـقتَ جميـلِ[1]
وَطـنُ العبـاقرةِ الـذين تفنَّنـوا فتـألَّهوا بالسـحرِ والتنزيـلِ
لم يَجحدوكَ، وليس يجحد(حافظاً) مَـنْ عَـبَّ يومـاً مـن رحيقِ (النيـلِ)
أبنـاؤهم مـلءُ الزمـان تَوثُّبـاً والفـردُ مـنهم في مقـامِ قبيـلِ
ذكـروكَ ذكـرَ الأنبيـاءِ، فإنمـا ينسـاكَ أهـلُ البغـي والتضـليلِ
وَدُوكَ حِليـةَ ثغـرهِم، فلطالمـا حَفَلـوا بشـعرِكَ قبـلَ كـلِّ نزيـلِ

*****

---

[1] مدينة الاسكندرية.

نَمْ يـا أخـا البؤسـاءِ نومـةَ هـانئٍ فالظـلُّ بـين النَّـاسِ غـيرُ ظليـلِ
نفسٌ كنفسِكَ لن ترى النُّعْمَى لها في بيئـةِ التهـريجِ والتـدجيلِ
زُمَـرٌ بأذهـانِ القطـا وشُخوصُـهم مـن كـل ضـخمٍ في تخطـرِ فيـلِ
لفظـوا حقـوقَ النـابغين وإن بكـوْا يـومَ الرحيـل، وكـم بكـوْا لرحيـلِ
يبكـون مِـنْ فـرطِ الـذهولِ وليـتهم لبثـوا علـى نَـدَمٍ وفـرطِ ذهـولِ
فكـأنَّهم لا يعرفـون وفـاءَهم بعقـولهم، لـو أنهـم لعقـولِ
حتـى إذا ثـابوا إلى أحلامهـم تركـوا النبـوغَ يمـوت مـوتَ ذليـلِ

*****

لله أعـوامٌ مَضَـتْ لم أنسَـها يومـاً، فأنسُـكَ راحُ كـلِّ خليـلِ
ومه اقـفٌ لـك علَّمتْنـا أن نـرى معنـى الحياةِ فكنتَ خيرَ رسـولِ
يـا ليـتَ درسَـكَ لم يَغِـبْ في أمـةٍ ظمـأى إلى التكـرارِ والتفصـيل
تَنْسَى عظاتِ الدهر وهي شواخصٌ وتَجِـنُّ للأوهـامِ والتخييـلِ
والـدهرُ خـيرُ مـؤدّبٍ، فـإذا شـكا منّـا فسـخطُ الـدهرِ غـيرُ ضـئيلِ
مَـنْ لم يؤدِّبْـه الزّمـانُ فإنـه وهـو السـليمُ يعـيشُ عـيشَ عليـلِ

*****

أبنـاءُ مصـر: بناؤُهـا ورجاؤُهـا وضـياؤُها في فجرِهـا المـأمولِ
هرعـوا لـذكرِكَ، فلتطـبْ بوفـائهمْ روحـاً، وغِـبْ ككنـوزِ وادي النيـلِ!

الشمس الغريقة

أرى الشمسَ قد سقطتْ في العُبَابِ فمـا بالُهـا الآن لا تَنْطَفِـي؟
ومـا ذلـك اللَّهَـبُ المسـتثارُ علـى المـاءِ مـن وَقْـدِ رُوحٍ خفِـي؟

أفي الماءِ نَجْوَى فؤادي الحزينِ يُناجي الشفاءَ فما يشتفي؟
وأيُّ لَظىً في صميمِ المياهِ سوى الحبِّ يغزو ولا يكتفي؟!

*****

وقفنا على اليَمِّ عندَ الغُروبِ وكم في الغُروبِ أسىً للقُلوبِ
فأسمعَنَا الماءُ صوتَ الشَّجِيِّ ورَفَّ على النُّورِ روحُ الكئيبِ
وقد عَثَرَتْ في خيوطِ الضياءِ فتاة السماءِ بموجٍ عجيبِ
فأشعَلَتِ البحرَ مِنْ سحرِها وما سحرُها غيرَ رُوحِ الأديبِ!

*****

وفي لحظةٍ غابَ ذاكَ اللَّهَبْ وقد كنتُ أحسبُه لا يَغيبْ
فيا عَجَباً لصروفِ القَدَرْ وإنْ لم يكنْ منه شيءٌ عَجيبْ
فما هو فانٍ نراه خَلَدْ وما هو باقٍ بسحرٍ يَذوبْ
وقد جَنحتْ مُهجتي للطَّرَبْ كأنَّ السُّرورَ وليدُ الكئيبْ!

*****

وحانَ الوداعُ وكم في الوداعْ دماءٌ تُراقُ وعُمْرٌ يُضاعْ
فلاحتْ لفاتنتي عَبرةٌ على خدِّها كَلَظىً في شُعاعْ
وقد رأتِ الشمسَ مَرْأى الفناءِ وقد غربتْ وهي ربٌّ يُطاعْ
فَريعَتْ لمصرعِنا الآدميِّ وهذي الألوهةُ تَلْقَى الصِّرَاعْ!

جسر الأحلام

عَبَرْتُ عليكَ يا جِسْرَ الأَماني ويا جِسْرَ التَّخيُّلِ في غَرامي
فجزتُ إلى مَدَى حُلمٍ عَميقٍ وما حُلمي كأحلامِ الأنامِ
ولكنْ مِنْ صميمي مُسْتَمَدٌّ ومِنْ خَلفِ المَرائي والمرامي

ومَـنْ يظفـرْ بهـذا الحُلـمِ أَوْلَـى ... بـه مَـرَحُ التفـاؤلِ والتسـامي

*****

وألَّفَنَـا التجـاوبُ في الأَمـاني ... وجمَّعَنَـا التبسُّـمُ للسـقامِ

كلانـا نفسُـهُ الحَيْـرَى بحـربٍ ... وبعضُ الحـربِ مـن رُوحِ السـلامِ

تَسَـاقَيْنَا الهـوى صِـرفاً وكانـت ... تهـابُ الكـأسَ مِـنْ هـذي المـدامِ

ومَـنْ لا بُـدَّ يرتشـف المنايـا ... أيخشـى الكـأسَ مِـنْ راحِ الغـرامِ؟

فلمـا أدركـتْ حُلْمـي ورُوحـي ... وأنَّ الحـظَّ نَهْـبٌ لاقتسـامِ

أبـتْ أن نغتـدي في الـدهر وهمـاً ... مـن الأوهـامِ أو بعـضَ الحطـامِ

المومياء

أسـيرُ وكـم أرَى في النـاس حـولي ... أسـيراً حالُـهُ كالموميـاءِ!

كـأن السـحرَ جَـدَّدَهُ ولكـنْ ... يَلـوحُ بـه التعمُّـقُ في الفنـاءِ

فأُبصـر فيـه صُـورةَ آدمـيٍّ ... ومـا ألقَـى بـه معنـى الرجـاءِ

فهل رحلَ الورى من مصر حتى ... رأينـا الميـتَ يرجـعُ للوفـاءِ؟!

ولكـنّ الفنـاءَ يُطِـلُّ مـنهم ... وأهـلُ الأمـسِ مِـنْ أهـلِ البقـاءِ!

صورة

أمِـنْ صـميمِ الهَـوَى أم رُوحِ دَيَّـانِ ... هـذا الخيالُ الـذي وافـى وحيَّاني؟

يـا صـورةً مِـنْ مَعَـانٍ كلُّهـا طُـرَفٌ ... أهـلاً بعَطْف حبيبٍ منكِ واسـاني

إنـي فقـيرٌ إلى الآمـالِ أرشـفُهَا ... مِنْ صمتِكِ العذبِ أو من ظلكِ الحاني

إنْ لم يكــنْ لأغاريــدِ أرتّلــها		هذا الجمالُ فقد ضَيَّعتُ ألحاني!

*****

بعثتِ رسمَكِ في وشي الصِّبَا نَضِراً		وللصِّبَا في المعاني جَمٌّ ألوانِ
ما كان ضَرَّكِ لو أشْبَعْتِنِي قُبَلاً		فإنها صُوَرٌ من رُوحِكِ الهاني؟
أو كان ضَرَّكِ لو بادلتِنِي صُوَراً		من الحنين فخمرُ الحبِّ إيماني؟
كانت أحبَّ إلى نفسي وإن ظمئتْ		من الخيالِ وإن ناجاه وجداني
وَاهاً علينا وراحُ الحبِّ دانيةٌ		فنكتفي بشذىً للحبّ روحاني
لا بنضر الحبُّ إلاّ مِنْ مبادلةٍ		فالحبُّ نشوةُ أرواحٍ وأبدانِ

تناحر الأضداد

كم أملأ الدنيا ثناءً أو رِضىً		عن لحظةٍ للأُنسِ والإسعادِ
وأنا الذي أحيا الزمانَ شَقاوةً		فأعودُ أغفرُ شقوتي وحِدَادي
أحيا بكلِّ دقيقةٍ تمضي كما		أهبُ الحياة رجاءَها بفؤادي
غنَّيتُ أضعافَ الذي أُعْطِيتُه		حتى حُسِبْتُ المُسْعَدَ المتهادي
كم من هُمومٍ قد طرحتُ تَوجُّعي		منها وطولَ تَحرُّقي وسُهادي
وخجلتُ من بَثّي القليلِ كأنما		عَصْفُ الرياحِ يطيب للأطوادِ
أنَّ الحياةَ جميلةٌ لكنما		قتلَ الجمالَ تَناحرُ الأضدادِ

في المنفى

نَعمْ منفايَ أشعاري		ومَلْقَى النُّورِ والنارِ
أعيشُ بها على حِدَةٍ		ونَفيِي عيشُ أحرارِ

حيـــاةٌ مـــا لهـــا أمَـــدٌ ... علـــى سـفرٍ وأخطـــارِ
أســـجّل كـــلَّ مـــا حـــولي ... وأخلـــق حُلْـــمَ أقـــدارِ
حزينـــاً، ســـاخطاً، مَرِحـــاً ... عتيّـــاً، غـــيرَ جبَّـــارِ
أعـــيش بكـــلِّ مَعْنَـــى العَيْـــ ... شِ حـــين أنـــا بـــهِ الـــزَّاري
كـــأنّي مُـــذْ وُلِـــدْتُ حييـــ ... ـــتُ في يقظـــاتِ قهَّـــارِ
أبـــادلُ مـــا حَـــواه الكـــو ... نُ إيحـــائي وأنظـــاري
فـــلا هـــو دائـــني أبـــداً ... ولا أنـــا عبـــدُه الجـــاري
وإن عبـــدَ الجمـــالَ بـــه ... فـــؤادي شِـــبْهَ مختـــارِ
وَمَـــنْ يحيـــا بهـــذا النَّفْـــ ... ـيِ لم يَحْفِـــلْ بأوطـــارِ
ولم يَعبـــأْ بتمجيـــدٍ ... وإنْ يعبـــأ بإيثـــارِ
يَعـــيشُ لغـــيره أبـــداً ... وإنْ لم يَحْـــظَ بالغـــارِ
فهـــذي نفســـيَ الكـــبرى ... إذا أرضـــاكَ إصـــغاري
تنـــاءَتْ في مَجَاهلـــها ... ومنفاهـــا بأشـــعاري
ولم تَسْـــفِرْ لقارئهـــا ... إذا لم يُقبـــلِ القـــاري
ومَـــنْ يحيـــا حيـــاةَ العُشْـــ ... ـــبِ لم يظفـــرْ بـــأغواري!

جـوّ اللقـاء

أودّ ألقـاكِ لكـنْ مـلءَ عاطفـةٍ ... بـلا حُـدودٍ وفي مَـاضٍ مـن الحِقَـبِ
أيـامَ كـان الـهوى دينـاً يُـدانُ بـه ... في الجِدِّ والدَّأبِ أو في اللّهـوِ واللعبِ
لا تَسْـأَلِي شـاعراً إلاّ عواطفَـه ... فإنّهـا هـي ذُخـري وهـي مُنْتَهَبي

أودُّ ألقـاكِ، لكـنْ حـين أنظـرُ لا ... ألْقَـى بعينيـكِ إلاّ الحُـبَّ يَـنعمُ بـي

دعــي جَنانَــكِ للأيــام تعْبُــدُهُ ... ونــاوليني فــؤاداً عاشــقاً أدبــي

أودّ ألقــاكِ في سُــكرٍ وفي لَهـ ـفٍ ... وفي تَطَلُّـعِ طفـلٍ أو مِـراح صَـبي

فنشــتفي بــالهوى ممــا يُعــذّبنا ... من الحياة، وكم في البُرءِ من لَهَبِ

أودُّ ألقــاكِ والأقــدارُ غافلــةٌ ... وأنــتِ وثّابــةٌ كــالخمرِ والحبَـبِ

فــلا أراكِ علــى خَـوْفٍ ولا حَـذَرٍ ... ولا أراكِ علــى يــأسٍ ولا غَضَــبِ

بـل كـلُّ مـا فيـكِ أشـواقٌ مؤجَّجَـةٌ ... وكـلُّ مـا فيـكِ أَلـوانٌ مـن الطَّـرَبِ

الوداع الدائم

للعقــلِ أن يُعنــى بروعــةِ ذهنــكِ ... والفــنُّ أن يَغنــى بقــوَّةِ فنِّــكِ

أمَّــا أنــا فــأراكِ ســرّاً غامضــاً ... أهــواه مصــبوبَ المُنَــى مــن دَنِّــكِ

لا تحسَـبيني سـوف أسـأمُ بعـدما ... أسـتافُ روحَـكِ في وصـالٍ طـالاَ

مـا كـان مثلـي مَـنْ يحقـق رِيَّـهُ ... وصـلٌ، ولـو جعـلَ الحيـاةَ وصـالاَ

سـأعيش أرتشـفُ الجمـالَ مُنوَّعـاً ... - إن شئتِ - منكِ حقيقـةً وخيـالاَ

فأظـلّ حـين تَـذوُّقي جـدواكِ لـي ... ألقــاكِ حُلمــاً واقعــاً ومُحــالاَ

لهَفـي علـى الأيـامِ تَمْضِـي بينمـا ... نَنســى المخبَّــأَ مــن رَدى الأيــامِ

لــو أننــا نَـدري جعلنـا عُمرَنـا ... عُمْــرَ الــوداع فكـان عُمـرَ غـرامِ

ساعة الأحياء

الآنَ أرفعُ للجمال صلاتي ... وأذوقُ أحلَى الحُلْمِ ملءَ حياتي
وأُقبّلُ النورَ الذي في لثمه ... هذا الجمالَ يُطيل مِنْ قُبلاتي
مُرّي! تَعَالَي يا نَماذجَ وَحْيِهِ ... في لونكِ الخمريِّ بالنفحاتِ!
سيري على شطِّ الخليجِ[1] فعنده ... حَجُّ الجمالِ ينوبُ عن عرفاتِ
سِيري موزِّعةً على أنفاسِنا ... ما شِئتِ من رُوحٍ ومن آياتِ
مِنْ جسمِكِ المتموِّج الخفّاقِ من ... حُسْنٍ، ومن حُبٍّ، ومن لَذَّاتِ
أرنو فيُسكرني تَمَوُّجُ ضوئِهِ ... وتَموُّجُ التعبيرِ في الخطراتِ
وتَرَتُّبُ الروحِ الجميلِ كأنما ... ألقاه ألواناً تُنير صلاتي
وأودّ أرسمُه فيُعجِزُ لونُه ... لوني، ويُفحم صمتُه كلماتي
تَتجرَّدين وما التجرُّدُ ضِلَّةً ... فكفاكِ أن تُحيي الجمالَ بذاتي
مَنْ ذا الذي يُرضِيه لَمْسُكِ عن هَوىً ... إلا هوَى الفنِّ الجميلِ العاتي
أوَلَسْتِ آلهةَ الفنونِ جميعها ... حين القلوبُ لديكِ كالمرآةِ
والبحرُ حِضنٌ للطبيعةِ عندما ... ضَمَّتْكِ في شَغَفٍ وفي بسماتِ
سِيري بناتِ البحرِ! أنتِ فنونُهُ ... وورثتِ منه لنا أحبَّ صفاتِ
وتَخطَّري وتمهَّلي في ساعةٍ ... هي نعمةُ الأحياءِ في الساعاتِ

---

[1] خليج استانلي بالإسكندرية.

المغيب

الشمسُ يَخطفها المغيبُ وقُرْصُها
في روعةٍ والنورُ فيه يرفُّ

فكأنه قلبُ المحبِّ إذا ذوَى
عند الفراقِ فرفَّ وهو يجفُّ

خطفَ المغيبُ حياتَها بحياتهِ
فغدا المساءُ محمَّلاً أسرارًا

إنّ الأنوثةَ حين تمنح رُوحَها
للخاطفين تُضاعفُ الأعمارَا

هاتي وقد حان الوداعُ ذخيرتي
مِنْ رُوحكِ الدَّفّاقِ بالإحسانِ

فإذا لثَمْتُكِ كان غُنمي كلَّ ما
أودعْتِ من حُسنٍ ومن ألحانِ!

حدائق بابل

حدائقُ بابلٍ قد عُدتِ فينا
كما عاد الهوى آلافَ ضِعْفِ

نُسِخْتِ فصرتِ أكشاكَ الغواني
على بحرٍ وجُزْتِ أحبَّ قصفِ

يَطوفُ بكِ الجمالُ على فنونٍ
من الأوصافِ تُعجز كلَّ وصفِ

غوانٍ للفتون مجرَّداتٌ
تصونُ الفنَّ في رَشْفٍ وقَطفِ

أبينَ السترَ إلاّ حيث أمسي
من الإغواءِ يُبدي حين يُخفي

ومِنْ عَجَبٍ يُنلن على امتثالٍ
مُنى النظراتِ في مَنْحٍ وخطفِ

فنجني كلَّ معنىً بابليٍّ
بلطفٍ حين يغمرنا بعنفِ!

الأمــواج

(عند خليج استانلي)

دُنيـا الغَـرَامِ ومَسْـرَحَ الأحْـلامِ ... مُـرِّي بأطيـافِ الجمـالِ أمـامي!

العـامُ مَـرَّ وهـا أنـا في عـودتي ... مـا زلـتُ في شَـغفي وفي أحلامـي

خُبِّـرْتِ فـاخترتِ الميـاهَ مَثابـةً ... للحُسْنِ واخترتِ الشبابَ الظامي

وجعلتِ مـوجَ البحر مَركبكِ الذي ... يرقـى ويهـبط في حبـور غرامـي

المـاءُ أوْلى بالجمـالِ فَطُهْـرُهُ ... يفـترّ بالإشـعاعِ والإلهـامِ

ألقيـتُ عنـدَ هـديرهِ ونـثيرهِ ... سَـقَمي فبـدَّد لـوعتي وسـقامي

وجلستُ عند الشطِّ أجمع غانماً ... حَظـاً تَنـزَّهَ عـن أذىً ومَـلامِ

مِنْ كلِّ جسمٍ فيه ما يَهَبُ الصِّبا ... للكـونِ مِـنْ ملكوتـهِ البسَّـامِ

في ضـجعةٍ قُدسـيةٍ، وصـبابةٍ ... علُويـةٍ، وتَعثُّـرٍ وتَسَـامي

صُوَرُ التهافُتِ والتباعُدِ والرِّضَى ... والهجـرِ في حـربٍ وفي استسـلامِ

الشمسُ تنهـب مـن بـديعِ روائهـا ... كـالبحرِ في منثـوره المترامـي

والعـينُ تنبـه مـن بـديعِ روائهـا ... مـا لا يمـرّ بخـاطر الرسَّـامِ

أهلاً عذارى البحر! هل غيري الذي ... يَـدريكِ في صُـوَرٍ وفي أنغـامِ؟!

خلّـي فـؤادي المُسْتَطِبَّ وخـاطري ... يتناوبـان بلهفـةٍ وأوامِ

يَسـتوحيان مـنَ الظـلال مَناعمـاً ... ومـن اضـطجاعكِ جنـةَ النُّـوَّامِ

أبـديتِ مـا أخفيتـهِ، وكـأنّ مـا ... أبـديتِ كـالأحلامِ والأوهـامِ

فـالآنَ يَسـجدُ للجمـالِ حَفِيُّـه ... ويَعـودُ يُفْـتَنُ ذلـك المتعَـامي

وأُطيـل مِـنْ نظـري إليـكِ كـأنني ... أخشى الظلامَ متى لقيتُ ظلامي

والحسـنُ إنْ رُزِقَ الحنـانَ فإنّـه ... يَرْعَـى القلـوبَ رعايـةَ الأيتـامِ!

وداع البحر

(قالها الشاعر قبيل الشروق من مرتفع فندق وندسور وهو يغادر الإسكندرية)

وداعاً أيها البحرُ الجميلُ فإن المُكثَ ليس له سبيلُ
سبقتُ الشمسَ في مَرآكَ حتى يفوتَ الشمسَ ما بثَّ العليلُ
أودّعُ هذه الأمواجَ تحوي سطوراً كلُّها شعرٌ جميلُ
وهذا الجوَّ مربدًا ولكنْ يُطلّ وراءَه الخلُقُ النبيلُ
وهذا القوسَ من صخرٍ وسدٍّ[1] كحضنٍ للمدينةِ يستطيلُ
وما تحكي القواربُ وهي حيرى لما تروي النجومُ وما تقولُ
فكم في الليل يُشغلها التناجي متى سَفرتْ ويُرقصها الهديلُ
وأسرابَ المفاتنِ للغواني وكلٌّ عندها مُلكٌ جليلُ
نحيِّيها وكم فيها نحيِّي معانيَ لا تُنَالُ ولا تُنيلُ
نظلّ نحوم حول السحرِ فيها وبعضُ السحرِ ليس له مثيلُ
ونُقْهَرُ بالخيالِ وبالأماني على ظمأٍ كما يظمأ القتيلُ
وداعاً أيها البحر الموالي إذا هجر المحبَّ لكَ الخليلُ!
وداعاً! هذه اللحظاتُ تمضي سراعاً والغناءُ بها عويلُ
وهل يقف الزمانُ لأجل حُبٍّ وإنْ صحبَ الغرامَ المستحيلُ؟
وداعاً! إنني أمضي لذُلّي مطيعاً، والذليلُ هو الذليلُ
وما ذُلّي لنفسي، إنّ ذلّي لقومي، فالمحبّ لهم دخيلُ
جفتني الأربعون[2] وقد رأتني أجود لينعمَ الوطنُ البخيلُ
أجود، وكم أجودُ بكلِّ نفسي فتُجحَدُ لي الضحيةُ والجميلُ

---

[1] شارع الكرنيش.
[2] ما مر من عمر الشاعر.

ويمـــرحُ فِي الـــذي أُســـديه غــرٌّ ويطعـــــنني المغـــــرِّرُ والثقيــــلُ
بـــلادٌ حُبُّهـــا بـــدمي أصـــيلٌ وإن يُخْـذَلْ بهـا الحـرُّ الأصـيلُ
ولـــيس بحُجـــةٍ إنصـــافُ فــردٍ وفـــردٍ حـــين يُضْـــطَهَدُ القبيـــلُ
أفـــرُّ مــن الجمـــالِ ومنـــه رُوحـــي إلى حيـــث الكفـــاحُ هـــو الزميـــلُ
إلى حيـــثُ العـــذابُ يحـــزّ قلـــبي فأحتمـــل العـــذابَ ولا أَميـــلُ
وداعـــاً أيهـــا البحـــر المـــوافي! ووالهفـــي وقـــد حـــان الرحيـــلُ!

على الشاطئين

(شاطئ الجمال وشاطئ الخيال)

أزِفَ الـــبينُ يـــا نجيَّـــةَ رُوحـــي و "مِثـــالي" ويـــا جَنَـــى الجنَّتَـــيْنِ
جَنَّـــةُ الحُسْـــنِ تلـــكَ عزَّزَهَـــا اللهُ تَعَالـــتْ عـــن كـــلِّ عَيْـــبٍ وشَـــيْنِ
وســواها مــن رَوْعَــةِ الفــنّ صــارتْ في غِنـــىً عـــن مـــديح ربٍّ وزَيْـــنِ!
جَنَّتَـــا السّـــحرِ أنـــتِ يـــا مَـــنْ إليهـــا يتنـــاهى فنّـــي وَيحْمَـــدُ دَيْـــني
خشـــعَ البحـــرُ والعواطـــفُ للخلـــ ـــقِ، وكـــلٌّ يـــراكِ في نشـــوتينِ
وأنـــا المُلْهَـــمُ الـــذي ضَـــمَّكِ الآ نَ ليَبْقَـــى لـــديكِ مِـــنْ بَعْـــدِ بَـــيْنِ!
كـــلُّ جُـــزءٍ منّـــي حيـــاةٌ تســـامتْ وتناهـــتْ إليـــك في السَّـــاعدَيْنِ
لم أُقبّلـــــهما بغـــــيرِ حنـــــانٍ دافـــقٍ مِـــنْ صـــميمِ قلـــبي وعَـــيْني
ألـــفُ قلـــبٍ وألـــفُ عـــينٍ لمثلـــي في وداعٍ يَنـــالُ مِـــنْ نعمتَـــيْنِ!

*****

وتَيقَّظـــتُ مـــن جُنـــوني وأحـــلا مـــي، فكـــان الجنـــونُ في الشـــاطئَيْنِ!
ولقيـــتُ الـــوداعَ في حســـرةِ الهجـــ ـــر ونـــاري في لُجَّـــةٍ مـــن لُجَـــيْنِ!

تبـــاريح

بحسبي أن أرى الماضي خصيمي ... وإنْ يَكُ قد تَصرَّمَ مِنْ وُجودِي
وكيف يُعَدُّ مَيْتاً وهو حَيٌّ ... أُحِسُّ به كطيفٍ في الوجودِ؟
هواجسُ نفسيَ الحَسرَى أمامي ... وإنْ أكُ عاجزاً عن صِدْقِ وَصْفِ
صَدَى الأمسِ البعيدِ فأيُّ صوتٍ ... لذاك الأمسِ كان؟ وأيُّ قصْفِ؟
حنيني للذي ولَّى وأمسَى ... حبيبي وهو جزءٌ مِنْ كياني
حبيبي وهو في آنٍ خصيمي ... فكم مِنْ لوعةٍ فيه أعاني
فكيف تلومني والأمسُ ذاتي ... فإن أحببتُها أحببتُ أمْسِي
وإنْ صُغْتُ الرثاءَ له فإنِّي ... لأرثي بعضَ نفسي عند نفسِي؟
وليس المرءُ إلاّ من زمانٍ ... وأحداثُ الزمانِ إلى الفناءِ
فنفنى بالتدرُّج بين صدقٍ ... ووَهْمٍ في الحنينِ وفي الرجاءِ
وكم مِنْ هاتفٍ حولي لماضٍ ... بأسرارِ العواطفِ والخيالِ
دَعَوْهُ "الشعرَ" وهو صميمُ نفسي ... تناجيني بمقبرةِ الليالي!
فكم مِنْ ميْتٍ مِنْ صفوِ عُمْري ... يُطِلُّ عليَّ بالأحلامِ دَوْمَا
أُسائله فيهرب مِنْ سؤالي ... وإنْ أكُ مثله أظْمَا ويَظْمَا
غريبان استطابا للتَّناجي ... ظلامَ الليل والأشخاصُ تَخْفَى
وقد كانا شقيقين، ولكنْ ... هو الزمنُ الذي لم يُبْقِ إلْفَا
لقد أصبحتُ لا شيءَ سوى ما ... يُمثِّله حنينٌ أو رجاءُ
وبين الأمسِ والغدِ كلُّ حيٍّ ... سيفنى حين يبتسمُ الفناءُ!

بكائي الصامت

أثرُ الفجيعةِ في حَشَايَ وحُرقتي ... دمعٌ يجفُّ فقد أَبَتْهُ النَّارُ
وأشدُّ ما لاقى التَّفجُّعَ مُفْعَمٌ ... بالحزنِ ليس لعينه استعبارُ
يا ليتني كنتُ الذي بذلَ الأسى ... مِنْ دَمْعِهِ ما صاغتِ الأشعارُ
فأقول قولةَ هانئٍ، مهما يكنْ ... متفجّعاً فلدى الدموعِ الثارُ[1]:
نزفَ البكاءُ دموعَ عَينكَ فاستعرْ ... عيناً لغيركَ دمعُها مِدرارُ
مَنْ ذا يُعيركَ عينَه تبكي بها؟! ... أرأيتَ عيناً للبكاءِ تعَارُ؟!

بلادي

بلادي! بلادي! أنتِ في كلِّ حالةٍ ... بلادي، وإن لم تَعبئي برغائبي
حَرامٌ رجاءُ المنطقِ الصدقِ صادقاً ... لديكِ، حرامٌ يا بلادَ العجائبِ!
يُحارَبُ فيكِ الفضلُ والنُّبلُ بينما ... يُمجَّدُ فيكِ النقصُ مِنْ كلِّ جانبِ
طُبِعْتُ علَى الحُبِّ الذي قد بذلتُه ... لمجدكِ حين الحبُّ غايةُ خائبِ
فجوزيتُ بالإيلامِ من كلِّ عاثرٍ ... أغثتُ، وبالحرمانِ مِنْ كلِّ صاحبِ
كأنّ الجميعَ استوثِقوا مِنْ محبتي ... وغالوا ببأسي مُذْ تغالتْ مَطالبي
وما أنا في نفسي لأطمحَ مَرَّةً ... لأكثرَ مِنْ عيشي بعزلةِ راهبِ
ولكنْ طُموحي للديارِ التي لها ... حنيني، وإنْ باتتْ ديارَ المصائبِ
ولا بأسَ لي إلاّ ضميري ومَبْدَئي ... ولا مجدَ لي إلاّ خلوص مَواهبي
وأكبرُ ذنبي هِمةٌ ما تراجعتْ ... فلن يُرهبَ الإيمانُ أقسى العواقبِ!

---

[1] البيتان التاليان للعباس بن طلحة.

النفوس المريضة

(من رسالة)

ونَفْسِي التي تَهْوَى حياةً بعيدةً عن الحقدِ والآلامِ والكيدِ والعِدَى
يَعزُّ عليها أن تَرَى الشَّهْمَ في الورى طعيناً لِمنْ أَعْطَى الحياةَ لهم فِدَى
شُغِلْنَا بأمراضِ الجسومِ وعندنا نفوسٌ بأمراضٍ تجاوزتِ المَدَى
لقد قال فيها شاعرُ الدهرِ حُكمَهُ فردَّدَهُ الدهرُ الحكيمُ وأيَّدَا[1]:
إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ وإنْ أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تَمرَّدَا
ووَضْعُ النَّدى في موضعِ السيفِ بالعُلَى مُضِرٌّ كوضعِ السيفِ في موضعِ النَّدى

يوم الوداع

يومَ الوداعِ أراكَ يومَ وَداعِي للحُبِّ والأحلامِ والأَطماعِ
جَلسَا ومائدةَ الغرامِ تقدَّسَتْ بالزَّهرِ والأثمارِ والإشعاعِ
وهَوَى على تلكَ الأناملِ مثلما يَهْوِي اليتيمُ على الحَنانِ الدَّاعي
ضمَّ اليدَ المعبودةَ الضَّمَّ الذي فيهِ الفجيعةُ أو شُعورُ النَّاعي
إنْ كان أخفَى في الخُشوعِ جبينَهُ والحزنُ يقتلُه بقسوةِ واعي
فالدَّهرُ روَّعَهُ المُصابُ وإنْ يكنْ المُذْنبَ الباغي الخؤونَ السَّاعي
وأشاحتِ الوجهَ الحزينَ كأنما رغمَ السكونِ تَثُورُ للإزماعِ
قد دُقَّ ناقوسُ الوداعِ فودَّعتْ بالصَّمتِ يَخجلُ منهُ يومُ وَداعِ
قَدَرٌ يَسُودُ، وكم يُرَى لغبائهِ يأبَى الجنُوحَ برحمةِ المُلتاعِ

---

[1] البيتان التاليان للمتنبي.

والفَنُّ خَلَّدَ حُكْمَهُ في صمتهِ كالموتِ يُرْسِلُهُ وراءَ قلاعِ
مأساةُ هذا الكونِ أَوْلَى أن تُرَى في الفنِّ بين الخُلْدِ والإبداعِ
حتى ينالَ الثأرَ من دُنيا الأسى دُنيا الجنونِ ومَسرحِ الأوجاعِ
حتى يعيشَ أولو الضحيةِ عنده شُهَدَاءَ في الأبصارِ والأسماعِ

مصر الحية

عيناكِ ما اكتَحلا وما عرفا السَّوادَا الساحرَا
إلاّ وفي مَرآهما خِصْبٌ يُغذي الشاعرَا
يا بنتَ مصر أنا المدينُ إليكِ بالحبِّ المقيمْ
وعشقتُ سُمرتَكِ التي تُشْتَقُّ مِنْ وطني الوسيمْ
أنا عالَميٌّ في شُعوري، في جَناني، في الغَرَامْ
لكنني ألقاكِ أسمَى ما يُحَبُّ وما يُرَامْ
قد ساءَ حولي كلُّ ما ألقاه مِنْ مَوْتي الحياهْ
جُثَثٌ وأشباحٌ وأطيافُ العُتاةِ من الجُنَاهْ
ومَهازلٌ للصاغرينَ، الطاعنينَ المنقذينْ
العابثينَ الآثمينَ إلى الأبوّةِ والبنينْ
يا بنتَ موطنيَ الحبيبِ ورَمْزَهُ للأوفياءْ
لم يَبْقَ غيرُكِ للمحبةِ والطهارةِ والرجاءْ

العيـون الحزينـة

شُغِلَ الصّحابُ بها: فمِنْ مُتَهَلِّلٍ فَرِحٍ، ومِنْ دَنِفٍ يَذلُّ لديْها
أمَّا أنا فَجَعَلْتُ أرقبُ لحظَها والحزنُ يَمْسَحُ هادئاً جفنيْها
أرنو بِروحٍ ليس يُشبعها غِنىً مِنْ نضْرَةٍ عُبِدَتْ على حاليْها
نَهَمُ الملاحةِ في تَعمُّقِ رَمْزِها نَهَمٌ خُصِصْتُ به فقادَ إليْها
هذا مجالي في الحياةِ فخلِّني أرنو إلى سِحْرٍ يُطِلُّ عليْها
عَلِّي أراها في جلالةِ حُزنِها ألقاً تبسَّمَ عن جَنَى شفتيْها!

*****

ورأتْ فتاتي نظرتي طالتْ كما طال التَّلَهُّبُ في لظَى خدَّيْها
فتبسَّمتْ وتعجَّبتْ وتأمَّلتْ عَيْني كأنّي ساحرٌ عينيْها
ورأتْ دفينَ الحزنِ يَملأُ مُهجتي فاستوعبتْ لحظيَّ في لحْظيْها!

الغـد

قالتْ: سيجمعنا ويُسعِدُنا غَدٌ أتشكُّ فيما قد يُعِدُّ لنا الغدُ؟
فأجبتُها: أنا لا أشكُّ وإنّما أنْأى الفُروضِ مُجانِبٌ يتودّدُ
ما كنتُ مَنْ يخشى الغريبَ، وذا غدٌ هذا الغريبُ، وقد يَسُرُّ فيُحْمَدُ
لكنما طَبْعُ الغريبِ تَرَدُّدٌ فمن الرجاحةِ أنني أترَدَّدُ
هاتي أقلَّ الجودِ في يومي أعِشْ غرداً، وخَلّي ما يجودُ به الغَدُ!

التحيـــة

تُهْدي الأَزَاهـرُ في المُـروج تحيّـةً
لتحيـةٍ عنـد انبثـاقِ حَياتِهَـا

والطفـلُ تُفْرِحُـهُ المثيلـةُ مثلمـا
تَتَبَسَّـمُ الأزهـارُ عـن أخواتِهَـا

وَقَفَـا بـرُوحٍ للتـآلُفِ حُـرَّةٍ
يتبـادلان تَعَجُّبـاً ووِدَادَا

لا يُدركان سوى التعاطفِ جامعاً
لهمـا، ولا يَتخـيَّلان مُـرادَا

فـإذا الحيـاءُ ينـال منهـا، وهـو لا
يفـترّ يرفـعُ زهـرةً لرضـاهَا

عَجَـبٌ نـواميسُ الحيـاةِ، فإنهـا
حتـى الطفولـة لقّنَـتْ مَعْنَاهـا!

جنـــون

خاصـمتَ رُوحـاً حَبيبـاً
يَسُـحُّ بالشـعرِ سَـحًّا

ومـا رعيـتَ جمـالاً
مِـنَ الجمـالِ اسْـتَوْحَى

هـلْ كـان شـعري سوى مـا
وَعَيْتُـهُ عـن وُجـودِي

فـألِفَ الفَـنُّ مِنْـهُ
روائعـاً للنشـيدِ!

هـل الجـداولُ أشـهَى
مِـنْ البُحـورِ وأنْقَـى

حتـى تعـافَ خِضَـمّاً
يَعَـافُ حَصْـراً ورِقّـاً؟

هـل نَغْمَـةُ العُـودِ أحلـى
مِـنْ مَوْكـبِ السِّـمْفونِ

حتـى تـرى مـلءَ شِـعْري
مَظـاهراً للجُنُـونِ؟

*****

لكـنْ حَـرامٌ سـؤالي
مَـنْ لا يُطيـقُ سـؤالي

ومَـنْ يَعـدُّ حيـاتي
شـبيهةً بالممـاتِ!

محاكمة إله

حفُّوا به مِنْ شِعَابِ الكون واقتسمُوا
حِسَابَه عن مَدَى المشهودِ من خَبَلِ!

جَمِيعُهُمْ قد رأوْه سادَ عالَمهمْ
بلا رجاءٍ وأحيَا الكونَ في عَجَلِ!

حَلَّ التناقُضُ ما فيه وإنْ ظَهرتْ
قُوَى التناقُضِ في شيءٍ من النُّظُمِ

قُوىً تَضيعُ بلا معنىً ولا سَبَبٍ
وكم يُقالُ لمعنىً جَلَّ في العِظَمِ!

جاءوا إليه برَحْبٍ لا وجودَ به
كأنه عائلٌ قد خانَ أولادَهْ

وساءلوه لماذا لا يموت فكم
يسوءهم جُلُّ ما قد شاء إيجادَهْ؟!

وكم يَطيبُ لهم تدبيرُ عالَمِهمْ
مِنْ دونهِ بَعْدَ أن شاختْ مراميهِ

غيم التحكُّمُ فيهم بعد أن بلغوا
سِنَّ الرشادِ، وماذا بات يُخفيهِ؟

فهل له أن يولِّي في الفضاءِ كما
ولَّتْ لهم في طويل الدهرِ أحلامُ؟!

يمضي بلا رجعةٍ ميتاً بلا أثرٍ
وعندها لا يُرَى ظُلْمٌ وظُلاَّمُ!

وعِنْدَها تنتهي الأوهامُ قاطبةً
ويَنتهي كلُّ ما في الكونِ من زُورِ!

وما يُخافُ ظَلامٌ مِنْ تَبَدُّدِه
فالكونُ يشكو عُبابَ النارِ والنورِ!

فقال خالقُهم: قد لُحْتُ في طربٍ
وما أبيتُ لكم إسراءَكمْ حولي

لكي أرى ثورةَ الأقزامِ في زَمَنٍ
يضيع فيه عظيمُ الحَوْلِ والطَوْلِ!

أنا الحياةُ فهل تَرجونَ مَيتَتَها
وتحسبون جمالَ الكونِ في العَدَمِ؟

وتعشقون فناءً للنظامِ وما
تخشون من عجزكم في الروحِ والهِمَمِ؟

لولا عنايتُكم بالهدمِ ما وُجِدَتْ
هذي الرزايا التي تشكون شِدَّتَهَا

لولا الأنانيةُ العظمى لما عرفتْ
هذي الخليقةُ للآلامِ حِدَّتَها

فيا ضِعَافُ أفيقوا! لم يَزَلْ بِكُمُ
من الغرورِ مَثَارُ اليأسِ في الكون

أنتم بَنوهُ فإنْ سُؤتُم يَسُؤْ أبداً
فالكونُ مِرآتُكم في خَلْقِهِ الفَنِّي

لـو أنكـم قـد بلغـتم مـا تخيلـتمُ	مـن الرشـادِ لأحبَبْـتُمْ عُلَـى نفسـي
وكنتمـو شـبهَ أربـابٍ فقـرَّبَكُمْ	إليَّ ما قد ملكتُمْ من غِنَى الشمسِ!

*****

وحينمـا أيقظـتْني طفلـتي وأبـتْ	إلاّ التفـاتي لمـا أحيـتْ مـن اللُّعَـبِ
رأيتُهـا أبـدعتْ في خَلْـقِ عالَمِهَـا	وعقلُهـا فـاقَ عقلـي واعتَلَـى أدَبـي!

سبـاق الأموات

لم يَبْـقَ إلاّ أن يُكَفِّـنَ بَعْضُـنَا	بَعْضـاً وأن تتسـابقَ الأمـواتُ
مـاذا يُرَجَّـى بعـد أن طعـنَ الهـوَى	رُوحَ الإخـاءِ وسـادتِ الشَّـهَوَاتُ!
تَتحـدَّثون عـن العظـائمِ والعُلَـى	أيـن العظـائمُ والعُلَـى بِصَـغَارِ؟
رِمَـمٌ تُتَـوَّجُ بالبُطولـةِ حينمـا	هـي صُـورَةٌ للمـوتِ أو للعـارِ!
أسَفِي ويـا أسَفِي على تُهَمٍ لهمْ!	لَهفـي ويـا لَهفـي علـى أحلامِهِـمْ!
الـدهرُ يَمْضِـي فاتحـاً وجمـيعُهمْ	بجمـودهم وعِنـادِهِمْ ومَلامِهِـمْ!
هـل للزعامـةِ غـيرُ قـوّةِ حيلـةٍ	لخـلاصِ شـعبٍ فرَّقَتْـهُ عـوادي؟
كيـف الزعامـةُ تسـتحيل مَظَـاهراً	لتنابُـزِ الأفـرادِ والقُـوّادِ؟
الكـلُّ في فَـرَحٍ بنكبـةِ جـارهِ	والكـلُّ في شـغفٍ بخَلْـقِ أذاةِ
تمضي السنونُ كأنها هي لم تَكنْ	مـن عُمْرِنَـا، ونعـيش عـيشَ ممـاتِ
وطـني الحبيـبَ ألا مُهيـبٌ ناصـحٌ	يُحْيِـي أُخُوَّتَنَـا غـداةَ يُنَـادي؟
إنَّ النـداءَ يهـزّ صَـخْراً جامـداً	مـا بالُنـا في الـرُّوح دونَ جمـادِ؟
ضـاعتْ مَرافقُنـا وكـلُّ مُؤَمَّـلٍ	لمكانِنـا المعـدودِ تحـتَ الشـمسِ
نَحْيَـا أسـارَى للخيـالِ كأنمـا	شَـطَطُ الخيـالِ جلالـةٌ للـنَّفْسِ!

*****

والآنَ يــا أبنــاءَ هــذا الــوادي ... الآســرينَ عــواطفي وفــؤادي
الحــاملينَ أمانــةَ الأجــدادِ ... هــل تَقْــدِرُونَ نصــيحتي ووِدادي
وتُبــدِّدون تَنــافُسَ الأحقــادِ؟ ... إنّ الزمــانَ لكــم لبالمرصــادِ!

النــاقمــون

النــاقمونَ؟ نَعَــمْ! لكــم أن تَنْقِمُــوا ... كــمْ يَفْقِــدُ المــتعلمين مُعَلِّــمُ!
ذنــبي وجــودي في مَجَاهــلِ بيئــةٍ ... صــحراءَ جاحــدةٍ تُضِــلُّ وتُسْــقِمُ
مَهَّــدْتُ مِــنْ هــذي المجاهــلِ مثلمــا ... علَّمــتُكم بــالأمسِ مــا لم تَعلمــوا
فَرُجِمْــتُ بالحَســدِ العنيــفِ كــأنَّني ... فيمــا أجــودُ بــه أنــالُ وأغْــنَمُ!
أسفاً علــى وقــتٍ أضــعتُ ولا أســىً! ... مهمــا شــكوتُ فلســتُ مَــنْ يَتنــدَّمُ
مَــنْ ذاقَ مهزلــةَ الحيــاةِ فإنّــه ... يُعْطى وَيسخر مِنْ تَجَاهل مَن عَمُوا
يُعطــى ويَــأبى أن يُــدَانَ وإنْ يكــنْ ... يُنْسى لـه الفضـلُ الرجيحُ ويُرْجَمُ
وبكــلِّ آنٍ صــدمةٌ لشــعورِه ... وبكــلِّ يــومٍ للعواطــفِ مَــأتَمُ!

الاندمــاج

خَمْــرٌ مــن الأَضْــوَاءِ تُسْــكَبُ حُــرَّةً ... والخمــرُ أطهرُهــا بنــورِ الشــمسِ
غَسَــلَتْ بهــا أعضــاءَها فاســتمتعتْ ... بســلافِها للجســمِ بــل والــنفسِ
وتَشَــبَّعَتْ منهــا بــأروع سُــمرةٍ ... وكأنَّهــا شمســانِ تحــت الشــمسِ!

النظرات

أهي الغِنَى لكِ؟ ما لجسمِكِ يَنْتَشِي ... بتتابُعِ النَّظَراتِ واللَّهَفاتِ
ولمَ استبحْتِ رقادَكِ الحُرَّ الذي ... لا يُستباحُ بأعجبِ الحانَاتِ؟!
البحرُ لم يَتركْ مَصُوناً غالياً ... كلاًّ، ولم يَحقِرْ تَجَرُّدَ حالِ
سادَ الجمالُ، فبات كُلُّ مُجَرَّدٍ ... للحبِّ تمثالَ الجمالِ الغالي
يا للطبيعةِ لا يُرَدُّ حَنانُهَا ... فوقَ الرمالِ وقد أُتِيحَ مَجَالُهُ
قَضَتِ الحضارةُ بالتهيُّبِ بينما ... أبتِ الطبيعةُ أن يسودَ خيالُهُ
والآنَ تمتزجُ العواطفُ حُرَّةً ... وأسيرةً والفقرُ والأحسانُ
وتُبَادَلُ النظراتُ وهي نفوسُنَا ... ويُبادَلُ الإيمانُ والكُفرانُ!

الكنز المعروض

مَنْ ذا تُسَوِّلُ نَفْسُه في نَشْوَةٍ ... لفؤادِهِ أن يَستطِيبَكِ مُتْعَةً؟
مَنْ يستطيع وإنْ تَجَرَّأَ أن يُرَى ... لكِ لاثماً مهما تَخَيَّلَ لثمةً؟
حَرَسَتْكِ أمواجُ المياهِ بوثبِها ... وزئيرِها وحَماكِ روعُ الناسِ
فأسرْتِهِمْ وجذبتِهِمْ وتركتهمْ ... في حيرةٍ لمواقعِ الحُرَّاسِ!

اليُتم

ألقاكِ في صَمتي الحَزينِ وإنّما ... قلبي هو البَكّاءُ والبَسَّامُ
ألقاكِ في بشْرِ الحنَانِ بمُهجةٍ ... تَهْتَاجُها الأتراحُ والآلامُ

العيدُ كلُّ دقيقةٍ وثَّابةٍ بسناكِ يُشْغِلُهَا رضىً وغرامُ
واليُتْمُ كلُّ دقيقةٍ قد فاتها عُمري إذا شُغِلَتْ بكِ الأيامُ
شَغَلَتْكِ عن قلبي الذي لم يُنْسِهِ شُغْلٌ بغيركِ، لا ولا استسلامُ
طلبَ الجمالَ لرُوحِهِ ولِفنِّهِ فإذا جمالُكِ مُلْهِمٌ رسَّامُ
فكأنما هذي الحياةُ بأسرِها لكِ كالظلالِ يحوطها الإلهامُ
وكأنما شعري – الذي أشدو به لكِ – أنتِ أنتِ، وليست الأنغامُ[1]

*****

الشَّيْبُ أشعلَ عارضيَّ ولم أزَلْ ذاكَ الصَّبيَّ شرابُهُ الأحلامُ
كنّا نخافُ مِن الرقيبِ فعلِّمتْ دُنيا الهمومِ الحبَّ كيف يُضامُ
وحييتُ مثلَكِ كاليتيمِ، وإنما أنا وَحْديَ البكَّاءُ والبَسَّامُ!

حمّام الشمس

وَقَفَتْ أمامَ الشَّمْسِ لكنْ لم تَدَعْ للشمسِ إلاّ لمحةَ المحرومِ
سَقَطَتْ أشعَّتُها عليها مثلما سقطتْ خواطرُ عاشقٍ محمومِ
نَفَذَتْ إليها مِنْ تَسامُحِ كُوَّةٍ في الغرفةِ الظلماءِ كالأحزانِ
النورُ يَنهلُه السوادُ بلهفةٍ كالماءِ ينهلُه فمُ الظمآنِ
وَقفتْ تُناوبُ حُسْنَها ما أحسنتْ هذي الأشعةُ وهي تَرْشُفُ حُسْنَهَا
فينالُ نورُ الشمسِ روعةَ فنِّهِ وينالُ هذا الجسمُ ثمةَ فَنَّهَا
مَنْ ذا الذي يَدْرِي، فكم مِنْ ذرةٍ فيها تَدينُ بِرُوحِهَا للشمسِ
والشمسُ كم فيها عواطفُ أنفسٍ إنَّ العواطفَ مِنْ شُعاعِ النفسِ!

---

[1] أي أن هذا الشعر صورتها هي وليست الأنغام صورة شعره.

الظمـــأ

في كـــلِّ روضٍ للجمـــالِ مُؤمَّـــلِ ... رُوحـي تُرفـرفُ للمُحِـبِّ وللخلـي
تستنشـقُ الحُلْـوَ العـبيرَ كأنهـا ... تستنشـقُ العُمْـرَ الجديـدَ لمجتَلـي
فتعـود أَظمـأ مـا تكـونُ وإنْ جَنَـتْ ... نِعَمَـاً مـن الإحسـانِ والتجديد لـي
فكأنَّهـا – أنَّـى اسـتطاب حنينُهـا ... صُـوَرَ العَـزَاءِ – تَشـيمُ أولَ منـزلِ
فتسـيرُ في هَـدْيٍ ودونَ هدايـةٍ ... تشدو بشعر (حبيبَ) شدوَ تَجمُّلٍ[1]:
نَقِّل فـؤادَك حيث شِئتَ من الهوى ... مـا الحُـبُّ إلاّ للحبيـبِ الأوَّلِ!

الطـائر الميـت

يـا لوعـةَ الوجـهِ الصَّـبيحِ الوسـيمْ ... للطـائرِ المُلْقَـى علـى ظهـرِهِ
جاءَتْـه كـالأمِّ الحنـونِ الـرؤومْ ... لكنهـا جـاءتْ إلى قـبرِهِ!
في لهْفَـةٍ يـا طفلـتي عاتيَـهْ ... وقفـتِ أم في حـيرةٍ أم ذُهُـولْ
لمسـتهِ خائفـةً عانيَـهْ ... راجيـةً لكـنْ مِـنَ المسـتحيلْ
أيـنَ الحبيـبُ الشَّـدْوُ مِـنْ رُوحـهِ ... وصَـدحةٌ منـه تنـاجي الحيـاهْ؟
فيـذهب الحـزنُ لـدى وَقْعِـهِ ... كأنمـا الطـيرُ رسـولُ الإلـهْ!
إنْ تَحزنـي يـا طفلـتي فالأسَـى ... لا شـيءَ في جنبِ الخَسَـارِ الألـيمْ
لم يُفْقَـدِ الطـيرُ ولكـنْ مَضَـى ... في فَقْـدِهِ روحٌ لفـنٍّ عظـيمْ
لا تحْزَنـي أو فـاحزَني بعـدما ... قـد خانـكِ الدهرُ بموتِ الصديقْ
فـالموتُ كـالعيشِ إذا مـا انتمـى ... للفـنّ، فـالفنُّ عزيـزٌ طليـقْ!

---

[1] البيت التالي لأبي تمام، واسمُه حبيب بنُ أوس الطائي.

لو كنت لي

لـو كنـتِ لـي لرفعـتُ كـلَّ نظيمـي ... لـكِ، واتخـذتُكِ نشْـوَتي ونـديمي
وجعلـتُ مجلسَـكِ الشـهيَّ عبـادةً ... تُخْـتَصُّ بالقربـانِ والتكـريمِ
أمَّـا وحظـي منـكِ خطـفُ أشـعةٍ ... أمَّـا وقُربـي منـكِ قـربُ غـريمِ
فـدعي فـؤادي يَسـتطِبُّ بوهمـهِ ... بـين المنـوَّعِ مِـنْ خيـالِ نعـيمِ
فيزيـد إيمانـاً بنعمتِـكِ الـتي ... ولَّـتْ وأعقبَهـا شُبُوبُ جحيمـي!

*****

لـو تُـدركين تَلَهُّفـي كتفجُّعـي ... أُخفيـهِ في صـمتٍ عرفـتِ ألـيمِ
لرثيـتِ لـي ورأيـتِ حـالَ مـودِّعٍ ... خـدعوه قبـلَ المـوتِ بـالتنعيمِ!

في الحمَّام

سـارتْ تجـاهَ المـاءِ وهـو كأنّـه ... دُنيـا تحـنّ إلى الضـياءِ حَنينَـا
غَلبتْـه ظلمـةُ حظّـهِ حتـى تُـرَى ... فيـهِ فيغْمَـر بالضـياءِ فُنُونَـا!
سـارتْ علـى مَهْـلٍ ومِلءَ رشـاقة ... ولكـلِ جـزءٍ لهجـةٌ وشُـعورُ
سـارتْ وكـلُّ تَخطـرٍ منهـا حَـوَى ... شِـعْراً يعبّـر عنـه هـذا النّـورُ
لمَ لا تُحَجَّبُ وهـي سِحْرُ أُلُوهـةٍ؟ ... لِـمَ لا تـبينُ وكُلُّهـا إلهـامُ؟
مَـرأى عليـه مِـنَ الطهـارةِ هالـةٌ ... ومُنـىً تُـراقُ حيالهـا الأحـلامُ
سـبحانَ ربّـي شـاعراً ومُصَـوِّراً ... مـا حـازَ ريشـتَه البديعـةَ حـاكي
قـد صـوَّرَ الإنسـانَ مـن نفحاتـهِ ... صُـوَراً مـن الأربـابِ والأمـلاكِ
مَنْ كان يَشـهدُ ذلك الحسنَ الذي ... يَختـالُ في ملكوتـهِ الفنَّـانِ
في غـيرِ روعـةِ مَـنْ يَـدينُ لحسـنهِ ... بـالروحِ منـه فلـيس بالإنسـانِ!

الأصفار

نَأبى من الحَيَوانِ رَمْزَ هوانهِ ... ونُطيقُ رمزَ الذلِّ في الإنسانِ!
ما هذه الأَصفارُ أو ما شأنها؟ ... ما ذلك الإصغارُ للأديانِ؟
أنَّى اتَّجَهْنَا لا نرى إلاّ أذىً ... بتبذُّلِ الأرْوَاحِ والأَبْدَانِ
صُوَرُ الشُّرُورِ تَحَجَّبَتْ بتَسَوُّلٍ ... وتناسُلُ الإجرامِ شَرُّ هَوَانِ
لِمَ لا يُحَرَّمُ؟ بل لماذا لا نَرَى ... للعبقريَّةِ صولةَ الدَّيانِ؟
لمَ لا يُخَصُّ العجزُ بالحرمانِ ... ويُبَاحُ للموهوبِ والفنانِ
حتى نَرى الإنسانَ في عَلْيَائهِ ... رَبّاً من الأربابِ ليس بفانِ؟
عجباً! أننسى جنسَنا وحُقوقَه ... وَنَسوقُ فضلَ العلمِ للحيوانِ[1]؟
الأرضُ قد مُلِئتْ أحبُّ شبابها ... بمساوئِ الحشراتِ والديدانِ
حتى أكاد أُحِسّ أن فجَاجها ... فَقَدتْ بشاشةَ حُسْنِها الفتانِ
وغدَتْ حَراماً للنبوغِ، ومَرتعاً ... للعاجزين، ووصمةَ الإنسانِ!

سبحة الفقيه

ومُسَبِّحٌ للهِ يَأبَى رَبُّهُ ... هذا التَّقَرُّبَ منه في تسبيحهِ
في كلِّ لفظٍ يُستعادُ شواهدٌ ... عن إثمه والصوتُ صوتُ جريحهِ
كم مِنْ فقيهٍ في ثيابِ مُنزَّهٍ ... ويُطلُّ من عَيْنَيْهِ روحٌ أثيمٍ
تجري أناملُه على خرزاتهِ ... جرىَ اللئامِ على حسابِ كريمِ

---

[1] يدين الشاعر باليوجينية أي إصلاح النسل الإنساني بتعقيم المعتوهين والمجرمين وأشباههم وتنمية العبقرية الوراثية ومنح العباقرة من الجنسين حقوقاً تناسلية خاصة.

وتَلـوحُ سُـبحتُه كثعبـانٍ بـلا … روحِ سـوى روحِ الفقيـهِ العـاتي
مَـنْ ذا رأى الثعبـانَ سُـبحة عابدٍ … ورأى الصلاة مصـابَ كلِّ صلاةِ؟

الحيـــاة

هـذي الحيـاةُ علـى الحيـاةِ تُطِـلُّ … وتُشَـاقُ مِـنْ أضـوائِهَا فتَعِـلُّ
ترنـــو إلى إيحائِهـــا بِتَبَسُّـــمٍ … ومِـنَ التَّبَسُّـمِ نُورُهـا والظِّـلُّ
عَرَضَـتْ محاسِنَها علـى ألحانهـا … فَتَصـُـدُّ مـا تُـوحِي بـه وتَـزِلُّ
وأبـى وفـاءُ الفـنِّ إلا قَبْسَــةً … منهـا فيُعْـرَفُ فَنُّهَـا ويُجَـلُّ
ألَـقٌ مـن الأسـحارِ عُـدَّ مُجَسَّداً … في كـلِّ جـزءٍ مـا حكَـاهُ الكُـلُّ
تَجـدُ الحيـاةَ تَحِـنُّ مـن أثنائـهِ … شَـطْرَ الحيـاةِ، ومـا تقـولُ أجَـلُّ
جُبِلَـتْ براحـةِ عبقـريٍّ مُفْـرَدٍ … وكأنمـا هـو مُكْثِـرٌ ومُقِـلُّ
وكأنمـا هـي فِتنـةٌ لا تنتهـي … حـين المَفَـاتِنُ تنتهـي وتُمَـلُّ
هـذي الحيـاةُ لمـن يـرومُ بيانَهـا … فـإذا عبثـتَ بـه فسـوف تَضِـلُّ
وإذا عرفـتَ غِنَـاهُ كـان لـكَ الغِنَـى … أو لا فَفَقْـرُكَ أنـتَ حـينَ تَـزِلُّ

صوم غاندي

تَصُـومُ مكفِّـراً عـن إثـم دُنيـا … يَسيرُ بهـا القويُّ على الضعيفِ
أبَـتْ إلاّ الجنـونَ بكـلِّ عصـرٍ … فما أدنى السخيفَ إلى الحصيفِ
تَسـيرُ علـى هُـدىً وبغـير هَـدْيٍ … كما سَرتِ العواصفُ في الخريفِ

وما برحتْ تقسّم ساكنيها صفوفاً للخصيمِ وللأليفِ
لَدُنْ عاشَ الجميعُ ضُيوفَ موتٍ وبئسَ الجودُ مِنْ هذا المُضيفِ!

*****

أراكَ أُلوهةَ الإنسانِ لاحتْ وقد سحقَ الغرورُ هُدى الألوفِ
وقفتَ مجرَّداً عن كلِّ مَجْدٍ سوى مجدِ الإباءِ على الحتوفِ
وكان الناس عُبداناً لحربٍ فحقَّرْتَ العتيَّ من السيوفِ
وعلّمتَ الأنامَ وأنت تَشْقَى معاني الحبِّ واليأسِ الشريفِ
وأحييتَ الضمائرَ وهي قَتْلَى فأُسْعِدَ كلُّ منبوذٍ أسيفِ

*****

مَسيحَ العصرِ رُوحُكَ روحُ ربٍّ كريمٍ أو أبٍ حانٍ عفيفِ
تذوق الموتَ ألواناً وتَحْيَا ليرضَى الناسُ بالألمِ المُخيفِ
ولو عقلوا لعاشوا في إخاءٍ وهاموا بالتسامي لا الوقوفِ
إذنْ لَغَدَتْ فتوحُهمُو لنُبْلٍ وعاشوا في جَنى الخُلدِ الوريفِ

*****

أتيتَ إلى الورى مِن قَبلِ يومٍ يُقدِّسُ كلَّ ما تَعنى ويُوفي
وذنبُ المصلحين إذا عددنا لهم ذنباً مناصرةُ الضعيفِ

النظر الجريء

لا تَرهبي نظري الجريءْ هو لن يُسيءَ ولو أُسيءْ
هو نشوةُ الحبِّ الطَّهو رِ ووَثْبَةُ الرُّوحِ المضيءْ
رُوحي تُطِلُّ عليكِ مِنْـ ـهُ وتَجتلي القُدسَ الوضيءْ
وتَعُبُّ مِنْ هذا الحَنانِ شرابَ كوثرِها الهنيءْ

هــو خُلْسَــةٌ مِــن نعمــةٍ عُلويــةٍ ليســتْ تفــيءْ
خُطِفَــتْ مِــنَ القَــدَرِ العــتيِّ لَــدَى ظِــلالِ مِــنْ هُــدوءْ
فعــلامَ نخشــاها ومــا فيهــا ســوى السُّــكْرِ الــبريءْ؟

النــاس

أسـيرُ فـلا أرَى في النـاسِ ناسـاً ولكنّــي أرى صُــوَراً أمــامي
إذا كثـر الزّحـامُ وخفـتَ منهـا فأقواهــا ضــعيفٌ في الزّحــامِ
شُـخوصٌ لا يُصـانعها سـوى مَـنْ يَـذلُّ عـن الشّـخوصِ مـن الأنـامِ
ومـا يُجـدِي لهـا أبـداً مَـلامٌ فمـا هـي في الـيقينِ ولا المَـلامِ
لقـد سـاد الطَّغـامُ الـدهرَ حتـى حَسبنا المجـدَ مِـن فضـلِ الطَّغامِ
فـدعْني لا أُحـاذرُ أو أُبـالي بأوشــابِ المناكيــدِ اللئــامِ
لقـد قتلـوا كـرامَ النـاس قـتلاً فحسـبي إنْ أمُـتْ مـوتُ الكـرامِ
ودَعْـني في إبـائي فهـو عنـدي أجَـلُّ مِـنَ انتقامِـكَ وانتقـامي

التحــرر

حيـاتي لم تكـنْ يَوْمـاً بعُمـري ولكــنْ بالتَّصَــوُّفِ والمعــاني
أنـا ابنُ هـوايَ ثـم أنـا ابنُ فكري ولســتُ أعـيش في هــذا الزمـانِ
أعـيشُ بكـلِّ عَصْـرٍ عبقـريٍّ تــألَّقَ في الشــعورِ وفي البيــانِ
وفي نفسـي حُـروبٌ لـيس تفنـى حــروبٌ للســموِّ وللــهوانِ

كأنّي لستُ فرداً في صِفاتي ... ولكنّي جُموعٌ في كِيَاني

لئِنْ حُرِّرتُ من إرهاقِ نفسي ... لنفسي هانَ عندي ما أُعاني

الرموز

دَعَوْها الغانياتِ ذواتِ دلٍّ ... كما نُعِتَتْ بآياتِ الحسانِ

وقلبي لا يَرَى إلاّ رُموزاً ... حَجَبْنَ فنونَ ألوانِ المعاني

فلستُ بمن يَرَى جسماً ونفساً ... ولكنّي أرى صُوَرَ البيان

فأجْهِدُ خاطري فيما أراه ... ولكن كيف تُسْعِف مقلتانِ؟

ولو أنّي وُهِبْتُ عيونَ دُنيا ... وجُزْتُ مَدَى التوثُّبِ والحَنَانِ

لما بُلِّغْتُ مَعْنَى كلِّ حيٍّ ... ولم يَعْدُ الرموزَ بها افتتاني!

البسمة الحزينة

لمّا رأيتُكِ والمآسِي ظَلَّلَتْ ... عَيْنَيْكِ والوجدُ العميقُ يبوحُ

أرسلتُ روحي في قرارِكِ ناظراً ... لحظَيْكِ فاعتُقِلَتْ لديكِ الرُّوحُ

حتى ابتسمتِ فما عجبتُ لبسمةٍ ... تَسْبي كما قد حرَّرَتْ وجداني

إلاّ لبسمتكِ الحزينةِ، إنها ... خُلِقَتْ من الأفراحِ والأَحزانِ

مِثْلُ الأشعَّةِ أُرْسِلَتْ أمواجُها ... بين الغُيُومِ فكنَّ رُسْلَ رَجاءِ

هل عند بسمتكِ الحزينةِ مِنْ مُنىً ... إلاّ مُنَى الإصباحِ والإنداءِ؟

لَهَفِي عليها لا تَعيشُ، فإنما ... للصُّبْحِ عمرٌ مِنْ خَيالِ الفَجْرِ

يَمْضِي إلى البحرِ الخضمِّ فلا يُرَى | منه سوى دَمْعٍ بعينِ الزَّهْرِ
أإذا سألتُكِ تَبْسِمينَ هنيهةً | أُخْرَى، فأستجلي بها مَعْنَاكِ؟
مَعْناكِ مِنْ لُبِّ الحياةِ، وإنما | مَعْناكِ أبعدُ مِنْ مَدَى إدراكي
لا تَضحكي ضحكَ المدامةِ إنْ رأتْ | لَهَفَ الذينَ يحطمونَ إسارَها
بل فابسِمي بهواكِ أنتِ حزينةً | لنرى ضياءَ النفسِ يَصحبُ نارَها!
هذي نماذجُ كلُّ حُسْنٍ ساحرٍ | يخطرن بين روائعِ الألوانِ
مِنْ كلِّ قاهرةِ الجمالِ كأنَّها | أبداً تَحَدَّتْ قدرةَ الفنَّانِ
يَخْطُرْنَ والشَّمْسُ المُطِلَّةُ تَنْتَشِي | بمواكبِ الأشواقِ والإغراءِ
ولكلِّ فاتنةٍ شواهدُ فتنةٍ | جَلَّتْ عن التكرارِ عند الرائي
أرنو إليها بين لُبٍّ حائرٍ | نَهِمٍ وبين تعطُّشٍ لفؤادي
وأراكِ أنتِ ببسمةِ الحزنِ التي | تُشْجِي فأوثرُ أن أفيكِ ودادي

منازل النيل

مَنازلَ النيلِ! مَنْ أَعْطَى الغريبَ مَدَى | هذي العُهُودِ فأحياه وأفناني؟
أنا ابنُ مصر، أنا الباكي للوعتها | أنا المخلِّدُ نجواها بألحاني
أنا الذي أتناسَى ما أنوءُ به | لكي أعبِّرَ عنها مِلْءَ أحزاني
فإنَّ أفراحَها ليست سوى فرحي | وإنَّ أشجانَها همِّي وأشجاني

*****

مَنَازلَ النيلِ! هذا حالُنا عَجَبٌ | فكلُّنا قائدٌ في قيدِ عانِ
كأنما عظةُ التاريخ ما عُرِفَتْ | أو أن أحداثَهُ أحداثُ بهتانِ
فيمَ الجنودُ وفيمَ القائدون لهمْ | وهم بلا خطةٍ تُرْجَى وميدانِ؟

نستعرض الجيشَ والنيرانُ صارخةٌ ونحن نُشْعِلُ نيراناً بنيرانِ!

*****

مَنازلَ النيلِ! ما لي حائراً وجِلاً أنا الشجاعُ، وما لي طيَّ أكفانِ؟

هذا الشروقُ يحيّيني فأهجرُهُ وذا الغُروبُ غريبٌ حين ناداني

وهذه نُخَبُ الأزهارِ باسمةٌ كما عَهدتُ ولكنْ دونَ إيمانِ

والنيلُ... والنيلُ يجري كلُهُ ترحٌ كأنّ أتراحَه مِنْ نبعِ وجداني

*****

مَنازلَ النيلِ! هذي جَنَّة أنُفٌ فكيف تُتْرَكُ خِلْواً دونَ جَنَّانِ؟

كيف العبيدُ لسُكنَاهَا وما خُلِقَتْ يوماً لمسكنِ أنجاسٍ وعُبدانِ؟

أين البطولةُ غنَّينا بها زمناً ولا نزال نغنِّي ملءَ أزمانِ

حتى تعيدَ جلالاً بات منصرماً فلن يقومَ جلالٌ بَعْدَهُ ثانِ؟

*****

مَنازلَ النيلِ! كم أنسٍ وكم غَزل نظمتُ فيكِ وكم راحٍ وريْحانِ

ما بالُها اليومَ والأحداثُ صاخبةٌ أعافُها وأعافُ الآنَ ديواني؟!

أكاد أحرقُ يأساً كلَّ ما جمعتْ صحائفُ الشعرِ مِنْ شَدْوي وأوزاني

كأنّ صحراءَ عيشي أشعلتْ أَسَفي فصرتُ أبغضُ أطياري وبُستاني!

*****

منازلَ النيلِ! ما غَنَّيْتُ في طَرَبي إلاّ وحُسْنُكِ صَدَّاحٌ لآذاني

كلّي عيونٌ وآذانٌ وعيتُ بها جمالَكِ الصفوَ في عَزْفٍ وألوان

وما رسمتُ جمالاً كنتِ صادقةً عنه، ولا خُنتُ يوماً عهدَ أوطاني

فما لأروعِ شعري بات يُؤلمني كأنما هو من إيحاءِ شيطانِ؟!

*****

مَنازلَ النيلِ! كم في الناسِ ذي ظَمَأٍ يَكفيه رِيٌّ فيُمْسي غَيرَ ظمآنِ

وكم شكاةٍ على طرسٍ وفي صُحُفٍ تُتْلَى وتُنْسَى كما يُنْسى الجديدانِ

وكم حَوادثَ يمضي الخائضون بها كأنها لم تَقُمْ يوماً بأذهانِ
أمّا أنا فحياتي كلها ظمأٌ وإنْ نُسِيتُ فما أحيا لنسيانِ

*****

مَنازلَ النيلِ! يَجْرِي النيلُ متّجهاً إلى الخِضَمِّ ويجري العالَمُ الفاني
إلاّ هَوايَ لأَرضٍ روحُها بدمي وَجوُّها بمعاني الحبِّ أحياني
رثيتُها وكأني قد رثيتُ بها نفسي وأهلي وأحبابي وخلاني
لو أننا أمةُ الأحرارِ ما خُذِلَتْ رُوحٌ تثور على ظُلمٍ وأوثانِ

ذكرى شوقي

عادَ الخريفُ فَلُحْ وأنت بَعيدُ في الذكرِ، فالذكرُ المؤثَّلُ عيدُ
ليس الربيعُ وإن نأى بمُغَيَّبٍ إنّ الخريفَ يُبيدُه ويُعيدُ
أمُعَلِّمَ الأطيارِ من إنشادهِ للطيرِ باسمكَ في الحياةِ نشيدُ
ومجدِّدَ الأعمارِ في ألحانِهِ فنٌّ كفنكَ طبعُهُ التخليدُ
إنْ كان غيَّبَهُ المحيطُ فماؤهُ هذا الغمامُ يزيدهُ التجديدُ

*****

يا شاعرَ التصويرِ، يا لحنَ الأسى والحظِّ، عمرُكَ نشوةٌ وقصيدُ
أبكيتَ في الإسكندريةِ راثياً مَنْ ذا الذي يرثيكَ حين يُجيدُ؟
إن كان يُعجزني الرثاءُ فها أنا بهوى النبوَّة لا أزال أجيدُ
بالأمسِ شِعرُكَ رنَّ يرثي حافِظاً والدهرُ مُستَمِعٌ إليكَ شهيدُ
فإذا بحفلِ الأمسِ[1] يرجع باكياً وإذا بكاءُ اليومِ فيكَ فريدُ

*****

---

[1] إشارة إلى حفلة التأبين التي أقامتها له (جماعة الأدب المصري) في الإسكندرية.

شوقي! سألتُ الدهرَ عنكَ فلم يُجب ... مـا كـان مثلـك لـو يَغيـبُ يَبيـدُ
أتـراكَ مـلءَ عـوالمٍ مجوبـةٍ ... عنـه وعنـا، أم عُـلاكَ وحيـدُ؟
هيهـاتَ يـدري للخلـودِ حقيقـةً ... فـانٍ، ومـا يـدري السموَّ عَبيـدُ
شـابهتَ صـاحبَكَ الزمـانَ تَعمُّقـاً ... ومَـدًى، فوحيُـك رائـعٌ ومديـدُ

*****

غِرّيدَ هـذا العصرِ! كم بوجودِهِ ... مُصـغٍ، فـأين البلبـلُ الغرِّيـدُ؟
هـذي الممالـكُ في الـترابِ سميعـةٌ ... والنيـلُ سـيرُ الـوحي فيـهِ وئيـدُ
ورُؤَى الطبيعـةِ لا تهـشُّ لحـالمٍ ... أو لا تَـبينُ، وفاتَهـا التمجيـدُ
وتـلالُ (طيبـةَ) في الـرَّدَى مشـبوبةٌ ... فكـأنّ فنَّـك فاقـدٌ وفقيـدُ
مَـنْ ذا الـذي عنـد ادّكـارِكَ لا يُـرَى ... وَجِـلاً، وهـذا الخطبُ فيكَ شديدُ؟
لم يَـذهبِ العـامُ الحـزينُ ببعضـهِ ... لـو كـان في الـذكرِ الحـزينِ سـعيدُ
مـا كـلَّ يـومٍ شـاعرُ الـدنيا الـتي ... تفديـه لـو يَرْضَـى الفـداءَ وجـودُ
إنْ مـاتَ مـات بكـل لـبٍّ شـاعرٍ ... أمـلٌ أحـقُّ بمثلـه الترديـدُ
وإذا سـلاكَ النـاسُ لمْ تَسْلُ العُلـى ... مَـنْ كـانَ يُنْشِـدُ باسمِهـا ويَشـيدُ

*****

دُنيـا الحقيقـةِ قـد بكتْ دُنيـا الهوى ... والحُسْـنِ وانصـرَمتْ مُنـىً وعهـودُ
كلتاهمـا في الـرزءِ بَعْـدَكَ شـاعراً ... بهـا يُفـيءُ عليهـا ويجـودُ
وأجَـلُّ رُزءٍ للجمـالِ، فَروحُـه ... بجمـالِ شـعرِكَ خـافقٌ مَشـهودُ
الحـبُّ فيـه موائـدٌ لا تنتهـي ... والحسـنُ فيـه مؤلّـةٌ مَعْبُـودُ
وكـأنَّ مُوسِـيقَى الحيـاةِ جميعهـا ... مـا يبـدعُ التصـويرُ والتوليـدُ
لفـظٌ يسـيلُ وفي جَنـاهُ حـلاوةٌ ... حينـاً، وحينـاً ثـورةٌ ووعيـدُ
كالجدولِ الجـاري أو البحـرِ الـذي ... يَـدوِي، وآنـاً شُـعلةٌ ورعـودُ
وجميعُـه صُـوَرُ الجمـالِ، فلـيس في ... صُـوَرِ الجمـالِ مقيَّـدٌ محـدودُ

*****

في ذمةِ التاريخِ رقدتُك التي ... هي يقظةٌ حين الأنامُ رُقودُ

ما ماتَ مَنْ وَهبَ الجمالَ حياتَه ... إنَّ الجمالَ ألوهةٌ وخُلودُ

التنابذ

أبناءَ موطنيَ الذليلِ بخُلفِكمْ ... إنّ التنابذَ خلفَه استسلامُ

فكَّرْتُ في أقوالنا وجهادِنا ... فإذا جُهودُ القائلينَ كلامُ

وَلَّى الشبابُ وكم طفرتُ بروحهِ ... وأتى المَشيبُ وكلُّه آلامُ

اللهُ يصفحُ عن حماسةِ مهجتي ... إنَّ الحماسةَ كلها أوهامُ

إنّ الشجاعةَ للحقيقةِ وحدها ... غيرُ الحماسةِ خلفها الأحلامُ

ذهبَ التحزُّبُ بالبلادِ وأهلها ... إنّ التحزّبَ غالباً هدّامُ

وبدا التضامنُ باسطاً يَدَهُ لنا ... والرُّشدُ يَصحبهُ، فكيفَ نُضامُ؟

الغبن

وطني! أهونُ عليكَ حين دقائقي ... وَقْفٌ عليكَ؟ أللوفاءِ أهونُ؟

جاوزتُ هذي الأربعينَ كأنني ... منذ انتبهتُ مُسَخَّرٌ مغبونُ!

خاصمتُ نومي، واستبحتُ مواهبي ... لعلاكَ في زمنٍ يسودُ الدُّونُ

وطني! أمثلي ليس يُنْصَفُ مرةً ... أمْ أنَّ إنصافَ الأبيِّ جُنُونُ؟!

أَأظلُّ أشقَى هكذا في مِدْيَتي ... حين الجحُودُ بشقوتي مَفتُونُ؟!

مَنْ يُبلغُ الأحرارَ أنّي عبدُهُمْ ... لكنَّ قلبي طيّعٌ ومَصُونُ

هيهات لي مجدٌ سوى مجدٍ لهم ... فإذا حجايَ محارَبٌ مدفونُ!

الجمال الإنساني

يَنبضُ الكونُ بالجمالِ ولكنْ كم جمالٍ حيالَنا لا نَراهُ
في جمالِ الإنسانِ للشَّاعر الـ فنَّانِ مَعْنىً يُطِلُّ منه الإلهُ
كيف أُغْضِي عن وصفِه وهو كُلٌّ حينما الجزءُ كلُّ حُسنٍ سِوَاهُ؟!

لعبة ابنتي

(أبيات ارتجالية)

أنتِ يا لُعْبَةَ ابنتي ذاتُ رُوحٍ وخفَّةِ
أنتِ عندي عزيزةٌ وهي عندي عزيزتي
أنتِ مَثَّلْتِ طبعَها في صفاءِ المحبَّةِ
هِرَّةٌ أنتِ، إنما أنتِ لي غيرُ هِرّةِ
إنّ عينيكِ فيهما سِرُّ لُبٍّ وفطنةِ
أترى حُزْتِ سِحْرَهَا كم لدى الحُبِّ آيةِ
كم تَوَسَّدْتِ جَنْبَهَا في فراشٍ بنعمةِ
كم تَمَلَّيْتِ رُوحَها في حَنانٍ ورحمةِ
كم تشَاكيتُمَا على نَظْرَةٍ بعد نَظْرَةِ
كم تصاحبتُمَا على كُلِّ يُسْرٍ وشِدَّةِ
فإذا أنتِ رَمْزُهَا رُبَّ رمزٍ بدُمْيةِ!

سكـن الهـواء

أنـــأبى الأرضَ وهـــي أبٌ وأمٌّ فنغـــبطَ كـلَّ ســكانِ الهـواءِ

ونعشـــق أن نطـيرَ بهــا كأنَّــا دَنَوْنَــا مِــنْ عُلــى ربّ السـماءِ؟

تنفَّســنا الهـواءَ بهــا شـهيّاً نَقِيّـــاً لم يُلَــوَّثْ بالريـــاءِ

ونكتســحُ الفضــاءَ بـلا سُــدودٍ وكـــم في الأرضِ سَــدٌ للغبـــاءِ

ونعــرضُ تحتنــا الــدنيا كأنّــا خلقناهـــا لســجنِ الأدنيـــاءِ

مَشــاهدُ كلُّهــا لُعَــبٌ تــراءتْ تَطــيرُ، وكُلُّهــا وَهْــمٌ لرائـــي

وبعــضُ الــوهمِ إنقــاذٌ لــروحٍ تفـرّ مــن الشـقاءِ إلى الشــقاءِ

البقيــة

أرعَـى بقيــةَ أعـوامي كـأنَّ بهــا بقيــةً مـن جـريحِ الحـربِ تُحييـهِ

قد شوَّهتْني صروفُ الدهرِ جانيةً فمـــا بقايـــايَ إلاّ مِــنْ عواديــهِ

ومــزَّقتني المآســي في مَعاركهــا فمـا رثيـتُ لعمـري حـين أبكيـهِ

لكنْ بكيـتُ علـى قـومٍ وفيـتُ لهم فكافـــأوني بتعـــذيبٍ وتســـفيهِ

ما أصغرَ الشعبَ إنْ هانَ الصديقُ به وســـادَ فيــه لئـيمٌ مِــنْ أعاديــهِ

وأحقرَ الناسَ في خِزيٍ وما شعروا كأنّمــا الخـزيُ مـن أوهـامِ معتـوهِ!

السفهــاء

ولو حَرَصَ السُّوَّاسُ للناسِ دائماً على نسلهم واستبعدوا كلَّ جارمِ

لمــا نَـدِمَتْ هــذي البسـيطةُ مـرةً علـى كـرَمٍ بـل أشـرقتْ بالمكـارمِ

وكنّا نـرى الإنسانَ أشرفَ عَاملٍ وأصـلحَ مخلـوقٍ وأنبـلَ راحِـمِ
تـألّقَ مِـنْ عينيـهِ وحـيُ ألوهـةٍ ومـا وحيُهـا إلاّ ردَى كـلِّ ظـالمِ
ومـا قال يومـاً مُحْسِنٌ عُدَّ مجرمـاً علـى فضلـهِ بـينَ الأذى والمغـارمِ:[1]
ومَـنْ عـرفَ الأيـامَ معـرفتي بهـا وبالنـاسِ رَوَّى رُمْحَـهُ غيرَ نـادمِ!

حنين الشجرة

تَهتـزُّ أفرعُهَـا ويُنْثَـرُ زَهْرُهَـا وكأنَّمـا حمـلَ النَّسـيمُ حبيبَـا
فيُـرَى التهافُـتُ ثـمَّ في أوراقِهـا وغُصـونها متتابعـاً وعجيبَـا
والزَّهْـرُ تَنثُـرهُ تحيـةَ قلبهـا فـالزهرُ أصدقُ مَنْ يَسوسُ قلوبَا
وكـذاكَ حـالي في إسـارٍ دائـمٍ فـأزفُ شـعري زهـرةً ونسـيبَا
وتَعـيشُ في خِصْـبٍ، ولكنِّـي أنـا في الجَدْبِ ألقَـى الأَسْرَ والتعذيبَا!

المطيـــة

يريـدون منّـا أن نكـون مطيـةً تُسَـاقُ وإلاَّ أن نُسَـاوَمَ في الحَـقِّ
فيـا هـولَ يـومٍ يَغتـدي فيـه مُـذعِناً إلى الرّقِّ مَنْ قد ثار قبلاً على الرقِّ
علـى أيِّ وهـمٍ ذلـك الخُلْـفُ دائمـاً وهل يعرفُ الخصمُ الحقوقَ لمنشقِّ؟
سـبيلكمُو تـدويخُهمْ بصَـلاَبةٍ بناها التـآخي لا العنادُ مع الحُمق
سبيلكمُو أن يَيأسُوا مِنْ خصومةٍ وأن تهزمـوهم بالمتانـةِ في الخُلْـق

---

[1] البيت التالي للمتنبي.

دعونا من النُّصحِ السخيفِ لخصمِكمْ فكم هو أدرى بالقساوة والرفقِ

لقد حكمَ الدنيا العريضة حِذقُهُ فهل مثله يحتاج منكم إلى الحذقِ؟

وهلْ مِنْ سلاحٍ في صرامةِ قطعهِ أحدّ من الإيمان بالحقّ والصدقِ؟

إذا جهلوا رُوحَ التآخي مُنَزَّهاً عن اليأسِ كان الرقُّ أجدى من العَتْقِ!

الفدائية

لمن الفداءُ؟ لمصرَ؟ وهي هي التي لَطَمَتْ وساءتْ همّتي وكفاحي؟

لأَعزّ أهلي؟ حين طاب لجمعِهمْ لَوْمي، كأني مِنْ ضحايا الراحِ؟

لأَحبِّ صحبي؟ حين أكثرُهم أبى إلاّ التفلسفَ في أذىً ومزاحِ!

ضَيَّعْتُ عُمري فادياً أو رائداً فرجعتُ فوقَ محطَّمِ الألواحِ

ومِنَ العجائبِ لا أزال أحنُّ في غَرَقي حنينَ الرائدِ الملاَّحِ!

*****

دُنيا الإساءة، ليس تعرفُ مرةً أن تستغلَّ مواهبَ النَّاحِ

تُشقيهِ، وهو كأنه عبدٌ لها وتردُّه بسلاسلِ الأتراحِ

فيظلّ في أبديَّةٍ من سجنهِ رغمَ الفِداءِ لمجرمٍ ووَقاحِ!

*****

لا تُضْحِكُوني بالمديحِ فإنَّني متعثّرٌ خَجَلاً على أمداحي

بل فانْعتُوني بالجُنونِ لأنني آمنتُ بالأخلاقِ والأرواحِ

ونسيتُ أني سابقٌ زمني، وما زمني بدنيا اللؤمِ والأشباحِ!

لاعبات التنس

يـــا جاريـــاتٍ في الهـــواءِ وطـــائراتٍ في الهـــواءْ
والضَّـــاريباتِ اللاَّعبـــاتِ لنـــا علـــى أُكَـــرِ الضـــياءْ
وَكأنَّهـــا بعـــضُ النجـــومِ الواثبـــاتِ مـــن الســـماءْ
أنـــتنَّ مـــا تَهَـــبُ الرشـــاقةُ والملاحـــةُ والرجـــاءْ
لأُولـــي الرجـــاءِ مِـــنَ المعـــاني المانحـــاتِ لنـــا البقـــاءْ
فـــالفنُّ ينـــبض بـــالعواطفِ والتَّحَـــرُّرِ في العطـــاءْ
نحيـــا بـــألوانٍ نُناجيهـــا لديـــهِ بـــلا انتهـــاءْ
بـــين التوثُّـــبِ والـــتحفّظِ والشـــجاعةِ والوفـــاءْ
أنـــتنَّ ثـــورةُ حســـنكنّ علـــى تقاليـــدِ الريـــاءْ
فـــيكنَّ مِـــنْ رُوحِ (الأُلمـــب) حـــرارةٌ للأوفيـــاءْ
تُـــوحي لنـــا معنـــى النضـــارةِ والتحـــرُّرِ والإبـــاءْ

*****

فتيـاتِ مِصْـرَ لِـمَ الخمـولُ مـن الصـباحِ إلى المسَـاءْ
مثـلَ الروابـي النائمـاتِ علـى الحُقُـولِ بـلا ارتـواءْ؟!
لا خـيرَ في مـوتِ الحيـاةِ يُصـاغُ في رَسْـمِ الحيـاءْ!

قِطّي مشمش

رأيتُـــه يَبكـــي وكـــم مـــن أنـــينْ لـــه، ثـــم كـــم مِـــنْ مُـــواءٍ حـــزينْ
فقلـتُ يـا (مشـمشُ) فـيمَ البكـاءُ وقـد كنـتَ بـالأمسِ ذاك اللعـينْ؟!

فأذهلَــهُ مِثْـلُ هــذا الســؤالِ ... لــدُنْ ثُكـلَ القطــةَ الغاليــهْ
أليســتْ "مِثــالاً" لــه في الجمــالِ ... وزوجتَــه الحلــوةَ الغانيَــهْ؟
ولكنَّــهُ قــد أبــى أن يُجيــبَ ... سُــؤالي بغــير سـكوتِ الأسَــى
وأيُّ أســىً بعــد روعِ الأســى ... إذا قَيَّــدَ اللُّسْــنَ والأنفسَــا؟
فأُشــعِرْتُ منــه بــأنَّ الجمــالَ ... لنــا ربمــا لم يكــن عِنْــدَهُ
ومــا هــانَ في قَــدْرِهِ عنــدنا ... تَمَثُّلــه في المُنــى حَــدَّهُ
يكــاد يعــيش الــورَى للخيــالِ ... إذا عــاش غـيرُ الــورى للحقيقَـهْ
ومــا نِسَـبُ النــاسِ غـيرَ الضـلالِ ... ولكــنَّهمْ قــد أحبُّــوا بريقَــهْ!

مأتــم الدنيــا

عَييــتُ بمــأتمِ الــدُّنيا فــإنّي ... لقيــتُ بهـا المـماتَ علـى التَّــوالي
أتيناهــا ضُــيوفاً ثــم جــادتْ ... لنــا بــالموتِ مــن دُونِ الســؤالِ
فــإنّ المــوتَ غايتُهــا وعُقْبــى ... هــداياها إلى ضــيفٍ وآلِ
فَــدَعْني مُنْصِــفاً دَعْــني أُنــاجي ... مَفَاتِنَهــا إذَنْ قبــلَ ارتحــالي
لأَقْطــفَ مِــنْ أزاهرِهَــا شميمــي ... فتلـك أحَـبُّ مِـنْ زهـرِ الخَيــالِ
أأشــهدُ هــذه الجنَّــاتِ حــولي ... وأحلــمُ بالخيــالِ وبالمُحَــالِ؟
وأخـترعُ الجمــالَ نعـيمَ نفســي ... غـداً، وأنــا المــوطّنُ في الجمــالِ؟
لِمَــنْ هَــذِي "النمــاذجُ" فِي سُــفورٍ ... بقُربــي، والجَنــى الغــالي حِيــالي؟
أليســت للفنــونِ خُلِقْــنَ حتــى ... تُخَلَّــدَ في الضّــياءِ وفي الظــلالِ؟
فكيــف أفُوتُهَــا تَفْنَــى فَنــائِي ... وأحرمُهــا دُعــائي وابتهــالي؟

وكيـف أعـيش مرتقبـاً ممَـاتي كـأنَّ الحـبَّ لم يخطـر ببـالي؟

إذا نـال الجمـالَ الصـفوَ قلـبي فحتـى المـوتُ يَرضـاه احتمـالي؟

في بور سعيد

أهـلاً عـروسَ البحـر، لم يَظْفَـرْ بهـا بَحْـرٌ، ولا أرضٌ، ولا أجـواءُ

تَتَلَفَّـتُ الـدنيا إليـك بموضـعٍ فـذٌ كمـا تَتَلَفَّـتُ الجـوزاءُ

إنـي رسـولُ الشّـعرِ جئـتُ ممثِّلاً لبنيـه، مُـذْ غَنَّـى بـكِ الشـعراءُ

تَحـيينَ أنـتِ نقيَّـةً وعزيـزةً والسُّـفْنُ شَـتَّى في حمـاكِ إمـاءُ

في البحرِ أم في البرِّ أم في الجوِّ قد راعتـكِ أحـلامٌ لهـا ورجـاءُ

*****

الصَّـيفُ جـاءَ فكنـتُ مِـنْ أطيـارِهِ وأتيـتُ يُـزجيني إليـكِ حـنينُ

هـذي الشِّـراكُ لمهجـتي منصـوبةٌ وأنـا قريـرٌ عنـدها وغـبينُ

أهـلاً شِـراكَ الحُـبِّ! كـلُّ مليحـةٍ أهفـو إلى نظراتِهَـا وأَديـنُ

مَـثَّلْنَ فتنـةَ (أفرديـتَ)، وهكـذا يُهْدي الجمـالَ عـن الجمـالِ أمـينُ

مَـنْ نَـالَ هـذا الأَسْـرَ مِـنْ شُـهَدَائِهِ فلـهُ الحيـاةُ، ومَـنْ عَـدَاهُ دفـينُ!

*****

يـا سـاعةً عنـد الغُـرُوبِ كأنهـا خُطِفَـتْ مِـنَ الأحـلامِ والأجيـالِ

ما بالُ هذي الشمسِ تُرسل وجدَها فـوقَ اللـهيبِ علـى الميـاهِ حيـالي؟!

مـا بـالُ هـذا المـوجِ يخفـق هكـذا خَفْـقَ الحيـاةِ تَوثَّبَـتْ لـزوالِ؟!

مـا بـالُ هـذا الحسـنِ يَبعثُ شـوقَه فـوق الرمـالِ إلى نُهـىً ورمـالِ؟!

مـا بـالُ هـذا الجـوِّ أُشْـبِع روحُـه بـالخوف والآلامِ والآمـالِ؟!

*****

السُّفْنُ تَبدو مِنْ قَنَاتِكِ مثلمَا | تبدو الرجاءُ لتائهِ الصحراءِ
حُمِّلنَ بالأرزاقِ مثلَ مَدائنٍ | وبَسمْنَ بالأحلامِ والأضواءِ
وكأنها لُعَبُ الزَّمانِ يَسُوقُهَا | ويُشَاقُ من جَوْلاتها بالماءِ!
شاب الزَّمانُ ولم يَزلْ بطفولةٍ | ويَظلُّ طفلَ الوهمِ والأهواءِ
والناسُ إنْ خُدعُوا به فلأنه | قد يَمْزُجُ السَّرَّاءَ بالضَّرَّاءِ

*****

هذا المساءُ يُظِلُّنَا بولائِه | والجَوُّ فيهِ من الولاءِ صَلاَةُ
للفيلسوفِ به مَجَالُ روائعٍ | فلكلِّ شيءٍ حكمةٌ وحياةُ
والناحتُ الرسَّامُ يَقْبِسُ فنُّهُ | ما تُضْمِرُ الخَطَرَاتُ والنظراتُ
والشاعرُ الموهوبُ يسأل غامضاً | فتجيبُه الأسرارُ والآياتُ
والناقشُ الواعي بروحِ مُلَحِّنٍ | يَرْنُو فيوحِي النُّورُ والأصواتُ!

*****

هذا كِتَابٌ للطَّبيعةِ ما لَهُ | عُمْرٌ سوى ما شاءهُ الفنّانُ
كلُّ امرئٍ يَلْقَى به إلهامه | ولكم تَنَوَّعَ عِنْدَهُ الإيمانُ
شَتَّى العَوَاطِفِ والشُّعُورِ حياله | وكذلك الأثوابُ والألوانُ
إن شئتَ كنتَ أمامَه في غفلةٍ | لا أنتَ موهوبٌ ولا إنسانُ
أو شئتَ صافحتَ الإلهَ محدِّثاً | وقرأتَ ما أوحَى به الديَّانُ!

هدأة الثائر

ما بالُ سُخطي يَستحيلُ مَحبَّةً | كالنارِ ساعةَ تستحيلُ ضياءَ؟
ما بالُ أطيافِ الربيعِ تحوَّلَتْ | شجَناً وعادتْ نشوةً وصفاءَ؟

مــا بــالُ عُمــري لوعــةً لا تنتهــي ... فأجامِــــلُ الأيــــامَ والأرزاءَ
وأعــيشُ في دنيــا التفــاؤُلِ ناســياً ... دُنيــا تفــيض قســاوةً وعــداءً؟
أكــذا يعــيش الملــهَمونَ، وهكــذا ... يُحْيِـي الزمـانُ المجـدَ والشـهداءَ!

عيد الوطن الاقتصادي

ضُمُّوا الصُّفُوفَ مواكباً وَنشـيدَا ... ودَعُـوا الشـبابَ يـزينُ هـذا العيـدَا
النابضــــينَ بحــبِّهم لـــبلادهمْ ... والـــرافعينَ لواءَهـــا المعقـــودَا
والثـــائرين علـــى مَهانـــةِ قـــومِهِمْ ... الـــوارثين عـــن الجـدودِ خُلُـــودَا
نَفضوا السُّباتَ وأشعلوا إقدامَهم ... وأتـوْا كمـا يـأتي الصـباحُ جديـدَا
يتــــدفّقون حماســـــةً عُلويّـــــةً ... ومـن الحماسـةِ مـا يكـون سـديدَا
مصــرُ القديمــةُ باركــتْ أحلامَهُـمْ ... واســـتعذبتْهُمْ نشـــوةً وقصـــيدَا
يمشــون في مثــلِ الأشــعّةِ حلبــةً ... ونفاســـــةً وصـــراحةً ووجـــودَا
يمشــون مَــنْ جــوفِ الظــلامِ هدايــةً ... ويهيئـــون لنـــا الغـــدَ المنشـــودَا
ويجـــدّدون لنـــا مواثيـــقَ العُلــى ... مِـنْ بَعْـد أن صـارتْ هـوىً مفقـودَا
عرفــوا جلالــةَ عصــرهم فَتَشَــبَّثُوا ... بأُصـــولِها، وتســـابقوا تشـــييدَا
عرفــوا الصــناعةَ للسـيادةِ منعــةً ... فـــأبَوْا لمصـــر الـــذُّلَّ والتقييـــدَا
فرعــونُ في هــذي المواكــبِ ماثــلٌ ... فَـــرِحٌ، ولكـــن لا يســـوق عبيـــدَا
جَذَبَتْــهُ أطيــافُ البطولــةِ حينمــا ... أقصَــاهُ جُــبْنُ الســابقين مَديــدَا
إنّ البطولــةَ في شــجاعةِ مُصْــلِحٍ ... فــذٍّ، وليســـتْ غضـــبةً ووعيـــدَا
هـــذا جـــلالُ المهرجـــان بنايـــةٌ ... جمعـــتْ طريفـــاً للعُلــى وتليـــدَا

يحيا الزمانُ على تراثِ بُناتهِ فإذا مضى البانون عاش فقيدًا
ما قامت الدُّولاتُ باسمِ مَفاخرٍ دَرَستْ إذا لم تصحبْ التجديدًا
ما أكثرَ الهُدَّامَ مِلءَ ربوعِنا وأقلَّ فينا النفعَ والتأييدًا
ما أعظمَ العبءَ الذي في حَمْلِه يَعْيَا البنون الحاملون قيودًا
فتقدَّموا زينَ الشبابِ! تَقدَّموا! لكم الزعامةُ في الصلاحِ رشيدًا
وزِنُوا الكرامةَ بالوفاءِ لأهْلنا الصانعين الباذلين جُهُودًا
ليس ابنُ مصر وليس رافعُ مجدها إلاَّ المجِّدَ إرثَها المعبودًا

النسيم المأسور

أغضبتَ يا هذا النسيمُ؟ أصِحْتَ مِنْ أَلَمٍ، وقد حُوصِرْتَ في الأشجارِ؟!
أترى جُرِحْتَ مِنْ الكفاحِ خلالها أنتَ الطليقُ – أصرتَ رهنَ إسارِ؟!
لهفي عليك تَئِنُّ أنَّةَ موجَعٍ يا مؤنسَ العُشَّاقِ والسُّمَّارِ!
إنَّ الجميلَ عليه غُرمُ جَمالِهِ حتى الغرامُ ينالُهُ بالثَّارِ!

كلبي الرقيب

(بِنْجُو)! أطلتَ تأمُّلاتِكَ راصداً مِنْ شُرْفَةٍ حركاتِ هذي النّاسِ
أتراكَ كالفلكيِّ يرصُدُ عَالَماً أم أنتَ بين مخاوفٍ لليأسِ؟!
ذهبَ الوفاءُ، فكلُّ ما تُعْنَى به عَبَثٌ وإحساسٌ بلا إحساسِ
لم يَبقَ مِنْ قِيَمِ الحياةِ وأهلها شيءٌ لذهنِ الكاشفِ الحسَّاسِ

لا ترصـدنَّ كبيرَهـا وصـغيرَها فالكـلُّ أوهـامٌ بغـيرِ أسـاسِ
قـد لوَّثـوا دُنيـا الجمـالِ وأفسـدتْ أنفاسُـهُمْ مـا شـاقَ مـن أنفـاسِ

زهـر الشتـاء

(الود المكذوب)

ليسـت تحياتُـكَ الحسـناءُ منبئـةً عمَّـا تكـنُّ لنفسـي مِـنْ تحيـاتِ
كالزهرِ فـوقَ أديـم الأرضِ منبسـطاً لكنـه في ثلـوجٍ لا حـراراتِ

وحي البحر

عـن أيِّ مَعْنـىً مِـنْ مَبَـاهِجِ نفسـهِ رمـزَ الإلـهُ لنـا بهـذا البحـرِ؟
ترنـو إليـه بلهفـةٍ وبنشـوةٍ ظَمْـأى، كنـورِ النجمِ قُـربَ الفجـرِ
أتـرى نحـنّ إلى أوائـلِ عيشِـنَا بـالبحرِ في أقصـى عُصـورِ الدهرِ؟
أم أنّـه سِـفْرُ الحيـاةِ وَمَوْجُـهُ إيحاؤُهـا بـالنظمِ أو بـالنثرِ؟
كتـبَ الإلـهُ عليـهِ مِـنْ آياتـهِ سُـوراً، ونحـن بجِلّهـا لا نـدري!

الخليـج

عَبثـاً تحـاول للتفـاهُمِ مَسْـلَكاً هـذا الخلـيجُ مُباعِـدٌ مـا بيننـا
سـنعيش أبعـدَ مـا نكـونُ لأننـا في الرُّوحِ أبعدُ ما نكون وفي المُنى

مـا دمـتَ لا تجـد المشـاعرَ تَلتقـي   فمـن التـوهُّمِ أن يَـرَى الفقـرُ الغِنـى
أَسَـفِي علـى هـذا الفقـيرِ بروحـهِ   يـأبى الغِنـى ويـذمّ روحَ مَـنْ اغتنَـى
أتخـالُ أنّـي بعـد هـذا أرتجـي   حُـبَّ الـذي يَجِـدُ التَّسَـامِي مَطْعَنَـا
شِعْرِي لنفسـي، ثُـمَّ بَعْـدُ لمـن لـه   نَفْسِـي، ولـيس بمـا يُبـاعُ ويُقْتَنَـى

الأصداء

أرى كـلَّ شـيءٍ حِيـالي مِثـالاً   فـأين الأصـيلُ لهـذا المِثـالْ؟
وهـل هـذه غـيرُ أصـداءِ كـونٍ   خَفِـيٍّ أراهُ بعـينِ الخيـالْ؟
وقـد يتجسَّـم هـذا الصَّـدَى   كمـا يتلاشـى ببحـرِ المُحَـالْ
وكـم فِي الأثـيرِ حـديثِ الزمـانِ   وأصـدائِه في مديـدِ انتقـالْ
نُدانِيها عنـد صـيدِ الغنـاءِ[1]   ونحسـبُها دونَـه في الجمـالْ
ويـا ربمـا مِلْؤُهـا في اصـطدامٍ   جـلالُ الخلـودِ ووَهْـنُ الـزوالْ
نِـداءُ الألوهـةِ والمرسـلين   تمـوجُ بهـا، ونـداءُ الضـلالْ
وأنظـرُ حَـوْلي وُجُـوداً عجيبـاً   ولكنّـه الـوهمُ في كـلِّ حـالْ
فمـا لـي أحمّـلُ نفسـي الأسَـى   وأعبـاءَ جيـلٍ يعـاف الجـلالْ
إذا لم أكـنْ غـيرَ صـوتِ الخيـالِ   ورجـعِ الصَّدَى من قـديمِ الليـالْ؟
وفـيمَ البكـاءُ علـى عـالَمي   إذا لم يكـن غـيرَ بعـضِ الظِّـلالْ؟

---

[1] إشارة إلى الطفيليات الجوية التي تسمعها بالراديو.

طلاقة الفن

إنْ شئتَ خُذْ ما أباح الفَنُّ من صُوَرِي ... أوْ لا فدعْها فإني الناقشُ الدارِي
هيهاتَ لي أن أصوغَ الفنَّ زخرفةً ... فإنّ هذا غرورُ الواهمِ الزارِي
هيهاتُ أترك وَقْعَ الفنِّ في خَلَدِي ... وأستعيضُ بأنغامٍ وأَزهارِ
إني أصبُّ شعوري كيف أعرفهُ ... مثلي الأَتِيِّ ومثلَ الجدولِ الجارِي
ما كان لي نقضُ شيءٍ مِنْ طبيعتهِ ... ما في الطبيعةِ لو أنصفتَ مِنْ عارِ
شعري أغاريدُ نفسي كيف أعرفُها ... أو لا فليستْ أغاريدي وأشعاري!

الإله المتنكر

هذي الألوهةُ أشرقتْ وتنكّرتْ ... فبدتْ لنا في صُورةِ (الحسناءِ)
فإذا عبدناها فلم نعبدْ سوى ... ربِّ الحياةِ برمزهِ المترائي
ما لي وأوهامِ الشُّروحِ وعندها ... قلبي يحسُّ بجاذبيةِ ربِّهِ
والمرءُ يَعرفُ عيشَه مِنْ لُبِّهِ ... في حين يعرف أصلَهُ مِنْ قلبهِ
حتى الآلهُ يرى التنكُّرَ واجبةً ... في هذه الدنيا أمامَ الناسِ!
عافوا الصراحةَ واستباحوا قدرَها ... فكأنما عاشوا بلا إحساسِ!

العطر المستتر

لم يَكْفِني نظري إليكِ ولا مَدَى ... لمسي جمالكِ في فتونِ غرامي
بل طابَ لي أنّي أشمُّكِ مثلما ... يَقْضِي تَلَهُّفُ نشوتي وهيامي

تَتعجّبين وتضحكين، وإنما قلبي العليمُ بعطرِكِ النّمامِ

أهواهُ مِنْ إشراقِ جسمكِ ساحراً لُبِّي وسُلطاناً على أحلامي

جسمٌ كأنَّ عليه من لُطف النَّدى ألَقاً، ومِنْ نبضِ الصِّبا إلهامي

وَيبثُّ مِنْ أثنائهِ عبَقَ الهوى للملهَمينَ بِنُورِهِ البسَّامِ

قالوا: جُنونُ الحبِّ أتلفَ لُبَّه! إنَّ الجنونَ تغافلُ المتعامي

ذَمُّوا عباداتِ الجسوم وما دروْا أنّ الجسومَ مَنَازلُ الإلهامِ

دُنيا تُنادِي أهلَها أن ينعموا فيقول غافلُهم: نعيمُ حرامِ!

ويؤمّلون مِن الجِنَانِ نعيمَهم فإذا الجِنَانُ مَسَارِحُ الأوهامِ!

الشعاع الخافي

آمنتِ أم لم تُؤمِني بوفائي لي مِنْ حنانكِ أنتِ نُورُ رجائي

أهواكِ قُربي في الظلامِ، أنيسةً كالفجرِ بين الصبحِ والظلماءِ

لم يَدْرِهِ أهلُ الظلامِ وإنْ يكنْ متألّقاً للشعرِ والشعراءِ

خافي شُعاعِكِ ليس يخفى وحيُه عَنْ نظرتي وتَلَهُّفي ودُعائي

جعلوا الأشعةَ في الظهورِ مَراتِباً إلاّ لديكِ فكلُّها مُتَرَائي

إن كانَ منها ظاهرٌ ومحجَّبٌ للناسِ فهي على السواءِ إزائي

إنّي رسولُ العاشقين، فكيف لا أختصُّ بالتمييزِ والإيحاءِ

وأنا الذي عرفَ الجمالَ حلاوةً ورُؤىً وألواناً من الأضواءِ؟

فدَعي تهافتَ ناظريَّ بنشوةٍ مِنْ حُسنِكِ المتسترِ الوضّاءِ

عَلّي أنالُ ذخيرةً أحيا بها مِنْ هذه النفحاتِ للأحياءِ!

أغـانـي أبـي شـادي

مختـارة مـن دواويـن
الشاعر ومؤلفاته

الجزء الأول – ١٩٣٣

اللهيب المقدس

قـد رشَـفْنا مُنَـى الحيـاة بثغْـرٍ وارتوينـا مِـنَ اللّهيـبِ المقـدَّسْ

تتلاقَـى الشّـفاهُ وهـي ظِمـاءٌ ثـم تَظْمَـا علـي ارتـواءٍ وتَـنْعَسْ

وتُطيـلُ اللّقـاءَ وهـي سَـوَاءٌ عـن حيـاةٍ بوجـدِها تَتَـنفَّسْ

مَـنْ يلـومُ الأسـيرَ إذْ يغـنمُ اللّحـ ظـةَ للعيشِ حينمـا العيشُ أسلَسْ

لحظـةٌ كلُّهـا جُنـونٌ، ولكـنْ كـم جنـونٍ مـن الرجاجـةِ أنفَـسْ!

*****

قُـبُلاتٌ نظمتُهـا للأغـاني رُبَّ سِـحْرٍ لسـحرِها يـتلمَّسْ

لم أجِـدْ مِسْـمَعاً بهـا اليـومَ أوْلَـى غـيرَ سمـع الـتي لهـا القلـبُ يَنْبِسْ

مِـنْ جَنَـى ثَغرِهَـا قبَسْـتُ نظيمـي ومِـنَ النُّـورِ مُبـدعُ اللحـنِ يَقـبِسْ

ربَّ شَـدْوٍ بهـا أطـالَ حيـاتي فحيـاتي مِـنَ اللـهيبِ المقـدَّسْ

فجر العاشق

أيُّهـذا الفجـرُ كـنْ رمـزَ الوفـاءْ لفـؤادِ العاشـقِ البـاكي الحـزينْ

طـال ليلـي، وكـذا طـال الشّـقَاءْ فابتسـمْ يـا فَجْـرُ بـالنُّورِ الأمـينْ

إنـني أمشـي علـى خَـيطِ الأَمَـلْ فـي اضـطرابْ

قَطْعُـهُ يُنْهِـي الأمـاني والأَجَـلْ وشـبابي

وبَقَـائي هكـذا رغـمَ الحِيَـلْ فـي عَـذابْ

حالــةٌ أقْسَــى مِــراراً مــن قَضَــاء ... يهــدم الأحــلامَ هَــدْماً للفنــاءْ

فابتســمْ يــا فجــرُ بِــرّاً بالرّجــاءْ ... طالمــا ناجــاكَ عشــقُ الأتقيــاءْ

إبتســمْ بـرّاً بِطُهْــري وشبــابـي!

الوحـــي

مــا كنــتُ مَــنْ عَــرفَ الهــوى لــولاكِ ... أو عشـــتُ إلاّ مِـــن نعــيمِ هَـــوَاكِ

مـــا دِنْــتُ إلاّ للجمـــالِ، ولم أجـــدْ ... حُسْـــناً إليـــهِ عبـــادتي إلاّكِ

لا تحــذري منّـــي السُّــلُوَّ فــإنني ... أســلو الحيــاةَ إذا ســلوتُ نَــداكِ

وأذوق كــأسَ المــوتِ دونَ غضاضــةٍ ... طَوْعــاً، وأخشــى أن أُجَنَّــبَ فــاكِ

لا تَجزعــي خــوفَ الفِراقِ فمهجــتي ... في راحتيْــكِ، ورحمــتي عَينَــاكِ!

الطيب والزهر

كتابُكِ العذبُ يــا رُوحــي ورَيْحَــاني ... وفَــى فحبَّــا غرامــي حــينَ حيَّــاني

وناشدَ الشعرَ مِن قلبي فهاكِ هــوىً ... يا قِبْلَةَ الشعر يا شمســي وديواني

رحلَتُ عنكِ رحيلَ الطيب عن زَهـرَ ... يُــودي بــه البُعْــدُ لــولا حُبُّكِ الــداني

فكنــتِ كــالزَّهرِ بــرّاً والنسيمِ رضــىً ... وكنــتِ كالشــمسِ في حُسْــنٍ وإحســانِ

أهــلاً بمكتوبــك البسَّــامِ يُنْعِشُــني ... وفــيضِ نــورِكِ إســعاداً لإنســاني

في كلِّ لفظٍ معــاني الأنسِ ضــاحكةٌ ... وكــلِّ مَعْنــىً دليــلُ الصَّــبْرِ للعــاني

يا قلب

ثِقْ بالحياةِ ولا تَخفُقْ على عَجَلِ ... يا كارِهَ العيش من حُبٍّ ومن وَجَلِ
أنفقتُ فيكَ دموعاً كم بررتَ بها ... هل بَعْدَ عهدِ النَّوى تُدني له أجلي؟
ثِقْ يا حليفَ الهوى بالحبّ أين مَضَى ... وعِشْ له في خُفوقِ الرفقِ والغزل
ثِقْ يا وفيّاً تَغنّى شِعْرُهُ طرباً ... بذكرِها، فغدا يبكي ولم يَزَلِ
في كلّ دقّةِ لحنٍ منكَ عاصفةٌ ... وكلّ خفقٍ لك القتّالُ من زجَل
ترفّ كالطير مذبوحاً وفي قفصٍ ... أو كالرضيعِ هَفا شَوْقاً إلى قُبَلِ

خمرة الحب

هاتي الكؤوسَ الحالياتِ بما ادّخَرْنَ من الحبَابْ
يَروينَ عن إبريقهنَّ روايةَ الصفو المُجابْ
ويَفُحْنَ بالعَبَقِ الشهيِّ من النعيمِ بلا حسابْ
فتنال منهنَّ النفوسُ عزاءَها السَّمْحَ الوَدُودْ
من عالمٍ كم يَستهينْ
بالحُبِّ والوجدِ الدَّفينْ!

هاتي وهاتي رقصةَ الحُبِّ الذي نَحْيَا بهِ
فينال كلُّ مشوَّقٍ منّا سُلافةَ قلبهِ
ويُثابَ في صلواتهِ حمداً إلى أربابهِ
فالحبُّ لولا روحُه ما شاقنا أبداً وُجودْ

خـيرٌ لنـا طـولُ الأنـينْ

مِـن فقـدهِ للعـالمينْ

عُـدْ أيهـا السـاقي بإكسـيرِ الحيـاةِ إلى النفـوسْ

تَسْـقي السـعادة والغـرامَ ببشـر هاتيـك الكـؤوسْ

فتـنير ألبابـاً بمـا ورَّعـتَ مـن نـور الشـمُّوسْ

هيهـاتَ تُـوفى حَـقَّ مـا تُسـديه مـن أُنـسٍ يَجُـودْ

بلـذاذةٍ للعاشـقينْ

الشـاربينَ الخاشـعينْ

ابتهـال

تعـالَي يـا حيـاة الـرُّو ح غـذِّيني بألحانِـكْ

فقُرْبـي منـكِ بَعْـثٌ لـي ونـوري نُـورُ بُسـتانِكْ

تَعـالي قبِّلـي ثَغْـري وحيِّـيني بأجفانِـكْ

فمـا أغْنَـى بغـير هـوا كِ بـل عُمْـري بتحنانِـكْ

تَعـالي يـا حيـاةَ الـرُّوحْ

تعـاليَ قبِّلـي ثَغْـري!

الحلم الصادق

هــاتي لــي العــودَ وغــني | واسمعــي شــجوي وأنــي
تطرحــي الأحــزانَ عنّــي | فــأؤدّي صــلواتي

*****

قالــت الحســناءُ: سمعَــا | يــا حيــاتي هــاك َطوعَــا
مــن ســلاف الحــب نوعَــا | يــا حيــاتي! يــا حيــاتي!

*****

ثــم غنَّــتني اعتــذارًا | رنَّحــتْ منــه الهــزارًا
وأحبَّــتني جَهــارًا | يــا لــه مــن حُــبٍّ عــاتِ!

*****

ترســل الصــوتَ شــجيًا | يمــلأ القلــب دويًّــا
ليتــه عــاش خليًّــا | ليتــه البــاقي لآتِ

*****

ثــم كفَّــتْ عــن عــذابي | بأغاريــد الشــبابِ
وتمــادت فيِ دُعــابِ | باللحــاظِ الفاتنــاتِ

*****

وبحُلــوِ الشِــعر عطفــاً | وجمــالِ الشــهدِ قطفــاً
لســتُ إن حاولــتُ وصــفاً | بالغــاً أحلــى الصــفاتِ

*****

إيــهِ يــا يــومٌ تَقضَّــى | فيِ نعــيمٍ كيــف ترضــى
لفــؤادي العَــودَ أرْضَــا | كيــف ترضــى لــي ممــاتي؟!

كأس شمبان

حياتيَ هاتي الراحَ من ثغرِكِ الضاحي ... وخُصّي بها الأزهارَ أجملَ أقداحِ
ولا تكتفي باللثم يا نفحَ زهرةٍ ... لقلبي فما تُغني السلافُ عن الصَّاحِ
ولا تَستعيضي عن سناكِ بخمرةٍ ... فما يُسكر الأرواحَ مُسْكِرُ أشباحِ
سوى خمرةٍ وضَّاءةٍ إن نفحتِها ... بسحركِ شاقتْ قبل عاشقها اللاّحي
أشيري إلى (الشمبان) ترقصْ صبابةً ... وتنثرْ سَنِيَّ الدرِّ هزَّةَ مِسماحِ
غيورٌ، نفورٌ، صاعدٌ، هابطٌ معاً ... على وَهَجِ الإصباحِ أكرمَ سَبَّاحِ
مِنَ اللّهب البسَّام يَرْوي مُذابُه ... غرامي ويُطْفي من شجوني وأتراحي
يكرِّمها التفّاحُ تكريمَ عاشقٍ ... فتُهدي إلى الأرواحِ قُبلةَ تُفّاحِ
ولو كانت الأرواحُ سَكْرَى بغيرها ... لأنعشَها شَوقٌ إلى هذهِ الرَّاحِ!

الكروان الرسول

بالله يا كروانْ ... تكفيكَ أشجاني!
بلّغ حبيبي الآنْ ... أنّي له الفاني
لم يَبْقَ غيرُ الرُّوحْ ... في قَلْبيَ المجروحْ
مَنْ لي سواه أبوحْ ... مهما تناساني؟

*****

باللهِ يا كروانْ ... تكفيكَ أشجاني!

*****

يا صاحبي الفنَّانْ ... لا زال لي فَنُّكْ

نجـــوى هـــوىً وحنـــانْ		مـــا شـــابَه مَنُّـــكْ
تســـــتقبلُ الإلهـــامْ		مِـــنْ وَجْهِـــهِ البَسَّـــامْ
والشِـــــعرَ والأنغـــــامْ		مِـــنْ فَـــيْض وجـــداني

* * * * *

بـــاللهِ يـــا كَـــروانْ		تكفيـــــكَ أشـــــجاني!

* * * * *

قـــد مَـــرَّتِ الأعـــوامْ		سَـــكْرَى بـــآلامي
والقلـــبُ فيـــه ضِـــرامْ		تُـــذكي بـــأحْلامي
ولـــوعتي بالبعـــادْ		تُـــذيبُ حتـــى الجمـــادْ
فكـــلُّ عيشـــي نفـــادْ		لـــولا الهَـــوى البـــاني

* * * * *

بـــاللهِ يـــا كـــروانْ		تكفيـــك أشـــجاني!

إحسان تحتضر

يـــا حَيـــاتي أيُّ قَلْـــبٍ لـــي هَلَـــكْ		مـــات مـــوتيْن بنـــارٍ وحَلَـــكْ
يـــا غرامـــي عـــن غـــرامٍ ضـــائعٍ		فـــاتني الحظّـــان مُلْـــكٌ ومَلَـــكْ
ليـــتني مـــا جئـــتُ في الـــدُّنيا، ويـــا		ليتهـــا ردَّتْ تصـــاريفَ الفَلَـــكْ
قتلـــتْني نكبـــةٌ قـــد أســـلفتْ		قســـوةً أوْحَـــتْ إلى مَـــنْ قتلَـــكْ!

يا ألهــي

يــا حيــاةَ الـــروح يـــا روحَ الحيـــاهْ – يــا إلهـــي
كـــم يُعـــاني الصَّـــبُّ في ذكـــرى مُنـــاهْ – غـــيرَ لاهِ
غارقـــاً في نـــار وَجْـــدٍ لـــن تـــزولْ
وهمـــومٍ وشـــجونٍ لـــن تحـــولْ
قبـــل صـــوب الغيـــثِ مِـــنْ فتـــانِ بـــركْ!
يســـألُ الأزهـــارَ في سُـــكرِ الصَّـــباحْ – عـــن ســـلامِكْ
حاســـباً فيهـــا بطاقـــاتٍ وراحْ – مـــن غرامِـــكْ
حَمَلَتْهـــا عـــن نســـيمٍ لـــي عليـــلْ
وضـــياءٍ مـــن محيَّـــاكِ الجميـــلْ
لَمْ يُوَفَّـــقْ ســـعيُهُ مـــن فـــرطِ ســـحركْ
فتجيـــبُ بحنـــانٍ وخفـــوقْ – مِـــنْ نُزُوعِـــكْ،
مثـــلَ وَحْـــيِ الشـــمسِ في وقـــت الشـــروقْ – أو طُلوعِـــكْ:
"لســـتُ مَـــنْ يُعطيـــكَ مِـــنْ مُلكـــي الجزيـــلْ
في حيـــاتي، فهـــي معبـــودي البخيـــلْ!"
فـــارحمي، حتـــى الضـــحايا بـــين زهـــرِكْ!
إصْـــفَحِي يَـــا مهجـــتي، يـــا نـــارَ خُلْـــدي – يـــا جِنـــاني!
واسمحـــي بـــالبرِّ يـــا أُنســـي ووَجْـــدي – يـــا بيـــاني!
كـــلُّ لفـــظٍ منـــكِ للنُّعْمَـــى دليـــلْ!
كـــلُّ سَـــطْرٍ مِلْـــؤُهُ الشِّـــعْرُ الجليـــلْ!
ومعـــانٍ للـــهوَى مِـــنْ حُلْـــوِ ثَغْـــرِكْ!

من مغاني الهوى

مِنْ مغاني الهوى ومِنْ مَهْدَ أنسي جَدِّدا لي الصِّبا فيما البُعْدُ يُنْسِي
وانْهَرا جانياً تصدَّى لِجُرْحي وادَّعى أنه الوفيُّ المؤسِّي
واسمحا لي بقبلةٍ مِنْ ثراها فثراها مَلاذُ رُوحي وحسِّي
واذكراني بمرغضٍ من نظيم حسبتْه الأطيارُ أنغامَ (قيسِ)
وابعثا والنسيمَ لي بَسَماتٍ عشقتْها الأزهارُ منْ وجهِ شمسي
كم نهلتُ الحياةَ منها ولكنْ طرحتْني النَّوى فلم تُبْقِ كأسي!

المهجة الحزينة

خلوتُ إلى مهجتي في الظلامْ أخفف من حظّها العابسِ
فقالتْ: حرامٌ، حرامٌ، حرامْ! فما الأُنسُ في البين عن مؤنِسي
وهل طابَ للعاشقين المُدامْ إذا احتجبتْ زينةُ المجلسِ؟

فبالله دعْني لدمعي الحزينْ
فقد شاء ربي لمثلي الأنينْ
وكنْ راحماً، إنّ لومي عذابْ

وحاولتُ جُهْدي بغير انتفاعْ أعلّمها حكمةَ الصابرِ
فقالتْ – وما قولها ما يُذاعْ من العذرِ ما لم يَزَلْ آسري
كأنَّ الوفاءَ لها الامتناعْ عن الصَّفوِ في الأمسِ والحاضرِ

إلى أن يحينَ اللّقاءُ الضَّنينْ

إلى أن يعـــودَ الغـــرامُ الـــدَّفينْ
إلى البعـثِ مـن برِّهـا المستطابْ!

القيثـارة المتعبة

يـــا لَلمحـــبِّ هـــواه دِينُـــهْ	يَستصـــرخُ الـــدّنيا أنينُـــهْ
ويـــذوق أنـــواعَ العـــذابِ	كـــأنّ أعـــذبَها جنونُـــهْ
لا يســـتقرّ لـــه الفـــؤادُ	وكـــم يـــدقّ بـــه حَنينُـــهْ
دوْمـــاً علـــى نَغَـــم البكـــاءِ	وقلّمـــا يبـــدو رنينُـــهْ
قيثـــارةُ الحســـنِ الضـــنين	فليـــتَ يســـمعها ضـــنينُهْ
لا تســـتريحُ مَـــدَى الســـنين	وكـــم تؤرّقهـــا ســـنينُه

اللهيب المقدس

إسمعي ثم اسمعي يا كلَّ دولاتِ الجمَالْ
ما عزَّ من شِعْرٍ ومِن سِحْرٍ هو السحرُ الحلالْ
هَا صدحةُ البلبلِ تمضي خجلاً من فنّها
هَا روعةُ الألحان والأنغامِ أسرى حُسنِها
استُؤسِرَتْ ثم استعادتْ بُرهة وثبتَها
لكنْ تعود للتي دامتْ لها ربَّتَها
اللهَ في هذا البيانِ الفاتنِ المردَّدِ

اللهَ في (هاروتَ) يَغْنو للجمالِ السيّد
اللابسِ التيجانَ من أشْهى حُلِيِّ العالَمِ
المانحِ الأكوانَ مِنْ ثَغرِ له حيّا فمي
لم أدرِ في صفوٍ وشجوٍ وابتسامٍ وبُكاءْ
ما مرَّ من ليلةِ عُمْرٍ هي والعمرُ سَواءْ
بل كيف لم أتركْ حياتي في شذا أتباعها؟!
بل كيف أغرتني على قتلى لدى توديعها؟!

لـو ذاق....

لــــو ذاق ثغـــركِ ثغــــري — لصُـــغْتُ وَصْـــفَكِ آيــــهْ
أو ضَـــمَّ صـــدركِ صــدري — لـــزِدتِ عِشـــقي الهدايــــهْ
يــــا قُـــرَّةَ العـــيْنِ مَهْـــلاً — لا تُسْـــــرفي في الغوايَــــهْ
إنْ تُشْـــعِلي فَـــرْطَ وَجْـــدي — فاســـتعجلي الوصـــلَ غايَـــهْ
يــــا مَـــنْ رَمَيْـــتِ فـــؤادي — أتقنـــتِ فـــنَّ الرّمايَــــهْ
لا تتركـــــيني جريحـــــاً — لا تُرْهِقــــــي للنهايَـــــهْ
بعـــضُ العنـــاقِ حَـــلالٌ — بَعْـــضُ الـــدلالِ جنايَــــهْ

الوصل الدائم

أيحســبون فراقــي عنــكِ محـتملاً — وفي الأثـير حـنينٌ مـن مُحَيَّـاكِ؟!
وفي الهـواءِ نـثيرُ الطيبِ مـن نفسِ — فمـــا تنفســتُ إلاّ لاثمــاً فــاكِ!

فأينما كنتِ يا روحي ويا أملي فليس لي طلبٌ إلاّك! إلاّك!

ولو غدوتُ تراباً ما فنيتُ فما تَفنى الحياةُ بتربٍ فيه ذكراكِ!

نفسٌ تذوب

نفسٌ تذوبُ إذا لم تَجتذبْ صدَّكْ فإنّ أطيَبها مستجمَعٌ عندَكْ

أسرتَ صفْوَ حنيني وامتلكتَ دمي وفُتَّ طيفاً يعاني وَحْدَه بُعْدَكْ

يا مُتْلِفاً بالجفا قلباً يسيلُ وفاً أنت الكريمُ فسامح في الهوى عَبدَكْ

كلّي فِداءُ جمالِ زِنْتَهُ فغَلا وإنَّ روحي بروحي تشتري ودَّكْ

إن شئتَ ألبستني أُنساً وعافيةً أو شئتَ ضيَّعتَ صبّاً يرتجي ردَّكْ

سكرة الوصل

روحي! حياتي! ألا يومٌ يعود لنا بعدَ الفراق ببرٍّ منكِ أغنمُهُ

فيمسح الدمعَ من خدّي سناكِ كما تنشّف الشمسُ زهراً دمعُه دمُهُ

فأقْتَلُ الحُبِّ أهْناهُ لطالبِهِ وأشْفَقُ الحبّ بالهجران أظلمُهُ

يومٌ! نعمْ! كلّ ما يرجو ومُسكِرَةٌ مِنْ فيكِ، لو أنّ يومَ الوصلِ مأتمهُ

لحظة أنسٍ

خطبتُ لحظةَ أُنسٍ مِنْ مُحَيَّاكِ فما وَفيْتِ ونابَ الدمعُ للباكي

كم أسعفَ العينَ في أعوام محنتها واليومَ أوْلى به حظّي... فرحماكِ!

حُجِبْتِ كالشمس لم يَرضَ الغمامُ لها ... بِرّاً، فأمطرَ دمعَ الصاغرِ الشاكي
وأشعلَ النارَ في قلبي، فأينَ — متى ... يا (زين) تُطفئ هذي النارَ يُمناكِ؟
مشيتُ كالتائهِ المسحور ملتمساً ... منكِ الشفاءَ فأدناني لمغناكِ!
فطُفتُ في روعةٍ أناً وفي شغف ... حَجّاً، وإن لم أذقْ في نعمةٍ فاكِ!
فأكملي حجّيَ المبرورَ سامحةً ... بالوصلِ في محفلٍ للحبِّ ضحّاكِ
وأسمعي قلبيَ الغرّيدَ مِنْ قُبَلٍ ... تُهدي الحياةَ فيبقى الشاعرَ الحاكي

أمس واليوم

إيهِ يا رحمةَ نَفسٍ لم تكنْ ... في هناءٍ لم يكنْ مِنْ ناظرَيْكِ
تسألينَ اليومَ عن حالِ الهوَى ... إنَّ ما أهواه منكِ وإليكِ
سائلي قبلي حناناً طالما ... خبَّرَتْني عنه حَلْوَى شَفَتيْكِ
سائلي القلبَ الذي أتعبتهِ ... في خُفُوقٍ مثلَ قلبي في يديْكِ
سائلي الحسنَ الذي أنهكتُه ... بين تقبيلٍ وهَصْرِي جانبيْكِ
فجوابٌ منكِ أوْلَى بِرُّهُ ... بمُعنّىً لم يَزَلْ يحنُو عليكِ!

رفيقة صباي

أنتِ كالزهرةِ الزكيةِ عندي ... طالما خفَّفَتْ أنيني ووجْدي
أشتهي لثمَها وأخشى عليها ... مِنْ زفيري فحيلتي البُعْدُ جُهدي
يا نديمي إذا تَنحَّى نديمي ... ونعيمي ويا حليفةَ سُهدي

كــلُّ أُنــسٍ أســديتهِ لفــؤادي
سوف يَبْقَى وليس ما كنتُ أُسدي

حَكــم الــدَّهرُ بــالفراقِ علينــا
وَقضَــى الحُــبُّ أن أُجَــنَّ ببُعْــدي

كيــف يرجــو السُّــلوَّ قلــبٌ وفيٌّ
أنــت لقنتــهِ الغــرامَ بوعــدِ؟

كــان وعــدَ اللحــاظِ والثَّغْــرِ والأنـ
ـسِ وَجــذْبٍ أضــاعَ لبِّــي ورشــدي

كــان صــمتاً وكــان نُطقــاً شَــهيّاً
ببيـــان يُجَـــلُّ عـــن أيّ نَقـــدِ

لا تقــولي مــا كــان ذلــك عهــداً
ففؤادي الخفوقُ يَرْضَى التَّحدِّي!

الذكر والنسيان

يا مَنْ بخلتِ بلفظٍ منكِ يُسعدُني
أتحسبين طويلَ الصمتِ يُنْسيني؟

لا والــذي خلــقَ الــدنيا وأبــدعها
وملَّكَ الحُسْنَ قبل العقلِ والدينِ!

إن تَحْسبي خَطراتِ الذكرِ تؤلمني
فــأيُّ وهــمٍ مــن النســيانِ يَهنــيني

وربَّ آلامِ نفـــسٍ كلُّهـــا جَــذَلٌ
وربَّ وجْــدٍ إذا أشجَى يواسيني

وذكريـــاتٍ حســـانٍ لا زوالَ لهـــا
كأنهـا مِنْ صميم الرُّوح تُحييني

دَعِــي أناملــكِ الحســناءَ تُنصــفني
ولا تضَنِّي فهـذا البخـلُ يُضنيني

وإنْ أردتِ بيانـــاً يســـتعينُ بـــه
هـذا الجمـالُ على قلبي فناجيني!

أنت....

أنفقــتُ فيــكِ عبــادتي وســعادتي
إنفـــاقَ إيمـــانٍ بجـــود إلهـــي

وعرفــتُ فيــكِ لــذاذتي وتــأوُّهي
ســـيانِ حـــظُّ فـــؤاديَ الأوَّاهِ

وعشـقتُكِ العشـقَ الـذي لا ينتهـي | ديـنٌ فُتنـتُ بـه ولسـتُ أُبـاهي
فلـيَ (الطبيعـةُ) قـدوةٌ بسـجودِها | لسَـنالِ قبـلَ خـواطرٍ وجبـاهِ
وأنـا ابنُهـا الـوافي يُجلّـكِ مثلـها | ويَـراكِ رَمْـزَ جمالِهـا المتنـاهي
هـل أنت إلا الحسـنُ قـامَ مُجَسَّماً | ليسـودَ بـين عواطـفٍ وشـفاهِ
ويقـودَ أحـلامَ الأنـامِ قريـرةً | لأعـزِّ مـا يُسـديهِ صُـنعُ اللهِ؟!

يا خفة الروح

يـا خفـةَ الـرُّوحِ الـتي عـذَّبَتْ | في وثبـةٍ منهـا خفـوقَ الفـؤادْ
لا تُشـفقي أو فاشـفقي! إنـني | أسـتأهلُ الرحمـةَ قبـلَ الجمـادْ
كـم يـرحمُ قلـبي النسـيمُ الـذي | يعبـثُ في ثوبـكِ عبـثَ الـودادْ
وأنـتِ في ضـنٍّ وفي خشـيةٍ | كالحـارسِ الكنـزَ الكثيرِ السـهادْ!
إن تحفظـي ثوبَـكِ مِـنْ لهـوِهِ | هـلْ صُـنْتِ لـي قلبـاً لهـدٍّ يُقـادْ؟!

أمتـع الأنـس

تُسـائلُني عـن أمتـعِ الأُنـسِ لـذةً | وما الأنسُ حقاً غير إيناسِ غانيَهْ!
تنازلـتُ طوعـاً عـن وُعـورٍ بجنّـةٍ | لساعةِ صفوٍ منكِ بالحبّ غاليهْ!
جَمـالٌ وَتحنـانٌ وتيـهٌ ورقـةٌ | وعطـفٌ وإحيـاءٌ لأحلـى أمانيـهْ
تَفَنَّنْـتِ فيهـا عـن غـرامٍ وسـكرةٍ | وأنعشتِ رُوحي من قطوفِكِ دانيهْ
وما الحورُ والولدانُ في معرض الهوى | وأنـتِ مَنـالُ اللـذةِ المتناهيـهْ؟!

ففي كلّ جزءٍ منكِ حُسْنٌ يشوقُني وفي كـلِّ مـرْأىً فاتنـاتٌ مُواليـهْ
وفي كـل لفـظٍ خفّـةٌ أو رشـاقةٌ تجـدّدُ مـن أحلامـيَ المتفانيـهْ
وفي غُنجـكِ الوثّـابِ أحكـامُ ثـورةٍ تهـزُّ شـجيَّ القلـبِ مـن كـلّ ناحيـهْ
وحقكِ كم جدَّدْتِ بالوصل مهجتي نعيمـاً، وكـم أضـحتْ بِبُعْدِكِ فانيـهْ!

ليلة صيف

وليلـةٍ مـن ليـالي الصَّـيفِ باسمـةٍ بـأنجمٍ سـطعتْ في الأُفـق ترعانـا
وقـد خلوْنـا إلى الأحـلامِ تجمعُنـا وللغـرامِ ينادينـا ويرضـانا
ولا عَـذولٌ غيـورٌ لا يسـامحنا ولا رقيـبٌ يؤاذينـا وينهانـا
إلاّ الجمـالُ الـذي فاتتْـه فـاتنتي فنلْـتُ منـهُ وقـد فاتتـه سـلطانا!
غنّـتْ علـى وَقْـعِ قلـبي أيَّ أغنيـةٍ أهـدتْ إلى الأمـلِ البسّـام رَيْحانـا!
وقـد تثنَّـتْ دلالاً في تَرنُّمِهـا فكـان تمثيلُهـا الفتَّـانُ فنَّانـا!
في كـلِّ نظـرةٍ رِفْـقٍ خمـرةٌ كَرُمَـتْ وكـلُّ لفـظٍ يُحيِّـي الرُّوحَ إحسـانا!
فقلـتُ: "رُحمـاك لا تخشـي مُغازلـة فقد قتلتِ بماضـي الخـوفِ إنسـانا!
غنِّي على العود يا شمسي ويا قمريَ فأنـتِ طِـبٌّ لـه إنْ مـاتَ سَـكرانا!
تُسـابقُ الصَّـوْتَ أوتـارٌ مُرنَّحـةٌ والقلبُ غيرانُ يخشـى منه غيرانـا!
كلاهُمـا طـوْعُ إلهـامٍ بـررْتِ بـه لـولا أنامِلُـكِ الحسـناءُ مـا كانـا!
أَصـغِي إليـه قلـيلاً ربمـا نطقـتْ شِـغافُهُ بـالهوى العاصـيكِ كِتمانـا
وكـلُّ خفـقٍ نشـيدٌ للغـرام قضـى فيـكِ الشـهيدَ ومـا أطفـأتِ نيرانـا!"
فقبّلـتْ مَوْضِـعاً رفَّ الفـؤادُ بـه وبللـتْ بـدموعٍ منـه أشـجانا!
كأنّمـا رُوِّعَـتْ مِـنْ نـارِهِ فبكـتْ والظلمُ يُؤلمُ مُشْـقى النـاس أحيانـا!

فلم أَفُقْ فيِ احْتراقي من معانقةٍ	إلا أسيرَ الهوى المحسودَ عِصيانا!
وللحريرِ على صدري مداعبةٌ	والثَّغرُ يلثمُ عاري الحسنِ حيرانا!

اذكريني

أذكريني يا حياتي كُلما	شِمْتِ في الإصباحِ مَرآكِ الوسيمْ
واذكريني يا مَدى سُؤْلي بما	يَتْبعُ الإصباحَ مِنْ بِرٍّ النسيمْ
واذكريني يا غرامي عند ما	يشكرُ الناسُ نَدَى الربِّ الكريمْ
واذكريني كيفما شئتِ فما	غيرُ ذكراك غذاءٌ لي يُديم

أذكريني يا مُنى قلبي، اذكريني!

*****

أذكريني فيِ أغاريد الطيورْ	كم تغنّتْ من حنيني وبشعري
واذكريني فيِ تحيّات الزهورْ	فهي معنى من بياني قبلَ زهرِ
واذكريني فيِ سُوَيْعاتِ الحبورْ	فهي قسطان، ولي بالذكر أجري
واذكريني فيِ ظلامٍ قبلَ نورْ	كم سهرتُ الليلَ مَفدِيًّا لفجرِ!

أذكريني يا مُنى قلبي، اذكريني!

*****

أُذكريني أينما لاحَ الجمالْ	مُشرئبًّا لسموٍّ مِنْ جمالكْ
واذكريني كلما رام الوصالْ	كلُّ حُسنٍ يَشتهي نجوى سؤالكْ
واذكريني كلما يقضي الجلالْ	بضحايا قد تفانتْ في جلالكْ
واذكريني كلّما شاء المحالْ	موكبُ العشّاقِ من عانٍ وهالكْ

أذكريني يا مُنَى قلبي، اذكريني!

*****

أذكريني عند ما تُزْهَى السماءْ بنجومٍ أو ببدرٍ قد تَحلّى
واذكريني حينما يَفنى الرجاءْ في رجوعِ الأنسِ من ماضٍ تولّى
واذكريني كلما نال الشفاءْ منكِ عانٍ في شقاءٍ قد تَولّى
واذكريني كلما صحَّ الوفاءْ في زمانٍ لم يجدْ للصدقِ أهلاً

أذكريني يا مُنى قلبي، اذكريني!

*****

أذكريني كلما راعَ الغروبْ بجبالٍ بين نيرانٍ سحيقهْ
واذكريني كلما أذْكى القلوبْ لَفْحُها والأعينَ الحسرى الغريقهْ
واذكريني عندما تبدو الغيوبْ في ظلام الليل حَيْرَى كالحقيقهْ
فإذا الباكي بهِ مثلَ الطروبْ خشيةَ الأْيَ يا نفسي الرَّشيقهْ

طالما لم أنسَ برّاً... فاذكريني!

غروب وذكرى

قالت: "حبيبي كم ودَدتُك جالساً قربي ومَرْأى الشَّمس عندَ مَغيبِ
في البحرِ تسبحُ بُرْهَةً وتغيبُ في شَفَقٍ كحالِ الشَّوقِ عند غريبِ"
فأجبتُ: "يا سُؤلي وهل يشجي الهوى هذا الوداعُ وأنتِ سُؤلُ حبيبِ؟!
شمسانِ: شمسٌ قد تغيبُ وأختُها تبقى لرحمةِ عاشقٍ وأديبِ
مَنْ كان قربَكِ ليس يشغلهُ سوى هذا الجمالِ يرقّ في تعذيبي!
فتبسَّمي وتعطّفي وتكرّمي ما شئتِ يا حظي وكلَّ نصيبي
ودعي ابتسامَك من حنانك غُنْيَةً للقلب عن نورٍ وطبٍّ طبيبِ!"
فتبسَّمتْ سُكْرَيْنِ لي وتأوّهتْ فأجاب مِنْ قلبي وفيٍّ نحيبي

قالت: "نسيتَ الوعد هل يبكي السنى ... إنْ صحَّ وَصْفُكَ في مجالِ نسيبِ
أيسوغُ دَمْعُكَ في ضياءِ محبَّتي ... أم كان حظُّ الحبِّ حظّ كئيبِ؟!
قُلتُ: "اعذريني يا حياتي رُبَّما ... أبكتْ تحيةُ مُسْعِدٍ ومجيبِ
فلكم بكى بالطَّلِّ زَهْرٌ ضاحكٌ ... للشمس، يا شمسي وسرَّ وجيبي!
ولربَّ دَمْعٍ مِنْ شعوري لم يكن ... إلاّ كرمزِ البحر وهو مُذيبي!
فلقد ذكرتُ غروبَ أمسِي عندما ... ودَّعتُ أحلامي وداعَ جَنيبِ
فذكرتُ حالَ البحر حيث وصفتِهِ ... والشّمسُ تغربُ فيه بين لهيبِ!"

النعمتان

نظرة وابتسامة
(أنشودة إلى حسناء أديبة)

نبِّئيني نبِّئيني ... قصةَ (الدنيا) العجيبهْ
إنمّا تُغنِي حنيني ... نظرةُ الرُّوح الأديبهْ

*****

لا تبوحي بكلامٍ ... إنّ في عيديك شعْرا
ومَلاماً لمَلامٍ ... مِنْ مُحبٍّ ردَّ عُذْرَا

*****

أنظُري يا نورَ عَيني ... أُنظري يا نورَ نفسي!
كم مَعانٍ غِبْنَ عنّي ... قبل أن أسديتِ أُنسي!

*****

وابْسمي (كالشمس) لما ... كوَّنتْ هذي الحياهْ!
فانتَشى قلبٌ وهَمَّا ... وتلقَّتْهَا الشِّفاهْ!

*****

أنــــتِ (دنيـــــا) في شُــعاعٍ أنــــتِ (أُخـــرى) في ابتســـامْ!

كيــــف أبقــــى في التيـــاعٍ ومحيَّـــــاكِ الســـــلامْ؟!

*****

فابسِـــمي واحكـــي نشـــيداً مــــن أغاريــــدِ الوجـــودْ!

وامنحـــــي عيـــــداً ســعيداً مــــن محيَّـــاك الـــوَدُودْ!

*****

لقِّنـــيني يـــــا نَعيمـــــي نِعْمـــــةَ (الـــدنيا) بنظـــرَهْ

وانشـــري لطـــفَ الـــرحيمِ تُعطـــني (الأخـــرى) كزهـــرهْ!

صــور وأنغـــام

أمْتَعْتُ من فجْر (الرَّبيع) الهَامي قلـبي المَشُــوقَ لِفتْنَـــةِ الإلهـــامِ

ورنَــوْتُ لــلأمِّ (الطبيعـةِ) باسمــاً فـــإذا الحُنُــوُّ بثغرِهَــا البسَّـــامِ

رفعتْ نقابَ الليلِ عنها وازدهتْ ببـــدائعِ النَّقَّـــاشِ والرسَّـــامِ

وبـدتْ تُغـرِّدُ للخـواطرِ والنُّهَـى بمُنَـــوَّعِ الفتّـــانِ مـــن أنغـــامِ!

الطّـيرُ كـان مؤذِّنـاً بصـــلاتها ثــم استزاد هُـدىً فكان إمـامي!

فتلـوتُ مِنْ قلـبي القريـر عبـادتي وشَـرِبْتُ بـاللحظ الأسـير مُـدَامي!

وختمــتُ مقبـولَ الصَّــلاة بنظـرةٍ تُهـدي إلى طـرَفِ المـروجِ سـلامي!

الشفــاء

(وصف أغنية الحبيبة في عيادة عاشقها المريض)

رددّي أحلـــى الأمــــاني ردّدي — وانْهَـري يـا نـورَ عـيني كَمَـدي!
أنـــتِ راحُ الـــنفس في أحلامِهـــا — فلتكـــوني رحمـــةً للجســـدِ
طـال سُـهْدي بـينَ حُلْـمٍ زائـل — يبعـــث السَّـلْوَى ونــارِ الجلَــدِ
حُســـنُكِ الإعجــازُ، فليَنْــفِ الأذى — عـــن وفيٍّ بـــات كالمُفْتَقَـــدِ
أرجعـــيني لوجـــودي... لا أرى — غـيرَ هـذا السّـحرِ فيكِ مُوجِـدي؟
نظـــرةُ الـــبرّ لروحـــي وَقْعُهـــا — وَقْـعُ أنـداءٍ علـى زهـرٍ صَـدي!
ردِّدي أبهـــى المنـــى في نَغْمـــةٍ — يشتهيها (صادحُ) الغصن الندي
يشـــتهيها (العُـودُ) أيضـــاً مثلمـا — يشـتهي سُـقمي وسمعـي عُـوَّدي!
زُرتـــني يـــا مهجـــتي عائـــدةً — وفـــؤادي المُرْتجـــى لم يَعُـــدِ!
غفـــرَ اللهُ لـــه إعراضَـــه — ولـــه العُـــذْرُ ولَـــوْمُ الحَسَـــدِ!
ولهـــذا السُّـــقْمِ شُـــكري، إنـــه — لَخَليـــلٌ حـــارسٌ مُعْتَقَـــدي
ووفيٍّ ردّ لـــــي رُوحَ الهـــوى — شـــائعاً في الـــنَّفَسِ المـــردَّدِ!
فابسِـمي يـا نعمـتي آسـيةً — وامنحـي طـبَّ (الهـزَارِ) الغَـرِدِ
ليســتْ الألحـــانُ مـــن حَنْجَـــرَةٍ — بـــل حيـــاةٌ عُمْرُهـــا كالأبـــدِ
تُنصِـــتُ الـــدُّنيا لهـــا كاســـبةً — مثـلَ كَسْـبي مِـنْ معـاني الرَّغـدِ
وتَغْـــنيني مِـــنْ شـــفاءٍ قبـــل مـــا — أشـتفي مِـنْ فَضْـلِ طـبٍّ في يـدي!

رحماك

رُحماكِ! كلُّ ضَراعتي: رُحماكِ! ... ذابَ الفؤادُ أسىً بنارِ هواكِ

ويظلُّ يَطْمعُ في حنانِكِ مرَّةً ... قبلَ الفناءِ بلحْظِكِ الفتَّاكِ

إنْ كان إثمُ الحُبِّ فرْطَ وَفائهِ ... أيْنَ السؤالُ على يَدِ السَّفَّاكِ

المجرمُ المحرومُ يُسألُ عَنْ مُنىً ... قبلَ المَمات، فهلْ يُرَدُّ فتاكِ؟!

ناديه يا أمَلي يُجِبْكِ بلفْظةٍ ... هي لفظةُ الرُّوح الشجيِّ الشاكي

لا تَحْسَبي رَمَقاً به يقوى عليه ... غَيْرَ الوداع ولوْ دَعتْ شَفتاكِ!

مَحْضُ السؤال إذا أَجَبْتِ عزاؤُهُ ... فيكون خاتمةَ اللهيب الذَّاكي

رفقاً بحُسنكِ لو أطاقَ مودِّعاً ... يأبى إباءً أن يُقبّلَ فاكِ!

فلظاهُ يُحرقُ كلَّ غَضٍّ يانعٍ ... وسناكِ يأمُرُ أن يموتَ فِداكِ

توبة الحب

يُجَدِّدُ العُمْرُ ذِكْرَى لَوْعَتي فيكِ ... وإنْ نَسِيتُ فما أنْسَى تَناسيكِ

وَدَّعتُ حُبِّي وأحْلامي فَعاوَدَني ... حُلمُ الوَداعِ وأبكاني تجافيكِ

وزُلْزِلَ القَلْبُ مِنْ ذِكْرَى مؤرِّقَةٍ ... فَخفقُهُ نورانٌ كمْ يُناجيكِ!

رفْقاً بعانٍ قَضى الأعْوامَ في جَزَعٍ ... يُخْفيهِ إلاَّ على نعْمَى تُراعيكِ!

لعلَّ نُوراً كأنسٍ طابَ مَوْرِدُهُ ... لَديْكِ يَدفعُ عني مِنْ تجنِّيكِ!

وفي تَجنّيكِ يا صَفْوي ويا شجَني ... حقي المضاعُ، فهل يَرْتَدُّ راجيكِ؟

أهْواكِ حتى وإنْ أقْسَمْتُ في ألمي ... بأنّني لسْتُ مَنْ يَهْوى لَمَى فيكِ!

أعَيِّدُ اليَوْمَ في حُزْني بلا أَمَلٍ ... حتى العزاءُ تخلَّى مِنْ تخلّيكِ

وَأيُّ ذِكْـــرَى لِمـــيلادي تُحَبِّـــبُني ... في العيْش، والعَيشُ مأساةُ الهوى فيكِ؟!
إلاّ شُـــعوري بـــأني حـــينَ أبْـــذُلُها ... أغْدو الضَّحِيَّةَ والتَّعذيبُ يُرْضيكِ
كم تُبْتُ مِنْ شَجَني القاضي على نِعَمي ... أغْدُو الضَّحِيَّةَ والتَّعذيبُ يُرْضيكِ
فصِــرْتُ مــا بــيْنَ آلامٍ مكتَّمَـــةٍ ... تحِــزُّ قلــبي، وهــذا القَلْــبُ يَفــديكِ
وَبَــيْنَ آلامِ شَــوقٍ مــا أبَحْــتُ بهــا ... إلاَّ ائتِناســاً بِشَــوْقٍ كــمْ يُؤاتيــكِ
وتوْبَـــةِ الحـــبِّ إعـــلانٌ لِثَوْرَتِـــهِ ... إنَّ الفُـــؤادَ إذا أخفـــاهُ يُنْبيـــكِ!

غنــاء الحياة

غَنَّيْـــتِ أحلامـــي علـــى مِســـمعي ... فأصـــبحَ الحُلْـــمُ عِيانـــاً معـــي!
مـــا أعـــذبَ الصـــوْتَ وأحلـــى الهـــوى ... ينصـــبُّ في الـــرُّوحِ وفي مِسْـــمَعي!
ويَخْفُـــقُ القَلْـــبُ علـــى نشْـــوةٍ ... كأنمـــا في العُمْـــر لم يَجْـــزَعِ
وَتســـكُبُ العـــيْنُ نَـــدَى دَمْعَـــةٍ ... علـــى الخـــدِّ مِـــنْ جامِهـــا المُتْـــرَعِ
أُصـــغِي وأُصـــغِي في افتتـــانٍ بـــلا ... حَـــدٍّ ولا أرْضـــى مَـــدى مَطمَعـــي!
وأنـــتِ في بِـــرٍّ بـــلا مُنْتَهـــى ... وقلْـــبيَ الـــرَّاقصُ لم يَقْنَـــعِ!
كفَّرْتِ عـــن ماضـــي شُـــجُوني، فيـــا ... أشجانيَ الحَيرَى كفّي واخْضَعي!
غنّـــي وَغنّـــي يـــا حَيـــاتي فمـــا ... يُغْـــني ســـوى مِـــن ســـحرِكِ المـــودَعِ
وَأسْـــرفي أنْـــتِ بتَجْريـــدهِ ... فإنّـــه في الصَّـــفوِ كـــالموجَعِ!
مـــا صَـــدْمةُ الهَجْـــرِ وإنْ عُولجـــتْ ... تُشْـــفَى علـــى العُمْـــر وإنْ تُبْـــدعي
لا بـــدَّ مِـــنْ جُـــرْحٍ دَفـــينٍ، وكـــم ... يَهْتـــاجني الجُـــرْحُ فـــلا أدّعـــي
أخْفيـــهِ عَـــنْ نَفســـي وعَـــنْ عـــالَمٍ ... وأُغْـــرِقُ الحَسْـــرَةَ في مَـــدْمَعي!
وأودِعُ الشِّـــعْرَ قليـــلَ الأســـى ... والجانِـــبُ الأكبَـــرُ في أضـــلعي!

جنتـــي

الشَّــاعِرُ السَّــاحِرُ مَــنْ أسْــكَرَهْ؟! مَــنْ علَّــمَ الشَّــاعِرَ هــذا الشَّــرَهْ؟!

عَيْنــاكِ يــا رُوحــي ويــا نِعْمَــتي عَينــاكِ إلهــامُ الــذي صَــوَّرَهْ

في طَلْعــةٍ أحْيَــتْ نُهَــى المُجْتَلِــي كالجَنَّـــةِ المُزْهِـــرَةِ المُقْمِـــرَهْ

في ظِلِّهـــا كانـــتْ عباداتُـــهُ في نورِهــا أفشَــى الــذي أضْمَرَهْ

مِرْآتُـــهُ أنْـــتِ ووجْدانُـــهُ وخَمْــرَةُ الحُــبِّ الــذي أســكَرَهْ

بُــوحي لــهُ! بُــوحي! ولا تُنكــري أسْــرارَ مــا حــاوَلَ أنْ يســتُرَهْ

قُـــولي لـــهُ: شَـــوقُكَ في كَتْمِـــهِ لــنْ يَخْــدَعَ الحُــبَّ ولا مَصْــدَرَهْ!

* * * * *

مــا سَــكْرَةُ الشَّــاعِرِ غــيرَ الهــوَى الخـــالِقُ الحـــيُّ الـــذي نـــوَّرَهْ

مَثَّلْتِـــهِ أنـــتِ فأغنيْتِـــهِ عَــنْ أجْمَــلِ الكــوْنِ الــذي قَــدَّرَهْ!

يَلقـــاكِ أنغامـــاً ونـــوراً كمـــا يلقـــاكِ آيـــاتِ هُـــدىً سَـــطَّرَهْ

الـــرَّوْضُ والطَّيْـــرُ بأفْنانِـــهِ والجَــدْوَلُ المُفْشِــي لنــا مِزْهَــرَهْ

والبَحـــرُ إذْ يَهْـــدِرُ في رِقَّـــةٍ والـــدُّرُّ في مَـــوْجٍ لـــهُ طَهَّـــرَهْ

والشَّـــهْدُ إذْ يُقْطَـــفُ في رَحْمَـــةٍ مِــنْ طِيبــةِ النَّحْــلِ الــذي عطَّــرَهْ

والقَطـــرُ إذْ يَسْـــقُطُ في خِفَّـــةٍ قـــد تُـــنْعِشُ النَّبْـــتَ ومـــا زَهَّـــرَهْ

والحَـــظُّ مِـــنْ بَعْـــدِ غِيـــابٍ لـــه والخِصْــبُ في أرْضٍ بَــدَتْ مُقْفِــرَهْ

والشَّــمْسُ في لُطْــفِ الرَّبيــعِ الــذي قــدْ كــرَّمَ الشَّــمْسَ بمــا استَحْضَــرَهْ

والنَّـــاسُ والـــدُّنيا بمـــا أبـــدعوا مِــنْ بَهْجَــةِ الخُلْــدِ لِمَــنْ لم يَــرَهْ

والعـــالمُ التَّـــالي بإنْعامِـــهِ مِــنْ بَعْــدِ حرْمــانِ المُنى المُــدْبِرَهْ

مـــا جَمْعُهـــا ســـاوى سِـــوَى ذَرَّةٍ مِــنْ حُسْــنِكِ المُفــرَدِ كــالجوْهَرَهْ

* * * *

يـــا جنَّـــةَ الحُـــبِّ ويـــا خُلْـــدَهُ لا تَحْرِمــي العاشِــقَ مِــنْ مَغْفِــرَهْ!

حسدتني في عذابي

حَسَدْتَني في عَذَابي وخِلْتَ فيهِ نَعيمي
فهلْ رَحِمْتَ شبابي مِنَ العذابِ الأَليمِ؟!

* * * * *

أيُّ الحياةِ الهنيَّةْ إذا خلَتْ مِنْ حبيبي؟
فكلُّ أُنْسِ البريَّةْ يَقْضِي عليْهِ لهيبي!

* * * * *

ما الحظُّ إلاَّ تَناجٍ ما بيْنَ قلبينِ حبَّا
فالكوْنُ لهفانُ داجٍ إذا بكى القلبُ قَلْبَا!

* * * * *

رُوحي تُعاني وتَشْقَى وأنْتَ تَلْهو بظَنٍّ!
أموتُ وَجْداً وحَرْقَا فهل تَسَمَّعْتَ أنِّي؟!

* * * * *

إرْحَمْ وأَشْفِقْ عليَّ أعْذُرْ وسامِحْ شَبابي!
فكلُّ جاهٍ لَديَّ لم يُنْجِني مِنْ عذابي!

لو كان

لَوْ كانَ قلبي اشتفى كانَ الغبينْ
لكنَّه ما اكتفى رغْمَ الأنينْ!

* * * * *

ناجاكِ في بُعْدِهِ رَهْنَ العَذابْ
نَجْواكِ في سُهْدِهِ أحلى الثوابْ!

* * * * *

تِيهـي وصُـدِّي كمـا   يَهـوَى الجمـالْ
رُوحـي إليـكِ انتمَـى   حتـى الخيـالْ!

*****

دَوْمـاً بِفكـري وذِكـري   والحـبُّ دِيـنْ
نَبْضـي وأنفـاسُ شِـعْري   لـو تعلمـينْ

*****

أشـكو وقلـبي الشَّـكورْ   فـي أسْـرِهِ
أبكـي ومنـكِ الشُّـعورْ   فـي شـعرِهِ

*****

تِيهـي إذَنْ في البِعـادْ   أوْ فـارْحمي
عَيْشـي حليـفُ الجِهـادْ   كالمُعْـدَمِ

*****

وأنـتِ لـي نِعْمَـةٌ   مهمـا شَـقِيتْ
وتَرْكُهـا نِقمـةٌ   مهْمـا غَنِيـتْ

*****

لـوْ كـانَ قلـبي اشـتفى   كـانَ الغـبينْ
لكنَّـهُ مـا اكتفـى   رغـمِ الأنـينْ!

الطائر التائه

أيها الطائرُ عن وَكْرِي الحبيبِ   أيها التائهُ في ليلِ الغريبِ
أنا في بُعدِكَ في سُكرٍ وتيهِ   شَدَّ ما ألقاه من قلبي السَّفيهِ!
تُظلم الدّنيا لعيني حين عيني   تخطف الأضواءَ من لونٍ ولونِ
وتَرى في بُعدِكَ اللَّذّاتِ وَهْما   بعدما كانت ترى الأوهامَ نُعْمَى

أيُّ سِحْرٍ يا حبيبي حالَ حِسّي … فنسيتُ الكونَ بل قلبي ونفسي؟!

أسألُ الغفرانَ! ما نفسي إذا ما … أصبحَ الكونُ شتاءً وظَلامَا؟!

أيها الطائرُ مَنْ لي بدليلٍ … يَنقلُ الرُّوحَ إلى الرُّوحِ الجميلِ؟

أنا لن أنساكَ مهما غِبتَ عني … توأمي بل مُلْتَقى ديني وفنّي

طُفتُ بالرُّوحِ بدنيايَ جميعَا … فإذا بي عُدْتُ مكلوماً صريعا

أيُّ داجٍ غِبتَ فيه يا حبيبي … غاب عن ألفِ رقيبٍ ورقيبٍ

حينما لم تَغْلَقْ الدنيا لعشقي … حينما لم تُحْجَبْ الأخرى لشوقي؟!

كيف حُجِّبْتَ لحسّي وخيالي … وأنا الطائرُ في دنيا المحالِ؟

أترى أبدعتَ دُنيا من خيالِكْ … ساكناً فيها ضنيناً بجمالِكْ؟!

هكذا الأربابُ عُشّاقُ الخفاءْ … والبرايا في دُعاءٍ وشَقاءْ

ـأجزْ لي لحظةً أحيا بها … كلُّ نفسٍ بِضعةٌ مِنْ ربِّها!

أو فراقبْ مهجتي بين اشتعالِ … وهي تَفنى في تضاعيفِ الليالي!

عطر الحب

ملأ النسيمُ الجوَّ غيرَ محاسِبِ … بنوافحِ النارَ نْجِ وهو طبيبي

فاستنشقتْه حبيبتي وتنفسَّتْ … بالحبِّ في لطفٍ يضَوْعٍ وطِيبِ

ورنتْ إليَّ بسكرةٍ من عرفهِ … فسكرتُ مِنْ عَرفينِ سُكرَ حبيبِ

جاد (الربيعُ) فكان مِنْ معناه أن … أحيتْ عوارُفها ربيعَ أديبِ

واستنشقتْ أرجَ النسيم بلذةٍ … فاستمتعت بشذاً لها كنسيبي

فلثمتُها شُكراً على إسدائها … رُوحاً ونُوَّاراً وبُرءَ كئيبِ

فإذا (الطبيعةُ) تَزدهي بغرامنا … وتُريق عِطرَ الحبِّ دُون حسيبِ

لقـــاء

(الشاعر والحب)

أعدتِ خُفوقَ القلب مِنْ بَعدِ حرمانِ	فبدَّدتِ أشجاني، وجدَّدتِ أشجاني
وكنتُ هجرت الحبَّ من بعد غُصَّةٍ	توالـتْ، فلمـا فُتُّـه عـاد يلقـاني
تَجنّبتُـهُ في كـل حسـناء راودتْ	فـؤادي، فلمـا لُحـتِ أنـتِ تلقّـاني
تَلقَّـى نُزوعـي مثـلَ نـاءٍ بعـودةٍ	إلى الـوطنِ الغـالي وللأمـلِ الحـاني
وقد شِبتُ من حُزْني وفي الحبِّ يومُه	كعـامٍ، وحسـبي في التفرُّقِ عامـانِ
فلمـا التقينـا في لقائـكِ لم أُطـق	سُلوّاً، وهـل كـان السلوُّ بإمكـاني؟
لمـن غـيرَه عُمـري وكـلُّ ذخـائري	وهـل كـان غيرُ الحبِّ رحمـةَ فنَّان؟
علـى هـذه الـدنيا الوفـاءُ بحسـنها	إذا شـاءت الـدنيا روائـعَ إحسـاني
لتبـذلْ أناشـيدَ الجمـالِ وبَعـدَها	لتنشـدْ كمـا تهـوى بـدائعَ إتقـاني
عـلى قـدرٍ منـح الحـبِّ أُبـدع فنَّـه	وهل كان غيرُ الحبِّ مُلهمَ وجداني؟
قـدِمتِ قـدومَ الحـظِّ بعـدَ زوالـه	وكالجنـةِ الفيحـاءِ أثنـاءَ نيرانـي
فيـا جنـةَ المحـروم رُحمـاكِ بعـد مـا	تعذبتُ في الآلام أضعـافَ حرمـاني
ذريـني أمتِّـعْ في وصـالك مهجـتي	فينصَـفَ مـني القلـبُ والفـنُّ في آنِ
أخلّــد في فـــني جمالَــكِ مثلمــا	أبدُّ جمالَ الفنِّ في وصفِك السـاني

المســـاء

عُــودي إلى ظِـلِّ المسـاءِ فنلتقـي	رُوحَـيْن للـدنيا بغـيرِ رقيـبِ
إلا الهــلالَ وأنجمــاً حنّــتْ لــه	فتُخَــالُ بــين حبيبــةٍ وحبيــبِ

نمشي على أرضٍ من الأحلام لم — تُبْسَطْ لغير الحسْن والتشبيبِ
وتخصّنا الأطيارُ والأشجارُ والـ — أزهارُ بالتغريدِ والتطييبِ
فأبثُّكِ النّجْوَى مِن القلبِ الذي — كالطفلِ لا يسلو مع التأنيبِ
وأسير لا ندري إلامَ مَسيرُنا — ونلوح بين غريبةٍ وغريبِ
في حين نمتلك الوجودَ بأسرِهِ — ونسود دونَ مُسَائلٍ وحسيبِ!

باقة السلام

جاءَتْ وفي يدِها العزيزة باقةٌ — بَسَمَتْ فكانت للسَّلامِ شِعارَا
فأجبتُ دونَ سؤالها: أيْ مهجتي! — حُسْنٌ كحسْنِكِ يأمُرُ الأزْهارَا
لا أنْ تكونَ لهُ الشَّفيعَةَ عِند مَنْ — يَهْواكِ حتى إنْ قَسَوْتِ جِهارَا
تَكْفيكِ عطفةُ نظرَةٍ يَدْري بها — كُنْهَ النَّعيم فيجتليهِ مِرارَا
أقبلتِ مُذنِبَةً وأنتِ مليكةٌ — فازْدَدْتِ بالثَّوْبِ الجميلِ فَخَارَا!
هاتي شفاعتَكِ السَّنيةَ باقةً — مِنْ وجنتَيْكِ وفيكِ تُطفئ نارَا
خَطَّافَةَ الأَبصارِ في استعلائها — وببرِّها لي تُذهل الأبصارَا
فأمتِّعُ الوجدانَ مُتْعَةَ عابرٍ — وأشُمُّ حينَ أَشِيمُها أسْرارَا
يا باقَةَ الحُسْن النضيرِ بعَطْفِهَا — مَنْ شَمَّ زَهْرَك أنْشدَ الأشْعارَا!

عشق النظرة الأولى

كالنُّورِ في فَجْرِ العليلِ اليائسِ — مَرْآكِ بيْن تهافُتي ووساوسي
يا نَظْرة ما كنتُ أحْلُمُ قَبْلَها — أنَّ الغرامَ يردُّ بؤسَ البائِس

غلبتْ جَميعَ مَشاعري وعواطفي — وتملكتْ لُبِّي بصولةِ سائِسِ
فتخلَّفَ الضِّدَّانِ: نشْوةُ ظافرٍ — فَرِحٍ وأُخْرى في لذاذةِ يائسِ
فكأنما قلبي الذي راعَيْتُهُ — خطفتْه فاتِنَتي بِغَفْلةِ حارسِ!
لكنْ أَبَتْهُ فعادَ يَرْقُبُ عَوْدَها — مثْلَ الجريح صَبا لِعَطفِ الفارسِ!

الجريح المنسي

جَرَحْتِ بلَحْظِكِ الفتَّانْ — فؤادَ العاشِقِ الفاني
وكيفَ لمثلهِ السُّلوانْ — وعندَكِ عُمْرُهُ الثاني؟!
يُنادي: آهِ يا قلْبي — ويأبَى غَيرَكِ الآسي
كذلِكَ شيمَةُ الحُبِّ — عبادَةُ حُسْنِكِ النَّاسِي!
قَضَيْتُ بِحُرْقتي عُمْري — على الآلامِ في ذِكْرِكْ
وغايةُ مُشْتَهى أجري — لِقاءُ الطيفِ في فكرِكْ!
فَشِبْتُ بنارِ أحزاني — ولم تَرْحَمْ مُنَى سِنِّي
ونُحْتُ لطولِ نسياني — بِجُرْحٍ نائلٍ منِّي
فيا معبودَ أحلامي — وليتَ الحُلْمَ مِنْ حُلْمِكْ
أطيلي كلَّ آلامي — إذا ما كُنَّ في عِلمِكْ!

الشك

أكاد متى ألقاكِ والصفوُ غالبي — أشكُّ بصفوي رغم حُبِّكِ بل أبكي
وما كان وجدي غيرَ فرط سعادتي — ويا ربما كان اليقينُ من الشكّ

تعوَّدتُ صابَ العيش حتى وجدْتُه حياتي وإنْ آنستُ حُلوَ المنى منكِ
فأصبحتُ في صفوي أنوح بمهجتي وإنْ لم أنحْ ناح السرورُ فأستبكي!

دنيـــاي

يا وجهَها إنّ فيك الحسنَ مشتعلاً واللطفَ ممتثلاً والحبَّ مجتمعَا
يا ثغْرَها إنّ فيك النورَ مؤتلقاً والعشقَ محترقاً والسحرَ مطّلعَا
يا شَعرَها إنّ فيكَ الموجَ مضطرباً والليلَ محتجباً والصبحَ ممتنعا
يا صدرَها إنّ فيك الوعْدَ منتهياً والعطفَ مزدهياً والبرَّ متسعا
يا صوتَها إنّ فيك الوحيَ منبثقاً والشعرَ مندفقاً والفنَّ مبتدعا
روائعٌ هي لي الدنيا بأكملها ولن أقيس بها خُلداً وما جَمعا!

قبلة البرتقال

عشقتْ عصيرَ البرتقال فذهَّبت بعصيرِه الناريِّ مِن شفتيها
ومصصتُ أخرى بعد أن جادت بها فاستفتُ حُلوَ غرامها بيديها
حتى إذا لم تبقَ منها نفحةٌ وظللتُ كالظمآنِ عاد إليها
جادتْ عليَّ بقبلةٍ معسولةٍ جمعتْ شهيَّ الخمرِ من حلويْها
فغنمتُ خمرَ البرتقالِ بثغرها وغنمتُ خمرَ الحُبِّ من شفتيها!

أنساك؟!

ما زلتِ لي أحلى المنى — بل أنتِ لي فوق المنى!
يا مُهجتي لا تجزعي — يا مهجتي انتِ أنا!
أنساكِ؟ هل يَنساكِ مَنْ — لولاكِ لم يدرِ السنا؟
ما كان حُبِّي هيِّناً — إنْ كان صبري بيّنا
هل نعمة الدنيا سوى — ذكراكِ ذكراً يُجتَنَى؟
إنْ يغنمِ العذّالُ تشـ — ـريدي وراحوا بيننا
فالقلب يأبى حُكمهم — والحبُّ سلطانٌ لنا
دُنياهمو دنيا الهوا — نِ ونحنُ أسيادُ الدُّنا!

غناء العاشق

هل في الحياةِ سوى رِضاكِ حياتي؟ — أو في المماتِ إذا أردتِ مماتي؟
أملي ويأسي! حسرتي وسعادتي! — لو تأذنين نعمتُ في حسراتي
حسبي استماعُكِ لي وحسبي لذةً — قُربي إليكِ ولو على أنّاتي
هذا الغِناءُ وما به منْ لوعةٍ — روحي مقسَّمةٌ على نغماتي
فإذا استمعتِ إليهِ صُنتُ لمهجتي — عُمْراً بما تُسدين مِنْ إنصاتِ
وإذا أبيتِ سوى العُزوفِ أضعتِها — بطريدةِ الأنغامِ والآهاتِ
والناسُ تحلمُ بالجنان ووعدِها — وأنا حليفُ النار في جنّاتي
وأحبُّ هذي النارَ لو لكِ لذةٌ — فيها، وأحسبُ حُرقتي كحياتي!

بعد الصيف

إضـــحكي يـــا رمـــالْ　　مِـــنْ هـــديرِ الميـــاهْ

غـــاب مَلْـــكُ الخيـــالْ　　وتجلّـــــى ســـــواهْ

*****

ذاك بَحـــرُ الـــدموعْ　　مِـــنْ بكـــاءِ الزمـــانْ

فهـــو دومـــاً مَـــرُوعْ　　مـــنْ مَـــآلِ الهـــوانْ

*****

كـــلُّ حســـنٍ بَنـــاهْ　　بيديْـــــهِ يـــــزولْ

ومِـــراراً رَثـــاهْ　　وأطـــالَ العويـــلْ

*****

إضـــحكي يـــا رِمـــالْ　　مِـــنْ فُتـــوني العظـــيمْ

أنـــا عبـــدُ الجمـــالْ　　الضـــريرُ الحكـــيمْ

*****

جِئـــتُ أرجـــو لـــديكِ　　فتنـــــةَ اللاعبـــــاتْ

فحنـــــوّي إليـــــكِ　　هـــــو للغانيـــــاتْ

*****

أيـــن أعشاشُـــهنَّ　　الغـــوالي الحســـانْ؟

أيـــن لهـــوٌ لهـــنَّ　　قـــد حـــوى الافتتـــانْ؟

*****

ســـامحيني إذا مـــا　　عُـــدتُ عـــودَ اليتـــيمْ

أتنـــزّى سُـــقامًا　　بعـــد مـــوتِ النســـيمْ

*****

ســـامحي طـــولَ مُكثـــي　　والتفـــاتي إليـــكِ

تلـــكَ رُوحـــي ببحـــثٍ　　عـــن نعـــيمٍ لـــديكِ

*****

حيثمـــا قـــد مـــرحْنَ ونقشْــــــنَ الثــــرى
ثـــم غِـــبنَ ورُحْـــنَ بَعـــدَ أســـرِ الـــورى

* * * * *

ويعـــود الأســـارَى يســـألون الرمّـــالْ
في وُلـــوعِ الحيـــارَى عـــن خطـــوط الجمـــالْ

* * * * *

مِثلَهـــا لـــنْ يَضـــيعْ رغـــمَ غـــدرِ السَّـــحابْ
ذاك شِـــعرٌ بـــديعْ خالـــدٌ في كتـــابْ

* * * * *

يقـــرأ الملـــهمونْ في شـــعوري بيانـــهْ
عـــلَّ شِـــعرَ الجُنـــونْ فـــاقَ شِـــعرَ الرزانـــهْ!

وردتـــي

وتمايلـتْ نحـوي فكـدتُ أبوسُـهَا شَـغَفاً وأنشـقُ وردةً في خـدِّهَا
فأبـــتْ بخفـــةِ طـــائرٍ متـــدلِّلٍ ورمـتْ إلـيَّ يتيمـةً مـن وردِهـا
فأبيـــتُ تحفتَهـــا وإنْ أعززتُهـــا وسـألتها مَنحِـي رضـىً مـن ودِّهـا
فتجاهلـــتْ وتســـاءلتْ وتمايلـــتْ فغنمـتُ غُـنْمَ وصـالِها مـن صـدِّها
حتـى اصـطلحنا وَاتّفقنـا راضـياً عـن قُبلـةٍ مـن وردِهـا في بُعـدِها
فلمسـتُ وجنتَهـا بزهرتهـا، ومـا أحلـى الجنـى من خـدِّهَا في رَدِّهـا!
فتفتحـــتْ وشممتُهـــا ولثمتُهـــا أوَ لم تـكُ الخُمـران نفحـةَ خـدِّها؟

العذاب المنشود

وقــالوا: تَعـذَّبْ في هواهــا! فإنَّمــا — تُجيـدُ بشــعرٍ إن بَــرَاكَ هواهــا!
فقلــتُ: حــرامٌ أيُّهــا النــاسُ! إنّــني — أرى الشِّـعْرَ يَدْعو الشِعْرَ حـين أراهـا!
ومَن لـي سـواها يَجْعَلُ الكَوْن بهجـة؟ — ومَــنْ مُلْهِمــي الآيـاتِ فيـهِ سـواها
إذا هـي لاحتْ صـارتْ الأرضُ جنـة — وإن هــي غابــتْ لا أطيــقُ لَظاهــا
كـأنَّ جمـالَ الكـوْنِ طـوعٌ لحُسـنِها — وفي حُسْـنِها كـلُّ الجمـالِ تنـاهى
فإن هي بانتْ أَوْحَشَ الكـونُ بَعْدها — كأنَّــا عــدمنا في الوجــود إلهــا!
وإنْ هـيَ عادتْ أفْعَمَ الكونُ خاطري — نظيمـاً، وأسـقاني الحيـاةَ سـناهَا!
ولاحَ لِلُبِّــي كــلُّ شــيءٍ قصــائداً — مـنَ الشِّـعر حَيَّتْ حُسـنها ومُناهـا!

سامحي نظرتي

ســامحي نظرتــي إلى ســاعديْكِ — فافتتــانُ العيــون عَــذْبٌ لــديْكِ
كـلُّ نـورٍ للشَّـمسِ قـد ضـاعَ إلاَّ — كَنــزَ نــور صــانته في ســاعديك
خُضّـبا بـالبَهيِّ مِـنْ شَـفَق الشَّمـ — ـسِ ومِــنْ سُــمْرَةٍ حكَـتْ ناظريــكِ
فتأسَّــتْ عمَّــا تبــدَّدَ منهــا — بجمــالٍ يفـيضُ سِــحْراً عليــكِ
ويُمَـلُّ الضِّـياءُ مِـنْ وهَـج الشَّمْـ — ـس ومــا خــفَّ شــوقُ رانٍ إليـك!

الزهر القتيل

(وصف الزهر الذابل طي كتاب الحبيبة)

أجريْتِ للزَّهْرِ القتيلِ دُموعي — وأثرْتِ مِنْ قلبي وَفيَّ وُلوعِي
قبَّلْتُهُ وشممْتُهُ وضَممْتُهُ — وحَنينُهُ مثلي حنينُ رُجوعِ
أرسلتِه طيَّ الكتاب فمات في — كنفِ الجمال الحاكم المتبوعِ
أودى الفراقُ به، وقد كفَّنتِهِ — برسالة الحبِّ المثير نزوعي
فوددتُ لو أني القتيلُ مكانَه — بيديك... لا أرضى رجاءَ شفيعِ
لم يبقَ منه سوى تحيتك التي — فاحتْ كما فاحتْ جنانُ ربيعِ
وكأنما هيَ فيه روحٌ دائِمٌ — رغم الذبول، فمات غيرَ جَزوعِ!
واعتزَّ في الظرف العزيز كأنهُ — مَلِكٌ بتابوت السَّنا المطبوعِ!
وكأنما الأحلامُ قدْ زفتْه لي — من سالفِ الأجيالِ لا الاسبوعِ!

*****

شُكْراً مُعَذِّبتي وألفَ ضراعةٍ — لجمالِكِ الجاني الضمينِ خُضوعي!
مِنْ صَفْوِ وجداني ونَبْعِ عواطفي — مِنْ كلِّ إحساسي ومِنْ مجموعي
أنْسيتِني بالأنْسِ حَولكِ وافراً — مِنْ منظَرٍ صاحٍ ومِنْ مسموعِ
وأنا أَئِنُّ بغُرْبتي في حَسْرةٍ — وتعاسةِ المحرُومِ والمفجوعِ
حتى ذكرتِ شقاوَتي فبعثْتِ لي — هذا! العزاءَ لقلبيَ المصدُوعِ
مَنْ ذا الذي جعلَ الضحيّةَ سُلْوَةَ — الآلِ، والإرْضاءَ نثْرَ دُموعي؟!

شـم النسيـم

(إلى الحبيب الهاجر)

أهـلاً (بشَـمِّ النَّسـيمِ) يَطيـبُ في ذِكْـراكْ
كأنمـا هـو رُوحٌ نشَـرْتَها مِـنْ هَـواكْ!
ففـاحَ منهـا (الرَّبيـعُ) وجُـدِّدَ الكَـوْنُ طُـرًّا
ورَفَّ قلـبي سُـروراً كأنمـا حـال زَهْـرَا
أوْ إنمـا بَعَثْتَـهُ ذِكْـرى صُـعودِ (المسـيحْ)
وجُـدْتَ أنْـتَ بِعَطْـفٍ أحيـي الشـهيدَ الجـريحْ!
وأوقـدُوا النَّـارَ فيـهِ و (الفجـرُ يرْنـو لنـاري)
حتـى الإلـهُ (بتـاحٌ) رأى بهـا أشـعاري!
يـوْمٌ بـهِ تَتَبـاهى مواكِـبُ الشُّـبّانِ
تسـتَقْبلُ الصَّـفْوَ حُبّـاً في النهْـرِ والبسـتانِ
ومـا تباشـيرُ عيـدي وغَـرْسُ هـذا (الرَّبيـعْ)
إلا حنـانُ فـؤادي إلى سـناكَ البـديعْ!
عيـدٌ لأبنـاءِ (مِصـرَ) مُؤَصَّـلٌ في قـرونْ
وعيـدُ قلـبي المرَجِّـي مَـنْ خَصَّـني بـالفتون!
فكـلُّ (شـمِّ نسـيمِ) وأنـتَ تقطـفُ السـنا
لم أَسْـلُ أنْسَـك فيـهِ هيهـاتَ أُنْسُـكَ يُنْسَـى

خمر الطبيعة

أنْصَفْتِ.. ما خمرُ (الطبيعَةِ) إن جَدَتْ ... إلاَّكِ حينَ الماءُ بَينَ يَديْكِ!

هاتيهِ يَروي غُلّةَ الصبِّ الذي ... يُحْييهِ لَثْمُ الحبِّ في كفَّيْكِ

وأنا الجريحُ، وللجريحِ إذا هَوَى ... حَقٌّ منَ الإشْفاقِ رِيمَ لديْكِ

ظَمَئي إلى هذا النَّميرِ وقدْ جَرَى ... لَحْنُ الغديرِ بما يَطيبُ إليكِ

ظَمأ الصَّريع، وقدْ تمثَّلَ حُبَّهُ ... في الماءِ، فاسْتَجْلى بهِ شفتيْكِ!

*****

فَتَبَسَّمَتْ وأبتْ!... ولكنْ قبَّلَتْ ... ثغْري كشَهْدٍ بثَّ عِطْرَ لِلَيْكِ[1]

فافَقْتُ مِنْ حُلْمي الشَّهيِّ مقبِّلاً ... خدَّيْكِ، ثمَّ مُداعِباً عينيْكِ!

لم أدْرِ أيُّهُما الأَحَبُّ: أيقظةٌ ... أمْ ذلكَ الحُلْمُ المُطِلُّ عليْكِ؟!

فكلاهُما حُلْمُ الجِنانِ، فحَقِّقي ... وَعْدَ الجِنانِ، فمهجتي بيدَيْكِ!

قيثاري

قد حطَّمَ الدَّهرُ قيثاري فما تركتْ ... أَحداثُه غيرَ فردٍ بين أوتاري

فيا فؤادي تشجَّعْ ولتذبْ نَغَماً ... فيهِ الوداعُ لدنيا الحربِ والثارِ

عِشْتَ المُرَجَّى لفِنٍّ فَلْتَمتْ مثلاً ... للفنِّ ما دمتَ في الحالين قيثاري

وربما آهةٌ أرسلتَها وَلَهاً ... تفرَّدتْ بحياةٍ بين أشعاري

يا خافقاً بمعانٍ كلُّها شجَنٌ ... هوِّنْ عليكَ وبُحْ حُرّاً بأسراري

فيم التكتمُ والأيامُ قد نفدتْ ... وما بقاياكَ إلاَّ بعض آثارِ؟

---

[1] الليلك: Lilac: هو الزهر المعروف بين العامة بالعلى.

كأنّ صدري غدا لحْداً أضمّنه ذكرى السنين وأَحلامي وأوطاري!
يناشد الفنُّ ما أحسستَ من تلفٍ فالفنّ غيرُ رحيم، غيرُ صبَّارِ
فنُحْ إذنْ غيرَ هيَّابٍ ولا وجِلِ لكنْ نواحَ جريحٍ خَلْفَ أسوارِ
مهما تألم والآلامُ تُنطقه تلقاه يُزري بأصفارٍ وأحجارِ

الصدى

يا مَنْ إليها حَنيني ومَنْ لديها حياتي
ومَنْ نَأتْ وهي تدْري ولستُ أدرِي شَكاتي!
أصبحتُ مثل طريدٍ مشرَّدٍ في الفَلاةِ
أو كالصَّدَى من غناءٍ حياتُه كالمماتِ
أو كالحباب لخمرٍ يَضيع بين السُّقاة
أو كالشّذى في نسيمٍ والزَّهرُ غيرُ مؤاتي
كم نِلْتُ عَطفاً وحُبّاً من الهُواةِ الرُّواةِ
ولم أذقْ غيرَ وجدي وغيرَ حرمان ذاتي
ما للصدى من وُجودٍ إلاّ كإشفاقِ عاتِ
إذا نأيتِ فذاتي وهمٌ ووهمٌ حياتي

متعة العذاب

بَدَّدْتُ آهاتي ونثرَ دُموعي ورضيتُ نارَ فؤاديَ المفجوعِ
وصدفتُ عن قلقِ النَّسيم للوعتي وعن الرياضِ تشبّثتْ برجوعي

وعـن المبـاهِجِ في الطبيعـة كلـها حـين الطبيعـةُ روعـتي وخشـوعي
واشـتقتُ تعـذيبي كـأنّ تَبتُّلـي هـذا العـذابُ وللشـقاء نُزُوعـي
خلّـي صـدودَكِ يسـتطيل فإنمـا أحيـا حيـاةَ مكفّـرٍ مفـزوعِ
قـد مضَّـه الحرمـانُ إلاّ شـعلةً تُـذكي لهيـب َالشـاعرِ المطبـوعِ
فيـذوب في الشعـرِ الحـزينِ فـؤادُه ويضـوعُ بـين تَحَـرُّقٍ وولـوعِ
فيعـيش بالوجـد الألـيم كأنمـا هـذا العنـاءُ لـه دواء الجـوعِ
الحسـنُ إنْ فـات الحيـاةَ فـإثْرُهُ ظُلَـمٌ، ومـا المطبـوعُ كالمصـنوعِ
ما قيمةُ الذكرى؟ وهل يُغني المُنَى عن شمسـها نـورٌ كنـوع شُـموعِ؟!
أصبحتُ أسترضي العذابَ كأنني أخشى وصالَكِ بعد طول هجوعي
أفنَـى يسـامرني الشـقاءُ ولم أجـد غـيرَ الشـقاءِ مجففِـاً لـدموعي!

العائدة

يـا صـورةً عـادت فـؤادي العليـلْ هـل يخـدع الطبُّ ويـأبى الجميـلْ؟
مَـنْ مُبلـغُ الحسـنَ – وفي بُعـده نـاري – حـلالٌ لـه أن ينيـلْ؟
يـا هـاجراً- يحسـب في هجـره طبِّـي ونفعـي – قـد عـداك الدليلْ
هـذا دوائـي مِـن جَنـاكَ الـذي حرَّمْتَـه حتـى غـدا المسـتحيلْ
مـا لـي سـواه، فـالهوى نفحـةٌ للـروح، لا صـورةُ وجـه جميـلْ
هـل يجمـع الفـنُّ بإعجـازه مـا أنـت مِـنْ فـن عزيـزٍ نبيـلْ
أرسـلتَ لـي الظـلَّ فمـن لـي غـداً بالخلْـدِ مِـنْ عَطْفِـكَ، فهـو الظَّليـلْ؟
لا حُرقـةُ النـارِ بهجـري، وكـم تَستصـغر النـارَ بقلـبي العليـلْ!

تتســـاءلين؟

تتســـاءلين متـــى يكـــون وداعُنـــا؟ أتـــرحِّبين إذن بيـــوم وداعـــي؟!
لا تُظهـــري ألمَ الحزينـــةِ للنـــوى ودَعـــي الشـــجون لقلـــبيَ الملتـــاعِ
مـــاذا أبحـــتِ؟ ومـــا الـــذي ظفرتْ بـــه روحـــي بقربك غير خطف شـــعاعِ؟
فضـــلٌ علـــيَّ، ولم أصـــنه فإنـــه قـــد ســـار في شـــعري ونفح يراعـــي
غَـــنِمَ الّـــذينَ ترنَّمـــوا بتـــأوُّهي وبَقيـــتُ في شـــجني وفي أوجـــاعي!

*****

تتســـاءلينَ؟.. أمـــا اكتفيـــت بـــأنني أبكـــي وأضحك في خيال النـــاعي؟!
أبكـــي جُنـــوحَ الحـــظ عـــني دائمـــاً والحـــظُّ يبســـم لـــي بغيـــر قنـــاعِ
علَّمتـــهِ هـــذا التقلـــبَ جانبـــاً والســـخرَ من حَرَقـــي ومـــن أطمـــاعي
وكـــأنمـــا الحرمـــانُ خصـــب عـــواطفي وكـــأنمـــا الآلام مـــن إبـــداعي!

*****

تتســـاءلين؟.. فـــأيُّ أنـــسٍ فـــاتنٍ أســـدَيتِ مُشـــفقةً علـــى إشـــعاعي؟
أغويـــتِ أحلامـــي وغِبـــت قريـــرةً ورجعـــتِ أبيـــةً وراء قـــلاعِ!
وغنمـــتِ تســـليمي بـــلا شـــرط ولا قيـــدٍ ومـــا قـــدَّرتِ نُبـــلَ دفـــاعي!
ومـــدحتني مـــدْحاً رضـــيتُ نقيضَـــه لـــو صـــان لـــي قلبـــاً رهـــينَ ضـــياعِ!
وتـــركتِني المهـــزومَ والمحـــرومَ والـــ مـــكلومَ في أرَقٍ وفي استســـماعِ
وبخلـــتِ حتـــى بالعنـــاق لعلـــني أمضـــي الضحيةَ في سرور الـــواعي
وزعمـــتِ أنكِ لـــي! فمـــا أقســـاه لـــي عطفـــاً ومـــا أحـــلاه في الأســـماعِ!
وقضـــى دلالُـــك أن أغَـــصَّ بقبلـــة وأنـــا الشـــجاعُ فكنتُ غير شـــجاعِ!

*****

تتســـاءلين متـــى يكـــون وداعنـــا؟ أتـــرحِّبين إذنْ بيـــوم وداعـــي؟!

عاصفة الربيع

ضَنَّتِ الشمسُ بألوانِ الربيعِ ... أم كبا النُورُ كحظّي بدموعي؟
عصفَ الجَوُّ بلفحٍ من ضِرامِ ... وعجاجٍ كشقائي في غرامِي
أتراهُ مِنْ زفيرٍ وأنينْ ... سوف يمضي كعذابِ العاشقينْ
ويَعودُ الجوُّ أصْفَى ما يكونْ ... كصفاءِ الحبِّ مِنْ بعد الجنونْ؟!
ضَنَّتِ الشمسُ وكم ضنَّتْ وضَنَّتْ ... حينما أنفاسِيَ الحيْرَى تمنَّتْ
ضَنَّتِ الشمسُ وكم للشمس بُخلُ ... بينما يستبعد الحِرْمانَ عَقلُ
وكذاك الحُسْنُ في البُخْل عجيبْ ... حينما الحُسْنُ غِذاءٌ للقلوبْ
مَنْ تُرَى يَرْعى هواها ومُناهَا ... وهي تَفْنى في تناسِي مَنْ بَراها؟!
أكذا في النُّور يَغشانا الظلامْ ... ونُعاني في حِمى الطبِّ السَّقامْ
أيُّ معنىً لربيعٍ فيه نَشْقَى ... ونذوق الحبَّ إرهاقاً ورِقًّا؟
يا حياتي كيف ترضينَ البعادْ ... في أوانِ الحبِّ حتى للجمادْ؟!
أعرفتِ الهجرَ مِنْ هذي (الطبيعهْ) ... أم تلقَّتْ عنك ما أضحت مُذِيعَهْ؟!
ابْسِمي يا رَبَّتي يَبْسِمْ وُجودْ ... كلُّ ما فيه جُحودٌ في جُحودْ
ما زفيرُ النارِ في هذي الجِنَانْ ... وبها الإحسانُ مِنْ طبْع الحِسانْ؟!
إنها سُخْرٌ من الدنيا بِقلبي ... بعدَ ما عذَّبْتِه من أجلِ حُبِّي
أقبلي فالطيرُ نادَى إلفَهُ ... ثمَّ ألقى كلُّ عانٍ خوفَهُ
وتَخلَّى عن مآسيهِ اليتيمْ ... وتَبنَّاه ضِياءٌ ونَسيمْ
واستعدَّ الكونُ للعُرْسِ الجديدْ ... فإذا بالعُرْسِ مأساةُ الوحيدْ
آهِ مما يَصْدَعُ المهجورَ آهِ ... بينما الدَّهْرُ بسُخْرٍ مُتَنَاهِ
نُلاقي الصَّيْفَ إبَّانَ الرَّبيعْ ... ويُعادَى حينما عزَّ الشَّفيعْ
وإذا الإعْصَارُ أَدْنَى ما يُلاقي ... وإذا الإظلامُ عنوانُ الفِراقِ!

دُميتـــي

دُميــةَ الطفــلِ ومعبــودَ الكـبيرْ	ومَــلاذي كلّمــا خــانَ الزَّمــانْ
كيـف بَدّدتِ مُنَـى القلْـبِ الكسـيرْ	بعــدما أسْــقَيْتِهِ حُلْــوَ الأمــانْ؟

*****

آهِ مـن دُنيـا مَشَـى فيهـا العُقُـوقْ	وتجنَّــى في تصــاريفِ الجمــالْ
أصـبح الخصـمُ بهـا مثـلَ الشـقيقْ	وغـدا المحسـوسُ فيهـا كالخيـالْ!

*****

كنـتِ لـي الـدُّنيا وأُخـرايَ معـاً	لم تَعُـدْ دنيــا ولا أخـرى لـدَيَّ
كلمـا الـذكرى أهاجـتْ مَـدْمَعاً	أحــرقَ الـدَّمعُ ونـاري شــفَتَيَّ!

*****

آهِ مـــن ظُلْــمِ الهَــوَى للتَّابعيــهْ	عُوقِبــوا منـــه ومـــن أعدائـــهِ
شُـرِّدوا في الـدَّهرِ تشـريدَ السَّفيهْ	وتَسَــلَّى الحــبُّ في غُلْوائـــهِ!

*****

قِـبلتي في القُـرْبِ والبُعـدِ وفي	أيِّ مَثْـوىً وزمــانٍ لصــلاتي!
ضَـلَّ مَـنْ يحسـب إيمـاني الخفِـي	هـو مـا أُبديـهِ مـن سَلْوى حَياتي

*****

لم يَعُـدْ لَحْظـي يُـوافي مِسْـمَعِي	لا ولا قلــبي يــوافِي خــاطري
نَضَـبَ النَّبـعُ فأقصـى مَطمعـي	رَحمــةُ المـوتِ وقــبرُ الشـاعرِ!

المثـــال

أتَــتْ في وفـــاء الجمـــالِ النبيـــلْ

تُحيِّــــي العليــــلْ

بلحـــــظٍ كحيـــــلْ

وثغــــرٍ جميــــلْ

وعطـــفِ الخليلـــةِ نحـــو الخليـــلْ

بــــرغمِ الزمـــــانِ

ولكنهـــا أقســـمتْ أن تـــدومْ

كزهــــرٍ كتـــومْ

لعطــــرٍ نـــؤومْ

فطـــال الوُجـــومْ

وعـــادت تبــدِّد هـــذي الغيـــومْ

بنـــورِ الأمــــاني

دعـــتني لأعلـــنَ عـــن ســـرِّ فنِّـــي

بشـــعرِ التغنِّـــي

وحُلـــوِ التمنِّـــي

ومـــا نمَّ عنِّـــي

مـــن الحـــبِّ في كـــلِّ نظـــمٍ أغـــنِّ

كشـــعرِ (ابـــن هـــاني)

وشـــجَّعَها مـــن هـــوايَ ابتســـامي

ونجــــوى غرامـــــي

فـــــزادت هيـــــامي

بعـــذبِ الكـــلام

وجـــادت بـــرأيٍ كـــنفح المـــدام

لصـــــبٍّ يعـــــاني

دعـــتني لأرسمَهـــا في نظيمـــي

بـــــروحٍ وســـيمٍ

ولفـــظٍ ســليمٍ

ووصـــفٍ كـــريمٍ

وقالـــت: "ســأجعل هـــذا نـــديمي

وأيَ افتتـــــــاني!"

فهـــزَّتْ فـــؤادي بلحـــنٍ جديـــدْ

ومعنـــــىً فريـــــدْ

لقلـــبي العميـــدْ

فكـــــان الســـعيدْ

وقلـــتُ لهـــا: "يـــا إلهـــي الوحيـــدْ

وأشـــهى جِنـــاني!

"أينصـــفُ، حســنَك وحـــيُ الخيـــالْ

وأنـــتِ (المثـــالْ)

وأنـــتِ الجـــلالْ

وأنـــتِ الجمـــالْ

ألا فـانزعي الثـوبَ قبـلَ الـدلالْ

فيحيـا افتنـاني!"

فأزعَجَهَـا مـن غَرامـي سـؤالي

كـأنّي المغـالي

برسـم الجمـالِ

العزيـزِ المنـالِ

ألـيس المصـوِّر في مثـلِ حـالي

بصـيرِ المعـاني؟!

وعـادتْ إلى البشـرِ بشـرِ الحبيـبْ

بجسـمٍ رطيـبْ

فـلاح الأديـبْ

وراح الأريـبْ

فقبَّلـتُ (فينـوسَ) شِـعراً يطيـبْ

كوقـع المثـاني!

الحنين

هـدأةَ الليـل جَرَحْـتِ لـي فـؤاداً — كلّمـا التـامَ تَصَـبَّاهُ الخيـالْ

كـان لا يعـرف في الـدنيا حِـداداً — لا، ولا يعـرف معنـىً للمُحَـالْ

*****

كـانَ يَسـتوحيك ألـوانَ التَّنـاجي — كيـف أصبحتِ لـه ضوضـاءَ هَـمٍّ؟

يلمــح النــارَ بــأفقٍ فيــكِ داجٍ		وضحايا الحُبِّ مِن صدقٍ ووهمِ!

*****

أيـن شِـعْرٌ كـان مِنْ قلـبي يُغَنِّـي		ويُغنِّيــه علــى قلـبي النسـيمْ
مـات كالضـوء فـلا مَبْنـى ومعنَـى		لفـؤادٍ يُحْـرَمُ الحسـنَ الـرَّحيمْ

*****

يخطف الذكرى خيالي مِنْ سماءٍ		حلَّقـتْ فيهـا وجـافتني وعـادتْ
فـيرى الـذكرى فـؤاداً في دمـاءٍ		ليتها في هجريَ القاسـي تمادتْ!

أتمرضيــن

أتمرضـين؟ فهـل لا يخجـل المرضُ		أتُحجـبين؟ فمـن للحُسـنِ يُعلنُـهُ
ومَن يداوي همـوم النـاس في نظرٍ		وينشــر (الحــبَّ) جـذاباً تفنُّنـه
حُجبتِ يا مهجتي عمَّنْ وفَى فأبتْ		عينـايَ صـفواً سـوى عينيكِ يفتنـه
ورحتُ أشْوَقَ مُشتاقٍ فما سَمحتْ		دنيــاه إلاّ بحرمــانٍ يجننــه
أطوف حَولك في بيتٍ سُجنتِ به		كمـا يطوفُ حيال السكر مدمنه!
فــلا أفــوز بكــأسٍ مــن مرنِّحــةٍ		ويُحــرَم القلــبُ إلاّ مــا يؤبِّنــه!
واهاً على زمنٍ في البعد ضاع سدىً		وزاد سُـقم فـؤادي حـين يحزنـه
من يستطيع افتقاد الشمس غائبة؟		وأيُّ نبـتٍ زكـا والليـل يدفنـه؟
ولـو بروحـي وهبتُ الروحَ مغتبطاً		فصـحَّةُ العاشـق الولهـان تغبنـه
عـودي! تعـافي وحيِّيني أعُدْ مـثلاً		للبعـث في الحـب: إعجازاً يكوِّنـه!
أنا العليلُ شبيه الميتِ من جزعي		والـدهر يحسـده جهـلاً ويطعنـه!
ولـيس غيركِ يـدري بـي فيرحمنـي		ويـدرك الشـوقَ في نفسـي فيعلنـه

يا سلوة الروح

يا سلوةَ الرّوح هل للروحِ مِنْ أملٍ ... إنْ غبتِ عنها بأخراها ودنياها!
لم تحمد العيش إلاّ حينما عرفتْ ... فيك الألوهةَ فاستافتْ حُميَّاها!
فانْ نأيتِ فما هذا الخلودُ لها ... شيءٌ، وإن عُدْتِ عاد الخلدُ يرعاها
ولن تموتَ إذا آثرتِ جيرتَها ... فإن رحلتِ فخلّي الكونَ ينعاها!
عُودي تَعُدْ رحمة لله سابغة ... ونضرةٌ نعَّمتْ بالحبّ أسراها
عُودي فما حَرقَةُ الذكرى بآسيةٍ ... وأيُّ سلوى لروحٍ أنتِ ذكراها!

التقديس

أنّى رأيتُكِ رفَّ القَلْبُ مِنْ شغَف ... وحاصرَ الحسنَ في تقديسكِ الأمَلُ
جِسمٌ من النُّور تنبثّ الحياةُ به ... ومنه للناسِ ألواناً وتشتعلُ
لو كانَ لي حَظٌّ تقبيلٍ لما قنعتْ ... رُوحي بما ألِفَ العُبَّادُ أو أمِلُوا
وكنتُ أغزوهُ تقبيلاً وأُنْهِكَهُ ... رَشْفاً كما يتمادى الطائِشُ الثَّمِلُ
حتى أراه طعيناً كلُّه وبهِ ... مِن الغرامِ جِراحٌ كلُّها قُبَلُ
هذا هو الحبُّ تقديساً لعارفهِ ... هذا هو الفنُّ يُسْتَهْوَى ويُحْتَمَلُ!

أغاني الصيف

عُودي أغاني الصيف واستبقي الهوى ... في بثّ آمالٍ وبعثِ أديبِ
مضتِ الشهورُ عليه يرقب عودةً ... لحنانِ (أفروديت) بعد مَغيبِ

غسلتْ بباسمةِ الأشعةِ جسمَها وتعطرتْ بتغزلي ونسيبي
وتخطرتْ بين الأزاهر شُعلةً للحسن وهي تلجُّ في تعذيبي
فالجوُّ فاض حرارةً وتأُّلقاً والزهرُ في ظمأ كقلبِ حبيب
وإذا النسيم سُكونُه من رهبةٍ وإذا مَجالُ الحبِّ جِدُّ رهيب
أنى مشيتُ - وفي الرياضِ عبيرُها ومحبتي ودلالُها ووجيبي -
رقصتْ أمامي في الظلال ونورُها أطيافُها بمشوّقٍ وعجيب
والناسُ تشكو الصيفَ وهو لمهجتي عيدٌ من الأعياد غيرُ مريب
فإذا الطبيعة فيه بين سذاجةٍ معسولةٍ وسعادةٍ لكئيب
لبست أفانينَ الدِّثارِ وإنما شفّتْ ولم تبخل مع التحجيب
بسطتْ بساط الحبِّ بين رعاية وأبتْ قيودَ الأسر رغم رقيب
فوهبتها قلبي الذي ما عابها يوماً ودان لها بأكرم طيب
واستمرأ الدنيا لأجل نَوالِها في حاليْ الهجران والتقريب
عودي أغاني الصيف واستبقي الهوى في بثّ آمالٍ وبعثِ أديب

عيد الربيع

الآن يهتفُ بالنشيدِ غرامي ويرفّ في حُلَلٍ من الأنغامِ
ويُقبّل الأرضَ التي جادتْ له بالحسن فتّاناً وبالإلهامِ
نجَمتْ حشائشُها بوشي ربيعها وزهت براعمُها بنورِ سلامِ
مِن كلّ ما تهبُ الحياةُ لسائلٍ عطفَ الجمالِ وكلّ لبٍّ ظامي
فاح الأريجُ فأيُّ قلبٍ لم يثبْ؟ وبدا الشّعاعُ فمن ترى المتعامي؟

(فينوسُ) مـرَّتْ كالبشـير فأنجبتْ ... هــذا الربيــعَ ومُلْكَــه المتســامي

هــذى مَفَاتنُهــا بكــلِّ صــباحةٍ ... طُبعــتْ علــى الأرواحِ والأفهــامِ

مـرتْ بموكبهـا فلـم تـترك سـوى ... حُلْـمِ الخلـودِ سمـا عـن الأحـلامِ

دَعْني أثـبْ وثـبَ الصـغير مناجيـاً ... مـا حفَّـني، وأجِـزْ صـلاة غرامـي

عِيـدٌ لــه الأرواحُ تسـكب حُبَّهـا ... ويفـيض بالإحسـان كـلُّ مقـامِ

هفـــوة

ولمَّــا تلاقينــا وصــارحتُهَا المنــى ... وجـادت علـى حُبِّـي بوعـدٍ مؤكَّـدِ

مضـيتُ كـأني أملـك الكـونَ مُفـرداً ... وإنْ صـفرتْ كَفِّـي وإنْ عطِّلتْ يـدي

وأن أوانُ الوعـدِ فاحتلـتُ ضـاحياً ... سـعيداً وقلـبي في رجـاءٍ مـردَّد

فأعلنــتِ الأقــدارُ أنــي غبــاوةٌ ... ضـللتُ مكان الوعد بل وقتَ موعدي

فــوالهفي للحــظِّ تُفنيــه هفــوةٌ ... وواحَرقـي للنـار في موعـدٍ نـدي!

جـرى الدمعُ من عينيَّ قبل تلـهفي ... سروراً فحال الدمعُ حسرةَ موجَدِ

ولم أرض عذر الدهر حتى عرفتها ... كـأني ضـمنت السعدَ في اليوم والغدِ

فلما بلغتُ الحظَّ من محضِ وعدِها ... وأمَّلـتُ مـنِ دهـري الـذي لم أعـوَّدِ

تبـدَّدَ حُلمـي بـينِ هَفـوةِ خـاطري ... وهفـوة دهـري مثـل روحـي المبدَّدِ!

الرســول

بشراكَ يا قلبُ! هذا خطُّها فأعِدْ
نشيدَ خفقِكَ في حبٍّ وفي طربِ

لا تشكُ من هجرها من بعد ما عطفت
مَنْ يغنم الخمر لم يسألْ عن الحَببِ

وذاك إنشاؤها يا عينُ فابتهجي
بكل حسنٍ طريفٍ نافحٍ أدبي

لا تذكري الدمعَ في شكواك باكيةً
من ظُلمةٍ بعدَ نورٍ غيرِ مغتربِ

وتلك ألفاظُها الفيحاء عابقة
للشمِّ واللثم في تشويقها العجبِ!

فاستدعي يا حواسَ النفس راضية
بما تمنيتِ بعد الوجدِ والوصَبِ

وا فَرْحَتي بعد يأسٍ بالغٍ وأسىً
شعرتُ أني به أصْلَى على لهبِ

فعدتُ للجنةِ الغناء في أملي
فكيف بي حين ألقى الحسنَ في طربي؟!

غـزلي

يا بهجةً لفؤادي ملءَ حسرتهِ
مَنْ لي سواكِ على نُعماه يؤتَمَنُ؟

تعوَّدَ الحزنَ حتى صار يُطربُه
ما دام منك له في حزنه الشجنُ

مرت سنونٌ وقد مرتْ، وما برِحَتْ
رُوحي سناك، فقلبي فيك مرتَهنُ

ما أعذبَ الألمَ المحيي ليالينا
بالذكر، لا البعد يمحوها ولا الزمنُ!

فما اشتهيتُ جمالاً لا أراكِ به
فكلُّ حسنٍ به إبداعُكِ الحسنُ

نيفٌ وعشرون عاماً منذ أن عرفتْ
رُوحي بانك لي دينٌ ولي وطنُ

ولا يزال نشيدي فيكِ يا أملي
فالصبُّ رغم هوانِ الحبِّ لا يهنُ

يتلو غرامي بشِعري عاشقٌ غزلٌ
يظن أن نعيمَ الحبِّ لي ثمنُ

وآخرٌ ليسَ تكْفيه حرارته
كأنما لم تثر في طيّه الإِحَنُ

وشاعرٌ مشفقٌ يدري – كما عرفت عواطفي – شعرَ من عانوا ومن غُبِنُوا!
وكلهم ليس يدري – رغمَ فطنته – ما يضمر اللفظ بل ما يفضح العلَنُ!
فلا (كُثيرُ) ولا نجوى (جميلٍ) ولا شِعرُ المحبة طرّاً فيه ما أزنُ!
عبادتي أنتِ أنواعٌ مَظاهرها وكم معانٍ لها قد فاتها الفَطِنُ!
وسوف أمضي لقبري لا أبوح بها إلاّ لخلّين: هذا الطيرُ والفنَنُ!
ويعرف الحبُّ في قبري رفات هوىً حين الرفاتُ نظيمٌ صانه الكفنُ!

القيثارة في المساء

"أعدْ ذلك اللحنَ الذي قد بعثتَهُ كسهمٍ إلى قلب يخاف عليهِ
أعِدْ! إن تكرار العذابِ لذاذة كتوديعِ مَنْ أهوى على شفتيهِ
أعِدْ وتفنن جارحاً ثم آسياً لك النغمُ المحيي القتيل لديهِ
حنانٌ يردّ الرُّوحَ واللبُّ حالمٌ بل الروحُ هذا اللحن رقّ إليهِ
أعِدْ يا نديمي مرجعاً سالف الهوى ليرقص هذا القلب بين يديهِ!"

*****

فرجَّع ألحانَ الشباب وأنسه بعزفٍ به عزَّ الغرام وتاها
ومال على أوتاره ميلَ قلبه فذابَ على أوتاره وتناهى
إلى أن غدا في العازف (الحبُّ) ماثلاً إلى أن سما حُسناً فكان إلها
فكانت كصوفيٍّ تناهى عبادةً إليه، وناجتْه فقبَّل فاها!

هبيني قبلة

هبـــيني قُبلـــةً أحَيـــا زمانـــا بنفحتهـــا... ألـيس العمـرُ منـكِ؟

إذا التقـتْ الشـفاهُ بهـا تلاقـت بأســرار الألوهـــة مـــن لـــدنكِ

وندَّتْ لـي رجـاءَ الحـبِّ حتـى رشـفتُ بهـا رجـاء الخلـد عنـكِ

وأقـبس نارَهـا نـوراً لقلـبي وأنهـل لطفَهـا ديـني وشـكي

نأيـتِ فمـا عرفـتُ الأنـسَ أنسـاً وكـان الزهـرُ لمّـا بنـتِ شـوكي

وأنظـــر للملاحـــةِ في دمـــوعٍ بوجـدانِ اليتـيم بكـى فيُبكـي

عشـقتُكِ فيِ الوِصَـالِ وفيِ التجافي فطـاب لـيَ التـنعُّمُ والتشـكّي

فمـن لـي أن أراكِ، ولـو بعمـري أراكِ، لبرهـــةٍ تحيـــي لـــديك

فـأغنم منـك عيشـي مـن جديـد بثغـري الباسـم الحـاني عليـك

وحـين أعـود للـدنيا سـعيداً أودِّعهـــا قريـــراً في يـــديك

على نغـمٍ مـن القـبلات أحلـى مـن النسـمات في لـثم اللّيْـكِ[1]

فمـا قتـل الغـرام سـوى عـزاء ومـا سـفك الهوى روحـي بسـفك!

---

[1] الليلك: هو الليلع أو الليلق أو الليلج بالفارسية.

فوق العباب

الطبعة الأولى

(يناير ١٩٣٥)

أحمد زكي أبو شادي

إهـــداء الدّيــوَان

إلى الغائبِ المحجوبِ من عالَمِ الثَّرَى ... إلى مَنشـأ الـدُّنيا إلى مُنتهـى الـورَى

إلى ذلـك الطَّلْـقِ الفضـاء الـذي بـه ... تَبَعْثَـرَ مِـنْ حُلْـمِ العُلَـى مـا تَبعثـرَا

إلى هـذه الأجـرامِ تمضـى ،سـريعةً ... وفي إثرِهـا الفكـرُ الجـريءُ تَعَثَّـرَا

إلى هـذه الأنـوارِ جـازتْ سَـفينُها ... ملايـينَ مِنْ بَحْرِ السنينِ الذي جرى[1]

إلى كـلِّ مـا صـانَ الوجـودَ وهَـدَّهُ ... وجَدَّدَهُ أضعافَ أضعافِ ما نَرى

إلى الحـبِّ رُوح الكونِ أهـدي عبادتي ... وأنشرُها شِعراً صريحاً ومُضْمَرَا

بَعثْـتُ بـهِ فـوقَ العُبـابِ عواطفـاً ... تَثـورُ فثـارَ المـوجُ حتـى تَنثَّـرَا!

أبو شادي

---

[1] إشارة إلى ظاهرة امتداد الكون بسرعة عظيمة.

العام الجديد

(عام الأزمات)

فَتى الدَّهر في أيِّ وَهْمٍ وُلِدْتَ ... وقد ماتَ أهلوكَ لَمّا وُلِدْتَ؟
وما لي أراكَ لقيطاً عليلاً ... فلا الأهلُ تَلقى ولم تَلْقَ بَيْتَا
شريداً على مَتْنِ هذا العُبابِ ... وكَم فوقَه يَلفظُ الدهرُ مَوْتَى!
يضجّ لطلعتهِ العالمونَ ... كأنّ بها من أذى الدهر مَوْتَا
أتُنسَبُ أنت لهذا الزمانِ ... وقد شمل البؤسُ حيَّاً وميتَا؟
فلا مَرْحباً بكَ يا ابنَ الضلالِ! ... لقد جئتَنا اليومَ مِن غيرِ مَأتى
كأنّ الإلهَ الحكيمَ القديرَ ... أبى أن تُعَدَّ حياة فمُتَّ
فنحن نعيش بغير الزمانِ ... لذلك لا يُسْمِعُ الحقُّ صَوْتَا
وأعجبُ مِنْ كلِّ فَوْضَى الحياة ... نفوسٌ ترى العيشَ وَهماً وثَبْتَا!

فوق العباب

غَنِّي الصبابةَ والألمْ ... فهما النهايةُ للنَّغَمْ
ما زلتُ عُمري كله ... حيرانَ أُصغي في الظُّلَمْ
وأنا القصيُّ من النشيـ ... ـيد، على هوىً، وعلى نهَمْ
نَغَمُ الخلودِ من الأُلُو ... هةِ فوق ثغركِ يَبتسمْ
تتبسّمين به ولا ... نلقاه إلا كالحُلُمْ
لا يستحيل إلى غنا ... ءٍ بل يعفّ عن الكَلِمْ
هو صوتُ خلاّقِ الحيا ... ةِ كنوره فوق السُّدُمْ

بـــااللمحِ أسمعُــــه وألــــــ ـــــحظُه جمــــالاً يـــزدحمْ
وكـــأنني الأعشـــى الأصـــمُّ فـــلا ضـــياءَ ولا نغـــمْ
إلا خـــــواطرهنَّ أبْــــــ ــــهى مِـــنْ جمــالٍ يســـتتمّ
صـــوتٌ يطـــوفُ علـــى العُبـــا بِ فـــلا يقـــرُّ ولا يُلـــمّ
إلا كإينـــــاسِ الحيـــــا لِ لمـــن تـــداوى بـــالألمْ
يـــا طالمـــا أنـــا بالخيـــا لِ مغـــامرٌ أو معتصِـــمْ
وأخــوضُ أمـــواجَ العُبـــا بِ وهـــنَّ دنيـــا تلـــتطمْ
وأرى الرمـــوزَ عليـــه أســـ ــفـــارَ الوجـــودِ المســـتجمّ
فأحــــلّ مِــــن ألغازِهـــا عِبَـــرَ الحـــوادثِ والأُمَـــمْ
فـــإذا الســـلامُ بهـــا الـــوغى وبهـــا الحـــوادثُ تَـــرتطمْ

بنـــات البحـــر

(من خواطر يوم مطير)

الجـــوُّ تملـــؤُه الغيـــومُ، وإنمـــا للصـــيفِ جنـــدٌ فرّقـــوا ذرّاتِهـــا
حتـــى تعـــودَ لهـــا الـــبرودةُ مِنعـــةً جمعَتْ سبايا الصيف من أشتاتِهَا
فتفـــيءَ للبحـــرِ المشـــوقِ أُبُـــوَّة لرجوعهـــا، فغيابُهـــا كمماتِهَـــا
فعلامَ تشكون الشتاءَ وما جَنى؟ أيـــلامُ حـــين حياتُـــه بحياتِهَـــا؟

*****

عُـودي بنـات البحـر في أمواجـه! كم نـال ظلمُ الضَّيْفِ من لذَّاتِهَا!
عُـودي! فقـد أحيـا الشـتاءُ وُعُـودَهُ فعُداتـهُ في الصـيفِ عـينُ عُـدَاتِهَا
عُودي وسـيري في العُبابِ جديدةً ثـم ارجعـي للسُّحْبِ بـين بُناتِهَـا

وتـدفَّقي مَطَـراً طغـى وجـداولاً ... تجري رواني السُّحْبِ في مِرآتِهَا
وتمتَّعـي بجديـدِ عُمْـرٍ ثـائرٍ ... لـن تُغـنمَ اللـذاتُ بعـد فوَاتِهَـا
وارْضَـيْ بـدنيا لا تـدومُ بحالـةٍ ... فـالعيشُ في التنويـعِ مِـنْ حالاتِهَـا

إلى صدقي باشا

أمـودِّعَ الحُكـمِ العـريضِ ولم يجـدْ ... بـين الأنـامِ مودِّعـاً وحميمـا
خـدعوكَ رغـمَ سياسـةٍ غلاَّبـةٍ ... والعقـلُ زَلتُـه تُضـيعُ زعيمـا
قُبِـرَتْ مواهبُـكَ العظيمـةُ مثلمـا ... أنسيتَ مَنْ جعلوا العظيمَ عظيما
والحُكـمُ مـا لم يسـتمدّ جَلالَـهُ ... مِـنْ رُوحِ هـذا الشـعبِ راح ذميمـا
لهفـي علـى وطـني تضيع قـواه في ... هـذا التنـاحرِ جانيـاً وأليمـا
حتـى كأنّـا للشـقاوة دائمـاً ... هَـدَفٌ، فمـا نَلْقَـى النعـيمَ نعيمـا!

غب يا ربيع

غِـبْ يـا ربيـعُ فلستُ مَـنْ يهْوَاكـا! ... طُـوِيَ الغـرَامُ كمـا طوَيْـتُ هواكـا
لِمَـنِ العُطـورُ وكـلُّ عطـرٍ سـابغٍ ... ألقـاه آلامـاً كمـا ألقاكـا؟
عُـدْ للـذين تعشَّـقوك وخلّـني ... في عُـزلتي أتأمّـل الأشـواكا
أو صبرْ إزاءَ الهجـر جَـدْباً شـاملاً ... إنـي أحسّ الجَـدْبَ حـين أراكـا
الشـاعرُ المكلـومُ تَصـدفُ عينُـهُ ... عـن كـلِّ مـا تُهـدي ولا ترضـاكا
لمـن العـبيرُ وكـلُّ أنغـام الهـوى؟ ... لمـن الـدلالُ تحـايلاً وشِـراكا؟

هــذي الشــباكُ الفاتنــاتُ مخايــلٌ | للـوهمِ مُـذ نــاجَى الحبيـبُ سـواكا
أعددتَ مجلـى نعمـتي، ونـأى كمـن | جــافى، فجُـنَّ الحــبُّ حــين رآكــا!

*****

غِـبْ يـا ربيـعُ! كفـى بمهزلـةِ الهوَى | أجــدُ النعــيمَ مناحــةً وهلاكــا
أبكيتَ في هذا الندَى؟ أبكيتَ في الـ | ـقَطر المُضــاعِ؟ لأنـت مـن يتبـاكى!
أنا وحديَ الباكي الشجيُّ بعزلتي | ولــو أنَّ حــولي عالَمــاً وشــباكا
ضــاعَ التجــاوبُ بيننــا، وكأننــا | خَصْـمانِ، أو أنــي جمعـتُ عِـداكا
يــا خالقــاً أُمَــمَ الجمــالِ وجــاهلاً | مَــنْ يســتقلُّ بهــا ولـيس يُحَــاكي
فرَّقــتَ بــيني والــتي بفتونهــا | أدركــتُ في ماضــي المُنـى مَعناكــا
مضتِ المنى، ومضتْ معاني طيبها | ومضيتَ أنتَ، وقد سمعتُ خطاكا!

هتــاف الربيــع

(أملاها صاحب الديوان على صديقه الفنان شعبان زكي)

هتــفَ الربيــعُ فمــا يكـون نشـيدُهُ | والظلــمُ يَعبــث حولــه ويُبيــدُهُ؟
أتــراه ســخريةً لســالفِ عهــدنا؟ | أو عهـدِنا الحــالي، فـنحن عبيـدُهُ؟
حتــى الجمــادُ يــرفُّ في حلــلٍ لــه | والنبــتُ يــرقص وشـيُه وجديـدُهُ
ونفوسُنا كالصخر ليس يسوسـهُ | نغــمٌ، ولــيس لــه بعيــدٍ عيــدُهُ
صَلدتْ من الجبروتِ حتى أصبحتْ | كالوهمِ في الضعف المديدِ مديدُهُ!

*****

غَنِّــي عصــافيرَ الربيــع، وإنمــا | كــلُّ امــرئ منّــا الأصــمُّ شـريدُهُ
غَنِّــي ولا تــتلفَّتي لنفوســنــا | فــالفقرُ حاكمنــا ونحــن جنــودُهُ
وُهِبَــتْ لــه والظلــمُ زكّانــا فمــا | يُجدي الفقـيرَ مـن الربيـع وُجـودُهُ

دُنيـا الفنـون هـو الربيـعُ، وحالُنـا ... دنيـا الهـوان، وللــهوانِ شــهودُهُ
ديســتْ كرامتُنــا ومــات رجاؤنــا ... أتــرى يكـون مـن الربيـعِ مُعيـدُهُ؟
هيهـات! والــنفسُ العليلــةُ جَدْبــةٌ ... إن الربيـــعَ ربيعُهــا تجديـــدُهُ
هيهــات إنْ لم تنــتفضْ لحياتهــا ... وتَثُــرْ علــى مَــوْتٍ تُشَـدُّ قيــودُهُ
والشــعبُ لم يَقْتُلــهُ مِــن ظُلامِــه ... إلاّ التهيُّـــبُ، فالكفـــاحُ خلــودُهُ!

خطيب مصر

(نظمت لمناسبة الخطبة الاجتماعية الرائعة التي ألقاها الوطني الكبير السيد مكرم عبيد في افتتاح نادي المحامين بالقاهرة)

خطيبَ (الوفد) أنتَ خطيبُ مِصـرَ ... وشــاعرُها المُبجَّـــلُ والمُفــدَّى
بــودّي لــو أصــونُكَ عــن جهــادٍ ... تسـوءُ بـه السياسـةُ مَـنْ تصـدَّى
وأن ألقــاكَ مُصــلحَ مصــر فيمــا ... نــداؤك فيــه يُنقِــذُ مَــنْ تَــرَدَّى
سـئمتُ مِـن السياسـة فهـي جُـرمٌ ... علـى الأخـلاقِ تُبْقـي الحُـرَّ عَبْـدَا
خطبـتَ فكنـتَ أحكـمَ مَـنْ تنـادى ... بمكرمــةٍ وأشــرفَ مَــنْ تعَــدَّى
تُحــاربُ عثــرةَ الأخـــلاقِ فينــا ... وتهتــفُ بالــذي تلقــاه أهْــدَى
لعمــري ذاك أجــدى مـن جهــودٍ ... تُطـيحُ بهـا السياسـةُ مَـنْ تحَـدَّى

إلى الشاكين

شكوتُ كما تشكون مِنْ زُعمائنا ... وقد كثروا لكنْ مآثِرُهُمْ قلَّتْ
فهلاً شَكوْنا مِنْ تهاوُنِ أُمةٍ! ... وهَلْ هي خافتْ في المعارك أم ملَّتْ؟
أيُنتقَدُ القُوَّادُ والجندُ محجمٌ ... عن الحرْبِ؟ أم هذي موازيننا اختلتْ؟
عرَفْتُ الرجالَ الرائدينَ مكارماً ... فإنْ لُمْتُهُمْ فالعيبُ مِنْ بيئةٍ ضلتْ
إذا خُذِلَ (الوفدُ) المثلُ أمّةً ... فلا عجبٌ في أمةٍ بعده اعتلتْ
فكونوا جميعاً وَحدةً أيَّ وَحدَةٍ ... وإلاّ فذوقوا الويلَ من وَحدةٍ ولّتْ!

غمرة الموت

فوقَ هذا العبابِ، في ظلمةِ الليْـ ... ـلِ، أُقضِّي الحياةَ لهفانَ حائرْ
لم يَزدْني الضياءُ مِنْ طَلعةِ البدْ ... رِ سوى ثورةٍ على كل ثائرْ
فكأنَّ الضياءَ أرواحُ مَوْتي ... جُمعتْ في السّماءِ بعد المقابرْ
وإذا بالضياء ميتٌ، وحسبي ... أن أرى الموتَ غامراً كلَّ غامرْ!

*****

يا حياتي! أيهزأُ القدرُ العا ... تي بكلّ القوى وكلّ المصائرْ
أم ترى أنتِ وحدَكِ الحسرةُ النشْـ ... ـوَى فتفنين دائماً في المخاطرْ؟!
ضحكَ الناسُ مِن شعوري وقالوا ... إنما هذه هواجسُ شاعرْ
بينما مِن صميمِ دنيايَ شعري ... ولكم صلَّلتْ حكيماً وساحرْ!

قصة الدنيا

لِمَنْ هذه الدُّنيا وهذي المغانمُ؟ ... أللخيرِ؟ إنَّ الخيرَ في الناسِ غارمُ
إذا أقبلتْ دُنياكَ لا تغتررْ بها ... وإنْ ظلمتْ لم يَبقَ غيرَكَ ظالمُ
أتطلبُ منها أن تجدِّدَ خَلْقَها ... وتحلمُ؟ إنَّ الشرَّ ما أنتَ حالمُ
خُذِ العُدَّةَ الكبرى لها غيرَ واهمٍ ... فليس غبيناً غيرُ مَنْ هو واهمُ
لقد مُزِجَ الشرُّ الذي أنتَ تتقي ... مع الخير، حتى حار حَبرٌ وعالمُ
ولو فُصِلاَ ما كان دينٌ ولا دُنىً ... فبينهما موجُ الورى متلاطمُ
وقد جُمِعَا كالكهرباءِ: فسالبٌ ... مطيعٌ، وعاتٍ موجبُ الطبع راغمُ
إذا افترقا ماتا، فدنياك عَيشُها ... حياتهما، والعدلُ كالظلمِ هائمُ
وأينَ وأينَ الصيرفيُّ مخلِّصاً ... فيُغنَمَ إبريزٌ ويُطرَحَ غاشمُ[1]
وأينَ جهودٌ الكيمياءِ فإننا ... نعيشُ بجوٍّ خيرهُ المحضُ جارمُ؟!
لقد حيَّر الألبابَ كنهُ وجُودِنا ... كما حار في تفكيرهِ الرَّثِّ نائمُ!

رغوة العصور

١- الأصل للشاعر الإنجليزي اللورد بيرون

Between two worlds life hovers like a star,
Twixt night and morn, upon the horizon's verge.
How little do we know that which we are!

[1] الغاشم: المعدن الخام.

How less what we may be! The eternal scurge
Of time and tide rolls on, bears afar
Our bubbles; as the old burst, new emerge;
Lash'd from the foam of ages....

٢- الترجمة المرسلة لصاحب الديوان

ما بين دُنيا ودُنيا وبين صبحٍ وليلٍ ... نرى الحياةَ كنجمٍ في حافةِ الأفق رفَّا

ما أصغرَ العلمَ منا بمن نكون وجوداً ... وأصغرَ العلمَ عنه بما سنمضي إليهِ!

المدُّ والجزْرُ يمضي والدهرَ في جيشانٍ ... وقد حُمِلنا بعيداً في موجهِ كالزَّبَدْ

وكلما انهدَّ فانٍ منها تجلَّى سِوَاهُ ... مُجَدَّداً ومَسُوطاً في رغوةٍ للعصُورْ!

رسالة الشاعر

مَرْحباً بالنشيدِ بعدَ النشيدِ ... في مَعانٍ مِن الزمانِ المديدِ

ومعانٍ تُزَفُّ للزَّمَنِ الآ ... تي... ألسنا له جُدودَ الجدودِ؟

هاتِ يا صاحبي أغانيكَ ألوا ... ناً فإنّا بحاجةٍ للمزيدِ

هاتِ مِنْ كلِّ لوعةٍ وغرامٍ ... خمرةً عُطِّرَتْ بوردِ الخدودِ

إنّما نحنُ في قيودٍ وفقرٍ ... لشعورٍ يفكنا مِن قيودِ

لسريِّ الأشعارِ مِنْ كلِّ ناي ... وأغاني فردوسِنا المفقود

نحن نحيا وليس فينا الذي يَحْـ ... ـيَا قريراً كبعضِ هذا الوجودِ

جمعتنا الآلامُ دونَ حُدودٍ ... وسُجِنَّا بعالَمٍ ذي حُدُودِ

فالتفتنا كما تلفّتتْ الدُّنْـ ... ـيا إلى الشاعرِ النبيِّ الشهيدِ

لـــيس إلاّهُ يفهـــمُ النُّـــورَ والظِّـلَّ ومَعناهـا بماضـي العهـودِ

وابتسـامَ الأشـجان في نظرة الفَجْـرِ وإن كــان في شـعورِ الوليـدِ

وأنـينَ الغـروب في الشـفق الـدامـي وإن لاحَ رائعـاً مـن بعيـدِ

واخـتلاجَ الآلام في كـلِّ شـيءٍ فــاتنٍ مِـن جمالــهِ المعبــودِ

صُــورٌ حولنــا لصــفوٍ وبــثٍّ في حنــوٍّ يُخــالُ مثـلَ الصـدودِ

فـإذا الشـعرُ مَـن يترجـم عنهـا عازفـاً للـورى أمـاني الخلـودِ

وإذا الشـاعرُ الــذي يُحسـن الفــنَّ حــريٌّ بمجــدنا المنشــودِ

رجوع الكروان

(نظمها الشاعر في السحر وقد أيقظه غناء الكروان الشجي)

أتعـودُ بعـدَ الشـيبِ يـا كروانـي؟ أتـرى الكهولـةَ كالشـبابِ الثـاني؟

هيهـاتَ! لم تُبـقِ السـنونُ لعاشـقٍ مثلـي سـوى الأصداءِ مـن ألحـاني

كنـتَ الرسـول[1] إلى جميـل حنانهـا فمضـيتَ ثـم مَضـتْ بكـلّ حنـانِ

وتسـمّعتْ أُذنـي إليـكَ فلـم تفـز أبـداً بغـيرِ صـدىً بعيـدٍ عـانِ!

والآنَ بعــدَ كهــولتي في عُــزلتي تــأتي برجــع نشـيدِها الفرحــانِ

وتلــحّ إلحــاحَ المبشّــرِ بــالهوى فالحُـبُّ فـوقَ منـازلِ الأديـانِ!

أهـلاً بمنقـذيَ الحبيـبِ! وهـل درَى أنــي علــى الإنقــاذِ جِـدُّ مُعـانِ؟

لم يبــق للقلــب المــذاب بقيــةٌ تحيــا وقــد أُلقيــتُ في الــنيرانِ

إلاّ حيـــاةُ الـــذكرياتِ وكلُّهـــا أشـجانُ ذي حَـرَقٍ علـى أشـجانِ

---

[1] أنظر أنشودة "الكروان الرسول" في ديوان (زينب).

قدْ جِئْتَ مِن بَعد الأوانِ وإنْ أبى ... زُهـدي، وعَـقَّ تَجمُّلـي تحنـاني
وكأنمـا الحـبُّ النقـيّ حياتُـه ... أبقـى مـن الإنسـانِ والأزمـانِ
ردِّدْ إذنْ وحـيَ الغـرامِ مدلجـلاً ... حيّـاً كشـدوِ شـبابها الفتّـانِ
كانـت تغـرّد لـي وكـان نشـيدُها ... جـمَّ العطـورِ منـوَّعَ الألـوانِ
تمشـي الطبيعـةُ في خـلالِ حروفـهِ ... بمشـاعرٍ ومَشـاهدٍ ومَعـاني
فأعِـدْ لوجـداني وقـد أيقظتَـهُ ... تلـك الحيـاةَ تُعِـدْ شـبابي الثـاني!

إلى الزعيم الأكبر

(حيا بها الشاعر دولة مصطفى النحاس باشا)

خـبرتُ زعامـاتِ الـبلادِ فلـم أجـدْ ... سـواكَ علـى ديـنِ الوفـاءِ يقـيمُ
تَصـونُ إخـاءَ الشـعب رغـمَ تَنابـذٍ ... ومـا كـلَّ يـومٍ للـبلادِ زعـيمُ
وإنّي الـذي يُشـجيهِ والخطـبُ داهـمٌ ... تَفـرُّقُ أحـزابٍ تَظـلُّ تَهـيمُ
كأنـا خُصـومٌ لا تـآلُفَ بيننـا ... مـدَى الـدهرِ أو أن الفـلاحَ خصـيمُ
ولكـنْ دَمـي يَهديـه والليـلُ قـاتمٌ ... وفـاؤكَ: فهـو النُّـورُ، وهـو عمـيمُ
سَكَنَّا إلى نجـواه في حَـيرَةِ الأسـى ... إذا مـا تجنَّـى بـاطشٌ ولئـيمُ
وكم قد سألنا الحاكمين انتصافَهم ... فمـا كـان منهم منصـفٌ وحكـيمُ[1]
سـألناهمو باسـمِ المـودّة تـارةً ... وباسـمِ جـلالِ الحُكـمِ وهـو عظـيمُ
وباسـمِ أمـاني العلـمِ والعصـرُ نيرٌ ... ومـا العلـمُ للعصـرِ المنيرِ غـريمُ
وباسـمِ صـداقاتِ الأُخـوّةِ والعُلـى ... بعهـدٍ كـريمٍ مـا سـلاه كـريمُ

---

[1] يشير الشاعر بصفة خاصة إلى ظلامته التي بثها إلى دولة صدقي باشا.

فما لمحوا مِن زفرةِ الحقِّ شُعلةً | وعشنا وعاشوا والظلامُ بهيمُ
ودالت حكوماتٌ وما زلتَ حاكماً | وأنت قَصِيٌّ عنه وهو يتيمُ
يتيمٌ، يتيمٌ – حينما الحُكمُ ما له | نصيرٌ من الشعبِ الأبيِّ – عديمُ
فبجَّلْتُ فيكَ النُّبلَ... يا ما أقلَّه | بدُنيا جَناها مجرمٌ ووخيمُ
وقدَّسْتُ فيك الحُبَّ للشعبِ بينما | تجنَّى عليهِ فاسقٌ ولئيمُ
وردَّدْتُ أمداحي وإن كُنَّ نقمةً | عليَّ بعهدٍ ليس فيه رحيمُ
ولكنما دِينُ الإباءِ سجيَّتي | وإني على دِينِ الإباءِ أقيمُ

النافذة المغلقة

(منقولة عن الأغنية الإيطالية الشهيرة وقد ترجمها نثراً
لصاحب الديوان الأديب محمد أمين حسّونة)

إمنحوني أيّها الخِلاَّنُ عُذراً | ليس لي ذنبٌ بغلقِ النافذهْ
ليس لي ذنبٌ، فكم قد ملأتُها | بغرامي أغنياتي الآخذهْ!
إنها الآنَ إلى الشارع تمضي | وهي مِن غيركِ تَفْنى يا جميلهْ
هي تَفنى دونَ إشراقِكِ إنْ لم | تَسمعيني ليلةَ الحُبِّ الظليلهْ
لِمَ لَمْ تنفتحي مِنْ بَعدِ غلقٍ | أيُّها النافذةُ المخفيُّ فيها
وَجدُ قلبي المُشعَلِ المجنونِ سُكراً | مِنْ غرامي في همومٍ يَشتهيها؟
بلّغيها أنني عبدُ هَوَاها | أنني ما زلتُ نشوانَ محِبَّا
إنْ تشأ خَدْعي فلي بعدُ يدٌ | لانتقامي لم تهَبْ حُسناً وحُبَّا
أصدقائي وأعزَّائي! وداعاً | بعد ما قد ماتتْ الأوتارُ كسرَا
فمحالٌ مرةً أُخرى لمثلي | عَزْفُها مذ طارَ ذاك الحسنُ طيرَا

أتركـوني هـا هنـا في عُـزلتي! ودَعُـوني أُنشـدُ اللحـنَ الأخـيرْ
رافعـاً صـوتي قويـاً داويـاً وهـو كـالموتِ لمعبـودي الحقـيرْ!
قطَّعـتْ قلـبي بوحشـيَّتها فاسمحي نافذةَ الحبِّ اسمحي لي
بغنـائي لـكِ أنـتِ المنتهـى إن يَـدُمْ روحُ شـبابٍ لـي مُنيلـي
نُـورَ قلـبي!.... نـارَ حُبِّـي!

موسيقى المعاني

عجبـتُ لمـن تـرَنَّحَ مـن رنـينٍ ويجهـلُ أيـنَ موسـيقى المعـاني
ولا عجـبٌ، فكـم لُـبٌّ أصَـمٌّ ولـيسَ الفـنُّ حيلـةَ تَرْجُمـانِ
وهـذا الكـونُ أنظمـةٌ تناهـتْ هواتفُهـا بأنظمـةِ الأغـاني
تحـفُّ بنـا مواكـبَ سـاحراتٍ وكـم متخلِّـفٍ في المهرجـانِ
يخـالُ وُجـودَه صـمتاً عميقـاً وأنّ وجـودَه في الأسـرِ عـاني
ومـا الحركـاتُ والسـكناتُ إلاّ أناشـيدٌ منوَّعـةُ البيـانِ
ومـا تلـك الشـموسُ ومـا إليهـا سـوى الأصداءِ من شعر الزمانِ
قبسـنا مِـنْ ملاحتهـا وصُـغنا عواطفَنـا كأنجمهـا الحسـانِ
وصـيَّرنا القـريضَ عُبـابَ كـونٍ يَعِـجُّ وموجُـهُ كالـدهرِ بـاني
يُصـافح أعمـقَ الأعمـاق وحيـاً ويصـعدُ بـالعواطفِ والجنـانِ
وينـدمج النشـيدُ بـه كيانـاً وكـم بـين المظـاهرِ والكيـانِ
فـإن يُدركـه مسـمعُ عبقـريٌ تبـيّنَ فيـه روعـةَ الافتتـانِ
وإنْ لم يَلْـقَ غـيرَ سمـاعِ قـومٍ نفوسُـهمو هـوانٌ في هـوانِ
فغايتُـهُ الضـياعُ، وإن تـولّى ليخلـدَ في الطلاقـةِ كالأمـاني!

الربّات الراقصات

يحيين أبناء (رع)

رَقَصْنَ، ورقصةُ الربَّاتِ معنىً
مِنَ الإلهامِ يَجهلُه التمنّي

تتثنَّيْنَ انسياباً واجتذاباً
فأنطقْنَ التجاذبَ والتَّثنّي

وغنَّينَ الحياةَ جديدَ لحنٍ
فصيّرنَ الحياةَ جديدَ لحْنِ

وقد ركع الإلهُ (خنومُ) عبداً
يطبِّلُ والجمالُ له يُغنّي

تراهُ شبيهَ مذهولٍ قريرٍ
على ظنٍّ يداعبُه وظنِّ

ونافخةٍ بمزمارٍ عجيبٍ
يبذُّ عجائبَ الوترِ المرنِّ

فتُخلَقُ منه موسيقى خيالٍ
وأخرى للخوالج قبلَ أذْنِ

لبسْنَ من الثيابِ فُنونَ وهمٍ
فكلٌّ جسمُها أحلامُ فنِّ

شُكولُ اللّونِ كالشفقِ المرجَّى
وكم علَقَ الرجاءُ ببعضِ لونِ

وأمواجُ الحياةِ بهنّ نشوى
كأمواجِ الصباحِ المطمئنِّ

سريعاتُ التجاوُبِ للأغاني
وفتنتهنَّ تجعلُهُ التَّأنّي

وهذي العُمْدُ والأصباغُ فيها
تُشارفُها بروحٍ قبلَ عينِ

وهذي الأرضُ مَلمسُها خِداعٌ
كلمسِ الحبِّ أو لمسِ التجنّي

تنكّر حسنُهن، وكم إلهٍ
تنكّر مثلهنَّ بكلِّ حسنِ

وهبنَ(رَعاً) قداستَهنَّ لمّا
سحرنَ بنيهِ بالرقصِ المغنّي!

المسرح الأكبر

(إلى الصديق الشاعر خليل شيبوب صدى رثائه لبنية عزيزة لديه)

أخـــي فيِ الحـــبِّ والأدبِ ... عـــزاءً مِــــن أبٍ لأبِ

عـــزاءً لـــيس يُنصـــفني ... فمـــا شـــعري ومـــا أدبـــي

وهـــذا القلـــبُ يَضـــربني ... كمـــوجٍ ســـاخطٍ لجـــبِ؟

قـــرأتُ ســـطورَكَ اللَّهْفَـــى ... فـــوالهفي! وواحرَبـــي!

أنـــا ألحـــاني علـــى ولـــدي ... حُنُـــوَّكَ أنـــتَ فيِ كُـــرَبِ

أنـــا البـــاكي علـــى زمـــنٍ ... مَآســـيهِ مِـــنَ اللَّعِـــبِ!

*****

مصَـــابُكَ لســـتَ تَحملُـــهُ ... وحيـــداً خـــائضَ اللَّهَـــبِ

فكـــم مِـــن شـــاعرٍ – مثلـــي ... بنـــارٍ – جِـــدٍّ ملتهـــبِ

يَـــرَى الأرزاءَ راقصـــةً ... علـــى الأيـــامِ كالحبَـــبِ

ويَلقـــى الـــدَّهرَ كالجبَّـــا ... رِ بـــالأَرزاءِ في طـــرَبِ

خليلُـــكَ يـــا (خليـــلُ) بمـــا ... تُعانيـــهِ، فمـــا بـــكَ بـــي!

*****

هـــي الـــدنيا عـــدالتُها ... فنـــونُ اللـــؤمِ والكـــذبِ

تعزّزنـــا وتقهرُنـــا ... وتـــدفعُنا إلى العطَـــبِ

وتزرعُنـــا وتحصـــدُنا ... بـــلا معنـــىً ولا ســـببِ

كـــأنَّ الفـــنَّ خِـــدْعَتُها ... بمـــا تجـــني، فلـــم تَعِـــبِ!

فـــنحنُ شـــخوصُ مَســـرَحِهَا ... وكـــم مِـــنْ مَشـــهدٍ عجـــبِ!

ملايـــينُ الشـــخوصِ بـــه ... تســـاوَوْا في مَـــدَى الحِقَـــبِ

فمـــا حَـــيٌّ بمشـــهودٍ ... ومـــا ميـــتٌ بمحتجـــبِ!

سفينة الشمس

(نظمها الشاعر لمناسبة زيارته صحبة الأستاذ سليم حسن وأعضاء "المجمع المصري للثقافة العلمية" سفينة الشمس المقدّسة في جيزة الهرم الرابع بالجيزة)

سفينةَ الشمسِ قد أُخفيتِ في الظلَمِ كما اختفى القدرُ المعبودُ في القِدَمِ

نُسِبْتِ للعالم السفليّ ناقلةً شمسَ الغُروبِ على بحرٍ من العدَمِ

في كلِّ ليلٍ تعاني الشَّمْسُ ميتةً أو شبهَ ميتةٍ ما جلَّ مِنْ ألمِ

حتى تعودَ إلى الدنيا مجدَّدةً مع الصباحِ كمولودٍ مِن الحُلُمِ

*****

حتى الشموسُ لها الأعداءُ قد رصدوا حسابَها فتعاني مِن حسابهمِ

تجتازُ فيكِ مِن الويلاتِ أظلمَها كما يُعاني الورى بالموت والهَرَمِ

وما تزالُ، وكلُّ الناسِ أمثلةٌ منها، وما اختلفوا عن سالفِ الأممِ

*****

سفينةَ الشمسِ قد جئنا على لَهَفٍ إليكِ قبلَ وُفودِ الشمس في الظلَمِ

تُحسُّ فيكِ بأنوارٍ محجَّبةٍ كما نُحِسُّ بألوانٍ من الألمِ

وذلك البحرُ – بحرُ الموتِ – مضطربٌ لا يستقرّ كجندٍ جدٍّ منهزمِ

أشيمهُ بشعورٍ لستُ أعرفُه كأنَّه ليس مِنْ حِسٍّ ولا كلمِ

والرّملُ كالمَوْجِ زخّارٌ ومحتدمٌ وإنْ بدا غيرَ زخّارٍ ومحتدمِ

على سُكونٍ كأنَّ السُّخرَ يَشملُهُ وحالُه حالُ صخّابٍ ومبتسمِ

والدهرُ يَسبحُ فيه بين منتظمٍ للحادثاتِ وجمعٍ غير منتظمِ

كأنما هو يُلْقي بالرَّذاذِ على وَجهي ويوقظ وجداني من الصَّممِ

فأشهدُ العالَمَ السفليَّ محتشداً حولي بمختلفِ الأسيادِ والخدمِ

وأرقبُ الأمسَ في أقصى مَصارعهِ مجدَّداً والغدَ المنظورَ عن أَممِ

والموجُ يَهمسُ بالأحداثِ أجمعها ... وكلُّها بين مغرورٍ ومنحطمِ

قد عمِّرتْ وهي أشلاءٌ مبعثرةٌ ... كما تعمَّرُ أشلاءٌ من الرِّممِ

كأنما الخوفُ في الأنهارِ حنَّطَها ... فلم تَمُتْ رغمَ هذا الموتِ من قدمِ

تجري حيالي وأخشى مِنْ مَشاهدِها ... وكلُّها كالضحايا خُضِّبَتْ بدمِ

والماءُ كالوهم لا شيءٌ، وأعجبُه ... رَذاذُهُ كشرارٍ جِدٌّ مضطرمِ

لولا رعايةُ (هاتورٍ) لأحرقَنَا ... وكم لهاتور مِن برٍّ ومِن نِعَمِ!

*****

سفينةَ الشمسِ نمضي الآن في أسفٍ ... على فراقكِ بعدَ العطفِ والكرمِ

يَبُذُّ عمركِ عُمرَ الشمس دائرةً ... كأنّ عمرَكِ عُمرُ الخلقِ كلِّهمِ!

ضحية الكهرمان

(شاهد صاحب الديوان ذبابة من نوع منقرض في حجر من الكهرمان)

يا بنتَ آلافِ السّنين سجينةً ... مَضَتْ القرونُ وما عرفتِ فكاكا

هي عَثرةٌ لكِ في مَسيلٍ خادعٍ ... حتى تَجمَّدَ للحياةِ شِراكا

فحفظْتِ تُحْفَةَ جَوْهرٍ لم تُعْتَقي ... وتَخذتِ فيه عزيزةً مَأواكِ

وبقيتِ ماثلةً بنوعِكِ بيننا ... فكأنما يحيا على مَرْآكِ

وحَييتِ ميّتةً كتحفةِ عالَمٍ ... حَيٍّ، ونحن نعيش كالأمواتِ

بلعَ المحيطُ الدهرُ عالَمَ نوعِنا ... ولسوف يَجمدُ بَعْدُ دونَ حياةِ!

أهلاً أبو قردان

أهـــلاً (أبـــو قـــردانْ) يـــا منقـــذَ الفـــلاَّحْ!
كِلاكمـــا قـــد هـــانْ واســـتمرأَ الأتـــراحْ
إنْ قـــــدَّروك الآنْ لم يَعرفـــوا قَـــدْرَهْ
لم يَفهمـــوا الإنســـانْ إنْ يفهمـــوا غـــيرَهْ
تَعـــيشُ بـــين الحقـــولْ مستأصـــلاً للضَّـــرَرْ
بنـــاقرٍ لا يَحُـــولْ ونـــاظرٍ مِـــنْ شَـــرَرْ
وقـــد لبســـتَ البيـــاضْ في صـــورةِ الناســـكِ
وتـــارةً مثـــلَ قـــاضْ يَقْضـــي علـــى الهالـــكِ
تُتـــابعُ الحَرْثـــا وتَلقـــطُ الديـــدانْ
وتـــرفضُ النَّكْثـــا بالعهـــدِ للإنســـانْ
تَلـــوحُ كالوســـنانْ والحـــالمِ العابـــدْ
لكنـــكَ اليقظـــانْ والباحـــثُ الســـاجدْ
في صُـــفْرَةِ البرتقـــالْ رجـــلاكَ والمنقـــارْ
كلاهمـــا في جمـــالْ نَـــراه أبْهـــى شِـــعارْ
شِـــعارُنا للنُّضَـــارْ شِـــعارنا للغِنَـــى
والـــرّيَشُ ريـــشُ النهـــارْ لـــو صـــار طـــيراً لنـــا!
عِـــشْ يـــا صـــديقاً يكـــدُّ دليلَنـــا في الحيـــاهْ
يرجـــوكَ عـــانٍ وعَبـــدُ فأنـــتَ بِـــرُّ الإلـــهْ!

مناحة الفن

(رثاء المثال محمود مختار)

روائعَ الفنّ! ماتَ الفنُّ والعيدُ — وماتتْ اليومَ في الجوِّ الأناشيدُ[1]

أنتِ اليتيمةُ والأعمامُ[2] شأنُهمو — شأنُ اليتيمِ، فلا عَونٌ ولا عيدُ

ماتَ الذي رُوحُ مصرٍ في تَفنُّنِهِ — حتى تجلّتْ بنجواهُ الجلاميدُ

الجاعلُ الصخرَ حيّاً في أناملهِ — ونبضُه بشعورِ الفنِّ مشهودُ

والخالقُ المثلَ الأعلى وإنْ خُبئتْ — رُموزُهُ، وكأنَّ الكشفَ تبديدُ

والمُبدعُ الحُسْنَ أعضاءً وأنسجةً — تَشِفُّ، فهي مَعَانٍ وهي تجسيدُ

رزءٌ له يخرسُ الإفصاحُ مِنْ وَلَهٍ — فعادَ يُنطِقُهُ حُبٌّ وتمجيدُ

أنا الطليقُ بأصفارٍ.... فواعجباً! — وكم شجانيَ تحريرٌ وتصفيدُ!

إنّ التجاوبَ إشراكٌ وإنْ بَعُدَتْ — أسبابهُ.... ليس في التبعيدِ تبعيدُ

لئِن رثَيتُ فشِعري مِنْ مَناهلِهِ — والشعرُ كالنحتِ إحساسٌ وتخليدُ

ما بالُ شِعري وما بالي بلا أمَلٍ — كأنما التهمتْ تأميلنا البيدُ؟!

كأنما في صحارى الدَّهرِ غيبتُه[3] — كما تحجَّبَ مكنوزٌ ومعبودُ

واحسرتاه! فقد ضاعتْ بضيعتهِ[4] — مِن ذلك السرِّ آياتٌ وتشييدُ

وقد تعثّر أحْجَانا وأحْصَفُنا — كالأدعياءِ، فما التسديدُ تسديدُ

وليس كلُّ غِنانا عند حسرتنا — إلاّ الخصاصةُ، والتفنيدُ توكيدُ

كأنما روحهُ أرواحُنا، فمضتْ — دنيا من الفنِّ، فالموجودُ مفقودُ!

والهفةَ الأدب العالي بملهمهِ! — مَضَى الجمالُ، فهل تُغني الأغاريدُ؟!

---

[1] إشارة إلى الربيع.
[2] إشارة إلى الفنانين الاخرين.
[3] أي الأمل.
[4] الفقيد المرثي.

أيقتـلُ الـدَّرَنُ[1] العـاتي مجـدِّدَنا بـالفنِّ، والفـنُّ إحيـاءٌ وتجديـدُ؟!

لَن تعيشُ (عروسُ النيل)[2] بعد أبٍ العـيشُ مِـنْ بَعـدِهِ ذُلٌّ وتشـريدُ

تـرَى الرشـاقةَ فيهـا كلُّهـا حَـزَنٌ تَـوَدُّ لـو يَفتديـهِ الحسـنُ والجُـودُ

مثَّـالُ (مِصـرَ) بمعناهـا وروعتهـا فـاليومُ للأمـسِ مِـرآةٌ وترديـدُ

*****

مشيتُ في الموكبِ المصدوعِ منْصَدِعاً وقلـبُ (نهضـةِ مصـرٍ) منـه مفـؤودُ

والنعشُ كالهيكل المرفوعِ حـفَّ بـه مِـنَ المنـاجينَ إيمـانٌ وتأييـدُ

سِرْنا ولسنا عديداً بينما طفحَـتْ نفوسُـنا بأسـىً يَعـدوه تحديـدُ

كأننـا نحـن (مصـرٌ) رغـمَ غيبتهـا أو أننـا للأسـى الصخّـابِ تمهيـدُ

أسـىً سيشـمل (وادي النيـل) أجمعـهُ وقـد أناخـتْ بـه أيامُـه السُّـود

أسـىً ولا كالأسـى، فـالفَنُّ ميتَتُـهُ أقسى من الموتِ، لو في الموتِ محمودُ!

*****

يا مُرْعِشَ الحجرِ البسّامِ في صُوَرٍ مـن الأنوثـةِ!... هـذا الصخرُ محسـودُ!

وآسـرَ النظـرةِ العَجْلـى بـلا أمَـدٍ المـوتُ كالنـاسِ مأسـورٌ ومجـدودُ!

أيـنَ الـتي زِدتَهـا وحيـاً وتكرمـةً وكيـف لم تـزدحم في المـأتمِ الغِيـدُ؟

وكيـف لم ينـتظمنَ النـاسَ في حرقٍ وتلـك (طِيبـةُ) أحـزانٌ وتسـهيدُ؟

و (الرمسيومُ) كأرمـاسٍ بهـا دُفِنَتْ خـواطرٌ لـك خانتهـا المواعيـدُ؟

أيـن الـتي قَـدُّها المشـوقُ ثورتُـهُ في فنِّـكَ الحـيِّ إثـراءٌ وتعييـدُ؟

ونَهْـدُها ذلـك الوثّـابُ مِـنْ حَجَـرٍ وجيدُها صَخرُكَ الفتانُ لا الجيدُ؟

أحـرَى الأنـامِ بـأحزانٍ وتعزيـةٍ منّـا، فهـل ردَّهـا أو صدَّهـا العِيـدُ[3]

---

[1] مرض الفقيد سبع سنوات بالدرن (السلال) حتى قضى عليه في آلام مبرحة.

[2] أشهر تماثيل مختار، وقد اشترته الحكومة الفرنسية ووضعته في متحف قصر التويليري بباريس.

[3] دفن الفقيد في اليوم الثالث من أيام عيد الأضحى، ولم تشترك بنات مصر في جنازته مع أن مختاراً وقف فنه على تمجيد المرأة المصريه.

لو تحمل النعشَ زكّاها وقدّسَها ... كأنما هو تكريسٌ وتعميدُ
مُتَّ الشهيدَ لمغزاها وفتنتها ... وذاك حبُّكَ تُغنيهِ الأسانيدُ
ولو رُفِعْتَ شهيداً فوقَ هامتِها ... فمن سِوَى الفَنِّ جبَّارٌ وصنديدُ؟
رُوحٌ كروحِكَ غلاَّباً ومنهزماً ... هو الكميُّ، ومَنْ عاداهُ رعديدُ
وهو الحريُّ بمجدِ الحبِّ إن عطلَتْ ... دُنيا الأنامِ وخانتهُ التقاليدُ

داء البيئة

مَباهجَ النِّيلِ ما للنيلِ مضطرماً ... كأنما هو في الصحراءِ كالآلِ؟!
نظرتُهُ بفؤادٍ كلُّهُ حَرَقٌ ... فزاد حرقةَ قلبٍ ثائرٍ بالِ
لم يبقَ لي مِن حياةٍ كلّها ظمأٌ ... إلاَّ أعاصيرُ آلامي وأهوالي
ولا مِنَ الحُلْمِ إلاَّ ما يؤرِّقني ... ولا مِن الحُسْنِ إلاَّ روعةُ البالِ!

*****

أسيرُ وحدي بأثقالٍ مروِّعةٍ ... وليس يُدركُ غيري كُنْهَ أثقالي
أنا الشريدُ ونفسي كلها شَمَمٌ ... وعِزّةٌ بين تشريدي وأحمالي
لا أستطيعُ فكاكاً مِنْ مَطالبها ... وما مَطالبُها في حَظّها العالي
لكنما حَظُّها في حَظٍّ بيئتها ... ومجدِ أمَّتها المأمولِ والحالي

*****

وجاحِدٍ طالما أوليتُه ثِقتي ... ولا أقول جهادي الجمَّ أو مالي
فليس ثمةَ أغلى لامرئٍ فَطِنٍ ... منها، وما كلُّ غالٍ دونَها غالِ
لم ألقَ منه سوى هجوي مكافأةً ... أو التطاولِ في أوهامِ مختالِ
أبا الجحودِ! وكمْ تُغني أبوّتُهُ ... عن عمِّهِ الأحمقِ المغرورِ والخالِ!

يا سائلَ الناسِ إنصافاً وغابِنَهُمْ ... وناصحَ الناس وهو المفسدُ القالي!
عُدْ للذين تغذَّيتمْ سواسيةً ... بالغدْرِ في غُنيةٍ عن كل دجَّالِ
كَم تصخبون وكم تشكون بيئتَكم ... يا ويحَها بيئةً منكمْ بإذلالِ!
كدنا نسامحُ دنيانا فقد خُدِعَتْ ... فيكم، وقد وُضِعَتْ منكم بأغلالِ!
أنتم أساتيذُها الشاكونَ ضلَّتَها ... فيا لدُنيَا تُعاني خُبْثَ ضُلَّالِ!
ويا لآلامنا اللهفى! فقد وئِدَتْ ... مِنْ غَدْرِ أمثالكمْ آمالُ أجيالِ!

عيد الحياة

(شم النسيم)

عيدَ الحياةِ! أمنكَ بعضُ حياتي ... في بيئةٍ خُلِقَتْ مِن الأمواتِ؟
الكونُ يَنبضُ بالشعورِ وها أرى ... فرحَ الوجودِ بمبدَعِ الآياتِ
والميتُ يُبْعَثُ في جديدٍ معجبٍ ... فكأنما الماضي البعيدُ الآتي!
فرَحُ الطبيعةِ فيه فرْحَةُ خالقٍ ... ببنيهِ، لا فرحُ الزمانِ العاتي
رقصوا جميعاً في تَحرُّرِ نعمة ... حتى الجمادُ له حبورٌ ذاتي
وتمثَّلوا البَيْضَ المحلَّى رمزَهم ... لهوى الحياةِ وغايةِ اللَّذاتِ
حاكتْ بشائرهُ التغزّلَ بينما ... سبقَ الهوى فجرى إلى الغاياتِ!
عِيدٌ لمصر، ومصرُ في إعجازها ... أمُّ العجائبِ في عجيبِ صفاتِ
طبعتْ صباحتُها الشعوبَ بما اشتهتْ ... في الحبِّ والأعيادِ والخطراتِ
فنسيمُها عيدُ الربيع، ويومُه ... يوم الحياةِ لعالَمٍ أشتاتِ!

*****

اليومَ يُخْصِبُ كلُّ مَعْنىً حافلٍ ... بالشعرِ خصبَ الجدْبِ والفلواتِ
وتُبَثُّ في الأحياءِ نشوةُ عيشهم ... ونرَى المواتَ يَلوحُ غيرَ مواتِ

ونـرى الطبيعـةَ بـين لهـوِ طفولـةٍ ... جَـذلى وبــين أنوثــةِ الخطــواتِ
ونَـرَى الحيـاةَ تقـومُ بـين تجـاربٍ ... شــتَّى ولكــنْ كلُّهــا لحيــاةِ
الميــتُ منهــا لا يمــوت وإنمــا ... يَهـبُ الحيـاةَ سـواه عنـد ممـاتِ
وشـعرتُ وحـدي أنـني فِي عُـزلتي ... عن وصل مَنْ أهـوى فقدتُ حياتي
و الميــتُ لـيس لـه شـعورٌ بينمـا ... أقسـى الممـات الحِـسُّ بـالأمواتِ!

الهدهد في القرية

(ذكريات ريفية)

مَرْحبـاً بالهدهــدِ الـوافي الأبَـرّ ... مَــلأَ القريــةَ حُسْــناً وخَطَـرْ!
عَــدَّ كــلَّ النــاسِ أتباعــاً لــه ... غيرَ أهلِ الشعرِ أو أهلِ الصُّوَرْ!
جــاءني منــه رســولٌ كلُّــهُ ... فِي شُعاعِ الشمسِ نُورٌ ما استقرّ
حائمــاً حــولي، وفِي ترحيبــهِ ... مِنْ نُهى الشمسِ ومِنْ مَعنى المطرْ
جُمِــعَ الأصــباغُ فِي زينتــهِ ... مِنْ حُلى القوس[1] ومِنْ وحيِ السَّحرْ
ثــم ولَّــى مُنبئــاً رِفقَتَــهُ ... فـإذا هُـمْ مِـلْءُ فِكـري والنَّظـرْ
لابســو التيجـانِ أبهــى زينــةً ... مِـنْ نضـارٍ هـو أضـغاثُ البَشـرْ
عــن (ســليمانَ) لهـم حِكمـتُهمْ ... حينمـا عـافوا الغُـرور المحتَقـر[2]
وأبــوا تيجــانَ تــبرٍ مرهــقٍ ... فـإذا التيجـانُ ريـشٌ وشَـعَرْ!

*****

مَرْحبــاً بــالفَنِّ فِي أعلامــهِ ... بــين آدابٍ غــوالٍ وصُــوَرْ

---

[1] قوس قزح.
[2] إشارة إلى قصة الهدهد وسيدنا سليمان.

كــلُّ فــردٍ منكمــو مُهجَتــهُ وحُــلاه مِــنْ ضــياءٍ وزَهــرْ

تُنفقــون العُمــرَ في البحــثِ، فكـم تشــتكي مــنكم حقــولٌ وحَجــرْ

دائمــي التنقيــبِ حتــى جِلســةٌ لكمــو في الشــمسِ مـا فيهـا مَقرّْ

كـلُّ مـا حولكمــو فيــه وَطَــرْ بينمــا لــيس لكــمْ فيــه وَطَــرْ

صُــورَةُ الفنَّــانِ في أخلاقــهِ كلمــا نــالَ أمانيــه نَفــرْ

*****

مَرْحبـاً يـا هُدهـدي! حسـبي إذا زُرْتُ هــذا الريــفَ مَــرآكَ الأبــرّ

نحــن صــنوانِ بــرُوحٍ ودَمٍ وحنَــانٍ وأمــانٍ وذِكــرْ

غــير أنــي رهــنُ جســمٍ آســرٍ بينمــا أنــتَ عزيــزٌ مــا أُسِــرْ

وأنــا البــاكي علــى عُمــرٍ مَضــى بينمـا تضـحك مِـن معنـى العُمُـرْ!

لــك ديــنٌ أوحــديٌّ خالــدٌ حينمــا المــؤمنُ منّــا قــد كفَــرْ!

إلى زينب

ودَّعْــتِني توديــعَ حُلْــمٍ خــاطفٍ ورَحَلْــتِ – للبلــدِ الجميــلِ – رواءَ

مَــنْ حــدَّثَ القلــبَ الغيــورَ فإنــه ضَــرْبَ الضــلوعَ تَطلُّعــاً وإبــاءَ؟

لم أَدر مِـنْ أرَقـي ولوعـةِ وحشـتي مَعْنَــىً إلى أن فسَّــرَ الأنبــاءَ

يــا غُــربتي وأنــا المقيـمُ بموئـلٍ كالســجن ألفتُــه تزيــد جفــاءَ!

ودّعــتِني في غــيرِ توديــعٍ ســوى وهــمٍ يــردّدُهُ الصــديقُ عــزاءَ

فلعــلَّ صــوتَكِ كــان مــلءَ أشــعةٍ لطفــتْ فردّدهــا الصــباحُ ضــياءَ!

قبّلتُهــا وشممتُهــا فكأنهــا نجـوى الجمـالِ لخـاطري تـتراءى!

*****

يا حظَّ شاطئ (أفروديت)[1] بفتنةٍ تَهبُ الخلودَ وتُلهِمُ الشعراءَ
وقفَ الزمانُ على الرّمالُ مُشارفاً عينيك وهو يحذّر الأحياءَ
كتبَ الحوادثَ في الرمالِ وقائعاً وكتبتِ أحداثَ الغرامِ سواءَ
وقتلتما أغلى المنى ونشرتما لهباً تناول أنفساً وسماءَ
وجرى الهوى فوقَ القلوب كما جرى فوقَ العُبابِ فجيعةً ودماءَ
مَرأىً هو الهولُ الحبيب، ومن يعش في غيره لم يعرف الشهداءَ!

*****

ناري! وريحاني! وأنسَ شبيبتي وكهولتي! مَنْ لي سِوَاكِ رجاءَ؟
مضت السنونُ الجانياتُ كأنها لمحاتُ أخيلةٍ تَطيبُ جلاءَ
لم أشكها إلاَّ وقلبي عَبْدُها يَستعذبُ الحرمانَ والإشقاءَ
عيناكِ لم أذق السلافَ سواهما فحَييتُ في سكري صباحَ مساءَ
ما الهمُّ؟ ما الهجرُ المبرّح إن أعشْ لهما، كما شاء الغرامُ وشاءَا؟
عُوِّدتُ أشجانَ الصموتِ ومهجتي كالبحرِ يحجبُ صمتُه الأنواءَ
كم مرةٍ ألقاكِ فيها لم أبُحْ بالوجدِ وهو يحزُّ قلبيَ داءَ
ألقاكِ والحُبُّ الدفينُ معذِّبي رغمَ اللقاءِ فلا أراه لقاءَ
وأغَصُّ بالحالينِ غصّةَ شاعرٍ قد لوَّنوا بأساءه نعماءَ
وَنثورُ حسنُكِ بالحنانِ جوارحاً وخوالجاً فإخالها بُخلاءَ
فإذا رحلتِ الآن جدَّ بخيلةٍ فلتحشدْ الدنيا ليَ الأعداءَ
لا شيء بعد الهجر نار جهنمٍ فالهجرُ أقسى شُعلةً وقضاءَ!

*****

طِيبي ربوعَ الرّمل! طيبي وانعمي! وتَنفَّسي منها الهوَى أنداءَ!

[1] شاطئ الإسكندرية.

لطفتْ كنوّار الربيعِ نضارةً		وصفتْ كناصعةِ الثلوج نقاءَ
جمعتْ ملاحتُها الفصولَ صباحةً		وحرارةً وتقلُّباً ووفاءَ
حتى تكاد تطيبُ قسوةُ هجرِها		طِيبَ الوصالِ تمنّعاً ورضاءَ
وكأنما الدنيا ترفُّ بأسرها		مِنْ روحها فيسرّ ما قد ساءَ
طيبي ربوعَ الرملِ واستوحي بها		فنَّ الجمالِ وجسِّمي الإغراءَ
وتأهبي للعاشقين بنشوةٍ		حتى يَروْا مجدَ السماء الماءَ!

*****

مضتْ السنونُ وكنتُ طفلاً لاهياً		أهفو إليكِ وكم أذوبُ حياءَ
وأقمتِ في الرّملِ العزيزِ قريرةً		وأنا البعيدُ أتابعُ الأصداءَ
والآنَ عادَ الدهرُ عودةَ ساخرٍ		يُشجي القريرَ ويَقتلُ السرّاءَ
فإذا عَناءُ الطفل عاد مناحةً		لفؤادٍ مَبكيٍّ يَعافُ بُكاءَ
يستقبلُ الأتراحَ في أغلالهِ		متبسّماً متقطّعاً أشلاءَ
وكأنّ (أوزيريس) أوفرُ في الرّدى		حظاً وأبلغُ في المماتِ نداءَ
والبحرُ يسكبُ نائياً تهدارُه		في مِسمعيَّ اللهفةَ الخرساءَ
فأعيدُها بين الغيومِ تألّقاً		وأذيبُها بين الصخور غناءَ!

مصر هبة النيل

(استيحاء اللوحة الفنية الرائعة للمثال المصري أدوار زكي خليل، وقد «مثلتْ مصر بشكل جبّار جميل متناسق الأعضاء مفتول العضلات وهو خارج من بين أمواج النيل الذي ينساب إلى اليسار بين المعابد والآثار التي تقابله عند دخوله إلى مصر عند معبد أبي سمبل وتظل تزين ضفافه من طيبة والكرنك إلى أبي الهول وأهرام الجيزة، هذا عن مصر الفرعونية، أما عن مصر الحديثة فقد خصص لها الركن الأعلى إلى اليمين

من لوحته فمثّل زراعة القطن والريّ والقوافل والصناعات القروية الوطنية والسواقي وغيرها. وهناك زهرتان تزينان اللوحة إحداهما زهرة اللوتس رمز مصر الفرعونية، والأخرى زهرة القطن رمز ثروة مصر الزراعية الحديثة).

يا سُورةَ الفنّ في منحوتِ آثارِ ... كَرُمْتِ للفن معبوداً وللدّارِ
ما أروعَ (النيلَ) جبّاراً وطلعتهُ ... كروحهِ آيةٌ مِنْ رَوْعِ جبّارِ
أو أنها رُوحُ (مصرٍ) لا يُعادِلُها ... بأسٌ، وقد بَسَقَتْ من مائِهِ الجاري
لاحَتْ بجلسةِ معتزٍّ بدولتهِ ... في سؤددٍ مِنْ عناياتٍ وأقدارِ
ينسابُ في دعةٍ، لكنها دعةٌ ... فيها سماحةُ غلاّبٍ وقهّارِ
والماءُ يَنصبُّ كالتاريخ منبسطاً ... للقارئين ويُشجي الشاعرَ القاري
تَفيضُ أمواجُهُ جيّاشةً أبداً ... بالفتْح لا شُعُثاً أنضاءَ أسفارِ
بين المعابدِ والآثارِ زاخرةً ... يا طالما عُبِدَتْ في ظِلِّ آثارِ
لدى (أبي سمبلٍ) مَسنُودُ ساعدِها ... ورأسُها بين أزهارٍ وأزهارِ
وتلك أعضاؤُها أعضاءُ مملكةٍ ... غنّاءَ ما بين جنّاتٍ وأمصارِ
ما بين (طيبة) ناجتْنا روائعُها ... و(الكرنكِ)الفخْمِ في وحْيٍ وإضمارِ
وبين (بلهيب) و (الأهرامِ) رافعةً ... رُؤوسَها آخذاتِ الدهرِ بالثارِ
شتَّى المفاتنِ تُشجينا وتُلهمنا ... وكلُّها في المعاني آيُ أبكارِ
مختارةٌ من عصورٍ للعُلى غبرَتْ ... وكلُّ عصرٍ لمصرَ شِبْهُ مختارِ
فيها الحياةُ دواماً جِدُّ كامنةٍ ... كالنارِ في النورِ أو كالنورِ في النارِ
تألّقتْ رغمَ أستارٍ وأستارِ ... وطُهِّرتْ رغمَ أوزارٍ وأوزارِ
وأشرقتْ مصرُ بالريفِ السعيدِ بها ... فالرّيفُ كالنيلِ حُرٌّ وابنُ أحرارِ
هذي صناعاتُه، هذي سوائمهُ ... جميعُها شِبْهُ أُلّافٍ وسُمّارِ
عاشتْ مِنَ الزمنِ الخالي تُحدِّثنا ... عن الخُلودِ لأحيَاءٍ وأشعارِ

عاشتْ فأنضَرَتْ القطنَ الذي غرست (مصرُ الحديثةُ) كالأضواءِ للساري
كأنما القطنُ ينمو قبلَ تُرْبتهِ بالذكرِ مِنْ مُهَجٍ صِينتْ عن العارِ
واللّوتَسُ الخالدُ المحبوبُ زاملَهُ كيما تُجمَّعُ آصالٌ بأسحارِ
وكيْ تَرَى (مصرُ) في مَرْأيْهما صُوَراً للمجدِ ما بين أحلامٍ وأوطارِ
وكي تَرَى وحدةَ التاريخِ ماثلةً ووحدةَ الفنِّ في نبتٍ وأحجارِ!

* * * * *

يا (مصرُ) يا هِبَةَ (النيلِ) القرير بها كما تَقرُّ به في جُودهِ الباري!
خُلقتِ مِن مائهِ المعسولِ حاليةً معشوقةً بين صَوّاغٍ وعطّارِ
كأنما الجنةُ الموعودُ نِعمتُها سبقتِها أنتِ للعُبّادِ لا الشاري
فكنتِ أمَّ جِنانِ الخلدِ في طَرَفٍ و(النيلُ) خيرَ أبٍ ناهٍ وأمّارِ!

البنّاء الأعظم

في عصرِكَ الذَّهبيِّ مَنْ لي أن أرَى (مصرَ) العزيزةَ قُوَّةً وبناءَ؟
لمْ تألُ سعياً في سبيلِ كمالها حتى سمتْ فتَصدَّعَتْ أجزاءَ
لا خيرَ في الجُهدِ العظيمِ إذا انتهى بالهَدْمِ أو لم يُنصفْ البناءَ
دَبَّ الشقاقُ بها، وكم مِن منعةٍ جعلَ الشقاقُ إباءَها استخذاءَ
كالطَّوْدِ أو كالصَّرْحِ في تصديعهِ مَعنى الفناءِ وإنْ سمَا وأفاءَ!

* * * * *

مَنْ لي وقد بلغ الشّقاقُ صميمَنا بالمنصفِ الآباءَ والأبناءَ
في وَحدةٍ قُدسيةٍ عُلويةٍ لا أن نُبَعْثَرَ هكذا أشلاءَ؟
مَنْ لي ومَنْ للشعبِ غيرك قائداً أعلى وإن لم يعدمْ الزعماءَ

حتى نرى الصَّدْعَ المروّعَ منعةً ... ونرى الكرامة تصحب الكرماءَ؟

*****

مولايَ! كم مِنْ مادحٍ لكَ حينما ... أنتَ الغنيُّ عن المديح علاءَ
فاقبلْ رجائي فهو أنبلُ غايةً ... عن كلِّ مدْحٍ لا يبثُّ رجاءَ
واسمعْ لصوتِ الشعبِ من فمِ شاعرٍ ... يأبى رياءَ المادحين إباءَ
واسلم لمصر مؤلِّفاً وموحِّداً ... أبناءَها حتى يُرَوْا آباءَ

في ضاحية المطرية

دعاني الفجرُ دعوةَ مستقلٍّ ... بما أحياهُ مِنْ صُوَرِ المعاني
فقمتُ ملبّياً، وكأنَّ نفسي ... لـه سـبقتْ بأجنحةِ الأماني!
أطوفُ على الحقولِ كأنّ فيها ... كنوزاً خُبّئَتْ عن كلّ رانِ
فأنهبُها ولم ألمسْ خبيئاً ... ويَجني اللَّحْظُ ما تَخْشى اليدانِ!
وأنظرُ للنخيل بوجدِ عانٍ ... كأنّ ظلاله إنقاذُ عانِ
وأُرسلُ في الفضاءِ الطرفَ يجري ... وراءَ الطَّيرِ سبّاقَ الرّهانِ
أفتش عن سعادتهِ وأُلْقَى ... مِنَ الأصداءِ أفصحَ ترجمانِ
وأخطفُ سِرَّه مِنْ كلِّ لونٍ ... من الحبِّ المنزَّهِ عن مكانِ
كأني حيث سرتُ وحيث أبقى ... تنفَّسَهُ شعوري أو جَناني
ولمَّا فاض نورُ الشمس حَوْلي ... رأيتُ النورَ لا يَثْنيه ثانِ
تغلغلَ في الضمائر والخفايا ... تغلغله بآبادِ الزمانِ!
ترى الذرَّاتِ ترقص فيه حَيرَى ... كرقصِ الموت في بحرِ الطعانِ!
مَشاهدُ للحياةِ، وكلُّ مَرأى ... مشاهدُ للفناءِ وللتَّفاني

روائعُهــا هــي الحــبُّ المُصَــفّى ومِلءَ الحُـبِّ أقسـى المـوتِ داني

تمــرُّ مصــارعُ الأحيــاءِ بَيْنَــا تــرى الأمــواتَ تُبْعَــثُ في ثــوانِ!

فــأُفٌّ للتأمُّــل يــا حيــاتي! وأهــلاً بالغبــاءِ وبالجبــان!

ولــو أنــي وقــد حكَّمــتُ عقلــي أبــى عقلـي السـعادةَ في الهـوانِ

طُبِعْـتُ علـى الكفـاحِ كـأنَّ سَـلمى كفــاحي للعظــائمِ غــيرَ وانــي

وأحببــتُ (الطبيعــة) فهــي أمّــي يمجِّــدها الهـوى قبـلَ اللســانِ

يمجِّــدها وقــد نثــرت لشــعري أزاهــرَ قــد حكــتْ قُبَـلَ الغـواني

تَعــفُّ يــدايَ عــن لمْــسٍ وآبــى علــى قــدميَّ منثــورَ الجُمــانِ

جــواهرُ للحيــاةِ فكــلُّ زهــرٍ يضــمّ مــن الحيــاةِ غِنَــى البيــانِ

فكيــف وهــذه الطرقــاتُ شــتى جـداولُ مِـن أزاهرِهـا الحسـانِ؟

عــوالمُ تسـكنُ الـتربَ المسـجّي لهـا مـن بعـدِ صُـحبتها الأغـاني[1]

وترْضَــى باصــطباغ المــاءِ حتــى إخــالَ المــاءَ فــاضَ بـلا أوانِ[2]!

وقــد ضــحكتْ لأخــيلتي سمــاءٌ بـدمعِ اللـهوِ مِـنْ سُـحْبٍ تراني!

ورفَّ الطحلــبُ الثــاوي قريــراً علــى مــاءٍ يحــنّ لــه حنــاني

قــد احتقرتْــه أنظــارُ البرايــا وحيّتــه الفنــون علــى احتضــانِ

وجَمَّــعَ عنــده الأصــباغَ شــتى تمنَّتهــــا أفــــاريزُ الجِنَــــانِ

كــأنَّ مــن الربيــعِ حُلــيً تناهــتْ فمـا تلقـى المهـينَ علـى امتهـانِ!

---

[1] أغاني الطير وأهل السمر.

[2] تشكل الطرق المغطاة بالزهر حتى تخال عن بعد كأنها جداول ماء.

زمّج المطر

(من مشاهد النيل)

يا زُمَّجَ الماءِ[1] عَبرَ (النّيلِ) مَطْلَبُهُ ... في حينِ مطْلَبُهُ أنْأَى عن الماءِ

حاكَتْ جناحيْكَ فوقَ الماءِ أشرعةٌ ... بيضاءُ عنْ طُرفٍ في الأفقِ بيضاءِ

لِمَ انتقالُكَ في همٍّ وفي تَعَبٍ؟ ... ومِنْ حِمَى أيِّ قُطْرٍ أنتَ رحَّالُ؟

تَطيرُ كالسائح المحزونِ غايتُه ... فوقَ الظنونِ، ولا صحبٌ ولا آلُ

كأنما الأفقُ فيه مِن مَفاتِنه ... ما صارُ يغنيكَ عن أرضٍ وعن ناسِ

تَطيرُ... يا قلّما أرضٌ تَهشُّ لها ... وشائقٌ بين وجدانٍ وإحساسِ

كأنا أنتَ روحُ (النيلِ) طائرةً ... تَطوفُ مِن عالمِ المجهولِ والسِّحرِ

نلقى معانيَهُ في الماءِ زاخرةً ... ونحن أجهلُ مَنْ يَلقَى ومَنْ يدْري!

تمضي بلا وَجلٍ والماءُ مبتسمٌ ... فهل تَضيعُ كما يمضي هَوَى الماءِ؟

للماءِ أحلامهُ العظمى كأنَّ له ... في البحرِ حظّينِ من موتٍ وإحياءِ!

وأنتَ هل لك عند التِّيهِ أخيلةٌ ... أجْدى عليكَ مِن استقراركَ الهاني

تَهنيك مِنْ نَغَمِ الملاَّحِ أدعيةٌ ... أم تحسبُ الزَّورقَ المُزْجيهِ كالعاني؟!

وأنتَ كالشاعرِ اللهفانِ في قَلَقٍ ... لا ينتهي، وكذاك (النيلُ) في قَلَقِ

ملكتما الآن طرفي حينما هَمَستْ ... نسائمُ الحبِّ بالمحجوبِ في الأُفُقِ!

دنا المساءُ وما أصفاهُ مِنْ زمنٍ ... لِلْحُورِ في الماءِ والأجواءِ في سِحْرِ

دنا المساءُ وما أغنى ثلاثتنا[2] ... بالشِّعْرِ في عالمٍ قد فاضَ بالشعرِ!

---

[1] هو ما يسميه الإنجليز white winged tern.

[2] يعني الشارع نفسه والطائر والنيل.

في السباق

يـــا للمَلاحـــةِ في السّـــبا قِ وللتطلّـــعِ في الســـباقِ

مِـــنْ كـــلِّ زِيٍّ خِلْتُـــهُ الفـــنَّ المُفصَّـــلَ للعنـــاقِ

مـــا بـــين زركشـــةٍ وألـــوانٍ وأفـــوافٍ رقـــاقِ

تُغـــزَى بأنظـــارِ الرّفـــا قِ وقـــد تَعِـــزُّ علـــى الرّفـــاقِ

وتُـــرَى الســـواعِدُ كـــالنُّهو دِ مـــنَ الأناقـــةِ في وثـــاقِ

مثـــلَ الأسـيرة، وهـــي تـــأ ســـرُ باشـــتياقٍ واشـــتياقِ

دُنيـــا الطّـــراوةِ والتَّجمُّـــلِ في ائـــتلافٍ وائـــتلاقِ

دُنيـــا مـــن التَّـــرفِ العجيـــبِ كأنـــه أحـــلامُ ســـاقي

تُسْـــقَى علـــى نظـــراتِ مفتـــونٍ بتأميـــلِ مُـــراقِ

وتَعـــيشُ للـــوهمِ الحبيـــبِ ووَهمُهَـــا كـــالحقِّ بـــاقي

وكـــأنهنَّ مُعَرْبِـــدَاتٌ حـــين هُـــنَّ علـــى اتّســـاقِ

حتـــى الرّجـــالُ تحوّلـــوا بـــالوهمِ بـــين فنـــونِ راقـــي

فـــإذا الخشـــونةُ لا تَبـــينُ، فـــإن تَـــبِنْ فعلـــى نِفَـــاقِ

وإذا الجمَـــالُ مُـــؤَمَّرٌ وإذا الخـــلافُ مِـــنَ الوفـــاقِ

وإذا السِّـــبَاقُ أحـــبُّ للفنّـــانِ في تلـــك المَرَاقـــي[1]

تَجْـــري العواطـــفُ فيـــه جَـــرْيَ الخيـــلِ في جُهـــدٍ مُطـــاقِ

متتابعـــاً متواصـــلاً بـــين انســـيابٍ واصـــطفاقِ

حتـــى إذا خُـــتِمَ السّـــبا قُ ذهـــينَ للكـــأسِ الـــدفاقِ

ولبـــثْنَ في رُوحِ الســـبا ق... ألسـنَ مِـن خيـلِ السـباقِ؟!

---

[1] حيث يجلس النظارة.

تسبيحة

فيِ طَــيٍّ وجــداني إلهــي شــاملاً رُوحــيَ كلَّــهْ

لم أدرِهِ إلاَّ بنجــــواي ونفســـــي المســـــتقلهْ[1]

مــا قيمــةُ الــدنيا ومــا الأخـرى وفي الإلهــامِ مِلَّــهْ؟

حَسْــبي ضــميري فهــو مِنْــهُ، بالغــاً أسمــى محلَّــهْ

مــا عُمْــرُهُ[2] عُمْــري ولكــنْ عُمْــرُ آبــادٍ مُطِلَّــهْ

بــل عُمْــرُ غايــاتِ الخلــودِ السـرمديِّ كمــن أظلَّــهْ[3]

مــا الكــونُ إلاَّ بعــض إحساســي ولــيس الكــونُ أصــلَهْ

وأنــا الغَنِــيُّ عــن المباحِــثِ، والغِــنيُّ عــن الأدلَّــهْ

فمــن الصَّــميمِ إلى الصَّــميمِ نــداءُ نفســي والجِبِلَّــهْ

لَــمْ أفْــنَ إلاَّ في وُجُــودٍ مــا درى الإنســانُ مِثْلَــهْ

مــا أعجــبَ التشــكيلَ في الــدنيا فينسَــى المــرءُ شــكلَهْ!

فصــميمهُ هُــو كــلُّ شــيءٍ وهْــو لا يــدركُ أهلَــهْ!

وضــميرهُ الأزلُ المقــيمُ إذا أبــاح المــوتُ عقلَــهْ

والحــبُّ مِــنْ رُوحِ الألوهــةِ والمنيَــةُ أن تَملَّــهْ!

---

[1] المستقلة عن كيانه الإنساني.

[2] عمر الضمير.

[3] يريد الخالق الذي يرعاه.

أبولو ودفني

(دفني هي الحورية الحسناء التي أحبها أبولو إله الشعر،
وقد تبعها فلما أدركها استحالت إلى شجرة الغار)

أبــولــو:

يا حياةَ الفُنونِ! يا حُسنُ! مَهْلاَ! ... لستُ للصَدِّ يا مُمَلَّكُ أهلاَ
ها أنا عبدُكَ الذي يُنْشِدُ الشِّعْـ ... ـرَ معانيكَ، فامنحْ الشعرَ وصْلاَ
أنا لهفانُ يا جمالُ، ولكنْ ... لهفتي كالصلاةِ مَغزىً وأصْلاَ
لا تَخفْ يا جمالُ! لستُ سوى الحا ... ني على سِرِّكَ المَصُونِ المُعَلَّى
كيف تَخشى تهافُتي؟ كيف تأبا ... ني حبيباً؟ وهل تَرى الصَدَّ سَهْلاَ؟
كلُّ إعجابيَ الذي أنتَ تَخْشَا ... هُ ورُوحي عواطفٌ تَتملَّى
قد يراها الجُهَّالُ مَعْنىً سقيماً ... ومِنَ الغَبْنِ أنْ تُطاوعَ جَهْلاَ
كم أباحوا الحرامَ باسمِ حلالٍ ... وأباحوا عجائبَ الظُّلْمِ عَدْلاَ
لا تُصِغْ يا جَمالَ (دَفْنِي) إليهمْ ... أو تذَرْ هذه العواطفَ قَتْلَى
هي دُنيا النِّفاقِ يا حُسْنُ لا تَرْ ... ضَى عن الفنِّ مخلصاً مُستقِلاً
عابداً فيكَ عبقريَّتكَ العُظْـ ... ـمَى، ومستوحياً سَناها الأجلاًّ
تَدَّعي لهفتي إباحيَّةَ الجا ... ني وَتنْسى لها خداعاً وخَتْلاَ
كلُّ شَوْقي إليكَ يا حُسْنُ ألحا ... نٌ وأنتَ الخُلودُ نُوراً وظِلاًّ

كلُّ شَوْقي إليكَ مَعْنىً مِنَ الفنِّ عزيزٌ، ومِنْ جَنى النَّحْلِ أحْلَى

ليسَ فيه خشونةٌ أو ضلالٌ ... بل هو (الذَّوْقُ) ما بَنى الكونَ قَبْلاَ
قاطفاً منكَ للوجُودِ نعيماً ... في نشيدٍ مِنَ القداسةِ يُتْلَى

دفنـــي:

لا تَـــنَلْني إلاَّ لتتويجـــكَ الفخْـــ ـــمِ، وَدعْنِـي أحـولُ كالغـارِ شـكلاَ!
نحـــنُ للفـــنِّ، غـيرَ أنَّـــا نُعـادَى كعـــدوَّين أشـــبعا الفـــنَّ قَـــتْلاَ
نحـــنُ فيِ عـــالَمِ الحيـــاةِ غريبـــا نِ، فيـا بِئسَ أهلُهـا اليَـوْمَ أهْـلاَ!

الذروة

ضَـــجري زَلَّـــتي وزُهـــديَ مَرْبَـــأْ وَهُـــدىً أرتجيـــهِ أو أتفيَّـــأْ
يـــا إلهـــي! دُنيـــايَ حُسْـــنٌ بـــلا حَـــدٍّ، إذا مـــا عرفـــتُ حُسْـــنَكَ مَلجـــأ
كم نقَدْنا ونحـنُ فيِ الجهْلِ حَيرَى لا نَـرى الحقَّ وهـو أسْنَى وأضـوَأ
ما اندمجْنا وما انطوَيْنا على الرُّو حِ، فلـم نُـدْرك الخلـودَ المُهيَّـأ
حُســـنُكَ الحـــرُّ ماثـــلٌ لنفـــوسٍ قـد تنامـتْ إليـكَ نَشْـوَى لتهـدأ
فيِ انسجامٍ يستشرف الحُبَّ فيِ الكو نِ عميمـــاً ونابضـــاً يـــتلألأ
مـا صـلاتي إلاَّ خشُـوعي لِنجْـوَا كَ وإفنـــاءُ زلَّـــةٍ تتهيَّـــأ
مســتمِدّاً مِـنْ عقلـيَ البـاطنِ العِلْـ ـمَ بمـا فيِ الوجودِ عُقْبَـى ومَنشـأ
نَبْـعُ إلهامــكَ الــذي يتنــاهَى لمحـــيطِ الألوهـــةِ المُسْـــتَمْرَأ
فـــإذا بـــي مِـــنْ رُوحِـــكَ الخالـــدِ السَّـــامي قريـــبٌ ومِـــنْ فيُوضِـــك أمْـــلأ
عرفَـــتْ عنـــدها مثـــاليَ نَفْســـي ومِثـــالَ الإنســـانِ رُوحـــاً ومَبـــدأ
وحيـــاةَ الآبـــادِ حتـــى كـــأني ذرْوَةَ الكـــونِ مُشْـــرِفاً أتبـــوَّأ!

ربيع الأدب

(ألقيت في حفلة تكريم الدكتور زكي مبارك بمسرح الهمبرا بالقاهرة

يوم الأحد ٢٩ أبريل سنة ١٩٢٤

شـــدَا أدبُ الربيـــعِ بكـلِّ لحـنٍ — تشـرَّبَهُ الحبيـبُ مـن الحبيـبِ

فهـل لـي أن أُسـاهم في نشـيدٍ — يُـزَفُّ إلى العصـامـيِّ الأديـبِ؟

لقـد جمـعَ الـودادُ لنـا قلوبـاً — كمـا جُمِـعَ الربيـعُ مـن القلـوبِ!

*****

أخـي في حُبِّـكَ الأدبَ المُعلَّـى — جهـودُكَ أنـتَ تُغْنـي عـن خطيـبِ

لهـا عَبَـقُ الأصـالةِ وهـي بِكـرٌ — حَصَـانٌ لا تخـافُ مـن الرقيـبِ

تَحـدَّثْنا مَلاحتُهـا وسـادتْ — بـرُوحٍ مـن تكبُّرهـا الأريـبِ

تُنـافحُ عـن مَحاسـنها وتـأبى — معانـدةَ المكـابرِ والحسـيبِ

يجاذبُهـا جمـالُ الرِّيـفِ طـوراً — وكـم في الريـفِ مـن حُسْـنٍ وطيـبِ

وآنـاً روعـةُ الأسْـفَارِ فيمـا — يزينُـهُ التغـرُّبُ للغريـبِ

وحينـاً آيـةُ العُصُـرِ الخـوالي — يَلـوحُ بهـا البعيـدُ مـع القريـبِ

مَفـاتنُ للفنـونِ، وكـلُّ فَـنٍّ — يُسـاغ كأنَّـه حُلـوُ النَّسـيبِ

وكـم خَلْـفَ التبسُّـمِ مـن عنـاءٍ — وخَلْـفَ اللَّهْـو مـن ألمٍ صَبيبِ

جهـودٌ كلُّـها قربـانُ مَجْـدٍ — ونعْـمَ المجدُ بالجُهْـدِ الخضيـبِ

كأنـك قـد كتبـتَ دمـاءَ قلـبٍ — فنلـتَ بمـا بـذلتَ هـوى قلـوبِ

فمـن هـذا الـذي يُغضِـي جفـاءً — لمـا أبـدعتَ مِـنْ أثـرٍ حبيـبِ؟

ومَـنْ ينسـى كفاحـكَ يـا أبـيٌّ — لمصـر بـذلك اليـومِ العصيـبِ[1]

ومصـرُ تنـوءُ بالجهـلِ المسـجِّي — لهـا، وتنـوءُ بـالظلمِ العجيـبِ؟

---

[1] إشارة إلى جهوده في الثورة المصرية سنة ١٩١٩م.

كفاحُكَ للتَّنَوُّرِ في عذابٍ ... كفاحُكَ للتحرُّرِ في لهيبٍ!

فزكَّتكَ المعاركُ وهي كُثْرٌ ... وحَسْبُ الفَتْحِ تزكيةُ الخطوبِ

وحَسْبُ الجيلِ أنك مِن بنيهِ ... لنمدحَه على رغم الذُّنوبِ

كأنَّا إذْ نكرِّمُ فيكَ فضلاً ... نكرِّم منجبَ[1] الرجلِ النجيبِ

فعِشْ رجلَ المآثرِ في زمانٍ ... مريضٍ عَقَّ إحسانَ الطبيبِ

فمثلك مَنْ يُعزِّينا ويُحيي ... خصيبَ الفضلِ في الوادي الخصيبِ

أوزريس والتابوت

كأنَّ (سِتَ) الخؤونَ وقد تمنَّى ... مماتَ أخيهِ رغمَ حِمَى الأُلوهَهْ

زعيمٌ منه قد عُرِفَ التجنِّي ... أصيلاً في الأُلوهةِ والأنامِ

وأنَّ العدلَ في الدنيا طريدٌ ... طريدٌ في حِمَى الذِّممِ النزيهَهْ

وأنَّ الكونَ يملؤُهُ ضَبابٌ ... فضلَّ الخلْقُ في مِثْلِ الزِّحامِ

وهاموا في اصطدامٍ واصطدامِ!

*****

أعدَّ له مُخادَعَةً عجيباً ... هو التابوتُ في مَلْهىً لديْهِ

وقال: وَهَبْتُهُ لمَن اصطفاهُ ... إذا ما لاءَمَ التابوتُ حَجْمَهْ

فخودِعَ (أوزريسُ) مِنَ احتفاءٍ ... وعند رُقادهِ قفَلوا عليْهِ[2]

وألقَوْهُ بمجرى (النيلِ) غَدْراً ... فماتَ، وقدَّسَ التيَّارُ جِسْمَهْ

وقُدِّسَ ماؤهُ فهوى وضَمَّهْ!

*****

---

[1] الجيل.

[2] أرجعوا عليه الغطاء.

تأمّلَــــهُ المعـــــزَّزَ والمُضَـــــحَّى ودُنيــا المَجْــدِ تخدعُــهُ خِـداعا
وهاتيـــكَ المَـــرَاوحُ والجـــوَاري وهاتيـــكَ الكـــؤوسُ وحاملُوهـــا
ونـــاظرةُ النجـــومِ وكـــلُّ رَسْـــمٍ يُطِـــلُّ عليـــه أو يَثِـــبُ ابتـــدَاعا
برهبـــةٍ لحظـــةٍ كـــالحظِّ حَـــيرَى ويَـــأبى أن يُحـــرَّرَ خالقوهـــا
فقــد خلــقَ (الممــاتَ) بهــا ذَوُوهَــا!

الكون الهاتف

(مهداة إلى أديب الطبيعة الصديق مصطفى عبد اللطيف السحرتي)

سماعاً! فهذا الكونُ بالحُبِّ هـاتفُ وكـم فيـهِ مَسْـحُورٌ أسِـيرٌ وطـائفُ
سماعاً! سماعاً! وانفضِ الهمَّ والشَّجَى وعُمراً مضـى، فـالهمُّ كـالعمرِ زائـفُ
وجمِّـعْ بهـذا اللحـن نفسـاً شـتيتةً وجـدِّدْ وجـازِفْ، فالحيـاةُ تُجـازِفُ!

*****

يمامــةَ صُــبحي المسـتعزِّ بنــوره كلانـــا مُصـــيخٌ للتَّحيــةِ عـــارفُ
كـذا فلـيكنْ شَـدْوُ الغـرامِ مرجَّعـاً مَديـداً كمـا يشـكو المحبـةَ تـالفُ
فَعَـنْ أيِّ دهـر سـالفٍ فيـكِ حُرقـةٌ وأيُّ غـرامٍ غائـبٌ عنـكِ عـازفُ؟
سمعتُكِ حتى كان لحنُكِ كالصَّدى مِنَ الـزَّمَنِ المفقـودِ أحيـاهُ خـاطفُ!
أتــى والربيــعَ الطفـلَ حتــى كأنمـا تَغـذَّى بـه وهـو الجنينُ المشـارفُ[1]
فجـاءَ لنـا كـاللحنِ سـحراً وروعـةً فمهما نَصِفْهُ لا يَفِ الوصـفَ واصـفُ
تَقَــدَّسَ حتـــى مـــا أكـــاد أظنُّـــهُ أمـامي، وحتـى مـا تحسَّـاه راشـفُ
وأُنسيتُ نفسـي في اندماجي بنوره وأطيافـه، والنـورُ كـالطيفِ واجـفُ

---

[1] الربيــع.

لقد ملكتْها رعشةٌ مِن حبُورِها وماج بها جوٌّ من الحبِّ عاصفُ
فأغمضْتُ عيني في ذُهولٍ ونشوةٍ كأني بهذا الحلمِ راضٍ وآسفُ!

* * * * *

ويا مَلعباً[1] تأبى العصافيرُ غيرَهُ وكلٌّ بأسرارِ الطبيعةِ عازفُ
أعندكَ للَّهْفانِ سلوى جديدةٌ؟ فعندكَ تُرْجَى بل تُنالُ العوارفُ
سواء تقمَّصْتَ الحياةَ التي خَلَتْ أم الزمنَ الآتي وفيه الطرائفُ
فإنكَ للآبادِ أشْجى رُموزِها وخلفَ أغانيها قرونٌ هواتفُ
وأُغمضُ عيني والأزاهرُ شعلةٌ أمامي كأني قبلَ صيفيَ صائفُ
فأَستروحُ اللذاتِ في غمضةِ المُنَى وأَلْقَى فصولَ العامِ فيما أشارفُ!

أيزيس والطفل الأمير

(لمَّا غدر ستِ set بأخيه أوزيريس Osiris ودفنه حيّاً في التابوت أمر بإلقاء التابوت في النيل فحمله التيارُ إلى أن بلغ شاطئ ببلوس Byblos فاستوعبه جذع شجرة. وقد أعجب ملك ذلك القطر بتلك الشجرة الرائعة الجمال فقطعها واتَّخذ من جذعها عموداً من أعمدة قصره، وهكذا بقي تابوت أوزيريس وشردت باحثةً عن تابوته إلى أن بلغت ببلوس، وثمة استراحت إلى جانب نافورة. فرأتها وصيفات الملكة وتحدثن إليها، فكلمتهنَّ بلطفٍ ساحرٍ وعطَّرتهنَّ أنفاسُها، حتى إذا عُدْنَ إلى الملكة دهشت لما فاح من عطر هنَّ العجيب، فحدَّثنها عن هذه الحسناء الغريبة التي وفدت على المدينة. وقد أدَّى هذا بالملكة إلى دعوتها إلى قصرها حيث اختيرت مربية لأحد الأطفال الأمراء، وكان هذا الطفل يتغذَّى بمجرَّد مصّ إصبعها نظراً لقوتها الآلهية الخارقة.... وفي الأبيات الآتية تصوير للموقف المرسوم في اللوحة الملوَّنة من ريشة إفلين بول (Evelyn Paul).

* * * * *

---

[1] ملعب الطبيعة.

هل تَرَى (إيزيسَ) والطفلُ الأميرْ في حِمَاها كشذا الزَّهرِ النضيرْ؟
حملتْــــه وهـــو في اطمئنانـــهِ كقـرارِ الحُـبِّ في طُهْـرِ الضـميرْ
نشــوةُ الصُّــبحِ علــى هنـدامها وانكسـارُ النورِ في القلبِ الكسـيرْ
يُلمَــحُ الحــزنُ علــى وجنتهــا لمحـةَ الأسـرِ علـى وجـه الأسـيرْ
والجـــواري رانيـــاتٌ حولهـــا كزهـورٍ في صـلاةٍ حـولَ نُـورْ
ومَعـــاني الملـــكِ في ألوانهـــا زاهيـــاتٌ وأفـــاويحُ العطـــورْ
كـــلُّ لـــونٍ رائـــعٍ مِـــن ملـــبسٍ ونقـوشٍ هـو لـونٌ مِـن شُـعورْ
كـــلُّ عطـــرٍ ذائـــعٍ إلهامُـــهُ شـائعٌ كـالفنِّ في رسـمِ القـديرْ
وقفـــتْ في حســرةٍ مـــن غُرْبـــةٍ غربـةِ التشـريدِ والثُّكـلِ الخطـيرْ
في حنـــانٍ لاذعٍ إنْ شـــابَهُ ذلـك الحـزنُ فنُـورٌ مـن سـعيرْ
قـدمت (ببلـوسَ) تبغـي زوجَهـا في خفـيِّ النعش بالقصـر الكـبيرْ
وارتضتْ في القصر تغدو مرضعاً تُرضِـعُ الرحمـةَ للطفـل الأمـيرْ
تُرضِـــعُ الرحمـــةَ مـــن إصـــبعها وتـذيقُ الحـبَّ في الوجـد الطُّهـورْ
وتُضـــحِّي في ارتقـــابٍ وأســـىً تضحياتِ الشمس عن قتلَى الدُّهورْ
وكـــأنَّ العبـــدَ إذْ يرنـــو إلى نُورِهـا كالليـل في الحُلـمِ الأخـيرْ
صُـــورةُ اللوعـــةِ في عصـــرٍ لـــه حُرمـةُ الفَـنِّ ومـرآةُ العُصـورْ!

إلى ناجي الشاعر

(تحية لمناسبة صدور ديوانه "وراء الغمام")

تَغنَّـى بهـذا الشـعرِ قبـلَ وُجودِنـا وفي بَدْءِ خلق الكونِ شاعرُه الأسمَى
فصـرنا نَـرَى فيـه نشـيدَ ألوهـةٍ ونلمـحُ فيـه روحَ آياتـهِ العظمـى

مفـاتنُ سِـحْرُ العبقريـةِ بعضُـها فمـاذا وراءَ العبقريـةِ لا يُسْـمَى!؟
حبيبـةُ قلـبي: كلمـا ذاقَ ظامئـاً سُلافتها يستصغر الروحَ والجِسْمَا
يـرَى أنَّـه مَعْنـىً سـوى مـا أحسَّـهُ ولكنه مَعْنىً شأَى الحدْسَ والفَهْما
كـأني يتـيمٌ إنْ حُرِمتُـكَ شـاعراً وفي صُحبتي إيَّاكَ لا أعرفُ اليُتْمَا
كـأني غريـبٌ في وجـودٍ معـذِّبٍ وعندكَ ألقى عالَمَ الحُبِّ والنعْمَى
عواطفُ تُـزْري بالزَّمـانِ، وعُمْرُهـا هـو الكونُ: لا نـدري لغايتـهِ عِلْمَـا
لَئِنْ عُـدَّ حُـبي مـن جنـونٍ ونشـوةٍ فللفنِّ حُمَّى لن تُقاسَ بها الحُمَّى!

عبد الجمال

مـا لـي وللأحـلامِ مـا لـي وأنـا المعـذَّبُ بالخيـالِ؟!
عبـدُ الجمـالِ ومـا أرى عبـداً سـوى عَبْدِ الجمـالِ
فكـأنّني رَهْـنُ القـرُو نِ الزاخـراتِ بكـلِّ غـالِ
متلـهّفٌ متطلـعٌ بـين التـوجُّس والسـؤالِ
أتصـيَّدُ الخطـراتِ مـن دنيـا الغرائـبِ والمحـالِ
وفـؤاديَ الظمـآنُ يَخْـ ـفُقُ بـالحنينِ وبالضـلالِ
يهفـو إلى خـافي الجمـال مـن الأشـعة والظـلالِ
فكأنـه طـيرٌ حبيـ سٌ حَـنَّ للـوطن المـوالي
وطـنُ الجمـالِ بـلا حـدو دٍ في نماذجـهِ الغـوالي
فـيراه بـالطبع الأصيـ ـلِ وحيث لم يخطـر ببـالِ
حتـى لتبكيـه المنـا زِلُ مِـنْ عنـاءٍ والمعـالي

جـابَ الوجـودَ بأسـره — بـين افتتـانٍ وابتهـالِ
وكـأنَّ كـلَّ جمالـهِ — وَهْـمٌ مـن الإحسـانِ خـالِ
أو أنَّـه روحُ الـدَّلا — لِ يضـيع في نغَـمِ الـدَّلالِ
فـإذا المتَّـعُ كالمعـذّ — بِ والوصـالُ كـلاً وَ صَـالِ!

إيزيس تغادر ببلوس

(كانت أيزيس تُرْضِع باصبعها الطفلَ الأميرَ أثناء قيامها بتربيته بالقصر الملكي في ببلوس. وكان من عادتها كلّ ليلة – حينما يذهب الجميع إلى مضاجعهم – أن تجمل كُتَلَ الخشب وتشعل النيرانَ ثم تُلقي بالطفل وسطها وإذا ذاك تتحوّل أيزيس إلى سنونو وتزقزق في لوعةٍ راثيةٍ زوجَها الفقيد... وقد نقلتْ وصيفاتُ الملكة إليها إشاعات هذه الوقائع الغريبة، فصممتْ الملكة على مراقبة مربية ابنها لترى مَبلغ هذه الإشاعات من الصحة، وعلى ذلك اختبات الملكة في البهو الكبير حتى إذا أقبل الليل جاءت أيزيس والطفل الأمير وفعلت أيزيس ما نُقل للملكة، وحينئذ هرعت الملكة إلى الطفل صارخةً وأنقذته من اللهيب... فما كان من أيزيس إلاّ أن وبّختها بعنفٍ قائلةً لها إنها بصنيعها هذا قد حرمت طفلها الأمير حظَّ الخلود! وثمة أعلنت أيزيسُ عن شخصيتها وتمنَّت على الملكة أن تعطيها العمود الشجريَّ الحاوي تابوت زوجها وجثمانه في القصر الملكي، فاجيبت أيزيس إلى طلبها واستخرجت هذا التابوت وعادت به إلى مصر. وبقيَ العمودُ الشجريُّ الذي كان يحتويه مقدَّساً في ببلوس. واللوحة الفنّية تمثلها في بدء عودتها إلى مصر).

*****

في وفـاءِ الحُـبِّ والحُـزْنِ الجميـلْ — أشـرقتْ (أيـزيسُ) كالبـدرِ العليـلْ
وعليهـا الشّـفُّ في ظُلمتـهِ — ظلمـةُ الأحـزانِ للحـبِّ القتيـلْ
نزلـتْ باسـطةً سـاعدَها — بسطةَ الإيمـان والصـبرِ الجميـلْ

وكـــأنَّ الجســـرَ إذْ يحملُهـــا	بعدَ طولِ اليأسِ جِسرُ المستحيلْ
نزلــتْ والمركــبُ الرّانـــي لهـــا	عاشــقٌ يَســتلهمُ الحُســنَ النبيــلْ
يحمـــلُ التـــابوتَ قـــد كلَّلـــه	زَهــرُ اللــوتسِ في حِـرْصِ البخيــلْ
كلــها تهفـــو إليهـــا مثلمـــا	قــد هفـتْ في نشــوةِ الفجـرِ البليــلْ
وكـــأنَّ اللــوتسَ الصَّـــبَّارَ مَـــنْ	يحمـل التــابوتُ في صــبرٍ طويــلْ!

*****

وقَـــفَ الجُنْـــدُ وفي طلعـــتهمْ	أســـرَةُ المُلْـــكِ يُحيُّـــون سَـــنَاهَا
حَيَّـــرتْهُم روعـــةٌ مِـــنْ حُســـنها	خَفضــتْ إذْ رَفعــتْ تلــك الجباهــا
وتـــراءَى صَـــدْرُها العريـــانُ في	صــورةِ الرحمــةِ غــذَّاها أســاها
مَشـــهدُ اللَّوعـــةِ والحُـــبِّ كمـــا	يَــتراءَى الوجــدُ والحــبُّ إلهــا
جمـــعَ المـــوتُ وفيّـــاً – بعـــد مـــا	غـــدرَ المـــوتُ – هـــواهُ وهَواهـــا
كــم قلــوبٍ خفقــت في خَفْقِهـــا	ودُمُـــوعٍ لم تكــن دمـــعَ سِـــوَاها
وشَـــجىً للبحـــرِ في أمواجـــهِ	وكــأنَّ البحــرَ أشْــجاهُ شَــجاها
تَصـــرخُ اللَّوعـــةُ في كـــلِّ الـــذي	حولهـا، لكنَّمـا الصـمتُ صَـدَاها!

على قبر المثال مختار

(ألقيت في اجتماع الفنانين على قبره يوم ١٠ مايو سنة ١٩٢٤)

مختـــارُ! يـــا ابـــنَ الفـــنِّ، والفـــنُّ	حَـــيٌّ علـــى الآبـــادِ خَـــلاَّقُ
هـــل خانَـــه أم خانَـــك الـــزمنُ	فلقيــتَ حتفــكَ بــين مَــنْ لاقُــوا؟!
جئنـــا نحـــجُّ إليــك في لَهَـــفٍ	نحـــن الـــذين نعـــيشُ للفـــنِّ

جئنا وكلٌّ غيرُ معترفٍ ... بالموتِ أو بالناسِ والزمنِ!

أيضمّ هذا القبرُ معجزةً ... للعبقريةِ بين أرماسِ؟

حاشا! فأنت تعيش أخيلةً ... في عالم الإبداعِ لا الناسِ

في عالمٍ نحن خلقناهُ ... بالحبِّ والإيمانِ والذهنِ

الكونُ رمزٌ أنت معناهُ ... لا شيءَ غيرُ العالم الفني!

يا قبرُ لستَ سوى الشهيدِ على ... دُنيا الأسى، دنيا العداواتِ

يا مَلجأً يثِبُ الغريقُ إلى ... مَأواه من أحياءِ أمواتِ!

بحرُ الفناءِ هو الذي نحيا ... فيه بأجسامٍ مِنَ العدَمِ

أمواجُهُ أحداثُ مَنْ نشقَى ... بخداعِهِمْ، والموتُ في الألمِ

آويتَ جثماناً لذي خطرٍ ... غابَ الضحيةَ بين مَنْ جهلوا

كم أنتَ ذا عِبَرٍ لمعتبرٍ ... لكنْ تَوَلَّى العقلُ والأملُ!

غَرِقَا كما غَرِقَتْ عواطفُنا ... في هذه الأمواجِ والتيهِ

ما الناسُ؟ كم منهم مَتالفُنا ... في كلِّ حرمانٍ وتسفيهِ!

يا قبرُ! قد أودعْتَ مَفخرةً ... لكنَّها بعضٌ من الكلِّ

ما ماتَ مَنْ نَلقاهُ مَأثرَةً ... في هذه الأنوارِ والظلِّ!

مختارُ! هذي الأرضُ حافلةٌ[1] ... إن كان جسمُكَ ماتَ مغبونَا

أممٌ على أممٍ مقاتلةٌ ... فيها، فساوى الحيُّ مدفونَا

جئنا إلى مَثوى رُفاتك، لا ... مَثواكَ أنتَ فلستَ محدودَا

مِثْلَ الأثير تعيشُ منتقلاً ... صُوَراً، وتحيا الدهرَ مشهودَا

يا ليتَ بين الجمع فاتنةً ... لتصوغَ فيكَ الشعرَ والحُبَّا

قد كنتَ في دُنياكَ عاطفةً ... وخلقْتَ قلباً عاشقاً قَلْبَا

---

[1] محتفية بجسمه.

تلـــك النمـــاذجُ كلُّهـــا فِـــتَنٌ ... وتَفـــــنـنٌ لمليحــــةِ الـــــوادي

مـــا بالُنـــا قـــد صــدَّنا شــجنٌ ... عنهـــا، وأيـــن جمالُهـــا الهـــادي؟

خلَّــدْتَها أضــعافَ مـــا خلــدتْ ... بجمالهـــا، يـــا ليتهـــا تـــدري!

يـــا ليتهـــا وافـــتْ هنـــا وشـــدتْ ... شــعراً لهـــا، لا اليـــأسَ في شــعري!

مختـــارُ! هـــذا الصـــخرُ نَشْـــهَدُهُ ... صُـــوَراً مِـــن الإعجـــازِ في المَعْنَـــى

يـــا ناحتـــاً مـــا بـــات يَعبــدُهُ ... شـــانيك، مثلُـــكَ لـــيسَ مَـــنْ يَفْنَـــى!

لـــذة الهــدوء

لم أدْرِهـــا في حيـــاتي لـــذةً أبـــداً ... كأنمـــا في هُــدوئي غايـــةُ الأَجَـــلِ!

أُعـــاركُ الـــدَّهرَ مـــن يـــومٍ وُلِـدْتُ بـــه ... فلســتُ أذكــرُ إلاّ الجُهْــدَ في عَمَلــي

حتـــى الطفولـــةُ أعـــداءٌ أُحاربُهـــا ... من السَّقام[1] وحتى الـوهمُ في أملـي

أنـــا الكـــدودُ المُعَـــاني غـــيرَ مُـــتَّهَمٍ ... إلاّ لـــدى رَجُـــلٍ مـــا كـــان بالرَّجُـــلِ!

سخرتُ مِن بيئتي والعزمُ يحفزني ... فـوق الصـعاب إزاءَ المطلـبِ الجلَـلِ

وقــد تَمرَّسْــتُ بالآفـــاتِ أُرضـــخها ... بالصبرِ والحزمِ لا بالخَتلِ والحِيَلِ

حتى تركتُ خصيمي يائساً وَجِلاً ... مِنْ هِمَّةٍ إنْ شكتْ لم تَشْكُ مِنْ وَجلِ

أُوتيـتُ مـن قُـوَّةٍ في الـنفسِ غالبـةٍ ... مـا صَـغَّر الـدهرَ في لهـوي وفي جَـدَلي

وقد صبرتُ على الأحداث مضطلعاً ... بالخطبِ، حتى كأنَّ الخطبَ يبْسِمُ لي!

أقولهـــا قولـــةً في الحـــقِّ صـــائبةً ... لمـن يظلّـون في جهـلٍ وفي خَبَـلِ:

مهمـا صـنعتم فمـا الأحـداثُ بالغـةٌ ... مني وما صدماتُ الغَدْرِ مِنْ شُغُلي

[1] يشير إلى اعتلال صحته الطويل في طفولته.

وإنَّ لـــي ثقـــةً شمـــاءَ صـــارمةً بغـايتي مـن حيـاةِ النَّفْـعِ لا العِلَـلِ
فليس يخضد مِن عزمي، ولا تَلفي ولـيس يبليـه مَـوْتي لـو هـوايَ بُلِـي
فـإنَّ روحـيَ معنـى لا حـدودَ لـه يَغزُو الـسَّحابَ ويعدو قمَّةَ الجبلِ
ويـترك اليأسَ فيمن أحكموا تلفي وقـد خلعـتُ علـيهم رحمـةَ البَطَلِ!

الوحـــدة

وَحـدَةٌ تفجـع النفُـوسَ الحزينـهْ حيث يَبْقَـى الحـزينُ يَرْعَـى حنينَـهْ
لم تُطِقْهـا فوسَّـدتْ رأسَـها العـا نـي وأخفَـتْ عيونَهـا المسـكينهْ
وبكـتْ والبُكـاءُ هـذا دمـاءٌ لجـراح المنـى الغـوالي الثخينـهْ
وارتمـتْ دونَ مَلـبسٍ غـيرَ هـمٍّ يجعـلُ الـنفسَ عنـده كالسـجينهْ
رقـدتْ في شـجىً وليسـت تُبـالي راحـةَ الجسـمِ أو تُبـالي أنينَـهْ
مثـلَ مـا بَعثـرتْ رسـائلَ حُـبٍّ بُعثـرتْ قُربَهـا الـدُّموعُ الثمينـهْ
كلُّهـا ذكريـاتُ مـاضٍ عزيـزٍ قتلتهـا يـدُ الشُّـجونِ الدَّفينـهْ
والضـياءُ الـذي يفـيضُ عليهـا كضـياءِ المـاتِ جَـمُّ السـكينهْ
والجمـالُ الـذي يُعـاني غبينـاً هـو كَفَّـارةٌ لـدُنيا غبينـهْ
هـو يَشـقى لنـا، وَأنفسُـنا اللَّهْـ ـفَى بمـا قـد جَنَـتْ عليـهِ رهينـهْ
نَـتملاَّهُ في الحيـاةِ وفي الرَّسْـ ـم، كأنّـا نَـئنُّ صِـدْقاً أنينَـهْ
لـت أنَّـا نطـاردُ الوحـدةَ الكُبْـ ـرَى ونُقْصـي عـن الهمـوم جبينَـهْ
كـلُّ نفـسٍ تَطيبُ في لوعـة الحُسـ ـنِ فليسـتْ إذنْ عليـه أمينـهْ!

*****

كـلُّ هـمٍّ يهـونُ في الـدهرِ إلاّ وحـدةً تسـحق الأمـاني الكمينـهْ

وأمَضُ الشَّجَى عذابٌ دفينٌ للجمالِ الذي نُقدِّسُ دينَهْ
وأشَقُّ الأسى أسَى الفنِّ والـ ـفنَّانِ في لوعةِ المعاني المهينهْ!

الجنة الأرضية

جَنَّةٌ للخيالِ في كنَفِ الدَّوْ حِ حبتْها السَّماءُ بالحُسْنِ شتَّى
فوقَ دُنيا القبورِ تزخرُ بالوَحْـ ـي وبالحُبِّ قد أبَى الموتَ مَوْتا
شَخَصَ الملهمون نحو ذُراها وإليها يحجُّ مَوْتَى ومَوْتَى
والسَّرابُ الرّقراقُ يُزْجي إليها أتقياءَ الأنامِ مِنْ كلِّ مَأتَى
سُيِّجَتْ بالملائكِ الزُّهرِ والزَّهرِ وبالحُلْمِ لا يرى الصمْتَ صَمْتَا
خلقتها الأوهامُ لكنها عاشَتْ على الدهرِ، وهو قد عاش مَيْتَا!

*****

جَنَّةٌ تملأ الأنوثةُ مَعنا ها فيبدو النعيمُ ذاك المعنى
سكنتْ في الجمالِ والناسُ صَرْعا ها، وعادتْ لهم ثواباً وفنَّا
في نظيمٍ مِنَ النماذجِ حالٍ كمعينٍ غَمْرٍ يشوقُ العَيْنَا
وثيابٍ نقيَّةٍ مِن بياضٍ وكأنَّ الضياءَ فيها استكنَّا
وجُسومٍ رشيقةٍ في حنانٍ كالأماني إذا تحرَّرن عنَّا
جَنَّةٌ كلُّها عجيبٌ ولكن كلُّ ما أبدعتْه عنَّا ومنَّا[1]

---

[1] إشارة إلى أنها لم تخرج من أخيلتها عن مألوف الحياة ولم تتعد الأهواء الأرضية.

الحسن المشتعل

إذا اشتعَلَ الحُسْنُ أردَى الحياةَ ... ولم تُغْتَنَمْ منه آثارُهُ

كما عاشَ في نارِهِ (المشتري) ... وعاشتْ تُناجيهِ أقمارُهُ

وفي الأرضِ من قبلِ خَلْقِ الأنام ... جمالٌ تُحاربنا نارُهُ

نَحومُ عليه فنُفْنِي الرَّجاءَ ... ويحيا الجمالُ وأشعارُهُ!

منطقة الخطر

حبيبٌ إلينا عِقابُ الجمالِ ... ففي قُرْبِهِ يُستطابُ الخطر[1]

ولو أننا قد لقينَا المماتَ ... فبعضُ المماتِ مماتُ القمرْ

تُبعثَرُ أفئدةٌ حولَه ... كما بُعْثِرَ الحبُّ ملءَ الشررْ

تموتُ ولكنَّها لا تموتُ ... فإنَّ الجمالَ ضمينُ العُمُرْ!

عمر الأرض

ثلاثةُ آلافِ الملايين[2] لم تكن ... بعمرِكِ بل يا أرضُ عُمْرُكِ وجداني

لقد كان مِنْ قَبْلِ الثرى فيك ماثلاً ... وقد جاء مِن كونٍ كأصلكِ نُوراني

ولم يَرْضَ إلاَّ أن يكون محرَّراً ... عن الشمسِ في معنى كحسنكِ فتَّانِ

فما زال حتى جانبَ الشمسَ مُعلناً ... وُجودَكِ في رسْمٍ كرسمِكِ فنَّانِ

وغنَّى بشعرِ الحُبِّ والفكرِ مثلما ... تَغنَّيْتِ في هذا الفضاءِ لكيوانِ[3]

---

[1] إشارة إلى الظاهرة الفلكية المعروفة التي أثبتها العلامة روش حول الشموس والأجرام السماوية.

[2] يقدر عمر الأرض نتيجة التحليل العلمي للصخور بنحو ثلاثة آلاف مليون سنة.

[3] كيوان: زحل الذي يعد والمشتري أكبر السيارات حجماً وبهاء.

الإشعاع

وما زلتُ رغمَ الشَّيْبِ بالحبِّ خافقاً   فؤادي، وهل لي أن ألومَ فؤادي؟

ينوءُ مِن الإشعاعِ للحسْنِ مثلما   ينوءُ بسرٍّ للملاحة عادي[1]

وكم ضغطَ الإشعاعُ[2] ضغطَ مسوَّدٍ   وأسرفَ حتى في حياةِ جمادِ

فكيف ألومُ القلبَ والقلبُ بضعةٌ   من الحُسْنِ، أو أنسى وجُودَ فؤادي؟

النظام الشمسي

أيُّ شمسٍ تلكَ التي هدَّتْ الشَّمـ   ـسَ فأحيَتْ شمسْينِ في مَعْنَيَيْنِ[3]؟

هَرَبتْ بعد جُرمها فإذا الجُر   مُ حياةٌ تموج في بيئتينِ:

بيئةُ الشمسِ جَدَّةُ الخلق في المَنْـ   ـشأ في نُورِهَا النّضاري اللجَيْني

وسِواها مِنْ نَسْلها وهي كالشمـ   ـسِ وإن أُطفئَتْ على غيرِ غَبنِ

قُسِّمت للجمالِ تقسيمَ إنصا   فٍ وحُسْنٍ مُنَوَّعٍ مطمَئنٍّ

*****

أيُّ شمسٍ تلك التي هَدَّتْ الشمـ   ـسَ فأحيتْ شمسين في معنيينِ

غيرَ روحٍ عزيزةٍ كُنْتِها أنـ   ـتِ، واكِنْ رجعتِ إلهامَ فَنٍّ؟

نُدرةٌ للوجودِ هذي وإعجا   زُ إلهٍ بكوننا مُفْتَنٌ

كلُّ سيارةٍ مِنَ الشمسِ أحلا   مُ جمالٍ بقلبها مستكنٌّ

غيرَ أنَّ الأرضَ الفقيرةَ أغنا   ها وقد عُدْتِ بعد طولِ التمنّي

فجعلتِ الحياةَ معنىً جديداً   وجعلتِ الوجودَ هذا المُغَنّي!

---

[1] عادي: معتدي.

[2] يشير إلى رأي الأستاذ رس جن عن قوة الإشعاع وضغطه العظيم وأثر ذلك في الفلكيات.

[3] في هذه الأبيات تصوير شعري مجمل لنظرية جينز في تكوين النظام الشمسي.

الطاووس

فِـدىً لعينيْـكَ مـا تهـواهُ عينـانِ — مِـن الملاحـة في ذا العـالم الفـاني
فِـدىً لصـدرِكَ مـلءُ العـين زُرقتُـه — وحـيُ السـماءِ بأصبـاغٍ وألـوانِ
فِدىً لريشكَ ما في الزَّهْرِ من مُلَحٍ — عند الربيـعِ ومـا في نقـشِ فنَّـانِ
فِـدىً لِقُنْزُعـةٍ زانتـكَ فِتنتُهـا — مـا للمفـاتن في ترصيعِ تيجـانِ
فِـدىً لرعشـتِكَ الخـلاَّبِ مَنظرُهـا — مِنْ رعشةِ الحُورِ أحلامي وإيماني
فِـدىً لمـا أنـتَ باسـمِ الفـنِّ تُعلِنُـهُ — مِـنْ عـالمِ الزَّهْـوِ في ذيـلٍ وأردانِ!

*****

يا جـائلاً مارحـاً لكنْ على شَمَمٍ — وعِــزَّةٍ قَلَّمـا تُلْفَـى لإنسـانِ
وفي رشـاقةِ فنَّـانٍ علـى قلـقٍ — جـمِّ التعـابيرِ في محسـودِ إتقـانِ
تعالَ! إني أنا الراجيكَ في شغَفٍ — بمـا تمثلـه مِـن رُوحِ هيمـانِ
فيكَ الهوى جائشٌ والذَّيلُ منتفضٌ — والنـورُ يسـقط منـه فـوقَ بُسـتانِ
وفـاخرُ الـريشِ كنـزٌ لا تُنافِسُـهُ — كنوزُ (كسرى) ولا دنيا (سليمانِ)
والشـمْسُ بـين تَعـلاَّتٍ تُغازِلُـهُ — وضَـوءُها بـين حيرانٍ ونشـوانِ
وأنـتَ تختـالُ دوَّاراً وتُعجِزُنـا — في نُبلِكَ الفذِّ عن وَصْفٍ وقُربانِ
تعـالَ! يـا جامعـاً دُنيـا منوَّعـةً — مِنْ كلِّ مَعْنىً غريبِ السحر محْسانِ
تعـالَ أنـتَ إلى صـدري! فـإنَّ بـه — إلى الفنـون حنانـاً فـوق تحنـاني
إلى الطبيعـةِ في مـا أنـتَ تَحجبُـه — وأنـتَ تُعلنُـه في غـير إعـلانِ
كأنمـا كـلُّ مـا تُبديـهِ مِـنْ عَجَـبٍ — شـتى الرُّموزِ بَدَتْ مِنْ عالمٍ ثـاني
إنَّ رعايـاكَ! أهـلُ الفـنِّ مُذْ خُلقُـوا — لم يَعرفُـوا غـيرَهُ مَعْنـىً لأَوطـانِ
ومهجتي مهجةُ الفنَّان إن شخصتْ — إليـكَ تشـخصْ إلى إحسـانِ ديَّـانِ

عبد الله الأنصاري

(رثاء أستاذ من أساتذتي الذين غذوني بحب الأدب العربي وقد تلوتها على قبره في يوم الجمعة ٨ يونيه سنة ١٩٢٤م).

أيهـا الراحـلُ عنَّـا في غِنـىً ... عـن وداعٍ، وقفـةٌ تُرضـي الوَداعـا
نحـن أهلـوكَ جميعـاً، كلُّنـا ... يعـرف الحـزنَ دفينـاً ومُشـاعا
لم نـودّع فيـكَ إنسـاناً مضَـى ... بـل دفنَّـا العِلْـمَ والفـنَّ الصَّـناعا
أنـا بعـضٌ منـكَ في إلهامـهِ ... فلتـدعْني أنظـمْ الحـزنَ ابتـداعا
أنـتَ ممَّـن أظمـأوني أدبـاً ... بينمـا النـاسُ يـردُّون الخِـداعا
متعـةُ الـرُّوحِ الـتي قـد أمنـتْ ... بـكَ لا مُتْعَـةُ مَـنْ يُرْضِـي السَّـماعا
فـوقَ مـوجِ الـدهرِ تمضـي باحثـاً ... مثـلَ مَـنْ وَلَّـوْا ومَـنْ جـاءوا تباعـا
إنْ يخنـكَ الـدَّهرُ والنـاسُ معـاً ... فلقـد رِيعُـوا وتـأبَى أن تُراعـا
كنـتَ مَعْنـىً للتسـامي ذائعـاً ... كـالأثيرِ الحـرّ مـلءَ الكـونِ ذاعـا
كـم تَتبَّعنـا مَراميـكَ الـتي ... ألهمتنـا المجـدَ خُلقـاً واتِّباعـا
علمتنـا الفـنَّ حُبّـاً وغِنـىً ... فاقتبسـنا الفـنَّ رُوحـاً وشـعاعا
وجعلنـا الأرضَ أسمَـى منـزلاً ... وأبينـا أن نراهـا تَتـداعَى
وعرفنـا "الـذَّوقَ" شـعراً صـافياً ... كـم ترنحنـا بـه سـاعاً فسـاعا
إيـهِ أسـتاذي الـذي قدَّسـتُه ... قـدرَ مـا أرهقَـني النَّعْـيُ التياعـا
عِلِـمَ اللهُ فـؤادي ثاكـلٌ ... رُبَّ ثكـلٍ لم يكـن إلاَّ التماعـا
ونظيمـي لـيسَ إلاَّ حَرَقـي ... رُبَّ نُـورٍ كـانَ للنـار قِناعـا
مَـنْ مُعيـدي لزمـانٍ كنـتَ لـي ... فيـه عمّـاً وأخـاً بَـرّاً وباعـا
مُعْجَبـاً تزْهُـو بمـا أنظمـهُ ... وتَراعِـي منـه لحنـاً لا يُراعَـى
وأنـا تلميـذُكَ الـوافي الـذي ... يجمـع الحسـنَ الـذي تـاهَ وضـاعا؟

مَـنْ مُعيدي؟ آهِ مـن دنيـا الأسَـى! … هيَّـأت لـي الآنَ والمـوتَ اجتماعـا

فتلاقيْنـــا علـــى قـــبرِكَ في … مـأتمٍ ضـاقَ عـن الحـزنِ اتسـاعا

وتعثـــرتُ بشـــجوٍ لم يكـــن … في اتِّـزَانٍ غـير مـا كـانَ انـدفاعا

فأنـــا الآن بكلِّـــي لوعـــةٌ … تسـكب الشـعرَ دماعـاً ودماعـا

وأنـــا الراثيـــكَ أرثـــي مُهجـــتي … وزمانـاً كنـتَ لـي الخـلَّ المُطَاعـا

وأنـــا الباكيـــكَ أبكـــي صـــادقاً … هـذه الـدنيا كمـا أبكـي اليرَاعـا!

في المحكمة الشرعية

يا ليتني في فُضُولي لم أُطِعْ قدمي! … يـا ليـتني! كـم أعـاني الانَ مِـنْ ألَـمِ

إنْ أنْسى لن أنسَ سُوقاً لا تُباع بها … غـيرُ الكرامـاتِ والأخـلاقِ والـذِّممِ

حيثُ النسـاءُ ضـحايا في جوانبهـا … وفي مَســالكها في ذلــةِ الــرِّمَمِ

حيثُ السماسرةُ المرهوبُ جانبهُم … مـا بـين بائسـةٍ تُـدْمَى ومُـتَّهَمِ

يُضـاعِفون مِـن الـويلاتِ أسـقَمها … ويُـؤْجَرونَ علـى الـويلاتِ والسَّـقَمِ

في كـلِّ ركـنٍ صـراخٌ لا مثيـلَ لـهُ … وفي الـتراب عزيـزُ الوعـد والقَسَـمِ

وكـلُّ طفـلٍ يتـيمٍ دُونَ ميتمـةٍ … لكنـه في شـقاءٍ صـورةُ اليَـتَمِ

ولِلــذُّباب ألاعيــبٌ مُنوَّعــةٌ … عليـه لا ينتهـي منهـا إلى سـأمِ

والخبـزُ غطَّتْـه دون الأدْمِ أتربـةٌ … كأنمـا هـي ألـوانٌ مـن الأُدُمِ

والمرضـعاتُ بأثـداءٍ مجعَّـدةٍ … مِن سَوْرَةِ الجـوع والأحـزانِ والألمِ

دارُ العويـل ودارُ المشـجياتِ، ومـا … أقْسَى العويلَ بدارِ العدْلِ في الظُّلَمِ

ممَّنْ يطالبن بالقُوتِ الضئيلِ وما … يَـنلْنَ إلاَّ صُـنوفَ اللَّـوْمِ والـتُّهمِ

يَلُحْــنَ أشـباهَ أشْـباحٍ مكفَّنــةٍ وكـــلٌّ رانٍ إلى أكفــانهنَّ عمـــي
ويَنــتهين إلى ظُلْـمٍ علـى ظُلَـمٍ يـا أمـةً لم تَـزل مـن أعـرقِ الأمَـمِ

الهواجس

تُـداعبنا الهـواجسُ كـلَّ حـينٍ كـأنَّ لهـا مِـن الهُرْمُـونِ[1] داعِ
خفايـا الـنفسِ أغـربُ في خفـاءٍ مـن الغُـددِ السـجينةِ في ابتـداعِ
تَحكَّـمُ في الجُسـومِ وهـنَّ أَسْـرَى وتَحْكُـمُ في الـدوافعِ والـدواعي
وتلـك هـواجسُ الأحـلامِ فينـا لهـا الأثـرُ العميـقُ علـى الطبـاعِ

*****

لقـد عـابوا خيـالَ الشـعرِ حتـى تمـادَى في الملامـةِ كـلُّ نـاعي
فهـل علمـوا نُفـوسَ ذويـهِ قـبلاً وهـنَّ مـع النجُـومِ علـى اندفـاعِ
وهـل فهمـوا خـواطرَهم بعهـدٍ تولَّتهـا الأشـعةُ بالرّضـاعِ
وهـل عرفـوا أمـانيَهم وفيهـا أواهـلُ ذلـك الرَّحْـبِ المُضـاعِ[2]
غـدا هـذا الخيـال الحُـرُّ روحـاً كـروحِ الكـونِ والحـقِّ المشـاعِ
فـألْهَمَ كـلَّ ذهـنٍ عبقـريٍّ ومـزَّقَ مـا تكـاثفَ مِـن قنـاعِ
ولـولا ذلـك الإلهـامُ ماتَـتْ عـزائمُ للحيـاةِ بـلا انتفـاعِ
فمـا كـان الخيـالُ سـوى سـبيلٍ إلى الفَـنِّ السَّـماويِّ الصـناعِ
يمهّـد لابتـداعٍ وابتـداعٍ ولـيس خداعُـه مثـلَ الخـداعِ
ويكشـف عـن خفايـا الكـونِ حتـى لتظهـرَ للعيـانِ وللسَّـماعِ!

[1] الهرمون هو الإفراز الداخلي للغدة السجينة أي الصماء مثل الغدة الدرقية والغدة النُّخاميّة والهرمونات عظيمة الأثر في تنظيم حياة الإنسان.

[2] الرحب المضاع: الفضاء الكوني الشاسع الخاوي بطبيعته.

وراء الغمام

(ألقاها الممثل الفنان إبراهيم الجزار في حفلة تكريم الدكتور إبراهيم ناجي
يوم الجمعة ١٥ يونيه سنة ١٩٢٤ لمناسبة صدور ديوانه "وراء الغمام")

نـاجي! تناجيـكَ الحيـاةُ بسـرِّها ... فتبـوحُ أنـت بسـرِّها أشْـعارَا

مـا سِرُّها إلاَّ الجمـال مـع الهوى ... فتلاقيـا فيمـا نَظمْـتَ وثـارَا

يـا شـاعرَ اللَّهَفـاتِ فُجِّـرَ دمعُـه ... وزفـيرُه حتـى تـدفَّقَ نـارَا

مــا كنـتَ إلاَّ للحيــاةِ مجاريــاً ... فـإذا بشـعرِكَ كالحيـاةِ يُجـارَى

نـاجي! يَعيـبُ الشَّـانئون ومـا أرى ... إلاَّ السـموَّ بمـا نظمْـتَ شـعارا

مَـلأتْ عواطفُـكَ الوجـودَ فأطلعـتْ ... أصــداؤها الأضـواءَ والأزهــارا

دانـتْ بـدينِ الحـبِّ وهـو إلهُنـا ... لـولاه لاصـطدمَ الوجـودُ وبـارا

فوهبْتَ للدنيا الحزينـةِ ما اشتَهتْ ... بيـد العـزاء ومـا اشـتهيتَ مـرارا

يـا آسِـيَ القلـبِ الجريحِ بجرحـهِ ... ومطهِّـــراً بدموعـــهِ الأطهـــارا

كـــم في دُموعِـــكَ قُــوَّةٌ علويـــةٌ ... نَبْـعُ الحيـاةِ بهـا يَفيضُ مُثـارا

كـم في أنينِـكَ غضـبـةٌ قدسـيـةٌ ... تحمـي الخيـارَ وتـزعج الأشـرارا

أيَعيـبُ شِـعرَكَ حاسـدٌ بأصـالةٍ ... وسـواكَ يُمْـدَحُ إن أعـادَ مُعـارا؟

هيهـاتَ! والـدُّنيا تَفـيضُ محبَّـةً ... وصـدىً لحبـك سـاحراً جبَّـارَا

هيهـاتَ! مـا هـذي الأزاهـرُ كلهـا ... إلاَّ الغـرامُ مصـوَّراً أنـوارا

مــا هــذه الأجْـرامُ في دورانهــا ... إلاَّ الغـرامُ الخـالق السـحَّارا

مـا كـلُّ مـا في عيشـنا وخيالنـا ... إلاَّه منتظمـــاً لنـــا قهَّـــارا

وأراكَ أنـتَ رسـوله وحبيبَـه ... تستـأسـرُ الأفـلاكَ والأطيـارا

جمعـتْ مواهبُـكَ المواهـبَ مثلمـا ... جمـع الوجـودُ بروحـهِ الأدهـارا

فبـدتْ لأحـلامِ الكـبيرِ كـبيرةً ... وبـدتْ لأحـلامِ الصـغيرِ صـغارا

*****

نــاجي! همومُــكَ كالغمــام تراكمــتْ وســناكَ مِــنْ خلــفِ الغمــامِ تــوارى
فبعثــتَ شــعركَ كالســهام رشــيقةً والــبرقُ يلمــع إثرهــا مــدرارا
وجــذبتَنا جــذبَ الحبيــبِ حبيبَــه فتناجيــا وتســاقيا الأشــعارا
وتناســيا الــدنيا ومــا في أهلــها مِــن عــابثين ومــاكرينَ حيــارى
ظنّــوا الجُنــونَ بنــا ولــيس ســواهمو أهــلُ الجنــون، فــإن أبــوْا فســكارى!
إنّــا لنُكــبر فيــكَ أنفَــسَ مــا نَعِــي في الكــونِ حــين تفوتنــا إكبــارا

قران الزعيم

(تهنئة ودية أرسلها صاحب الديوان يوم ١٢ يونيه سنة ١٩٢٤
إلى الزعيم الأكبر صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا)

تُهنِّيــكَ الزعامــةُ في قــرانٍ وكــم مِــن فرحــةٍ حَــوْلَ الــزَّعيمِ
وحســبي حــين أُزْجِــي تهنئــاتي هــوايَ يُــزَفُّ للعــمِّ الحمــيمِ
عرَفْــتُ لــه المكــارمَ في زمــانٍ عريــقِ اللُّــؤمِ داسَ علــى الكــريمِ
فعــاش مــبرَّءاً مِــنْ كــلِّ ذامٍ إذا الــدنيا تغنَّــتْ بالــذَّميمِ
تهــاوَى الحــاكمونَ وأنْــتَ بــاقٍ علــى شــرفٍ بمنهجِــكَ الحكــيمِ
لمصــر تعــيش مَفْــدِيّاً تُفــدِّي عظائمَهــا بإيثــارِ العظــيمِ
وكــم في مصــر مِــن عَلَــمٍ علــيمٍ ولــيس علــى الشــدائدِ بــالعليمِ
تناسَــى الشــعبَ حــين بقيــتَ فَــرْداً تُراعيــهِ بإيمــانِ الــرَّحيمِ
ففرحتُــه بعُرْسِــكَ في وفــاءٍ كسُــكْرِ الــرَّوْضِ بالطَّــلِّ العمــيمِ
مــدَحتُكَ قبــلُ[1] ثــمَّ أُعيــدُ مَــدْحي بأنفــاسٍ مِــن الــوُدِّ الصــميمِ

[1] أنظر (مختارات وحي العام).

وقـد وزنَ الرجـالُ حجـايَ حتَّـى ... غـدا حُكمـي يُقدِّسُـه غريمـي
فلسـتُ بمـن يُجـرِّحُ لـي شـعورٌ ... ولا حُكْـمٌ لإيمـاني السَّـليمِ
وعنـدكَ مِـن أُلـوفِ النَّحْـلِ عنِّـي ... صـدىً حـيٌّ[1] لتكـريمِ الـزَّعيمِ

أحلام الظلام

ولـمَّـا حـان تـوديعي ولاحـتْ ... علـى النـورِ الموشَّـى بـالظَّلامِ
تحـفُّ بنـا الريـاحينُ اللَّـواتي ... تـرفُّ مـن ابتسـامٍ لابتسـامِ
ويحجبنـا السـكونُ بـلا حجـاب ... ويفضـحنا الحـنينُ على احتشـامِ
وقفْـتُ كوقفـةِ الـدُّنيا إذا مـا ... أطـاح بهـا السَّـلامُ إلى الحِمـامِ
ومـا هـي غـيرُ لحظـةِ مسـتعزٍّ ... ولكـنْ قلبُـه دامٍ ودامِ
ويجـري النُّـورُ في لـونٍ عجيـبٍ ... علـى وجنتانـا جَـرْيَ المُـدَامِ
فنسـكر في صُموتِ اليأسِ حتـى ... كـأنَّ اليـأسَ مـن سُـكر الغـرامِ
ويَغلبهـا الحيـاءُ وفيـه مَعْنـىً ... حَفِـيٌّ بالتَّواضـعِ والتسـامي
فأرقبُهـا علـى لَهَـفٍ كـأني ... أُطبَّـبُ بالسـهامِ مـن السـهامِ
وأشـربُ حسـرتي الكـبرى دواءً ... وإن كـان الـدواءُ مـن الضـرامِ
وهـل غـيرُ العـذابِ شـفاءُ روحـي ... أنـا العـاني بـلا أمـلٍ أمـامي؟
وقفنـا لحظـةً هـيَ كـلُّ عيشـي ... ومـوتي في السَّـلامِ بـلا سـلامِ
ففرَّقنَـا الزمـانُ بـلا وداعٍ ... سـوى اللـهفاتِ أشْـرِبَهَا هُيَـامي
كـأنَّ تناسـيَ التوديـعِ أوْلى ... بـدُنْيَا الهـمِّ يـا دُنيـا الأنـامِ!

[1] إشارة إلى اشتغال دولته بتربية النحل، وهو عضو برابطة مملكة النحل.

الأشعة الكونية

(مهداة إلى الصديق فؤاد صروف محرر المقتطف وصاحب كتاب فتوحات العلم الحديث)

مِنْ أينَ مَصْدَرُكِ الكريمُ الباني ... يا مَأْمَلَ الأحياءِ والإنسانِ؟

مِنْ أينَ طاقتُكِ التي لا تنتهي؟ ... مِنْ أين حينَ الكونُ فانٍ فانِ؟

أتُرى الحقائقُ كالرُّموزِ فليس في ... مَعْنَى الفناءِ سوى الوجود الثاني؟

أمِنَ الخواءِ أتيتِ مَنْحَ عناصرٍ ... تُبْنَى فكنتِ لها شهودَ عيانِ؟

أمْ مِن فناءِ الأيْدرُجِينِ محوَّلاً ... فيعود في النّترونِ ذاك الياني؟

أمْ مِن صميمِ الشمسِ بنتَ كهاربٍ ... صُدِمَتْ بذرَّات الهواءِ الجاني؟

وتُحيط بالأرض الحنونِ كأنها ... رُسُلٌ جَزينَ حنانَها بحنانِ

وفدَتْ مِن الأمِّ التي في بُعدها ... لم تَنسَها أبداً مَدَى الأزمانِ

أعْجَزْتِ آياتِ الأشعَّةِ قُوَّةً ... وسَخرتِ مِنْ رأيٍ ومِنْ بُرهانِ

وطفقتِ جائلةً كرُوحٍ حُرَّةٍ ... هي فوقَ أرواحِ الورى والجانِ

ذُخْرُ الملايينِ السنينِ ورُبَّما ... حملتْ طيوفَ مَشاعرٍ ومَعانِ!

*****

مِنْ أينَ مَصْدَرُكِ الكريمُ الباني ... يا مَأْمَلَ الأحياءِ والإنسانِ؟

مِنْ نَفْحِ خلاَّقِ الحياةِ فروحُه ... روحُ الحياةِ وشُعلةُ الإيمانِ

ليستْ رحابُ الكونِ غيرَ رحابهِ ... والكونُ غيرَ فُتونهِ الفنَّانِ

جعلَ التفجُّرَ مَبدأً لفنونهِ ... كتفجُّرِ الأطيافِ بالألوانِ

فإذا انبثاقُ الكونِ يومٌ أوَّلٌ ... وإذا المجرَّةُ منه يومٌ ثاني

وإذا نظامُ الشمسِ يومٌ ثالثٌ ... خلقتْه صدفةُ ساحرٍ فتَّانِ

وإذآ الحياةُ قصيدةٌ علويةٌ ... من هذه الأيامِ والأوْزانِ

وإذا خيالُ الشعرِ يُلهم وحده ... مَعناكِ بل معنى الخلودِ الساني

وإذا العزاءُ لنا وجودُكِ بينما ... لولاكِ لم تُغنِ الوجودَ أماني!

وحي الصحراء

(١) (مهداة إلى الدكتور أبو شادي محرر أبولو)

شِعري تـألَّقْ للطبيب الشـادي ... فنشـيدُه مجـدٌ لـه إنشـادي
إنَّ اليـنـابيعَ الـتي فاضـتَ بمـا ... أشـجاه مِـن شعرٍ يذيب فؤادي
قد ألهمتْ روحي العزيزَ من المنى ... فأبيـتُ إلا أن أطيـعَ عنـادي
وطفقتُ حيرى – والمعاني جمةٌ – ... فـيمن أُسَـلِّمه زمـامَ قيـادي
فـإذا إلـهُ الشـعرِ يهبط هاتفاً: ... هيَّا إلى السحرِ الجميلِ الشادي!
ووجدتُ في الصحراء رجعَ مشاعري ... بغموضها، ومِن الغموض البادي
والرمـلُ منبسـطٌ إلى أن يلتقـي ... بـالأُفقِ بـين تَهلـلٍ وتهـادي
والشـمْسُ تبكـي لوعـةً وكأنهـا ... محزونـةٌ لفـراق هـذا الـوادي
والأرضُ تشـجي والنسـائمُ حلوةٌ ... تهـدي السـلامَ لـرائحٍ ولغـادِ
وتقـول: يـا مَـنْ بالجديدِ ترنَّموا ... هـلاَّ ذكـرتم لـي قـديمَ ودادي؟
والآنَ والأُفـقُ البعيـدُ قـد انـبرى ... يرنـو إلـيَّ بقسـوةِ النُّقَّـادِ
أرسـلتُ مِنْ قلبي تحيـةَ مَـنْ رأتْ ... هـذي الطبيعـةَ عِـزَّةَ الزُّهَّـادِ
وَتصَـوَّفَتْ في عـالَمٍ لا يَنتهـي ... حتـى علـى الآبـادِ والآبـادِ!

حكمت ش...

(الآنسة حكمت شبارة)

(٢) (مهداة إلى الآنسة الشاعرة حكمت شبارة)

إلى العزيـزة (حِكمـتْ ش...) ... أُهـدي تحيـةَ إعجـابي
الفَـنُّ عنـد غـيرُ غـبينْ ... فـالفَنُّ حليـةُ أربـابِ
أَهْـدَيْتِ لـي وَحْـيَ الصَّـحراءْ ... وهـو الحيـاةُ لأحلامـي

يظمـــا بنجـــواه الشُّـــعراءْ وبـــه ارتـــوَى رُوحـــيَ الظـــامي
دُنيـــا مـــن الفـــنِّ الفنَّـــانْ بـــين العبوســـةِ والبشـــرِ
تَستأســـرُ الحـــرَّ الفنَّـــانْ بالسِّـــحرِ في أَثَـــرِ السِّـــحْرِ
دُنيـــا تَقَلُّبُهـــا يُـــوحي للشـــعرِ ألوانـــاً شـــتَّى
جريحُهـــا غـــيرُ جـــريحِ ومَيْتُهـــا غـــيرُ المَـــوْتَى!
رَسْـــمتِها لـــي لوْعـــاتٍ مِـــن ذلـــك الشـــفقِ المخضـــوبْ
والأرضُ بـــين ســـعاداتٍ منهـــا وبـــين دمـــاءِ قلـــوبْ
وفُتِّنِـــي يـــا مَـــنْ بَهَـــرَتْ بِشِـــعْرِهَا الحـــيِّ الوضَّـــاءْ
دُنيـــا التصَـــوُّفِ مـــا سَـــحرتْ إلاَّ خيالـــكِ والصـــحراءْ
أمَّـــا أنـــا فعلـــى فقـــري بـــاقٍ وفي عجـــزي أمضـــي
مَـــنْ لـــي بروحـــكِ في شـــعري حتـــى أبـــينَ عـــن الأرضِ؟!

الجواهر المجنحة

(وحي دراسة عن الحشرات والطيور الزاهية)

أغنيـــتِ هـــذا الجـــوَّ مثـــلَ العبـــادْ مِـــنْ كـــلِّ لـــونٍ عســـجديٍّ مُـــنيرْ
أغنيتـــهِ بـــالطيْشِ قبـــلَ الرَّشـــادْ في عـــالمِ الحـــبِّ الشَّـــرُودِ الغريـــرْ
مـــا هـــذه الأصـــباغُ يـــا طـــائراتْ؟ يـــا راشـــفاتِ الشَّـــهْدِ! يـــا ســـاحراتْ!
هـــل تلـــك أحـــلامُ المُنـــى الماثلاتْ للحـــسِّ، أم تلـــك رمـــوزُ الحيـــاةْ؟
أشـــباهُ زَهْـــرٍ أو ثِمَـــارٍ تُـــرامْ مـــا اخترْتِـــهِ مِـــنْ كـــلِّ رسْـــمٍ حبيـــبْ
أوْحَـــى (كيوبيـــدُ) بهـــا، فـــالغرامْ نلقـــاه في كـــلِّ مِثـــالٍ عجيـــبْ

نلقــاه هَرْمُــونَ[1] الجمــالِ البــديعْ في ذروةِ المجــدِ لهــذا (الربيــعْ)
قــد جــاوزَ الــوهمَ بمــا يســتطيعْ وأشــعلَ الجــوَّ بســحرٍ مَنيــعْ
جــواهرُ الحــبِّ، ومِــنْ رُوحِــهِ تَطــيرُ في الجــوِّ عــزاءَ الفقــيرْ
فتــنْفَحُ الفنَّــانَ مِــنْ نَفْحِــهِ وتُطْلِــقُ الفَــنَّ العزيــزَ الأســيرْ!

بلوطو

(السيار التاسع الذي تنبأ به الأستاذ برسفال لول الأميركي بحسابه الدقيق
وكشف عنه كليد تمبو سنة ١٩٢٠)

يــا شــقيقاً لأرضِــنا كيــف أنــتَ؟ خَبَّأَتْــكَ الشــجونُ حــينَ اختبــأتَ[2]
أبعــدتْكَ الأقــدارُ في خَلْقِهــا الدُّنْــيا، ولكــنْ عــن شَــوْقِها[3] مــا بَعُــدْتَ
خَفَــتَ الضــوءُ والحــرارةُ إلاّ لمحــاتِ الحــنينِ لمَّــا لُمِحْــتَ
قَــدَّرَ العلــمُ وَحْيَهــا قبــلَ عــينٍ تكشــفُ الغائــبَ المحجَّــبَ ثَبْتَــا
أمُّــكَ الشَّــمْسُ لم تَــزلْ تبعــث النُّــورَ وإنْ صــارَ أغلــبُ النــورِ مَيْتَــا
وكفاهــا الحنــانُ في ذلــك البُعْــدِ دليــلاً علــى وفــاءٍ تَــأَتَّى
لا أنــيسٌ لــديكَ إلاّ شــريدٌ: قمــرٌ يــائسٌ رأى البــؤسَ شَــتَّى
قــد عرفنــاكَ، غــيرَ أنَّــكَ في البُعْــدِ غريــبٌ، وإنْ تكــنْ أنــتَ أنــتَ

---

[1] الهَرمون (بفتح الهاء): الانسجام الموسيقي.
[2] يبعد بلوطو عن الشمس بنحو ٤٥ ضعف بعد الأرض عنها أي بنحو ٤٢٠٠ مليون ميل. وعلى هذه المسافة لا يصله من نور الشمس وحرارتها إلا جزء من ألفي جزء مما يصلنا منهما – (راجع لأمثال هذه الشروح الفلكية كتاب "فتوحات العلم الحديث" لفؤاد صروف وكتابي The Universe Around Us و The Mysterious Universe للسير جيمز وأمثالهما من التصانيف العلمية المبسطة).
[3] شوق الدنيا – بريد نظامنا الشمسي.

لَيْتَ شعري: أنحن في الوهمِ لا ندْ ري وأنتَ الهنيءُ بُعْداً وصَمْتَا
أم تُرَى أنتَ في شجونٍ جِسامٍ تبعثُ النُّورَ لوعةً ثمَّ مَوْتَا؟!

ما وراء المجرّة

عوالمُ لا تُحصى ولا هي تُعْرَفُ ويا رُبَّما المجهولُ منها المُعَرَّفُ
تناهتْ تَناهتْ في الفضاءِ إلى مَدىً يُقصِّرُ عنه العالِمُ المتلهّفُ
فما تنصتْها بؤرةُ العلمِ مرةً وإنْ لم يَفُتْها الشاعرُ المتصَوّفُ
رأى مِنْ وراءِ الكونِ آياتِ غيره بلحظٍ مِن النُّور الإلهيِّ يَخطفُ
رأى النُّورَ أصداءَ الحياةِ وصوتَها ومِنْ رُوحِهِ الجذَّابِ للروح يرشفُ
مجاميعُ آلافِ النُّجومِ تبعثرتْ وهيهات عينُ الشعرِ عنهنَّ تطرفُ
بَدتْ شبهَ فوضى وهي شتَّى نظامُها ولكنْ من الأكوان ما ليسَ يُوصَفُ
نمتْ في ملايين السنين التي خلتْ من الغاز كالأنواءِ تنمو فتعصفُ
نمتْ ونمتْ بين اتِّساعٍ حُدُودهُ حُدودٌ من الوهمِ الذي لا يُكيَّفُ
كأنَّ اتساعَ الكونِ فقَّاعةٌ نمتْ ولكنها مهما نمتْ ليس تَتلفُ
ونخشى مماتَ الشَّمْس والشمسُ في غِنىً عن الخوف كم تُعْطِي و تَتخَوَّفُ
ونَسبُها في وقفةٍ وهي لم تزلْ على نشوةِ الجوَّالِ بالبحثِ تَكلفُ[1]
تدورُ كما دارت شموسٌ عديدةٌ يجاذبها مِن عالم الغيبِ مُلْحِفُ
تقاسمتِ السُّدْمُ العديدةُ حظَّها وفي أسرها تزكو وتزهو وتَلطفُ
تَشتَّتَ هذا الكونُ حتى فضاؤُه ومِن خلفهِ عقلٌ دقيقٌ ومُنصِفُ

---

[1] المرجح أن الشمس تتحرك حول مركز "النظام المجرّي" بسرعة مائتي ميل في الثانية، ويستغرق اتمامها لدورة كاملة حوله مائتي مليون سنة.

كأنَّ رحابَ الكونِ وجدانُ شاعرٍ   فكلُّ فضاءٍ فيه حَيٌّ مثقَّفُ
وفيها "كُوَنْتاتُ"[1] الحياةِ أجنَّةٌ   وفيها مِنَ الذَّرَّاتِ ما لا يُؤَلَّفُ
ولكنَّما للشِّعرِ مِنْ لِبنَاتِها   عوالمُ باللَّحْنِ السَّماويِّ تعزفُ
تخيَّلَها جَمْعاً، وأبدعَ غيرَها   وما زالَ في إبداعهِ الحُرُّ يُسرِفُ!

وحي الراديو

سمعناكَ سَمْعَ الجانِ في صَوْتِ آدمٍ   وقد صارتِ الأحفادُ شيعةَ جَانِ
تَعدَّدَتِ الأوقاتُ والوقتُ واحدٌ   وكم مِنْ فمٍ يَحكي بألفِ لسانِ
وصُغِّرَتِ الأرْضُ التي طالما أبَتْ   على الناسِ إسراءً بكلِّ زمانِ
لقد جُبْتَها في طرفةِ العينِ[2] فاتحاً   وردَّدْتَ أصداءً ببضْعِ ثوانِ
فمن أيِّ دنيا قد أتى ذلك الصَّدَى   وهل هو والإنسانُ يَلتقيانِ؟
أَوَحْيُ غُبارِ الكون ما أنتَ مُعْلِنٌ   وإنْ كان لم يُقْرَنْ بأيِّ بيانِ؟
أم الزمنُ الماضي يُردِّدُ نفسَهُ   وأصداءَ مَوْتاه لوعظِ زماني؟
مُحالٌ مُحالٌ ضَيْعَةُ الرُّوحِ والحجا   لقد سكنا الأمواجَ مثلَ مَعاني
وما ذلك الصوتُ الجديدُ بمعجزٍ   إلى جنبِ ما لم يَستبِنْهُ جَناني
قد اكتظَّ هذا الجوُّ مِنْ كلِّ شاردٍ   ومِنْ كلِّ دانٍ وهو ليس بدانِ
كأنَّ أحاديثَ الخليقةِ ما وَعَى   فيحجبها عنَّا حِجابَ غواني
يخافُ عليها مِنْ تَبذُّلِ عالمٍ   دنيءٍ، ويأبَى مَسَّها بهوانِ
كما يَشتهي الفنانُ كلَّ مليحةٍ   تُصانُ لأهلِ الفَنِّ أيَّ صِيانِ

---

[1] هي مقادير الطاقة حسب نظرية بلانك.
[2] تدور الإشارة اللاسلكية حول الكرة الأرضية في ١/٧ ثانية فقط.

فليس سواهم يَفهم الحسْنَ فِكرةً ويَعبــدُه في رحمــةٍ وحَنــانِ

أصَخْنَا إلى نجواكَ غَرْقَى خواطرٍ وأمواجُهـا تَطْغَـى بكـلِّ مكـانِ

ومِنْ خَلْفِها أمْوَاج أُخرى تكاثفَتْ تَكـاثُفَ مَنْسِـيٍّ مِـن الحـدثانِ

ولولاك خِلنا الصمتَ يغمرُ جوَّنا وقد بُثَّ فيه الصَّوْتُ بَثَّ دُخانِ

ولكنمـا الألبـابُ شَـتَّى كأنَّهـا مَسَـامِعُ شَتَّى الحِسِّ والهيمَانِ[1]

مخلب الطاووس

في عِـزَّةٍ مَحْسُـودَةٍ مُتبخْتِـراً يَمْشِي كما يَمْشِـي الغرامُ المُلْهَمُ

طُبِعَـتْ جلالتُـهُ بلُطْـفِ جَمالِـهِ وحَمـاهُ مِخْلَبُـهُ القَـوِيُّ المُـرْغِمُ

فكأنَّمـا هـو أنـتِ لـولا أنَّـهُ مـا بـات يَقْطُـرُ مِـنْ مَخالبِهِ الـدَّمُ

نَهْـوَى أناملَـكِ الرَّشـيقةَ بينمـا نَخْشَـى أظافرَهـا[2] التي لا تَـرْحَمُ

إنْ لم تَكُـنْ تلـك الـدماءُ خِضـابَها فخِضـابُها بِفتونِهـا يَتَضَـرَّمُ!

الأثمار

يا شَمْسُ! لا تَأْسَيْ على نُورٍ مَضَى النـورُ مَعْبُـودٌ بكـلِّ مَكـانِ

مَـلأَ الوجـودَ وإنْ يكـنْ مِـنْ جُلِّـه مـا لا تَـراهُ كعهـدِهِ العيْنـانِ

سكنَ المشاعرَ والعواطفَ وانتهَى لِقَـرارةِ الوجـدانِ والإيمـانِ

---

[1] راجع قصيدة "صائد الغنم".

[2] إشارة إلى عادة صبغ الأظافر باللون الأحمر، وقد تفشت بين الغانيات.

واستمتعَتْ صُوَرُ الحياةِ بشَمِّهِ ... وبطَعْمِهِ وبلونِهِ الفتّانِ
ما كانت الأثمارُ غيرَ مثالهِ ... أو كانت الأثمارُ غيرَ معَانِ[1]
فبأيِّ موشورٍ وأيةِ حيلةٍ ... جمَعَتْ فتونَ ضيائِكِ الفنّانِ؟!
تَتمَوَّجُ الأصباغُ في قسماتِها ... كتمَوُّجِ البلُّورِ بالألوانِ
وأذوقُها فأذوقُ طَعْمَ أشعَّةٍ ... خُلِقَتْ حلاوتُها لكلِّ زمانِ
وأجرِّبُ الفنَّ السماويَّ الذي ... جعلَ الحياةَ حليفةَ الدَّورانِ
كلُّ المشاعرِ وحدةٌ لخواطري ... متبادلاتُ الحسِّ والعرفانِ[2]
فليَ الحياةُ تضاعفتْ بفنونها ... وبعُمْقِها وبلُطْفِهَا النُّوراني
وأعيشُها صُوَراً بكلِّ جوارحي ... فكأنَّني أحيا بكونٍ ثانِ
وأذوقُ مِنْ هذي الثِّمارِ مصدِّقاً ... وكأنها رُسُلٌ إلى وجداني
ولقد أطيرُ إليكِ فوقَ خواطري ... وأعُبُّ مِنْ ينبوعكِ المحسانِ
وأعيشُ في نورٍ شعاعاً صافياً ... وأعودُ في نورٍ وفي نيرانِ!

المريخ ينتظر!

صدفنَا عن (القمرِ) المرتجي ... زيارتَنا في سهامٍ تَطير
وهل كان إلاّ ابننَا في الوجودِ ... يَسيرُ مع الأرضِ أنَّى تَسيرْ؟
فما بالُ (مرِّيخنا) العبقريّ ... يُنادي؟ أم السمعُ ضَلَّ النداءْ؟
وكم وهمَ العلماءُ الكبارُ ... كما وهمَتْ لغةُ الكهرباءْ
لقد أصبحَ العِلْمُ شِعْرَ الخيالِ ... كما أصْبَحَ الشِّعْرُ نَفْحَ العُلُومْ
لقد مُزِجَا بالعجيبِ المحالِ ... وقد سَبَحا في مَجَالِ النجومْ!

---

[1] أنظر قصيدة "عرس الأصيل" بديوان (الشفق الباكي).
[2] راجع مقطوعة "اشتراك المشاعر" بديو ن (أنين ورنين).

الصُّوفيّ

مُمْعِنُ الفِكْرِ يُشْبِهُ الدَّهرَ في النَّظْـ ـرَةِ للعالَمِ الصَّبيِّ الجديدِ

حـين تلميذُهُ مُصيخٌ إلى النَّجْـ ـوَى بِرُوحٍ مِنَ الفُتُونِ الفريدِ

مُمْعِنُ الفكر، مشرقُ الوجهِ مِنْ ظُلْـ ـمةِ ليلٍ لعالَمٍ مفقودِ

ومُشيرٌ إلى الحقيقةِ فهي الـ ـفردُ للباحثِ الحصيفِ العنيدِ

وكأنَّ الكتابَ تَحملُ يسْرَا هُ رُموزٌ لا مَبحثٌ للوجودِ

قالَ ما قالَ، وهو يُمعن إمعا ناً كمَنْ نالَ رؤيةَ المعبودِ

وفتاهُ الصَّغيرُ يَتبع بالخا طرِ حُلْماً إلى الكمالِ البعيدِ

جَمَّعَ الحبُّ للحقيقةِ رُوحَيْـ ـنِ على الرَّغمِ مِن خِلافٍ شديدِ

وكأنَّ الفتى بملبسهِ الأبْـ ـيَضِ في حالةِ التجلي السعيدِ

وكأنَّ التأمُّلَ الصادقَ السَّا حرَ قربانُ قلبهِ الغِرِّيدِ

وكأنَّ الإلهَ في هذه اللَّحْـ ـظةِ في مَظْهَرِ التَّناجي المجيدِ

نَشرَ الحبُّ للألوهةِ نُوراً وظِلالاً فواتناً للقصيدِ

وكأنَّ الإيجازَ أبلغُ في الوَصْـ ـفِ، ووَحْيُ الأصباغِ وَحْيُ النشيدِ

البداية والنهاية

مِنْ صَميمِ الضياءِ، مِنْ وَهَجِ النو رِ، ومِنْ كهربائهِ قد خُلِقْنَا

شحنةُ الكهرباءِ في عالَمِ الذَّرَّا تِ سِرُّ الحياةِ مَبْنىً ومَعْنى

كلُّ شيءٍ لولاه ما كان شيئاً فالضِّياءُ الضِّياءُ لُبُّ الوجودِ

لَبِنــاتُ الوجــودِ منـــه، وفيــه
يَتنـــاهى الفقيـــدُ كـــالمولودِ

رَتَقــاً[1] كانــت الحيــاةُ، ولكــنْ
وُزِّعَــتْ بَعْــدُ في ألــوفِ الشَّــمائلْ

فــإذا النــورُ واضــحاً وخَفِيّــاً
لم يَــزلْ سِــرُّها ببــاقٍ وزائــلْ

لم يــزَلْ غايــةً لكــلِّ نظــامٍ
مثــلَ مــا كــانَ للحيــاةِ البدايــهْ

صُــوَرٌ مــا لهــا انتهــاءٌ، وللنُّــو
رِ معـــاني بدايـــةٍ في النهايـــهْ

فاعذُرُوا الشاعرَ الذي قَدَّسَ النُّو
رَ إذا مـــا رآهُ وحيـــاً مُقـــدَّسْ

أيُّ شــيءٍ سِــواهُ نَــمَّ عــن الخــا
لــقِ في مثــلِ لُطفــهِ أو تَلمُّــسْ؟

فَمِــنَ النُّــورِ قــد بــدأنا، وللنــو
رِ سَنمْضِــي كمــا بَــدَأْنا شُــعاعَا

كــلُّ مــا في الوجــودِ نُــورٌ بــأمواجٍ
تناهَـــتْ دقائقـــاً وابتـــداعَا

السيد

لروحـــيَ في عِـــزَّةِ المُســـتقِلِّ
حيــاةٌ سَمَتْ فــوق جسـمي وعَقْلـي

تَخَلَّــصَ مِــنْ شــهوةٍ كــم تُلِــحُّ
ومِـــنْ خطــراتِ الخيـــالِ المُــزِلِّ

ومَـــتَّعني بينمـــا صـــانني
مِـنَ القَهْـرِ: قهـرِ الغـرورِ المُضِـلِّ

فمــا عشــتُ عبــداً لهــذي الحيــاةِ
ومــا عِفْتُهــا بــين زُهْــدٍ وشُــغْلِ

وكيـــفَ وقلـــبيَ مِـــنْ قَلْبِهـــا
وإنْ خــالفتْني بِمــرْأىً وشَــكْلِ؟

تَوَحَّـــدَ رُوحـــي بكـــلِّ الوجـــودِ
فَرُوحــيَ منــهُ وفي الــرُّوحِ أصْــلي

لَـــئِنْ ثُـــرْتُ مِـــنْ ألـــمِ المُســـتبدِّ
فكــم ثــارَ خُلْــقُ (الطبيعــةِ) قبلــي

وإنْ لم أثُــرْ فهــو طَبْــعُ العنيــدِ
أعــدُّ افتئــاتَ المقــاديرِ هَزْلــي

---

[1] رتقا: كتلة منسدة.

وفي مُهجتي رحمةٌ لن تغيبَ كعفوِ الحليمِ لخصمٍ وخِلٍّ
شملتُ بها جهلَ أهلِ الزَّمانِ فرغم التباينِ هُمْ بعضُ أهلي

بيت الأمة

طالتْ على الحَصْرِ السّنونْ والحَصْرُ في شرَفٍ يَهُونْ
زُرْناكَ في تقديسِنا هيهاتَ تَمنعُهُ العيونْ[1]
أَنُصَدُّ عنكَ وأنتَ أنـ ـتَ مَباءَةُ الشرفِ المصونْ؟
ويُباحُ ما أوْلى به الهَدْ مُ المُدمِّرُ والمَنُونْ؟
يا (مصرُ) يا أمَّ العظا ئمِ! أينَ ما يُرْضِي (أمونْ)؟
ثُوري بوجهِ الظُّلمِ! ثُو ري! وليكنْ ثأرُ القُرونْ
(الواجبُ) الدِّينُ المقدَّسُ كيفَ يَجهلُهُ البَنُونْ؟!
لا خيرَ في أحلامِهمْ إن كُنَّ أحلامَ السُّكونْ
لا خيرَ في دُنيا المرا حِ تَسُفُّ أو دُنيا البطونْ
يا بئسَ عَهْدٍ كلُّ ما فيه جُنونٌ في جُنونْ
كم حُرقةٍ في طيِّ قلـ ـبي مِنْ مُعاناةِ الشجونْ
ما زلتُ أُطلقها وأنـ ـفثُها كما تَدْوِي الحصونْ
لم أستطع كتمانَها إنْ أستطعْ غمضَ الجفونْ
ما كنتُ بالجاني على وطني وإنْ زعمَ الخؤونْ
لا بدَّ للشعرِ الأبيِّ من القساوةِ في اللحونْ

[1] العيون: الجواسيس.

لا بــدَّ مِــنْ تقريــع جيـ ... ـــلِ مُغْفِــلٍ عِظَـم الشــؤونْ
نســـيَ الكرامـــة وانتشـــى ... بـــين السفاســـفِ والمجـــونْ

*****

يــا (بَيْــتُ) إنْ طــالَ الحصــا ... رُ ســـلمتَ مِـــنْ ذُلٍّ وهُـــونْ
لا شـــيءَ حولـــكَ مـــا يَسُـــ ... ــرُّ، وخـيرُهُ شَـرُّ الظُّنُـونْ
إنْ كـــانَ دَيْنُـــكَ باقيـــاً ... فلقـــد تراكمـــتِ الـــديونْ
مـــنْ ذا يُـــوَفي (سَـــعْدَ) مـــا ... حملتْـــه للخلـــدِ السُّـــنونْ؟

أم مصر

(الخطاب موجَّه إلى صاحبة العصمة صفية هانم زغلول)

عانيـتِ مـا عانيـتِ مِـنْ إيـلامِ ... حـين الرجالُ ضحايا الاستسلامِ[1]
يـا أمَّ مصـر ويـا صـفيَّةَ سَعْدِها ... مَـنْ ذا سـواكِ أحَـقُّ بالإقـدامِ؟
تكفيكِ غضبة (مصطفى) أو (مكرمٍ) ... صـوتاً لمصـرَ، فمصـرُ ثـأرٌ نـامي
هيهـاتَ تَقبـلُ للـهَوادةِ ناعبـاً ... مهمـا تَـذُقْ حَرَبـاً[2] بكـلِّ خصـامِ
إنَّ الأُخُـوَّةَ مِلَّـةٌ محبوبـةٌ ... أتُسـيءُ للـوطنِ الجـريحِ الـدَّامي؟
أسـفي! تُفرِّقُنـا الهـواجسُ هكـذا ... في زَهْـوِ مخـدوعٍ وطـيْشِ غـلامِ
ينسون ماضي الذِّكريات وما بَنَى ... (سـعدٌ) علـى كتفيْـهِ للأيـامِ
أوْ لا، فما معنى الشِّقاق وقد جنَتْ ... مِصْـرُ الأذى بتعـدُّدِ الأحـزامِ؟
يـا بئسـتِ الأحـزابُ! بئسـتْ أينما ... وُجِـدَتْ بشـعبٍ ذاقَ حكـمَ لئـامِ!

---

[1] يشير إلى حركة الانشقاق الأخيرة في الوفد.
[2] حربا: هلاكا وويلا.

هيهـاتَ يُنقـذُه سـوى إقدامـهِ ورجائِـهِ وإبائِـهِ البسَّـامِ
ولـديكِ مَنْبَعُها السَّـليمُ، وحسـبنا أن نَسْـتَقِي مِـنْ ذلـكَ الإلهـامِ

ضريح سعد

(وهو الضريح الذي أبت حكومة صدقي باشا أن يخصص لجثمان سعد الطاهر)

مَرَرْتُ على الضريح فهاجَ دمعي فهـل سـكنتْ مَشاعِرُهُ الضريحا؟
أحَـظُّ المومِيـاءِ أجـلُّ قـدراً و (سعدٌ) أنقذَ الوطنَ الجريحا؟!
مـررتُ علـى الضريح وكلُّ نفسي شـجونٌ في شـجونٍ في شـجونِ
علـى نُـوَبِ الخصـوماتِ اللـواتي أبَحْـنَ كرامـةَ الـوطنِ الغـبينِ
مَررْتُ على الضريح كأنَّ سمعي تَلقَّـى منـه تبشـيراً وحُبَّـا
كـأنَّ غـداً تَقَـدَّمَ فيـه يـومي فبشَّـرَ مُهجـةً حَسْـرَى وقلْبَـا!

في الميدان

(الخطاب موجّه إلى صاحب الدولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا)

(يـا مصطفى)! عِشْ رمزَ شعبكَ آبياً رَغْـمَ الأذى وتألُّـبِ الأحـزابِ
في الغَـرْبِ مـا كـان التحـزُّبُ ضَـلَّةً وبمصـر نلمحُـه بكـلِّ خـرابِ
فالوفـدُ؟ لـيس سـوى تَجسُّـمِ فِكـرةٍ عُلْيَـا مـن الأجـدادِ والأحقـابِ
رُوحٌ مِـن الشَّـمَمِ العظـيمِ مخلَّـداً بيـدِ القـرونِ لعـزَّةٍ وصَـوَابِ
يسـمو علـى الأحـزاب في إيمانـهِ بـالحقِّ يرفعُـه علـى الأربـابِ
إنْ خانـه المتنطعـون فحسـبُهُ مثلـي يبجِّلـه ولـيس يُحـابي

وأنـا الـذي يـأبى الهـوانةَ قَلْبُـه		في الحقِّ، ليس خُصومُه بصحابي

لم أنـس لـومَ عِـداكَ في جبروتهم		وأنـا رهـينُ البطشِ والإرهـابِ

لم أنـس سـيدَهم وإنْ هـو عاتبـاً		وضعَ الصداقةَ موضعَ الأنسابِ[1]

ضـحَّيتُ إنصافي وقـد بلـغ المَدى		ظُلمي وصرتُ مشارفاً لخرابي

ضـحَّيتهُ في لـذَّةٍ موصـولةٍ		لَّما أمضَّ الظالمين جوابي[2]

ضـحَّيتُه وكـأنَّ كـلَّ خسارتي		غنمٌ، فـإن سماءَهم لَتُرابـي

وبقيـتُ في همِّي العميـقِ بنعمـةٍ		وعَددْتُ في الحرمانِ كلَّ طِلاَبي!

المجاهد الكبير

(الخطاب موجّه إلى الوطني الكبير السيد مكرم عبيد)

ضَحكوا على لقب "المجاهد"، ليتهمْ		ضَحكُوا على أحلامِهمْ وغُرورهِمْ!

كم ضيَّعوا أملَ البلادِ بلؤمهمْ		كم ضيَّعوا خيراتها بشرورهمْ

باعوا نفائسـها وعـابوا عـاملاً		صـان النفائسَ هازئاً بكبيرهمْ

ووفـى لسعدٍ ثم آزرَ مصطفى		بوفائـهِ الباقي علـى تقديرهمْ

أولئـك الناعين عـزَّةَ شـعبنا		والمُنطقِ الشادين شعرَ حبورهم

غنَّتْـكَ ألْويـةُ السياسـةِ بينمـا		حُرِمَ الشُّداةُ مِن ابتداعِ أميرهم[3]

---

[1] أنظر قصيدة "الزعامة" الموجّه إلى دولة صدقي باشا.

[2] يشير إلى استياء صدقي باشا من دفاعه عن الوفديين مما أدى إلى إهماله شكواه بالرغم من الصداقة العالية العائلية.

[3] إشارة إلى قدرته البيانية العظيمة وروحه الشعرية الممتازة.

المكنسة

(قالها الشاعر في ثورة ياس، والخطاب فيها موجه إلى الوطني النزيه
محمود فهمي بك وكيل وزارة الأشغال)

لم تبقَ مِكنسةٌ فِي الأرض صالحةٌ ... لكي تُطهِّرَ (مِصْرَ) مِنْ أعاديها

لقد يئسْتُ، وليس اليأسُ مِنْ خُلقي ... إنَّ الفسادَ عميمٌ فِي نواحيها

هذي الوزاراتُ صارت كلُّها بُؤَراً ... مِنَ الخبائثِ تُرديها وتُرديها

تَغلغلتْ فِي صميمِ الحُكْمِ هادمةً ... مثلَ الجراثيمِ تَعديهِ فتَعديها

لقد خبرتُ الرَّزايا مِنْ محامدها ... وقد سئمتُ المآسي مِنْ ملاهيها

وصار إحسانُ ظنِّي كلُّه جزَعاً ... مما يجرِّحُ سمعي مِنْ مخازيها

*****

يا مُنصِفَ الحُكْمِ فِي طُهرٍ وفِي شَمَمٍ ... مِثالُك الشَّهْمُ مَنْ يُرْجَى لراجيها

لو كان مثلك متبوعاً لما عُدِمتْ ... وسائلُ الحُكْمِ ما يسمو ببانيها

لكنْ بُلينا بأقوامٍ زعانفةٍ ... صاروا الأعالي وقد كانوا أدانيها

فأفسدوا الحكم إفساداً وإن ذهبتْ ... وزارةٌ وأتتْ أخرى تُعاديها

لا خيرَ فِي الحكم دون الشعب يَسندُه ... ولا بخيرٍ يُرَجَّى مِنْ أعاديها

التضحيات

قومي جموعَ التضحيات وحدِّثي ... عددَ السنين لجاهلٍ وطُفيلي!

لولا اعتلالُ (النيل) مِن أحزابهِ ... لم تَعْلُ صيحةُ فاسقٍ معتلِّ

عِشنا إلى زمنٍ نرى ساداتهِ ... في غيرِ منزلةٍ وغيرِ محلِّ

رُدِّي الجبانَ إلى ظلامِ وجُودهِ ... وكفى مِن الصدقِ المنزَّهِ حَوْلي

عُمــرٌ أبحــتُ لمــوطني ولأمَّــتي ... بالبــذلِ لا ينفــكُّ شــاهدَ عَــدْلِ
لم أرْجُ يومــاً أن أكافــأَ بــل مَــدَى ... حظــي ذيــوعُ النــورِ فــيمن حَــوْلي

لو كنتُ...

لــو كنــتُ مِــنْ أهــلِ التحــزُّب صَــلَّةً ... لغنمــتُ أضــعافَ الــذي أعطــوني
لم أُعْــطَ إلاَّ بعــضَ حقِّــي بينمــا ... خُلِقَــتْ حقــوقٌ للخســيسِ الــدُّونِ
مُسِــخَ الــذَّكاءُ فبــات كــلُّ مُسَــوَّدٍ ... بذكائــهِ رمــزاً لكــلِّ جنــونِ
ويَعــيش مثلــي في كفــاحٍ دائــمٍ ... مــا بــين حُسَّــادٍ وبــين عيُــونِ[1]
ومِــنَ العجائــب أنَّ كــلاً مــادحي ... وأنــا الغــبينُ لهــم وأيُّ غــبينِ!
بِــئسَ السِّياســةُ لا تُناصــرُ عالِمــاً ... وتَهــشُّ للجــاني وللمــأفونِ!

*****

أنَّــى يحــينُ لِمصــرَ عهــدُ رجائهــا ... لا عهــدُ أحــزابٍ وعهــدُ ديــونِ؟
ومتــى نكــون بوَحــدةٍ وبعــزَّةٍ ... فنُعِــزَّ تــاجَ (مِنــاً) ورمــزَ (أمــونِ)؟
ومتــى يكــون العلــمُ حُــرَّاً ســيِّداً ... لا ضُــوعَ أضــغانٍ وعبــدَ بُطــونِ؟
ومتــى يُصــانُ لمثــلِ جهْــدي حقُّــه ... مِــن كــلِّ مُغتصِــبٍ وكــلِّ خــؤونِ؟
لــو كنتُ مَــنْ يَرْضــى الهوانَ لنفســهِ ... لنعمــتُ لكــنْ في ظِــلال الهُــونِ
حســبي إذنْ أنــيَ أُقاســمُ أُمَّــتي ... هــذي الشــرورَ بحظِّــيَ المغبــونِ!

---

[1] عيون: جواسيس.

بأس الشعب

هو الشَّعْبُ ربُّ البَأس في كلِّ حالةٍ ... ولـو حكـمَ الشـعبَ الوديـعَ عظيـمُ
مُحـــالٌ أنْ يســـودَ خصـــيمُهُ ... وإنْ هـــو فَـــذٌّ حـــازمٌ وحكـــيمُ
سيُنصـــفُه[1] مَـــرُّ الزَّمـــان فإنـــهُ[2] ... خـــبيرٌ بـــأهواءِ الحيـــاةِ علـــيمُ
ولـيس العَتِـيُّ الـرَّأيِ للنصـرِ كـافلاً ... إذا الحـقُّ للـرَّأيِ العتِـيِّ خصـيمُ
لقد راحَ (محمودٌ) و(صدقي[3]) كمن مَضَوْا ... مـع الظلـمِ، فـالظلمُ السـخيفُ قـديمُ
ولم يبـقَ إلاَّ الشـعبُ رغـم وداعـةٍ ... وعُـدْمٍ، ومـا الشـعبُ الأبـيُّ عـديمُ
فـوا أسـفي كـم مـن ذكـاءٍ مضـيَّعٍ ... وكـم مـن ذكـيٍّ في الضـلالِ يهـيمُ!

غدر الرحيل

(قيلت في الموقف الوطني المشرِّف الذي وقفه القاضي عبد السلام ذهني بك)

عفـاءً علـى دارٍ علـى أهلـها تَجـني ... إذا بات أهلُ الدارِ يرضون بـالغبنِ
بـني وطـني! هـذي حميَّـةُ واحـدٍ ... فـأين إبـاءُ الشـعب يهـدمُ أو يـبني؟
أتنسون ماضي سُخْطِكم أو إبائكم ... وكلكمـو (سـعْدٌ) وكلكمـو (ذُهـني)
لقـد ثـار في وجـهِ "العدالـة" عنـدما ... رآهـا مثـالَ الظُّلـم في كلِّ مـا تجـني
وقـد حرَّمـوا للفـردِ رِقّـاً وحلَّلـوا ... أذى الشـعب في رقٍّ مـن الـزُّور والمَـيْنِ
بـني وطني! ثُوروا علـى الضَّيْم مثلما ... أبيتُمْ إبـاءً سـالفَ الضـيم والهَوْنِ[4]

---

[1] أي الشعب.
[2] أي الزمان.
[3] محمد محمود باشا وإسماعيل صدقي باشا.
[4] الهَون (بفتح الهاء وسكون الواو): الاستسلام.

شُغِلْتُمْ بأنواع الخلاف التي جنتْ وأُنسيتمو غدْرَ الدخيل بعهديْنِ[1]
فلولاه لم نَعرفْ خلافاً ولا أذىً ولولاه لم نُرْهَقْ من الحكم والدَّيْنِ
ولو قد شُغِلْتُمْ بالذي هو كائدٌ عن الكيرِ مِنْ حِزبٍ لآخرَ مُفْتَنِّ
لساد الإخاءُ السَّمْحُ بين صفوفكم ونِلتُم مكان الشمْس لا منزلَ الغبن

في مكتبتي

(نكب صاحب الديوان بضياع الكثير من المؤلفات المستعارة من مكتبته)

أصدقائي[2] لكم كما ليَ عُذْرٌ في بُكاءِ الفقيدِ من أصدقائي
هذه هذه مَجالِسُها صا رتْ خلاءً مِنْ بَعْدِ ذاكَ الرُّواءِ
كتُبي أنتِ بعضُ نفسي فما كا نَ اختياري إيَّاكِ إلا رجائي
ما كتابٌ ينوبُ عن غيره إلاَّ زميلٌ ينوبُ عن زُملاءِ
كلُّ سِفْرٍ شخصيَّةٌ لا يُحاكيـ ـها تماماً تَشابُهُ الأسماءِ
كلُّ سِفْرٍ مِنْ بَعْدِ صُحبةِ نفسي هو منها جزءٌ مِنَ الأجزاءِ
ما سَمِيٌّ له وما تَوأمٌ يُر ضِي شُعُوري وما يُلَبِّي ندائي
إنَّ فَقدي يُحِسُّه الشاعرُ الحرُّ وإنْ غابَ عن هوى الجبناءِ

*****

أصدقائي وُجُوهُكم لائماتي في سُكوتِ القُضاةِ قبلَ القضاءِ
كلَّما زُرتكم تألمتُ حتى خِلتُكم كالغِلاظِ مِن أعدائي
بَعْضَ عُذْرٍ وبَعْضَ صَفْحٍ إذا كا ن أجلُّ الذنوبِ عندي حيائي
قد تَعلَّمْتُ مِن دُروسِ حياتي كيف ماتَ الحياءُ في الأحياءِ!

---

[1] عهد سعد باشا وعهد النحاس باشا.
[2] الخطاب موجه إلى كتبه.

الزَّارعون

(من قصيدة "القرية المهجورة" للشاعر الأرلندي أوليفر جولد سمث)

وَيْـــلٌ لأرضٍ هَـــوَتْ فريســـةً للسَّـــقَامْ

حيـــث الغِنَـــى قـــد نَمَـــا حيـــث الرجـــالُ الحُطَـــامْ

يـــا رُبَّمَـــا يُزْدَهَـــى أو يُمْحَـــقُ الأعيـــانْ

ننفخـــةٌ خَلْقُهـــمْ[1] كخلقِهـــم كـــلَّ آنْ

لكنَّمـــا الزَّارعـــونْ فَخْـــرُ الـــبلادِ الجِـــلاَدْ

إنْ هُـــدِّمُوا مَـــرَّةً فمـــا لهـــم مِـــنْ مَعَـــادْ!

ديانا وأكتيون

(كانت ديانا معدودةً في الأساطير الرومانية إلهةَ الحرب والقنص والقمر، كما كانت تُعدُّ مهيمنةً على الولادة. وكان كاهنها عبداً آبقاً لا ينال منصبه هذا إلاَّ بمحاربة سلفه في ذلك المنصب محاربةً فرديةً وجهاً لوجهٍ. وكانت ديانا تُمجَّد في عيدها في مساء الثالث عشر من أغسطس إذ يكون بدرُ الصيف متجلّياً وإن استعمل عُبَّادُها المشاعلَ في حفلاتهم، وكان الحواملُ يَستعنَّ ببركتها ويبتهلن لها. وكان يُؤْذَنُ للعبيد في عيدها — الثالث عشر من أغسطس — بالراحة إشارة إلى منزلتها في الحرب ورعايةً لكاهنِها.

أمَّا عن قصة ديانا وأكتيون فتتلخَّص في أنّ من عادة الرَّبة ديانا بعد انتهاء رحلتها الليلية في مركبتها القمرية أن تأخذ قوسَها وسهامَها وتذهب في صُحبة حوريَّاتها لصيد الحيوانات الآبدة في الغابة، وحدثَ في عصر يومٍ من أيام الصيف بعد أن تعبت ديانا وصاحباتها من مطاردة الصيد أن لجأن إلى إحدى البِرَك

---

[1] يريد نفخة من صاحب الديوان.

الجبلية الهادئة التي كثيراً ما اتَّجهن إليها للاستنقاع. وكانت المياهُ الشَّبِمةُ تتمَوَّجُ داعيةً لهنَّ، فلم يستطعن إلا تلبيتها بنزع ثياب الصيد القصيرة وغسل أعضائهنَّ الحارة. ولكن لسوء حظهنَّ لم يكنَّ وحدهنَّ حينئذ في تلك الجهة، إذ إن المصادفة قضت بوجود أكتيون الصياد الذي كان يطارد الوعلَ منذ الفجر، وقد أحسَّ بالظمأ والتعب فاتَّجه هو أيضاً إلى تلك البركة الجبلية المشهورة. وبينما كان يقترب إلى تلك البقعة المألوفة خُيِّلَ إلى أكتيون أنَّه سمعَ جلجلةَ ضحكاتٍ فضِّيةٍ، فأخذَ يتسلَّل نحوها بحذرٍ شديدٍ مُفْسِحاً بلطفٍ ما بين الشُّجيرات التي تعترضُه، فإذا به يرى مدهوشاً ديانا وصواحبَها. وفي تلك اللحظة كانت ديانا قد التفتتْ لتتحقَّقَ من سبب الحفيف الذي سمعتْه أذنُها المدرَّبةُ المرهَفةُ، فإذا بها أمام نظرة الإعجاب والدهشة من ذلك الصيَّاد الشاب! وحينئذٍ أخرسَها الحنقُ لرؤية بَشَرٍ لها على هذه الصورة، فألقت بحفنةٍ من الماء في وجه أكتيون مُهيبةً به في تَحدِّيها أن يذهبَ ويُعلنَ – إذا استطاع – أنه قد رأى ديانا عريانةً!... وما كادت قطراتُ الماء المتلألئة تلمسُ وجهَه حتى قفلَ لينفِّذ أمرَها، فإذا به يجد أنه قد استحال إلى أيِّلٍ ولم يبق من شخصه السابق سوى شعوره التَّعس بهذا التحَوُّل!... وبينما هو في وقفةِ اليأسِ والرعبِ سمع أصوات كلابه، فازداد رعباً على رعبٍ وحاول الخلاصَ منها فإذا به يقعِ فريستها وإذا بها تقضي عليه بعد أن تحوَّل إلى صورة أيِّلٍ ولم يَعُدْ في صورة صاحبها[1]).

يا شهيدَ (الجمالِ) يا سيِّدَ الصَّيْـ	ـدِ ستحيا الفريدَ في الشُّهَدَاءِ!
ما أَبى أن تراه، لكنَّه خا	فَ قُصُورَ الجمالِ في عَينِ رائي
حُرِّمَتْ رؤيةُ (الجمالِ) على غيْـ	ـرِ ذويهِ مِنْ أهلِ دُنيا الفنونْ
فذهبتَ الضحيةَ التي إنْ تَعُدْ بَعْـ	ـدُ ففي فتنةِ الورى والجنونْ!

*****

[1] أنظر كتاب (أساطير اليونان وروما) تأليف جوربر، وأمثاله من المؤلفات.

تُنفــق الليــلَ عنــد زورقهــا الفِضّــيّ[1] في رحلــةٍ (ديانــا) الجميلــهْ

فــإذا مــا أتــى الصَّـباحُ تولَّـتْ[2] صَــيْدَها بــين باســقاتٍ ظليلــهْ

بــين أترابِهــا الغــواني اللــواتي تَحرسُ الحسنَ مِن شرورِ الحياةِ

ســـائراتٍ يجــذبها ســـاحراتٍ في تَجَــنٍ علــى المُنَــى وافتئــاتِ

لم يَنلــهنَّ في الطبيعـــةِ حَــيٌّ بــل وجــانبنَ كــلَّ طيــفٍ وخــاطرْ

غــيرَ طيْــفٍ ينبــثّ في النــور والظّــلّ عجيــبٍ مــن رُوحِ فَــنٍّ وشــاعرْ

وتـــولَّيْنَ مـــرَّةً بعـــد صَـــيْدٍ نحــو إحــدى الجــداول الجبليَّــهْ

فنــزعْنَ الثِّيــابَ في غــيرِ خــوف يَتــــبرَّدْنَ بالميــــاهِ الحفيَّــــهْ

وتَمـــتَّعْنَ في هـــدوءٍ وقـــد نـــا ل عنـــاءُ الطـــرادِ مـــنهنَّ قـــبلاَ

فـــإذا البركـــةُ الـــتي جَمعـــتْهُنَّ فُتُـــونٌ علـــى فُتُـــونٍ تَجلَّـــى

غــير أنَّ الأقــدارَ في هــذه اللحــ ــظةِ خانــتْ هــدُوءَهنَّ الحبيــبْ

فلقــد ســار (أكتيــونُ) إلــيهنَّ ومـــا كـــان عنـــدها بالرقيـــبْ

ســارَ نحــو الميــاهِ والظمــأُ الطّــا غِــي مُلِــحٌّ يَســوقُهُ كالشَّــريدْ

حاســباً نفسَــه الوحيــدَ ومــا كــا ن، ويــا ليتَــه الشــريدُ الوحيــدْ

عنــدها رانَ للصَّــدَى ضــحكاتٌ كأغــاني الأَضْــوَاءِ شَــتَّى البيــانِ

فمن ــى شطرَها على حذَرِ الصا ئــد في فــرطِ خِفَّــةٍ واتِّــزانِ

مُفْسِـحاً بـين ذلـك الشـجرِ اليـا فــعِ نهجــاً فثــارَ منــه الحفيــفْ

فــإذا بــالحفيفِ مُسْــتَرْعِياً سَمْــ ــعَ (ديانــا) كوقــعِ ريــحٍ عَصُــوفْ

مَرَنَــتْ أُذْنهــا، وقــد جسَّــمَ الصَّــوْ تَ نفــورٌ مــن الغريــبِ الــدَّخيلْ

أفســدَ الراحــةَ الــتي نشَــدَتْها ورأى جســمَها العزيــزَ البليــلْ

---

[1] القمر.

[2] تولت: لزمت.

فأبـــتْ أن ينـــالَ ذلـــك إنســـا نٌ إذا لم يكـــن بـــروحِ الألوهـــهْ

أيـن هــذا مِـن ذلـك الصـائدِ الفِجِّ ولـــو كـــان ذا أمـــانٍ نزيهـــهْ؟

أدهشــتْه في هــذهِ اللحظــةِ الفِتْـــ ـــنةُ بالمشـــهدِ العجيـــبِ العجيـــبِ

بينمـا أُغضِـبَتْ (ديانـا) وقـد ريـ ـعَتْ مـع الصـاحباتِ للمسـتريبِ

فرَمَـتْ مِـلْءَ راحتيْهـا مِـنَ المـا ءِ عليـــه بلعنـــةٍ وتَحـــدِّي:

"سِرْ-إنْ اسْطَعْتَ-واخبرْ الناسَ عني"! فـإذا (أكتيـونُ) ممسـوخُ صَـيْدِ!

حـــالَ كالأيِّـــلِ الـــذي لفظَتْـــهُ رحمـــةُ الكـونِ للأَسـى والعـذابْ

وأتتْـــهُ كِلابُـــه وهـــو في الـــرَّوْ عِ فأمســـى غنيمـــةً للكـــلابْ!

*****

يا شـيهدَ (الجمالِ) يا سيدَ الصَّيْـ ـدِ سـتحيا الفريـدَ في الشـهداءِ!

مـــا أبَـــى أن تـــراه لَكنَّـــه خـــا فَ قُصـورَ الجمـالِ في عـينِ رائـي

حُرِّمَـتْ رؤيـةُ (الجمـالِ) علـى غيـ ـرِ ذويـهِ مـن أهـلِ دُنيـا الفنُـونْ

فذهبتَ الضـحيةَ الـتي إنْ تَعُدْ بَعْـ ـدُ ففـي فتنـةِ الـورى والجنـونْ!

شعر النجوم

شِـعرُ الكواكـبِ والنجـومْ شِـــعرٌ تَنُـــوءُ بـــه الفُهـــومْ

جعلـتْ صحـائفَها القـرو نَ مِـنَ السَّـديمِ إلى السَّـديمْ

نُشِـرَتْ علـى هـذا الفضـا ءِ براحـــةِ الأزلِ القـــديمْ

فـإذا النظـيمُ مـنَ الأشـعَّةِ يَثْقُـــبُ الليـــلَ البهـــيمْ

ويُســـطِّرُ الـــوحْيَ الفريـــ ـدَ مـن الكواكـبِ والنجـومْ

ويُفسِّرُ الموشورُ معـ ... ـناها ومَغزاها السَّليمْ

إلاّ خواطرَ لم تزلْ ... وقفاً على الشِّعر الحميمْ

مَلأتْ نَوازعُها الطيو ... فَ، وكلُّها شَجَنٌ أليمْ

الراثياتُ مُنَى الحيا ... ةِ الباكياتُ خُطَى النعيمْ

كم حاولتْ[1] فتحَ النجو ... مِ فكان مَصرعُها الوخيمْ

كم في الفضاءِ مَناحةٌ ... والموتُ أخَّاذٌ مُقيمْ

قَتْلَى الأشعَّةِ كالكوا ... كبِ والنجومِ بلا رحيمْ

والكونُ تَملؤُهُ العوا ... طفُ وهو في قلقِ اليتيمْ

فأحسُّها نبضَ الأشعَّـ ... ـةِ في تَألُّقها العليمْ

وأجسُّها وأشمُّها ... بمشاعرِ الدُّنيا الرؤومْ

فأرى بها جُرْحَ الزَّما ... نِ وطعنةَ الدَّهرِ الأثيمْ

وأرى الضحايا بينها ... لجلالةِ الربِّ الحكيمْ

الجاعلِ الموتَ الحياةَ ... فما الرَّميمُ بها الرَّميمْ

والكونُ يَتَّسِعُ اتِّسا ... عَ البرِّ والخُلُقِ الحليمْ[2]

وسبيلهُ الرُّشدُ القويـ ... ـمُ وحظُّه المجدُ القويمْ

القرد والسمكة

أَمُشَبِّهاً بالقردِ مَنْ هو رَبُّهُ ... فضلاً، أبَيْتُ لمثلكَ التشبيها

فالقردُ جَلَّ مِثالُهُ ووفاؤُهُ ... عن أن يكَونَ له الخؤونُ شبيها!

---

[1] أي الحياة.

[2] إشارة إلى ظاهرة التمدُّد الكوني.

أعلمتَ أنكَ مثلُ أسماكٍ[1] لها ... قاعُ المحيطِ مَباءَةٌ وحياةُ

فإذا سمَتْ ماتتْ كأنَّ هوانَها ... عَيْشٌ، وغاياتِ السُّمُوِّ مماتُ؟!

تكريم الفاجر

ونادَى مُنادٍ "كرِّموا العلم، كرِّموا! ... فذلك للعلمِ الكريمِ زعيمُ"

وما كانَ إلاَّ فاجراً أيَّ فاجرٍ ... وحسبُكَ منه في الفجورِ نظيمُ[2]

لقاءٌ جاءَ فيه واصفاً لؤمَ نفسهِ ... ووصفُ لئيمٍ ما يقولُ لئيمُ

عَجزنا عن التصويرِ تلقاءَ مُعجزٍ ... لمرآتهِ فيما يرى ويرومُ

عَجزنا ورحَّبنا بطعنٍ وخِسَّةٍ ... فإنَّا بعهدٍ يزدريهِ كريمُ

وأضحكنا مَنْ خُودِعوا في مديحهِ ... وكم يَخدعُ الحُرَّ البريءَ أثيمُ

ولم أرَ جمعاً مثلَ هذا إذا الْتقَى ... تَشابه فيه عاقلٌ وبَهيمُ

كذا جَرتْ الدُّنيا فُنونَ مهازلٍ ... وأغلبُها للهازلينَ سقيمُ

وكلُّ امرئٍ في وُسْعِهِ حَبْسُ نفسهِ ... غنيّاً ولاقَى الناسَ فهو غريمُ

طرطوف

(مهداة إلى نقيب الدجالين)

(طرطوفُ) يا دجَّالَ (مصر) العبقريَّ بلا جدالْ

مَنْ لي بمُليرَ العظيمَ مُصَوِّراً فيكَ الضَّلالْ؟

---

[1] تعيش بعض الأسماك الدنيئة في قاع المحيط ويقتلها الانتقال إلى أعلى، وكذلك حال بعض الآدميين إذا عاونهم المحسنون المصلحون على التسامي في المجتمع.

[2] وصف الفاجر نفسه بمنظومته الشاملة "الفاجر في المرآة".

إنْ تَـرحمِ الـدينَ الـبريءَ فعنـدكَ الأدبُ السّـتارْ
يـا فاقـدَ الأدبِ الصـحيحِ وتأخـذُ الأدبِ الشّـعارْ
خادَعتَنـا زمنـاً كمـا خادعـتَ أعـلامَ الرِّجـالْ
فكأنـك الشـيطانُ في خَتْـلٍ إلى أقصـى المحـالْ
مَـنْ ذا نلـومُ وكلُّنـا ذاكَ المغفَّـلُ والسَّـفيهْ
مِـنْ بعـد مـا أضْـحَى مِثالُـكَ صـورةَ البطـلِ النَّزيـهْ؟!
لـولا محبَّـةُ أرضِ (مصـر) ونيلـها الشَّـبِمِ الكـريمْ
لعـدَدْتُ هِجرتـيَ البعيـدةَ مِـنْ نهايـاتِ النعـيمْ
أفسـدتَ يـا (طرطـوفُ) دُنيـا النـاهلين مِـن الأدبْ
حتـى كـأنَّ السُّـمَّ في هـذا المَعِـينِ لمـن شَـرِبْ!

.

في الطريق الحزين

(نظمها صاحب الديوان وهو يجتاز قرية المطرية القديمة)

يا طريقي الحزينَ! عَرِّج على الغَرْ ... سِ وسِرْ بينه بروحي وحِسِّي
في صميم الحقولِ سِرْ بي وخُذْني ... مِنْ وجودٍ وهبتُه كلَّ يأسي
في جوارِ المياهِ تجري فترويْ ... قبلَ ريِّ الغراسِ قلبي ونفسي
في جوارِ النباتِ يَخفقُ مِنْ خَفْـ ... ـقي ويُفْضِي بهمسهِ مثلَ هَمسي
في جوارِ الأنيسِ مِنْ طيرِها الأبـ ... ـيض[1] جَسَّ الثرى حريصاً كجَسِّي
في جوارِ الأعشابِ يلمُسها المـا ... ءُ برفقٍ والنُّورُ في شبهِ لمسِ
في جوارِ النُّوَّارِ قَبَّلَهُ النَّحْـ ... ـلُ بشوقِ المدلَّهِ المُتَحَسِّي

---

[1] يشير إلى أبي قردان.

فِي جوارِ الأحلامِ في خُضْرَةِ الأَرْ ضِ وقد أينعت[1] بغرسٍ وغَرْسِ!

*****

يا طريقي الحزينَ! ما عالَمُ النا سِ لمثلي، فليس مثلي بأنْسي!
أنا بعضٌ من الوجودِ الذي يَأْ بَى وجُوداً على فسادٍ ورِجْسِ
مِنْ أغاني الضياءِ، مِنْ طُهرِهِ السا حرِ، مِنْ خَمرهِ كِياني وأُنسي
مِنْ نجومِ السَّماءِ والأرضِ أحلا مي ومِنْ رُوحها المشعشعِ كأسي
مِنْ معانٍ خفيَّةٍ نَشوتي الكبـ ـرى ومِن مُقبلي البعيدِ وأمْسي
أسمعُ الصمتَ كالأغاني التي تُنْـ ـهَلُ في الجوِّ دونَ سمعٍ وحِس
قد حواها[2] كما حَوَى مِنْ قُرُونٍ خَلجاتِ النفوس من كلِّ جِنْسِ
أَقتنيها بنَشْقَةٍ ثم لا أرْ ضَى سوى كلِّ مستعزٍّ وقُدسي
مِنْ جمالِ الألوهةِ المتناهي في جمالِ الأثيرِ يُضْحِي ويُمْسِي

*****

يا طريقي الحزينَ! إني غريب والغريبُ الغريبُ رهنٌ لتعْسِ
ربَّما قدَّرَ الثرى ثمَّ إحسا سي إذا ما أباهُ أبناءُ جِنْسي
ربّما الذكرياتُ رفَّتْ عليه كرفيفِ النَّدَى الشفيقِ المؤسِّي
نَجِّني مِنْ تَعثُّري بين أشباحٍ ومِنْ نُقلتي لرمْسٍ ورَمْسِ
نَجِّني! إنَّ في الطبيعةِ نجوا يَ ففيها لُبِّي وشِعري وطِرْسي
في حِماها الفنَّانُ يُسمِعُهُ الخا لقُ ما كان في خَفاءٍ ولُبْسِ
في حِماها يعيشُ للشاعرِ الحُبُّ فُتُوناً مِن كلِّ نجمٍ وشمسِ
في حِماها أنامُ والعشبُ وجدا ني وقلبي زميلُ (عبَّادِ شمسِ)
وأناجي حتى الجنادبَ في زَهْـ ـوٍ، وفي نشوةٍ أُوسِّدُ رأسي

---

[1] أي الأحلام.
[2] أي الجو.

والرّغامَ الذي يُحجَب عن غيـ ـري قروناً عزيزةً رهْنَ حَبْسِ
رَقدتي عندها كسكرةِ فرحا ن بدنيا تختال في صفوِ عُرْسِ
بينما العالمُ المؤصَّلُ في الغَدْ رِ قريرٌ بكلّ جانٍ وجِبْسِ!

الزعماء

عَفواً لقسوتيَ التي لا أبتغي منها سوى الغاياتِ مِن إحسانكمْ
زمَمُ الرجالِ لها المكانةُ في العُلَى ويَزيدُها قَدْراً مَدَى إيمانكمْ
وإذا الأمانة لم تَسُدْ فجميعُ ما حكتِ المواهبُ سخرياتُ زمانكمْ
أغفلتُ كلَّ مُسَوَّدٍ لم يَقترِنْ حظٌّ له بالحظ في أوطانكمْ
وجعلتُ إكباري لمن تقديسُهُ للشعبِ مَيَّزَ شانَه عن شانكمْ

مصر المنتجة

(أهديت إلى دولة النحاس باشا لمناسبة عنايته بالنهضة الاقتصادية)

شِعري! لكَ الإنصافُ غيرَ مُرائي فاهْدِ الثَّناءَ وكُنْ أحبَّ ثناءِ
أَهْدِ الثناءَ إلى ممثّلِ أمَّةٍ بالخُلقِ قبلَ مكانةٍ ونداءِ
بلغَتْ نزاهتُهُ النزاهةَ كلَّها حتى يُعابَ بخُلْقِهِ الوضَّاءِ
وبحلمِهِ حين السِّياسةُ ما لَها إلاَّ الدَّهاءُ، ولم يكنْ لدهاءِ
(المصطفى) المعتزُّ مِنْ إخلاصِهِ بين الورى في الصَّحْبِ والأعداءِ
عَبَثاً نُحاولُ أنْ يكونَ لمثلهِ خُلُقُ الدُّهاةِ ومَنْهَجُ اللؤماءِ
وكفاهُ رمزُ طهارةٍ قدسيَّةٍ هي قدوةٌ للشعبِ والزُّعماءِ

كـــم مِـــنْ زعـــيمٍ غَيْـــرَهُ متعثـــرٍ بذكائـــهِ المتذبـــذبِ الأَهـــواءِ

وكفـــاهُ فخـــراً صِـــدْقُهُ ووفـــاؤه في بيئـــةٍ لم تَكـــترثْ بوفـــاءِ

إنْ لِـيمَ كـان اللّـوْمُ رمـزَ محبـةٍ وتَطلُّـعٍ في المحنـةِ السَّـوْداءِ

*****

أحسـنتَ يـا مَـنْ لا يُـرَدُّ نِـداؤُهُ في ذلـك التَّشـجيعِ والإنشـاءِ

هـلْ (مصـرُ) إلاَّ أهلُهـا ونتاجُهـا وتراثُهـا ومَكـارمُ الأَنبـاءِ

فـابنِ العظـائمَ بالفِعـالِ موفَّقـاً تَرفـعْ لآتِيهـا أجـلَّ بنـاءِ

رثاء شيخ العروبة

أحمد زكي باشا (نشرت يوم وفاته)

أيهـا المـوتُ لقـد هُنَّـا خِـداعًا قـد خطفْـتَ النبلَ والفنَّ الصّناعَا

مـا مَلكنـا منـه حتـى موقفـاً لـوداعٍ.... كيفَ حَرَّمْتَ الوداعـا؟!

*****

بـانيَ الجـامعِ[1] لا يَرْضَـى لـه ما ارتَضـى النـاسُ جمالاً وابتداعَا

أنتمـا مَجـدان حيـث اجتمعـا غمـرًا النـاسَ سـلاماً وشُـعاعا

رقـدةُ الخلـدِ الـتي ترقـدُها لم ينلـها النـاسُ مِـن قَبْلُ سِـراعا[2]

نِلْتَهـا في خطـوةٍ لكنهـا خطـوةُ الجبَّـار فتحـاً وانـدفاعا

خَلْفهـا الأجيـالُ مِـنْ علـمٍ ومِـنْ أدبٍ حَـيٍّ ومجـدٍ مـا تَـداعَى

ذكريـاتٌ كنـتَ حـامي عِزِّهـا فرأيناهـا وقـد كانـت سَـماعا

---

[1] إشارة إلى الجامع الفني الذي بناه الفقيد ودفن فيه وكان يتفنن في زخرفته وإنشائه.

[2] إشارة إلى وفاته السريعة على أثر مرضه الذي لم يمهله غير يوم واحد.

مَـنْ لهـا اليـومَ سـوى ذكـراك في ... حُبِّنـا الجـمِّ فَيُرعَـى وتُراعَـى[1]؟
كنـتَ تُسْـتَفْتَى فـتُفتي دائمـاً ... بالصـريح الحـقِّ علمـاً واتِّباعـا
تُنحيـتُ الـدنيا لمـا تُنْضِـي بـه ... مِـن حـديثٍ يَغمـرُ الـدنيا اتِّسـاعا
رِيعـتْ الآنَ ولكـنْ روعـةً ... سـوف نحياهـا مـع الدُّنيا التياعـا
إنمـا العُـرْبُ لسـانٌ أيِّـدٌ ... وتـراثٌ كنـتَ واقيـهِ انصـداعا
شـيخُهم في كـلِّ أمـرٍ حـازبٍ ... تُنقـذُ البِـرَّ إذا مـا البِـرُّ ضـاعا
مـا أقـلَّ النـاسَ في رُوَّادهِـمْ ... حـين يفنـون مـع الجهـل صِـراعا

*****

يـا سَـميِّي وصـديقي! ليـت لـي ... في وفـائي أن أفي العلـمَ المضـاعا
ليـت لـي قـدرَ وفـائي قُـدرةً ... كشـعاع الشـمس جوَّابـاً مُشـاعا
علَّـني أُرضِـي المعـالي رائيـاً ... قبـل أن أُرضـيَ حُزنـي واليراعـا
إنمـا آثـارُك الحسـنى الـتي ... تُفحـمُ الـدهرَ كمـا تمحـو الدَّماعا

الشعر والوطن

تَنـادَى النـاظمون بمـا دعَـوْهُ ... عزيـزَ الشِّـعرِ للـوطنِ الغـبينِ
ولم يَـكُ غـيرَ تلفيـقٍ سـقيمٍ ... ووأدَ الشـعرِ للغـرضِ المهـينِ
إذا طغَـتْ السياسـةُ واسـتحلَّتْ ... نفـاقَ الشـعرِ للأحـزابِ مَبْـدَا
فـلا كنَّـا ولا كـان افتتـانٌ ... بـهِ، إذْ لـن يكـون الـذلُّ مَجْـدَا
وهـل شِـعرٌ بـلا قلـبٍ أبـيٍّ ... زعـيمٍ يَنصـحُ الحُـرَّ الزَّعيمـا
يقـولُ الحـقَّ موفـوراً عزيـزاً ... ولا يَخْشَـى صـديقاً أو خصـيما؟

---

[1] وتراعى: أي الذكريات.

لكم عنَّفتُ مَنْ أحببتُ، حُبّاً | بمصر، وإنْ أُسِئْتُ لمحضِ حُبِّي
فعشتُ أنا الوفيَّ لخيرِ شعبي | وإنْ ضَلَّ الورى، ولعهدِ قلبي

عام الباذنجان!

(من مشاهد الريف الأليمة)

يا مَنْ تُجَفِّفُ باذنجانَها جزَعاً | للعيْشِ... ما حَظُّ هذا العيْش في الذُلِّ؟!
أصبَحْتِ يا بنتَ مصر جِدَّ مُجدبةٍ | وجدَّ محْرومةٍ ما طالَ مِن ظلِّ
والمالُ يُنفَقُ في إيذاءِ مضطهَدٍ | وليس يُنفَقُ في تطبيبِ معتلِّ
هَوَى رجالاتُنا في ما يدنِّسُهم | وحمْلُوكِ الذي قاسَيْتِ مِنْ حِمْلِ
وصِرْتِ سائمةً تُرْعَى، ورُبَّتَما | عانيْتِ في البؤسِ ما فاتتْهُ من ذُلِّ
هذا كساؤُكِ أسمالٌ ممزَّقةٌ | كأنما رُشِقَتْ والحظُّ بالنَّبْلِ
وذا نَهارُكِ مثلُ الليلِ في عَمَهٍ | وما الحياةُ وهذا النّورُ كاللَّيْلِ؟
وتلكَ أسرتُكِ المهدومُ هيكلُها | كأنما غُذّيَتْ بالصَّابِ والخَلِّ!
فأين أين بنو مِصرَ الأُلى مَدَحوا | جهودَكِ اليومَ في إرهاقِكِ الكلي؟
ناموا وخَلُّوا غِنَى الفلاَّحِ مَسغبةً | فضيَّعوه وضاعوا في مَدَى الذُّلِّ!

القُوّاد والجند

أمَّتي! كم نُشبعُ القوَّادَ لومَا | بينما نحن على الذُّلِّ نيامْ!
كلُّنا المذنبُ! كم نرسلُ ذمَّا | وكأنَّا أبرياءٌ دونَ ذامْ!
أصلِحُوا القُوَّادَ نقداً أصلحوا | إنما لا تُسرفوا في لَوْمِهمْ

ربمـــا يَفلَـــحُ مَـــنْ لا يَفلَـــحُ ... لـــو تجنَّبـــتمْ دواعـــي هَـــدْمِهِمْ

آو! كـــم يَعشـــقُ قلـــبي وَحْـــدةً ... تُرجِـــع الـــوادي إلى عـــزَّةِ أمـــسِ

لـــو عقلنـــا مـــا عرفنـــا شِـــدَّةً ... هـــي كالمَيتـــةِ في أعمـــاقِ يـــأسِ

أمَّـــتي! إنَّـــا جميعـــاً إخـــوةٌ ... وغريـــبُ النـــاسِ فينـــا الجبنـــاءْ

كيـــفَ لا تَـــدفع (مِصـــراً) نخـــوةٌ ... تخطـــفُ المجـــدَ وتُحيـــي الشـــهداءْ؟!

لوعة الغروب

(في بور سعيد)

تَـــولَّى النهـــارُ بـــلا مُنقـــذٍ ... حبيـــبٍ ولا مَأمـــلٍ يُنْتَظَـــرْ

وجازفـــتْ الشـــمْسُ قبـــلَ الغـــرو ... بِ بـــآخرِ إشـــعاعِها المـــدَّخَرْ

فمـــا صـــدمَ المـــاءَ حتـــى هـــوَى ... ومـــا عـــانَقَ المـــوجَ حتـــى احتضـــرْ

وغابـــتْ كمـــا غـــابَ سِـــرُّ الضـــميرِ ... فمـــا كـــاد يُـــدرَكُ حتـــى اســـتترْ

ومـــا البحـــرُ إلاَّ خِضَـــمُّ الحيـــاةِ ... ومـــا الشـــمسُ إلاَّ رســـولُ القـــدَرْ

لقـــد جُمِعَـــا في الخفـــاءِ العميـــقِ ... وإن لُمِحَـــا في مَجـــالِ النظـــرْ

ونَـــمَّ الســـحابُ الحـــزينُ الشـــريدُ ... عـــن الوجـــدِ في ســـاعةٍ مِـــن ضَجَـــرْ

ولم يحمـــل الأُفْـــقُ مـــن صـــبغةٍ ... ســـوى لوعـــةٍ لفـــؤادٍ شَـــعَرْ

أُحِـــسُّ بـــه نفحـــةً مِـــن جمـــالٍ ... مَـــرُوعٍ علـــى لفحـــةٍ مِـــن شَـــرَرْ

قـــد اتَّفَقـــا في اجتـــذاب العيـــونِ ... كمـــا اختلفـــا في فُنـــون الصُّـــوَرْ

وكانـــا صـــلاةَ ضَـــحايا الغـــروبِ ... وبـــين ضَـــحاياهُ دهـــرٌ عَبَـــرْ

تجـــدِّدُها رَحمـــةٌ في السَّـــماءِ ... وإنْ خفيَـــتْ عـــن شُـــعورِ البشـــرْ

ويَفـــرح في موتهـــا العاشـــقون ... كـــأنَّ النهـــارَ حبيـــبٌ غَـــدَرْ

فماتـــت أشـــعتُه المحســناتُ وإنْ بُعِثَـــتْ في ضـــياء القمــــرْ
وأنشـــدتُ وحـــدي رثـــاءَ الجمـــال وقـــد غـــرق النـــاسُ بـــينَ السَّــمَرْ

ملاك أم شيطان؟!

(الرسم للفنان الفرنسي ماناسيه)

الجمـــالُ الجمـــالُ في هـــذه الدُّنـــيا هـــو الخـــالقُ الصـــريحُ المحجَّـــبْ
لســـبتِ إلاَّ رمـــوزَهُ لعيـــونٍ لمحـــتْ فيـــكِ نُـــورَهُ يَتوثَّـــبْ
في مثـالِ الهـدوءِ جِلسـتُكِ الحســناءُ لكنَّهـا شـعورٌ تَلـهَّبْ
جُمِعَـتْ حولـكِ الطيـوفُ فكانـت كاجتماع الطيوفِ من حول كوكبْ
كـلُّ لـونٍ لـه مَعـانٍ دِقـاقٌ كمعـانٍ إلى السـماوات تُنْسَـبْ
أين أين الشيطان مِنْ ذلك الحُسْـنِ ومنه الحياة في الكون تُسكَبْ؟
مـا نزعـتِ السـتارَ إلاَّ وفـاءً حينمـا الفـنُّ للجمـال تَعصَّـبْ
منـكِ نسـتافُ نشـوةَ الفـنِّ الـوانـاً ومِـنْ نبعـكِ المقـدَّسِ نشـربْ
يـا لآيِ الإبـداعِ في ذلـك الجسـمِ فمنْـه الإيحـاءُ للشـعرِ يُطْلَـبْ
هـو شِـعرٌ ومِـنْ جَنـاه تَـداعَى صُـوَرٌ للخلـود لا تَتذبـذبْ
كـلُّ جـزءٍ لـه نشـيدٌ حبيـبٌ في هتـافٍ وفي خُفُـوتٍ مُحَبَّـبْ
جُمِعَـتْ كلُّهـا فكـنَّ عجيبـاً قـد حـواه تَصـوُّفٌ فيـكِ أعجـبْ!

*****

ذاك حُلْـمُ الجمـالِ نشـوانَ لا يَـدْري نفوسـاً بحلمـهِ تَتعـذَّبْ
عَصَّـبَ الـرأسَ في جلالـةِ سـحرٍ لا يُـدَانَى، وفي تَحَـدٍّ مـؤدَّبْ
وإذا الشَّـعْرُ في تَمَـوُّجِ مأسـورٍ وفي رقصـةِ الطـروب المعـذَّبْ

وإذا وجهُـــكِ الحَيِـــيُّ أفانيـــ ـــنُ من الظّفْرِ والرَّجاءِ المخيَّـبْ
وتـراءَى نهداكِ كالحارسيْ حُسْـ ـــنكِ في رَوْعــةٍ تشــوقُ وتُرهَــبْ
وهمــا فتنــةٌ مِـنَ النَّسَــقِ الــزَّا هِــي بإعجــازهِ العــتيِّ المُهــذَّبْ
لم يزدنـــي تـــأمُّلي فيــكِ إلاَّ صُــوَراً مــن عبــادةٍ لا تُخَيَّـــبْ
أنعشَـتْ خـاطري وقـد ذابَ شِـعراً في حنانٍ والدَّهرُ بالناسِ يَصخبْ!

الطاووس الأبيض

أنتَ في الحُسْنِ مُضْمَرُ اللَّونِ والحِلْـ ـــيةِ كـ النُّورِ يُضــمِرُ الألوانَــا
إنْ يَعِبْـكَ الـذين لم يَشــعروا بَعْــ ــدُ فيكفــي اجتــذابُكَ الفنَّانَــا

وحي البحيرة

(نظمها الشاعر في الصباح الباكر في عودته بالقطار من بور سعيد
وقد لمح عن بعد قوارب الصيد في بحيرة المنزلة)

هــذي الأهِلَّــةُ[1] مــا لهــا مــذعورةً فتلـوح في الأُفْـقِ البعيدِ حيارَى؟!
جُمِعَـتْ وعزَّزَهـا السَّـحابُ كأنَّمـا تخشـى إذا اشـتعلَ النَّهـارُ النـارَا
وإذا الميـــاهُ مَلاعـــبٌ جِنِّيَّـــةٌ شَـتَّى وأعشــابُ الميـاه عَـذارى
وإذا المشــاهدُ في تَحــوُّلِ ســكرةٍ منـــا، ونلمحهـــا كـــذاك سُـــكارى
كالعــالَمِ المجهــولِ نخطــفُ حلمَــهُ بعضَ الحظـوظِ وعندها يتـوارى!

*****

[1] إشارة إلى مرأى القوارب عن بعد.

يَثِبُ الخيالُ بنا إلى أكنافها ... ويثورُ في شَغَفٍ يظلّ مُثارَا
ويعودُ مدحوراً، فإنَّ رموزَها ... شأَتْ الخيالَ وفاتتْ الأسرارا
إن يدرها أحدٌ فطيرٌ شاعرٌ ... قد أفحمَ الشُّعراءَ والأطيارا
يقتاتُ بالألوانِ قبلَ غِذائهِ ... مُتَعاً وتشربُ روحهُ الأنوارا
يقضي الليالي عابداً متبتِّلاً ... يدعو النجومَ ويسألُ الأسحارا
ويَنوح للغرقى، فكم مِن نجمةٍ ... خُدِعَتْ وقد غرقتْ، ويطلبُ ثارا!
علقتْ به الثاراتُ حتى أنه ... ليعيشُ في عُمرٍ يراه مُعارا
وكذاكَ قلبي طارَ حولَ خيالها ... قلقاً يُراوِدُ حُسْنَها السَّحَّارا
يجري القطارُ ولا أحِسُّ به كما ... أحسستُ بالصمتِ البعيدِ جهارا
وكأنَّه مَرْأَى الفناءِ محبَّباً ... بسكونه، وكأنه ما ثارا
تتناوبُ الخطراتُ ملءَ تناقضٍ ... لُبِّي كما تتناوبُ الأدهارا
تَجري وتَنتظمُ الوجودَ بأسره ... وترى البحيرةَ كنيةً وشعارا
هي مَسرحٌ تَخذَ الخفاءَ جمالَه ... فطناً وأرسلَ رغوُهُ الأشعارا
فجمعتُها بيدِ الأثيرِ ضَراعةً ... للحسنِ حينَ الموجُ أنَّ مِرارا!

على حافة الترعة

(في ضاحية المطرية)

أمتعتُ بالماءِ المهفْهفِ ناظري ... وبه الظلالُ عن الغصونِ تَشفُّ
وكأنما هي في الحياةِ أصيلةٌ ... والأصلُ ظلٌّ في الهواءِ يَرِفُّ
سحرٌ تَكفَّلَ موجُه بوجودهِ ... وقد احتواه وما احتواه الطرفُ
ورشيقةُ الحشراتِ تلعب حوله ... وتطيرُ وهي من الحبورِ تخفُّ

دنيـا خيـالٍ والحقيقـةُ عنـدهـا | مـا يُلـهم الـوهْمُ الحبيبُ ويصـفو
سـكنَ الغـرامُ بهـا فكـلُّ مليحـةٍ | بحبيبهـا تَعتـزُّ أو تلتـفُّ
مِـنْ كـلِّ نَبْـتٍ لا يَجِـلُّ وإنمـا | الفـنُّ مجّـدَهُ ويَـأبى العُـرْفُ
مِـنْ كـلِّ طـائرةٍ بـزيٍّ بعوضـةٍ | وحياتُهـا دنيـا عـداها[1] الوصـفُ
مِنْ كـلِّ غائصـةٍ يُحـاربُ عيشَـها | عِلْـمٌ، ويَنصـرُها الجمـالُ فتطفـو
الفقـرُ يشـملها جميعـاً بينمـا | الفـنُّ يُكسـبها غِنـىً فتعِـفُّ
ونُحـسُّ نحـنُ بفقرنـا وخشـوعِنا | فنظـلُّ نَنهـب حُسـنَها ونسـفُّ!

القلادة المحسودة

يـا ليـتني الجعـرانُ في الجيـدِ | متوثّبـاً في كـلِّ تنهيـدِ
مترنِّحـاً مِـنْ لُطفِهـا الغـالي | واللطـفُ تَشـريدي وتَبديـدي
مُتسلسـلاً والقَيْـدُ لـي نِعَـمٌ | فالحُسْـنُ تنعيمـي وتقييـدي
قـد صِيـغَ مِـنْ ذَهَـبٍ ومـن حَجَـرٍ | وكلاهمـا الفتّـانُ للغيـدِ
وأنـا المَصـوغُ عواطفـاً كَرُمَـتْ | أتـرى أنـالُ رعايـةَ الجيـدِ؟
فأنـامَ في حُلـمٍ علـى حُلـمٍ | متيقّظـاً في كـلِّ تنهيـدِ!

[1] عداها: لم يدركها.

التعاون

(ألقيت في حفلة تكريم رجل التعاون والقلم الصديق الأديب محمد عبد الغفور يوم أول يوليه سنة ١٩٢٤ بمدينة زفتى، وقد أقامها ممثلو الجمعيات التعاونية والأدباء في منطقته)

أمحــرّرَ الفــلاحِ مِــنْ أغلالــهِ ... الآن يُنشِــدُكَ الوفــاءَ جمــيلاً
ذوَّقْتَــهُ معنــى التعــاونِ بــاذلاً ... فاقبــلْ تعــاونَ حُبِّــهِ مبــذولاَ
كـم مِـنْ ليـالٍ قـد سَـهِرتَ لنفعـهِ ... حتـى مَرِضـتَ ومـا مَرِضـتَ بخـيلا
كالنيلِ يُعطي الخِصْبَ رغمَ رسُوبهِ ... وكفـاكَ أنْ تُرْضِـي أبـاكَ (النِّيلا)!

*****

(زفتــى)! يفارقــكِ الأبــيُّ بروحــهِ ... إلاَّ عليــكِ مُســاءَلاً وسَــؤولا
الغَــرْسُ قبَّــل راحتيــهِ بنضــرةٍ ... والمــاءُ أشــبعَ ســعيَهُ تقبــيلا
والجــوُّ في خطراتــهِ أنفاسُــهُ ... تُــوحِي لأنفــاسِ العُفَــاةِ جلــيلا
المُنْقِــذُ الفــلاَّحَ يَعــرفُ أصــلَهُ ... هــذا الثَّرَى وذَويــهِ جيــلاً جيــلا
فيظــلُّ يــدأبُ كــي يزيــدَ شُــعاعَهُ ... ألَقــاً، وكــي يَهَــبَ السَّــلامَ ظلــيلا

*****

(عبدَ الغفـورِ) وأنـتَ جَـمُّ مواهـبٍ ... كَرُمَــتْ فمــا تتطلَّــبُ التَّبجــيلا
جــاءتْ تُكرِّمُــكَ المــآثرُ حُــرَّةً ... قبــلَ الوُفــودِ، وتلــك أبلــغُ قِــيلا
وكــأنَّ عُمْــرَكَ نفحــةٌ عُلويــةٌ ... للشِّــعرِ في زمــنٍ نــراه علــيلا
فأثــارَ خــاطريَ الكليــلَ، ومَــنْ يَنَــلْ ... وَحْيــاً كوحيــكَ لــن يكــون كلــيلا
وبَعثْــتُ شِــعري كالصَّــبيِّ لأهلــهِ ... فَرِحــاً يعــانقُ راحــلاً وخلــيلا
يــا مــا أقــلَّ النــاس مِثْلَــكَ قُــدوةً ... ومودِّعيــكَ الأوفيــاءَ مثــيلا!

الحقول

(خواطر السفر)

أهـلاً سَـرِيَّاتِ الحقـولِ! أعـودُ في ... شـغفي، ويـأبى لـي القطـارُ لقـاءَ!

ويَطـيرُ بـي هـذا البخـارُ كأنمـا ... يخشـى علـيَّ الفتنـةَ العميـاءَ!

مـا بالُـه يَطـوي الفراسـخَ بينمـا ... هـذا ابتسـامُكِ كالشموسِ أضـاءَ؟

بَعـثَ الرجـاءَ بكـلِّ زهـرٍ فـاقعٍ ... للقطـن وضَّـاءً غِنـىً ورجـاءَ

والجـدولُ الجـاري يصـون ثـراءَه ... أو يسـتحيلُ إذا رواه ثـراءَ

والفـالحون الزَّارعـون حيالَـه ... أمـراءُ لـو لم يبلغـوا الأُجـراءَ

وقفـوا وقـوفَ الـذلِّ عنـد نضـاره ... يتبـادلون الحسـرةَ الخرسـاءَ

في أمَّـةٍ هـم مجـدُها لـو أنهـا ... رَشَـدَتْ ولم تَرفـعْ بهـا الجبنـاءَ

سـادَ الطغـامُ بهـا وهـانَ عزيزُهـا ... وسمـا البنـاءُ وخانـتْ البنَّـاءَ

والشـعبُ مـا لم يسـتعزّ بذاتـهِ ... بـات الغنـى والفقـرُ فيـه سـواءَ

الأشجار الشريدة

(صورة سريعة)

وَقفـتْ مُشـرَّدَةً إزاءَ (النيـلِ) ... و(النيـلُ) في جَـدْواهُ غـيرُ بخيـلِ

لكنهـا تلقـى الهجـيرَ عَـذابَها ... والمـاءُ لا يـروي ظمـاءَ ذليـلِ

وقفَـتْ مُشَـرَّدةً كصـورةِ أهلـها ... متفـرِّقين علـى أسـىً وعويـلِ

وعويلُهـا لَفْـحُ الهجـيرِ، وذُلُّهـا ... ظِـلٌّ مـن الأغصـانِ غـيرُ ظليـلِ

فرحة الألوان

(من مشهد فتاة ريفية ذات ملابس زاهية الألوان)

سِيري بفرحةِ لونكِ الزَّاهي إذا افتُقِدَ السُّرُورْ

لم يَبقَ للريفِ الجميـ ـلِ سوى الأشعةِ لا الشعورْ

سِيري فألوانُ الثيا بِ غُرورُها أشهى الغرورْ

وإذا حكتْ لونَ الدما ءِ فأيُّ قلْبٍ لا يثورْ؟!

هذي كنوزٌ للحيا ةِ وأهلُها أهلُ القبورْ

لم يَبْقَ مِنْ سَلوى لهم إلاَّ التَّوهُّمُ في النشورْ!

الأرز الطائش

(من إيحاء السفر من نافذة القطار)

الأرزُ ماجَ على الحقول فكأنَّه قلقُ المَلولْ

مترنِّحاً مترنِّحاً وكأنما الماءُ الشَّمولْ

في خُضرةٍ مصفرَّةٍ فاللونُ شمسٌ لا تحولْ

ونَضارةٍ ذهبيَّةٍ جُمِعَتْ لتُنْشَرَ في الأصيلْ

يُروَى ويُروَى وهو لا يُروَى من الظمأ المهولْ

ظمأُ الحياةِ إلى الحياة وليس من ظمأ الحقولْ

متصوِّفاً وهو الجميـ ـلُ بكلِّ مجهولٍ جميلْ

متلهفاً متضارباً متطلعاً للمستحيلْ

والأرضُ تأبى طَيْشَهُ وتردّه ردَّ البخيلْ!

بنات الشفق

(نظمت عند شاطئ استانلي)

لبسنَ الجمالَ جمالَ الشَّفَقْ ... ووزَّعْنَ أحلامَه في الغسَقْ
وسِرْنَ على خطراتِ النسيمِ ... فأفعمْنَهُ بالهوى والعبَقْ
عرايا تَصَوَّفْنَ بينَ الفنونِ ... وأشعْلنَها في النُّهى والحَدَقْ
تَخطَّرنَ في صُوَرٍ مِن حنانٍ ... تشرَّبَها الموجُ بعدَ الأفُقْ
وأرسلنَ في كلِّ قلبٍ حياةً ... وهذي حياةٌ تحاكي الغَرَقْ
تَشبعتُ مِن سحرِها العبقريِّ ... وأكذبُه في فتونٍ صدَقْ
فأنشقُ أنفاسَ هذه الحياةِ ... ويملأ روحيَ هذا الألَقْ
وأعبدُ أعضاءَهنَّ الغوالي ... كأنّيَ أعبدُ ربَّ الفلَقْ
تمَوَّجْنَ في روعةٍ للجمالِ ... وفي لهفةٍ للأماني أدقّ
وفي سُمْرةٍ من معاني الخمورِ ... وفي حُمْرةٍ من معاني الشَّفقْ
وفي جرأةٍ للجمالِ العزيزِ ... كأنّا نقدِّسُهُ مِنْ فَرَقْ
تواءَمَ في كلِّ أجزائهِ ... وإنْ ثارَ بينَ الورى وافترقْ
نتابعهُ بعميقِ الخشوع ... ونغنم منه الهوى والأرَقْ
ونعبدُه في حنينٍ يثورُ ... وفي شعرِ قلبٍ شَجيٍّ خَفَقْ
وفي لثماتٍ لنا في احتجابٍ ... تَراءى النسيمُ بها أو نطقْ
فيا مَعبدَ البحرِ عِشْ للجمالِ ... وعِشْ للغرام وصُنْ مَنْ عشِقْ!

الراقصة ببا

(سونيتة)

يـا (ببـا) يـا (ببـا) يـا فِـتنَ الصِّـبا
يـا مُتَـعَ الهـوى يـا نُخَـبَ المنـى
نهايـةُ الغِنـى سـناك لا الغِنـى
يـا رقصـةً حـوتْ مـا عـالَمٌ أبَـى

للوعـةِ الصِّـبا!

إلى ناقد الجمال

(مهداة إلى الصديق الأديب حسن بهجت)

يا ناقدَ الحسنِ الأَصيلِ وما لـه رَدٌّ لأَحكـامٍ ولا لغـرامِ
آمنـتُ بالـذوقِ الـذي أبدعتَـهُ مِـن خـالصِ الإلهـامِ للإلهـامِ
هـاتِ الحديثَ عن الجمالِ فإنني لحـديثكَ الفـنيِّ أشْـوَقُ ظـامي
وَصِـفْ العيونَ لنا وما حجَّبْنَـهُ مِـنْ كـلِّ مَعنـىً فاتـكٍ بسَّـامِ
وَصِـفْ الجـوارحَ كلَّهـا في قُـدرةٍ وَصْـفَ الهـوى والخـالقِ الرسَّـامِ
وَصِـفْ الخوالجَ والعواطفَ والمنى واليـأسَ في الراقصـاتِ والأنغـامِ
وجميـعَ مـا تختـارُه وتُعـزّهُ ونمـاذجَ الأشـواقِ والأحـلامِ
صِـفْ ناقـداً ومحلِّـلاً فلربَّمـا أشـبعتَ بالأوصـافِ كـلَّ غـرامِ!

قصائد الحقول

مُبْـدَعاتٌ فيهـا الـرويُّ مِـن المـا ... ءِ تـلالاً علـى الحَفـا في الحسـانِ

والنبـاتُ السَّـرِيُّ والنـاسُ والحَـرْ ... ثُ وشـتى الحيـاةِ بَعْـضُ المعـاني

أتَملَّــى الــذي تَمثَّــلَ فيهــا ... كتملــي الفنَّــانِ للفنَّــانِ

ليـتَ شِعري: أتلك مِنْ مُهجة الإنْـ ... ـسانِ شـاقتْ أم مُهجـةِ الـدَّيَّانِ؟!

ذاك شِـعرُ الحيـاةِ ألفاظـهُ الخَلْـ ... ـقُ وأحداثُــه فنــونُ البيــانِ

وهـو بَعْـضٌ مِنْ عـالَمٍ كـلُّ مـا فيـ ... ـهِ أناشــيدُ شــاعرٍ فتَّــانِ!

تصوّف الطبيعة

تصوَّفَتْ في فصولِ العامِ أجمعها ... حتـى الربيـعُ وحتـى الصيفُ أرضـاها

ففـي الربيـع مَعـانٍ مِـنْ تيقظهـا ... ومِـنْ مُناجـاةِ مَـنْ بالحـبِّ ناجاهـا

ويجمـعُ الصَّـيْفُ ألوانـاً تُعـذِّبُها ... مِـنَ التَّحَـرُّقِ في ترديـدِ نجواهـا

حـينَ الخريـفُ صـلاةٌ كلُّهـا لهـفٌ ... وكلُّهـا شـغفٌ مـا كـان لولاهـا

بينـا الشـتاءُ صـيامٌ، في تَجـرُّدِهِ ... أبهى التصـوُّفِ، أسماهـا وأغناهـا!

*****

كـلُّ الفصـولِ جمـالٌ في تَصَـوُّفِها ... لـو أنَّنـا قـد عرفنـا بَعْضَ مَعناهـا

رأيتُهـا مثـلَ (سـافو) في مَلاحتهـا ... يبــوح بالشِّــعر للأحيــاءِ مَرْآهــا

في زَهْوِهـا الحلْوِ أو في لَفْحِ غضبتها ... أو عنــد ثورتِهــا أو عنــد سُــكناها

هــي الجمــالُ بــألوانٍ منوَّعــةٍ ... وحســبُنا مِــن مجاليــهِ محيَّاهــا!

المرأة العميقة

(كثيراً ما يقف الشاعر في الصباح الباكر عند ترعة المطرية ينتظر السيارة بينما يقرأ في الماء أمثال هذه المعاني)

أرِعشةُ الماء هذي عواطفٌ للغديرِ؟
وخُضرةُ الماء هذي رمزٌ لروحٍ قريرِ؟
تُقيم فيه المرائي حُلىً لغيرِ انتهاءِ
غِنىً لراءٍ ورائي في الأرضِ أو في السماءِ!
قد مَسَّها الحُبُّ حتى صَفَتْ صفاءَ الحنينِ
فلستُ أعرفُ نعتاً لها يحاكي حنيني
قرأتُ فيها المعاني مِن السماءِ تُطِلُّ
وكلُّ مَعْنىً أمامي يَجِلُّ عمَّا يَجِلُّ
لكنْ أحسُّ برُوحي فيها المرائي الخفيَّهْ
كأنما الماءُ يُوحي رسالةَ العبقريَّهْ
ما ذا تَحجَّبَ فيهِ وطبعُه أن يبوحْ؟
حتى على عاشقيهِ يُخفي شُعورَ الصريحْ
يا ماءُ كم فيكَ مَعْنَى شأَى المعاني العميقهْ
أُحسُّه وهو يَخْفَى كما تُحَسُّ الحقيقهْ

ذكرى ميت غمر

إنْ أنس ليلةَ (Bella Vesta)[1] حينما ... لاقَى الصباحُ الليلَ بين يَديْنا
هيهات أنْسَى رحلتي وتَمتُّعي ... في الليلِ عندكِ لا أبالي الأَيْنا!
سِرنا إزاءَ الماءِ نطوي جِسْرَهُ ... والماءُ في عَجبٍ يسائل عنا!
فنصون في أسماعنا تَسْآلَه ... ونمّر نخطف منه مَعنىً مَعنى!
والليلُ كالصبِّ الكتوم فسِرُّه ... بادٍ وخافٍ: في دُجىً وشعاعِ
وكلاهما متمازجٌ متماثلٌ ... إلاّ على الفنَّان والإبداعِ
سِرنا ووَحْيُ الليل يشملنا هُدىً ... ووساوسُ الغَرْسِ الحفيِّ الراني
وطويلُ أشرعةِ الزوارقِ بينما ... هُزَّتْ من النسماتِ والألحانِ
والماءُ في الرياح[2] ملءُ سكونهِ ... قلقٌ وعطفٌ في سماتِ الشاعرِ
تَخذَ الحقولَ جوارَه ندماءَه ... وتخذْنَه رمزاً لربٍّ قاهرِ
ونرى مصابيحَ الزَّوارقِ حالَها ... حالُ الطفولة في التَّوثُّبِ نورُها
المالحون حيَالها في فرحةٍ ... بشعورها وغناؤهم تصويرُها
حتى أتينا (ميتَ غمرَ)، دليلُنا ... نسماتُها وعبيرُها وضياؤُها
دنيا عواطفُها انتظمنَ حدائقاً ... وترِفُّ في صُحُفِ المياه سماؤُها
وحَنِيَّةُ القصْباءِ تَحسبُ عندها ... همساً وننمحُ في المخابئِ (موسى)
والنيلُ في رَوْعِ التَّقيِّ نسيمُه ... وكأنما أسرى النسائمَ (عيسى)
ولقد جلستُ إلى صباحةِ رفقةٍ ... جعلوا المساءَ منوَّراً مأثورا
فبكلِّ لفظٍ مِن محبتهم غنىً ... كالنورِ، والإيناسُ بزَّ النورا
حتى نسيتُ الوقتَ كيف أعدُّه ... بعضَ الوجودِ ونحن لا نرضاهُ؟

---

[1] بلافستا – من ملاهي الإسكندرية.
[2] الرياح التوفيقي، وقد صحبه الشاعر بالسيارة ليلا من بنها إلى ميت غمر.

ربطَ الهوى بين القلوب فكلُّ ما عادى الهوى ننساه أو نأباهُ

وأتى النَّهارُ وكم حمَتْهُ أطايبٌ غَنَّى بها المجدافُ والملاَّحُ

والنيلُ يدعونا فنَقْبَلُ جُودَه وكأنما أمواجُه أفراحُ

فرحتْ بنا فَرَحَ الكريم بضَيفِهِ وتألَّقَ الزبدُ الوضيءُ عليها

وكأنَّه شِعرُ الحنان مرحِّباً وكأنما كنا نحجُّ إليها!

في حمى الهدير

(جلسة في حديقة دهتورة عند قناطر زفتى)

ها هنا في حمى الهديرْ ووثبةِ الموجِ ثائرًا

نُطلقُ الشِّعرَ والشعورْ ونجعل الروضَ شاعرًا!

*****

ها هنا والعشبُ جَمُّ الظلالْ نسائل الربوةَ عن حُلْمِهَا

فلا نرى إلاّ معاني الجمالْ تهفو مِن الأرضِ إلى أمِّها

والنيلُ يجري في ابتهاجٍ عجيبْ ورعشةُ النورِ على صدرهِ

يجري كما يجري الشَّرودُ الغريبْ في سَكرةِ الجاري إلى قبرهِ

بَعثِرْ الموجَ وسرْ سَيْرَ ماءْ يا نيلُ! لكنْ قفْ بروحِ الحبيبْ

ما أروعَ الحمرةَ مثلَ الدِّماءْ في هذه اللهفةِ بين القلوبْ

يا راوياً تَهدارُهُ ما روَى مِنْ سيرة الناس وسَيْرِ العصورْ

إنْ يُحجَزْ الماءُ ففيكَ انطوَى من هذه الأسرارِ وَحْيُ الأثيرْ

يا نيلُ حرٌّ أنتَ مهما سَعَوْا في حجزِكَ اليومَ فأنتَ الأبيّ

تفيضُ بالحبّ لمن قد رعَوْا عهودَكَ الحرةَ فيضَ العَتِيّ

وهــذه الأشــجارُ مثلــي لهــا | في نظـرةٍ نحـوكَ نجْـوى الحَنـانْ
وهــذه الخُضْــرَةُ في سَــمْعِها | مِنْ صـوتِكَ الـدَّاوي مَعاني الأمانْ
روّيتَهــا بالصــوتِ أو بــالمُنى | مِـن قبـل مـاءٍ عسـجديٍّ مُـنيرْ
والراحلُ الماضي-كمن قد مضى- | قلـبي، فهـل يَغْنَـى بهـذا الهـديرْ؟

*****

هــا هنــا في حِمَــى الهــديرِ | ووثبـــةِ المـــوجِ ثـــائرًا
نُطلـــقُ الشِّـــعرَ والشـــعورْ | ونجعـــل الـــروضَ شـــاعرًا!

الصنوبر الكاذب

(في حديقة دهتورة عند قناطر زفتى)

عُدْ يا غُرابُ إليَّ! عُدْ! لا تَخْشَني! | كـلُّ الحنـانِ لـديَّ لـو حـادثتَني
هـذا الصـنوبرُ كـاذبٌ في وَهمهـمْ | أتـراكَ أنـتَ مثـيلَهم في فهمهـمْ؟
أخشـيتَني وخشـيتَهُ أم أنَّ مـا | تهـواه أنـتَ مـن الملاحـةِ قـد سمـا
وأنـا القنـوعُ وأمـةُ الغربـان | في ذوقهـا جـازتْ مَـدَى الفنَّـانِ؟
عُـدْ يـا غـرابُ! فللصّنوبرِ دعـوةٌ | مثلـي وللغـرسِ المهفْهـفِ لفتـةٌ
فـإذا أبيـتَ صـداقةَ الإنسـانِ | فـانظر إلى الشـجرِ الصـديقِ الحـاني!

زفتى في الماء

(لمحة من شاطئ ميت غمر)

ألقتْ على (النيل) المُغازِلِ ضَوْءَها | والضَّـوْءُ فـوقَ حنانـهِ مبهـوتُ
لكنَّمـا يحيـا علـى تَحنانـهِ | وسـواه في المـاءِ العَتِـيِّ يمـوتُ

وتلـوحُ أخيلـةُ الضـياءِ غرائبـاً فـيهنَّ (أوزيـريسُ) والتـابوتُ
و(النيـلُ) حـيٌّ كـائنٌ فشـرابُهُ في الـذكرياتِ وفي الأشـعَّةِ قُـوتُ
أرسـلتُ أحلامـي إليـهِ سـوائلاً فـرجعنَ لـي شـعراً عليـه حييـتُ!

رثاء هند نبرج

(توفِّيَ زعيم الأمة الألمانية وقائدها الأعلى في الثاني من أغسطس سنة ١٩٢٤)

يـا شـهيداً في (تننـبرج) أنـاءْ[1] هكـذا المجـدُ ووَحْـيُ الشـهداءْ!
عشْـتَ للشـعب ومـتَّ المرتجَـى بـاذلَ الـنَّفْسِ شُـعاعاً ومَضـاءْ
ليس مَنْ يَمضـي شـهيداً في الوغى فـوقَ مَنْ يمضـي شـهيداً في البنـاءْ
لـيس مَـنْ يحفـظ حـقَّ الأقويـاءْ مثـلَ مَـنْ يُرجِـعُ حـقَّ الضـعفاءْ
نَـمْ هنيئـاً أيهـا الشـيخُ الـذي جَـدَّدَ الشـعبَ شـباباً ودمـاءْ
نَـمْ هنيئـاً! ذاك حـقٌّ نِلْتَـه بـالخطيرِ النَّصْـرِ بَـدءاً وانتهـاءْ
واسـعَ الحيلـةِ منقضّـاً بهـا فـإذا البـاغي هبـاءٌ في هبـاءْ
نَـمْ هنيئـاً إنْ يـكُ المـوتُ وَغـىً فخلـودُ الـذكرِ حـربٌ للفنـاءْ
نَـمْ بِتُـرْبٍ ناضـرٍ قدَّسْـتَهُ بالضَّـحايا البُسَـلاءِ السُّـعَدَاءْ
كـلُّ شـبرٍ منـه ذكـرٌ رائـعٌ ومَعـانٍ مِـنْ تَفـانٍ وفِـدَاءْ
ضـمَّخَتْهُ عـزَّةٌ روحيَّـةٌ ودمـاءٌ نَـدْرُها فـوقَ الـدِّماءْ
شـرَفُ الأوطـان جيشـاً مُزْبِـداً وإبـاءُ الضَّـيْمِ في يـوم الإبـاءْ
حينمـا حاصـرتَ جيشـاً مُزْبِـداً بـين نـارَيْن لأجنـادٍ ومـاءْ

---

[1] أفاء: رجع، وتنبرج هي القرية التي دفن فيها الفقيد والتي كانت أصل شهرته إذ تركز فيها القتال بين الروس والألمان في بروسيا الشرقية.

حينمـا غَطَّـى الـبحيراتِ اللظـى ... وتَـراءَى شُـعلةً نفـسُ الهـواءْ

والعَـدُوُّ الضَّـخْمُ فِي مصـيدةٍ ... فاتـتْ اليـأسَ ولم تَعْـدُ الرَّجـاءْ

لم يَجِـدْ فِي الأرضِ أدْنَـى مَهـربٍ ... وتَنـاءتْ عنْـه آسـبابُ السَّـماءْ

وهَـوَى فِي الأَسْـرِ لا عـن ضَـلَّةٍ ... أو غَبَـاءٍ، وهـو فِي أسـرِ الـذكاءْ

إنمـا صـادتْهُ مِـن أحلامـهِ ... قُـوَّةٌ فَـوْقَ القِـوَى والأَقْوِيـاءْ

قُـوَّةُ الإخـلاصِ فِي تضـحيةٍ ... عنـد مـا أحـدقَ بالشـعبِ الـبلاءْ

قُـوَّةٌ تَعريفُهـا أسْـمَى مَـدىً ... مِـنْ تعـاريفِ التَّفـاني والفِـداءْ!

*****

يـا دفينـاً فِي (تَننـبرجَ) أفـاءْ ... هكـذا المجْـدُ ووَحْـيُ الشُّـهَداءْ!

بَطَـلُ الحـرْبِ جريئـاً فاتحـاً ... يمـلأُ الرُّعْـبُ لـذكراه الفضـاءْ

والأَجـلُّ الشَّـهْمُ فِي كسـرتهِ ... يجعـلُ التسـليمَ كـالفتحِ سـواءْ

شـامخُ الـرأسِ يُفَـدِّي تاجَـهُ ... ويَصـونُ الشَّـعْبَ صَـوْنَ الأمَنـاءْ

يـا عظـيمَ الخُلْـقِ سَـلْماً ووَغـىً ... وعـديمَ المِثْـلِ فِي يـومِ الوفـاءْ

لم يُغـالِ الشَّـعْبُ فِي تكرمـةٍ ... أو بقربـانٍ لحـبٍّ ووفـاءْ

كيـف والـنَّفْسُ الـتي بـدَّدْتَها ... هـي أسمـى مِـن بـرُوجٍ وبنـاءْ[١]؟

نَعْشُـكَ الهـادئُ مـا أشـبهَهُ ... بسـكونِ الـدَّهر مِـنْ بَعْـدِ القضـاءْ

حاطَـهُ مِـنْ كـلِّ ذكـرٍ أثـرٌ ... نـاطقٌ قبـلَ البرايـا بالثنـاءْ

دائـمُ الرهبـةِ مِـن شخصـكَ فِي ... حـرمِ الخلـدِ ومحـرابِ البقـاءْ

دائـمُ الرَّوْعـةِ فِي تقديسـهِ ... وكـأنَّ الحـبَّ هـالاتُ الضِّـياءْ!

*****

يـا دفينـاً فِي (تننـبرجَ) أفـاءْ ... هكـذا المجـدُ ووَحْـيُ الشـهَداءْ!

---

[١] إشارة إلى النصب التذكاري العظيم في تننبرج وإلى بروجه الثمانية.

لـكَ في المـوتِ الـذي كنـتَ تَشـاءْ — مِـنْ وفـاءٍ، ولـك الحـيُّ النِّـداءْ
ولــكَ المجـدُ الــذي أطلعْتَــهُ — لشـعوبِ الأرضِ نـوراً يُستضـاءْ
مُعجـزُ القـرنِ الـذي لم يحتفـلْ — أهلـــهُ إلاّ بـــبطشٍ أو ريـــاءْ
جئتَـــهُ المنقـــذَ مِـــن أدوائـــهِ — بـالعظيمِ الخُلْـقِ حـيَّ الكبريـاءْ
آوِ! مَــنْ لــي أن أرى في وطــني — هــذه العِــزَّةَ في يــومِ العــزاءْ
نحــن صــرعى مَــأْتمٍ في مَــأْتمٍ — حــرَّم الــذُّلُّ بــه حتــى البكــاءْ
بينمـــا شـــعبُكَ في لوعتـــهِ — رافــعُ الهامــةِ محســودُ اللــواءْ
مـــا زعـــيمٌ أنجبتْـــهُ أمَّـــةٌ — مثـلَ مَـنْ أنجـبَ فيهـا الزُّعمـاءْ
إيـهِ (هنـد نـبرجُ)! هـذي غايـةٌ: — عِظَـمُ المـوتِ ووَحْـيُ العظمـاءْ!

الواز وأبيلارد*

Héloise & Abélard

(قصة الحب الخالد)

كان (أبيلارد) من أشهر فلاسفة المسيحية في القرن الثاني عشر للميلاد وبلغ مركز أسقف كنيسةِ (نوتردام دي باري) في شبابه بفضل معارفه وذكائه الخارق كما كان معلماً محبوباً ساحراً، فانتُخِبَ معلماً للآنسة الحسناء (إلواز) قريبة الأسقف (فُلبير) ومَن ثمة بدأ الحُبُّ ينشأ بين (أبيلارد) و (إلواز) حتى بلغ غاية العشق والشهوة، ففُصِلَ بينهما ونال (أبيلارد) من التَّعدّي الوحشيّ عليه ما ناله بإغراء (فُلبير).. وأخيراً صار (أبيلارد) راهباً كما ترهَّبتْ (إلواز) وعانى (أبيلارد) الكثيرَ من الاضطهاد ومات شقياً، وعاشت (إلواز) بعده سنين في عذاب الحبّ

* تجد تفاصيل هذه القصة في كتاب (Personality) تأليف ماجوري بارستو جرينبي، ص ١٣٤.

الغبين. وبعد وفاتهما بزمنٍ جمعَ الأبرارُ رفاتهما برّاً بذكراهما في مدفنٍ واحدٍ، وهما الآن مدفونان بمقابر (بير لاشيز) بباريس.

أيُّ مَعْنَى مِنَ الجمالْ | أيُّ مَعْنَى مِنَ الهوى
لم يخافا مِنَ المُحالْ | حين خافا مِنَ النَّوَى

في نعيمٍ مِنَ الألمْ
وحياةٍ مِنَ العَدَمْ؟!

نَشَدَا جوهرَ الحياهْ | فإذا الحُبُّ صائنُهْ
نشَدَاهُ بلا انتباهْ | حين نادتْ مَفاتنُهْ

نافذاتٍ إلى الصَّمَمْ
دافقاتٍ مِنَ النَّغَمْ!

ما رعَى الحُبُّ فيلسوفْ | إنَّ للحبِّ دِينَهْ
لا ولا العالَمَ السَّخيفْ | وهو يُرْضِي جُنونَهْ

بَلْ دَعا الحبُّ عابديهْ
دعوةَ الخالقِ النَّزيهْ

قد هوَى الأسقفُ العظيمْ | فتسامَى وقد هَوَى
إيهِ (إلوازُ)! هل غريمْ | مُرْشِدٌ ضَلَّ ما ارْعَوى

وضلالُ الهوى هُدَى
وهُدَى غيرِهِ سُدَى؟!

كُنْتِ تلميذةَ العُلومْ | ثم أستاذةَ الغرامْ
فتساقيتُما النعيمْ | وتناسيتُما الأنامْ

في وُجودٍ حَواكما

لم يَنَلْـــــهُ سِـــــواكما!

تُرْتُمـــا ثـــورةَ الغـــرامْ وأتـــى بعـــدَها اللَّهَـــبْ

لم تخافـــا مِـــن الحـــرامْ هـــل حــرامٌ لِمَـــنْ أَحـــبْ؟

وأبَـــى الـــدَّهرُ مـــا أَبـــى

مِـــنْ وصـــالٍ ومِـــنْ صِـــبَا

فـــإذا الحـــربُ مُعلَنَـــهْ ويـــلَ حـــربٍ لعاشـــقينْ

لـــيس للـــدَّهرِ مِـــنْ سِـــنَهْ عـــن حبيـــبينِ صـــادقيْنْ

سُـــنَّةُ الـــدَّهر دائمـــا

ســـادَ في الحـــبِّ ظالمـــا!

أيهـــا الـــدَّيرُ مَرْحبـــا إنْ غـــدا الحُـــبُّ كالشَّـــريدْ

مَلجـــأُ الحُـــبِّ إنْ أبـــى عـــالَمُ الأســـرِ والعبيـــدْ

عِـــزَّةَ الحـــبِّ في الـــثَّرَى

وهـــو مَـــنْ ألهـــمَ الـــورَى!

فُرِّقـــا بَعْـــدَ نِعمـــةٍ في وصـــالٍ هـــو الحيـــاةْ

فتـــداوَى بنقمـــةٍ والتـــداوي مـــن الممـــاتْ

في اعتـــزالٍ كلاهمـــا

نـــالَ مـــا نـــالَ مِنهُمَـــا

وَعـــدَتْ قســـوةُ الأنـــامْ وعَـــدَتْ قســـوةُ الـــزَّمَنْ

و (أبـــيلاردُ) في الرِّغـــامْ حـــين (إلـــوازُ) في المِحَـــنْ

وإذا المـــوتُ راحـــمُ

وإذا المـــوتُ ظـــالمُ!

مـــاتَ والمـــوتُ في العـــذابْ في اضـــطهارٍ علـــى اضـــطهادْ
شـــابهَ الوصـــلَ لا العقـــابْ إنْ يصـــنْ ذكـــرُهُ الـــودادْ

فـــإذا المـــوتُ مَغْنَمُـــهْ
وإذا العـــيْشُ مأْتَمُـــهْ!

ومَضـــتْ بعـــدَهُ السُّـــنونْ في حماهـــا نشـــيدُهُ
حـــين (إلـــوارُ) في جُنُـــونْ دائمـــاً تَســـتعيدُهُ

مِـــنْ أناشـــيدَ للنَّهَـــرْ
في حَنـــانٍ مِـــن القمـــرْ!

وإذا المـــوتُ مُشـــفِقَا جاءَهـــا بَعْـــدُ قائـــدا
مـــا رأتْـــه مُنافِقـــا أو رأتْـــه مُعانـــدا

هـــو أصْـــفَى مِـــن البَشَـــرْ
هـــو أحْنَـــى مِـــن القـــدَرْ!

فـــإذا الحُـــبُّ في الثَّـــرَى قِصـــةٌ جِـــدُّ خالـــدَهْ
قـــد عَـــراهُ الـــذي عَـــرَى وثـــوَى الحســـنُ عابـــدَهْ

رغـــم دُنيـــا معانِـــدَهْ
بَقِيَـــا وهـــي بائـــدهْ!

رقـــدَا رغـــمَ فرقـــةٍ رقـــدةَ المـــوتِ في حنـــانْ
حِقبـــةً بعـــد حِقبـــةٍ فـــإذا المُـــذْنِبُ الزَّمـــانْ

يُنْصِـــفُ الحُسْـــنَ والهـــوى
مثـــلَ مَـــنْ تـــابَ أو هَـــوَى!

وإذا طـــاهرُ الرُّفـــاتْ يُجْمَـــعُ الآنَ في المـــاتْ

بعـــد أنْ ذاقَ في الحيـــاةْ كـــلَّ لـــونٍ مِـــن الشَّـــتاتْ

ذاك قـــــبرٌ مُقـــــدَّسُ

كـــلُّ مـــا فيـــه يُخْـــرَسُ!

رقَـــدَا الآنَ في وصـــالْ رقـــدةَ الحـــبِّ والجمـــالْ

واســـتباحَا مِـــن المحـــالْ كـــلَّ غـــالٍ وكـــلَّ غـــالْ

ثُـــمَّ نـــالا مِـــن الـــدُّموعْ

كـــلَّ شِـــعرٍ لنـــا يَضُـــوعْ!

نصير العمال

(إلى الشريف عباس حليم في سجنه)

مهمـا اضْطُهِدْتَ فثِقْ بأنكَ غايـةٌ للحـبِّ، لا لإسـاءةِ الأعـداءِ

عـادَوْكَ للشـرفِ الرَّفيـعِ وإنَّمـا هـو وحـده البـاقي علـى الأنـواءِ

يـا خـادمَ العمـالِ حسبُكَ رُتبـةً في النـاسِ هـذا البـرُّ بالضُـعفاءِ

بئسَ السياسـةُ! بئسَ! كيف تَعيبُ مـا أولى بـه الإكـرامُ في الكرمـاءِ؟!

إنْ حرَّمَـتْ لقـبَ "النبيـلِ" فإنَّمـا أنـتَ العظـيمُ النبـلِ في النـبلاءِ

أو أودعـوكَ السـجنَ فهـو مَثابـةٌ مِـنْ وصـمةِ الجـبروتِ للشـرَفاءِ

ولسـوفَ ترفـعُ رأسَكَ العـالي غداً في حـينِ تُخفَضُ أرؤسُ "الرؤسـاءِ"

هـذي الجنايـةُ مِـنْ تَفـرُّقِ أمـةٍ شَـقِيَت مرافِقُهـا مِـن الزُّعمـاءِ

مـا ضـرّهم لـو ناصـروا (الوفدَ) الـذي مـا زال مَطْلَـعَ عِـزَّةٍ ورجـاءِ؟

مـا ضـرَّهم؟ وهـل التفـرُّقُ والهوى إلاَّ مَهـاوي الـذُّلِّ دون مـراءِ؟

بئسَ السياسـةُ! تَقتلُ الخيرَ الـذي يُحيـي الإخـاءَ، فمـاتَ كـلُّ إخـاءِ!

نور الشمس

تناولتُه الإعجازَ مِن صُنْعِ خالقي — ألم يكُ بَعْضَ الشمسِ منذ دقائقِ[1]؟

تفجَّرَ منها كالينابيعِ دافقاً[2] — وفاض بموجٍ كالعواصفِ خافقِ

وأفعَمنا: لم نَدْرِ هل هو طاقةٌ — تسيلُ أم الذَّرَّاتُ من سهم راشقِ[3]؟

يُقبِّلنا في الصُّبح تقبيلَ وامقٍ — وعند غُروبِ الشمسِ في رَوْعِ عاشقِ

ويَضربُنا في لَفْحةِ الظهرِ جانياً — كأنَّا تلقَّينا أراجيفَ حانقِ

وهل كان نُورُ الشمسِ مُرّاً وسائغاً — سِوَى جوهرِ الدُّنيا ورمزِ الحقائقِ؟

قطار الفن

(خواطر شعرية نظمها صاحب الديوان في قطار البحر يوم ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٤
وقد نعته بقطار الفن لما فيه من نماذج الجمال الكثيرة وأهل الفن
وكان في صحبته الشاعران الدكتور زكي مبارك وعبد العزيز عتيق)

سِرْ يا قطارُ مجازفاً ومُغامراً — أو طِرْ فحظُّكَ أن تكون الطائرا[4]

حُمِّلْتَ ألوانَ الجمالِ، ومَنْ يَنلْ — ما قد حَملتَ يَطِرْ جريئاً قادرا

هذي الحقولُ تَلفَّتتْ لك بغتةً — متعجباتٍ كالسحابِ شواعرا

يَرقصنَ في وَهَجِ الأشعةِ مثلما — ماج الهواءُ عواطفاً وخواطرا

---

[1] تبلغنا أشعة الشمس بعد فراقها في نحو ثماني دقائق، وقد كانت قبل ذلك جزءاً من كتلة الشمس فهي تحمل معها شيئاً من تلك الكتلة.

[2] تشع الشمس من مادتها يومياً ما متوسطه ٣٦٠ ألف مليون طن.

[3] إشارة إلى الخلاف بين العلماء في دراسة الأشعة: أهي طاقة وحدتها (كم) أو هي (مادة) وحدتها (ذرة) أم هي جامعة للصفتين؟

[4] من عادة قطار البحر أن لا يقف إلا في محطة من المحطات بين القاهرة والاسكندرية وأن يسير بسرعة فائقة.

وتمــرُّ بالشَّــجرِ الــذي في وثبــهِ ... وهــو الأسـيرُ نَـرَى المقيَّـدَ آسـرا
والنيــلُ تعــبرُه كعــبرِ عــواطفي ... بحـرَ الحيـاةِ وقـد تمَـرَّد زاخـرا
قــد جــاءَ بــالفيضِ الكـريم مبكِّـراً ... وكأنمـا قـد خـاض حربـاً ظـافرا
وكأنمـا مصـرُ الشـقية في الأسـى ... والبـؤس قـد ناحـتْ فعجَّـل بـاكرا[1]
مُـتَلاطِمَ الأمـواجِ، مُشـتعلَ الهوى ... متوثِّبــاً، متجمعــاً، متطــايرا
والنخـلُ تـروي مـا يُـثير شـجونَه ... فـترى الميـاهَ الـداميات ثـوائرا
والأرزُ زاهـى اللَّـونِ، لكـنْ زهـوهُ ... كممثِّـلٍ طـربٍ يهـزّ السـامرا
وَتدلَّتْ الصفصـافُ حيـن شعورُها ... في المـاءِ غرقـى تسـتثير الشـاعرا
والجـدولُ الآسـي يـئنّ لفقـدها ... وكأنَّمــا لم يــأتِ ذنبــاً غــادرا
صُـوَرُ الحيـاةِ الصـامتاتُ، وكلّهـا ... عبَّــرنَ أفئــدةً وكــنَّ مَشــاعرا
وخطفن مِن وَحْـي الجمـالِ مُصـاحبي ... والنُّـورُ كـم سـرقَ الملاحـةَ سـاحرا
سِـرْ يـا قطـارُ ولا تقـفْ! مـا وقفـةٌ ... لـكَ حـين تحمـلُ للحيـاة ذخـائرا؟!
سِـرْ يـا قطـارُ إلى الشـواطئ فاتحـاً ... واحـمِ الجمـالَ العبقـريَّ الثـائرا
قـد صـرتَ بـالفنِّ الجميـلِ مقدَّسـاً ... وغـدوتَ بـالحسـنِ المقـدَّسِ قـاهرا

حرب الشاطئ

(استيحاء شاطئ استانلي)

أوَ مَـا لهـذي الحـربِ مِـنْ آخـرْ؟ ... يـا عابثـاً بالشـطِّ! يـا سـاخرْ!
أوَ مـا سمعـتَ الصخـرَ في فَـرَقٍ ... مستسـلماً كالفـارسِ العـاثرْ؟
أوَ مَـا رأيـتَ الرمـلَ منصـرماً ... مثـل الأسـارى في يـدِ القـاهرْ؟

[1] وافى فيض النيل في هذا العام مبكراً.

هـــذي جنـــودُكَ في تَـــدفقِها جيشـــان مكســـورٌ علـــى كاســـرْ

جَرْحَـــى العنـــاءِ دِماؤهـــا زَبِـــدٌ لا يســـتقرّ وجُرْحُهـــا غـــائرْ

تَتْـــرَى صـــفوفاً في حماســـتها تكبـــو ومنهـــا الصـــاخبُ الثـــائرْ

وتخالطـــتْ فكأنهـــا فِـــرَقٌ مَهزُومُهـــا في حَلبـــةِ الظـــافرْ

والشـــمسُ تُرســـل مِـــنْ أشـــعّتها حربـــاً علـــى إقـــدامِها الجـــائرْ

فنـــرى اللـــهيبَ علـــى الميـــاه جَـــرَى جـــريَ الأســـى في ثـــورةِ الخـــاطرْ

والسُّـــحْبُ في جـــزعٍ تُراقبُهـــا فكأنهـــا مَـــرأىً لهـــا طـــائرْ

والنـــاسُ بـــين المـــوج في مَـــرحٍ لا يشـــعرون بروحـــهِ الحـــائرْ

والحســـنُ عـــن نجـــواه في شُـــغُلٍ فحروبُـــهُ كوفائـــهِ الغـــادرْ

طافـــتْ نماذجُـــه فمـــا تركـــتْ إلاّ فـــؤاداً في الهـــوى صـــاغرْ

وَتجـــرَّدَتْ مِـــن كـــلّ مَلبســـها إلاّ ملابـــس روحِهـــا الســـاحرْ

يـــا بحـــرُ! يـــا مَـــرأى الحيـــاةِ ويـــا حَـــرْبَ الحيـــاةِ حييـــتَ للشـــاعرْ!

المَهْلَهَلة

هَلْهَلْـــتِ مَلبسَـــكِ الجميـــلَ كأنمـــا هـــو مَلْـــبَسُ المأســـورةِ المتوجِّعَـــهْ

كتفـــاكِ قـــد عَرِيـــا كـــأنَّ مـــوكَّلاً بالأســـرِ مـــزَّقَ مـــا لبســـتِ ومزَّعَـــهْ

فـــإذا نظـــرتُ إليـــكِ ثـــارتْ رحمـــتي ومحـــبتي وغـــدتْ بحســـنكِ مودَعَـــهْ

وفُتِنْـــتُ بالحســـنِ الـــذي أبدعتـــهِ في زيٍّ عربيـــدٍ يقـــدِّسُ مُبْدِعَـــهْ!

الراية السوداء

رِفِّي على الشاطئ في تحذيرِ مَنْ أمُّوا المياهْ
رِفِّي وإنْ كان احتشادُ الموجِ يكفي روعةً
أمَّا على الشالئ والحبُّ عتيٌّ كالعُتاهْ
مَنْ ذا يصون الناسَ مِنْ بلوى مَدَاهُ ساعةً؟

*****

طاحتْ بنا أمواجهُ تطغى كما يطغى الخضمّ
وتتابعت منَّا ضحاياهُ فهانتْ كالرمالْ
بحرٌ ولكن عُمْره عُمْرُ العواطف والأممْ
قد بزَّ في إيغاله الجبَّارِ آياتِ الخيالْ!

المسافر

مِنْ بينِ جَوْنِ السَّحابْ | أطلَّ وجهُ القمرْ
كأنهنَّ الصِّعابْ | لمؤمنٍ في سفرْ
سِرْ يا ملاكَ السَّماءْ | ولا تُبالِ الصِّعابْ
ففيكَ رُوحُ الرَّجاءْ | وإنْ تَسِرْ في عذابْ
ما نُورُكِ الحيُّ إلاَّ | رَجْعُ الهوى مِن قلوبْ
تَرْعاكَ نُوراً وظلاًّ | كما تُراعي الحبيبْ
فَسِرْ ولا نَبتئسْ | وكُن لنا بَلْسَما
فكلُّنا قد يَئسْ | لو لم يُناجِ السَّما

فيضان النهر المقدّس

(نظمت عند "كازينو الحمام" بالجيزة في أصيل يوم ٤ سبتمبر سنة ١٩٢٤)

(النيلُ) – يا لَلنيلِ، وهو مُوافٍ ... حَربٌ على الأحبابِ والألّافِ!

أوْفَى على الجُزُرِ الغريقةِ ضاحكاً ... وقضى على الشطِّ الودودِ العافي

فإذا الغِراسُ شهيدةٌ وشهيدةٌ ... وإذا الضِّفافُ غَدوْنَ غيرَ ضفافِ

والموجُ مصطفقٌ كخفقِ قلوبنا ... في الرَّوعِ أخفاهنَّ ليس بخافِ

متوثِّباً وَثْبَ الخَيالِ مقيّداً ... بحقائقِ الزَّمنِ العتيِّ الجافي

متجلبباً مِن سُمرةٍ ذهبيةٍ ... جُمِعَتْ من الآصالِ والأطيافِ

في فرحةِ الشيخِ الوقورِ شُخوصُهُ ... وبرعشةِ المتمرّدِ المتلافِ

جاءتْ أساطيرُ الجمال بمائهِ ... مِنْ مَنبعِ الجناتِ لا الأعرافِ

فتقدّستْ نفحاتُه حتى سرى ... هذا النسيمُ بروحهِ الرفّافِ

الملهمِ النوتيَّ في إنشاده ... شعراً من الآبادِ دونَ قوافِ

مَزجَ الرويَّ به تموُّجُ مائهِ ... والبحرَ وقعُ وثوبهِ الهتّافِ

وحيٌ يسير إلى الجداول عند ما ... تشدو نواعيرٌ لها بزفافِ

وتَئنُّ كالشادوفِ أنةَ عاشقٍ ... وافٍ وقد باتَ الحبيبُ يوافي[1]

هوِ عُرسُ هذا (النيل)، في تجديدهِ ... عرسٌ لأحلامٍ لها ألفافِ

عُرْسٌ تُباركُه القرونُ حفيّةً ... وتَحُفُّهُ الأربابُ في آلافِ

وترى (الطبيعةَ) كالمصوّر عنده ... نقشته في الأفقِ الحنونِ الصافي

حتى بدا سِحْرُ الغُروبِ كسحره ... في غيرِ إغراقٍ ولا إسفافِ

ومضَتْ مَشاعِرُنا بلهفةِ شاعرٍ ... في الأُفقِ طائرةً كطيرٍ وافِ

وعلى خيالاتِ المياه كأنها ... تُصغي إلى فيضانها الرجّافِ

---

[1] أنة اللهفة من المحب الوافي إلى حبيبه الموافي بعد جفاء.

وتُبادلُ الأحقابَ نجواها مِن الـ أحداقِ والأسماعِ والآنافِ
حتى نعيشَ العابدين بعالَمٍ للنيلِ من سحرٍ ومن أطيافِ

على رمل الشاطئ

الموجُ على الشطِّ تَوالَى كاللهفةِ للنَّزقِ العاثرْ
والماءُ هديرٌ يَتعالى كاللوعةِ في رُوح الشاعرْ
والعشبُ على الصخر تَجَلَّى كالتوبةِ من قلب الكافرْ
صوَرٌ للحسُ ممثَّلة فأذاها كالمعنى الساحرْ
باللَّمسِ تُحَسُّ فإنْ لُمِسَتْ غابت في المهجةِ والخاطرْ
غابت أو عادت في صُوَرٍ أخرى في ذاكرةِ الذاكرْ
والحسنُ على الرملِ ترامَى كخيالِ الأصباحِ الباكرْ
أتملاَّه وكأنّ به ألحاناً مِن صُبحٍ آسرْ
حُبِسَتْ فيه فإذا صدحَتْ صدحَتْ في إيحاءٍ ساهرْ
وكأنَّ النظرةَ تَسْقيني خمراً مِنْ مَعْنَاهُ الطاهرْ
فإذا الأجسامُ مقدَّسةٌ كمعاني الصوفيِّ الحائرْ
تُشتاقُ ولكنْ عِزَّتُهَا خُلِقَتْ للنظرةِ لا الناظرْ
تَهْوي الأهواءُ مبعثرةً وتُثلِّمُ كالضَّوْءِ الخائرْ
ويطوف الناسُ بكعبتِهِ وهو المستأنسُ والنافرْ
بالَى العُبَّادَ وما بالَى فصلاتُهمو قلَقٌ زاخرْ
وصلاةُ البحرِ صلاتُهمو كم يَشفى البحرُ بلا عاذرْ

جذبتْهُ إلى الحسنِ مَعانٍ   والشطُّ به لاوٍ غادرْ
ويَبُثُّ الزفرةَ في زبَدٍ   يَفْنَى كالشوقِ المتناحِرْ
وإذا الساعاتُ تمرّ سُدىً   إلاّ للفنّانِ الماهرْ!

لفتة الوداع

(عند شاطئ استانلي في ٩ سبتمبر سنة ١٩٢٤)

حانَ الوداعُ فناجِ ما   سَمحَ الجمالُ به وَصَلْ
يا قلبُ ما بَعْدَ الودا   عِ سوى أسى العيشِ المملّ

خُذْ ما استطعتَ مِنَ الأشعّةِ في التأمُّلِ والتَّمَلّي

ومن انسجام الحسن في   نورٍ على ظلٍّ وظلّ
ومن الغروب، وشمسُه   وهَجٌ على وهجٍ أجلّ
والسُّحبُ تسبحُ فوقها   في قُرصِها الناريِّ مثلي
حتى تغيبَ وعندها   أهوِي إلى شجني المُضِلّ
أهوِي كما تهوي إلى الـ   ـبحرِ العظيمِ المستقلّ
متلاطماً بالموج في   ظُلَمٍ على ظُلَمٍ وذُلّ
خُذْ يا فؤادي وادّخرْ   كالنّمل من حُسنٍ ودَلّ
فالحسنُ زادي والبعا   دُ رفيقُ حرماني وليلي
هذي كنوزٌ لا تُحَدُّ   وكلُّها بُعثرنَ حولي

خُذْ وادَّخرْ منها! لعلّي أستجمّ بها! لعلّي!

البشبيشي الشاعر[1]

(إلى صديقي الأديب الكبير محمود البشبيشي)

يا صديقي الذي تَجلّى بألوانٍ مِن النبْلِ في مَعاني الأديب
ما عَزائي الوفيُّ في خَطْبكَ المُدْمى قُلوباً في فَقْدِ هذا الحبيب؟
أسْرَةُ الشِّعرِ بيتُكم وابنُكَ الرَّاحلُ مِنْ نفحةِ الخيالِ العجيب
كان رمزاً للشِّعرِ في عيشهِ الحُرِّ وفي رُوحهِ الجميلِ الخصيب
أيُّ لحْنٍ يَرثيهِ إلاّ حنانٌ مِن أبٍ للأبِ العظيمِ الأريب؟
فاضَ مِنْ مُهجتي كما فاضَ بركانٌ بذوبٍ من الحميمِ اللهيب
شَدَّ هذا الحنانُ مِن مُهجةِ الشاعرِ في موقفِ الوداعِ الرهيب
صُنْتُه عنكَ... إنَّ مَحْضَ عزائي ووفائي لونٌ من التَّعذيب
وسألتُ الشموسَ أن تُرسلَ النورَ مُعيداً لقلبكَ المسلوب
وسألتُ الحياةَ في كلِّ شيءٍ أنْ تُغنِّي نشيدَ هذا المغيب
وتميطَ اللّثامَ عن ذلك الخافي مِن الحُسْنِ في رحيبِ الغيوب
لِتَشيمَ النعيمَ في مُلكهِ الحافلِ بالحُبِّ لا الأسى والنحيب
في سماءٍ من صُحبةِ (الشاعرِ الأسمَى)[2] وفي حُسنهِ النضيرِ القشيب
حيث يُوحي لنا بما يَبعثُ الرَّحمةَ والحُبَّ في الفؤادِ الجديب
ويُغَنِّي لنا بأسمى عزاءٍ لبكاءِ الصِّبا ونوحِ المشيب

---

[1] هو الشاعر الكبير النابه محمد أبو الفتح البشبيشي وقد توفي في ١٥ سبتمبر ١٩٣٤.

[2] الخالق سبحانه وتعالى.

غولِ الحرب

ألا تَستحي يا حاصدَ الناسِ بعد ما حصدتَ ملايينا حصادَ خرابِ؟

ألا تستحي؟ لكنْ لمن أنت تَستحي إذا الناسُ ألقَوْا حظَّهم لكلابِ؟!

لقد تركوا دُنياهمو رهنَ عُصبةٍ[1] تُهيِّئُ للتَّدميرِ كلَّ سبيلِ

وما فقهوا أنّ الحياةَ فُنونُها فنونُ سلامٍ لا فنونُ عويلِ

ولولاهمو كان التعاونُ مِلَّةً تُقَدَّسُ والإنسانُ سيّدَ نفسهِ

ولم نَبْقَ أشباهَ الضواري كأننا أعارٍ، فكلٌّ في أحابيلِ رَمْسِهِ!

خراب الفلاح

(مرفوعة إلى الشريف عباس حليم)

مَنْ ذا سِواه المُعاني ونحن أهلُ المَغاني؟

إذا شكونا فعَدْلٌ فكلُّنا شِبْهُ جاني

يا للضرائبِ باتتْ هي الخرابُ الثاني

كأنما ما كفاهُ عَيْشٌ عديمُ الأماني

عَيْشٌ؟ وهل ثَمَّ عَيْشٌ على رَدىً وامتهانِ؟

أبناءُ (مصر) المواضي مِنَ البعيدِ الزَّمانِ

هذي القذارةُ رَمْزٌ لهم بكلِّ مكانِ

هذي البيوتُ قبورٌ تموتُ فيها الأغاني

أمَّا الطعامُ فوَهْمٌ أمَّا الكساءُ ففانِ

---

[1] عصابة أصحاب المصانع الحربية ومن إليها.

والكــلُّ شِــبهُ مــريضٍ يُســامُ خســفَ الجبــانِ
ومــا لهــم مِــنْ صـديقٍ ومــا لهــمْ مِــنْ ضــمانِ
فيــا نبيــلَ المســاعي لأنــتَ أكــرمُ بــاني
كــم عامــلٍ في هــوانٍ أغثتَــهُ مِــنْ هــوانِ
فانقــذْ أخــاهُ وحقِّــقْ رجــاءَ شــعبٍ يُعــاني

رسَّامة الآثار

(إلى الآنسة الشاعرة جميلة العلايلي في منفاها باسوان)

رسَّــامةَ الآثــارِ تَفتنهــا الـدّمى أتــرى فَتنــتِ روائــع الآثــارِ؟
وافــتْ رســائلُكِ العزيــزةُ بالهـدى والــوَحْي مِــنْ ملكوتهــا الجبَّــارِ
قــد كنــتِ طــائرةً بنشــوة ســاحرٍ جــازَ السَّــماءَ لعــالمٍ ســحَّارِ
والآنَ في شــكواكِ عُــدْتِ قريــرةً في جــيرةٍ تســمو بــروحِ الجــارِ
فــإذا اكتئابُــكِ كالغمــامِ مصــفقٌ وإذا قَــرارُكِ صــارَ غــيرَ قــرارِ
روحٌ كروحــكِ كالشــموسِ تَعــدَّدتْ وتَغيــبُ إدراكــاً عــن الأبصــارِ
لا بِدعَ إنْ شــاقتكِ أطيــافُ السَّنَى مــا بــينَ آثــارٍ وبــين صــحارى
عكســتْ بمرآهــا السِنينَ ومــا طوتْ مِــن رائــعِ الأحــداثِ والأســرارِ
وحَنَتْ علــى (أنــسِ الوجــودِ) كأنما تحنــو علــى معبودهــا المختــارِ
الهيكــلِ البسَّــامِ بــين حريقــهِ عنــد الغــروبِ وبــين دَمْــعٍ جــارِ
فيــه الحــنينُ مــع الأنــينِ تجاوَبــا كتجــاوبِ الآصــالِ والأســحارِ
غــرقَ الجمــالُ شــهيدَها في عَثــرةٍ ولــوَ انَّــهُ حَــيٌّ علــى الأدهــارِ

ويُخـال (أوزيـريسُ) في إيحائـهِ قـد عـاد رغـمَ عـدوِّه الغـدَّارِ

و(سِتُ)الخؤونُ على الصخور بذلّةٍ جـاثٍ وتلطمُـه يـدُ التيَّـارِ

ودمـوعُ (إيـزيسٍ[1]) يُحـاولُ طُهْرُهـا تطهـيرَه فيظـلُّ رهـنَ العـارِ

مـا شـئتِ عنـدكِ مِـنْ فُنُـونٍ حُـرَّةٍ للشـعرِ مـا يُزْهَـى علـى الأشـعارِ

فلئنْ نُفيتِ – وللسياسةِ غَدْرُها – فـالنفيُ بعـضُ كرامـةِ الأحـرارِ

إنَّـا سواسـيةٌ بمـا نَشْـقَى بـه وكأنَّنـا هَـدَفٌ لـدى الأقـدارِ

لم يَبْـقَ مِـن صُـوَرِ العـزاءِ لمثلنـا إلاّ عـزاءُ النفـي والأسـفارِ

إنـي بمنفـىً هائـلٍ مِـن عُـزلتي وكـذاك أنـتِ بلـوعتي وبنـاري

لا سـلمَ للقلـب الأبـيِّ وحولـه دُنيـا مِـن الأقـذارِ والأكـدارِ

لا سـلمَ إلاَّ في مخادعـةِ المُنَـى بـالفنِّ نُسْـدِلُهُ علـى الأوغـارِ[2]

فلقد طغَى الشَّرُّ العميمُ وأصبحتْ (مصـرُ) الحزينـةُ دولـةَ الأشـرار

سؤال النحلة

جـاءتْ تُسـائلُ نحلـتي السـمراءُ: "أيـن الزَّعفـرانْ؟

أيـن افتتـانُ النَّـرجسِ الغَـضِّ وأيـن العَيْسَـلانْ؟

أينـتْ حُلَـى السِّـيراسِ والسُّـنْبُلِ، أحـلامُ الحسـانْ[3]؟

أينـتْ جواهرُهـا؟ وهـل ضـاعتْ كمـا ضـاعَ الزَّمـانْ؟"

فأجبتُهـا: "يـا نحلـتي للزَّهـرِ أعمـارٌ تُصـانْ

---

[1] ماء النيل – وست هو أخ أوزيريس وقاتله بخدعته المشهورة.

[2] الأوغار: الأحقاد والأضغان.

[3] الزعفران crocus، والعيسلان hyacinth، والسيراس daffodil، والسنبل (التوليب) tulip، وجميعها من أزهار النحل الشائعة.

عُمْرٌ لنصرتِه وعُمْرٌ في البُذُورِ على أوانْ
وسواهما عُمْرٌ لأخيلةِ الفُنونِ وللبيانْ
وَلأَنْتِ شاعرةُ الشواعرِ والخبيرةُ بالجِنانْ
وَلأَنْتِ أدْرَى مِنْ خيالي بالجمالِ والافتنانْ
فتمثَّلى مِثْلي الربيعَ وجوَّه السَّلِسَ اللَّيانْ
وتَمتَّعي. في الحُلْمِ بالزَّهرِ الذي وَلَّى وبانْ
الآنَ يَحيا عِطْرُهُ في الذكرِ مِنْ بَعْدِ البنانْ
والآن داعبَ تِبرُهُ تِبرَ الأشعَّةِ في أمانْ
هو مِلءُ أنظارِ الفنونِ وإنْ يَغِبْ دونَ العيانْ
فتأمَّليهِ، تأمَّلي! وتناولي منهُ الجُمَانْ
وتَرنَّمي وكأنَّما عادَ الربيعُ المُسْتَلانْ
خيرٌ لنا دُنيا الخيالِ تَعفُّ عن دُنيا الهَوانْ
ومِنَ ابتهاجِكِ وابتهاجي قد تُصاغُ قصيدتانْ
أنا عازفٌ بِهِما كعزفِكِ إنْ أساءَ لنا الجبانْ!"

يوم في سنتريس

(مهداة إلى الصديق الدكتور زكي مبارك ذكرى زيارتنا لسنتريس
يوم الجمعة ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٤)

يا يومَ إيناسي الذي لم يَنْفَدِ ... ما زلتَ في خَلَدي وإنْ لم تُخْلَدِ
بل أنتَ في الخُلدِ الأَتمِّ مُشعشَعاً ... في الذكرياتِ موزَّعاً في المَشهدِ
نشوانُ مِنْ لقياكَ، لم أبرحْ كما ... لاقيتُ أُنسكَ في سَناكَ السَّرْمدي

جعلَ الصديقُ بكَ الضيافةَ نعمةً ... لا تنتهي، ومآثراً للمفتدي
خُلِقَتْ مِن الإحسانِ حتى أنني ... أُنسيتُ ما يَجني الزَّمانُ المعتدي

*****

يا يومَ إيناسي الذي لم يَنفَدِ ... ما زلتَ في خَلدي وإنْ لم تُخْلَدِ
جئتنا أشباهَ العُفاةِ هوايةً ... للحسنِ، لا كالبائسين القُصَّدِ
فإذاهُ[1] يُنْهَلُ فيكَ بين مُذَوَّبٍ ... شَبِمٍ، ويُلمَسُ فيكَ بين مُجَسَّدِ
والحُسْنُ أكرمُ ما يكون لكارمٍ ... والحسنُ أبخلُ ما يكون لمجتدي
مَثلَتْ معاني الصفوِ في قسماتهِ ... وجرَى الهوى جرْيَ المعاني الشُّرَّدِ
ما نالها إلاّ التصوُّفُ وحده ... بنهى الإلهِ العبقريِّ الأَوحدِ
هذي (الطبيعةُ) في جلالةِ مُلكها ... إنَّ الجلالةَ بالسذاجةِ تَبتدي
بَسمتْ إليَّ فكان في بسماتها ... مِن عالمِ المجهولِ آيةُ مُوجِدي
بَسمتْ ورتَّلتْ الحياةُ نشيدَها ... وكأنني بنشيدِها في مَعْبَدِ
أنّى التفتُّ فُتِنْتُ مِنْ أطيافها ... ولمحتُ ملءَ الغيبِ ما لم يُوجَدِ
وأُصيخُ للذُّرةِ التي وَقفتْ كما ... وقَفتْ جنودُ الدَّهْرِ للمتمرِّدِ
فتنمُّ عن أسرارهِ في صَمْتِهَا ... وتحنُّ مثلي للخفيِّ المُبْعَدِ
وأراقبُ الريَّاحَ[2] يزخرُ مَوجُهُ ... بالذكرياتِ وبالحنينِ إلى الغدِ
ونَمُرُّ في الطُّرُقِ الوديعة صانها ... مِنْ شامخِ الأشجارِ كلُّ مجنَّدِ
والجدولُ الجاري كمرآةٍ لها ... وبهِ من الآبادِ ما اشتاقتْ يدي
غسلتْ عَذارَى الريفِ جيرةَ شَطِّهِ ... حُللاً كأصباغِ الخريفِ العسجدي
متضاحكاتٍ والخريرُ كأنّه ... أصداءُ فرحتهنَّ في الماءِ الصَّدِي[3]

---

[1] أي الحسن.
[2] رياح المنوفيّة.
[3] الظمآن إليهن.

ونـزورُ سـاقيةَ الصَّـديقِ وعنـدها ... للـــذكرياتِ مَـــدامعٌ لم تُعْهَـــد
ونَـرى الصـبابةَ في النـواحِ وطالمـا ... بـالأمْسِ غنـتْ بالنشـيدِ المُسْـعِدِ
ونمـصُّ مِنْ قَصَـبٍ يطيب لنـا كمـا ... تلـهو الطفولـةُ في رضـىً متجـدّدِ
ونـزورُ مِـنْ تلـك المنـازلِ وادعـاً ... لكنمـــا خلقتْـــه عِـــزَّةُ سَـــيّدِ
ونَـرى الجمـالَ كأنمـا إفصـاحُهُ ... عـينُ الغمـوضِ لباحـثٍ متفقّـدِ
نَدريـهِ بـالحسِّ الخَفـيِّ وإنْ يكـنْ ... مـلءَ النـواظرِ والمسـامعِ واليـدِ
نَدريـهِ مِـنْ رُوحِ البصـيرةِ قبـل أن ... يُـــدْرَى بلحـظٍ عاشـقٍ متـودّدِ
فـإذا الجمـالُ هـو الحيـاةُ، وسِـرُّه ... هَـدْيُ الموفَّـقِ أو ضَـلالُ المُلحِـدِ
وإذا الألوهــةُ لا تَلــوحُ لجاحــدٍ ... وتَلـــوحُ للمتلـــهّفِ المتعبِّـــدِ!

*****

يـا يـومَ إيناسـي الـذي لم يَنْفَـدِ ... مـا زلـتَ في خَلَـدي وإن لم تُخْلَـدِ
حَفَلَتْ بمجدِكَ (سِنتريسُ) وعيَّدتْ ... في كـل مـا يهـواه قلـبُ مُعَيِّـدِ
قـد جئـتَ مِنْ وطـنِ الجمـالِ مفوَّقـاً ... بأشـــيةٍ ومنمَّقـــاً بزبرجـــدِ
فـإذا بأهليهـا غَنُـوا عـن كـلِّ مـا ... يُغني سوى شرفِ النُّهى والمحتِدِ
حتـى النبـاتُ لـه ازدهـاءُ مُسـوَّدٍ ... ولـوَ انَّـهُ يَلقـى عنـاءَ مُسـوَّدِ
والبركـةُ الخضـراءُ آسِـنُ مائهـا ... في عِـزَّةٍ مِـن شـوقنا المـتردِّدِ
ومِـن الـدُّيوكِ علـى السـطوحِ مـؤذِّنٌ ... وكأنمـا هـو في صَـلاةِ المهتـدي
ومِـن السـوائمِ مـا يُجَـلُّ فُتونُـه ... بـالمنظرِ الحـالي وبالعُشْـبِ النَّـدي
حتـى رجعنـا في غِنـىً لم يَنْفَـدِ ... مـلءَ العواطـفِ والنُّهـى متعـدِّدِ
لم تَفتقـده[1] وإن نكـنْ نُؤنـا بـه ... كأحـبِّ مـا يَطغـى الهـوى بمصـفَّدِ
سـكنتْ إلى الرَّيَّـاحِ غـيرَ أسـيرةٍ ... بينـا انطلقنـا في هَـوَى المُسـتعبَدِ

---

[1] بريد سنتريس.

والليـلُ كالمسـحورِ حيث تُقِلُّنـا
سـيَّارةٌ طـارتْ كطـيرٍ ممـرَّدِ

تتراقَـصُ الأشـباحُ في أفيائِـه
مـا بـين عَـزَّافٍ وبـين مُغـرِّدِ

ومنسَّـقُ اللـبَخِ المهيـبِ برهبـةٍ
هـي كالتأمُّـلِ للأبـيِّ الأيِّـدِ

وتعـودُ ألـوانُ المفـاتنِ بعـدَ مـا
ذهـبَ الغـروبُ بهـا ذهـابَ مُبـدِّدِ

فكأنَّهـا بُعِثَـتْ مِـنَ الأبَـدِ الـذي
طاحـتْ إليـهِ على الخيـالِ المُزبِدِ

وكأنَّهـا غمـرتْ جميـعَ كيانِنـا
فَرَجَعْـتُ في حُلْمـي بـأروعِ سُـؤْدَدِ

حُلْمٌ طَوَى صُحُفَ الدُّهُورِ ولم يَدَعْ
عنـد الطبيعـةِ مـا استَسـرَّ بجلمَـدِ

أو مـا تَحجَّـبَ كـالظُّنُونِ بخـاطرٍ
للكـونِ في هـذا الأثـيرِ المُفْـرَدِ[1]

حُلْـمٌ هُـوَ الفـنُّ الجميـلُ وإنْ يكُـنْ
إبهـامَ إحسـاسٍ بـرُوحٍ مُخلَّـدِ

والنـاسُ تَرقبُنـا فـتلمحُ نَشْـوَةً
كـبرى فتتبعُهـا ظنـونُ الحُسَّـدِ

وكأننـا عُـدنا نُبشِّـرُ بـالهوَى
والحُسْنِ في دنيا العُقـوقِ لتهتَـدِي

*****

يـا يـومَ إيناسـي الـذي لم يَنْفَـدِ
مـا زلـتَ في خَلَـدي وإنْ لم تُخلَـدِ!

في مولد السيدة زينب

ضَـحكنا للـهمومِ وقلـتُ: هيَّـا
نُضِـلُّ همومَنـا بـين الزّحـامِ!

فسـرنا في مواكـبَ حاشـداتٍ
تَـدَفَّقُ كـالظلامِ علـى الظـلامِ

ولا يُجـدي عليهـا النُّـورُ إلاَّ
كمـا تُجـدي تهاويـلُ المنـامِ

فودَّعْنـا التـنفُّسَ حـين سِـرْنا
فكيـف إذنْ بتوديـعِ الكـلامِ؟!

وأظمأَنـا الزّحـامُ فمـا شَـربنا
سـوى فـرطِ الأوامِ علـى الأوامِ

---

[1] المفرد: المستقل المتحرر.

وكنـا قـد نسـينا السُّحبَ حتـى ... رأينـا البـدرَ يَسـبحُ في الغمـامِ

ويَشـرب راحَـه، ولكـم شَـربنا ... مِـن الأضـواءِ راحَ المسـتهامِ

ولكـنْ هـذه سـاعاتُ وهـمٍ ... تخلَّـتْ عـن تَعـلاّتِ الغـرامِ

وقـد ثـار الغبـارُ فصـار مَعْنـىً ... لغـيرِ السـلمِ في مثـل القَتـامِ

ونحـن نسـيرُ إعجـازاً كأنـا ... خُلِقْنَـا للزحـامِ بـلا عظـامِ

نسـيرُ ويـدفع التيّـارُ دفعـاً ... جُسـوماً في موائجـهِ الجسـامِ

كـأنَّ (النيـل) فـاض فكـان خَلقـاً ... وكـان حُطامُـهُ صُـوَرَ الطَّغـامِ

وكـم مِـنهم ولـيٌّ في ثيـابٍ ... مضـمَّخةٍ بـألوانِ الحـرامِ

يَشُـقُّ الجمـعَ مَزهُـوّاً قريـراً ... ولـيس سِـواهُ مـن أهـل "المقـامِ"

كـأنَّ مَعـالمَ الزينـاتِ قامـتْ ... تتوّجـهُ علـى المُهَـجِ الـدَّوامي

يُبـاركُ كـلَّ مكلـومٍ عليـلٍ ... ومِـنْ أمثالـهِ عِلـلُ الكـلامِ

وتُلْـثَمُ راحتـاه، ولـيس أوْلى ... بلثمهمـا سـوى حَـدِّ الحُسـامِ

مَهـازلُ في المواسـم صـارخاتٌ ... كـأنَّ الرُّشـدَ نُهْـزَةُ الانتقـامِ

إذا راجـتْ بهـا الأسـواقُ كانـت ... رواجـاً للرذيلـةِ والتعـامي

مَواكـبُ مـا لهـا عَقـلٌ وإلاّ ... فـأحلامٌ تنـوءُ بالاصـطدامِ

كـأنَّ البعْـثَ أخرجَهـا مَرَايـا ... لأنـواعِ الخصـومةِ والوئـامِ

نَسـيرُ ويَزخـرُ الميـدانُ حتـى ... ليزخـرُ بـالكرامِ وباللئـامِ

قد انسجموا على صُوَرِ اضطرابٍ ... فسـاءت في اضـطرابٍ وانسـجامِ

وألـوانُ الطعـامِ تفـوحُ حتـى ... تُخـالَ سِـلاحَ أعـداءِ السـلامِ

"فللأحشـاءِ" مـا شـاء المنـادي ... تهاويـلُ الدعايـةِ للحِمـامِ

"ولـلأرْزِ" المفلفـلِ في صَـوانٍ ... صِـياحٌ جَـرَّ أنـواعَ الخصـامِ

"وللحلـوى" علـى العربـاتِ نجـوَى ... لشـوقِ الأمِّ أو شـوقِ الغـلامِ

تمـــوجُ الطُّـــرْقُ بــــالآلافِ مَوْجـــاً نشـــاوَى أو ضـــحايا للســـقامِ
فلـــيس بهـــم لمبتســـمٍ مكـــانٌ فـــإن يَبْسِـــمْ تَعَثَـــرَ في ابتســـامِ
وتَنـــبحُ بيـــنهم بـــالزَّمرِ شَـــتَّى مِـــن العربـــاتِ أو قُطُـــرِ الـــترامِ
كـــأنَّ الحشـــدَ أرهقهـــا جُنُونـــاً فلـــم تعبـــأ بمعنـــى الاحتشـــامِ
تَعلَّـــقَ كـــلُّ منكـــوبٍ عليهـــا فمـــا لاحـــوا بهـــا مُثُـــلَ الأنـــامِ
وطبَّـــلَ غيرُهـــم والـــرَّقْصُ يَـــدْوي وأعـــلامُ المشـــايخ في احتـــدامِ
وأمـــواجُ الجمـــوع تُصَـــبُّ صَـــبّاً إلى حَـــرَمِ الزِّيـــارةِ في عُـــرامِ
وأخـــرى في تَـــدَفُّقِها حيـــارَى وقـــد أوْدَى بهـــا عَبَـــثُ الحرامـــي
وهـــذا القِـــرْدُ يلعـــبُ في ســـرورٍ كـــأنَّ ســـرورَهُ سُـــكرُ المـــدامِ
وهـــذا البهلـــوانُ الطفـــلُ يَمشـــي علـــى رأْسٍ تـــدحرجَ في الرَّغـــامِ
وهـــذي الطفلـــةُ الحســـناءُ تلـــهو بـــرقْصٍ للأنوثـــةِ في اضـــطرامِ
مَفاتِنُهـــا بعيْنيهـــا تـــراءتْ فكيـــف إذا رأت دَوْرَ اللثـــامِ؟!
وكـــم مِـــنْ باعـــةٍ ســـرحوا وكـــانوا شُـــكولَ النـــابغينَ مِـــنَ اللئـــامِ
وكـــم فـــوقَ الحوانيـــتِ ابتهـــاجٌ بأضـــواءٍ كأوســـمةٍ سَـــوامي
وعنـــد الجـــامع المعبـــودِ شـــتَّى مِـــن الزِّينـــاتِ مشـــرقةُ النظـــامِ
يَضـــيع جمالُهـــا وكـــأنَّ مَـــرْأى مَفاتِنهـــا حُطـــامٌ في حُطـــامِ
كمـــرْأى الجـــائعين وقـــد تهـــاوَوْا علـــى قِصَـــعِ الـــدَّنيءِ مِـــنَ الطعـــامِ
ومَـــرْأى كـــلِّ فـــلاَّحٍ شَـــرودٍ فمـــا يـــدري الـــوراءَ مِـــنَ الأمـــامِ
ومَـــرْأى كـــلِّ غانيـــةٍ لعـــوبٍ أحـــقّ مِـــنَ المهـــارةِ باللجـــامِ
ومَـــرْأى كـــلِّ راضـــعةٍ وبـــاكٍ وســـاقي الشّـــربِ كـــالموتِ الـــزُّؤامِ
ومَـــرْأى كـــلِّ شـــحَّاذٍ أصـــيلٍ يَلـــوحُ بعـــزَّةِ البطـــلِ الهُمـــامِ
ومَـــرْأى اللاَّعـــبين وإنَّ مـــنهم لأحـــلامَ الطفولـــةِ كـــلَّ عـــامِ

ومَــرْأى التــائهينَ ولــيسَ فــيهمْ سـواي أضـلُّ في هـذا الزِّحـامِ!

رثاء الشابي

أبا القاسم الشابي! أبا القاسم الشابي! مَكانُـكَ في الأُخـرى مَكانـةُ أربـابِ
أبَـى الخـالقُ الفنَّانُ جلَّتْ فُنونُـه لمثلِـكَ إلاَّ الخُلْـدَ في دارِ أحبـابِ
ومـا المبـدعُ الفنَّـانُ إلاّ أشـعَّةٌ مِـنَ اللهِ لم تَرجـعْ كرجعـةِ غُيَّـابِ
سَقتنا رحيقَ الفنِّ صِرْفاً وودَّعَتْ فـأين مُـذَابُ النُّـورِ يمـلأُ أكـوابي؟
وأين الجمالُ العذْبُ ألحانَ شاعرٍ خوالجُهـا للفـنِّ أسـبابُ أسـبابِ؟
وأيـن الـذي يَدري خفايا نُفُوسِنا علـى البُعْدِ وصَّـافَ الحياةِ بإسـهابِ؟
وأيـنَ الـذي آياتُـهُ في تَصدُّفِ فـواتنُ أقطـابٍ تَفـانَوْا وأقطـابِ؟
مَضَتْ ومضى! يا هَوْلَ مأساةِ عالَمٍ عجائبُـهُ[1] كـادت تُقَـوِّضُ إعجـابي
كـأنَّ جمـالَ الفجـرِ لمّـا تركتَـهُ[2] تَشـكَّلَ في روحٍ كروحِـكَ وثَّـابِ
فعلَّمـني نَـوْحَ الخريـفِ ووَجْـدَهُ وأسهبَ في معنى مِن الشِّعرِ خلاَّبِ
وأشـبعني حُزْنـاً عميقـاً مجـدَّداً بأصباغِهِ الحسرى وإنْ نِلْـنَ تَرْحابي
ونـاولني هـذا الرثـاءَ أشـعَّةً حبيسـةَ ألفـاظٍ، طليقـةَ آرابِ
تُبشِّـر بالحـبِّ الأريـجِ، وحظُّهـا جمالٌ من الأحلامِ والفكرِ والدَّابِ
لهـا لهفـةٌ مثلـي، وكم عند لهفتي مِـنَ الأدبِ المعبـودِ غايـةُ أنسـابِ
فكـلٌّ عـن البـاقين يَبكـي بكـاءَهم وكـلٌّ لـه دمـعٌ دفـينٌ بتسـكابِ
تَغلغلَ فيـه الشَّـجْوُ صِرْفاً كأنمـا يفـيض بـوحيٍ مِن غنائكَ مُنسـابِ

---

[1] عجائبه: غرائب شذوذه ونقائضه.

[2] توفي الفقيد في فجر اليوم التاسع من شهر أكتوبر سنة ١٩٣٤.

أنوبُ عن الرَّاثين مِثلي ولم أنُبْ ... كذلك مَنْ نابُوا فليسوا بنُوَّابِ
تَنَوَّعَتْ الأحزانُ فيمن حياتُهُ ... وإنجابُه أنواعُ حُزنٍ وإنجابِ
وما الفقدُ للفنِّ الجميلِ بهيِّنٍ ... فمن عُمْرِهِ عُمْرٌ لدُنيا وأحقابِ

*****

أتاني كتابُ الودِّ عنك وطيُّهُ ... نَعِيُّكَ! يا للَرَّوْعِ ينسفُ أعصابي!
أيُفرحني دهري ويُحزنني معاً؟! ... نعم! هو جانٍ لا يُبالي بإغضابِ
لقد هدَمَ الدُّولاتِ مِنْ قَبلُ هازئاً ... ولم يَخشَ مِنْ خصمٍ وغضبةِ حَسَّابِ
وقد عاندَ الآمالَ حتى تعثّرتْ ... فلم يبق للدنيا سوى الأمل الكابي
وما (تونسُ) الخضراءُ بعدكَ جنّةٌ ... ولا نجمُكَ الخابي سوى نجمِها الخابي
ولكنَّ للشعرِ العظيمِ على المدى ... مِنَ الثأرِ ما يقضي على عسفِهِ الآبي!

*****

صديقي! صديقي! أيُّ حزنٍ ينالني ... وأيُّ شجونٍ تستهينُ بأرهابي؟
كأنَّ أغاني الكونِ قد غالها الثرى ... فطاحتْ كما طاحت أناشيدُ ألبابِ!
ألستَ الذي ناجَى الطبيعةَ كلَّها ... وترجمها سحراً سَرِيّاً لآدابِ!
ألستَ الذي غنَّى الأنوثةَ كلَّ ما ... يُعبِّرُ عن أسمى الصلاةِ بمحرابِ؟
ألستَ الذي قد عاشَ في الناسِ ساخطاً ... وفي الفنِّ مسروراً وحيداً بأوصابِ؟
ألستَ الذي قد ماتَ في غُربةِ الضَّنى ... وبَشَّرَ بالعوْدِ القريبِ لمرتابِ[1]؟
وما حجَّبتهُ عن رُؤَى الحكمةِ الورى ... إذا خذلَ الأحلامَ سَطوةُ حُجَّابِ؟

*****

رحلتَ صديقي بعد ما جئتَ مُوصياً ... بشعرِكَ، فارحلْ غيرَ خاشٍ وهيَّابِ!
أنا حارسُ الفنِّ الذي أنتَ ربُّهُ ... وهيهات خِذلاني مواهبَ وهَّابِ
ولكنَّ لي فيما نظمتَ مَدامعاً ... قصائدَ لم تُعلن — وإن أعلنتَ — ما بي

---

[1] كانت هذه آخر كلماته عند وفاته.

تَلُــوحُ بأثْنــاءِ الســطورِ لشــاعرٍ فرُوحيَ مِن نفسي وأرواحِ أترابي

الرحيق الإلهي

فِي غـادتي، فِي زَهرتـي، فِي نَحلـتي وبكـلِّ حُسـنٍ كالحنـانِ لُمهجَـتي
خَمـرُ الأُنوثـةِ: نشـوتي بـل فتـنتي وعبـادتي، فعبـادتي مِـنْ فِتـنتي
شملَـتْ مَعانيهـا خـواطرَ نِعْمـتي وشـأَتْ تعـاريفَ الجمـالِ للـذَّتي
مـا بـينَ إبهـامٍ وبـينَ إبانـةِ

يا بني القبط!

يا بني القبط! يا بني مصر! هل مِصْــرُ سـوى الفَـنِّ فِي جـلالٍ أبـيّ
إنْ يَفُـتْكم تقديسـهُ الـدائمُ العَهْــدِ فلستمْ مِنْ مصـرَ فِي أيِّ شـيّ
أمـةُ الفـنِّ والحضـارةِ والحكــمةِ والعلـم والطُمـوحِ العَـتيّ
مِـنْ بنيهـا أنـتم، فكيـف غفلـتمْ يـا بنيهـا عـن رُوحِهـا الفَنِّـيّ
أيـن آثـارُكمْ سـوى بعـضِ مـاضٍ جمعتْـه يـدُ الشـريفِ السَّـريِّ[1]
كيـف لا تنهضـون بـالأدبِ الغـالـي وبـالفنِّ مِـنْ دفـينٍ وحَـيّ
كلُّكـمْ مُشـرقُ الـذكاءِ فعُـودوا بشـموسٍ مِـنْ أمسِـنا العُلْـويّ
أينَ أينَ التصويرُ واللَّحنُ والشِّعْــرُ وإنصـافُ مجـدِنا العبقـريّ؟
تـدِ قَنعـتمْ بزخـرفِ العيشِ حتـى قـد نسـيتم نـداءَه الروحـيّ

[1] مرقص سميكة باشا مؤسس (المتحف القبطي).

هـذه وحشـةُ (الكنيسـةِ) تُشـجي ... أيـن ألحـانُ عصـرِها الـذهبيّ؟

كيـف تَبقـى عديمـةً مِـن غِنـى الفنْـ ... وهــل غــيرهُ الوضِــيءُ الغــنيّ؟

زُرْتُهــا أشــتهي هنــاءً لروحــي ... بشــــعورِ المُنَـــزَّهِ الصــــوفيّ

فــإذا بــي أعــودُ في ألمِ الحَسْـــ ... ـرَةِ مِـنْ حالهـا الشـجيِّ الشـقيّ

كـلُّ لحْـنٍ يمـوتُ فيهـا قبيـلَ الـ ... ـعَزْفِ حتـى وإن يكـنْ كالـدَّوِيّ

ومضَـــتْ مِثلَـــهُ فُنـــونٌ غـــوالٍ ... مُـذْ تولَّـتْ عـن سِـحْرِها القبطـيّ

فانهضـوا غفلـةَ القـرونِ وهبُّـوا ... للجمـــالِ المقـــدَّسِ السَّـــرمديّ

أنْصِفُوا أمسَكمْ فليس سوى الفنِّ ... جمـــالٌ أو عـــزةٌ مِـــن نَبِـــيّ!

بيت العنكبوت

قا لي العنكبوتُ: "يا صاحبي الشا ... عــرَ لم تَــدرِ أيَّ فــنٍّ بنَيْـــتُ

أنـتَ مَـنْ يَـدَّعي الضـآلةَ والضّعـ ... ـفَ لبـيتي، والبيـتُ بـالفنِّ بيـتُ

أيـنَ هـذا مِـنْ شـعركم أيهـا النـا ... سُ ومــا فيــهِ مِــنْ غُــرورٍ ووَهْــمِ؟

قــد خلَقْــتُمْ مِــنَ الخيــالِ بيوتــاً ... وأنــا مِـنْ صـميمِ ذاتـي وجسـمي

لـيس للفــنِّ مِــنْ نصـيبٍ لـديكم ... وهــو عنـدي اللبـابُ في كـلّ شــيٍّ

تضربونَ الأمثالَ بالضعفِ عندي ... وهـــو حِـذْقُ المهنـدسِ العبقـريِّ

كـم عجيـبٍ فيمـا بَنَيْـتُ جـديرٍ ... باقتـــداءٍ لـــو أنكـــم تُبصـــرونْ

قــد هــزأتمْ بحكمـتي وأنـا الغـا ... فــرُ في ضــحكتي لمـن يهـزأونْ!"

في معرض الأزهار

كلُّ زَهْرٍ كأنَّه الشَّمْسُ في القَدْ ... رِ وفي سِرِّهِ العميق الخفيّ
عَرَضُوهُ كأنما الناسُ أهلو ... هُ ولكنَّهم بجهلٍ وغَيّ!
أيُّ بأسٍ لنا على مُهجَةِ الشَّمْـ ... ـسِ أو النَّجْمِ عند رَصدٍ ورَسْمٍ؟
ذاك شأنُ الأزْهارِ! ليست مَبانيـ ... ـها سِوى الرَّمْزِ للجمالِ الأتمِّ
وقفَ الناسُ مُعجبين، ولي وَحْـ ... ـدي صَلاةٌ خفيَّةٌ في ضميري
أتملَّى الجمالَ في صُورةٍ جا ... زتْ حُدوداً للفهمِ أو للشُّعُورِ!

الطبيعة والناس

لا تَعجبوا... حُبّي (الطبيعةَ) وَحْدَها ... قد صانَ مِنْ حُبي لهذا الناسِ[1]
هي مَلجأي، كم في الحياة روايةٌ ... كروايةِ (الحلاَّج) و (الدَّبَّاسِ)!
أُعطي تَعاليمي السَّخيَّةَ في غِنىً ... عن مَدْحِ كلِّ مُقدِّرٍ تعليمي
فيعودُ مَنْ عَشقُوا الجُحودَ بذمِّها ... متنكرينَ كحالِ كلِّ لئيمِ
مُتظاهرينَ بحليتي وجواهري ... ومُفاخرينَ بكلِّ ما أعطيتُ!
يا للأنامِ وللضمائرِ! ما لها ... مَوْتَى؟ وكيف يَتيهُ فينا المَيْتُ؟!
سخرتْ بهم صُوَرُ (الطبيعةِ) عندما ... سرقوا فُنُونَ تَخيُّلي وبياني
وتَبجَّحوا كالمجرمين، فليتهم ... عرفوا حُقوقَ الفَنِّ للفنانِ
مِنْ كلِّ جِلفٍ خُلقُهُ كنعالهِ ... متنوِّعُ الألوانِ والترقيعِ

---

[1] أنظر مقطوعة "حياتان" في ديوان (أنداء الفجر) – ص ٣٧، وقصيدة "الفتات الغريب" في ديوان (زينب)، وقصيدة "الطبيعة" في ديوان (مختارات وحي العام) ص – ٨٦.

كم نال مِنْ جَدْوايَ فِي تعبيرهِ فهوًى، وهل يُرْجَى ثباتُ رقيعٍ؟!
الأدعياءُ المارقون، وكلُّهم غِرٌّ ولذَّتُهُ معَ الأغرارِ
لا يَعرفُ النُّورَ العزيزَ وإنْ يكنْ كالببغاءِ يَشيدُ بالأنوارِ
هذي النفوسُ المظلماتُ، فما لها والنورِ؟ إنّ النُّورَ لا يَرْضَاها
ظَلِمَتْ من الخُبْثِ الأصيلِ فأصبحتْ فيها الأشعةُ تستحيلُ دُجاها!
النُّورُ؟ ليس النُّورُ إلاّ مُهجتي! أنا مَنْ شدوتُ به سنينَ حياتي
نَبضتْ بأمواجِ الضياءِ عواطفي وانسابتْ الأمواجُ فِي ذرّاتي
وطلاقةُ الفنِّ التي لم يَنتصرْ غَيري لمبدئها وعرَّفَ كنهها
أيعيبُها الأحلاسُ مَنْ فُتِنُوا بها قبلاً ومَنْ نهلوا وذاقوا حُسنها؟!
عِشنا إلى زمنٍ نرَى أمثالَهم ونَرَى السوائمَ بالفخارِ تَصيحُ
ونَرَى المآثرَ للجحُودِ غبينةً ونرى الوفاءَ يُداسُ وهو جريحُ!

العيدان

(في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ لمناسبة قيام الوزارة النسيمية)

كم صِحْتُ فِي قومي، وصَيحةُ مُهجتي فوقَ الهوى ونوازعِ الأحقادِ
كم صِحْتُ أدعو للتوحُّدِ حينما يتهالكُ الكونَ تهالُكَ الأضدادِ
فَرُجِمْتُ حتى كدتُ أيأسُ مِنْ أسىً لولا تَوَثُّبُ مهجتي وفؤادي
وشُتِمْتُ ممن يجعلونَ همومَهم بَذْرَ الخلافِ وإن أفادَ العادي
فاليومَ يَنقطعُ النباحُ ويَعتلي خُلُقُ الرجالِ وحكمةُ القُوَّادِ
ويُصيخُ ربُّ العرشِ غيرَ محجَّبٍ عن شَعبهِ، ويسودُ صوتُ الوادي
ونرَى البناءَ وقد تَصَدَّعَ عائداً كمآثرِ الأمجادِ فِي الأجدادِ

لا خـيرَ في بنيـانِ قـومٍ قـائمٍ فـوقَ الخـلاف وفـوقَ كـلِّ عنـادِ

لا خيرَ في الأحزابِ حين رجاؤنـا عَهـدٌ لمصـرَ وللمليـكِ (فـؤادِ)

*****

مَـنْ مُبلـغُ الزعمـاءِ رُوحَ أخـوَّةٍ في يومنـا المعـدودِ في الأعيـادِ

عيـدانِ: عيـدٌ للجهـادِ وللمنـى وكلاهمـا أحيـاه طـولُ جهـادِ

العهد الجديد

(إلى صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا لمناسبة فوزه الدستوري

يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤)

صُنْ عَرْشَ (مِصر) وصُنْ (لوادي النيل) حرّيـةً تبقـى بقـاءَ (النيـلِ)

يـا مُنقـذَ الـوطنِ الجـريحِ ببأسـهِ وبحذقِـهِ المشـهودِ والمكفـولِ

هـذا هـو اليـومُ الـذي رجّيتُـهُ والشـعبُ بـين مصـفّدٍ وذليـلِ

وزعيمـهُ الأسمـى[١] يُحجّـبُ صـوتهُ وتحجّـب الأحـزابُ صـوتَ الجيـلِ

عن صـاحبِ العرْشِ المُفدّى حينما ضـلّتْ صـوالحنا بغـيرِ دليـلِ

كنْ أنتَ باسمِ الشعب واسم العرش مَنْ يُرْجَـى رجـاءَ مؤصّـلٍ ووكيـلِ

كـنْ مسـتبداً عـادلاً، فكفـى كفـى أضـغاثُ أحـزابٍ وبطـشُ دخيـلِ

كـن مسـتبداً عِـادلاً واعمـلْ علـى تطهـيرِ (مصـرَ) بصـدقِكَ المـأمولِ

وأعِـدْ لنـا اليـومَ المرجّـى عيـدُهُ عيـدٌ يبـزّ سـناه كـلَّ مَثيـلِ

وزعـيمُ (مصـر) الألمعـيُّ زعيمُهـا في نـدوةِ التمثيـل[٢] لا التمثيـلِ[٣]

---

[1] مصطفى النحاس باشا.

[2] البرلمان الحقيقي.

[3] البرلمان المصطنع.

يـا للسـنينِ مَضـتْ أمـامَ تجـاربٍ ... ضـاعتْ ضـياعَ مَهـازلٍ وهزيـلِ

ضـاعتْ كما ضـاعتْ جهودٌ حولها ... ومضـتْ بكـلِّ قتيلـةٍ وقتيـلِ

مـا كـان أولاهـا بمصـرَ بنايـةً ... وتضـامناً نرعـاهُ بالتبجيـلِ

كـم مِـنْ مواهـبَ سُـخِّرَتْ لمقـابحٍ ... مـا كـان أحرَاهـا بكـلِّ جميـلِ

تلك السنونُ فِدىً ويا بئسَ الفِدَى ... للحـقِّ منتزعـاً مِـنَ التضـليلِ

حتى تُشارفَ (مصرُ) عهدَ أخوَّةٍ ... وطهـارةٍ كسـماءِ (وادي النيـلِ)

لبّوا نداء الوطن

(قيلت في تعزيز مشروع القرش)

لَبُّـوا نِـدَاءَ الـوطنْ ... لَبُّـوا نِـداءَ الحيـاهْ

لكـلِّ مَجْـدٍ ثمـنْ ... والمجـدُ مَجْـدُ البنـاهْ

*****

أبنـاءَ (مصـر) اطرَحـوا ... هـذا الجمـودَ السـقيمْ!

هـل يُرتَجـى مَطمـحٌ ... مِـنْ غـيرِ جُهـدٍ عمـيمْ؟

لا شيءَ في الكونِ يحيا ... بغـيرِ حـزمٍ ودأبْ

ولا الممالـكُ تُبْنَـى ... إلا بعقـلٍ وقلـبْ

هَلُـمَّ أبنـاءَ (مِصـرًا) ... هَلُـمَّ! بعـضَ الزكـاهْ

خُـذُوا العظـائمَ قهـرًا ... بالجهـدِ أخْـذَ الـدُّهاهْ

إنَّـا بعصـرٍ لئـيمٍ ... يَثـورُ ذيـه الأبـيّ

وكـلُّ بـاكٍ غـريمٍ ... يدوسُـه كـلُّ حـيّ

لن تُرجعُوا مجدَ(مِصرَ) ... إلاّ علـى التضـحياتْ

لـن يعـرفَ الـدَّهرُ حُـرًّا | إلا عـــدُوَّ المـــاتْ
فكيـف "بـالقرش" يَغلـو؟ | وكيـف يَســمو البنـاءْ؟
تَقـــدَّمُوا أو فخَلُّـــوا | هتـــافكَمْ والرَّجـــاءْ
(الشمسُ) جادتْ عليكم | بـــالتبرِ تبـلَ الحـــنينْ
فكيـف ترضــون أنـتمْ | بكـــلِّ قـــولٍ ضـــنينْ؟!
و (النيـلُ) مِـنْ رُوحـهِ | ضَـحَّى لـروحِ الـبلادْ
فـــأينَ مِـــنْ نفحـــهِ | ذاكَ الهتـــافُ المُعـــادْ؟!

*****

لبُّـــوا نـــداءَ الـــوطنْ | لبُّـــوا نـــداءَ الحيـــاهْ
لكـــلِّ مَجْـــدٍ ثمـــنْ | والمجـــدُ مَجْـــدُ البنـــاهْ

تحية المؤتمر الوطني

(نظَّم الوفد المصري مؤتمراً وطنياً عظيماً سيعقد بالقاهرة في مستهل سنة ١٩٢٥م
فرحب به مقدماً صاحب الديوان بهذه القصيدة)

لقـــد ثبَـتَ الحَـقُّ حتـى انتصـرْ | وأذْعَـــنَ للمـــؤمنينَ القـــدَرْ
وعـادتْ (لمصـرَ) مَعـاني الحيـاةِ | ليـدوِي بهـا بَعْثُنَـا المنتظَـرْ
تباركـتَ يـا عيـدَ هـذي الحيـاةِ | ويـا صـيحةَ الحـقِّ في (المـؤتمرْ)
لقـــد دفنتنـــا سِـــنينُ الظَّـــلامِ | وإنْ لم تَنـلْ مِـنْ كمـينِ الشَّـرَرْ
وقـد أرهقتْنـا العـوادي الجِسَـامُ | ومـرَّتْ مـرُورَ طيـوفِ الضَّـجرْ
وعـادت أغـاني السـلامِ الحبيـبِ | كـأنَّ الكفـاحَ خيـالٌ عَـبرْ
وكـم في العيـونِ دُمـوعٌ تَـرفُّ | بشـكرٍ كمـا رفَّ دَمـعُ الزَّهَـرْ

وكم في القلوبِ خُفوقٌ عميقٌ ... كخفقِ الجناحِ لطيرٍ نفرْ
وقد غرَّدَ الآن طيرُ الخريفِ ... كأنَّ الربيعَ السريَّ ابتدرْ
وقد زيَّنَ الأفْقَ مِنْ كلِّ لونٍ ... جمالٌ، وقبلاً بكى واستعرْ
وأخلصَ (للنيل) صوتُ النسيمِ ... وبالأمسِ بثَّ الشكاةِ استترْ
وحتى المُنى بحفيفِ الشجرْ ... وحتى الرِّضى بضياءِ القمرْ
وشاركنا (رمضانُ) الوسيمُ ... بشتَّى الفنونِ وأبهى الصُّوَرْ
وما كان (للعيدِ) مَعْنىً لديهِ ... فأصبحَ (للعيد) مَعْنىً أبرّ
تَطلَّعَ[1] في شوقِنا للجديدِ ... وإنْ ذابَ عمرٌ له واندثرْ
وحتى المؤذِّنُ في لحنهِ ... فتونٌ لحسنٍ غريبٍ أسَرْ
فلم نَدْرِ كالفجرِ إلاَّهُ شِعراً ... وخمراً فأسرفَ حتى سَحرْ
كذلك حرّيةُ الناسِ نَبعٌ ... يُرَوِّي النفوسَ ويُحيي الحجرْ
وتَبعثُ نفحتُها الميِّتينَ ... وتُنقذُ نَشوَتُها المحتضَرْ
ويَصدحُ في نورِها كلُّ شيءٍ ... وتَنْبضُ منها أماني البَشَرْ!

*****

لقد ثَبتَ الحقُّ حتى انتصرْ ... وأذعنَ للمؤمنينَ القَدَرْ
وعادتْ لمصرَ مَعاني الحياةِ ... ليدْوِي بها بَعْثُنا المُنتظَرْ
سئمنا تكاليفَ تلك السنينِ ... وطولَ 'لتَّقيَّةِ بعد الحذَرْ
سئمنا تفككَ خَيرِ الرَّوابط ... بينَ القُلوبِ وبينَ الأسرْ
وما نالَ زُرَّاعَنا العاملين ... وقد سكنوا في قبورِ المدَرْ[2]
وتسخيرَ أقوى الذكاءِ الأبيِّ ... لكلِّ ظلومٍ خؤونٍ غدَرْ

---

[1] أي شهر رمضان.
[2] المدر: القرى.

كـأنَّ الزكـاةَ لِحُكـمِ الطغـاةِ دوامُ الأسـى ودوامُ الخطـرْ
سـئمنا، سـئمنا... فيـا مَرْحبـاً بوثبـةِ عهـدٍ جـريءٍ ثـأرْ
سيُنصـفنا مِـنْ مَديـدِ السُّباتِ كمـا أنصـفَ الأرضَ هطـلُ المطـرْ
سـيُرجعنا للإخـاءِ الحمـيمِ فيغـدو الإخـاءُ بنـا المنتصِـرْ
وتشـدو (الطبيعـةُ) لحنـاً طريفـاً مِـن الحُـبِّ في كـلِّ مَعنـىً عَطِـرْ
وتلمـحُ (مصـرٌ) رجـاءً جديـداً لمجـدٍ جديـدٍ وعَهـدٍ نَضِـرْ!

*****

لقـد ثبـتَ الحـقُّ حتـى انتصَـرْ وأذعـنَ للمـؤمنينَ القـدَرْ
وعـادتْ لمصـرِ مَعـاني الحيـاةِ ليـدوِي بهـا بَعثُنـا المنتظَـرْ
تباركـتَ يـا عيـدَ هـذي الحيـاةِ ويـا صيحةَ الحـقِّ في (المـؤتمرْ)!

صيامٌ وصيامٌ

نصـومُ كأنّمـا (رمضـانُ) يـأبى سـوى صَـوْمِ المَتَـابِ مِـنَ الـذُّنُوبِ
فكـم مِـنْ صـائمٍ قـد كـان يُغْـرَى بتمزيـقِ السـرائرِ والقلـوبِ
تَفَرَّقْنـا طـويلاً في حُـرُوبٍ فلُطِّخْنـا بـأَوْزارِ الحُـرُوبِ

أدبـاؤنا

كـم جاهـلٍ فـيهمْ يَتيـهُ كأنَّمـا حَـظُّ الجهالـةِ مِـنْ صـفاتِ نـبيِّ!
قنعـوا بـألوانِ الغُـرورِ فمـا لهـم جَلَـدٌ علـى الأدبِ الرفيـعِ الحـيِّ
كـم يَرجمـونَ النـابهينَ ولـو دَرَوْا نَثَـروا الزُّهـورَ لفـاتحٍ وأبـيِّ

النـــابهون؟! همُــو الحيــاة لجيلنـــا وهمُــو الـدَّليلُ لعصــرِنا الـذَّهبيِّ
مَــنْ ذا يُحقّــرُهمْ فيَحْقِــرُ نَفْسَــهُ إلاَّ مُــرَادِفُ جاهـــلٍ وغـــبيِّ؟!

الفــأر الطــائر

(الخفّـــاش)

تُظَـــنُّ طَـــيراً هَـــوَاهُ للشـــاطئِ المجهـــولِ
وأنـــتَ تُشْـــبهُ فَـــأراً في خِفَّـــةِ المخبـــولِ
طالـــتْ يَـداكَ وهـــذا بـــينَ الأنـــامِ الشَّـــبيهْ
طالـــتْ يـــداهُ وأمْسَـــى غِنَـــاهُ سَـــطْوَ السَّـــفِيهْ
قـــد قَـــبَّحَ اللـــؤمُ وَجْهَـــهْ كمـــا قَبُحْـــتَ بوجهـــكْ
وأفســـدَ الخبـــثُ طبعَـــهْ كمـــا خَبُثْـــتَ بطبعـــكْ
كمـــا تعـــيشُ يعـــيشُ في الليـــلِ بـــينَ الخنـــافسْ
يهْـــوَى الخرائـــبَ حتـــى يعـــافَ نُـــورَ الفـــرادسْ
وحيـــثُ طـــارَ نُعـــاني مِنْـــهُ المعـــاني الكريهَـــهْ
روائـــحٌ مُسْـــتقِمَاتٌ ومـــا لهـــا مِـــنْ شـــبيهَهْ
تنـــام نومـــاً عميقـــاً مُعَلَّقـــاً رجليْـــكَ
وقـــد تَمُـــصُّ دمـــاءً للنـــاسِ هانـــتْ لـــديْكَ
لكنَّمـــا أنـــتَ تَنْـــأَى عـــنِ الـــدَّعاوى العريضَـــهْ
وذا شَـــبيهُكَ يحكـــي هـــوَى النفـــوسِ المريضَـــهْ
كنَّـــا حســـبناهُ طـــيراً مِـــنَ الطيـــورِ السَّـــرِيَّهْ
لكـــنْ وجـــدناه فـــأراً مِـــنَ الضُّـــرُوبِ الزَّرِيَّـــهْ!

وداع العام

ودَّعْـتَ مَشـكوراً عزيـزاً شـاكرا ... وعَـدِمْتَ يـومَ قَـدِمْتَ حُـرّاً شـاكرَا

بل كُنْتَ فِي المَوْتى اللئامِ، ولم تجِدْ ... إلاّ لئيمـاً حامـداً لـك ذاكـرا

فـإذا المـاتُ قـد اسـتحالَ كرامـةً ... وغـدوتَ بـالتَّوْبِ المطهِّـرِ طـاهرا

يا عـامُ! عِشْ فِي الذِّكرياتِ مُخَلَّداً ... وخُـذْ البديلَ عـن الزَّمـانِ الخـاطرا

وافخَـرْ بأيـامٍ بـواقٍ عُمْرُهـا ... عُمْـرُ الشُّـهورِ بـل السِّـنينِ مـآثرا

كفَّـرْتَ عـن ماضـيكَ حتـى أنَّنـا ... صـرنا نَـرَى الشَّـاكيكَ غِـرّاً كـافرا

ولـئن وَرِثْـتَ مِـنَ المسـاوئِ زاخـراً ... فلقـد وَهبْـتَ مِـنَ المحامـدِ زاخـرا

فَكَّـتْ يـداكَ قُيودَنـا وشُـجُونَنا ... القـاتلاتِ مَوَاهبـاً وضـمائرا

وغَدَتْ حقـوقُ الشـعْبِ عَيْنَ حُقُوقهِ ... مِـنْ بَعْـدِ مـا كانـتْ رُؤَىً ومَظـاهرا

فبـدَأْتَ عُمْـركَ كالخيـالِ وُجُـودُهُ ... لا شـيءُ، ثـم غَـدَوْتَ حيّـاً عـامرا

لا بِـدْعَ، هـل عَـيْشٌ بـلا حُرِّيَّـةٍ ... أوْ دونَهـا شَـعبٌ تَوَثَّـبَ قـادرا؟

بـل أيـن حَـظُّ الموميـاتِ رهينـةً ... للأَسْـرِ يَسْـكُنَّ الظَّـلامَ حفـائرا

كـلُّ الوجـودِ مَمَاتُـهُ بقيـودهِ ... والكـونُ كـانَ ومـا يَـزَالُ الـدَّائرا

تَخِـذَ النِّظـامَ العبقـريَّ دليلَـهُ ... ومَضَـى جريئاً فِي الفضـاءِ مُغَامِرا

والنَّـاسُ ليسـوا غيرَ بَعْضِ كيانـهِ ... حرِّيـةً وعناصِـراً ومَشـاعِرا

فتَلَـقَّ شُـكرانَ النُّفُـوسِ طليقـةً ... عَـزَّتْ، وإيمـانَ النُّفُـوسِ شَـوَاعِرا

مِـن السّـمـاء

الطبعة الأولى

(ديسمبر ١٩٤٩ - نيويورك)

مـن السمـاء

قالـت (الأرضُ): "أيُّ عطـرٍ لـديكَ
سَـكَبْتهُ السَّـماءُ في راحتيـكَ؟

أيُّ شِـعرٍ لهـا فتُنـتَ بـه الآ
ن، ولم أُعطـه سـخيَّاً إليـكَ؟

هـلْ عَلِمَـت الأربـاب فيها أسـارى
مـا تغنَّـوا إلاّ بِعَطفـي عليـكَ؟

مـا جمـال السـماء إلاّ جمـالي
أنـا أودعتـه قـديماً لـديكَ؟"

قلـتُ: "يـا أمُّ لم أبـدّل هيـامي
أنـتِ أمّـي ومـوئلي وغرامـي

مـا عشـقت السـماء إلاّ هُروبـاً
مـن حيـاة تعـج بالآثـامِ

أنـتِ مـن أنـتِ رحمـةً بالبرايـا
وهمُـو مَـن همُـو بهـذا الخصامِ

الـدماءُ الـتي أبـاحوا دمـائي
والسـلامُ الـذي أراقـوا سـلامي"

قالت (الأرضُ): "مـا الشموسُ العوالي
في نجـاء وإن تكـن لا تبـالي

في سـحيقِ الآبـاد يومـاً سـتخبو
وتلاقـي مآلهـا مـن مـآلي

أنـت يـا شـاعري تجازف بالحـبّ
إذا دمـتَ عبـد هـذا الخيـالِ

لـن تلاقـي لـدى السـماء سـلاماً
بـل نضـالاً يُـزري بهـذا النضـالِ"

وتناهيـتُ في السَّـماءِ بروحـي
وتراجعـتُ مثخنـاً بـالجروحِ

وشـهدتُ الصـراعَ فيهـا رهيبـا
والضـحايا مـع الزمـان الـذبيحِ

فتغنيـتُ عائـداً بالمآسـي
وكـأني أعـودُ عـودَ المسـيحِ

ولثمـتُ الأرضَ الـتي بـاركتني
وانطوينـا علـى فـؤادي الجـريحِ

(١٩٤٢)

على صخرة سيدي بشر

وحي بير مسعود

(الخطاب موجّه إلى البحر في هذا المصيف الشهير برمل الإسكندرية)

هَيمانُ مثلكَ يا صديقَ الشاعرِ ... أنظر تلهُّف ناظريَّ وخاطري!

أنا من علمتَ محبةً وتفانياً ... في كل معنى من نشيدكَ ساحرِ

أصغي إليه ولا أملُّ كأنما ... أُصغي إلى لحن الخلودِ العامرِ

عزفت به الأرباب من عَليائها ... قبل الوجود فكان روح الشاعرِ

نتقاسمُ الأحلامَ ملءَ خيالنا ... ونبادلُ الإحساس بين مَشاعرِ

وتظل تشجيني بموجك راوياً ... قصصَ الحياةِ لساكنٍ ولعابرِ

ألتذُّ بالصوتِ الرخيمِ وإن يكن ... ذاك الرتيب كرجع حلمٍ غابرِ

لغة الجمالِ طلاقةً بل ثورةً ... والفنُّ يُعبَدُ في الجمالِ الثائرِ

هلْ كان قربي منك غير عبادةٍ ... أو كان صوتك غير صوت مقادرِ

أو لا، ففيمَ تأمُّلي وتفهُّمي ... نجواك وهي عميقةٌ بسرائري؟

وعلامَ أصحب كل موجٍ واثبٍ ... وأعدّ ذراتِ الندى المتناثرِ؟

وعلامَ أشغف بالصخور روانياً ... وكأنها نامت عروش قياصرِ؟

وكأنها عبدتك مثلي حرّةً ... فتألّهت بمظاهرٍ وضمائرِ

قد جئتُ سبَّاقَ الربيع وطالما ... أنشقتُ منكَ هوى الربيع الناضرِ

وضممْتني بأشعةٍ فرحانةٍ ... مثلي كأنك بالأشعةِ آسري

حتى تناسيتُ الربيعَ وزهره ... وقطفت من معناك حلو أزاهري

ونسيتُ عندك للصلاة خُشوعَها ... لمّا رأيتك في ابتسامةِ ساخرِ

وجعلت من صور الصلاة دعابتي ... لك غير مكترثٍ وغير محاذرِ

حتى تُشاركنا الرمالُ وتنتشي ... هذي الصخورُ فنرتقي بالخاطرِ

متصوِّفينَ كأنّنا لم نفترق ... يوماً ولسنا من غريبِ عناصرِ!

(١٩٤٢)

رحلة الزمان

(وحي صورة فنية)

يا راجلاً لم ينلْ من جهده تعبٌ ... مجذّفاً وله الأمواج أدهارُ

في ذلك القارب الرمزيّ عالمنا، ... الأمس والغد والمشهود حُضّارُ

تسوسُها جامعاً من رمز وحدتها ... للكون ما فصّلت للكون أقدارُ

تحيا الأنوثة فيه بالرجاء لنا ... وفي تأملها هديٌ وأنوارُ

تمثّل (المقبل) المرجوَّ ناظرةً ... إلى الأمام، فما تخفيه أستارُ

وهذه أختها في اللهو سادرةٌ ... تمثّل (الحاضرَ) الحاويه قيثارُ

كأنما قد سلَت من غيره وبدت ... نشوى فليس لها في الأمس تذكارُ

في حين أختٌ لها هيهات يشغلها ... إلاّ التذكّر معقودٌ له الغارُ

قد أسندت رأسها إذْ تستعيد منىً ... ضاعت كما ضاع أحلامٌ وأوطارُ

قد مجّدتها جميعاً وهي فانيةٌ ... كذلك (الأمس) مهما ساء يُختارُ

*****

يا راحلاً عبؤه عبءٌ يحيّرنا ... كم ملء رحلته همٌّ وأخطارُ

نراه لكن نرى السطحيَّ يشملنا ... وكم تحجب في التيّار أغوارُ

لم تضرب الموج بالمجذاف معتبطاً[1] ... إلاّ وفي الموجِ للمجذاف آثارُ

[1] معتبطا: مجروحا.

يتلو روايتها الغادون في عصرٍ — شتى وتخلد فوق الموج أسطارُ
كم من تجاريب قد دونتها حكما — أو ثأر أهل العلى لو يؤخذ الثارُ
وكم تجاريب من طيش ومن نزق — مثل الكواكب قبل الموج تنهارُ
تبدو على ذلك التيّار قصّتها — وإن يكن طيها للنفس أسرارُ
وأنت حيٌّ على الآباد، محتكمٌ — على المقادير، وثّابٌ وجبّارُ
مجنَّحٌ ثم تأبى أن تطيرَ سدىً — ودائبٌ ما له في الدأب أعمارُ

*****

من السماء رجعنا بعد رحلتنا — وبينها من عصور الخلق نُظّارُ
فقلت للزمن الموموق: "يا زمني — ألم تُشِبْك كشيبي اليوم أسفارُ؟
أما سئمتَ من الأجرامِ عابثةً — ومن شموسٍ لها قصفٌ وأسمارُ
ومن تجاريب في الإبداع طائشة — رهن الملايين لا تخبو بها النارُ؟"
فقال: "بل هي سلوى ملء بوتقتي — وتلك للفن إلهام وأخبارُ
إنّ كلينا قبسنا من محاسنها — ومن محاسنها خلقٌ وأفكارُ
ومن تجاريبها دنيا أجدِّدها — كما يجدِّدها لحن وأشعارُ!"

(١٩٤٢)

الجدول المسحور

على مقربة من ملروز في إيقوسيا يوجد جدول ماء متغلغل تحت الأعشاب والنباتات المشتجرة الزاحفة يدعى (بوجل بيرن) اشتهر إلى جانب جماله بأسطورة ظريفة أوحت كما أوحى إلى صاحب الديوان بهذه القصيدة.

(ملروزُ) جدولك النؤومُ الحالمُ — ما زال من حبّي عليه نسائمُ

الـــذكريات زهـــت بـــه في عـــالمي وهـــو الـــذي لا يزدهيـــه العـــالمُ

متحجِّـبٌ خلــف النبــات وتحتــه لكــن تــنمُّ علــى ســناه معــالمُ

فكأنمـــا دَعـــةُ الأنوثـــة روحُـــه تُخْفَـى فيفضحـها الحنـان النـاعمُ

جَالسْـــتُه وكأنمـــا في صـــحبتي بـــين الجنـــان مراشـــفٌ ومباســـمُ

ومـــن النبـــات ســـتائرٌ ســـحريةٌ ومـــن الأشـــعة والظـــلالِ مجـــاثمُ

يـــا طالمـــا خاطبتـــه بتـــأملي فيجيـــبني ذاك الخريـــر الحـــالمُ

وكـــأنني في حُلمِـــه مســـتغرقٌ وكـــذاك يحلـــم صـــادحٌ أو بـــاغمُ

كـــل (الطبيعـــة) حولنـــا بســـكينةٍ نســـج الخشـــوع لهـــا الجمـــال الـــدائمُ

وأنـــام أرتشـــف الخريـــر مـــدامتي ومتـــى أنـــام ولـــي الخريـــر منـــادُ؟

أصحو على سُكري، و آبى هجره وإخالـــه قـــوتي، ومـــا أنـــا واهـــمُ

قد كنت أنفق في اصطحاب سنائه مـــن خـــير أيـــامي كـــأني غـــارمُ

فيعيـــدها عمـــراً جديـــداً ضـــافياً لهـــواي فهـــو مـــزوّدٌ ومقاســـمُ

وكـــأن محـــراب الطبيعـــة كهفـــه[1] وكـــأنما أخفـــت ســـناه منـــاجمُ

* * * *

لم أنـــس ليلـــة جلســـتي في قُربـــه والبـــدر يســـكب نـــوره في حبّـــهِ

والصـــيف في أنفاسِـــه مـــن عطـــره وحـــي لبُلبُلـــهِ[2] القريـــرِ بقربـــهِ

يشـــدو بصـــوت كالضـــياء صـــفاؤه والمـــاء مهتـــزٌّ كهـــزة عشـــبهِ

في فرحـــةٍ مُتْلـــبِى وفي تهليلـــةٍ للفـــنّ تَنْبـــع حـــرةً مـــن قلبـــهِ

ونقيـــق عشّـــاق الضـــفادعِ مالـــكٌ سمعـــي، كـــأن نشـــيدها مـــن كَســـبهِ

حفلـــت جميعـــاً بالحيـــاة وبـــالهوى مثلـــي ولم تعـــصِ الهـــوى في شـــربهِ

---

[1] كهفه: غوره.

[2] يعرف أيضا بالعندليب وبالمهر وفي الشعر الأنكليزي قصائد رائعة في وصف شدوه وسهره.

نتبادلُ الأنخاب بالذكرِ التي ... نهبت، وما برح الزمان بنهبهِ
حتى رجعنا نستعيد أحبَّها ... منه ويغفر أنسنا من ذنبهِ
بوليمة للروح قبل مشاعرٍ ... سَكْرى، وكلٌّ عاشقٌ في صَحبه
متباينين موحّدين، تصوّفت ... ألبابنا في الكون فهي بلبّهِ
من علْم النبت الضئيل عبادتي؟ ... بل عالم الحشرات من صلّى بهِ؟
لم نصطنع لغةً سوى إحساسنا ... بالحبّ، أو خمراً سوى من سكبهِ
فسكتُّ كالمشدوه وهي بجانبي ... في عتبها، وتصوفي في عتبه
فلثمتها وكأن من لثمي لها ... قربان من أنهى الصلاة لربهِ!

*****

قالتْ فتاتي: "هلْ سمعتَ الماءَ ... متمهلاً يروي لنا الأنباءَ
عمّن مضوا وتفيأوا أزهاره ... أو بادلوه محبةً ورجاءَ؟"
فأصَخْتُ للماءِ المثرثر هامساً ... يستوقف الجنيَّة الحسناءَ
متداولاً ذِكَرا كأنَّ لنا بها ... عبراً تُثير الشعرَ والشعراءَ
قال الطروبُ الماءُ: "يا حوريَّتي ... كم ذا جنيتِ هنا صباحَ مساءَ
ماذا أصاب فتاكِ حين دعوتُه ... ليقبّل الثغر الجميل فناءَ[1]؟"
قالت: "تشهّيتُ الجمال بذاته ... لا أن يُذال كما ترى ويساءَ
وحرصت أن يحيا لديَّ متوّجاً ... في عالم لم يَعبد الفحشاءَ
ما ناله سحري بغير محبَّتي ... فهو الأسيرُ وما أراد نجاءَ
كان التحدّي بعض إغرائي له ... فهوى يقبلني فصيدَ جزاءَ
ومضى تَبيعي غائباً في عالمٍ ... بالسحر ينبض روعةً ورواءَ
ومنحته تفاحةً مسحورةً ... مَنْ ذاقها لا يستسيغُ رياءَ

---

[1] فناء: فسقط ونأى.

حتـى إذا مـا شـاء زورة أسلـه
يومـاً رأى دنيـا الريـاء فبـاء[1]

وأبـى الأنـام وكـل مـا حفلـوا بـه
ورأى الضـياء حيـالهم ظلمـاءَ!"

*****

قالت فتـاتي وهـي في سُكر الهوى
"أتـرى إذا قبّلـتني نلقـى النَّـوى؟

هل أنت تخشاها؟[2] فما لك صامتاً
متـأملاً متوجِّسـاً كمـن ارعـوى؟

أتظـنني جنّيـةً حوريـةً
فـرأيتني خطـراً ولا خطـر الهـوى؟"

فضـممتها ولثمتهـا ورضـيتها
دنيـاي بـل أخـراي عـن دنيـا الـورى

وأجبتهـا: "هـل مـن نعـيم يشـتهى
غـير النعـيم لمـن أحبـك وارتـوى

سـتجيء أعـوامٌ أعـيش بحـرقتي
فدعي الظنون بل ادفنيها في الثرى،

ولتمنحـيني الآن مـا تهبينـه
لمسافرٍ لم يصـطحب غـير الجـوى

إنـي أرى آتـي السـنين مهـدّداً
حظّـي والمـح فيه أقسـى مـا احتـوى

فهلـمَّ نسـخرْ مـن زمـانٍ حاقـدٍ
مـن قبـل أن يسـعى بنـا أو بيننـا

كـم مـن غـرامٍ طـاهرٍ أودى بـه
كعبيرِ هـذا الزهـر ضـاعَ مـع الهـوا"

فبكـتْ، فقهقهـت الميـاه لشـجوِها
وتضـاحكَت أعشـابها بـين الحصـى

وسمعـت مـن حوريـة محبوسـة
في طيِّـه أنَّـات مَـن فقـد المُنـى

فعجبـت مـن هـذي الميـاه وسـحرها
ورجعـت ألثمهـا وأدّخِـرُ الغنـى

والآن مـن بعـد الفـراق ومـا جنـى
أحنـو علـى ذاك الزمـان ومـا جنـى!

(١٩٤٢)

---

[1] فباء: فرجع إلي.
[2] أي النوى.

بجمـــاليون

مـن خيـالي جبلـتُ حُسـنكِ تمثـالاً فطافـت حيالـه الأنبيـاءُ

مشـرقاً مـن جمـالِ مـا علّمـوا حـين الـذي علّمـوا طـواه الفنـاءُ

سـجدوا مثـل سـجدتي لمحيـاكِ فمنـه تـألق الإيحـاءُ

نظـرةٌ للألوهـة استعبدتنا وعبيـد الجمـال هـم مـن أضـاءوا

وتخلّـوا عـن السـاء فـإن الأرض لمّـا سـكنتها تستضاءُ

بـل لدن أبدعتْ يد الفنّ فيها رسمك الذي اشتهته السماءُ

أتمـلاّه في شخوصـي وأحلامـي ومـن غـيره فـؤادي بـراءُ

يـا مثـاليتي الـتي لم تـدنّس بتشـابيه كلّهـا أهـواءُ

مـا تسـابيح مهجـتي فيـكِ إلاّ صـلواتٌ روحيـةٌ غنّـاءُ

لم تُعـرَّف ولـن تعـرَّف يومـاً لنفـوس لم يسـتثرها الضـياءُ

والضـياء الـذي تشـبعت منـه غـير دنيـا ضـياؤها ظلمـاءُ

والجمال الذي تغنيتُ فيه غير ما تابع الورى كيف شاءوا

كلما جئتُ مفصحاً عنه ردّتني إلى الصمتِ نشوةٌ خرساءُ

بـايع الأنبيـاءَ قلـبي بالحـب وعِبئـي مـن دونـه الأعبـاءُ

ففروضـي فروضـهم وعباداتي وحيداً هـي الغنـى والجزاءُ

وهـي همتي ولوعتي وشجوني وهـي أنسـي ولذّتي والرجاءُ

*****

وتجليـتِ فتنـةً وأنـا الـابدُ لا تسـتثيره الضوضـاءُ

وتخيّلـتِ أنـني ذلـك المغـرمُ يُصـبي خيالـه الإغـراءُ

فتباعـدتُ، حينمـا أنـتِ للفـنّ خيـالي المقـدّس الوضّـاء

لا التي يعشق الورى، وهي منهم، ويُباهي بوصفها الشعراءُ!

(١٩٤٢)

الزمن المريض

عزاء إلى شاعر صديق

قد كنتُ آملُ أن أراكَ بصحةٍ ... غَرِداً وفي دنيا من النعماءِ
لأحدّد الحبّ القديم وإن يكن ... حبّي المؤصَّل في صميم بنائي
فإذا دموعك كاللهيب تصدّني ... ومن اللهيب لواعج الآباءِ
ريع الفؤاد وقد قرأتك باكياً ... هذا الصباحَ فما ملكتُ بكائي
لم أرثِ في دمعي شجونك وحدها ... بل كان للزمن المريض رثائي
عشنا نعالجه فخان وفاءَنا ... وجنى، وكم يجني على الشعراءِ
هذي ضريبته، وهذا عالمٌ ... العدلُ فيه مخاتِل ومرائي
لم ألق غير الفنّ ملجأ رحمةٍ ... وعزاء من يصبو لصدق عزاءِ
فالجأْ إليه مثابةً علويةً ... وتلقَّ فيه من العزاء وفائي

(١٩٤٢)

يأس

إني يئست، ومثلي غير مُتّهمٍ، ... من الأنام، ويأسي من أحاسنهم
إن أنصفوني فغَبنَيَ عين نِصْفَتِهم ... وفيم غبني وجهدي غير غابنهم؟
قد حِرْتُ ما بين تجريحٍ لعاقلهم ... كأن عاقلهم ندٌّ لماجنهم
وبين ميزانهم للحقِ في سَفَهٍ ... حتى تساقَطَ حقّي عند وازنهم!

(١٩٤٢)

إلى الفن

توديع للآنسة الفنانة فاطمة هنو قبيل التحاقها بمعهد الموسيقى بالقاهرة

إلى الفنّ نجواكِ يا (فاطمهْ) | إلى الفنّ بسمتكِ الحالِمهْ
ستمضينَ أحوجَ من ترتجيكِ | عيونٌ وأفئدةٌ ساهمهْ
لكم نعمتْ منكِ بالعبقري | من اللطفِ والدعةِ الباسمهْ
ومن نكَتٍ بالمعاني الدقاقِ | حوافلَ، والمُلَحِ الدائمهْ
أثيريةَ الطَّبعِ لا تستقرُّ | خواطركِ الحرَّةَ الهائمهْ
كأنَّكِ جوّالةٌ في الوجودِ | تصيدين ألحانه العائمهْ
وتعطينها طرفاً غالياتٍ | من الظرفِ والصور الناغمهْ
سنحرم في البعد هذا الرحيق | فما الزاد للأنفس الصائمهْ؟
ولستِ البخيلةَ للأوفياءِ | فهل تخذلين المُنى الغارمهْ؟
سُقينا التفاؤل من وجنتيكِ | بضحكتك الحلوة الناعمهْ
ولمّا نزل بعد من تابعيكِ | نرجّيكِ في الوحشة القاتمهْ
نرجّيك مستذكرينَ الرشاقة | والأنسَ والحيلةَ الواهِمهْ
ونلقاكِ بين الأغاني اللطافِ | تُدين عواطفنا الناهمهْ
وملء رؤى الشعر حول (الطبيـ | ـعةِ) وهي بيقظتها نائمهْ
لكم كنتِ ترعينها في الحقولِ | وتستلهمين الرؤى الجاثمهْ
فعودي لها بجديدِ الغناءِ | تعودي بآياتها الكارمهْ
ولا تحسبي الفنّ رهن السماءِ | ففي الأرض دولته قائمهْ
نعم، أمُّنا الأرض من أبدعته | وطار بأجنحةٍ نادمهْ
فلا تجحدي فنَّها أين كنتِ | فأنت الوفيَّة يا (فاطمهْ)!

(١٩٤٢)

قصر ريجيا

تحية إلى الصديق الشاعر الموهوب مفيد الشوباشي حين آصدر كتابه عن أيام كليو باترا الأخيرة

يـا (قصـر ريجيـا) أيـن أنـتَ؟ وهـل سـلمتَ؟ وهـل أمنـتَ؟

فتّشْـتُ عنـكَ فلـم أجـدكَ، وجئـتُ أسـتوحي فبنـتَ

هـذا (مفيـدٌ) شـعره المنثـور ينثـرُ مـا كنـزتَ

ويعيـد مـا اسـتطيبته وإلى مفـاخره حننـتَ

وكأنـه مـن سـاكنيك وقـد تحـرك إذ سـكنتَ

شـهد الـولائم و المجـالس والمـراقص مـذ أذنـتَ

وقياصـر الرومـان والمجـد الـذي كـان وكنـتَ

وعِـراكَ (بطليمـوس) والثّـأر القـديم ومـا غنمـتَ

وهـوى (كلـوبترا) ومـا فقـد الهـوى لمّـا هويـتَ

واليـوم يـوفي دَينـه أدبـاً غنمنـا بـل غنمـتَ

قصصـاً مـن الفـنّ الأصـيل بـه فتنّـا إذ فتنـتَ

يُتلـى وكـلٌ حاضـرٌ عصـر الفخامـة فيـكَ أنـتَ

لا قـارئٌ وصـفاً لـه يُطـوى كأخبـارٍ ومـوتى

فلأنـتَ حـيٌ بيننـا جـمُّ الشـموخِ كمـا عُهـدتَ

والشـعبُ دفّـاقٌ حيالـك هاتفـاً حتـى جُننـتَ

ويقهقـهُ المَـرحُ الطليـقُ وبعـده الأحـداثُ شـتّى

لـو أنّـني حاولـتُ في شـعر تتبُّعهـا غُبنـتَ

وأديبنـا الخـلّاق يرسمهـا فنلمسـها وتـؤتى

وكأنهـا ملـك لـه، وكـأن مـا أوحـى تـأتّى

جمع الحقيقة والخيال فما اكتفينا واكتفيت!

(١٩٤٢)

خلائق اليوم

وحي صورة فنية للرسام الأنكليزي رسل فلنت عضو الأكاديمية في لندن

مظاهرُ فنٍ أم تهاويلُ ساحرٍ؟ لقد ملك الفنّانُ لبي وخاطري

ألمْ يودع الأصباغ فتنة عصره كما أنطق الأصباغ روح المعاصرِ؟

وما اختار غير البحر معرض فنّه فقد نبتت في البحر شتّى المشاعرِ

أبونا[1] الذي ربّى العصور فانجبت له حيواتٍ من كريم العناصرِ

وقد نشر الإلهام إثر مسيرها كأن من الإلهام زاد المسافرِ

رجعنا إليه[2] اليوم ظمأى لوحيه وإن كان مذخوراً بصورة ساحرِ

وما الريشة الزهراء إلاّ عواطفاً وإبداعَ خلاّقٍ ومزمار شاعرِ

فيرفضُّ منها النور والظل عالَماً جديداً كأشعار الربيع المباكرِ

نصاحبه حسَّاً وفيَّاً مجسّماً وإن كان لم يبرح خيالاً لناظرِ

فيا لوحةً فيها الملاحة نفحةٌ تعالى بها الفنّان عن طيش عابرِ

عرفناكَ معنىً عبقرياً نحربه بأفئدة ولهى ونجوى السرائرِ

تراءت به (حوّاء) في مُثُلٍ لها منوعةٍ كالخمر عند المعاقرِ

ولكنها كالخمرُ أصلاً ونشوةً وإن نُوّعت في الوصف أو في المظاهرِ

فنسكر من لهوٍ لها وتجرّدٍ ومن ضجعة هزّت عروش قياصر

وما الزورق الثاوي قريراً بقربها سوى (زورق الدهر) الغيور المغامرِ

[1-2] أي البحر.

فلولا رضى (حوَّاء) ما ساخ ناجياً ... ولا كان أستاذ العصور الغوابرِ
ولا خلَّد العمران رغم انتشائه ... بسفك الدم الغالي ونشر المقابرِ
شربتُ مع (الدهر) الخيالات رحدنا ... وسحنا إلى مهد العلى والعباقرِ
وعدنا فلم نظفر بعلمٍ مجدّدٍ ... ولكننا عدنا بإيمان ثائرِ
وكانت لنا (حواءُ) في كل منزل ... نزلناه معنى فوق معنى المقادرِ
كأنَّ ضياء الكون شعلة روحها ... كأنَّ هواها غامرٌ كل غامرِ
وكل الذي يرجى سواها تعلّةٌ ... من الوهم نجزيها ببسمة ساخرِ!
معانٍ تراءت في خيالي كومضةٍ ... ولكنها زخرٌ لحيٍ وقاهرِ!

(١٩٤٢)

بطل العلمين

قيلت في أول يولية سنة ١٩٤٢ تحية للجنرال أوكنلك

إلى البطل الثاوي لدى (العلمَينِ) ... أزفُّ من الأعجاب أهونَ دَيني
إلى المنقذ الآلاف وهو مجازفٌ ... كأنّ مآل الحرب رهنُ يدينِ
تخطَّى صفوف الموت بالموت هازئاً ... وراجع مفقود الرجاء لعَيني
وأنذره العاديَ بشَرٍّ هزيمةٍ ... فعانى سرابَ الطيش في (العلمين)!

*****

لقد سخرت منه التلال ورددت ... لها ضحكات السخر غضبى المدافعِ
وقد أقبل الفرسان كلٌّ لثأره ... وكلٌّ بدباباته غير قانعِ
عزيزٌ عليهم أن يردّوا فراسخاً ... وقد صبغوها في قديم المواقعِ
وقد أورثوها بالدماءِ شعورهم ... كما أخصبوها بالهوى والمدامعِ

*****

إلى البطل الحرّ الذي لم يمت له ... يقين لدن ريعَ الرجالُ وماتوا
إلى العَلم الصنديدِ يحرجه الردى ... فيسمو ولا يسمو إليه مماتُ
إلى من يَردّ الغرمَ غنماً موطّداً ... ومن قلبه قبل الحماةِ حُماةُ
تحيّة من يهوى البطولة فذّةً ... ومنها شعاعٌ للورى وحياةُ

(١٩٤٢)

نجوى العيد

قيلت باسم المؤتمر الطبي العربي الخامس برئاسة سعادة الدكتور علي إبراهيم باشا
في تحية حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا إثر حفلة الغداء التي
أقامها رفعته تكريماً لأعضاء المؤتمر بكازينو أتينوس بالإسكندرية
يوم الاثنين ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٢

لمن تُزفَّ التهاني أيها العلَمُ؟ ... إليك أم للألى في فرحةٍ نعموا؟
نعم إليك، فما يُرضيك يُسعدنا ... وهكذا تزدهي أعلامها الأممَ
وليس أعلامها غير الآلى بذلوا ... كما بذلت ومن عانوا ومن خدموا
الواهبين من الأعلاق أنْفسَها ... عند الشدائد لا يلوي بهم ندمُ
العازفين عن الأطماع مغريةً ... وعن نداء الدنايا سمعُهم صممُ
إنّ الزعامة إقدامٌ وتضحيةٌ ... حين التخاذل في يسرٍ هو العدمُ
وليس (كالمصطفى) يسمو تواضعه ... إذا هوى في غرور الغاشم الصنمُ
اليوم يجمعنا حبٌ توزّعه ... وكلنا طامعٌ: تُعطي ونقتسمُ
لمّا مددت يدَ الترحيب تكرمنا ... لم ندر كم من معان يسبغ الكرم
أهدى (عليٌّ) إلى علياك طاقتَه[1] ... وليس بعد الذي يهديه مغتنَمُ

[1] الطاقة: باقة الرياحين.

وما أقل الذي يهديه من كلمٍ ... وما أجلَّ الذي توحي به الكلمُ
يغضي ويطرق كالأرباب معتكفاً ... وذهنه عالمٌ هيهاتَ يُقتحمُ
وما (عليٌّ) سوى ذخرٍ لأمتهِ ... مَن علمه العلمُ أو من حكمه الحكمُ
جاء الإمام لأهل الطب ينهضهم ... وجاء من قسوة الأيام ينتقمُ
وحولَه جمْعنا يوفيك في شغفٍ ... أغلى الثناءِ على ما صنته لهمُو
وما يزيدُ ثناءٌ شأو رفعتكم ... لكن به تَتسامى مهجةٌ وفمُ!

*****

هذه (العروبةُ) في ناديك سامقةٌ ... وإن يرجِّي حجاك (العرب) و (العجم)
وهل (فلسطين) إلا (مصر)، أو عُرفت ... ربوعُ (لبنانَ) إلاّ (مصر) عندكمو؟
أو (العراق) بجنات تغازلها ... جنّات (سورية) الفيحاء؟ فهي همو
جميعها فلذاتٌ من أبوَّتكم ... وأهلها طالما رجّوك إذ حُرموا
جاءوا على سفرٍ مضنٍ فما تعبوا ... لمّا طلعت تحيّيهم وتبتسمُ
وإن يكن زادهم علماً وتجربةً ... وهمةً لم تجز إيمانها الهممُ
ونصطفيك بإخلاص نعَزُّ له ... كما تَعزُّ به الأخلاق والشيم
كـ ، بين مؤتمرٍ ماضٍ ومؤتمرٍ ... بادٍ سقينا جميلَ الودّ بينهمو
ونافسونا فبزّونا بما بحثوا ... وزوّدونا فأغنينا بما عَلموا

*****

(إسكندريةُ) رفت في مباهجها ... مثل العروس إذا خطّابها ازدحموا
بنت الحضارات لم تبرح معالمها ... قلائد الفن تُستوحى فتنتظمُ
والبحر يصغي كما تصغي مشاعرها ... والموج مصطفق حيناً ومحتدمُ
ألم يشارك هوانا أو عواطفنا؟ ... أو علّه مثلنا للنور يغتنمُ
هذا مجالٌ خيال الشعر رائدهُ ... وأنت رائدُ آمالِ الألى حلموا
والحرب تستعبد الإنسان جا حة ... حتى ليُنسى الأسى والويل والألمُ

إنَّا احتشدنا لعلم نستعزُّ به ... حين الممالك أشلاءٌ هوت ودمُ
وحينما أرسل الطاغوت صيحته ... تفشي الدمار توالت عندكَ النعمُ
وحين كل جحيمٍ صارخ اجب ... يشوي الشعوب تعافى (النيل) و (الهرم)
هذي أنانية الدنيا تصرّجها ... لولا الأنانية الدنيا لما اختصموا
وأنت تضرب للإيثار أمثلةً ... وليس في منتهى الإيثار ما يصم
كأن سيرتك الزهراء معجزةٌ ... في عالمٍ ملؤه الأوزارُ والرمَمُ
لعل في يومنا فألاً لخير غد ... حين السلامُ وحيث العدل والشمم
حيّت مدينتنا الغنّاء طلعتكم ... فإنّ أضواءها من حولكم نغمُ
واسترجعت من عصورٍ زهوَ جامعةٍ ... كانت تعمّ للأجيال من حكموا
فإن شكرنا على الترحيب يغمرنا ... فلا اللسان بمعوان ولا القلمُ!

*****

يا عهد (فاروق) هذا عهد أمتنا: ... عهد الولاء الذي ترقى له الذممُ
إنّا أمنّا بظلٍّ من رعايته ... ففي رعايته عدلٌ لمن ظُلموا
والعدلُ ليس بعدلٍ في جلالته ... إن لم يعمّم وهذا عدله عَممُ
يا وارثاً عرش (بطليموس) مقتدراً ... ترفُّ في ذكرك الآمال والعلَمُ
تيمَّنَتْ باسمك المحبوب نهضتنا ... كما انتشت حوله الآثار تلتئمُ
فكلّ فضلٍ جديد أنت معلنه ... له الأصالة في التاريخ والقِدَمُ
عمرٌ مديدٌ من الإبداعِ رنّقه ... أجدادك الغر من شادوا ومن فهموا
وزدته أنت تدعيماً وتزكيةً ... فمن مبادئك الدولات تدّعِمُ
إنّ الملوك ملوكٌ من شمائلهم ... قبل العروش وإن جلّت وإن عظموا!

(١٩٤٢)

تحية المليك

لمناسبة إهداء الدكتوراه الفخرية إلى الملك فاروق الأول بجامعة الإسكندرية
وإثر افتتاح كلية الطب بهذه الجامعة

مولاي! رحَّبَت الثقافة وانتشت … بالمهرجان مدينة (الإسكندر)

خلعت ملاحتها على أفراحنا … وخلعتَ أنت وضاءةَ الأدب الثري

وتنافست صُوَرُ الطبيعة والورى … بمشاهدٍ لم تفتقر لمصورِ

ما كل يومٍ للثقافة موئلٌ … والعصرُ عصر تناحرٍ وتجبّرِ

هتفت لمقدمك القرونُ وردّدت … آمالها لمناظرٍ ومذكّرِ

وتألّق اليوم السعيد بشمسه … فكأنها سارت بموكب (قيصرِ)

إن كان حجّبها الغمامُ هيبةً … فكذلك الحسناء للمتنظّرِ

إن كان داعبها الغمامُ بوكْفِه … فلقد تأدَّب عن هوى المستهترِ

وكأنما النسمات في هذي الرُّبى … تسري بإعجاب الربيع المبكرِ

وتردد الأنفاس من أنفاسنا … بحفاوةٍ لم تجتمع في منظرِ

بالفاتح الملك الأبيِّ وحسبهُ … بين الملوكِ حفاوةٌ لا تمتري

وشجاعةٌ حين الكوارث روّعت … فتراجعت في صدمةٍ وتعثرِ

وشمائلٌ في البر بين رعيةٍ … عشقته واستوحته للآتي السَّري

أين التفتَّ رأيت جمَّ متاحفٍ … وروائعٍ للمجد لم تتغيرِ

عاشت بإيمان العظائم واعتلت … كمنارة الأمس الرفيع النيّرِ[1]

إن كان عفّاها الزمان فإنها … خلدت بأعجب سيرة أو مظهرِ

والبحرُ حول سياجها متهافتٌ … والموج بين مجاوب ومثرثرِ

---

[1] منارة الإسكندرية – إحدى العجائب السبع للدنيا القديمة.

لغة الطفولة ما حكَاه وما حكَتْ ... والكلّ بين معمرٍ ومعمَرِ
يصغي إليها الشاعرون كأنهم ... أُخِذوا، وتستهوي الذي لم يشعرِ
لا الحرب هدَّتها ولا أيدي البلى ... بل عاش يصقلها الزمان المجتري
قد عاد يخدمها بذلة صاغرٍ ... فكأنها ثارت وإن لم تثأرِ
وكأن حرمتها ديانة عالمٍ ... فتقدّست عمَّن يبيع ويشتري
وأضفت أنت إلى جلالتها غنىً ... بجلالك، الحرِ النبيل الخيّرِ
وبفتح (جامعةٍ) بيمنك عرّفت ... فزهت على فتح الوغى والعسكرِ
ولعل (دينو كرات)[1] بين جموعنا ... متخفياً في غبطة وتأثر
يصغي ويهتف مثلنا لمدينةٍ ... عاشت تجاوب حلمه في الأعصر
تجري الحياة بها فنوناً جمَّةً ... وترف أحلاماً وعزة جوهرِ
ولعلّ مدرسة (البطالسة) الألى ... بهروا الزمان تمثّلت للمبصرِ
وكأنما لمّا تقمّص روحنا ... أعلامها سرنا بموكب (سوتَرِ)[2]

*****

نُخب العلوم العاليات تسابقتْ ... في خَطْبِ بِشْرِ العاهل المستبشرِ
رفعت إليه تحيةً إعجابَها ... بهدية جازت ظنون مقدّرِ
والطبُّ لم يسعد بيوم حافلٍ ... أسنى وأجمل أو عبيرٍ مسكرِ
تلك الوثيقة عهدنا ووفاءنا ... في خدمة الفكر العظيم المثمرِ
أبهى وأكرم من خرائط دولةٍ ... تجتاح في حرب وغزوٍ مقفرِ
ولأنتَ أشرف من يجلّ رموزها ... ويزيد من إيحائها لمعبّرِ
تفنى الحروب بما جنته ودرنها ... تبقى الحياة لباحث ومفكّرِ

*****

---

[1] دينو كرات: هو المهندس الذي عهد إليه الإسكندر في تخطيط مدينة الإسكندرية.
[2] سوتر: هو بطليموس الأول الذي بدأت الإسكندرية تترعرع في عهده وكان مؤرخا جليلا عظيم البر بالعلم والعلماء.

مولايَ! غنَّى الشعر في أفيائكم / وتراقصت ربَّاتُه للمِزْهَرِ
ولمحتُ كوكبةً بها أعلامُهُ / يتزاحمون لوحيك المستأثرِ
هُرعوا، وكلٌّ سكندريّ خالدٌ / من ذلك الأمس النضير المزهرِ
تبعوا (تيو كريتيس)[1] وهو موقّع / لحن الجمال لشاعر وشويعرِ
فسبقتهم كيما أفوز بسمعكم / قبل النجوم، ولستُ بالمستغفرِ
وسعت شمائلكم محبة شعبكم / من حاضرٍ حيٍّ وناءٍ مضمرِ
فاسلم مليك (النيل) رمز فخاره / لا رمزَ عصرٍ ماثلٍ، بل أعصرِ!

(١٩٤٣)

الموتى المشرّدون

وجهت إلى جلالة الملك فاروق الأول

مولاي! حبُّ الشعب أعظمُ ثروةً / لكَ من كنوزِ التاجِ والسلطانِ
كن أنت رائده ووزّع أرضه / لبنيه (كالفاروق)[2] في الإحسان
ما شأن آلاف الفدادين[3] التي / هي كالمقابر للسَّواد العاني؟!
ذهبوا بأرجاء البلاد تشرداً / وتكفّنوا بمذلةٍ وهوانِ
وجميعهم موتى، وتلك لحودهم / ملء الضياع الفخمة العمرانِ
تركوا المقابر صاغرين فعيشهم / ومماتهم بهوانهم سيَّانِ
وتجاوبوا بأنينهم وسَقَامِهِم / وجراحهم في عالم البهتانِ

---

[1] تيو كريتيس: هو أول اثنين من فحول الشعراء السكندريين، وقد اشتهر بشعره في جمال الطبيعة.
[2] الخليفة العادل عمر بن الخطّاب.
[3] ضياع الإقطاعيين الذين يملكون على قلتهم معظم ثروة الأمة حينما الأغلبية الساحقة منها في حكم الموتى المشردين.

أنت العظيم، فلا تدع إخلاصهم ... لك يستباح بلا هدىً وأماني
بل لا تدعهم في الورى أمثولةً ... لتدهور الإنسان بالإنسانِ!

(١٩٤٣)

الحنين

كم يستبد الحنين! ... أوّاه لو تعلمينْ
وكم يئنّ فؤادي ... وما شكوت الأنينْ
وكأنّ باقي عَذابي ... فروض نسكٍ ودينْ
كأنَّ طول احتمالي ... غُنمٌ لقلبي الغبينْ
ساءلتِ عني ولكن ... شكّي يرد اليقينْ
وكلما زدت قرباً ... بعدتُ أو تبعدينْ
ألقاكِ نشوانَ لكن ... حزني بقلبي دفينْ
على جمالٍ مُضاعٍ ... ما كان للعابثينْ
أولى به وحيُ فنٍّ ... ووحيُ حبٍّ أمينْ
لكم هتفتِ بشعري ... فبات شِعري الثمين
وشعَّ خمراً حلالاً ... من فيك للظامئينْ
أصغي إليكِ بحلمي ... وأنت حلمي المبينْ
في حيرة لم تكيَّف ... على امتحان السنينْ
أصار فنّي عزيزاً ... في حين حبّي مهينْ؟
أتحفلين بشِعري ... ولستِ بي تحفلينْ!؟

*****

وليلـــةٍ مـــن نعـيـمٍ أطعـتُ فيهـا الحـنينْ
وما ارتضيتُ شكوكي ونهـي عقـلٍ رَصِـينْ
ومـا طُبعـتُ عليـه مـن الحيـاء الكمـينْ
كأنَّمـا البـدرُ أوحـى إلـيَّ مـا تشـتهينْ
فسـرت أنفـض همّـي والنـور بـرء الحـزينْ
في موكبٍ من خيالي يُخـصّ بالشـاعرينْ
كأنمـا فيـه سـارت عواطـف الخـالقينْ
كـأنّ (فينـوس) غنَّـت ملاحِـمَ العاشـقينْ
وذا (كيوبيــدُ) يرمــي السـهامَ في اللاعـبينْ
فيضحكون سُكارى وكـلُّ قلـب طعـين
إن يبدع النور وهماً فلسـتُ في الـواهمينْ
تلك الطيـور لـداتي ولـيس فيهـا كـنينْ
إن يخذل الناس فنّي فلـيس فيهـا ظـنينْ
قـد عـودتني احتفـاءً كـإخوتي في الفنـون
كم شجعتني بعطفٍ فكـان همّـي يهـونْ
كم صاحبتني لصفوٍ والصفو سِرٌّ مصونْ
وجَنّت جنَّـة أنسـي كـأنّ أنسـي رَهِـين
ومـا أردت فَكاكـاً لـو إنمـا تـأذنينْ
لكن جعلتُ ابتهالي تصـوُّفَ العابـدينْ
كـأن روحـي قصـيدٌ يـذوب للملـهمين
كـأنَّ قلـبي المعنَّـى قـد ردَّ للفـاتحينْ
سـاد التجـاوب فينـا فلـم يعـد يسـتكينْ

وقد تناولتُ كأسي من الغرام الضنينْ
كأنَّ (باخوسَ) أوحى بكلِّ ما تبذلينْ
من عالمٍ سرمديٍّ للحبِّ أو للفنونْ
نروي ونحكي وننسى ونحن في الحالمينْ
وأنتِ أسنى وأبهى من كلّ ما تبدعينْ
حتى أذنتِ بلثمٍ لنور ذاك الجبينْ
فما لثمتكِ حتى سَموْتُ في الخالدينْ
وما تركتكِ إلاّ رجعتُ مثل السجينْ
مستسلماً في حنيني إلى عذاب الحنينْ

(١٩٤٣)

قبلة ميلادي

يا نشوة الحب القديم ولهفة الحب الجديد
جمعتكما في قبلةٍ سكرى غرامي وعهودي
أودعتها ما صانت الأحلام من عطر الخلود
وسكبتها راح الهوى ودماً من الشوق الشهيد
ثم استعدت خيالها لحناً تألق في نشيدي
ونظمتها شِعري الذي يحيا بأنفاس الورود
وخلقت أيَّ هديةٍ منها لميلادي السعيد
وكأنما هي نغمة زُفّت إلى سَمعِ الوجود
تستمتعُ الدنيا بها مثلي وتخلد في قصيدي

والكـون أحفـلُ بـالهوى للشـاعرِ الحـرِّ الفريـد
مـن عـالمٍ في صَـخْبه يعنـو لشـيطانٍ مريـد
مـا سـيَّر الأجـرام غـير الحـب في جذبٍ رشـيد
أو أبـدع الإعجـاز غـير جمالـه المـوحي البعيـد
فترسّـلي يـا فتـنتي بحنانـك العـذب الوليـد
ودعيـه يُزهـر نامـداً، لا ترهقيـه بـالقيود
ودعيـه يبلـغُ مِثـل تحنـاني وإيمـاني المجيـد
فيعـيش تـوأمَ مهجـتي في عـالم الحـب الرغيـد
لا يعرفـان الشـيبَ أو عمـراً سـوى الخلـد المديـد
وأعـود أسـتوحي وأحيـا بـين تقبيـل جديـد
لا شـارداً متعثـراً آوي إلى قلـبي الشـريد
مسـتمتعاً مـن حلـو سـاعاتي بعيـدٍ بعـد عيـد
ومخلّصـاً لـكِ آيـة الفنـان في الفـنّ النضـيد

(١٩٤٣)

الإسكندرية الفنانة

أنشدت في حفلة رابطة اللوتس بمدينة الإسكندرية التي أقيمت لتكريم أعضاء هيئة التدريس بجامعة فاروق الأول يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٤٢

الفـنّ أنـتِ فجئـتُ أسـتوحيكِ وعبـدتُ ألـوانَ الملاحـةِ فيـكِ
ونعمـت بـالنجوى فقربـك جنّـةٌ خُصـَّتْ بـروح الفـن دون شـريكِ
تتهافـتُ الأجيـال حـولَ جَمالهـا كتهافـتِ الأحـلام حـول مليـكِ

وتحـدّث الأطيـافُ في جنباتهـا بروائـع الآيـات مـن بانيـكِ

عاشـوا وعشـتُ مجاوبـاً لنـدائهم بالحـب يحيـيني كمـا يحييـكِ

رقصَـتْ محاسِنُك الوضـاء أشـعةً وعواطفـاً لمـنعَّمٍ وضـريك[1]

عشـقوك واعتـزوا بحبك، واهتـدوا بسـناك، واعتصـموا بمجـد أبيـكِ

وعُبـدتِ فاتنَـةَ الجميـعِ كأنمـا خطـرت (كلوبـاترا) لمسـتوحيكِ

خطـرت وموج البحـر رفّـافٌ لهـا وتوشـحتْ بضـيائكِ المسـبوكِ

وجلتْ على البحـر الطروب مفاتنـاً فـإذا بحورياتـه تحكيـكِ

عكَسَتْ ملاحتهـا صباحة (زينـب) وحكـتْ دعابتهـا رشـاقة (بيكـي)

والجـوُّ مـوَّارٌ[2] بأنغـام الهـوى وبكـل فـتح للغـرام وشـيكِ

وملاحِـمُ الأربـابِ تعـزف فَوقَهـا وتحـول أشـباحاً لمتَّاليـكِ

فوضـى مـن الفـن الجميـل تنـاثرت وتجمعـت في دولـة وأريـكِ[3]

وتـدللت بـالعبقري مـن الغنـى لغوايـة (المجنـونِ) و (المفلـوكِ)

صـورٌ قداسَـتُها الحيـاة بـذاتِها نفحـتْ أسـاطير الغنـى المتروكِ

وأبـت لنـا إلاّ الخيـال رفيقنـا ومن الخيـال حقـائق (الصـعلوكِ)[4]

مـن ذا يحاكينـا ويقـدرُ مـا حكـت شـفتاكِ مـن سِـحرٍ لمسـتمعيكِ

ويـرى ويعـرف مـا أصـالة حبّنـا ولمَ ارتفعـتِ بسـوقةٍ وملـوك؟

*****

وافـى (الربيـع) فتـاهَ كـلُّ مغـردٍ وحلا الشروق، وطاب صوت الديكِ

وازداد مجـدك عـزة وجلالـةً وطـلاوةً، فلعلّـه يكفيـكِ

---

[1] الضريك: الفقير السيئ الحال.

[2] موار: مائج – والإشارة في البيت السابق إلى اجتماع الجمال الشرقي والجمال الغربي بمدينة الإسكندرية.

[3] أريك (جمع أريكة): عروش.

[4] المجنون والمفلوك والصعلوك – إشارات إلى الغزليين البوهيميين من الشعراء.

وتسـابق العلمـاء حولـكِ مثلمـا … يتفـنن الشـعراء في ناديـكِ
حفلـوا بجامعـةٍ رفعـتِ منارَهـا … بـين الـدياجرِ والـدمِ المسـفوكِ
إن كرّمونـا فهـو تكـريم لهـم … وهمـو أحـق بمِدحـةٍ ترضيـكِ
هـذي خمائلـهم وكـلٌّ بلبـلٌ … حلـوُ البيـانِ سـقاه مـن يسـقيكَ
شـهدوا (لأفروديت)[1] أعراس الهوى … واسـترجعوا ماضيه من ماضيكِ
وعفـا (السـربيومُ)[2] الـذي غنّوا بـه … وبقيـتِ أنـت لنـا ومـن غنُّـوكِ
وتـدفقوا كـالنبع سـالَ جَـداولاً … تـروي كمـا يـروي الهوى من فيكِ
وتفنَّنـوا بمنـى (الطبيعـة) فانتشـوا … لمّـا انتشـت وحَنـت علـى أهليـكِ
فلـهم ثنـاء (الفـنّ) قبـل ثنائنـا … و (الفـنّ) كـان ولم يـزل واقيـكِ
ولهـم تحيـات (الجمـال)، فإنَّهـا … قـد نُزهـت عـن عاطـل وركيـكِ
لغـة الألوهـة شـأو مـن هتفوا بِهـا[3] … لا مثـل أشـعاري لفنّانيـكِ!

(١٩٤٣)

الفنّ الضائع

مهداة إلى فتاة المندرة برمل الإسكندرية

لمنْ تمنحينَ الحبّ دونيَ عن عَمْدِ؟ … وماذا يرجّي الحبُّ من شاعر بعدي؟
وحسـنك أولى أن يصـانَ جـلالُـه … على الفنّ، حـين الفن كالحسن للخلدِ
ومـا عـالم النـاس الـذين تطـاولوا … سـوى عـالم بـين النفايـة والكيـدِ
ترفّعـتِ عـن أن تسـكنيه فحـاذري … وخلّي الهوى والحسنِ ديناً لمستهدي

---

[1] أفروديت: إلهة غانيات الإسكندرية.
[2] السربيوم: معبد الإسكندرية العظيم الذي هدمه البطريرك تيوفيلس.
[3] شأو: قدر – أي ما يجدر بهم.

ولا تتركي الأيام تنهب خاطري
وتعصف- ما شاءت- بحبّيَ أو وجدي

فإني تراثٌ للمَلاحَة والهوى
فإن ضَاعَ لم يُسعدكِ غبنيَ أو فقدي

لئن كان من حق الجمال عبادتي
فمن حق مثلي أن يكلّل بالمجد

وأن يغمرُ الحبُّ الكريمَ فؤاده
جزاءً، وأن يعفَى من الشكّ والصدّ

مضى العام وانجاب (الربيعُ) عن المنى
ولو أن آلامي تباعَدْنَ عن عدّي

ولو أن أحلامي هي الهمّ والجوى
على عالمٍ بالثكلِ واليتمِ ممتدٌ

تسربل بالظلمات وهي صواعقٌ
وماشى الخراب الهولَ في الزمن الرغدِ

فصارت به الجنَّات نار جهنمٍ
ويا ليتها! فالحرب تُعدي وتستعدي

ذكَرْتُكِ محزوناً جريحاً معذباً
كأني ألاقي الطعنَ في معركٍ وحدي

وقد كفكفَ الحاني (الربيعُ) مدامعي
وإن زالت النسمات —ما شئن— من وقدي

فأحسست بالسلوى تسلسلُ في دمي
تسلسلَ ماء النبع في الظامئ الوَردِ

وقد ناله لفح الهجير بقسوةٍ
فعاد يفضُّ العطر في نفحٍ معتدّ

فهل لك أن تُصغي إليّ فربما
أنبتُ فؤادي في النشيدِ بلا عودِ

كما ذابَ عطر الورد في بسماتهِ
وداعاً لمن يهوى وماتَ بلا حَمدٍ؟!

*****

ويا جارتي ما أبعد القُرب بيننا
وذلك خوفي صيّر القربَ كالبعدِ!

أناجيك في دقّات قلبيَ والهاً
كأن فؤادي طائرٌ رفّ في القيدِ

يَحنُّ إلى من قاته وأفاءَه
ولو أنَّه في أسره ضائعُ الجهدِ

وأخشاكِ رغم الحبَ، لا عن ضلالةٍ
ولكن كخوفِ القانتِ الوالِه العبدِ

وكم تمتمتْ نفسي بشعرٍ محبَّبٍ
أغرِّده في خدرِكِ الساحرِ الوعدِ

فلما تلاقينا نسيت ضراعتي
ولم تبق لي إلاّ حشاشة منهَدٌ

وقد حالتِ الأنفاس شعريَ وحدها
وكم تحمل الأنفاس من قُبَلٍ عندي

إذا لم تترجم في لُغى الحب فالهوى ... سيغفر ما أودى بشاعركِ الفردِ!

*****

بروحيَ من أحلام عمريَ ساعةٌ ... جلستُ وموجُ البحرِ مثليَ في زهدي

على الشاطئ المسحور أنَّتْ صخوره ... وغنَّت به الأمواه للحجرِ الصلدِ

أراقب عن بعدٍ جمالك ناشراً ... على الماء ألوان الرشاقةِ والصَّيدِ

فيغنم عشاقٌ دعابتك التي ... تَخاطَفها مثلَ الجواهرِ مستجدي

وأقنعُ بالحلم البعيد ووحدتي ... كأن حيائي قام دونك كالسدِّ

ولكن خيالي لم يذلله حائلٌ ... فنال من القدِّ المنعّم والخدِّ

وسابق موج البحر في وثباته ... وبزّ شعاع النور في اللهو والجدِّ

فكنتُ على بُعدي المنعّم ظافراً ... بما لم يَنلْ منكِ المقرّب والمسْدي

أتوا بالهدايا الحاليات رواقصاً ... وأخفيتُ قرباني من الطاهر الودِّ

ولم تلمحيني في تلاهيك حينما ... تحدثت الأَمواج للكثْبِ الجرْدِ

وقد نثرت فوق الرمال تحيةً ... من اللؤلؤ الغالي الذي جلَّ عن عقدِ

تلقفها شعري وكاد يصوغها ... لحسنكِ معنىً لا يقاسُ بما تُبدي

ولكن دنا العاتي الغُروبُ فلم أفِقْ ... من الحلم إلاّ بعد أن فاتني رُشدي

وقد ردَّد الموجُ الشجيُّ تأوهي ... وجاوبه في خطوِه الحارسِ الجندي[1]

*****

يعيش على الوهم المجنّح شاعرٌ ... وكم باعه للوجدِ حيناً وللسُّهدِ

ويرضى بأدناه عزاء ونعمةً ... على حين لا يرضى بدنيا من السعدِ

له كبرياءُ المستهين بما يرى ... ووثبُ خيال المستعزّ بما يُسدي

لئن صاحبُ الحرمان يدميه نصْلُه ... لقد آثر التعذيبَ حرّاً على الضَّمْدِ

---

[1] حارس الشاطئ.

لئن أعرضت عنه الغواني لقد شَدت ... بتقديسه الربَّات في عالم فردِ
تَنزه عمَّن حاربوا الفنّ والهوى ... وأولهم من لو دَرَتْ قدّست عهدي
ولم تتكلفْ كل ما هو مُتلفي ... ولم تسقني الصابَ المموَّه بالشهدِ
ولم تتحدث عن نشيدي وروعتي ... بحبٍ وإعجابٍ كأنهما ضدّي!
ولم تدَّخر أنساً لمن عاش عابداً ... مَفاتنها ثم انتهى شبه مرتدٍّ

*****

لمن فِتَنُ الحسنِ الذي جلّ عن حدّ؟ ... لمن شُغف القلب الذي صِيْنَ عن ندٍّ؟
إذا لم يكُنْ هذا الجمالُ لشاعرٍ ... فما لي على فوضى التهافت من ردٍّ
حرامٌ ضياع الوردِ في غير أهلهِ ... وظلمٌ مماتُ النورِ والعطْرِ في اللحدِ!
ولستُ ألومُ الواردينَ تهافتوا ... ولكن ألوم الحسنَ يعبثُ بالوردِ
وما أفسد الإحسانَ إلاّ ابتذالُه ... ولا قُدّر الإحسان إلاّ على قيدِ
سيأتي زمان تندمين على هوىً ... أضعتِ، ويا للحبّ ضاع من الأيدي!

*****

ولكنَّها أصغت إليّ بروحِها ... على النّأي، والإيحاء للروحِ قد يُعدي
كأن ولوعي زاجرٌ ليس ينتهي ... يحاورها باللطف حيناً وبالنقدِ
ويلقي حواليها الشباك رقيقةً ... فما كان من صيدِ الفراشةِ عن بدٍّ
فلما التقينا بعد هجرٍ وترحةٍ ... وكنتُ افتقدت الحبّ في القلق المردي
أعادته مبعوثاً وضيئاً مرفرفاً ... كما رفرفَ الفجرُ الوليدُ على المهدِ
فهل يستعيدُ الحب ماضي رجائه ... ويسمو على الحرمانِ والخوف والحقدِ
ويبني لنا مُلكاً يَعزُّ نوالُه ... على غير فنّان طليقٍ من القيدِ
أم المُثُلُ الدنيا تهدّ مثالَهُ ... وترجعه نهباً لأيامه اللُّدِّ؟!

(١٩٤٣)

دمعة وابتسامة

١- كتاب خليل مطران بك

في [illegible] سنة ١٩٤٢

عزيزي النابغة الدكتور احمد زكي ابو شادي

جاءني كتابك وانا في شوق اليك هو شوق الاب البار الى ابنه الحبيب وشوق الصديق الصدوق الى من يوده بقلبه ويكبره بعقله وقد حرم لقاءه زمنا مديدا.

لقد اسدى الي الاستاذ احمد محرم معروفا يدا بانه ذكرني لديك وكان سببا في وصل ما انقطع عني من انبائك السارة فشكرا له من العربية النبيل واديبها الكبير.

كتابك - وما احب كتابك - اعاد الى نفسي حلاوة ذكريات من ايام المرحوم والدك العظيم. ومن تلك الذكريات انك لم تكتب الي قط الا وقد احدثت شيئا نفيسا في رسالتك اليوم صفحة دواء ما كان احوجني اليه فان استعدت به بعض ما افقدني [illegible] السن من النشاط فالفضل في ذلك عائد اليك وما اقل بجانبه الثناء عليك

لا تحرمني يا ابني الحبيب زيارتك ولو دقائق معدودة اذا جئت القاهرة وستلقى بهذه الزيارة قلبا في نبضاته نبضات قلب ابيك رحمه الله

تقبل ازكى تحياتي واصدق ودي ودم سعيدا معافى موفقا لـ المخلص

خليل مطران

(مصغر عن الأصل)

دمعة وابتسامة

٢- ردّ صاحب الديوان

دمعـــتي وابتســـامتي توأمـــانِ ... وسُـــكوتي عـــذابُ روحٍ يُعـــاني

لدِ نَ قصفُ المدافعِ النيلَ حولي ... وصـــفيرُ القنابـــل المتـــداني

والخـــرابُ الـــذي تطَـــايرَ قُربـــي ... وصُـــراخُ الـــورى بكـــل مكـــانِ

وعويـلُ النســاءِ حـولَ الضـحايا ... وبقايـــا المتـــاع والجـــدرانِ

والظـــلامُ الـــدي يكفّـــن دنيـــا ... ي، وقـــد عرّيـــت علـــى الأكفـــانِ

لـــيس هـــذا، ولـــيس ذا ... ك، ولا الحرب بأهوالِها لنا كل آنِ

بـــالتي تلجـــم المحـــبَّ لـــكَ البـــا ... قـي على العهد في مـدار الزمـانِ

إنمـــا مُلجمـــي تعـــذّب وجـــداني ... لأهلـــي، لشـــعبنا الغفـــلانِ

الـذي لم يـزل علـى اللـهو، مفتنـاً ... ولـــو ضـــاع في افتنـــانِ الجبـــانِ!

يـا صـديقي ويـا إمـامي وعمّـي ... ومـــلاذي كـأنـــه ديّـــاني

عـــش مديـــداً بصـــحةٍ وحبـــورٍ ... وأعرنـــا خوالِـــدَ الألحـــانِ

لـيس كُـتْبي ولـيس شخصـي سـوى بعضـي، فيكفيـك منتهـى إيمـاني!

(١٩٤٣)

مجدا

تحية للطفلة العزيزة كريمة الصديق الأستاذ الدكتور حنا برسوم

مجـــدا يـــا مجـــدا ... ســـتبلغين المجـــدا

تبسّـــمي يـــا شـــاعِره ... إلى الحيـــاة الزاهـــره

واستقبلي الأعواما النور والأنغاما
والأمل المستعذبا وصفو أحلام الصبا
واستعجلي الأياما واستبقي الأحلاما
لتدركي (مصباحا)[1] أستاذنا المفراحا
وتنعمي بجلسةٍ من أنسه أو زفّةٍ
كأنه (الرشيد) مؤلةٌ معبودُ
تحفُّه القيانُ والحور والولدان
ويرتجى في (المعهد) إمام دين مفردِ
يوزّع الأنس لنا كالشهد حلواً يجتنى
ولا يبالي بالورى ولا بدنياهم درى
يحيا حياة الآلهه لا عيش أرضٍ والهه
ويشرب الأنخابا فيرقص الأربابا
فأسرعي يا طفلتي إلى المجاني الحلوةِ
أبوك مثلي منعمُ بفنّه ومغرمُ
وإن يكن مستأثرا بسرّه مفاخرا

(١٩٤٣)

بسمة الأرض

مهداة إلى ابنتي العزيزة هُدى

بسمةُ الأرضِ لوجداني معانٍ كم أراها

---

[1] الدكتور عبد الغني مصباح – رجل الظرف والمرح.

كنَزْتُهــا مهجــتي الفرحــى إذا فاتــت ســواها
والربيــع الحلــو يســقيني ســناها وجناهـــا
فأذاهـــا فيِ صـــميم الـــنفس تحيـــا فيِ رؤاهـــا
جسّـــمتا صَـــلواتي وحنـــاني لهواهـــا
مثلمـــا الصـــوفيُّ في وجدانـــه شـــام الإلهـــا!

*****

يــا ابــنتي، يــا "طفلــتي"، يــا مــن مســرّاتي رضــاها
إن شـــببتِ الآن فـــالأعوامُ فيِ ماضـــي مناهـــا
كلمـــا جـــاء ربيـــعٌ بهواهـــا نتلاهـــى
ذاكـــرين "الطفلـــة" الحلـــوة نـــوراً وانتباهـــا
وســـألنا أمنـــا (الأرضَ) رضـــاها ودُعاهـــا
فتجلّـــت فيِ ابتســـامٍ وأشـــاعته شـــذاها
وتقاســمنـــا علـــى حبـــك دُنيـــا مـــن نـــداها!

(١٩٤٣)

عابر السبيل

(الربيع)

إِصــدحي يــا خــواطري	وامرحــي يــا مَشــاعري
وارقصــي رقــص حــرّة	غالبــتْ كــلّ آســرِ
كــل حلــمٍ عشــقته	عــاد حيــاً لنــاظري
جــاء فيِ موكــب سمَــا	(بــالربيع) المجــاهرِ

لم يعـد بعـد خافيـاً سـرُّه عـن سـرائري
لم تكـن روحـه سـوى روح فـنٍّ مسـامر
جـاء سمحـاً مغـرّداً سـاحراً أيَّ سـاحرِ
أشـرب النـور والهـوى مسـرفاً وهـو عـاذري
وهـو يعطـي كأنمـا ردَّ دينـاً لخـاطري
قلـت: مهـلاً! وإن أكـن ظامئـاً غـير صـابرِ
وادَّخـرْ بعضـه، عسـى يرتـوي منـه هـاجري
فينـاجي صـبابتي بهـوى منـه نـادرِ
نتلاقـى وخمـره بـين همـس الأزاهـرِ
قـال: مهـلاً!؟ ومـن أنـا غـير إحسـانِ عـابرِ؟!
لم تفـرّق سمـاحتي بـين عـان وقـادرِ
لم أسـوّف ولم أكـن بالبخيـل المحـاذر
لم أحاسـب مبـدداً خاطفـاً مـن جـواهري
أجلـبِ الفرحـة الـتي هـي دنيـا البشـائرِ
كـلُّ شـيءٍ مسَسْـتُهُ مـاسَ في سمـتِ قـاهرِ
إن حـبي عِبـادةٌ لم تلـوث بكـافرِ
إن حظـي رِسـالةٌ ألّفـت كـل نـافرِ
إنّ عمـري هنيهـةٌ للمنـى والنـواظرِ
وهـو عمـر مجـدّدٌ في نهـى كـل شـاعرِ!

(١٩٤٣)

الوفاء

(تحية حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا)

مغاني (إسكندرية) إن أضاءت فمن شوقٍ إلى الحرّ الزعيمِ

لقد حجبوا نوافذها[1] فشعّت بتحنان الحميم إلى الحميمِ

وحيّتك (الطبيعة) حين حيَّت كأنّ البدر في عيدٍ مقيمِ

إذا عِيبَ الجحودُ فأي عيبٍ إذا غمرتك بالحبّ الصميمِ

وإن عبدتك منقذها المفدّى ولم تعبأ بشيطانٍ رجيمِ؟

(١٩٤٣)

الصيف

عند شاطئ استانلي برمل الإسكندرية بعد غيبة أعوام

ما للصخور العاريات تدثّرت بالعشب حين الغانيات عواري؟

فارقتها في رقصةٍ وتجرّدٍ والموجُ بين معانقٍ ومُواري

ورجعتُ أرقبها فلم أرَ عندها إلاّ شعور السخر باستهتاري

لِمَ يا صخور وقد وصفتك قبلما حيَّاك من وَصَفوك من أشعاري؟

إن كنتِ زاهدةً فإني زاهدٌ والزهد لم يسلم من الفجّارِ

حين التعبّد والحنانُ تلاقيا في الفنّ وانصبَّا مع التيَّارِ

(الصيف) أقبل فاخلعي لحنانهِ ما ألبستك يد الشتاء الضاري

واستقبلي الأمواج مثل مشوَّقٍ قد عاد بعد لواعج الأسفارِ

[1] إشارة إلى إظلام المدينة إبان الحرب الكبرى.

وتشرّبي الأضواء فهي ذخيرةٌ ... ومن الضياء ذخائرٌ وعواري
هذي الجسوم العاريات هياكلٌ ... للحبّ بين النار والأنوارِ
لا تسأمي نظراً إليها إن وَقَفْتْ ... للفنّ واحتكمت على الأنظارِ
وتبتّلت فيها العقول وحوَّمت ... فيها القلوب بجنَّةٍ مِعْطارِ
وتخطَّرت و(الصيف) فرحانٌ بها ... وكأنها حورية الأسحارِ
أهدى إلى الشعراءِ من آلائه ... ما صُنَّ للفنان من أسرارِ
في كل لونٍ من ظلالٍ حرّةٍ ... ما يستهين بطائشِ الثوّارِ
أنا ما أثِمتُ بنظرتي وتصوُّفي ... في هذه الألوان والآثارِ
فيمَ (الطبيعة) إن جَحَدْتُ بناتها؟ ... فيم (الحياة) استسلمت لإسارِ؟
فتسمَّعتْ لتوسُّلي، وتجاوبت ... وتأمّلي، وتأثرت بحواري
وتلمست شمس الغروب فأعتقت ... من دَنّها المكنوز للخمارِ
حتى إذا شربتْ توهَّج لونُها ... بالنارِ وارتفعتْ على الأحجارِ!

(١٩٤٣)

يوم الجامعة

حفاوة جامعة فاروق الأول بالرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا وبرجال حكومته في الحفلةِ الختامية لعامها الدراسي الأول يوم ٧ مايو سنة ١٩٤٢

اليومُ يومُ تحيةٍ وفخارِ ... تاهت مآثره على "الآثارِ"
حفَل الزعيمُ وصحبه بندائه ... ونداؤه كالنور والنوّارِ
والنُّور كان ولم يزل في قدسه ... للعلم خير لغى وخير شعارِ
فاعتزّ من إعزازهم لندائه ... وازداد إكباراً على إكبارِ

كل الجوارح شاخصاتٌ نحوه ... في متعةٍ وتأملٍ وحوارِ
ودعا إليه العبقريُّ أديبنا ... (طه)[1] بوثبة خالق جبّارِ
فاستلهم المتوثبون شعورَه ... وأضاف (للأيام)[2] يوم فخارِ
وأنابه خُلقُ الوزيرِ ومن ترى ... (كنجيب)[3] في الأسماع والأبصار
يتساندان جراءة ورجاحةً ... في دفع مظلمة ورفع عثارِ
ويؤرخ الإصلاح من تاريخه ... فحياته كنزٌ من الأسفارِ
لمَ لا وهذي نفحةٌ من جهدو ... وضّاءةٌ بالحبّ والإيثارِ؟
شرفت بها (الإسكندرية) مثلما ... شرُفت بسيرة جدّها المغوارِ
ما كان يجمل بي التغني باسمه ... وأنا الأبيّ على رضى الأقدارِ
وهو الذي قد ظلَّ عمراً ثائراً ... وأنا الطليق بموكب الثوّارِ
لكنّ تأدية الحقوق أمانةٌ ... وكذا الأمانةُ شيمةُ الأحرارِ!

*****

يا (مصطفى) اليومَ تجمعنا المنى ... منظومةً في حبّك المختارِ
باهت بحبك أمةٌ لا عصبةٌ ... فسما بجامعةٍ سمو منارِ
ما أنت تعشقه يعيش ويعتلي ... ولو انّه ملقىً من الأحجارِ
فإذا وهبت لنا رعاية ماجدٍ ... فلنا ازدهاء الكوكب السيَّارِ
ولنا ضمانُ الخالدين وما لنا ... عن غاية الإحسان من أعذارِ
أثني عليك ولا أطيل فإنما ... أغلى الثناء يصان في إضماري
من كان ينعم بالمحبة حولَه ... أغنته عن مدحٍ وعن إزهارِ
من كان يقرن بالنزادة فضلا ... أبداً فما أسماه عن أوطارِ

---

[1] الدكتور طه حسين بك.
[2] كتاب (الأيام) للدكتور طه حسين بك.
[3] احمد نجيب الهلالي باشا.

من كان يعطي الشعب من إيمانه ... لبّاه في بذل وفي أخطارِ
كم خضت أشتات المعاركَ هازئاً ... ورجعت لم يمسُّكَ نقعُ غبارِ
تطأ الحوادث والصعابَ وترتقي ... هامَ الزمان مكللاً بالغارِ
ومصارعُ الأهواء تجتاح الورى ... ولطالما نزحوا مع التيَّارِ
ولكم بكينا من هوَوا بغرورهم ... وصمدتَ أنتَ ودست صرعى العارِ
يا طالما علّمتنا ما ينبغي ... للعالِمِ المتعلّمِ الصبَّارِ
واليومُ مجلى بعض ما أسديته ... واليومُ «جني الشهدِ للمشتارِ»
إن جئتُ أنشد للولاءِ تحيتي ... فهي الوفاء أطلّ من أشعاري!

(١٩٤٣)

الخائن الجبّار

رفع صاحب الديوان هذه الأبيات إلى زعيم مصر مصطفى النحاس باشا الذي يضم حزبه التقدمي "الوفد المصري" العديد من الإقطاعيين كسائر الأحزاب المصرية الرئيسية

إلى خليفة (سعدٍ) في مآثرِهِ ... وفي محبة (مصرَ) ملءُ خاطرِهِ
دعاء قلبٍ وفيٍ لا يغيّره ... بُعدٌ وقربٌ، فماضيه كحاضرِهِ
لا يشتهي غير إعزازٍ لأمتهِ ... وكلُّ فخرٍ لها معنى مفاخرِهِ
ما بالها أصبحت نهباً لكابرها ... وهو ابنها المتمادي في كبائرِهِ
من علَّم الخائن الجبار[1] يُرهِقُها ... وأنتَ للشعبِ حامٍ من جبابرِهِ
حتّام تُذعِنُ للإقطاعِ صاغرةً ... ومثل أنيابه دامي أظافرِهِ؟
لا يستوي أن تغيث الشعب من خطرٍ ... وأن تبيح عديداً من مخاطرِهِ
ولا المباهاة في فقرٍ وفي مرضٍ ... على الجهالة في إغلالِ أسرِهِ!

---

[1] أي الإقطاع.

(١٩٤٣)

فن الجحود

تعـودت عرفـان الجميـلِ ولا أرى مبالغتي في الحمد تُصغِر من دَيْني

كأني استطبتُ الفضل للناسِ كلهم عليَّ وإن عاشوا على الغدرِ والمَينِ

وكم فـاخروا بالسيئات وأسـرفوا جحـوداً، وهـاموا بالنكايـة والغَـبنِ

أحـاول تعظيمَ الأيـادي الـتي لهُـمْ وأصْـغِرُ من فضـلي عليهم وأستغني

كـأن شـعوري أن أراهـم أكارمـاً، وإن عجـزوا، حـظٌ تمثَّـل في عـيني

فلم أرَ منهم غير إصـغار نخـوتي وجـازوا سمـوّي بالتحـامـل والمَـنِّ

لـدن قدّسـوا من سـامهم كل نكبةٍ ومَن بادلَ الإحسان بالكيدِ والطعنِ

كـذلك حـال النـاس في كـلّ بيئـةٍ وقد حسبوا أن الجحـود من الفنّ!

(١٩٤٤)

حواء تندم!

جَثَـتْ تُلـهِمُ البحـرَ أسـرارها ويلـتهم البحـر أنوارهـا

و(آدمُ) في قربهـا شـاعرٌ تناسـى الجِنـانَ وأنهارهـا

يغازلهـا لاعبـاً صـاخباً فـيجني مـن اللـهو أثمارهـا

ويقطـف مـن أنسـها للحيـاةِ وتغـنم مـن حبّـهِ ثارهـا

وقـد سـقط المـوج بعـد الكـلالِ صـريعاً فهـيَّجَ تـذكارها

وقـد طاردتـه بنـاتُ البحـارِ فمـاتَ وفـارقَ مِضْـمارَها

ول تَرْثِهِ غير اهفى الأشعة وهي تبدد أعمارها

فتسكبها في الحصى والرمالِ وقد ذوَّبت فوقها نارها

ويرجع مبعوثه للغرامِ ويفنى متى نالَ أبكارها

وتبقى الرواية لا تنتهي ولو أسدلَ الليلُ أستارها

وقد سبحت في المياه الصخور عرائسُ تنشد أشعارها

فما بقيت برهة في مكانٍ ولم تصحب الموج زوّارها

تراوغه وهي في رقْصِها تمثّل للحبّ أدوارها

كأن (الطبيعة) لمَّا انتشتْ أفاضتْ على الكونِ أسرارها

وقد أسكرت كل ما حولها فغنَّى ومجّد خمّارها

فقبَّل (آدمُ) حوَّاءه وألهم (حوَّاء) أوطارَها

فقالت وقد ثَمِلتْ من هوىً كما عانقت باسمه جارها:

"ندمتُ وما ندمي للفراق على جَنّةٍ جِزْتُ أسوارها

وأصبحت من بعدها حرّةً وما حرّرت ثمّ أطيارها

ولكن لأنيَ لم أجترئ قديماً ونادمت أشجارها

فضيَّعتُ عمراً بها طائلاً كأنيَ ساويْتُ أحجارها

وأين الجنان – جنان السماءِ من الأرض تكرم من زارها؟!"

(١٩٤٤)

حوريات الماء

من وحي شاطئ استانلي برمل الإسكندرية

يا للهوى والغواني الساحليَّاتِ اللاعبات بلبّي المستحيَّاتِ

الخـــاطراتِ أمـــامي في مغازلـــةٍ ... غنَّـــاءَ في طُـــرَفٍ للفـــنِّ أشـــتاتِ
عفـــن الملابـــس إلاّ مـــا تبـــوحُ لنـــا ... وســـرن للفـــنِّ آيـــاتٍ وآيـــاتِ
وللرشـــاقة لـــونٌ في تعثُّرهـــا ... بـل في تعثُّرهـا أحلـى الرشـاقاتِ
في موكـبٍ مـن أمـانٍ شـبه ربَّـات ... ومعـرضٍ مـن معـانٍ عبقريـاتِ
تلقَّـفَ الأدبُ المحـروم مُتعتهـا ... نَبـعَ الحيـاة لأنضـاءٍ وأمـواتِ
وأمعـن النظـر المشـدوه محتسـياً ... خمـراً ونـاراً بلـذَّات ولـذاتِ
وتـابعَ القلـبُ دقـاتٍ خَطَـوْنَ بهـا ... دق النـواقيس في مجلـى العباداتِ
رفَّـت أنوثتهـا في كـل جارحـةٍ ... ورفَّ قلـبي لهـا في طـيِّ آهـاتي
لم تلفح الشمس هذا الجسم عابثةً ... إلاّ اسـتحال إلى خمـر وجنَّـاتِ
ومـا تأمَّـل لحظـي في مفاتنهـا ... إلاّ وتـاه سـعيداً في ضـلالاتي
يا نبيعة الحسن واللون الرفيف به ... إن لم يخلـد بأشـعاري وآيـاتي
ولم يسـجَّل بألحـانٍ معطَّـرةٍ ... مـن الحيـاة ولم يصـقل بمرآتـي
ولم أشمْـه طـويلاً في مناجـاتي ... ولم أذقـه شـهيّاً مـن سـلافاتي
ولم أطعَـم ترانيمـي بنفحتـه ... حتـى أعيش بهـا في عمريَ الآتـي
حتـى أهـيم كمـوج البحـر منطلقـاً ... وقـد يـزلُّ ولكـن غـير زلاّتـي!

(١٩٤٤)

الأمـواج

هدهـدي بالهـدير أيتهـا الأمـواجُ قلبـاً إلى حمـاكِ اطمأنَّـا
واسـكبي الراحـة الحبيبـة فيـه، أنتِ برءٌ لمثل قلبي المعنَّـى
تغسلين الحصى، وتلك قلوبٌ بعثرت في الرمـال حتـى دُفنَّا

ثـم جـدَّدْتها نُشـوراً وطهـراً، ثـم أشـبعتها حنانـاً ولحنـا

وأنا الخاسر الذي جاء يستجدي حياةً لديك هيهات تفنى

مـا ترانيمـك الشـجية إلاّ مـا تمنّـى السـلام لمَّـا تمنّـى

تتجلّـى كثـورةٍ وهـي أمـنٌ، وأحـبّ الثـورات مـا عـاد أمنـا

مهرجـانٌ الضـوءُ نشـوانُ فيـه وتغنَّـى الهوى بـه مـا تغنّـى

مـا لـه مبـدأ ولـيسَ انتهـاءٌ لقلـوبٍ تـراه حسّـاً ومعنـى

كم رويت الغرام عن سالفِ الدهرِ ومـا زال مـا تقصّين فنَّا

وتمـرين في ثـوانٍ بأعمـارٍ وتلقـين بعـد شـيبك دفنـا

وتَكـرّين للصـبى وتعـودين بأسـنى مـن الجمـال وأسـنى

ورتيبُ الحيـاة مهمـا يحـاكي بعضُـه بعضـه تنوّع حسـنا

هجـرت مهجـتي الحزينـة دنيـا كلُّ صـفوٍ لهـا تقاضـته دَينـا

وانتهـت حـرةً إليـكِ فمـا خـاب لهـا مأمـلٌ ولم تلـقَ مَيْنـا

كلُّ ما قلته جميلٌ وصـدقٌ لـو أقمنـا للصـدقِ والحسـنِ وزنـا

ويحسبي أنـي أسـيركِ كالضـوء دَفوقُ الشـعورِ أحيـا وأغنـى

حالم فيكِ لست أرضـى لأحلامـي بتفسـير فيلسـوفٍ تجنّـى

أنا حيٌّ مستغرق في الهديرِ العذب لا يستعاض وحياً ولونا

وكأنّ الأرباب مثلي حَواليه أصـاخوا ومـا اشـتهوا عنه بينَـا

فتمِلنـا بمـا حكـى واسـتعدنا، وحـديثُ الأنـام لغـوٌ لـدينا

وحيـاة الأربـاب ليسـت تُعلَّـى ببيـانِ الـورى وليسـت تُـدنَّى!

(١٩٤٤)

معركة الحب

ولــي غــادة ألَّهتهــا الحيــاةُ ... وقــد أبــدعَ الحــبُّ تمثالهــا

حبيــتُ أقدّســها شــاعراً ... يغنّـــي بهــا ويغنّــي لهــا

وينــأى وإن كــان في قربهــا ... كــأنَّ علــى النــأي إجلالهــا

يــداعبها وهـــي إلهامـــه ... ووحـــي الروائـــع إن قالهــا

وتغمـــره بالرضـــى تــارةً ... فيلقـــى الجِنـــانَ وسلســالها

ولكنهـــا حرَّمتهـــا عليـــهِ ... وإن حلّلـــت دائمـــا آلَهـــا[1]

فينعم وهــو الكسـير الحــزين ... كــأنّ الحقــائق مــا خالهــا

فعــاش علــى الــوهم في نفســه ... وهــدًأ بـــالوهم بلبالهـــا

وإن ضــاع في فنّــه مــا أضــاعت ... بحرمانـــه العمـــرَ آمالهـــا!

*****

ويــوم أفــاء عليــه الشــتاءُ ... جمـــالَ (الطبيعـــة) فاســتأنها

كــأنّ جميــع الفصــول اســتجابت ... نـــداءً لـــه ونـــداءً لهـــا

تــلألأت الشــمس في زَهوهـــا ... ولاطفـــت الســحبُ أطفالهـــا[2]

وظــنّــت نســائمه الســاحراتُ ... عـــذارى تهدهـــد أمثالهـــا

فتــوقظ مــن زهــراتٍ نيــامٍ ... حِســـاناً تخيَّـــرنَ ســـربالها

وتــرقص أعشــابها نشــوةً ... فتغتفـــر الأرض إمحالهـــا

وتــنعش حتــى الجمــاد النــؤوم ... فيزهـــى ويعـــرض إجمالهـــا[3]

أجبــت (الطبيعــة) لمّــا دعــت ... وكانـــت فتـــاتيَ إقبالهـــا

---

[1] آلها: سرابها.

[2] كناية عن أشعة الشمس.

[3] إجمالها: تجميلها.

حججْنا إليها فلما مثَلنا ... نسينا الحروب وأهوالها
ولو أن نفسي تعاني الحروبَ ... وكم قطَّع الهمّ أوصالها
فينقذها الفنُّ بالمعجزات ... وقد أصبح الفنُّ مثّالها
يعالجها بالهوى العبقري ... ويرفع بالسحر أحمالها
ويخلقها من جديدٍ مراراً ... ويبني ويهدم أطلالها
ويسعدها ببنات الخيالِ ... يحققن في زورةٍ فالها
أطلنا التأمل والفلكُ تجري ... عرائسَ تسحَبُ أذيالها[1]
ومن حولنا الغنم الراتعاتُ ... حوى بالنا ما حوى بالها
فلما رأيت فتاتي انتشت ... وأصبح حالي إذن حالها
هويتُ أعانقها شاعراً ... وألثمها لثم من نالها
وما الحسن إلاّ لأهلِ الفنونِ ... وما الحبُّ إلاّ رسولاً لها!

(١٩٤٤)

قلبٌ لا يشيب

عوّدتُ قلبك يا حبيبي ... من أن يكدَّر بالمشيب
ذنبي لديك تلهفي ... هل ذاك ذنبٌ يا حبيبي؟
ما حيلتي في قلبيَ الـ ... ـظمآن للنبع الحبيب؟
تجري السنون ولم يزل ... طفلاً تنزّه عن مشيب
يلهو ويلعب هائماً ... لكن بأحلام الأديب

---

[1] من مشاهد ترعة المحمودية بجيرة الإسكندرية.

من علّم القلب الصغيـ ... ـر عبادة الحسن العجيب؟

وتبتلاً كتبتُّل الـ ... ـصوفيّ ذاب على الصليب؟

مَرآك جنّته وصو ... تك لا حنين العندليب

أوَ لم تشاهد حلمه ... في يقظةٍ كالمستريب؟

يخشى بُعادك حاسباً ... دقّات قلبك في وجيب

متهللاً لكَ، لا يملُّ من التطلع كالغريب

يرنو إليك بروح منـ ... ـدمج بروحك يا حبيبي

ويتمتم الصلوات كالـ ... ـنائي بمجلسك القريب

في كل توديع عذا ... بٌ، بل فناءٌ في لهيب

مهما تجلد موهماً ... أنّ الشروق من المغيب

لو تنصف الأربابُ لم ... تتركه للوجد الرهيب

وهو الذي خلقته رو ... حُ الفنِّ للفنِ الأريب

خلقته من نورٍ ومن ... شدوٍ ومن زهرٍ وطيب

أنت المحاسَبُ عنه إن ... لجأ الغرامُ إلى حسيب!

(١٩٤٤)

قبلة أعوام!

هذا حنيني إليكِ ... جمعْته من سنينْ

هل تخذلين لديكِ ... عزيزَ هذا الحنين؟

أهواكِ أهواك حتى ... أصبحتُ أخشى اللقاء

وبات شِعريَ صَمتاً … وبات صَمتي دعاء

أهواك من كل قلبي … ومن جوارح نفسي

وما ابتهلتُ لربّي … إلاّ تملّكت حسّي

وكنت غاية نعمى … تألقتِ في خيالي

فمن أحبك يوماً … لم يرضَ غير المحالِ!

*****

يا فرحتي في شجوني … ونعمتي في همومي

ونشوتي في جنوني … وجنّتي في جحيمي!

كم يسأم الناس حسناً … متى رعاهم بعطفِ

وقد عبدتك فنّاً … فصار هجرك حتفي!

ما لي وما للأنام … وهم بخُلقِ العبيدْ

يا مَن خَلقتِ غرامي … فما له من مبيد

وكلما مرّ عامٌ … نما غرامي شبابا

ولو حواني ظلامٌ … وخان غيري وشابا

هذا وصالك أحيا … موتى الأماني الضحيّه

خلقت بالحب دنيا … للسحرِ والعبقريّه

أسائل (الحظ) عمّا … أباحه من جناها

وهل سأعرف يوما … كما - اشتهيت - مداها؟

فيضحك (الحظّ) لهواً … ولا يحير جوابا

أكان ذلك سهواً … أم عدّ حبيَ عابا؟

أسائل (الحظّ) حتى … يبرّ بي أو يلين

حتى أجاب وأفتى … أني من الملهمين

وقـــال: دونـــك وعـــدي | أنجزتـــــه فتقـــدّم!
لم التســـــاؤل عنـــدي | وأنـــت بالحـــبِ أعلـــم؟!
هــــذا الجمــــال وفيٌ | وأنـــت تشـــكو الطـــواف
فمـــا الأبـــيُ أبـــيٌ | إلاّ علـــى مـــن يخـــاف!

*****

ومـــذ أجـــازت هُيـــامي | بنفحـــةٍ مـــن وفـــاء
جعلـــت لثمـــي كلامـــي | فلـــم يمـــت في الهـــواء!
فحاســـبتني عســـيراً | لكـــن حســـاب الكـــريم
وبـــادلتني شـــعوراً | مـــن الحنـــان المقـــيم
قبَّلتهـــا وكـــأنّي | رشـــفت عمـــراً جديـــدا
ونلـــت مجـــداً لفنّـــي | وحـــزت كنـــزاً فريـــدا
قبَّلتهـــا وهـــي ســـكرى | بنشـــوتي في يـــديَّ
وكـــان لثمـــيَ ســـكرا | بـــدا علـــى وجـــنتيَّ
لثمتهـــا وهـــي ظمـــأى | مثلـــي، وتخفـــي الظمـــاء
ومـــا ارتويـــت لأنـــأى | لـــو كـــان يجـــدي ارتـــواء
تنفســـت عـــن عـــبيرِ | عـــبير زهـــرٍ أســـير
واستســـلمت في كـــثيرِ | مـــن الـــدلالِ الكســـير
وأغمضـــت دون عـــيني | لحظـــاً رفيـــق النعـــاس
هيهـــات تســـديد ديـــني | لـــو أن ديـــني يقـــاس!
يـــا للشـــفاه اللـــواتي | نبضـــن بالحـــب شـــعرا
وهبـــتهنَّ حيـــاتي | رشـــفاً أســـيراً وحـــرًّا
ووسّـــدت في ذراعـــي | رأســـاً زهـــا بالجمـــال

فكيــف كيــف امتنــاعي عــن السـلاف الحَــلال؟!

(١٩٤٤)

أنانية الجمال

الصــبا والجمــالُ يجتمعــانِ في محيّــاكِ روعــةً للبيــانِ

أتمــلاكِ ســاهماً شــارد اللــبِّ بــروحِ الصُّــوفيِ والفنــانِ

وأرى لــذتي بقربــك حرمــا نـي، وبعض اللـذات في الحرمـان

وكــأنّ العــذاب أشـهى جـزاءً للمحــبِّ الــوفيّ والمتفــاني!

*****

إيـه يـا مـن لهـا غرامـيَ مهمـا يخلق الدهر أو تمُت بي الأماني

أنــت روحــي، وأيّ ذنــب لروحــي إن تناهــت بعــالم روحــاني

أنــت سـيّان في كيانــك جسـماً وشــعوراً مصــوَّراً لافتتــاني

وشــعور الفنــانِ دون حــدودٍ فعــلام القيــودُ في ميــداني؟

إن تمنَّعــتِ أيّ صــبٍ هــو الأحــ ــرى بحســنٍ منــوَّعِ الألــوانِ؟

وصــلاة الفنــان مــلءُ احتضــانِ الحســن لا في الصــدودِ والإمتهــانِ

كم معانٍ يوحي بِها الوصل للشا عرِ عزّت من قبل، بل كم أغاني!

إن تناعيــت أو تأبَّيــتِ ضيَّعــ ــتِ على الفنّ فنّ صبٍ يعاني

ليس شِعر الحرمان مهما تسامى مثــل شــعر التجــاوب الفتّــانِ

والجمــال الــذي يقــدّس لا ينــ ــسى حقوق العبَّاد في كل آنِ!

*****

إلفــك العمــر يــا مــلاذي وإلهــا مــي ويــا مَــن غرامهــا ديــواني

كم أُضَحّي معذّباً، كم تسرّيـ ـن، وكم تستطاب لي نيراني

لو قدَرتِ الذي أكنُّ من الحبّ لكنت ارتضيت ما أرضاني

إنما أنت في سمائك والربّات فوق الورى وفوق الزمانِ

لا تبالين إن تُضحّي قليلاً لحياة الورود والريحانِ

عذركِ الجمُّ أن صفْوَكِ شيءٌ غير صفوي، وشأنه غير شاني

لغةٌ عذبةُ الطفولة تنسى كل شيء سوى رضاها الأناني

فاعذريني إذا لجأت إلى (الأر ضِ) وبادلتها وفياً حناني

شاكياً منكِ، سائلاً طبّها الشا في، وأين الشفاءُ للولهانِ؟!

(١٩٤٤)

غرام وانتقام

رثاء أسمهان

أيندثر الفنُّ!؟ يا للقدَر ويُجنى على الحسن حتى الحذر!؟

ويغرق في اليمِّ هذا الضياءُ وكم طافَ بالكونِ حتى عثر!

وكنّا نخاف حنينَ القلوبِ إليه، ونخشى وثوبَ النظر

كأنَّ الحياة التي ألّهتهُ أبت أن يشام بغير الصور

كأنّ الغناء الهوى والشباب وقد مثّلا سرّه المدّخر

فحيناً نكيفه باللحون وحيناً نكيفه بالشرر

فكيف تبدد؟! يا للممات يضيع الكنوز ويبقي الحفر!

*****

مُلقّنةَ الفنّ أحلامه وتمثاله الرائع المبتكرْ!

وشـــادية بـــارقِ الحنـــانِ وعـــذب البيـــان لحســـنٍ نفـــر!

وعـــاطرةً بـــأريجِ الغـــرامِ تمثّلـــها (الأرز) لّمـــا عطـــرْ!

وخـــاطرةً تشـــرئبُّ القلـــوبُ إليهـــا، ويصـــغي إليهـــا الـــوترْ!

يفـــيض الـــدلالُ عليهـــا الجمـــالَ أفـــانين يهفـــو إليهـــا الزهـــرْ

وينـــتظم الحســـن مـــا يشـــتهيه خيـــال المنـــى ونعـــيم البشـــرْ

كـــأنّ (الطبيعـــة) منهـــا استمدت بهـــاء الفصـــول ونـــور البصـــرْ

فمنهـــا نضـــارة شـــدو الربيـــع ومنهـــا حـــرارة صـــيف خطـــرْ

ومنهـــا شـــذوذُ الخريـــف الشـــريدِ ينـــوح ويضـــحك بـــين الشـــجرْ

ومنهـــا جـــواهر ثلـــجِ الشـــتاءِ ولهـــو الريـــاح ولحـــن المطـــرْ

فكيـــف بَرِمْـــتِ بهـــا في الحبـــورِ؟ وكيـــف يكـــون النعـــيم الضـــجرْ؟

مفـــاتن لم يمتلكهـــا جمـــالٌ ســـواك، فلمـــا احتواهـــا انـــدثر

كـــأن مواهبـــك الرائعـــاتِ بإعجازهـــا تتحـــدّى القـــدرْ

كأنـــك أنـــتِ الـــتي نشّـــأتها ولم تتجـــاوز حـــدود الصِـــغَرْ

فكيـــف إذا حالفتهـــا الحظـــوظ وفـــاض الغـــدير وعـــمّ الثمـــرْ

ولم تبتـــدرها عـــوادي الزمـــان فيطـــوى الكتـــاب ويُنهـــى الســـفرْ

فوالهفـــة الفـــنّ مـــات العـــزاءُ! ويـــا لوعـــة الحـــبّ، مـــات القمـــرْ!

(١٩٤٥)

رثاء أحمد محرّم

وجّهه صاحب الديوان إلى عميد الشعر العربي خليل مطران بك

لم يبق في الناس من خيرٍ ومن أدبٍ — فمن أعزّي إذن في شاعر العربِ؟
ومن أرجّي مثيلاً في مناقبه — سوى (خليل) عميد الشعر والأدبِ؟
حفظتما اللغة الفصحى كصونكما — مكارمَ الخُلقِ عن عاتٍ ومغتصبِ
وكنتما فرقديْ فنٍّ وفلسفةٍ — على وشائجَ لم توهَن ولم تغبِ
إن قطع الموت أسباباً مؤصلةً — فأنت واصل ما قد بتَّ من سببِ
لك العزاء أمير الشعر، سيده — يا عارف الفضل من دانٍ ومغتربِ
في الشاعر الفحل يستعلي الخميس به — في نشوة النصر فوق الجحفل اللجبِ
المرسلِ الصيحةِ الكبرى مدويةً — والمنقذ الحقَّ في شِعر من اللهبِ
جمّ الإباء تراه في تواضعهِ — كالشمس دانت وما دانت لمقتربِ
من يستهين بها يلقى خصاصته — ومن يدين بها يغنى عن الذهبِ
ضخم المروءة لم تقعد نحافته — به ولا جسمه الواهي عن السببِ
في كل يومٍ أياديه مرددّةٌ — ولو تقاصر عن جاه وعن نشبِ
وكل حينٍ له شعر تتيه به — محافل الأدب العالي من الطربِ
فللحماسة آياتٌ مغلّبةٌ — في ثورة الحق لا في سورة الغضبِ
وللروائع في تاريخ نهضتنا — ما صاغ من عجب أو ردَّ من صخبِ
وللتغزل ما جادت أنامله — حتى استعاد (أبوللو) عصره الذهبي
وللتفلسف في تحليل مهجته — خوالد رنَّحت أعطاف مكتئبِ
يتلو بدائعه الراوون في جذلٍ — وينعمونَ بما أسدته للحقبِ
كأنما كل بيتٍ جاء يورثهم — كنزاً من الدر أو فخراً من الحسبِ!

أمثـل هـذا يعفّـى ذكـره كسـلاً　　عن واجبٍ، أو يوفّى جد مقتضبِ
والشـهبُ تسـقط أشـجاناً محرّقـةً　　من النجوم ويَشجى بارق السحبِ؟
إن جـاز نسـيانُ مـن لله نسـبته　　ومـن يمـدّ جمـال الكـون بالطُّنبِ
فـأيُّ معنـى لـدنيانا وزخرفهـا　　وللحقيقـة إن عـدّت مـن الكـذبِ؟

(١٩٤٦)

رثاء زوجتي

مـاذا تفيـدك لـوعتي وبكـائي؟　　هـذا فنـاؤك مـؤذن بفنـائي!
أسـديت عمـرك للحيـاة فمـا وفـت　　ومضـيت للأبـرار والشـهداءِ
لهفـي عليـكِ وقـد أتيـتُ مودّعـاً　　فبكيـت فـوق جبينـك الوضّـاءِ
زاد الممـات جمالـه وتنـاثرت　　مـني الـدموع عليـك كالأنـداءِ
كانـت حشاشـتيَ المذابـة حرقـةً　　وبقيـة المكنـوز مـن نعمـائي
فت نّحـت بفجـيعتي، وتضـوّعت　　بسـريرتي، وتـلألأت بوفـائي
وروت محيّـاً كـان جنّـة نعمـتي　　ومـلاذ تفكـيري ووحـي ذكـائي
وطرحـتِ آلام الحيـاة عزيـزة　　فبـدوتِ بـين سماحـةٍ وصـفاءِ
وأقبّـلُ الوجـهَ الحبيـبَ، وطالمـا　　أودعـتُ فيـه صـبابتي ورجـائي
شمـل السـلامُ هـدوءَه، وتبـددتْ　　غـيرُ السـنين، وزال بـرح الـداءِ
وأكـاد أنسـى للممـات خشـوعه　　لمّـا نسـيت تجلـدي ومضـائي
كـم كنـت أعلـق بالخيـال توهُّمـاً　　وأرى الشـفاء ولات حـين شـفاءِ
ويغـالط القـدرَ العـتيَّ تفـاؤلي　　وأنـا الخصـيم لخدعـةٍ وريـاءِ
آبـ ـى اعترافـاً بالمـ ت كـأنني　　لمّـا بكيتـك قـد أضـلّ بكـائي

أو أن هـذا المـوت حـقٌ ثابـتٌ إلاَّ علـى الأحبـاب والخلصـاءِ
أو أن عيشـي أن أراكِ بجـانبي مهمـا هزلـتُ فـلا يهـدّ بنـائي
أعتـاض باللمحـات عـن أغنيـةٍ وعـن الحـديث العـذبِ بالإيمـاءِ
وأعـدّ أنفاسـا وهبـتِ ذخيرتـي وحفيـف ألفـاظ همسـت رخـائي
وأمـوِّه الألم الـدفين وأتَّقـي عِلمـاً بـه، وأصـدّه بغبـائي
وأكـاد أقسـو في مجانبـةٍ لـه أو لـيس جسـمكِ رمـز كـلّ نقـاءِ؟
متنزهـاً عـن كـل مـا شـان الـورى مترفعـاً عـن علّـةٍ وعفـاءِ
حتـى صدمتُ، ولا كصـدمة شـاهق مـتحطمٍ بصـخوره الصـمّاءِ
فجُننتُ من حزني وعِفتُ حصافتي ودفنـتُ كـلَّ رجـاحتي العميـاءِ!

*****

لهفـي عليـكِ زميلتي في رحلـتي وشـريكتي في الصَّـفو والضـرّاءِ
لم أرضَ غيري أن يسـير مشـيّعاً أو أن تـوزّع حـرقتي وعنـائي
وكتمـت نعيـك، كـم أضـنُّ بـذكره وأحوطـه بنُهـايَ واسـتيحائي
لبَّيـت رغبتـك الزكيـة دائمـاً ووعيتهـا نـبلاً ولطـف حيـاءِ
وجعلـتُ مأتمـك الرهيـبِ عـواطفي وبخلـتُ بالتنويـه والإفضـاءِ
حتـى تفجَّـر بـي الأنـين ملاحمـاً وجـرى النظـيم بـأدمعي ودمـائي
مـا كنـت أحسـب أن يومـك سـابقي أو أنَّ أيـام الحيـاة ورائـي
كنَّـا نهيّـئ للرحيـل[1] متاعنـا وننسـق الآمـال غـير بطـاءِ
ونهيـب بالـدنيا لتشـهد حظّنـا ونهـشّ للأيـام والأنبـاءِ
ونـردُّ عاديـة الأنـام تسـامحاً مسـتغفرين لجاحـدٍ ومُرائـي
متسـابقين لـنملأ الـدنيا سـنى بالحـبِ والإيثـارِ والإيحـاءِ

---

[1] الهجرة إلى أمريكا.

فـإذا رحيلـك للنـوى، ووداعنـا للحـظ، والبـاقي الكليم ذمـائي
غدَرتْ بـيَ الدنيا، كـأني لم أصـغ فيهـا الثنـاء، فمـا أفـاد ثنـائي
ووهبتها - كرماً - عزيزَ مواهبي فجنـتْ علـيَّ شـهامتي وعطـائي
اليـوم أدرك أيَّ عـبء فـادحٍ عـني رفعـت ومـا مـدى أعبـائي
كم كنت أحلم بالهناءة والرضـى لـكِ في نهايـة عمـرك المتنـائي
وأودّ مـن قلـبي بقـاءك بعـد مـا أفنـى وأحسـب في هـواك بقـائي
وأعـدّ عمـرك وحـده عمـري ومـا أرضـى سواك من الحياة جزائي
فتنـاثر الحلـم الجميـل وأقفـرت دنيـاي مـن حلـمٍ ومـن أضـواءِ
وبقيـت وحـدي لا عـزاء أرومـه والـذكريات تزيـد مـن برحـائي
يـا طالمـا ناجيتهـا في نشـوتي واليـوم قـد أصبحن من أعـدائي
مـا نعمـتي فيهـا وأنـت هـي الـتي جعلت بصحبتها الأسـى نعمـائي؟

*****

يـا مـن فتنـتِ بكـل مـا هـو رائـعٌ وخلقـتِ ألـوان الجمـال إزائـي
ورسمـتِ لـي دنيـا منوّعـة الشـذى قدسـيَّة الألحـانِ والأصـداءِ
وبثثت بـي حب (الطبيعة) فاغتدت أمّـي، أضـعت عزاءهـا وعزائـي
يـا مـن غنـاؤك شـدوها وحنينهـا وصـداه في قلـبي الشـجيّ غنـائي
لمّـا سـكتِّ تقـاطرت عبراتهـا واستسـلمت للّوعـة الخرسـاء
ومضى الربيع مع الشتاء فلم أجد إلاّ مظـاهر وحشـةٍ وخـلاءِ
تبكيـك أخلـص مـن وفـت لروائهـا وتصـوَّفت بمروجهـا الغنـاءِ
ورأتْ بها الخير اللباب فما شكت منهـا وناجتهـا أرقَّ نجـاءِ
وتناولـتْ ألـقَ النجـومِ فأترعـت منـه دنـان الحـبِّ للشـعراءِ
كـم ألهمـتني مـن عيونـك صـورةٌ جمعـت أحـب عواطـفٍ ومرائـي

وتبسّمٌ تتبسمُ الدنيا له		ويغيب عن معنى وعن خيلاءِ
ورشاقةٌ معسولةٌ ملحونةٌ		كقصيدةٍ خلابةٍ عصماءِ
كم كنت أهتف بالنشيدِ ولم يكن		إلاّ خطوطَ جمالك الوضّاءِ
تجري اليراعةُ في يدي مزهوّةً		بتغزُّلي ويهزُّني إملائي
مترنماً بالحبِ بين ولائمٍ		للزهر والأمواه والأضواءِ
وإِخال في دعةِ المروج جِناننا		وأشيم في ألقِ الغدير سمائي
أيامَ كنّا والشبيبة والهوى		حُلفاء في أمنٍ من الغُرَماءِ
أيام كنا نستعيد ثراءنا		قُبلاً، ونضحك من غنى وثراءِ
أيام كنَّا الحاكمين بأمرنا		الساكنينَ منازِلَ الجوزاءِ
أيّام كنا ذاهلينَ عن الردى		نجري ونمرحُ في الربى الفيحاءِ
ونخوض موج البحر ملءَ دعابةٍ		متعانقين على هدير الماءِ
متحمسينَ كأنما خمرُ الصبا		خمرُ الألوهةِ من أعزّ سماءِ
متلمسين بكل شيءٍ لذةً		ومطوّعين المستحيل النائي
وإذا غضبنا عاد حبُّك غافراً		وتعثرت شكواكِ عند ندائي
وفرحت بي فرَح الحبيبِ بإلفِهِ		قد عاد بعد مَخاطرٍ هوجاءِ
عشنا السنين كأنها أنشودةٌ		علويةٌ جلَّت عن الضوضاءِ
متجددين، وإذا فقدتك لم يكن		فقدي لغير فتاتيَ الهيفاءِ
من رَامها أهل الفنون نموذجاً		للمبدعين ومن لها أهوائي
مَن صوتها الحلو الشجيُّ سلافتي		وحنانها العذب السخيُّ دوائي
مَن لم تدعْ غير البشاشة وحدها		تفشي خواطرها لنقد الرائي
مَن أشربت حبَّ الدعابة سمحةً		واستضحكت لمصاعب الأشياءِ
مَن لم تر الدنيا سوى تغريدةٍ		فأبت هواجسها أشد إباءِ

مَن لم تردد غير آمال الصبا ... لتردني لطلاقتي ورضائي

مَن عشتُ أفديها بكل جوارحي ... فإذا الفداء يهون و هي فدائي

مَن علمتني أن أقدس واجبي ... مهما شقيت فأستطيب شقائي

مَن لم تودّع في السقام وفاءها ... للناس حين مضوا بكل وفاءِ

مَن لم تفارقها الشجاعة مرةً ... حتى الممات، شجاعة العظماءِ

فمضت وخلّتني وحيداً عابراً ... قفر الحياة أنوءُ بالأنواءِ

هيمان، قربك وحده مستنفذي ... ظمآن، ليس سواك ريَّ ظمائي

أقتات بالحزن المبرّح راضياً ... وأعاف كلّ ملاحةٍ وسناء

وأضعت فنّي بعد موتك في الأسى ... وكأنما صورُ الجمال بلائي

مَن طالما ناجيتها متغزلاً ... غرداً، فمات بهاؤها وبهائي

كانت لروحي منك أنس مُدامة ... ومجال أشواقٍ ونبعَ صفاءِ

ومثّلتِ أنت بكلِّ ما أحببتُه ... فالآن أين تهافتي ونجائي؟

أين ابتسامتك الشذيّة بالمُنى ... والنور حين أهيم في الظلماءِ؟

أين ابتداعك للحديث تفنُّناً ... وتسلسلاً يغني عن الندماءِ؟

أين اغتباطك بالمروءة والندى ... والعطف والغفران والإسداءِ؟

قُبرت كما غاب النهارُ أشعّةً ... وكأنما أشلاؤها أشلائي

وتُركت في دنيا القساوة والأذى ... متهالكاً أمشي على الرمضاءِ!

*****

قالو تبصَّر! إنّ حولك رفقةً ... منها، وحسبك صفوةُ الأبناءِ

ورثوا مكارم خُلقِها وسِماتها ... إرثاً تدلُّ به على الآباءِ!

يا ليتهم عرفوا شمول عواطفي ... ووفاء وجداني وصدق ولائي

شيمٌ شقيت بها، وما عفّ الورى ... فأثارهم شَممي وفرط إبائي

وبقيت أسخر من جراحي هازئاً بفواجعِ الآلام والأرزاءِ

مستلهماً من لم تدعني مرّةً في الحادثاتِ أَضيق بالأحياءِ

فالآن بعد ذهابها ومصابها لم يغنني شممي ولا استعلائي!

*****

تمضي الحوادث والسنونُ وتنقضي أممٌ على أممٍ صباحَ مساءِ

ويظل قلبي هيكلاً لك خالداً أبداً يرتّل لوعتي ورثائي!

(١٩٤٦)

وداع مصر

كتاب من أستاذي خليل مطران بك

القاهرة في ٢٠ مارس ١٩٤٦

عزيزي نابغة العلم والأدب الدكتور احمد زكي ابو شادي

بعد التحيات الوالدية والأشواق القلبية

تلقيت كتابك وقد سررت به كما اسر بكل ما يجيء منك

غير انني اسفت اسفا شديدا للظروف التي حرمتني من ادراكك في

القاهرة وأرجو ان ييسر لي زيارة الإسكندرية قبل ١١ ابريل الآتي

ولا فلا شيء بما هو ذلك قبل سفرك بالباخرة الى نيويورك واتمنى

على الله ان تكون رحلتك الاسعدية وان تكون ثمرات هذا المجهود

الجديد لك خيرا وبركة لك ولأولادك الذين تقر بهم ولمحبيك

وهم المعجبون بك وهم كثر

وفي الختام اقبلك مشوقا وادعو الله ان يحفظك ويحفظ

اولادك في نعمة وسعة موفورة

المخلص

خليل مطران

وداع مصر

أهديت إلى أستاذي خليل مطران بك – ١٤ إبريل سنة ١٩٤٦

أودّع (النيل) في توديع شاعره | وقد أودّع نفسي في مشاعرهِ
وما أقبّل طرساً[1] جاء يغمرني | بالحبّ إلاّ وقلبي في خواطرهِ
ولا أفارق أستاذاً تعهّدني | كما أفارق كنزاً من جواهرهِ
ولا أباعد أوطاناً أقدّسها | إلاّ وروحي رهينٌ عند شاعرهِ
تباً لدنيا تديم الحُر مغترباً | فيها، وأخرى تناءت عن سرائرهِ
لامَ العذول، وما أقسى ملامته | ولن ألوم عذولاً في دياجرهِ
حسبي رضاؤك عن خلقي وعن أدبي | وصدق عهدي بماضيه وحاضرهِ
لن يعرف المرء إلاّ من أرومتهِ | وليس يعرف تبر من ظواهرهِ!

*****

(مطران) يا من أناديه بلا صفةٍ | ففي اسمه كلُّ ما يغني كخاطرهِ
هذا نشيدي بلا وزنٍ وقافيةٍ | وإن تسلْسَلَ ألحاناً لآسرهِ
أزجيه آخر ما أزجي[2] ويدفعني | حبٌّ كحبك، مشدوهاً كحائره
إن حال سُقمك في يومٍ شجيتُ به | دون الوداع فسُقمي غير ظاهرهِ
هل عودة أم تناءٍ لا حدود له | فغربة المرءِ أنأى من معابرهِ
وغربة الفكر في دار يمجّدها | أقسى على الحرّ من فقدان ناظرهِ
وهل أراك بيوم مسعد نضرٍ | مضمّخ بزكيٍ من مجامرهِ
تحرّرت فيه أذهانٌ مكبلةٌ | وحطّم الشعب فيه عجل قاهرهِ؟
لعلّ بضعة أعوامٍ سأرقبها | تحالف الحظّ في تجديد زاهرهِ

---

[1] كتاب خليل مطران بك إلى الشاعر بتاريخ ٣٠ مارس سنة ١٩٤٦.
[2] آخرة قصائد الشاعر قبل مبارحته مصر.

وعلّمني حينما ألقاك ثانية	أراك باعثَ شعبٍ من مقابرهِ!

* * * * *

هل يعلم البحر من أفدي ومن خلقت	حشاشتي كمثالٍ من مآثرهِ؟
الملهم الجيل بعد الجيل ملحمةً	من السموّ تجلّت من شعائرهِ
والواهب العمر للفنّان ينزله	منازل الخلد في أسمى منابرهِ
إن كان يعلم فليصمت على ظمئي	ولا يراود فؤادي من مزاهرهِ
وليتّق الحبّ في روحي وفي مُثُلي	فما أبالي الغوالي من جزائرهِ
رقصن في السحَر الموهوب أخيلةً	والبحر يهدر تحناناً نساحرهِ
من خلّد الموج آيات مجددةً	وجدد البحر إعجازاً لزائرهِ
أو لا، فما هو بالإغراء يجذبني	إلى الضلال تهادى في عساكرهِ
ولن أبدّل من عزمي وإن شقيت	نفسي بمنفاي في أقسى مخاطره
وكيف تشقى بدنيا غير صاغرةٍ	لم تقبل الظلم في شتى مظاهره؟
إن طالبتني بجهدٍ فوق محتملي	بذلت عمري عزيزاً عن صغائره
هذا شعوريَ والتوديع أرقبه	كأنما أنا مولود بآخرهِ!

* * * * *

يا (مصر) إن أنس لا أنس الهوى ثمِلاً	على ضِفافِك في شتى عناصره
رضعتُ فيك حناني للجمال، كما	ركعت فيك لساميه وطاهره
لألبثنّ وفياً لا يغيره	عادي الخطوب، أبيّاً في ضمائرهِ
لئن أميت كفاحي في منابته	فسوف يحيا كفاحي في مهاجره!

(١٩٤٦)

استقبال أمريكا

٢٨ أبريل سنة ١٩٤٦

أماناً أيها الوطن السعيدُ ... لقد دُفن الردى ومضى الوعيدُ

فأمسي مأتمٌ لفراق أهلي ... ويومي الحُرّ في نجواك عيدُ

عرفتُكَ ملجأ الأحرارِ دوماً ... إذا ما حورب الحُرُّ الشريدُ

أقبّل تربك المعبود براً ... وألثم رايةً لكَ لا تبيدُ

ولو أني المخلّف في بلادي ... معالمُ حبُّها باقٍ أكيدُ

ولو أنّ الرجال بها استرقُّوا ... وفيك تحرّر السودُ العبيدُ

تضيّع مجدها الأسمى رياءً ... ومجدك دائماً حالٍ وطيدُ

أردنا أن نقوّمها فأبت ... وعوقبنا، وصال المستفيدُ

وضحّينا لعزتها فآذت ... كرامتنا، وبشّ لها الحسودُ

وعاث بها الدخيلُ فبجّلته ... وفدّاها ابنها وهو الطريدُ

يحال العلم جهلاً في رباها ... وللظلّامِ قد زفّ القصيدُ

وللتهريج سلطانٌ يرجّى ... وللطاغوت يُستبقَ السجودُ

وأيسر من وداعتها اتّهامٌ ... يخصّ بشرّه البطل المجيدُ

إذا استشرى الفساد فكل خير ... يذمُّ، وكلُّ مذمومٍ حميدُ

لجأتُ إليكَ يا وطناً تغنّى ... به الأحرارُ واعتزّ النشيدُ

فإنكَ منبري الحرُّ المرجّى ... وبدء نهاي، بل عمرٌ جديدُ

(١٩٤٦)

هكذا حدث....

رثاء نسيب عريضه

ألقي في حفلة تابينه بنزل تاورز في بروكلن مساء ١٥ مايو سنة ١٩٤٦

مـا كـان عمـرك موهوبـاً لإنسـانِ ... ولا لإحسـاسِ هـذا العـالم الفـاني
ولا لأرضٍ وأوطـانٍ حننـتَ لهـا ... فالعبقريـة لم تخلـق لأوطـانِ
والشـاعرية لم تقصـر منازلهـا ... علـى الحياة ولـو مـن رسـم فنَّـانِ
بـل كـان عمـركَ آيـاتٍ هتفـتَ بهـا ... ولم تفسَّـر بإنجيـل وقـرآنِ
ولم تكيَّـف بأوصـافٍ ننمقهـا ... ولم تقـدّر بمقيـاسٍ وميـزانِ
ولم تخصص، فحتى أنت كنت بها ... في نشـوةٍ، بـين مشـدوهٍ وحـيرانِ
مـلء الزمـان تناجينـا وتسـعدنا ... وتحمـل النـور ميراثـاً لأزمـانِ
وتبعـث الـوحي فينـا وهـو ينقلنـا ... إلى عـوالم مـن حسـن وإحسـانِ
تُشـامُ بـالروحِ أطيافـاً وأخيلـةً ... علويَّـةً، وجنانـاً دون جنَّـانِ
أكنَّ مـن صـنعك الفتّـان أم نشـأت ... عن معجزات سمت عن خلق إنسانِ؟
لعـل في مقبـل الأجيـال عارفهـا ... إن فات تعريفها روحي ووجداني!

*****

يـا شـاعر الهمسـات الساميات بنـا ... المبـدعات لنـا قدسـيّ ألحـانِ
كأنهـا صـلواتٌ لا حـدود لهـا ... يغنى الوجود بها من قلبك ألحاني
جمُّ التواضـع، جمُّ العلـم يسـعده ... أن لا يميَّـز في مـدحٍ وشـكرانِ
ولـيس يـبخس إلاّ نفسـه أدبـاً ... كـأنّ أخلاقـه أخـلاقُ ديَّـانِ
ولـيس يعـرف غـير الحـب منقبـةً ... ويحسـب الزهـو من أوزار شيطانِ
يحنو على الشعب في البلوى ويسعفه ... ويسـتثير شـعور الغافـل الـواني
ويرفض الضـيم حتى لو أتـى ملك ... بـه، وكـان رسـالاتٍ لأديـانِ

يـا حـامـل العـبءِ في إيقـاظ أمَّتـه حملـت عبـئين بـل رزءيـن في آنِ
مـا بـرزَّ آثـارك الغـراء مبتـدعٌ ولا بنـى فـوق مـا أعليتـه بـاني!

* * * * *

تركتُ (مصرَ) وقلبي ذائبٌ حَرَقاً وجئـتُ أطفـئ لوعـاتي ونيرانـي
وكنت جانبت أطياف الربيع بها وقلت حسبي بكم جنات (لبنان)
ومـذ وفـدتُ رأيـت الرَبـعَ مكتئبـاً كـأن أحزانـه مـن لـون أحزانـي
فـلا الجمـال قريـرٌ في مباهجـهِ ولا النسـيبُ علـى روضٍ وأفنـان
كـأنّ (آذار) عـاداه وباعـده ومـا رأت عينـه أفـراح (نيسـانِ)
مـا للبشاشـة قـد ماتـت بنضـرته وللأزاهـر مـا هشَّـت لبسـتاني؟
وللجـداول قـد غصَّـت بحسـرتنا كأنهـا لم تكـن راحـاً لريحـانِ؟
وللنسـيم قتـيلاً بعـد عاصـفةٍ وللسـحائب في رعـدٍ وأدجـانِ؟
وللطيـور الـتي كانـت مغـردة تنقّـر العشـب في يـأسٍ وإذعـانِ؟
وللغـواطح لم يشـمخن في نظـري وللروائـع قـد خـيَّبن حسـباني؟
شـاهت جميعاً بعيني بعد ما حرمت لقـاء مـن عشـت أهـواه ويهـواني!

* * * * *

جعلـتَ قلبـكَ قربانـاً وتقدمـةً للنـاس، والآن مـا حبّـي وقربـاني؟
ومـا رثـائيَ مَـن آثـارُهُ عمـمٌ وكـلُّ بيـتٍ لـه كنـزٌ لـديوانِ؟
أغنيت عن كل صيت من عوالمنا وعـن بكـاءٍ وتمجيـدٍ وعرفـانِ
وعشـت فينـا غريبـاً، فلتعـد ألقـاً لموطن الأصل أو للموطن الثـاني
فأنت وحدك تدري الآن ما عجزت عنـه مواكـبُ أذهـانٍ وأذهـانِ
وحسـبنا ذكريـاتٌ منـك عـاطرةٌ وموحيـاتٌ بأنغـامٍ وألـوانِ
وخالـداتٌ مـن الإيمـانِ ناصـعةٌ تهـدي العـزاء وتسـمي كل إيمـانِ

* * * * *

من مات موت شهيد لم يمت أبداً — وقد تُبدّلُ أبدانٌ بأبدانِ
ومن تكن نفسه شِعراً وفلسفةً — وبسمةً من أغاريدٍ وأوزانِ
يأبى الإِسارِ، وإن وافى مجاملة — من الشموس، ويأبى العالم الفاني!

(١٩٤٦)

ذكرى المهرجان اللبناني الكبير

في ترنتن نيو جرزي سنة ١٩٤٦
(مهداة إلى جمعية النهضة اللبنانية)

أبناء (فينيقيا) عشتم لأجيالِ — مفاخرَ الفنِ والإقدامِ والمالِ
ما عابكم أنكم دنيا لأنفسكم — بل عاب حسادكم عجزٌ بأغلالِ
تفجَّر الحزم منكم في مراحلكم — تفجُّرَ النبعِ لم يُخلقْ لإذلالِ
كلاكما جائشٌ فاضتْ عواطفه — وسعيه فسما عن فنّ مثّالِ
كأنما (الأرز) من قدسيِّ منبتهِ — يمتد فيكم بآثارٍ وآجالِ
وتنتحي أمماً شتّى بواسقه — فتغتني أممٌ من بعد إقلالِ
كأنما كل فردٍ بينكم بطلٌ — والمجد لم يُدَّخَر إلاّ لأبطالِ

*****

يا مطرب المهرجان الحرّ قد طربت — مسامعُ الدهر فارفع لحنك العالي
مضت كوارثَ ذاقَ الدهرُ لوعَتها — إذْ جنَّت الأرض واستخذت لجهالِ
فليسمع اليوم ما أعددت من نغمٍ — يشفي الكلوم ويحيي المنزل الخالي
لا حسنُ غيرَ جمالِ الفنِ يُسعفنا — بعد الدموع بأحلامٍ وآمالِ
من مثل قومك في إنشاد شاعِرهم — أو عزفِ مزمارهم أو وحي موّال
في بسطةٍ كانسيابِ النهرِ متَّئدا — أو وثبةٍ كجريءٍ فوق شلاّلِ

أنشد مديداً ولا تسأم فمنك هدىً مثل الأذان لحجّاجٍ ونزّالِ
ويا أماليد (قاديشا) وزينته للرقص والشدو هذا المعرض الحالي
حيث العواطف ألوانٌ منوّعةٌ تجمعت في هوى (لبنانها) الغالي!

* * * * *

ما أجمل الحب في دنيا تآلفه حيث الجمال بأضواء وأظلالِ
حيث (الطبيعة) لم تبخل بزينتها وحيث كل جلالٍ دونها بالِ
مدّت موائدها الفيحاءَ فاخرةً وجمّعت بين ظبياتٍ وأشبالِ
من الفواتن من أنطقن في مرحٍ صخورَ (لبنانَ) ألحاناً بسلْسالِ
من الفوارس من زانت مفارقهم غرُّ الأكاليلِ، أو ركّابُ أهوالِ
من أمّةٍ صحف التاريخ عاطرةٌ بذكرها، وعزيزٌ مجدها الحالي
حار الرواة بما أسدت وما صنعت مدى القرون، وحار الباحث التالي
ولم تزل سيرةً للمجد صادحةً ومضرباً لأعاجيبٍ وأمثالِ
أليس من بدعِ الإقدام ما مثلت في (المهرجان) بآياتٍ وأعمالِ؟
قد أرضخوا القدَر العاتي لهمّتِهمْ ولم يبالوا بألغامٍ وأوجالِ
وأطلعوا بيننا (لبنان) في وطنٍ ما كان للمقدم السامي بخذّالِ
بينا شعوبٌ تعاني وهي صاغرةٌ في الشرق موتين من ذلٍ وإمحالِ
من مبلغٌ أمّتي سرّ الحياة بكم فقد أضيعت بها في القيل والقال؟!

* * * * *

يا وارثي من أضاءوا في مهارتهم وفي جسارتهم نهجاً لأجيالِ
لعلَّ أعظم إرثٍ في تضامنكم وفي تعاونكم في غير إدلالِ
لكُمْ تُبعثَر أجيالٌ بزلزلةٍ ولا يفرقكم عاثرٍ بزلزالِ
طوبى لكم، وليكن هذا التراث غنى فوق الغنى، لم يقوّم بعد بالمالِ!

(١٩٤٦)

ثقتي بمآل الإنسانية

دستور لوحدة العالم

ترجمت هذه القصيدة إلى العربية تلبية لإدارة التعليم في نيو هيفن بولاية كنيتكت
للعرض في أسبوع هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧
وللحفظ في متحف إدارة التعليم هذه

إنّي الأمين على السنين، الحاني ... وأنا الوصيُّ على مدى الإنسانِ
ورهين أحلامٍ سمت بفتوحه ... بينا هزائمه على جسماني
تلك الندوب على الجراح شهيدةٌ ... وكذاك روعة بأسه الفتانِ
وعجيب لغزٍ للحياة مقدسٍ ... لغز الألوهة والسنى الروحاني
عقلي تمثل في قياس نجومهِ ... ونهاي في استيعاب غير الفاني
وعلى حياتي اليوم يتبع في غدٍ ... حكم الذين تتبعوا إيماني
ومقالهم صدقاً: "حملت موفّقاً ... إرث البرية عزَّ في الأثمانِ"
وإذا نما الإنسانُ في تأميلهِ ... بنهايَ، أو بحجايَ، أو بجَناني
وازداد في معنى التفهُّم روحه ... حرَّاً فسوف يعيش في الأزمانِ
ولسوف تغدو السرمديَّة للورى ... أقصى وأفسح من خلودٍ دانِ

(١٩٤٧)

عيد النيروز

١١ سبتمبر سنة ١٩٤٧

قُبَلٌ كأنفاس (الربيع) أبثها ... شوقي إلى الوطن البعيد مزارا
وأراه في حضن (الخريف) بنضرةٍ ... لا تستحيلُ بشاشةً ونَضارا

وأخصُّــه بهــواي رغــم نكايــةٍ تُعلــي العبيــد وتُسـقط الأحـرارا

وكــأن منفــاي السـحيق مقرِّبــي أبــداً إليــه، وإن نــأى وتــوارى

وأغـصُّ بالـذكرى ولـيس بنـافعي أن لا أغــصَّ وأن أمــوت مِــرارا

اخــترت هــذا العيــد يــوم تبتُّــل وتخــذت منــه مثابــةً وشِــعارا

أو لــيس رمــزاً للحيــاة ومــوئلاً للنـاس، إن بطـشَ الزمـانُ وجـارا؟

عيـدٌ تــلألأت (الطبيعــة) بــالمنى فيــه، وألبســت الجمــالَ وقَــارا

هبــة مــن الأربــاب كنــا أهلــها و(النيــل) كــان يزفّهــا أدهــارا

غنَّــت لنفحتــه المــدائن وانتشــت أمــم وأســعد حولــه الأحجــارا

وازيّنــت طربــاً معابــدُ (طيبــة) وبــدا (آمــونُ) المـنعم الجبَّــارا

فِي عيــده القدســيّ كنَّــا أمــةً لا تعــرف الأحقــاد والأوزارا

كنـا نضـحّي بـالجواهر والحلـى فرحــاً ونعبــد مــاءه المشــتارا

وتشــرَّبتْ إكســيرَه أرواحُنــا نعـم الوجـود، وأشـربت أسـرارا

حتــى تبوأنــا مكانــة دولــةٍ بــزَّت، ودانِ لهـا الزمـان جَهـارا

مــا بالنــا بتنــا أصــاغر عــالمٍ نبـذ الصـغير، ومـا نـزال حيارى؟

ألأننــا فتنــا شــعائر وحــدةٍ فتبــدّدت عزماتنــا اســتهتارا؟

ألأنّ أصــداء المعابــد لم تنــل أُذنــاً، فمـات زمانهـا وانهـارا!

(أنسُ الوجود) قضى شهيد وفائه غرقــاً وكــان الضـاحك الثرثـارا

وهياكـل شـتى أطـاح بهـا الأسـى قبــل البلــى، فتحوّلــت آثــارا

هبُّــوا بــني وطــني لأنبـل غايـةٍ ودعـوا الصّـغار وجـانبوا الأوغـارا

وذ.وا الـدخيل فكـم يبـ ث سمومـه لينــال مــن تــدويخكم أوطــارا

شــغلت محــافلكم بكـل قضـية إلاّ قضــيتكم دجــىً ونهــارا

وتهاون الزعماء في ميراثكم ... وتنافسوا فيما يؤول[1] دمارا
هبوا وصونوا وحي ماضٍ ماجدٍ ... وكفى التطاحن وانبذوا الأغرارا
(النيل) باركَكم فرشّوا دوركم ... في عيده بمياهه إكبارا
وتعانقوا بمنى الإخاء، وهللوا ... لجلال (مصر)، ومجّدوه منارا!

(١٩٤٧)

في أتلنتيك ستي

لمن يهدر البحر الحبيب وقد مضت ... حياتي، ولم أستبقِ غير خيالي؟
وقد كان ايام الشباب معلّلي ... وكان نديمي لا نديم رمالِ
وأنفقت أيامي عليه فردّها ... من البشر أضعافاً بغير سؤالي
أيدعو إلى الذكرى عواطف شاعر ... تلاشت على تعنيه المتوالي؟
ولو بعثت، أنى له بشبابه؟ ... وأنَّى له بالحب بعد زوالِ؟
أهذا هدير السحر في شاطئ الهوى ... فليس محالاً فيه أيُّ محالِ؟
تسمَّعته نشوان ألمس غابري ... كما لمس المخمور وهم ليالِ
وما كان بالإعجاز أو سكرة المنى ... فليس بسالٍ كلُّ من هو سالِ
وقد يكمن الفنان في قلب راهب ... كما يكمنُ الإشعاع طيّ جبالِ
فألفيت نفسي في الشباب مجدداً ... أعبُّ من النور الشهي حيالي
وأشربه ألوان أنس وبهجة ... تعالت ولم تبخل برغم تعالِ
وهذي عروس الماء لم تدخَّر حلى ... على الليل، حتى الليل أزهر حالِ

---

[1] يؤول: يدبّر.

أعـدت لـدى البحـر الطـروب طريقنـا — علـى جمـعِ ألـواحٍ نَعمـنَ غـوالِ
(سـفينة نـوح) تلـك أم حلـم شـاعر — تملّـك فيـه الحسـن كـل مجـالِ؟
وتغتـبط الآلاف فيهـا! حبيسـة — ولا تعـرف الأشـواق أيّ مـلالِ
تـروح وتغـدو، لا تـرى الوقـت عـابراً — ولـيس سـواه بـالوجود يبـالي
ومـا تشـتهي أرضـاً تلـوذ بيبسـها — كمـا اشـتاق (نـوح) في زمـان ضـلالِ
فكـلُّ الـذي تعطـاه صـفوٌ مـبرّأً — وكـل الـذي تخشـاه حلـو دلالِ
تـدفّق فيهـا النـور مـن كـل جانـبٍ — إلى أن تـراءى بعضـه كظـلالِ
وعشّـش فيهـا الحـبُّ حتـى كأنمـا — تغـذّى وغـذّانا بكـلّ جمـالِ!

(١٩٤٧)

رثاء عبد المنعم رياض بك

ألقيت في حفلة تابينه بنيويورك سنة ١٩٤٧

صوتٌ من الغرب ناجى روحك السامي — وإن تعثّـر في حزنـي وآلامـي
جـاز المحـيطَ علـى الأمـواج شـاردةً — شـرودَ قلـبي وأحلامـي وأيـامي
أوفـى جريحـاً كجرحـى الحـرب منطلقـاً — مـن القيـود، ولكـن مرهـقٌ دامِ
مـن مـوطن كنـت أحـرى مـن يعـزّ بـه — إلى مـواطن إذلال وإرغـامِ
صِـيْنَتْ عـن الفكـر والتفكير صـاغرة — كمـا تصـان توابيـتٌ بأختـامِ
لكـم سـعيت لكـي أبقيـك موئلنـا — فخـاب سـعيي ولم ينقـذك إيلامـي
وفتّنـا بخضـمّ زاخـر لجـبٍ — وعـالم بخطايـا النـاس دوّام
وكنـت تمـزح في خـوفي وفي لهفـي — بخـاطرٍ كرقيـق الزهـر بسّـام
أيـن الألى طالمـا أشـبعتهم نعمـاً — ومـا اسـتحقوا، ومـا كـانوا لإنعـامِ؟

رفعت أرؤسهم في غير منزلةٍ شأن الكريم، فما اعتزّوا بإكرامِ

أين الوفاء، وما أرجوه في زمني من معشرٍ بين خفض النفسِ والهامِ؟

كم حاصروك لأهواءٍ ومنفعةٍ واليوم شق عليهم بعض إلمامِ

إن تُنس لم تُنس في قلب يذوب أسى وإن تبلورَ في شِعري وأنغامي

يشكو من الغيث من يشكو وفي حرقي لا يشتكي في وفاءٍ قلبيَ الظامي

أنَّ الربيعُ أنيني في عواصِفه وصاح بين تباريحي وأسقامي

وشاب أهواءَه ما شاب خاطرتي من الكلال ولم يعمُر بأيّامِ

كأنما كل شيءٍ حالَ في نظري إلاّ مثالك في نبلٍ وإقدامِ

إلاّ نزاهتك القصوى لدى زمن فيه النزيه غريمٌ بين أخصامِ

إلاّ وداعتك المثلى يدين لها من لا يدين لبرهانٍ وأحكامِ

إلاّ وفاؤك للعانين تسعفهم وكلهم من رعايا قلبك السامي

تولي الجميلَ وما تدريه مغتبطاً وشاكراً شكر مخدوم وخدامِ!

* * * * *

هل يعلم (النيل) أي الناس غيّبه ذاك الأثيم، وإن يُقرن بـأعلامِ؟

وأيّ علم وأخلاق وتجربة قد ضُيّعت حين إعياءٍ وإعدامِ؟

وأي فضلٍ وإيثارٍ وتضحية كنّ الفداء لأقوام وأقوامِ؟

قسط النبوغ يجود النابغون به وقد يجاد بأرواحٍ لأنعامِ

عاشوا اغتراباً بدنياهم وما سلموا وجاوزوها على نار وألغامِ

وكلّ فرد شقيّ بينهم بطل وقد يمجد بالتجريح والذّامِ

أو لا، فبالترك يضنيهم ويقهرهم قهر الجفاف لجنّاتٍ وآجامِ

ماذا انتفاعك بالذكرى، وما انتفعت بك الحياة سوى في بعض أحلامِ؟!

* * * * *

مَن مُرجعي لزمانٍ كنت بهجته وكان مراك إسعادي وإلهامي؟

جمّ السماحة، لا ينجاب عارفه | كأنما هو موكولٌ بأيتامِ
المرءُ الفذّ لا تدمي مطاعنه | ولا تعاب باسفافٍ وإيلامِ
والفاتح العضبُ لا تُنسى معاركه | كأنها غزوات بين أجرامِ
يصغي إليه الذي يعنو لحجته | كالصلد يعنو لغمر الجحفل الطامي
لم ينسَ أمراً إذا ما صال مقتحماً | إلاّ عواقب إجهادٍ وإقحامِ
إلاّ مكانته العظمى، فما هبطت | جهوده لمباهاةٍ وإعظامِ
كان المثال المرجّى في رجاحته | فأين أين المرجَّى بين أصنامِ؟!

*****

(مدينة النور) لم تطفأ عليه أسىً | ولم ينكّس بها مفجوع أعلامِ
وما تنبّه تيار الحياة بها | ولا بكته، وما بالت بأوهامي
ولا المحافل أحياها وأبهجها | ريعت، ولا شاه غرس حولها نامِ
في كل مرأى جمال كنت أعبده | ولم يزل وحيَ صدّاحٍ ورسّامِ
لئن صدفت بحزني عن مفاتنها | فما تبالي بلوعاتي وإحجامي
كأنما لم تزل فيها بشاشته | وعذب أقواله في رجع أنغامِ

(١٩٤٧)

قطرات الندى

من وحي الخريف

وافى الخريف فوافت للندى صور | من الجمال على عشبٍ وأوراقِ
كأنما أودع العشاق أنفسهم | بها، فما كشفت يوماً لأحداقِ
تلألأ الحبُّ فيها وهي باسمةٌ | تبسُّم السحر في ألحاظ عشّاقِ

ما للعناكب قد فازت بحليتها ... وللحشائش قد رفَّت بأشواقي

ولم أزل في ظمائي غير مدّكرٍ ... وما يبالي الندى همي وإخفاقي؟!

إن داعبتها خيوط الشمس راقصةً ... ذابت نضاراً حيال اللؤلؤ الباقي

ولم يعد من مرائيها سوى حلمٍ ... كأنَّما غيَّرتها فتنة الراقي!

*****

غاب الندى ونسيم الصبح يعلنه ... سراً أبيحَ لوجد الشاعر الشاكي

تدري العناكب ما يروي كما نهمت ... كلُّ (الطبيعة) هذا الصامت الحاكي

فإن بكت بدموعٍ للندى نرفت ... فقبلها نرفت في خاطري الباكي

كم للنسيم رسالاتٍ منوعةٍ ... يشجى الوجود لها أضعاف إدراكي

كأنما هي ألغازٌ ووسوسةٌ ... على حروبٍ، وحيناً همس نسَّاك

تعنو الغصون صلاةً في تجاوبها ... وفي تبتُّلها تودي بإشراكي

فما أرى غير دنيا الحب ماثلةً ... فيما أرى بين أنداءٍ وأفلاكِ

(١٩٤٧)

بماذا سيموت؟

إن الطبيب يبذل غاية جهده، فلماذا نرتقب أكثر من هذا؟

(الاتشنج أو الرسم الحفري المعدني للفنان الإسباني جويا)

وطني الحبيبَ وُقيتَ شرَّ الداء ... وأغثتَ من أهليك في الجهلاءِ

الموت أبعد عنك حين وباءِ ... من رحمة الجهلاء والبلهاءِ

ماذا جنيت ليحكم القدرُ الذي ... أفتى بما أفتى من الأرزاءِ؟

أيردّ عنك الألمعيُّ وطبُّه ... وتموت بين سوائمٍ ووباءِ؟

أحنـو عليـك وإن نُفيـتُ، ولم أزل ... صنواً، وقد بتنـا مـن الشـهداءِ
ضاقت بنا الدنيا العريضة واغتدت ... أحلامهـا أحـلام كـلّ مرائـي
وقـد انتهيـت إلى فراشـك سـاكناً ... للنـزع حـين أبَـوا علـيَّ فـدائي
هـل نـافعي كـل الـذي أغنـى بـه ... حـولي وكـلُّ مشـاعر الأحيـاءِ
وأنـا أراك تـئن في أسـر الـردى ... وتـثير لوعـة مهجـتي ووفـائي؟
وأنـا الغريـب موطّنـاً ومغرّبـاً ... ومحرَّمـاً أن تسـتجيب نـدائي؟
سـأعيش في بعـدي رهينـك دائمـا ... أرعـاك بـين تحسـّري ورجـائي
وأهيـب بالأبنـاء رغـم عـزوفهم ... وخنـوعهم وعقـوقهم وبلائـي
فلعلّـه يومـاً يـثير شـجونهم ... قبـل الفـوات، فـلا يـردُّ دعـائي
فتعـود للأحيـاء غـير مكبَّـلٍ ... وتصـيخ للحكمـاء والعلمـاءِ
أقسـى مـن المـوت المـدمّر حالـةٌ ... تـدعو الرثـاء لنـا مـن الأعـداءِ
والعصـر عصـر العلـم، مـن لم يستبق ... لحمـاه ضـاع ومـات دون رثـاءِ!

(١٩٤٧)

الاحتمال

تجرَّعـتُ آلام البريـة مثلمـا ... تجرعـتُ في قلـبي المَسِـيَ حُوَّمـا
غُـلامَ اعتنـاقي للتفـاؤل حينمـا ... فـؤادي ووجـداني بـه قـد تهـدَّما؟
وفـيمَ ولَـوعي بـالوداد أصـونه ... وقـد ضُـرجت نفسـي بأسـهمه دَمـا؟
وإن لم تُضـرَّج بالصـغائر مـرّةً ... وإن لم تـدنَس بـالتزلُّف للـدُّمى[١]

---

[١] الدمى: الأصنام.

وما استمرأتْ نفسي الخصومةَ مرةً فلم تتَّخذها للمنافع سُلّما

ولكنَّها تلقى العذاب مخلّصاً وتؤثره حظاً وتبغيه مَعْلَما

وتَشقى وما ترضى التقهقر موئلاً وتَرقى وما تسترحم الأرض والسما

تَرى ألم الأحرار سرّ وجودهم ومَن ذلك الحرُّ الذي ما تألما؟

طغى كلَّ يوم مأتمٌ بعد مأتمٍ ونفسيَ تأبى أن ترى الكون مأتما

وما نَدِمتْ يوماً على ما أصابها من الحيف مهما نوقت منه علقما

إذا عرف الأحرار حمل بلائهم فما عرف الأحرارُ بعد التندُّما

ومهما شكوا كانت شكاة قلوبهم وفاءً لمعنىً، أو رجاءً تَكَتَّما

وقد آمنوا بالحق يُنصر آخراً وإن دوخ الظلم البريَّة واحتمى

وما زلت تغزوني المآسي كأننا صحاب، وتهواني شراباً ومطعما

بلا كلفةٍ تحيا على برّ مُهجتي فآثرتُ أن أفنى وأن أتبسَّما

(١٩٤٧)

فنّي وحياتي

أمَّتي! ما زلتِ فنّي وحياتي فاصفحي، أو فاغمري باللعناتِ!

لم أقرّع، يائساً أو كارهاً[1] بل محبّاً ريع من عاتٍ وعاتِ

مشفقاً إذ جُرّع الناسُ الأذى غصصاً عدَّت أجلَّ الحسناتِ!

قد أباح (الفنُّ) أمساً مُرهقاً وأباح (الملكُ) إرهاق البناة[2]

حينما (اليومُ) كئيبٌ عاثرٌ تحت أقدام المذلّين الطغاةِ

---

[1] منصوب على الحالية، أي لم أعنف وأنا يائس أو كاره بل وأنا محب ذعر من ظلم الطغاة.

[2] إشارة إلى تقاليد مصر القديمة.

لـيس هـذا الظلـم إلاّ غمـرةً … للسُّـداة[1] المسـتهينين الجُنـاةِ
مـا حـوى فيمـا حـوى تبرئـةً … أو خيـالاً لمعـاذير الحمـاة[2]
بـل حـوى العسـف علـى ألوانـهِ … سـاخراً سـخر المجـانين الـدُّهاةِ
أمَّـتي! مـا كـان شـعرٌ صـغتهُ … في حيـاتي غـير لمـح مـن حيـاتي
مـا عنـاني منـه قلـبي مـرةً … أو ولـوع النـاس أو مـدح الشـداةِ
مثـل الآفٍ قلـوبٍ أُحْرِقَـتْ … في عـذابٍ بـين أفـراحِ القضـاةِ
كـلُّ حسـنٍ شـاقني في غـربتي … منـك، إذ أُلهمـت مُنـك صـلواتي
كـلُّ آيـاتي الـتي أبـدعتها … هـي بعضٌ من سنا (مصـر) الفتـاة
أو دعـائي شـاملاً في حبّـهِ … عـالم النـاس المسـاكين العفـاةِ
وأبـالي النَّفـي إن يسَّـر لـي … بعـض تبديـدٍ لهـذي الظلمـاتِ
وشـقائي، لـو غـدا تضـحيةً … ما شـقائي من عديد التضـحياتِ؟
وليهنَّـأ مـن عـداتي كـلُّ مـن … خـانني، ولينعمـوا يـوم ممـاتي!

(١٩٤٧)

قلب والد

أهديت إلى ابنتي صفية

لا أرى للحيـاةِ كنهـاً ومعنـى … إن تخلـت عـن الهـوى أو تجنَّـى
وسـعيدٌ مـن عـاش يعتنـق الحـبَّ … ومـن حـاز ملكـه مطمئنـا
وأرانـي السـعيد مهمـا تناهـت … نـوبٌ للزمـان غـدراً ومَيْنَـا

---

[1] السداة: جمع وضعي للسادي – اي الملتذ بالتعذيب لمجرد التعذيب.

[2] المدافعون عن جبروت القرون السالفة.

أعرف الحب كيف عشت ملاذي ... وسلامي، وأملك الحبّ كونا

وتناهيتِ يا (صفية) في البرّ ... بقلبي فلم يعد بالمعنَى

أيّ ذكرى أخطها لك إلاّ ... دعوات بها فؤادي تغنَّى

منذ ما كنت طفلةً وأنا أشدو بما أرتجي وترجين منَّا

إن قلب الأب المحبّ لَدُنيا ... لم تكيَّف ولم تحدَّد بمعنى!

(١٩٤٧)

القلب الباكي

وحي باقة من الورد في عيد ميلاد الشاعر

هل يعلم الناس نجوى قلبيَ الباكي ... وما أعاني بأشواقي وأشواكي؟

ما نعمة الورد للمحزون آلمهُ ... عطر من الورد حاكى روحه الشاكي؟

إذا تبسَّم لم يظهر ببسمته ... إلاّ أساي، وإن يجهش فإبراكي

يلقى الشتاء لقائي، لا يدفّؤه ... ما هيأ الناس، منهوكاً كإنهاكي

كأنّ باقته تهدي إلى أملي ... عواطف الحب عانت غدر سفَّاك

كأنما عيد ميلادي يعانقها ... على وداعٍ بقايا حبّي الذاكي

هنَّ اغتربن الضحايا لا ذنوب لها ... كما اغتربت، فماتت موت نسَّاكِ

*****

يا (مصر) لولاك ما فارقت في حرقي ... أزكى الجنان، ولا عوقبت لولاكِ

أهواك في غربتي أضعاف ما سمحت ... به المقادير في قربي لأهواكِ

أبت عليّ كفاحي عندما أننت ... للغادرين، فعاثوا في حناياكِ

ما العيد عنديَ عيدٌ في مباهجهِ ... أنا الغريب، فعيدي يوم ألقاكِ

علـــى ســلامٍ وفي حرّيّـــة شملــتْ ... لا أن أعـــود لأغـــلالٍ وأشـــراكِ

الـــثلج حـــوليَ أحنـــى في تحـــرّره ... علـــى فـــؤاديَ مـــن ضـيمٍ بـــدنياكِ

والنفـــي أســـعد أيـــامي إذا فرضـــوا ... ذلَّ الجبـــــاه لمـــــتّقون وأفّـــــاكِ

يـــا رُبَّ مقـــتربٍ في حكـــم مغـــتربٍ ... وضـــاحك كـــلُّ مـــا في قلبـــه بـــاكِ!

(١٩٤٨)

ربيع الحرّ

ربيـعَ الحُـرِّ أشـرقْ يـا ربيعـي ... وثـبْ فرحـاً مـع الحَمَـلِ الوديـعِ

ولا تَحجـب حيـاءً كالعـذاري ... سـناك أو صـلاتك عـن سميـعِ

لقـد نمَّ الأريـج عليـك لمّـا ... أريـق شـفاعة الحـب الصـريعِ

ونمّ عليـك همـسٌ مـن غصـونٍ ... ووسوسـة الـبراعم في خشـوعِ

وسقسـقة الغـرام تـذوب لحنـاً ... بـأمواج الضـياء علـى الـزروعِ

وآمـال السـلام وقـد تـراءت ... نجومـاً في السـماء وفي الربـوعِ

وتحنـانُ الجمـادِ لكـل حـيٍّ ... يـرفُّ بلهفـة الطفـل الرضـيعِ

وأنـداء الصـباح مضـمَّخاتٍ ... بعطـرِ الحسـنِ في نسـقٍ بـديعِ

وآلاف الروائـعِ سـافراتٍ ... وإن خفيـتْ عـن الحسـنِ الوضـيعِ

يفـيض الجـوُّ سـحراً عبقريـاً ... تفـرَّد بالأصـالة والنـزوعِ

كـأن جميـع آلهـة المعـاني ... حبَتـه كنـوزهنَّ علـى الشـيوعِ

كـأن الكـون يخفـق في حبـورٍ ... خُفـوقَ الشـعر في الـروح الرفيـعِ

تقـدّس كـلُّ شـيء في عيـوني ... وقـد ران الجمـال علـى الجميـعِ

فكيـف إذا سـفرت لنـا فتيـاً ... بثـوب العـرس تخطـر في الجمـوعِ؟

وكيـف إذا الأناشـيد الغـوالي أغـثن الـروح مـن ظمـإٍ وجـوعِ
ولقّـنَّ العبـادة كـل قلـبٍ وأطلعـن الشموس مـن الشموعِ؟

*****

ربيـع الحـرّ أشـرق يـا ربيعـي وثـب فرحـاً مـع الحمـل الوديـعِ
كلانـا كـان في عَنَـتٍ وضـيقٍ يعـاني الأسـر في سـجن منيـعِ
وكنـتَ معـذَّباً شـاهتْ نُهـاه وكنـتُ ضـحية القـدر الفظيـعِ
فعـدنا اليـوم يجمعنـا إخـاءٌ وأرض لم تسـخَّر للرقيـعِ!

(١٩٤٨)

تحية وفاء

في عيد (الهدى) الخمسيني

"الشـتاء! الشـتاء!" صـاح بـيَ الجـارُ كـأني في حاجـة للنـداءِ!
ونَـثيرُ النجـوم حـولي وقـد بـزَّ خيـالي وهـزَّ شـتى المرائـي
والضـياء الأصـيلُ ران علـى الـدنيا سـناءً مجسَّـداً لا يُرائـي
فاتحـاً كـلَّ معقـلٍ حجبتـه عـن عيـون الـورى بـروجُ السـماءِ
لاهيـاً سـاخراً، وقـد خضـخض الـدنيا فزالـت معـالم الأشـياءِ
وغـزا الوقـت فـامَّحى كـلُّ حـدٍ لنهـارٍ معـرَّفٍ أو مسـاءِ
وإذا بـي مشـرّداً وكـأني مـا شـهدتُ العمـران يومـاً إزائـي
وأخـوض الثلـوج شـبه غريـقٍ كبَّلتـه فـوادحُ الأعبـاءِ
شـاكراً حظّـي العظيم، وقـد شلَّت جموعٌ، وشـلَّ نفس الهواء
ذاكـراً في حـرارة الـودِّ عيـداً يمَّحـى عنـده صـقيع الشـتاءِ

شـغل القلـب ذكـره فتناسـى مـا عـداه، مسـتغرقاً في الغنـاءِ
أيُّ عيـدٍ هـذا سـوى عيـد إقـدامٍ وفكـرٍ وهمـة واعـتلاء؟
هـو عيد (الهدى) الأغـرّ المـوافي بمعـاني الوفـاء للأوفيـاءِ
لـيس بدعاً وقد نعمت بهـا وقتـاً حنيني الملـحُّ أو خيلائـي
هرعـوا يحتفلون بالعيـد أفواجـاً وزفُّـوا لـه تحايـا الـولاءِ
وتبـاروا في كـل رمـزٍ جميـلٍ لم يُـدنس مـن ريبـة أو ريـاء
شـرفٌ للجميـع مـا هيَّـأ (اليوبيـل) مـن عـزَّةٍ لهـم أو رجـاءِ
لـيس عمرُ الخمسـين عمـراً لأجيـالٍ، ولكـن لنهضـةٍ زهـراءِ
لم تـزل في شـبابها مبعث الـوحي منيعـاً علـى البلـى والفنـاءِ
عـززت حرمـة اليراعـة والـرأي ومجـد الصـحافة الشـمَّاءِ
وتسـامت منـارةً لا تسـامى، فقليـل لهـا جزيـل الوفـاءِ

(١٩٤٨)

الألوهة والكون

كـلُّ شـيءٍ في الكـون سـحرٌ عجيـبُ — والغريـبُ القصـيّ فيـه قريـبُ
يجهـد العلـمُ باحثـاً بينمـا وفّـقَ مـن قبـلُ واحتـواه الأديـبُ
هكـذا كـلُّ ذرّةٍ مـن كيـاني — تحتـوي العـالم العظـيم السَّـاني
أنـا فـانٍ وفي المـدى غـيرُ فـانِ — وكيـاني هـذا الوجـود الرحيـبُ
والإلـه العظـيم هـذا الضـياءُ — ومعانيـه أجملتهـا السـماءُ
لا ابتـداء لـه ولـيس انتهـاءُ — أو شـروقٌ لوحيـهِ أو غـروبُ
كـلُّ شـيءٍ مـن حولنـا يتحـولْ — ولـو انَّ الخلـودَ طبـعٌ مؤصَّـلْ

سوف نحيا على ضروبٍ تشكّل | بينما الأصل واحدٌ والضروبُ
لِبناتُ الوجود موجٌ يدورُ | قد تجلّى به الإله القديرُ
والجمال الذي به نستنيرُ | غايةٌ للوجود لا تستريبُ
هو فنٌّ ثوى به الفنّانُ | هو كونٌ أرواحه الأبدانُ
هو معنى ما فاته الإمعانُ | وتناهى إليه شعرٌ حبيبُ
ما ابتهالي إلاّ ابتهالٌ لنفسي | فئنا ملهمٌ جَناني وحسّي
وحناني إلى الإله وقبسي | من سناه استجابة لا تخيبُ

(١٩٤٨)

حسني الزعيم

(بردى) أيلقى النطْعُ خير بنيكا | ويموت من أحيا العظائم فيكا؟!
لهفي على شعب يباع ويشترى | والبائعون المشترون بنوكا!
تُشجى العصور من المآسي حولهم | وتعافُ عدّ طغاتها أهليكا
ماذا دهى الشعبَ العزيز وقد غدا | صيداً لكلّ مغامرٍ مملوكا؟
يأبى النهوض كأنما أجداده | حفروا الخنادق مَعْقِلاً مهتوكا
وتجنبوا رفع الصروح، وآثروا | ذلاًّ، فصاروا الخامل الصعلوكا!
ماذا دهاه وكان موئل عزّةٍ | لرجائنا، فأطاحه منهوكا؟
من شجّع الإجرام غير رضائه | بالضيم يتبع سوقةً وملوكا؟
ساموه خسفاً لا يحدُّ، ودعَّموا | فوضى نرته الواهن المفلوكا
يا شعب! إن رمت المذلّة فاغتبط | أو لا، فأين قصاص من نهبوكا؟
ليس العدوُّ ألدّ ممن عفّروا | تلك الجباه تحكُّماً ورثوكا!

*****

(حسني الزعيم)! كتبت نكرك خالداً في المصلحين له، نماً مسفوكا

يا من ترفّع عن صَغار خصومه تعب الخصيم وما أثار شكوكا

إن عُدّ مثلك خائناً لبلاده نِعم الخيانة للعظيم سلوكا

يا حافظ الحرمات، هذي غايةٌ للمتقين نكايةً وحلوكا

شتّان بين هوانِ ما أورثته وجلالك المزري بمن ورثوكا

الناس هم تلك الذئاب وخيرهم صلبوا (المسيح) ومجدوا المأفوكا

وقضوا على البطل الهُمام بإفكِهِم مذ عدّ للبطل الهُمام شريكا!

إن يهنأ اليوم الذئاب، ففي غدٍ سيروّعون من العقاب وشيكا!

*****

مهلاً زعيم المصلحين فربما ناب الممات فراح يستهديكا

ليرى الأواخر ما صنعت ويهتدوا وليُتْمِموا بوفاء من يفديكا

ماذا يريد الغادرون – وما دروا إلاّ الخيانة – بالنداء ركيكا؟

أنقذتهم، فإذا بهم في دأبهم مثل العقارب تبغض التحريكا!

وسبقت عصرك والنبوغ جنايةٌ وأبيت شعبك تائها منهوكا

أوسعت صدرك للعداة وهكذا أوسعت صدرك للرصاص ضحوكا

فارقد! لعلّ ثرى بلادٍ صنتها تحنو عليك حنوّ من عرفوكا!

(١٩٤٩)

غضبة الأحرار

إلى الصديق سلّوم مكرزل صاحب (الهدى) في عيد ميلاده

إنن لم يعد في القوس للصبر منزعُ ولم يبق غير الثأر للناس مفزعُ

وخيرٌ لهم أن يشبهوا الريح ثورة ... عن الريح تستبكي كما تتوجعُ
وخير لهم أن يلثموا النطع والردى ... عن الذل حين الحر للبغي يركع
حيينا إلى عهد به الجبن دولةٌ ... وفيه الأبي الشهم عانٍ مضيَّع
وأصبح فيه اللص ينهب جهره ... وأصبح رب الحق يرجو ويضرعُ
ولم يسعف الظلّام من جبروتهم ... بأكثر ممن للأذاة تطوعوا
وواعجباً تسعى الضحايا لحتفها ... وبالشرف المحيي لها ليس تقنعُ
ووا أسفاً للجهل يغلب أمةً ... فلا الجيش يجديها ولا المال ينفع
وواضيعةَ الآمال في عهد شيعةٍ ... تجافت وجافتها المكارم أجمعُ
كأن لها حظّاً بتدويخ شعبها ... فمن يدها يسقى الردى ويجرَّعُ
وفي كل يوم نكبة بعد نكبة ... تزعزعها، لو أنها لا تزعزع
فما هذه الأقدار تسحق أمة ... وتترك جلّاداً لها يتمتعُ؟!
وذا الأمم استخذت ودانت لغيرها ... فلا الوهم يغنيها ولا الزهو يرفع
يفوّت غنماً بعد غنم، ويدعي ... مضللها أضعاف ما يتصنعُ!

*****

هنيئاً أبا الأحرار بالقدح نلته ... وساماً، وقد هان الوسام المرصعُ
ستذكرك الأجيال خادم مبدأ ... وبينِ له الأجيال تعنو وتخشعُ!

(١٩٤٩)

الشاعر السامي

رثاء خليل مطران

إلهة الشعر! عاد الشاعر السامي ... إلى عوالم لم تحصر بأجرامِ

إلى عــوالمَ غنَّاهــا وأســكرها ... كــأن أضــواءها أصــداء أنغــام
إلى نهــىً لم تُكيَّـف في منازلهـا ... ولم تحــدد بأنفــاسٍ وأجســام
إلى منــابع للإلهــام صــافية ... فاضت على الشمس والدنيا بأقسام
الأنبيــاء إلى عليائهــا انتسـبوا ... والشــاعرية في وحــي وإلهــام
إلى منــارك، فاســتعلت كواكبــه ... ونحــن في وهــدة هانــت وإظــلام
تــدور لا مُلجــمٌ يملــي مســاربها ... ونحــن مــا بــين إســراجٍ وإلجــام
وتبعــث الشــعر في خفــق أشــعتها ... جــمَّ الفصــاحة أن يوصــف بإبهــام!

* * * * *

إلهــة الشــعر! عــاد الشــاعر الســامي ... إلى عــوالم لم تحصــر بــأجرام
لم ينــزع المــوت إكليــلاً خصصــت بــه ... ذاك الجــبين، ولم يظفــر بإغنــام
وإن يكــن قــد أثــار الهــول في مهــجٍ ... ويعثــر الزهــر مــن بــاك ومــن دام
أســري بــه في بــروج لا كواكبنــا ... تــدري مــداها، ولا أربــاب أحــلام
وخلَّــف الفــن مكبوتــاً علــى وجــل ... ألم يــرزأ بفقــد الكوكــب (الرامــي)؟
طــار النعــيُّ ويئــس الطــير روَّعنــا ... وهــو الجــريح بــأحزاني وآلامــي
ألقــى علينــا الأســى تكــلاً ومســغبةً ... مبــدّداً نخــر آمــالي وأحلامــي
زاد الهجــير لهيبــاً فــرط حرقتنــا ... ألــيس حرقتنــا أنفــاس أيتــام؟
كأنمــا لم يمــت قــبلاً بعلتــه ... الفــاتحون لــدولاتٍ وأفهــام
كأنمــا عيشــه حــامٍ لفكــرتهم ... والفكــر لــيس لــه كــالفكر مــن حــام
مــا أفــدح الخطــب للعــانين مــا نعمــوا ... فكــلُّ جــرح جديــدٍ غــير ملتــام
ومــا أشــقّ المآســي للشــعوب متــى ... تُــدوولت بــين إحيــاءٍ وإعــدام!

* * * * *

هــل يعلــم النــاس أي النــاس قــد فقــدوا ... أم لا يزالــون في نــومٍ وأوهــام؟
وهــل بكــت (بــردى) و(النيــل) واضــطربا ... كــالأرز مــن نــوح أعــلامٍ وأعــلام؟

أصـــالةٌ مـــن جــلالٍ لـــيس يرفعـــه	عـــال مـــن المـــدح أو دانٍ مـــن الهـام

مـن سـاير النهضــة الكـبرى وهـذّبها	بـــالفن والـــرأي أعوامـــاً بـــأعوامِ

ومـــا تـــردّد في تكييـــف مبدئـــه	ولا تنبـــذب في نقـــضٍ وإبـــرامِ

ولا تلعـــثم يومـــاً في رســـالته	ولا تعثّـــر في تحطـــيم أصـــنامِ

كأنمـــا رشـــده الصمصـــام في فـرقٍ	وشـــعره بـــرء فأفـــاءٍ وتمتـــامِ

أجـزت شـجاعته الأحـرار مـن خـدع	في عـــالم زاخـــر بـــاللؤم لـــوّامِ

وفـاض شـؤبوبه رِيّـاً لمـن عشـقوا	أنفـــاس (طيبـــة) أو ألحـــاظ آرام

وأشـــرفت بعلبـــك مـــن خرائبهـــا	عـرائس المجـد في (لبنـان) و (الشـام)

ألبسـتها حلـلاً مـا نـال مشـرقها	أعـراسُ (كسـرى) ولا أفـراحُ (بهـرام)

مـا (البحتري) مـن (الإيـوان) موقفـه	وأنـت في (بعلبـك) العابـد السـامي؟

منـــازلٌ لـــك لم ينـــزل بســـاحتها	إلا النبـــوغ، فمـــا هانـــت لأقـــوامِ

شـــعر تشـــرّبه الأرواح صـــافيةً	وتســـتقلُّ بـــه، لا نظـــم نظّـــامِ

وشـــاعر لم يمهـــد قبلـــه بهـــدى	مثـل (المسـيح) أتـى مـن بعـد إظـلامِ

جـم المـروءة، وافي الخُلـق، نمتـه	ليســـت دعيـــة أحبـــاب وأخصـــامِ

يغـدو إليـه ذوو الحاجـات في لهـف	وينثنـــون وكـــلٌ جـــدّ مبســـامِ

ومـــا تعـــاظم يومـــاً في تفوقـــه	بـــل في تواضـــعه آيـــات إعظـــامِ

كانـــت زعامتـــه ركنـــاً يـــلاذ بـــه	دون إدعـــاءٍ لأحـــزاب وأحـــزامِ

كـالنور لـيس لأرض أن تُخـص بـه	ولـــن يقـــاس بأبعـــاد وأرقـــامِ!

قـد ضـن بـالفنّ إلا للبصـير بـه	كـالكنز خُبّـئ في حـرزٍ بأختـامِ

وصـان تفكـيره عـن عـرضٍ مبتـذلٍ	كأنمـــا هـــو حصـــنٌ بـــين آطـــامِ

والفكر كالدين حيّ في قداسته — ملءَ العصور بلَيات وآرام[1]
لا كالخرائب والأطلال يسكنها — شبح الفناء وتستخذي لأبوام
ما عززت أمةٌ أودت بعزته — ولا اغتدت دونه في عدّ أنام
إذا تهاون شعبٌ في كرامته — عزّ الأثيم عليه عند أدّام
وإن أسيء إلى الآسي يعالجه — لم يرأم الجرح أو ينقذ بإرآم[2]
ما حاربت أمةٌ أخيارها ونجت — أو أودعت أمرها أوهام رجّام
هذا هو الخالد الموهوب أرفعه — عن أن تشير إليه أي إبهام!

*****

قنعتُ بالحظ في النجوى ومرتقبي — نعمى حنانك في عودي وإكرامي
يا من أصاخ له قلبي فهذبني — طفلاً وكهلاً، وأحيا كل أيامي
يـ من سَكَنْتُ إليه العمر ملتجأ — ضافي العزاء، فلم أعبأ بأخصامي
صحبته في خيالاتي، وفي مثلي — وفي حياتي، وفي سعيي وإقدامي
ولم يزل... ما لهذا الموت يعصف بي — كما يبعثر تأويلي وأحكامي؟
وما لبرهة عام كنت أرقبها — حالت أبوداً ورنّتني لأحرامي؟
أولى به ساعة تنكيس أرؤسنا — حزناً عيه وتنكيسٌ لأعلام
لا أن تخفّض للطاغوت صاغرة — أو أن تطأطئ في بؤس وإعدام
لئن تجرد عن ألقاب مملكةٍ — زانت جباناً وما كانت لمقدام
فالذئب يمرح في ثوبٍ لسيده — وما يبدّل غنماً ثوب ضرغام!

*****

لم يبق لي من عزاءٍ غيرُ ما وهبتْ — يمناكَ للخلد من آيات رسّام
ومن مزاميرَ جلّت في ترسّلها — وفي تسلسلها عن أي إدغام

---

[1] الآرام: النصُب التي يستهدى بها.
[2] الإرآم: معالجة الجرح.

ومـــن تسـابيح مطــران أردّدهـــا ... كأنمـــا هـــي مـــن أركـــان إسـلامي
ومــن أغاريــد للعشّـاق أرشـفها ... راح الشـباب فأنْسـى جـدب أيـامي
مـا الـراح في الخلـد موعوداً بهـا أبـي ... أرضـى بجاماتهـا عـن هـذه الجـام
ومـن أهـازيج في معنـى وفي صُـوَرٍ ... هـي (الطبيعـة) في روحـي وإلمـامي
ومـن عظـاتٍ وأمثـالٍ وفلسـفة ... جـاءت أناجيـل فـوق المـدح والـذّامِ
ومـن تهاويـل للتـاريخ تسـردها ... فـنلمح الـدهر أحقابـاً بئيـامِ
ومـن صـنائع للمعـروف سـابغة ... سـاوت بـبرّ لمخـدوم وخـدّامِ
ومـن أحاديـث مـجّ الشـهد مبـدعها ... وإن تـوارت بأزهـار وأكمـامِ
تـنمّ عـن عبقـريّ الفـنّ معجـزةً ... والفـنُّ كالحـب يحيـا جـدَّ نمّـامِ
ولا أنـيس سـوى الـذكرى لصـحبتنا ... وكـم تثـور علـى يأسـي وإحجـامي!

*****

رحلـتَ في زمـنٍ عـزَّ الحكـيم بـهِ ... والسـائس الحـرُّ، بلـه الشـاعر السـامي
عـن أمـةٍ حظهـا الشـكوى بـلا خطـر ... فمـا تثـور علـى أسـواط ظـلّامِ
يخشـى أفاضـلها الأوغـادَ إن سـعلوا ... ويركعـون لأغـرارٍ وأوغـامِ
ويسـخطون علـى مثلـي ليقظتـه ... إذ يمـدحون ويبكـي الشـانئ الرامـي!
لا يسـتقرون مـن روعٍ ومـن قلـق ... ولا يلبـون حتـى عـزم همّـامِ
إذا أردنـا لهـا اسـتقلالها نفـرت ... ومـا كرامـة ذي عـوزٍ لقـوّامِ؟
كأنمـا نسـيَت تـاريخ عزتهـا ... ولم تطـوّف بـأهرام وأهـرامِ!
قـالوا: قطيـعٌ مـن الأغنـام يشـبهها! ... يـا ليتهـا كقطيـع بـين أغنـامِ!
يصـطاد أرزاقهـا مـن لا أكـيّفهم ... وتسـتباح ركوبـاً عنـد إجـرامِ
ولا يقومهـا نصـحٌ ولا عـبرٌ ... ولا سـدادٌ، وتهـوى لهـو هـدامِ
كـم خودعـت وصـروف الـدهر ضـاحكةٌ ... فخلطـت بـين أحبـاب وأخصـامِ

ما بارم الحبل في أعواد مشنقةٍ كرافعٍ لبنود النصر برّامِ
فأثخنتها جراحات بلا عددٍ وأسلمتها لزلاتٍ وأسقامِ
وما ينال وفيٌّ حين يرشدها إلاّ العقاب وإلاّ وطء أقدامِ
الهزل ما زال من أسمى شعائرها والجهل معبودها في ملكه النامي
أحرارها غرباءٌ لا تميزهم في حين تدنو لأوشابٍ وأعجامِ
لم تتعظ وصروف الدهر تلطمها ولم تزل رهن أنصاب وأزلام
وتغفل الوقت إسفافاً ومنقصةً وثأرها عند بطريق وحاخامِ
ولم أزل وأنا العاني بخدمتها شبيهها في ضلالاتي وإيهامي
أحنو عليها وإن جارت على أدبي وعاقبتني على برّي وإنعامي
وطاردتني إلى منفاي جانيةً وعدّدت صفو آثاري كآثامِ!

*****

من لي بقربك حيّاً ذائداً مِقَةً عني، وحارس وجدانٍ وأقلامِ
يؤرّخ الأدب العالي بسيرته وباسمه يهتف الوافي بأقسامِ؟
لبيك من صفوة الأحرار من عرفوا من أنت واغترفوا من بحرك الطامي
ومن أبوا أن يُعدُّوا في محبتهم بين المغالين، لو قيسوا بمستامِ
ومن يفدُّون أوطاناً نفخت بها روح الإباء فلم تذعن لهوّامِ
إن كانت اليوم نهباً بعد تضحيةٍ فلن تسامَ دواماً سوم أنعامِ!

*****

عسى الرياض التي ناجيتها شغفاً تبوح بالوحي للسامي وللظامي
عسى الرياح التي شاقتك ثائرةً تفك عنيَ أغلالي وأرغامي
عسى الهدير على الأمواج ينفحنا بلحنك الحر لم يقرن بإعجامِ
عسى ترانيم هذا الطل تمنحنا فرائداً منك في شؤبوبهِ الهامي
عسى المساء الذي غنيته صوراً من الجمال يغذّي حلو أنغامي

عسى الجداول في أبهى وداعتها ... تسيل منك حناناً حول آكام
عسى المروج وراعي النحل يلثمها ... ترفُّ بالشهد عطفاً بعد إجهام
عسى (الطبيعة) في أسنى مفاتنها ... تجود لي بسناءٍ منك بسَّام
إنّي تأملت في حسنٍ أهيم به ... رأيت لطفك في ذهني وتهيامي
في نشقةِ العطرِ أو في النور مختلجاً ... في ثورة البحر، أو في رَوْعِ آجام
وفي مشاهدَ لا تحصى دقائقها ... أنَّت وغنَّت على مزمار غنَّام
ورنَّحت كل عشبٍ في تصوّفه ... كأننا أهل أشواق وأرحام
أزجي رثائي صلاةً أنت ملهمها ... وإن تكن من حنايا قلبيَ الدامي!

(١٩٤٩)

الطلع والزهر

إلى الصديق الشاعر نعمه الحاج في مرضه بحمَّى الطلع

أيشكو من الطّلع أندى الزَّهَرْ ... ومن قهر اليأس فيمن قهرْ؟
سلمتَ لنا يا رسولَ الجمال ... (يسوع) الهوى والهدى المنتظرْ
تؤانسك المهج الشاكرات ... لك الأنس في شعرك المدّخرْ
وترعاك أطياف هذا الخريف ... وقد رقصت فوق عزفِ المطرْ
ترتّل عنك نشيد السلام ... فتمضي الرياح ويصغي الزّهرْ
وتهتف بالحب روح الوجود ... فيهفو لها كلُّ شيء شعرْ[1]
وتورق عند حفيف الغصون ... أمانٍ، ويبسم حتى الحجرْ
سلمتَ وعوفيتَ من كل ضرٍّ ... وحالفك المستعز القدرْ

[1] شعر: قال الشعر.

وعشتَ تمجَّدُ في الخالدين   وخَلقك دنيا تفوق البشرْ

ولا زلتَ مُنهِضَ شعبٍ أسيرٍ   يناجي السماء ويَرضى الحُفَرْ

تملَّقه دائماً قاهروه   وقد أورثوه صنوف الغِيَرْ

فأوهم في ذله عِزَّةً   وهوَّن ما حوله من شرر

أغثه وقم يا طريح الفراش   قيام النبي أمام الخطرْ

وجلجل بصوتك في الخافقين   ليؤمن بالحق من قد كفرْ

وكن كأخيك الشقي الصَّبور   على برّه يستطيبِ الضررْ

يجود بأنفاسه الوافيات   لأوطانه فيلاقي البطرْ

ويرجمه الطغمة الهازلون   وقد خادعوا الشعب حتى انفطرْ[1]

إذا ما تنحَّى الهداة الأساة   وخافوا مثالب غِرٍّ فجرْ

فيا ويل أمتهم في الهوانِ   ويا ويلهم من زمانٍ أمرْ

سأرقب كتبك، شأن الحبيب   يناجي النجوم ويرعى القمرْ

وفي كل سطرٍ أرى للحياة   معانيَ تلهمني أو سِيَرْ

فعجل ببرئك يا ابن السماء   فكم معجز لك قبلاً ظهرْ

حرامٌ سَقامُكَ يا من تقدّس   عند الفنون بأسنى السُّورْ

حرامٌ فعد لنشيد الخلود   وأسْمِعْ (أبولُّو) فتونَ الوترْ!

(١٩٤٩)

*****

[1] انفطر: انصدع.

جواب الصديق الشاعر نعمه الحاج

وُقيتَ الضنى وأمِنتَ الخطرْ وأبعدَ عنكَ الإلهُ الضررْ
وكل هزارٍ شدا في السطورِ فداً لك أو إن شدا في الشجرْ
أبا الشاديات الزكي الفؤاد تفرَّدت باللطف بين البشرْ
أتيت تؤانسني في الضنى وتبعد عني الأسى والضجرْ
بنفثة سحرٍ من المعجزات هزَّت فؤاديَ هزّ الوترْ
ومعجز أحمد فيما مضى ومعجز أحمد فيما حضرْ
شعوركَ ألهبَ فيّ الشعورَ بشِعركَ يا خيرَ من قد شعرْ
وروحك جادتْ على مُهجتي بما جاد للظامئين المطرْ
برئتُ وزايل عزمي الخَورْ ولم يبق للطلع بي من أثرْ
وما من علاجٍ ولكنه دعاء الصديق الوفيّ الأبرْ
أخي وكتابك فيه الرُّقى وفيه العظات وفيه الدررْ
وفيه أرق النشيد حكى أرقّ النسيم سرى في السحرْ
تنشقتُ منه عبير الورودِ ونشر الخزام ونفحِ الزهرْ
وطالعتُ فيه رُواء الربيع وما في الخريف سبى من صورْ
سجاياكَ تلكَ حلَتْ واللسان يقصّر مهما عليها شكرْ
إذا ما شقيت بخدمة شعبٍ تريه ألوفاً ويريك البطرْ
وتصبرُ صبر الكريم الحليم فما أنت أوّل حُرٍّ صبرْ
صرخنا إلى أن يئسنا كمن يخاطب حتى يلين الحجرْ
ومن غَرّه مظهرٌ في الورى فإني أرى دونه ما أستترْ
مُدالسةٌ ورياءٌ هناكَ وما اغترَّ من علَّمته العبرْ

فما زال للنعرات النُّفوذ ... هي المبتدا عندهم والخبرْ
وليس لأهلية المرء بل ... لمذهبه كان لفت النظرْ
وقد عجز العلم أن يقهر الـ ... ـخرافات فيهمُ فيمن قهرْ
يعيشون بالزيّ في عصرهم ... وأفكارهم في زمان غبرْ
ومن زاد بذخاً بتهريجه ... فذاك هو السيّد المعتبرْ
ترى ما يسوؤك أنّي التفتَّ ... وأما المسرُّ ففيما ندرْ
قبورٌ مكلّسةٌ نَتْنُها ... توارى وزخرفها قد ظهرْ
فلا أملٌ منهمُ يرتجى ... فسلّم رجاك لأمر القدرْ
عسى بعد أن يتولى القديم ... يحقق في مقبل منتظرْ
ويعتدل الغصن لكن إذا ... غدا حَطباً وشدَدْتَ انكسرْ

(١٩٤٩)

وادٍ وواد

إلى الصديق الشاعر الياس عساف صليبا ردّاً على قصيدة ودية كريمة

للفنّ قدّرت شِعرك الهادي ... وودّك المزدري بأضدادي
وليس بي نقمةٌ على أحدٍ ... فالكل عندي مثال أولادي
وعظتهم مخلصاً فما اتّعظوا ... وأوقعوا في شباك صيّادِ
من كلّ غرٍّ أو سائسٍ أشرٍ ... يشقي شعوباً بوهم أفرادِ
وعدتُ في نخوة أذكّرهم ... فأعلنوا جاحدين إلحادي
يا ليتني مخطئٌ، وليتهمو ... قد أحرزوا ما يسرّ نقادي
فما أبالي إلاّ بعزّتهم ... ولا أعاني من قدح حسّادي

إذا انطوى خاطري على وطني فذاك حبّي تراث أجدادي
وليس كرهاً لغيره أبداً وأي كرهٍ لعاشق (الضاد)؟
صدقت! إنّي أعيش محترقاً لهم بوادٍ، والجمع في وادِ
كأنهم أشرفوا على زمنٍ ماضٍ، وليسوا بعهد روّادِ
كأنما (الذرّة) التي انفجرت ليست بدنيا لهم بمرصادِ
كأنما جعجعاتُ طائشِهم هزائمٌ ألحقت بقوّادِ
والهفتي إذْ غدتْ معاقِلهم نهباً، وكانت أعزّ أطوادِ
والهفتي حين من يخاتلهم يدنّى ويقصى المقوّم الفادي
بل لا يصير الذي يبصّرهم إلاّ شهيداً لنارِ أحقادِ
هيهات أن يُبعثوا بضلّتهم وهم مطايا تذلّ للحادي
وهم ضحايا أبت جهالتهم أن يستعادوا من كفّ بدّادِ
لعلَّ أحرارهم سواسيةً يحيون يوماً لثأر أندادِ
وعلّ يوماً به تحرّرهم يحين سمحاً بغير ميعادِ!

(١٩٤٩)

كابوس كئيب

أفاق من النّوم مستنجدا كمن حاصرته جيوش العدى
فصاحت به زوجه الواجفه وقد أوقظت فجأة خائفه
"أجبني، أجبنيَ! ماذا دهاك؟ وماذا يروعك؟ ماذا احتواك؟"
فقال: "حلمت بأني مريض! وأن جناحي كسير مهيض!"
فقالت: "هنيئاً بهذا السقام فلولاه ما نلت هذا المقام

ومــن قــال إنــك حــرٌ معــافى؟ فلــو كنـت عــاداك كـلٌ وجـافى!
فــنم مــلء جفنــك نــوم الــبريء كأنــك طفـــلٌ غريـــرٌ هـــنيء
وطـــوبى لكابوســـك المســـتهام بــك الليــل دون جميــع الأنــام
لعـــلَّ بـــذلك فـــألاً جمـــيلا وحظّـــين أن تطلبـــا المســـتحيلا
لعلـــك تبلـــغ دســـت الـــوزاره فخـــلِ اعتلالـــك دومـــا شـــعاره!
وإيـــاك تبـــدو رشـــيداً صـــحيحا فتغـــدو طريـــداً شـــقيّاً جريحـــا!
كـــذلك شـــأن الـــورى والحيـــاه بـــدنيا تـــدين بـــذلّ الجبـــاه
ومـــا الثـــائر الحـــر فيهـــا الســـعيد ولكنـــــه في عـــــداد العبيـــــد!
فـــنم يـــا حبـــيبي بغـــير اكـــتراث ســـتفنى النســـور ويبقـــى البغـــاث!"
فنـــام وغـــطّ غطـــيط الـــبعير ورنّ الـــنخير، وطـــنّ الشـــخير!

(١٩٤٩)

تقديس الفن

مهداة إلى الأستاذين الفنانين أدهم وسيف وانلي وإلى مدرستهما الفنية بثغر الإسكندرية

في سنة ١٩٠٧ لوحظ طفل يزور المتحف البريطاني بمدينة لندن تكراراً، واضعاً في كل زيارة باقة من الأزهار عند قاعدة تمثال إغريقي أحبه، وسرعان ما كان الحارس يزيلها متذمّرا من إصرار هذا الطفل المقدس للفن[1]

كالطفـــل أهـــدي إلى التمثـــال أزهـــارهْ فقـــدَّس (الفـــنّ) معنـــاه وآثـــارهْ
والنـــاس تعجـــب منـــه وهـــو مغتـــبطٌ ولـــيس يســـأم بالقربـــان تكـــراره
وحـــارس (الفـــنّ) مزهـــواً بمتحفـــه يزيلـــها آبيـــاً للطفـــل إصـــراره
تـــرى ولاتـــيَ للـــذكرى يمجّـــدها قلـــبي، ويمنحُهـــا حبّـــي وأزهـــاره

---

[1] مجلة "أكاديمي" بتاريخ ٣١ أغسطس سنة ١٩٠٧.

وأيُّ نكرى تناجي (النيل) إن كملت | فاتت مـتركم يومـاً وأنـواره؟
ولم تقبّل جمـالاً في مفـاتنكم | مـلء الفـؤاد، وطيفـاً مخلصـاً زاده؟
إن أنس لا أنس أعياداً لنا سلفت | في (معبد الفنّ) نسقى منه أسراره
في كل يوم أناجيها وأعبدُها | فكيف حين تهيجُ اليوم تـذكاره؟
وافت رسائلكم جذابةً صوراً | والمرء يظهر فيما صاغ واختاره
فأي شعر يحاكي بعض رونقها | إذا صببت فؤادي اليوم أشعاره؟
وأيُّ زهرٍ حريٍّ أن يكرّمها | أن يغازلها إن بثَّ عطّاره؟
سنستقل بتقديسي روائعكم | كذلك الطفل إذ لم يلق أنصاره
والفن ليس من الدهماء قوّته | إن فات من حكماء الشعب أوتاره

(١٩٤٩)

إرتريا الجديدة

تحية ونشيد

إِرتريا إِرتريا! | إلى الأمام سيري!
لا تذعني لدنيا | تعنو إلى القديرِ!

*****

توحَّدي وضُمّي | أبناءَكِ الأحرارا
ولتحفظي كالأمّ | ولاءهم شعارا
بالعلم ثم العلم | والخُلق ثم الخلْقِ
سيري مسير النجم | في عالمٍ للحقِ
ولتبدعي الجنانا | والنور والعرفانا

فترفعـــي الأوطانـــا وتســـعدي الإنســـانا
لا يرهـــب المحـــالا إلا الضـــعيف الـــواهي
فلتركـــبي الأهـــوالا إن شـــئت أن تبـــاهي
لا فخـــر بالجـــدود مهمـــا ســـموا وســـادوا
الفخـــر أن تجيـــدي ودأبـــك الســـدادُ
يـــا بنـــت (نهر القـــاش)[1] يا أخت (مصر) الصغرى
مـــا كنـــتِ للنجاشـــي والعصـــر يســـمي الحرّا
بـــل أنـــت في العصـــور مـــن أنـــت عنـــد شـــعبك
مفديّـــة بـــالحور[2] والكـــلُّ رهـــن حبّـــك

*****

إرتريـــا إرتريـــا! إلى الأمـــام ســـيري!
لا تـــذعني لـــدنيا تعنـــو إلى القـــديرِ!

(١٩٤٩)

الواحة والهجير

ردّ على كتاب من الصديق الشاعر نعمه الحاج

إلى الأديـبِ أديـبِ الـنفس والخلـقِ الشـاعر الفـذّ في لحـنٍ وفي عبـقِ
شـكري لـودٌ كـريمٍ لسـت أعهـده إلاّ بأنـداء زاهـي الفجـر والشـفقِ
وفي (الطبيعـة) في شـتى مفاتنهـا تحنـو علـيَّ حنـو الأم في قلقـي

---

[1] أحد فروع (النيل) الصغرى.
[2] إشارة أيضا إلى أسطورة الفداء والقربان (للنيل) عند قدماء المصريين.

غنَّاء في صمتها أضعاف ما نطقت ... أنغام صدَّاحها بالحبّ والحرقِ
تشرَّبت روحها روحي وجاوبها ... قلبي وذهني بإيماني ومعتنقي
كذا كتابك إذ وفى بجنّته ... مجلى من اللطف للألباب والحَدَقِ
والناس بين حقيرٍ في مداركه ... وبين عانٍ من الأحقاد مختنق
لا يغنم الحرّ إذ يشقى ليسعدهم ... إلاّ ضروباً من التجريح والحمقِ
أهلاً بحبّك واساني وأسعدني ... في عالمٍ عاثرٍ بالمينِ والملقِ
كأنني واحةٌ يودي الهجير بها ... ووبلك المحض صوب العارض الغدق

(١٩٤٩)

رجع الصدى

جواب الصديق الشاعر نعمه الحاج

أهلاً بطلعة بنت الفجر والألقِ ... تزري بطلعة ذات الحلي والحلقِ
تُعزى لأحمد أنفاساً مطيَّبةً ... ورد الربيع ونشر المسك في العبق
يا مُرسلَ الشعرِ نفثُ السحرِ منطلقاً ... تركتني ولساني غير منطلقِ
من بحر فضلك وافتني بمؤتلقٍ ... وقلدتني – فناءت بالثنا عنقي
ذي منةٌ يا شقيق الروح منكَ إذا ... ضاق اللسان بها فالقلب لم يضق
إن تشكر الودّ–فضلٌ قد سبقت به ... لكن على الفضل شكري غير مستبقِ
حسناء روحك في مرآتها نضرت ... لمَّا رأت ما استحبت فيَّ من خلق
وكنت أولى بهذا الشكر منك لذا ... إليك أرجعه قلباً على طبقِ
قلباً يعيد الولا ضعفيه متشحاً ... من الوفاء بثوبٍ نزهة الحدقِ
دع الأنام ولا تنزل لحمأتهم ... هم في الحضيض وأنت البدرُ في الأفقِ

جـاء المسـيحُ وجـاء الأنبيـاءُ ولم تجهـل أولئـك مـا لاقـوا وذاك لقـي

فاسبح بروحـك في جو القريض وعش للفـنّ في عـالم مـا فيـه غـير نقـي

(١٩٤٩)

النكبة

لم يُهـزمِ النَّـاسُ في حـربٍ مـع النَّـاس بـل في حـروب الهـوى والبـؤس واليـاسِ

لـيس الصيـاح بمجـدٍ في مـآتمكم بـل التحـرر مـن عجـزٍ وأرجـاسِ

ولا المباهـاة بالتـاريخ تسـعفكم إذا قنعـتم بأوهـامٍ ووسـواسِ

همُّـوا بـني أمَّـتي! همُّـوا! فنكبـتكم ليسـت سـوى وزرَ أخـلاقٍ وسُـوّاسِ

همُّـوا ولا تتركـوا مـن بـاعكم سـفهاً يخـال مصـطنعاً للحـذقِ والبـاسِ

هيهـات مـا عصـرنا الـذريُّ منصـفكم مـع الخنـوع لعبـدانٍ وأنجـاسِ

هيهـات يسـلم إلاّ كـلُّ ذي شـره للعلـم يسـعفه في دعـم آسـاسِ

مـا للتناسـي المآسـي، وهـو علّـتكمٍ لم يخلـق النصـر للمسـتهتر الناسـي

ولا لمـن حظّـه ترديـد جعجعـةٍ ومـن يعـيش علـى خـوفٍ وإفـلاسِ

همُّـوا! فلـيس الغـد المـأمول خـاذلكم في رجـع عـزتكم أو دفـع إيجـاسِ

همُّـوا لبنيـان مجـد مـن عظـائمكم تصـونه قبـل أجنـادٍ وأحـراسِ!

فـالحق أضـيعُ في أيـدٍ تداعبـه بـين الغـرور وبـين اللـهو والكـاسِ

والحـق أثبـتُ في أيـدٍ تقدّسـه ولا تسـاوم فيـه أي إحسـاسِ

إن كـان نصـحي لكـم قـد سـاءَ أحمقكم فلـيس غـير شـعوري الملـهم الآسـي

مـا كنـت أبغـض خـيراً سـوف يشـملنا لو صحَّ، لكن سئمت الحمق في الناسِ

وعـريهم خلـفَ أوهـامٍ مزوَّقـةٍ جنت عليهم، فماتوا ميتة اليـاسِ!

(١٩٤٩)

نيويورك

نسيتُ الجِنان وسكّانها ... ومَن ألهموا الشعر إيمانها
وآثرت عاصمةً للكفاحِ ... وقد زانها منه ما زانها
كفاح التنافس في الخالدات ... تخذن الشوامخَ عنوانها
وقدَّسن مسترسلاً في الطموح ... أجاد، وأعلين إنسانها
تلألأ فيها ضمير الوجود ... وإن سوّد الدهر جدرانها
فللدين فيها مكان الخشوع ... وإن زعموا المالَ ديّانها
وللعلم فيها حياة الجموع ... وإن حسبوا اللهو ميزانها
وللطبِ آياته في سطوعِ ... تضاعف بالشيب شبانها
وللفنّ منزلة في الذيوع ... كأن الهواء الذي صانها
ولِلّهو غايتهُ في الشيوع ... ولكن ليسعد سكانها
سمت بمتاحفها الغاليات ... قروناً تكرّر أقرانها
وشتّى معابدها الحاليات ... ترتّل للسلم ألحانها
وأبقى معاهدها المعجزات ... جعلن الحقيقة أوطانها
وأقوى معاملها الخالقات ... غرائب جاوزن حسبانها
وأزهى مسارحها الفاتنات ... بهرن الفنون وفنانها
سعدت بها رِغم هذا الكفاح ... ولولاه كنت كمن خانها
فأصبحت عاشقها المستعزّ ... بها والمرتّل فرقانها
أغنّي لها صلوات الشكور ... رأى في المصاعب إحسانها
وأمشي على الطرق الصاخبات ... فخوراً أنافس سلطانها
وأهوى حدائقها الحالمات ... قصائد زيَّنَّ ديوانها

كـأن السـنـاجيب[1] أطفالهـا جعلـن الأراجـيح أغصـانها
كـأنّ الغرانيـت في أرضـها صـوامع حجّـبن رهبانهـا
معابـدُ لا معبـدٌ للجمـالِ يمـسّ المطـوّف أركانهـا
ومـن حولهـا العشـب جـم الرفيـف يجـاوبُ بـالعطف تحنانهـا
كـأن الأزاهـر يقظانـة ملائـك تحـرس كثبانهـا
كـأن الجنـادب في شـدوها نـدامى تسـامر نـدمانها
كـأنّ الطيـور بتغريـدها تلقّـن للشـعر أوزانهـا
كـأن الأشـعة رسـل (الطبيعـة) تحمـل للنبـت ألوانهـا
وتضـفي علـى الصـخر تحنانهـا وتلقـي علـى المـاء نشـوانها
أطـوف بهـا لاهيـاً ضـاحكاً كـأنيَ منتهـبٌ حانهـا
وإن كـان صـفوي الـذي لا يمـلّ عبـادة مـن عـزّ أوثانهـا
ومَـن للوحـوش بأقفاصـها رأى أخـوةً أسـعدوا شـانها
فمـا زارت مـرة في شـجىً ولا عـرف الهـمُّ خرسـانها
ومـا شمخـت ناطحـات السـحاب علـى السـفن تمخـر خلجانهـا
وإن سـكنت فـوق قطـر تسـير شـياطين نافسـن شـيطانها
تسـير بجـوف الثـرى كـالبروق وقـد تتجـاوز إمكانهـا
حيـاة تكـرّر فيهـا الحيـاة وهيهـات نقـدر أثمانهـا
وعمـرٌ تجـاوز عمـر السـنين وديـن تشـرَّب أديانهـا

(١٩٤٩)

[1] جمع السنجاب.

اللاجئون

خُرسٌ فمن عن ويلهم يتكلَّم؟ ... ومعذَّبون لهم تُقامُ جهنَّمُ

جَنت السياسة مثلما جنت الوغى ... والظالمون الغاشمون عليهمو

وتشرّدوا لا يملكون وجودهم ... لو كان يُمتلك الوجودُ المبهمُ

ضاعت معاقِلهم، وضاعت قبلها ... أممٌ، وهان معززٌ ومنعَّمُ

ليس المقامُ مقام لوم شاملٍ ... ولعلَّ أول من يلامُ اللُّوَّمُ

إنَّ المقامَ مقامُ نبلٍ سابغٍ ... حتى يُغاثَ من الفناء المعدَمُ[1]

إنَّ المصيبة لا مثيل لرزئها ... فيما روى التاريخ أو ما يُعلمُ

ليفتّت الجلمود من أهوالها ... ويدوّم البحرُ الذي يسترحمُ

وتشقُّ أطباق السماء مناحةً ... والرعد في جبروته يتهدّمُ

والنَّاس... ما للناس لم يتأثروا ... والأهل... ما للأهل لم يتندّموا

إن الكوارث مُفْصِحاتٍ حولهم ... تتطلب الإنجاد حين تلعثموا

هذا أوان التضحياتِ فما لهم ... ضنوا بأوهى الواجبات وأحجموا؟

المال مهما جلّ ليس ضريبةً ... تؤبى إذا ما هان للحرّ الدَّمُ

وإذا تخاذلت الشعوب وأنكرت ... من هم عماد حياتها لو تفهم

فمن المحال لها، وذلك حالها ... بعثٌ ولوعاد النبيُّ الملهمُ!

(١٩٤٩)

---

[1] المعدم: المسلوب الحياة.

عيسى

(واهب الحب والجمال)

يا مُعلن (الحق)! لم يُنصفك من جهلوا ... سيّانِ لاسمك أو لله يُبتهلُ!

نورٌ من الله، ما ألهمتنا قبسٌ ... من الإله وما أسقيتنا نَهلُ

لُدنا بحبّك في الآلام طاغيةً ... وفي المآسي التي قد عقّها الأملُ

كما دعوناك في الجلّى[1] لترشدنا ... إلى الصواب إذا ما حفّنا الزللُ

ألست إلهام هذا الكون أجمعه ... ومظهر الخير في الدنيا لمن عقلوا؟

ألست من حمل الآلام قاطبةً ... عن الأنام، وفدّاهم وإن جهلوا؟

لكلِ دينٍ نبيٌّ يُستغاث بهِ ... وأنت للناس والأديان من أملوا

يا صاحب المعجزات اليوم ما برحت ... بالمعجزات مآسي الناس تحتملُ

إنّا نناجيك، لا ينتابنا مللٌ ... وكيف ينتابنا في حبّنا مللُ؟

ونفتديك، وإن فدّيتنا سلفاً ... بصون مبدئك الأسمى ونحتفلُ

المُسلمُ الحقُّ لا يألو[2] تشوّقه ... وعنده أنت أنت الفاتح البطلُ

هيهات يفتعل الإيمان مذهبه ... لو أن إيمان جُلِ الناس مُفتعلُ

مرّت عصورٌ أمامي كنت أعرضها ... ومرّ خلقٌ، ومرّ النجح والفشلُ

وكلُّ ما ملك الإنسان مبتدعاً ... وكل جهدٍ وعت أيامه الأولُ

فلم أجد بينها "عهداً"[3] أعزّ سنىً ... مما وهبتَ، ولو قامت به الدولُ

يا واهب الحبِّ ديناً والجمالِ غنى ... لولاهما شاهت الدنيا لمن كمُلوا

إذا تذبذب من عدّوك فاديَهم ... فما تذبذب لي قولٌ ولا عملُ!

(١٩٤٩)

---

[1] الجلى: الأمر الشديد والخطب العظيم.

[2] يألو: يقصّر ويبطئ.

[3] عهداً: ميثاقاً.

شجرة عيد الميلاد

أختَ السلامِ! ربيبةَ الأعيادِ! طرحوك طرح نفايةٍ وبَدادِ[1]
لم يمهلوك كأن عرسك لم يكن عرساً، وحَليكِ كان رمز حدادِ
وعرفتِ قارعة الطريقِ مباءةً بعد الخشوعِ وفرحةِ العبَّادِ
كم حاصروك مهنئين وأنشدوا سوراً، وكم خصوك بالميلادِ
وتباركوا بك خاشعين، فما لهم نبذوك نبذَ ضلالةٍ وفسادِ؟
وكأنما لم تبقَ للذكرى يدٌ سلفت، ولم تمدد إليكِ أيادي
تطأ النعال من الفروعِ حزينةً كانت معارض زخرفٍ ميَّادِ
ويعافها الكلبُ الذي بوفائهِ ضُرِبَ المثالُ، ويستهين العادي
فتُسامُ من بعد المهانة والأذى ناراً، كأنَّ بها وباء عِبادِ!

*****

أحييتِ ميلاد (المسيح) وبعده كنتِ الضحية للمسيح الفادي

(١٩٤٩)

الصعود

أسفاً، أعودُ إلى (السمَّاء) كما أتيتُ بنبع فنّي
لم ألقَ في دنيا الأنامِ سوى المهازل والتجنّي
دنيا تقومُ على الدماء وبالدماءِ هوىً تغنّي
وتدورُ طاحنةً عقولَ النابهينَ وأيَّ طحنِ

---

[1] البداد: الفضلات المنبوذة.

ويسوسـهـا البلـهاء مـن غـبنٍ تعانيـه لغـبنِ

ومـن الخـراب يهزُّهـا هـزاً إلى ضـغن وضـغْنِ

(الأرضُ) كـم شـقيت بهـم كشـقاءِ موتـور بـأينِ[1]

وهبـت لهـم أسـنى الكنـوزِ فكافأوهـا بالتـدّني

صـلبوا (المسـيح) وشـرّدوا الأحـرار بـين الخـافقين

وحيـاتهم نقـضُ الحيـاة تسـامُ في شـكٍ ومـين

كـم أولعـوا بالهـدم والهـدّام لا يسـمو ليـبني

ولـو انهـم عقلـوا جنـوا مـن نـارهم جنّـات عـدنِ

فـإلى (السّـماء) أعـودُ لم يُغـنِ التـأني والتمنّـي

فحروبهـا أجـدى وأوفـى (للحيـاة) وكـلٌ فـنٌ

وسـلامها أبقـى وأنقـى للوجـود المطمـئنِ

إن تعتـبر منفـاي ﺑـالمنفى أبـرُّ إذن بـذهني

ولعـلَّ أمّـي (الأرض) في الحـالين في دهـني وعـيني!

(١٩٤٩)

---

[1] الموتور: من قتل له قتيل فلم يدركه بدمه – والأين: الإعياء.

من أناشيد الحياة

الوليد الجديد

تحية عام ١٩٥٢

أيُّهـــا العـــامُ الّـــذي وافـــى وفي الأنْفـــاسِ عِطْـــرُ
شـــاعراً يُنْشِـــدُ أحلامـــاً، ولِلْـــأحلامِ سُـــكْرُ
مَرْحَبـــاً يـــا أيُّهـــا الشّـــادي الـــذي نَجْـــواهُ شِـــعْرُ
يـــا وليـــداً هَشَّـــتِ الـــدُّنيا لَـــهُ وافْـــتَرَّ ثَغْـــرُ
قَبَّلَتْـــهُ مِثْلَمـــا حَيّـــاهُ تَأميـــلٌ وفِكْـــرُ
أتـــرى تُنْصِـــفُ أهْليـــكَ، فَيَرْضـــى عَنْـــكَ حُـــرُّ؟
أم تُـــرَى تَخْـــذُلُهُـــم يـــا عـــامُ إنْ بَشّـــوا وسُـــرّوا؟
يـــا وَليـــداً طُهْـــرُه البسّـــامُ لِـــلأرواحِ سِـــحْرُ
لَيْتَنـــا نَضْـــمَنُ آتيـــكَ، وليـــتَ اليـــومَ دَهْـــرُ!
كُـــلُّ سِـــرٍّ هُـــو مَهْـــرٌ لِلّـــذي عِنـــدك سِـــرُّ
تَـــرَكَ النّـــاسَ أســـارى، ليـــتَ هـــذا الأسْـــرَ أسْـــرُ
إنَّـــه أقْســـى مِـــراراً، واحتمـــالُ اليـــأسِ مُـــرُّ
فـــاتَهُمْ في القَلَـــقِ المُضْـــني إلى أنْ لاحَ فَجْـــرُ
فـــأتَوْكَ كالنَّشـــاوى حينَمـــا الأضْـــواءُ خَمْـــرُ
هَتَفـــوا إذْ دقَّـــتِ السَّـــاعةُ، واسْـــتَهْواكَ بِشْـــرُ
شـــاكِرينَ الحـــظَّ، والحـــظُّ خَـــؤونٌ كـــمْ يَغُـــرُّ
لا يُبـــالي إنْ أتـــاهُ الشُّـــكْرُ أمْ لمْ يـــأتِ شُـــكْرُ
هُـــو كالصَّـــقْرِ ومـــا بـــالى رَفيـــفَ الطّيْـــرِ صَـــقْرُ
هُـــو كالجَبَـــلِ الشّـــامِخِ لم يَعْبَـــأْ ولم يَهْـــزُزْهُ صَـــخْرُ

هــــو كـــــالبَحْرِ الّـــــذي إنْ مـــــاجَ لا يثْنيـــــهِ قَطْـــــرُ

هــــو مِثْـــلُ القَيْصَـــرِ العـــاتي لَـــهُ الأقْـــوامُ خَـــرّوا

هــــو مِثْـــلُ المَـــرْجِ لم يُحْصَـــرْ وفيـــهِ الشَّـــوكُ زَهْـــرُ

هــــو مِثْـــلُ اللّيـــلِ لم يَسْـــكُنْ وفيـــهِ الـــنَّجمُ جَمْـــرُ

هــــو كـــالجَوِّ الّـــــذي يَضْـــحَكُ وهـــــو المُكْفَهِـــرُّ

هــــو كالصَّـــحْراءِ في التّيـــه وفيهـــا الأمْـــنُ غَـــدْرُ

كـــلُّ هــــذا وسِـــواهُ هــــو لِلْحَـــظِّ مَقَـــرُّ

أيُّ لـــونٍ منْـــه يـــا عـــامٌ بـــه لِلحُلْـــمِ وكْـــرُ؟

لا مَفَـــرٌّ منْـــه للأسْـــرى الحَيـــارى، لا مَفَـــرُّ

قُـــلْ! أجِـــبْني يـــا وليـــداً كـــلُّ وَحْـــيٍ مِنـــهُ طُهْـــرُ

إنَّ مـــا تَحْكيـــهِ حـــقٌّ، أهْـــو بَعْـــدَ اليـــومِ نُكْـــرُ؟

عَـــلَّ إيمانـــاً لنـــا نَتْلـــوهُ لا يَتْلـــوهُ كُفْـــرُ!

*****

إيـــهِ يـــا عيـــدَ الأمـــاني، وأمـــاني النّـــاسِ ذُخْـــرُ

كُـــنْ رحيمـــاً بالبَرايـــا؟ حَسْـــبُهُمْ وِزْرٌ وَوِزْرُ

وجَحـــيمٌ مِـــنْ عَـــداواتٍ، كـــأنَّ الكـــونَ قَبْـــرُ

لا تَـــدَعْهُمْ في ضَـــلالِ الجَهْـــلِ لم يَبْلُغـــهُ حَصْـــرُ

ولْتُبـــارِكْهُمْ كمـــا بـــارَكَ عيســـى مَـــنْ أضـــرّوا

علّهـــم يَغْـــدونَ إخْوانـــاً ويُفْـــني الشَّـــرَّ خَيْـــرُ!

٢٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٢

قال لي الحبُّ

قالَ لي الحُبُّ: كيفَ تَعْزِفُ عنّي[1]؟ أحَسِبْتَ الحياةَ مَحْضَ التَّمنّي؟

قلْتُ: هيهاتَ أن أفوتَك طوْعاً أنتَ كَنْزي، بل أنت روحي وفنّي

كلُّ ما تَشْتهيهِ أُعطيهِ سَمْحاً غيرَ بَيْعي استقلالَ قلْبي وذِهْني

أينَ تلكَ الّتي ائْتَمَنْتَ على الكنْـزِ لتَبْني لكَ الّذي عشْتُ أبْني؟

الّتي تَعرفُ الجمالَ بشَدْوي وتُغَنّي لكَ الّذي قدْ أُغنّي؟

والّتي تَنْشُدُ الصَّباحةَ والظَّرْفَ بفنّي ولا تُبالي بسِنّي؟

والّتي في الحُبورِ تَلْقى بقَلْبي مَنْبَعاً زاخراً له فاضَ عنّي؟

والّتي في الهُموم تَلْقى هُمومي باسماتٍ لها كأنْ لم تَنَلْني؟

والّتي إنْ سَقِمْتُ بَدَّدَتِ السُّقْـمَ بقلبي من عَطْفِها المُطمئنِّ؟

والّتي لا تَرى وفيّاً يُفدّى أو حَريّاً بها وعنّي يُغنّي؟

والّتي لا تَخونُ عهدَ ولائي إنْ يَبِعْني الأنامُ[2] أو إنْ يَخُنّي؟

والّتي تَزْدَهي بما أنا مُسْدٍ للوَرى حينَ أسرفوا في التَّجنّي؟

والّتي سُخْرُها بكُلِّ زَنيمٍ[3] راح يغتابُني وُلوعاً بطَعْني؟

والّتي تُرجِعُ السّهامَ ثِقاباً أو هَشيماً وقد تَبَدَّتْ مِجَنّي[4]

والّتي وَحْيُها مِثاليّتي الكُبْـرى ووَحْيي جمالُها مِلْءَ عيني؟

والّتي لا ترى التَّجاوُبَ غَبْناً لِسَناها وإن يكنْ مَحْضَ غَبْنِ

والّتي تَغْتَدي كَتَوْأمِ نَفْسي وتعالَتْ على سُؤالٍ ومَنِّ؟

---

[1] عزف عن: أعرض عن؛ (و.ف).
[2] الأنام: الناس؛ (و.ف).
[3] الزنيم: اللئيم؛ (و.ف).
[4] المِجنّ: كلّ ما يُتّقى به من السلاح.

إنْ تـراءتْ فـإنّني عنـدها أعطـي جَميـعَ الّـذي تَمنَّتْـهُ مِنّـي
وإذا صِـرْتُ عبـدَها قُلْـتُ للدَّهْـ ـرِ طَروبـاً: بـاللهِ دَعْهـا ودَعْـني!

بدني وروحي

إنّـي بـريءٌ مِنـكَ يـا بَـدَني فلسْـتُ فيـكَ بحـالٍ أيَّ مُـرتَهنِ
ولسْـتَ مِـرْآةَ روحـي في تصـوُّفها وإن زَعَمْـتَ، وإن حاولـتَ يـا بَـدَني
ولستَ مُنْصِفَ حُسْنٍ ثائرٍ بدَمي ولا غَرامـي، وقـد نـدّا[1] عـن الـزَّمَنِ
مهْمـا مُـدِحْتَ فمـا عبَّرتَ مُكتمِلاً عنِ الشّبابِ الّذي في الرّوحِ لم يَهِنِ
ولا عـنِ الشَّـوقِ جَيّاشـاً بـلا أمـلٍ ولا عـنِ الشّـعرِ فـوّاراً بـلا سَـنَنِ[2]
ظُلِمْتُ فيك ولـو حاوَلْـتَ تُنصِفُني وبنْـتُ عنْـك وإن عَـدّوكَ مِـنْ سَكَني
لَعَـلَّ جسـميَ في نـورٍ أهـيمُ بـه أو في حَنـانٍ ولحْـنٍ عانَقـا أُذُنـي
أمَّـا تعـاريفُ روحـي فهـي نائيـة عنْ كلِّ فهمٍ وعن حدْس وعن فِطَنِ
كأنّهـا مِـنْ معـاني اللهِ قـدْ خُلِقَـتْ فلـمْ تُكيَّـفْ ولم تَسْـكُنْ ولم تَـبِنِ
أو أنَّهـا بَعْـدُ لم تُخْلَـقْ وإن فُطِـرَتْ أو أنَّهـا لم تَـزَلْ كالحُلْمِ في الوسَنِ!
لـو يَعْرِفُ الحُسـنُ إحْسـاني لأبـدَعَني بعَطْفِـه فـوقَ مَعْنـى الـرّوحِ والبَـدَنِ

---

[1] نَدّا: نَفرا وشَرَدا.
[2] السنن (ج سنّة): الطريق المعيّن.

حنان البنوّة

أرسلها صاحب الديوان إلى ابنته الأديبة الشاعرة صفيّة وقد تلقّى هدية تلفزيون منها في عيد ميلاده*

صَفيّةُ! في حَنانِكِ لي عَزاءٌ ... تَجلّى حينَ ميلادي تَجلّى
وكانَ الدَّمعُ يَقطُرُ مِنْ فُؤادي ... فأُخْجِلَ مِنْ وفائِكِ واضْمَحَلاّ
وو افَتْني الهديَّةُ وهي تَحكي ... مَشاهِدَ ما نَراهُ وما تَولّى
وتَصْدَحُ بالمُحبَّبِ مِنْ أغانٍ ... وبالرَّقَصاتِ آياً لن تُمَلاّ
جِهازٌ عُدَّ مُعجِزَةً، ولكنْ ... رأيْتُكِ أنتِ أبدَعَ أوْ أحَلاّ
وإنْ كُنْتِ ابْنَتي، فالبِرُّ أضْحى ... حَراماً لن يُباحَ ولو أُجِلاّ
وصارَ يُعَدُّ مُعْجِزَةً، فإنّا ... فَقَدْناهُ خَيالاً قد تَدَلّى
أيَشْخَصُ بيننا والظُّلْمُ فاشٍ ... ويحْسَبُهُ سَوادُ الناسِ عَدْلاَ؟
وأمْسى الحُبُّ مَحْضَ خُزَعْبَلاتٍ ... وكانَ الحُبُّ سُلْطاناً مُعَلّى
وصارَ النّاسُ أشْبَهَ بالضَّواري ... وما شَبِعَ الوَرى نَهْباً وَقَتْلا
حَنانُكِ يا صفيَّةُ فَلَّ حُزني ... على دُنيا تَعُدُّ الحُمْقَ عَقْلا
أضاعَتْ كُلَّ إيثاري، وسُرَّتْ ... بتَعْذيبي، وأضْحى الغَدْرُ سَهْلا
ولو عَقَلَ الوَرى حَرَصوا على أنْ ... يَكونوا كُلُّهُم للْحُبِّ أهْلا
فما دُنياهُمو إلاّ خَرابٌ ... ويَبْقى الحُبُّ بَعْدُ وما أظَلاّ
وتَفْنَى الأرضُ يومَ الشَّمْسُ تَمْضي ... ويَحْيَا الحُبُّ حُرّاً مُسْتَقِلاّ!
صَفيَّةُ! عِشْتِ للإحْسانَ رَمْزاً ... ولِلْحُبِّ المُقَدَّسِ أيْنَ حَلاّ!

---

* كان ميلاد الشاعر في ٩ شباط/فبراير ١٨٩٢ ووفاته في ٢ نيسان/أبريل ١٩٥٥؛ (و.ف).

يا مُبرئ الناس!

أُصيبَ الأستاذ الصَّديق عيسى خليل صباغ بحمّى الملاريا في مصر فبعثَ إليه صاحب الديوان بهذه الأبيات الجامعة بين الدعاء لشفائه والتاهيل بعودته إلى أميركا

لـو كُنْـتُ كـالمُتنبّي في جَراءَتِـهِ ... وفي التّحـدّي لِحُسّـادٍ وأعـداءِ
لَطِرْتُ فوقَ بِساطِ الرّيحِ مُنْصَلِتاً ... سَيْفاً يُمـزّقُ مـا آذاك مـن داءِ
قدْ سارَ وَصْفٌ لهُ في شِعْرِه مثلاً ... لِلْفَنّ، والفنُّ عنْدي فوقَ إنشائي
يـا مُنْسيَ النّاسِ آلامـاً لِعِلّتِهم ... عوفيتَ، واسلَمْ كعيسى في سُوَيْدائي
أَعُدُّ ساعاتِ قُرْبٍ موشِكٍ ثَمِلاً ... كراهِبٍ بينَ تَسبيحٍ وإصغاءِ
إنّي على الحُبِّ قد نُشِّئْتُ، لا عِوضٌ ... عنْه لِروحيَ أو سِرٌّ لإحْيائي
ومـا الجَمـالُ سِوى نِدٍّ لِروْعَتِهِ ... أو تَوْأمٍ بينَ أطْيافٍ وأضْواءِ
أهْلاً بعَوْدِكَ لِلأحْياءِ تُسْعِدُهُمْ ... وتَنْشُرُ النّورَ فيهم بعدَ ظَلْماءِ
الحُبُّ والحُسْنُ في كَفّيكَ قَدْ رُفِعا ... للمُهْتَدينَ، فما يَجزيكَ إطرائي!

نجلاء

إلى الصديق الأديب المهجري الكبير عبد المسيح حداد في فقد كريمته العزيزة نجلاء

أخي عبدَ المسيح فَدَتْكَ نَفْسي! ... يَعِزُّ عليَّ أن أهَبَ التّأسّي
لِمِثْلِكَ أيُّها الخِلُّ المُرجّى ... إذا الأحداثُ فاتَتْنا لِيأسِ
وما أنا باعثٌ لك من عَزائي ... سِوى ألمٍ تَمَلّكَ كلَّ نَفْسي
وسُخْرٍ بالوُجودِ وما تَغنّى ... به اللاّهونَ في أفياءِ رَمْسِ[1]

---

[1] الرمس: القبر.

وذَ لْمَـــعُ فِي غَـــدٍ، وغـــدٌ تَــولّى		كحاضِـرِنا ومـاتَ بِحِضْـنِ أمـسِ
ومــا وَهَـبَ الوجــودُ لنــا سُـروراً		سِـوى الأحـزانِ في أثـوابِ أُنـسِ
ومــا خُلْــدُ الحيــاةِ لنــا ولكــنْ		لِـــذَرّاتٍ سَـــبَحْنَ بكـــلِّ شَـــمْسِ
فَنُحْ واسْخَرْ كسُخْرِي يا صَديقي		بـــدُنْيانا وبـــالعيش الأخـــسِّ
ومــا كــانَ انقِيــادُكَ غَيْـرَ فَقْـدي		لجَــوْهَرَةٍ تَضَــيَّعُ بعــد حَــبْسِ
أتـــاني نَعْيُهـــا وأنـــا مـــريضٌ		وأقــربُ عــوّدي حُزنــي ويَأْســي
أتــاني بَعْــدَ أن دُفِنَــتْ ففاضَــتْ		دُمــوعي مَــرَّتَيْنِ لهــا ونَفْســي[1]
وأمَّــا أنــتَ أنْــتَ، فَيــا صَــديقي		رَجاحتُــك المَــلاذُ بكــلِّ نَحْــسِ
وأنـــتَ الفَيلســـوفُ بِـــلا مَـــراءٍ		تَفُـكُّ الأسـرَ عـن عـانٍ وجِـبْسِ[2]
فــلا تَغْلُــلْ حِجــاكَ[3] بِمــا تُعــاني		ومــا عانَيْــتَ، وافــترضِ التأسّــي!

الموحيات[4]

الموحيــاتُ حيــالي لا عِــدادَ لهــا		يا مَنْ نَقَدْتَ استجاباتي وعاداتي
إنَّ البعوضــةَ قــد تــوحي بنَشْــوتِها		لَمّــا تغنَّــتْ فُتونــاً مــن صَــباباتي
واا جُدْجُـدُ الهـانئُ المُغـرى بلَيْلتِـهْ		تَفــيضُ آهاتُــه مــن نبــعِ آهــاتي
ونفحــةُ العِطْـرِ أشـواقٌ تُسـاورني		كأنّمـــا مثَّلَـــتْ أمواجُـــهُ ذاتـــي
والجَلْمَدُ الصامتُ المقهورُ يهمِسُ لي		في الصّمتِ لهفانَ ألوانَ الشهيّاتِ

---

[1] ونفسي: ودمي.
[2] جبس: جبان.
[3] الحجى: العقل؛ (و.ف).
[4] هي، للتذكير، القصيدة التي يحتج الشاعر في تعريفه بأبياتٍ منها على من ينكر عليه إكثاره المزعوم؛ (و.ف).

والجَـدولُ، المُتــأنّي في تأمُّلِــهِ ... خَــواطري، مُفْعَـمٌ مِثْلـي بلَـذّاتي
وباسـمُ العُشـبِ حـولي في تَفاؤلـه ... رَغـمَ الهجـيرِ خَيـالاتي ومِرْآتـي
وما حـواه الحَصى نَشـوانَ مُؤْتَلفاً ... كأنّمـا هــو مــن تيجـانِ ربّـاتِ
حتّى الحُطامُ الّذي لا شيءَ يَعْدِلُه ... في بُؤسِـه رُبّمـا أوحـى تَعِلاّتـي
هـذي وتلـكَ وآلافٌ تُماثِلُهـا ... عـرائسٌ يتنافسْـنَ بأبْيـاتي
لا تَحْتَقِرْهـا فقـدْ تَشْـأى عَوالمُهـا ... مَهْمَا ضَـؤُلْنَ أعاجيبُ السّماواتِ
ولا تَقِـسْ مـا لفنّـي في تـأثّره ... بمـا يَهُـزّكَ، أو خَمْـري وجَنّـاتي
كمْ مِنْ أواصِرَ فيما أنتَ تُنكِرُهُ ... لِمُهْجَـتي، كـم أمـانٍ، كـمْ تحيّـاتِ
الكـونُ أجمعُـه شـعرٌ أفـيضُ بـه ... وكـلُّ مـا فيـه إيحـاءٌ لآيـاتي
وربَّ شـيءٍ تَظُـنُّ الحسـنَ جـاوزَه ... أخُصُّـه بحَنـاني أو عِبـاداتي!

عالمـي

دَعوني مِن الدُّنْيا، مِن الأرْضِ والسَّما ... فـإنّي خَلَقْتُ اليـومَ كَوْنـاً مُجَسَّـما
وأسْكَنْتُ فيه مِنْ شواعِرِ مُهْجتي ... ثَـوائِرَ لا تَرْضـى النّفـاقَ المُلَثَّمـا
ولا عالَمـاً فيـه الغَنيمـةُ سُـبّةٌ ... وفيـه أرى المجدَ المُعلّـى مُهَـدَّما
سـأُهْرِقُ مَنْ أسْرى دِمائي تَحرُّراً ... وأُبْدِلُها من نَخْوتي الحِسَّ والدَّما
سـأُبْدِعُ لـي نـاموسَ خُلْـدٍ مُحـتَّمٍ ... فقدْ سَئمتْ نَفْسي الفناءَ المُحتَّما
وأسخَرُ من أوضاعِ مَنْ قَدْ تَفَرَّدوا ... بهدْيِ الوَرى حتّى لقدْ نَشَروا العَمى
وكمْ صيَّروا الإيمانَ والكفرَ لُعْبَةً ... وكمْ حلّلوا ما كانَ قبلاً مُحَرّما
وعـادوا إلى تَحْريمِـه، ثـمّ حَلّلـوا ... دواليْكَ، حتّى ضَجَّتِ الأرضُ والسّما

سـأنْبِذُهم نَبْـذاً لِقـاءَ جُنـونِهم		فـإنَّ جُنوني صـارَ أحجى وأحكَمـا
وأمْشـي علـى كلِّ الّذي هَتَفوا بـه		ومـا مَلَكـوا منْـه جِنانـاً ولا فَمـا
وأكسِـرُ أغـلالَ التّقاليـدِ كُلَّهـا		ولا أرْتَضـي غَيْـر التحـرُّرِ مَغْنَمـا
فمـا حَـدَّني عَقْـلٌ عَـتيٌّ ولا رُؤىً		تُسـاوِرُني حتّـى وإنْ كُـنَّ أسْـلَما
تَحلَّيْتُ عن وَعْيي وأبدَعْتُ عالَمي		بروحـي مـن الآبـاءِ نَشـوانَ مُغْرَمـا
فألفيْتُ في الأحـلامِ ظِلَّ حَقيقَتي		وَوَحْيـاً يُنـاجيني وإن عُـدَّ مُبْهَمـا!

الـواعظ

ألا فـانظُروا أيُّهـا السّـادرونْ		قُبـورٌ، قبـورٌ، قبـورٌ، قبـورْ
مَضـى أهلُهـا واسـتحالَ النُّشـورْ		وحـدّثَكُمْ واعـظٌ في القُبـورْ

فهـلاّ استمعتُمْ لـوعظِ المَنـونْ؟

وهـلْ رُقَـمٌ هـذه أم تُـرابْ؟		تـرابٌ، تـرابٌ، تـرابٌ، تـرابْ
خـرابٌ، خـرابٌ، خـرابٌ، خـرابْ		فـلا رِمَـمٌ بقيـتْ للحسـابْ

ولـفَّ الخـرابَ رداءُ السـكونْ!

ومـن عجـبٍ بعضُـها خالـداتْ		كـأنَّ الـذي مـاتَ مـا كـان مـاتْ
كـأنّ الممـاتَ حيـاةٌ حيـاةْ		فقـدْ كـرَّسَ المـوتُ مَجْـداً وفـاتْ

فهـانَ، وفي المـوتِ مـا لا يَهـونْ!

فردوس الجحيم

أشِحْ بوجهِك عن فِكْري وعن نَظَري | فربّمـا هُيّجـا كالصـاخبِ الشَّـرَرِ
ولا تَقُلْ مصرُ صارتْ جنَّةً أُنُفاً | صانَتْ ليَ الحُبَّ في فردوسِها العطرِ
فَمـا عرفْـتُ بهـا إلاّ زبانيَـةً | في كلِّ عهدٍ، وحظّي عندَهم ضَرَري
ومـا أقـلَّ صحـابي في خمائِلِهـا | ماتوا على الجمرِ أو عاشوا على الحذَرِ
كأنَّما النّحْسُ غنّى يومَ مولِدِنا | مَلاحِمَ اليأسِ والآلامِ والخَطَرِ
ومـا أشكُّ بإخلاصٍ لقادتِهـا | مَنْ أنقَذوها من الطاغوتِ والخَوَرِ
لكنْ أشكُّ عَميماً في حَصافَتِهم | فقدْ غدا صُنْعُهُمْ أُضْحوكَةَ القَدَرِ
العازفينَ عنِ الأحرارِ شرَّدَهُمْ | يأسٌ، وجَمَّعَهُمْ تأنانُ مُحْتَضَرِ
والحاضنينَ عبيدَ الظلْمِ مَنْ كَفَروا | بالحقِّ وافتخروا بالموقفِ القَذِرِ
والحالمينَ بإعزازٍ لأُمَّتِهم | على أيادي لُصوصٍ بالغيِ الضَّرَرِ
والقائلينَ ذوي الألبابِ في عَمَهٍ | كأنَّما جُرِّدوا من نِعمةِ البَصَرِ
والخائفينَ الحَيارى مِنْ مُؤامرةٍ | وهُمْ هُمو وحدَهَمْ إلْهامُ مُؤْتَمِرِ
والخاذلينَ رجالاً مهَّدوا لَهُمو | بالفكرِ والرّوحِ والإيثارِ للظَّفَرِ
والشّاكرينَ سَفيهاً ظلّ خائِنَهم | وإنْ تشدَّقَ بالأشعارِ والسّوَرِ
والصافعينَ وفيّاً باتَ يَمدَحُهم | من أجلِ مصرَ، وشهماً جلَّ عن وَطَرِ
والقانعينَ بأطفالٍ حيالَهُمو | أجلُّ همٍّ لهمْ في اللّهْوِ والسَّمَرِ
هذي وهذي وهذي كلُّها عِبَرٌ | لكنَّهم غفِلوا عن هذه العِبَرِ
حتّى لأخْشى عليهمْ من عِمايَتِهم | كأنَّهم شابهوا المغلوبَ من أُكَرِ!

*****

يا لائمي المُتَجنّي إنْ تكُنْ رَجُلاً | إجْعَلْ حديثَك عن ماضيَّ واعتَبِرِ
التّضحياتُ الغوالي ملءُ ساحتِه | صُلِبْنَ مثلَ سِنينٍ ضِعْنَ من عُمُري

ما عابَني طَعْنُ مَنْ خانوا ومَنْ غَدَروا ... إن لم أخُنْ مبدئي أو لم تَخُنْ فِكري

في ذمّةِ اللهِ ما أسْلَفْتُ من مُثُلٍ ... عُلْيا، وما لمْ أزلْ أُسديه من غُرَرِ

أنا الفقيرُ سِوى مِنْ خُلْقِ مُبتدرٍ ... إلى الصَّلاحِ، ومن إبداعِ مقتدرِ

إن فاتَني جُدَدُ الحكّام ما فَتِئَتْ ... مآثري كذُيولِ الشمسِ في أثري

الخاسرونَ هُمو، حتّى وإنْ حُرِمَتْ ... نَفْسي الرؤى في سَماءِ النيل أو قَمَري

فإنّ في النفْي تَطْهيراً أُحِسُّ به ... كأنَّما أنا قدّيسٌ لمنتظرِ

آثرتُه مُشْمَئِزّاً من حَماقَتِهم ... وإنْ خَلَقْتُ لهم غُفرانَ معتذرِ

وقدْ كَفاني يَراعي الحرُّ أو وَتَري ... مَجْداً يُرامُ، وأغنَتْ عالَمي صوَري

كما نفضْتُ يدي منهمْ بلا أسفٍ ... وما نفضْتُ يدي من مصرَ أو نظري!

التّسامح

ما شَكاتي من الأنامِ عداءً ... أنا منهُمْ، فَما عدائي لنَفْسي؟

هي عتبُ المُحبّ مَهْما قسا العتْـ ... ـبُ، فما يأسي الأليمُ بيأسِ

ليسَ سُخطي سِوى تَشوُّقِ وِجداني لإصلاحهمْ وإيثار حسّي

كَمْ سفيهٍ ينالُني وأنا الحا ... ني على روحِه بروحي وأُنسي

وعِقابي له يُلاحِقُه الصفْـ ... ـحُ، ويا رُبّما أُعاقبُ نَفْسي!

الشحّـــاذ

هـــا هـــو الشّـــحاذُ لِصْـــقَ البنْـــكِ تَسْـــتَجْري لُحونُـــهْ
يضـــربُ الأوتـــارَ في عُنْـــفٍ ويُبكيهـــا جُنونُـــهْ
ســـاخطاً أو ســـاخراً تَثْـــأرُ في مقْـــتٍ فُنونُـــهْ
أشْـــعَثَ الشّـــعْرِ ســـقيمَ الوجْـــهِ قـــد ماتـــتْ عُيونُـــهْ
وعليـــهِ مِـــنْ ثيـــابِ الـــذُّلِّ والحِرمـــانِ أسمـــالٌ تَخونُـــهْ!

*****

قلـــتُ: "يـــا هـــذا لأنـــتَ الفـــنُّ فاســـعِدْني بصـــورهْ
عَلّـــني أرســـمُ منهـــا عالَمـــاً تُخْفـــي شُـــعورَهْ"
فَتَمَلاّنـــــي كمَجْنـــــونٍ رأى مِثْلـــــي أجـــــيرَهْ
ضـــاحكاً كالرّعـــدِ لا يَعْبَـــأُ بالـــدُّنيا الحقـــيرهْ
وتَمطّـــــى كَمَليـــــكٍ لم يَعُـــــدْ يَخشـــــى أســـــيرَهْ!

*****

قلـــتُ: "هـــل ترضـــى بـــدولارٍ؟ أجِـــبْني يـــا صـــديقي
ربّمـــا نحـــنُ خلـــيلانِ بإحســـاسٍ وضـــيقِ!"
قـــال: "هـــذي رأسُ مـــالي بـــل هـــي الكَنـــزُ الحقيقـــيِ!"
قلـــتُ: "دولاران!" فـــازورَّ كنـــاجٍ مِـــنْ نَهيـــقِ!
قلـــتُ: "مـــاذا تبتغيـــه"؟ فَمَضـــى عـــبرَ الطريـــقِ!

إلى إيطاليا

إلى إيطاليا خِفّوا وطيروا ... هنالِك، لا هُنا، لَكُمو المَصيرُ

إلى فاروقَ حيثُ خَصَصْتُموهُ ... بتَسبيح هو النُّبْلُ الكبيرُ

شَقينا مِنكُمو عُمْراً طويلاً ... فَروحوا، عُمْرُكُمْ عُمْرٌ قَصيرُ

ولا تَتَواضَعوا بالطُّهْرِ دَعْوى ... فإنَّ الطُّهْرَ عُنْوانٌ حقيرُ

لَكَمْ حارَبْتُمو مِثْلي كأنّي ... أنا الجاني وكُلُّكُمو الطَّهورُ

وكَمْ مِنْ غُصَّةٍ مِنْ بَعْدِ أُخرى ... تَحَمَّلْنا وكُلُّكُمو فَخورُ

تَنافَسْتُمْ بألوانِ الدَّنايا ... كأنَّكُمُو السَّواقي إذْ تَدورُ

وسَوَّدْتُمْ مَعالِمَنا سَفاهاً ... وقُلْتُمْ: هكَذا تَزْهو البُدورُ

وعاقبتُمْ لنا حِسّاً طَليقاً ... كأنَّ أخسَّ ما نَجْني الشُّعورُ

ولم تَرْضَوْا لنا رِزْقاً حَلالاً ... ورِزْقُكُمو الغَوايةُ والفُجورُ

ولم نَبْذُلْ لمصرَ الخَيْرَ إلاّ ... وأجمَعُكُمْ بنقمَتِهِ يَثورُ

إذا اعتَرَفَ الأباعِدُ والأعادي ... بقيمَتِنا فقَدْ هَوَتِ النُّسورُ

أبَعْدَ جَميعِ ما أسْلَفْتُموهُ ... يُقالُ الآن: مَوْلانا الوزيرُ؟

ومَوْلانا الأديبُ الحُرُّ حقّاً ... ومِنْ آياتِهِ كَيْدٌ وزورٌ؟

ومَوْلانا الّذي وَهَبَ البَرايا ... مَآثِره وأجْمَعُها غُرورُ؟

ومَوْلانا الّذي لم يَجْنِ ذَنْباً ... فليْسَ لِمِثْلِهِ ذَنْبٌ صَغيرُ؟

ومَوْلانا الّذي يُرْجى مِثالاً ... لأُمَّتِهِ، ومَوْلانا الجَسورُ؟

ومَوْلانا الّذي جَعَلَ المَعالي ... تَحُجُّ إليهِ إذْ هو لا يَزورُ؟

لَعَمْري لَسْتُ أدْري أيُّ حَظٍّ ... يُداعِبُنا، وما الرَّأْيُ الأخيرُ:

أعَيْنُ العَدْلِ يَحْكُمُنا التَّعالي ... أمِ الإنصافُ يَحكُمُنا الحَميرُ؟!

ليالي القاهرة

في رثاء الدكتور إبراهيم ناجي

إذا ما ذُكِرتْ ليالي القاهرة الأدبية اتَّجهتِ الخواطرُ إلى الشاعر المصريَ الموهوبِ الدكتور إبراهيم ناجي الذي أحياها بشعره الجميل في ديوانه الشائق، الذي يحمل هذا الاسم، وقد احتفى به الأدباءُ في أقطار العُروبة جمعاء.

وما من أديب عربيّ زار مصر إلاّ واشتاق لقاءَ هذا الأديب اللاّمع الجّمِّ المَرَحِ، النادرِ الطّراز، في ذكائِهِ وألمعيَّته وظرفه المتناهي، وفي ثقافته المنوَّعة الّتي شَمِلَتْ، بين ما جمعته، الطبّ وعِلمَ النفس وعلمَ الاجتماع والنقدَ الأدبيّ والقصَصَ.

كان القَدَرُ قاسياً في الخامس والعشرين من آذار/مارس ١٩٥٣ حينما اختطفَ الموتُ ناجي فجأة بالسكتةِ القلبيةِ في عيادته بين مَرْضاهُ، فَذَهَبَتْ بذهابِهِ شخصيَّةٌ أدبيَّةٌ فذَّةٌ، وانطفأت شاعريةٌ أصيلةٌ عزيزةُ المِثال، إذ كانَ في طليعة الشُّعراء العاطفيّين الغنائيّين المجدّدين، وكان وكيلاً ثانياً لجمعيّة أبولّو الشعرية بمصر، إبّانَ رئاسةِ خليل مطران لها بعد وفاة رئيسها الأول أحمد شوقي.

وكان ناجي شاعراً مطبوعاً يحترم النَّغَمَ، ولكنّه لا يحترمُ التَّعمُّلَ، فأثمر وأنتجَ شعراً شهيّاً من الطرازِ الأوّل يتميّز بجمال الطبع ويتعالى على القيود والصّنعة.

وفي مقدِّمةِ المجلاّت الّتي اهتمّتْ بأدب ناجي مجلةُ الحديث الحلبية الشهيرة، وفي عددها الصادر بتاريخ كانون الثاني/يناير سنة ١٩٥٣، (وهو العددُ الأولُ من سنتها السابعةِ والعشرين)، نُخبٌ بديعةٌ من رباعيات ناجي نذكر منها قوله:

أرِّقْني لِخَطِّ الأُفْقِ، وهو الّذي ... يَرمُقُني بالمُقْلةِ السّاحِرَهْ

وتَهْرُبُ الأنْجُمُ هذي وذي ... ويَجثُمُ اللّيْلُ على القاهرهْ!

ويَزْحَفُ الكونُ على خاطِري ... كأنّه في مُقْلَةِ السّاهِرِ

مَدٌّ من الحُزْنِ بلا آخرٍ ... يَعُبُّ عَبَّ الأبَدِ الزّاخرِ!

وكأنّما كان يُحسُّ بِدُنوّ أجَلِهِ حينَ قال:

الآن قَــدْ مَــزّقَ عنّــي القِنــاعْ ... مَــوْتُ الأباطيــلِ وزَحْــفُ السَّــناءْ
وبــدّدَ الــوَهْمَ وفــضَّ الخَــلاءْ ... بَــرْدُ المَنايــا وشُــحوبُ الفَنــاءْ!

هذا الشاعرُ النابغةُ الّذي ندّخر له دراسةً بين شعراءِ العربِ المعاصرين، لا نملك إلاّ رثاءَه بهذه الدمعةِ الحارّة:

إسْــألوا الشّــاحِبَ القَمَــرْ ... واسْــألوا الــدّامعَ الزَّهَــرْ
واسْــألوا الــنَّجْمَ حــائراً ... واسْــألوا الشَّــمْسَ في حَــذَرْ
واسْــألوا النّــورَ باهِتــاً ... خائِفــاً مــا لَــهُ مَقَــرّ
واسْــألوا النَّهــرَ واجمــاً ... كُــلُّ مَــوْجٍ لــه عَثَــرْ
واسْــألوا الحُــبَّ بعــدَ مــا ... فاتَــهُ القَــوْسُ والــوَتَرْ
واسْــألوا الحُسْــنَ خاشِــعاً ... بعــدَ مــا تــاهَ أو أمَــرْ
إسْــألوهم عــنِ الّــذي ... أرْعَــشَ الــرّوحَ والحَجَــرْ
كيــفَ قــدْ غالَــهُ الــرَّدى ... فجــأةً غــادراً وفَــرْ؟
أتُــرى كُــلُّ ذَنْبِــهِ ... أنَّــه شــاعرٌ شَــعَرْ؟
أنَّــه شَــعَّ أُنْسُــهُ ... في مَجــالِسِ السَّــمَرْ؟
أنَّــه نَغَّــمَ الأسـى ... أنَّــه طــاردَ الضَّــجَرْ؟
أنَّــه أبْــدَعَ المُنــى ... مِثْلَمــا أبْــدَعَ الصّــوَرْ؟
أنَّــه داعَــبَ الهَــوى ... والهَــوى كلُّــه خَطَــرْ؟
أنَّــه أنْقَــذَ الــوَرى ... مِــنْ شُــرورٍ ومِــنْ شَــرَرْ؟
أنَّــه أسْــكَرَ النُّهــى ... وهــو مِــنْ هَمِّــهِ سَــكِرْ؟
أنَّــه أنْضَــرَ الرُّبــى ... حينَمــا صَــوَّحَ الشَّــجَرْ؟

أنَّــــه أنْـــتَجَ الجَنـــى | في دُنـــى النّحْـــلِ والبَشَـــرْ؟
أنَّــــه صـــاغَ شِـــعْرَهُ | مِـــنْ دُمـــوعٍ ومِـــنْ فِكَـــرْ؟
انَّـــه زَفَّ مُطْرِبـــا | مـــا تَســـامى ومـــا نَـــدَرْ؟
أنَّــــه كـــانَ طِبُّـــهُ | فَـــوْقَ طِـــبٍّ ومُخْتَبَـــرْ؟
أنَّـــه عـــاشَ دائِمـــاً | ضـــاحِكاً يَهْـــزِمُ الكَـــدَرْ؟
أنَّـــهُ كـــان شُـــعْلَةً | مِـــنْ ذَكـــاءٍ، وكَـــمْ بَهَـــرْ؟
لمْ تفُتْـــه أصـــالَةٌ | إنْ يَكُـــنْ فاتَـــهُ الـــوَطَرْ؟

*****

يـــا صَـــديقي، وكـــم زَهـــا | مِـــنْ وفـــائي، وكـــم فَخَـــرْ
نَعْيُـــكَ المُـــرُّ وَقْعُـــهُ | وَقْـــعُ طَـــوْدٍ إذا انْفَجَـــرْ
أيُّ ثـــأْرٍ لعاشِـــقٍ | فاتَـــه الحُـــبُّ إنْ ثَـــأرْ؟
لـــيسَ زُهْـــدي بحاضِـــري | لـــيسَ دَمْعـــي الّـــذي انهمـــرْ
لـــيس سُـــخْري بعـــالَمٍ | بعـــدَ فُقـــدانِ مـــا عَبَـــرْ
لـــيسَ هـــذا وغـــيرُه | في غَباواتِـــهِ انتصـــرْ
مِـــنْ فُـــؤادي الّـــذي هَـــوى | في جَحـــيمٍ مِـــن الغيَـــرْ
مِـــنْ تَبـــاريحِ ثَـــوْرَتي | حينَمـــا خـــاطِري اسْـــتَعَرْ
بالّـــذي يُرْجِـــعُ المُنـــى | واثبـــاتٍ مِـــن الحُفَـــرْ
لـــيتَني – إيـــهِ صـــاحبي! – | لم يُطِـــلْ غُـــرْبَتي الحَـــذَرْ
لـــيتَني كُنْـــتُ ســـابقاً | ليتَـــكَ الخالِـــدُ الأبَـــرْ
راثيـــاً أنـــتَ، لا أنـــا | حظُّنـــا في يـــدِ القَـــدرْ
نحـــنُ في عـــالَمٍ بِـــهِ | أسْـــعَدُ النّـــاسِ مـــن غَفَـــرْ
كُلُّنـــا دونَ ذَرَّةٍ | مِـــنْ هَبـــاءٍ ومِـــنْ مَطَـــرْ

لمْ نُخَيَّــــرْ، وإنّمــــا نَــدَّعي الخُبْــرَ والخَبَــرْ
لــيسَ لــي غَيــرُ خَمْــرَةٍ مِــنْ جِراحٍ ومِــنْ عِبَــرْ!

٣١ آذار / مارس ١٩٥٣

مِن العصفور الدّوريّ إلى العُقاب[1]

هَيّــا إلى السَّــماءِ! هَيّــا! وانْشُــرْ جَناحَيْــكَ كالشّــراعْ!
نــافِسِ الشَّــمْسَ في عُلاهــا! لِــمَ تَهْــوي إلى البِقــاعْ؟
يــا مَليكــاً عَلــى الطُّيــورِ كيــفَ مَرْقــاكَ فَــوْقَ غُصْــنِ؟
لــيسَ هــذا الجُثــومُ أهْــلاً لــكَ في عِــزَّةٍ وحُسْــنِ
لِــمَ تَرْنــو إلى الثَّــرى عابِســاً ســاخِطَ النَّظَــرْ
حينَمــا فُسْــحَةُ السَّــما تَــدْعو راقيــاً عــالَمَ البَشَــرْ
حينَمــا نَحْــنُ قــابعونَ ذُلاً في هَشــيمٍ وبَــيْنَ عُشْــبِ
فــارْتَفِعْ يــا مَليــكُ وارْحَــلْ في مَعاليــكَ بَــيْنَ سُــحْبِ
عِنْــدَها، عِنْــدَها ســنُزْهى يــا صِــغارٌ بعِزَّتِــكْ
نَمْــدَحُ المَجْــدَ فيــكَ أنــتَ يــا مَليكــاً بَصَــولَتِكْ
فاعطِنــا نحــنُ عاشِــقيكَ فُرْصَــةً تَطْــرُدُ الوَجَــلْ
مِــنْ عُيــونٍ لنــا أُهينَــتْ مَضَّــها الخَــوْفُ والخَجَــلْ
وأجِــزْ تَرْكَنــا حِمانــا فهْــو مَثْــوىً لنــا حَقــيرْ

---

[1] هذه القصيدة نَظَمَها السّردار بانيكار، (Sardar K.M. Panikkar)، سفير الهند بمصر فــي لغتــهِ الوطنيةِ، ثمّ تُرْجِمَتْ إلى الإنكليزية، ونقلها من الإنكليزية إلى العربية أحمد زكي أبــو شــادي تلبيــة لاقتراح الأديب المصريّ أحمد قاسم جودة رئيس تحرير مجلة صوت الشرق.

كَـــيْ نُسَــلّى بِنُـورِ شَـــمْسٍ ... بَعْـــدَ عَـــيْشٍ لنـــا أســـيرْ
إنْسَـــنا – زُمْـــرَةَ الأدانـــي – ... في تَعاليـــــكَ للسَّـــــماءْ
فنَـــرى المَجْـــدَ يـــا مَليـــكُ أنْـــت ... ونُغَنِّـــــي لـــــكَ التَّنـــــاءْ!

١٦ آذار/مارس ١٩٥٣

حنين الأرض[1]

أعرفْـتِ الحَـنينَ في الأرضِ للشّـمسِ مُقيمـاً يُحَـسُّ خَفْقـاً ونَبْضـا؟
أعَرَفْـتِ الحَـنينَ للقَمَـرِ الـدّائرِ كالطِّفـلِ حولَهـا مـا تَقَضـى؟
هـيَ أُمّـي وذاكَ أوّلُ طفـلٍ أنْجَبَتْـهُ ولمْ يَـزَلْ غَضّـا
شـابَ في البُعْـدِ عـنْ حِماهـا ولكـنْ لم تَكُـنْ قُرْبَـه الحَفـيَّ لِتَرْضـى
أيـنَ حظّـي منْهـا ومنْـكِ؟ أجيبـيني! فـإنّي أطـوفُ لهفـانَ أيضـا!

الجواب الفصيح

رثاء الشاعر الحائر

أمُســائِلَ القَـبْـدَرِ العَـتيِّ مُحَيَّـراً ... عــن أصْـلِهِ ومَجالِــه ومَآلِــهِ
اليـومَ يُغْنيـكَ المَـاتُ كمـا مَضـى ... مِـنْ قَبْـلُ بالخَيّـام[2] بعـدَ سُـؤالِهِ
فَتَـرى الطّلاسِـمَ مُفْصِـحاتٍ مِثْلَمـا ... يَتَحَـدَّثُ الإشْـعاعُ خَلْـفَ ظِلالِـهِ

---

[1] هذا مثال من الشعر العلمّي الذي تتناوله العاطفة والخيالُ الأدبيُّ، والمعروف علمياً كما أثبت الدكتور جان بتيت (Dr. Jean Petit) من علماء جامعة كاليفورنيا بأنّ الأرض تنبض بتأثير التجـاذب مـع القمر والشمس، وقد يبلغ ارتفاع نبض الأرض ثمّ انخفاضه قدمين في بعض المواقع في خط الجانبية خلال دوران الأرض.

[2] الشاعر الحكيم الفارسي الشهير ؛ (و.ف).

وتَـرى الجَـداولَ مُتْرَعــاتٍ تَنْتَهـي لِجـــارِهِ، وتُعيـــدُ كُـــلَّ نَوالِـــهِ
وتَـرى الخَمائِـلَ راقِصـاتٍ للـرَّدى[1] رَقْصَ المُحِـبِّ إذا احتَفـى بِوِصـالِهِ
سِـرْ في رِكـابِ المُحسِـنينَ مُخَلَّـداً بالعَـذْبِ والمـأنوسِ مِـنْ سَلْسـالِهِ
مـا كُنْـتَ تُعْشَـقُ في الحَيـاةِ كَكـائِنٍ واليَـومَ تُعْشَـقُ ذائِبـاً بخَيالِـهِ
والنّـاسُ مِـنهُمْ مَـنْ يُحَـبُّ لِذاتِـهِ فهـيَ الجَـواهِرُ تُمَقَّـتْ بخِصـالِهِ
أشْـعارُهم أرواحُهـم، وخَيـالُهم في كـلِّ بيـتٍ عـامِرٍ بِخِلالِـهِ
وسِـواهُمُ المُسْـتَوْعِبونَ، جَمـالُهُمْ مِـرآةُ دُنْيـا الفَـنِّ، رَجْـعُ جَمالِـهِ
مـا كـانَ مَعْـدِنُهُمْ مُمَثِّـلَ شِـعْرِهِمْ فَصَـميمُهُ مِـرآةُ غَيْـرِ مِثالِـهِ
يَكْفيـكَ مـا أسْـدَيْتَ مِـنْ أُنْـسٍ لنـا دونَ التَّسـاؤُلِ عَـنْ حُـدودِ كَمالِـهِ
وعَـنِ الكُـرومِ وكيـفَ كـانَ رَحيقُـهُ[2] ومَـدى الأصـالَةِ فيـهِ واسـتِقلالِهِ
يَكْفيـكَ تَرْديـدُ النِّـداءِ وحَوْلَنـا هــذي المَوائِــدُ لِلْوُجـودِ وآلِـهِ
هَشَّـتْ أطايِبُهـا[3]، وكَمْ صَدَفَ الوَرى عَنْهــا، وكــلٌّ نــائحٌ بِخَبالِــهِ
ولَـوَ انَّهـمْ عَقَلـوا لطـافوا حَوْلَهـا ولَهَلَّلـوا! لِلأُنْـسِ قَبْـلَ زَوالِـهِ
ولَشـارَكوها[4] في الحُبـورِ بصُـحْبَةٍ وتَرَنَّمـوا مَعَهـا بِشِـعْرِ الوالِـهِ
مـا هـذه الدُّنْيـا سِـوى أحْلامِنـا والحُلْـمُ مِثْـلُ أبٍ حَفـا بِعِيالِـهِ!

*****

إذْهَـبْ إلى دُنْيـا الخَيـالِ، ودَعْ لنـا مـا افْتَنَّ شِـعْرُك، شـامِخاً بجَلالِـهِ
وَدَعِ الجَمـالَ مُـرَدِّداً أنفاسَـه عَبَـقُ الرَّبيـعِ يَشـيعُ في أذيالِـهِ
واتْـرُكْ تُراثَـكَ حَيْـرَةً وتَسـاؤلاً جـيلاً فجيـلاً، شـاخِصاً لِمُحالِـهِ!

[1] الرّدى: الموت؛ (و.ف).
[2] أي أنفاس شعره.
[3] أي محاسنها.
[4] الضمير عائد على الأنس؛ والمقصود بالكروم مصادرُ شعره الذي شبّه الشاعر أنسه بالرحيق المشبع بجمال الفنّ.

صديقي

صَديقي الّذي يَسْعى ليَسْتُرَ عَوْرَتي ... ويُصلِحَني، لا جانياً راحَ فاضِحي

وليسَ الّذي يُغْضي أمامَ فَضائِلي ... ويَعْتاضُ عنْها بادّعاءِ القَبائِحِ

كَمَنْ عابَ وَقْعَ الظِّلِّ والنّورُ خَلْفَه ... ومَنْ عابَ بِشْراً خَلْفَهُ دَمْعُ نائحِ

الشاعر القروي

تحية إلى رشيد سليم الخوري (١٨٨٧ – ١٩٨٤)، لمناسبة صدور ديوانه

الشّاعرُ القَرَويُّ في تَكْريمِنا ... أسْمى وأكْرمُ من مَقامِ زَعيمِنا

عَلِقَتْ بهِ آمالُنا، وتشبَّثَتْ ... أحلامُنا، فاعتُدَّ رَمْزَ صَميمِنا

أُممُ العُروبةِ ذاتُه، فصِفاتُه ... سِيَرُ البُطولةِ من عَريقِ كريمِنا

هو رائدُ الآتي ونَفْحَةُ أمْسِنا ... والثائرُ العاتي على تَسْليمِنا

ما اعتزَّتِ الفُصحى بشِعْرٍ صاغَهُ ... إلاّ اعتزازَ سَمائِنا وأديمِنا

أو تاهَتِ الأخلاقُ من أندائِهِ ... إلاّ كَتيهِ النّورِ من تَكْريمِنا

أو بَشَّتِ الأديانُ عندَ عِظاتِهِ ... إلاّ لِروحِ مسيحِنا وكَليمِنا

أو هزّتِ الألبابَ ثَوْرَةُ فَنِّهِ ... إلاّ وأرضَخَهُ إلى تَعْليمِنا

الـقريةُ بضْعَةٌ من شَخْصِهِ ... والبضْعَةُ الأسْمى مَدارُ حُلومِنا

ما كان ذاكَ الشِّعْرُ شعرَ فَصاحةٍ ... عزَّتْ فحَسْبُ، ففيهِ كُلُّ نُجومِنا

وبهِ الطّبيعةُ في جَميعِ فُصولِها ... وبهِ أحَبُّ عَبيرِنا ونَسيمِنا

وبهِ تَشُبُّ لنا هُمومٌ جَمَّةٌ ... وبهِ الشّفاءُ ليَأْسِنا وهُمومِنا

مَــنْ لم يَحُــزْ ديوانَـــه فكأنَّـــه ... حُــرِمَ الجِنــانَ، ففيــهِ كـلُّ نَعيمِنــا

كـم مُتْعَــةٍ لــي لا تُحَـدُّ جَديـدةٍ ... وتَزيــدُ جِــدَّتُها بِبَعْــثِ قَــديمِنا

أُمَــمَ العُروبــةِ لــو قَــدَرْتِ مَكانَــه ... قدَّسْــتِ مَجْـدَ حكيمِنــا ونَــديمِنا

مَــنْ غَيَّــر التــاريخَ مــنْ إيحائــهِ ... وأثــار نَخْوَتَنــا بــرَغْمِ رَميمِنــا

الأُمَّــةُ الحكْمــاءُ قَبْــلَ جُنودِهــا ... الخــالقو الجنّــاتِ رَغْــمَ جَحيمِنــا

مــا قيمــةُ الأجْنــادِ لا يُــزْجيهِمُ ... شَــرَفٌ ولا لَهَــفٌ لِغَيْــر تُخومِنــا

ولــرُبَّ شــاعِرِ أُمَّــةٍ مَهْضــومَةٍ ... كرشيد عـاش ضـمينَ حقٍّ عديمِناً

هَيْهــاتَ أعْــدِلُ ثــروةً بتُراثِــهِ ... وأنــا الفقــيرُ ودونَ حــظٍّ عَليمِنــا

فــيمَ اعتــذارُ النّــابهينَ إذا نَســوا ... للشِّــعْرِ حــقَّ إمامِنــا وحَميمِنــا؟

نِمْنــا ونــامَ الحــاكِمونَ بــأمْرِهم ... والغاصِــبونَ سَــعَوا إلى تَنْويمِنــا

حتّــى غَــدَوْنا جــاهِلينَ رجالَنــا ... الماهِــدينَ، ونَحْتَفــي بخَصــيمِنا

لا بِــدْعَ إنْ جلّــى تَذَبْــذُبُ رأيِنــا ... وغدا الشّعارُ لَنا صياحَ سَقيمِنا

واليـومَ إذْ طَلَـعَ الصّـباحُ وإن يَكُـنْ ... فيــه الضَّــبابُ مُعَكِّــراً لشَــميمِنا

ولــو انَّ ألــوانَ الجَهالــةِ لم تَــزَلْ ... شَــرْعاً تَقَـدَّسَ بَـلْ وديـنَ بهيمِنــا

نَحْـني الـرّؤوسَ لـه وإنْ تَـكُ قِلّـةً ... عَــزَّتْ ولكنّــا هُــداةُ عَميمِنــا

ونَــوَدُّ تَكْتَحِــلُ العُيــونُ بنــورِهِ ... أبَــداً، وإنْ يَــكُ مــائِلاً بفُهومِنــا

سَـيَجيءُ عَهْـدٌ نَحْتَفـي شَـرَفاً بِـهِ ... كالشّـمسِ والجَـوْزاءِ غِـبَّ غُيومِنـا

ويُسـابِقُ الأقـوامُ بَعْضـاً بَعْضُـهُم ... ليُتَرْجِمــوا الآيــاتِ في تَقْويمِنــا

شِـعْرٌ كهـذا الشّـعْرِ ذُخْـرٌ للـوَرى ... جَمْعـاً وإن يُحْسَبْ تُـراثَ زَعيمِنـا!

طويل العمر

رُفعت إلى الملك عبد العزيز آل سعود لمناسبة عيد ميلاده
الموافق ٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر سنة ١٩٥٢

وَددْتُ أُهْدي طويلَ العُمْرِ مِنْ أدبي ... في عيـدِه نَفْـحَ أضْـواءٍ وأنـداءِ

أبْقى على الدَّهْر منْ أموالِ دولته ... ولـنْ يُبَـزَّ بإشـعاعٍ وأشْـذاءِ

ولـن تُسـامى بشـعرٍ عبقريّتُـهُ ... كأنَّما فوقَ مَعْنى الوحي إيحائي

أصْغَتْ إلى شَدْوِهِ الأربابُ ساهمةً ... والأنْبيـاءُ وأعـلامُ الألِبّـاءِ

فلمْ أجدْ غيرَ صدقِ النُّصْحِ يُسْعِفُني ... وأشْرَفُ النُّصْحِ لا يُجْزى بإصغاءِ

لكـنّني لا أزال الحُـرَّ مُعْتَمِـداً ... عَلى وفائي وإخلاصي وآرائي

أُزْجي لكمْ من ضَميري في تَجاربِه ... عَبْـرَ القُـرونِ تَعالـتْ فوقَ أهـواءِ

مَعـالِمَ الحـقِّ لم تَخْـذُلْ مُسائِلَها ... وخِبْـرةً لم تـزلْ ذُخْـري وإثْرائـي

كما نَصَحْتُ لكمْ من قَبلُ في شَغَفي ... بخيرِكم، فَكَبا صَوْتي وأصْدائي[1]

كأنّما كـان تَبْصيري لكمْ سَفَهاً ... وحكمـةُ الحُـرِّ سُـمٌّ للأرقّـاءِ

في عيدِ ميلادِكَ الميمونِ أيُّ هُدىً ... يُرْجى سِوى طَرْدِ هذا الموغلِ الدّاءِ؟

وكيـفَ يُطْـرَدُ إذْ يَحْمي زبانيَـةٌ ... هـذا الأذى لِشَجى مَوْتى وأحياءِ؟

قدْ أصبحَ المُلْكُ فذّاً في دَعارتِهِ ... ورمـزُهُ بـينَ إجْـرامٍ وفَحْشـاءِ

مـنْ كُلِّ أرعـنَ في عِرنينِهِ خَرَفٌ ... وكـلِّ لـصٍّ وسـكِّيرٍ وزنّـاءِ

فاقوا الجَرادَ وباءً حينَما اتَّفقوا ... على الخَرابِ لأموالٍ وأرجاءِ

حتّى بيثرب ضجَّ القبرُ من جزعٍ ... لأُمَّـةٍ بعـدَ نـورٍ رهْـنَ ظَلْمـاءِ

[1] كان الشاعر مندوبا للحكومة السعودية ثمّ مستشارا لها في هيئة الأمم المتحدة.

حتّى بمكّةَ صارَ البيتُ في دَنَسٍ ... مِن قومِكُمْ بينَ أبناءٍ وأحْباءِ[1]

مُبَدّدي المالَ تَبْديداً لسُمْعَتِهِمْ ... وقاتِلِي الشَّعْبَ في بُؤْسٍ وأنْواءِ

دونَ المعارفِ قد لاثَتْ[2] مفارِقَهم ... أعراضُ طيشٍ وَزُهْريٍّ وأقذاءِ

حتّى غَدَوا هكذا أعداءَ أنفُسِهِم ... وقَومِهِمْ فوقَ أدواءٍ وأعْداءِ

يا وَيْحَهم جعَلوا الإسلام سُخريةً ... وظلمةً بعدَ أمْجادٍ ولألاءِ

وهيّؤوا ثورةً كبرى ستَلْحَقُهم ... ومُلْكُكُمْ إنْ بقيتُمْ رَهْنُ إغضاءِ

مَنْ يسحقُ الحقَّ يُحييه ويُشعِلُه ... والحقُّ أفصحُ نُطْقاً وسطَ ضَوْضاءِ

وناشِدو الحقِّ يوماً ظافرونَ به ... مَشَوا على النارِ أم ساروا على الماءِ!

حَيْرة وعتاب

لم يَفْجَعِ الدَّهْرُ أحْلامي ويُرْهِقْها ... إلاّ وعِنْدي لهُ من قَبْلُ حُسْبانُ

يا مَنْ خذَلْتُمْ رَجائي في مَوَدّتِهِمْ ... مهْما نُسيتُ فما لي اليومَ نَسْيانُ

باركْتُ تَطْهيركُمْ أوطانَنا سَلَفاً ... فإنّ أغلى عَزاءِ المَرءِ أوطانُ

وإنْ حزِنْتُ لِرَهْطٍ لم يزلْ لَهُمو ... شأنٌ وخيرُهُمو أفعى وثُعبانُ

يا ليتَكُم قدْ جمعتُم كلَّ عزْمَتِكُمْ ... يومَ الحسابِ لِمَنْ زلّوا ومَنْ خانوا

وما احتَمَلْتُمْ وُصوليّاً يُراودُكم ... غُنْمُ الدنيءِ لهُ الأحرارُ قُربانُ

أتُهْمِلونَ الألى قد مَهَّدوا زمَناً ... لنَصرِكم، وتُعزّون الألى هانوا؟

أتُغفِلونَ عُقولاً من مواهِبِها ... شَعَّتْ وعزَّتْ وسادتْ قبلُ أزمانُ؟

أتُكْرِمونَ صِغاراً كلُّ قيمَتِهِمْ ... زَيْفٌ، وليسَ لهم صِدْقٌ وإيمانُ؟

في مِثْلِ هذا يَحارُ الفِكرُ في زمَنٍ ... قدْ سادَه الفكرُ لمّا اعتزَّ إنسانُ!

---

[1] أحْباء: خاصّة ندماء الملك، والمفرد حباء.

[2] لاث: لطخ.

اعتدادي

باقٍ؟ نَعَمْ أنا في وَلائي الباقي ... أحْيا بوحي جَناني[1] الخَلاّقِ

سَتَسيرُ أشعاري مَسيرَ عَتيدَتي ... وتَدوسُ فوقَ صَغائرٍ ونِفاقِ

ما عابَني طَعْنُ الحقيرِ، وربّما ... جازيتُه بالجمِّ من إشْفاقي

مَنْ ذا يَحُدُّ تأمُّلي وتفنُّني ... ويَغُضُّ منْ ألَقي ومنْ إشراقي؟

فَنّي لِفَنّي كيفَ كانَ، ومَجْدُه ... مَجْدُ السُّموِّ إلى أعزِّ طِباقِ

سيَعيشُ في الآبادِ لَحْنَ حقائقٍ ... أزليَّةٍ، ويَرِفُّ في الأحداقِ

أنا ذلك البحرُ الخِضَمُّ وإنْ أكنْ ... بوَداعَتي كالجَدْوَلِ الرَّقْراقِ

وَسِعَ الجَنادلَ[2] والحَياةَ عوالِماً ... وأبتْ عوالِمُه حُدودَ نِطاقِ

وأبَيْتُ رِقَّ النّاسِ حتّى إنْ نَمَوْا ... في الرِّقِّ، حينَ استَمْرؤوا استِرْقاقي

هيهاتَ، لا أرْضَى سِوى حُرّيّتي ... ثَمَنَ الحياةِ فمنْ يَشُدُّ وَثاقي؟

لا ماردٌ يوماً ولا مُتَجَبِّرٌ ... بمُذلّلي، بَلْ لنْ ينالَ لَحاقي

ليسَ اعتِدادي عن غُرورٍ، إنْ يكنْ ... طَبْعي الغُرورَ، وليسَ عن إمْلاقِ

بَلْ عنْ تَفَجُّرِ رائدٍ إيمانُه ... لا يَنْتَهي، ويَزيدُ بالإنفاقِ

أبداً يُدافِعُ عن مبادِئِهِ كَما ... أبداً يُدافِعُ كُلُّ حَيٍّ باقِ!

---

[1] الجنان: القلب؛ (و.ف).

[2] ج جَنْدل: الصخر العظيم؛ (و.ف).

وطن الإنسانية

نظمها الشاعرُ في مناسبة مرور سبع سنواتٍ على هجرته إلى اميركا التي نعتَها بوطن الإنسانية

وَطَـنُ الـدّولارِ هـذا؟ أمْ تُـرى ... وَطَـنٌ رَفّـتْ عليـه المَعْرِفَـهْ؟

أُبْصِـرُ الإنسـانَ فيـه، بَأْسُـهُ ... جـاوزَ الأحْـلامَ فيمـا فَلْسَـفَهْ

حَقَّـرَ الـدّولارَ إذْ عَظَّمَـهُ ... فَهْـوَ عَبْـدٌ خـادِمٌ مـا كَشَـفَهْ

سَـبَّحَتْ دُنْيـا لـه، لكِنَّـهُ ... مـا تَـدَنّى لِيَـراهُ هَدَفَـهْ

كُـلُّ تَقْـديرِ حَبـاهُ إنَّمـا ... كـان تَقْـديراً لمـا قَـدْ خَلَّفَـهْ

لم يُجـاوِزْ عنـدَه واسِـطَةً ... لسُـموٌ عَـدَّ فيـه شَـرَفَهْ

الحَضـاراتُ أُذيبَـتْ كُلُّهـا ... عِنْـدَهُ في نَضْـرَةٍ مُؤْتَلِفَـهْ

ورُقـيُّ الفِكْـرِ والـرّوحِ مَعـاً ... طـابَعٌ فيـه لِمَـنْ قـد عَرَفَـهْ

يَقْـدِرُ الأشـياءَ قَـدْراً صـادِقاً ... ويَـرى الوَقْـتَ تُراثـاً كَشَـفَهْ

ويُـري الإنسـانَ حُرِّيَّتَـهُ ... إنّ يُضيِـعْها فَهْـوَ يَجْـني تَلَفَـهْ

جِئْتُـهُ مُسْـتَنْجِداً في نَكْـبتي ... ودَمـي شِـعْري، فَقَلْـبي نَزَفَـهْ

تاركـاً خَلْفـي بِـلاداً سـامَها ... ذلـك الطّـاغوتُ دَهْـراً جَنَفَـهْ[1]

بَعْـدَ مـا حورِبْـتُ في حُبّـي لَهـا ... وكِفـاحي عُـدَّ طَيْشـاً وسَـفَهْ

فَتَلقّـاني بِبِشْـرٍ عـامِرٍ ... ماسِـحٍ دَمْعـي وأهْـدى أسَـفَهْ

ناصِبـاً لـي مَنْبَـراً حُـرّاً، كَمـا ... مَـدَّ إعْـزازاً لِفِكْـري كَنَفَـهْ

مَـرَّتِ السَّـبْعُ السّـنينُ عِنْـدَهُ ... وفُـؤادي لَـمْ يُخَفِّـفْ لَهَفَـهْ

كَصَـغيرِ نـازِحٍ عـن أُمِّـهِ ... لَـيسَ يُنْسـيهِ سِـواها دَنَفَـهْ

---

[1] الجَنَفُ: الإثمُ.

ذَنْبُــــهُ إيثــــارُهُ أُمَّتَــــهُ وتَفانيــــهِ لهــــا مــــا اقْتَرَفَــــهْ
عُمْــــرُهُ في تَضْــــحياتٍ جَمَّــــةٍ مَــــرَّ حتَّــــى لم يَجِــــدْ مَــــنْ نَصَــــفَهْ[1]

*****

أيُّ عَصْــــرٍ أنــــا فيــــه جائِــــلٌ؟ كُــــلُّ عَصْــــرٍ قَبْلَــــهُ قــــدْ كَسَــــفَهْ
مِــــنْ عُلــــومٍ وفُنــــونٍ جَمَّــــةٍ وعلــــى آدابِــــهِ المُخْتَلِفَــــهْ
هــــذه الــــذِّروةُ في تاريخِــــهِ حَيَّــــرَتْ كُــــلَّ بَيــــانٍ وَصَــــفَهْ
لم يَــــدَعْ شــــيئاً بِــــلا إتقانِــــهِ أوْ جَمــــالاً لم يُنِلْــــهُ شَــــغَفَهْ
وَطَــــنُ الإنْســــانِ مَهْمــــا عابَــــهُ ناقِصــــو الأحْــــلامِ أوْ مَــــنْ قَذَفَــــهْ
وَطَــــنُ الإحْســــانِ في بِــــرٍّ لَــــهُ شَــــمِلَ الــــدُّنْيا وأعْطــــى تَرَفَــــهْ
وطــــنُ الأحــــرارِ لمْ يَرْتَــــعْ بِــــهِ غاشِــــمٌ عَــــدَّ البَرايــــا خَزَفَــــهْ
إنْ يَنَلْــــهُ بعــــدَ هــــذا جاحِــــدٌ بِعُقــــوقٍ لمْ يُبَــــدِّلْ أنَفَــــهْ
لَسْــــتُ أنســــى مِــــنْ أياديــــهِ عَلــــى مُهْجَــــتي مَوْقِــــفَ حُــــرٍّ وَقَفَــــهْ
وكــــأنّي حــــاكِمٌ في أمْــــرِهِ كُنْــــتُ لَمّــــا جِئْتُــــهُ مُكْتَشِــــفَهْ
وكــــأنّي رَغْــــمَ فَقْــــري بــــاذِخٌ في غِنــــىً هيهــــاتَ أُحْصــــي طَرَفَــــهْ
مَعْنَوِيّــــاتُ الّــــذي أُغْنــــى بِــــهِ لُؤْلُــــؤٌ حــــينَ أُجــــافي الصَّــــدَفَهْ
وحَيــــاتي فيــــه شِــــبْهُ عِــــوَضٍ عَــــنْ نَعــــيمٍ كــــانَ دَهْــــري خَطَفَــــهْ
إنْ أعِــــشْ أو إنْ أمُــــتْ في نــــورِهِ أنــــا حــــيٌّ لا أعــــاني السَّــــدَفَه[2]
ناقِــــدي مــــا كَــــانَ إلاّ حاسِــــدي أو غَــــبيٌّ مُسْــــتَطيبٌ خَرَفَــــهْ
أو حَقــــودٌ شِــــقْوَةُ النّــــاسِ لَــــهُ نِعْمَــــةٌ، بــــاهى بــــألوانِ السَّــــفَهْ
لا أُباليــــهِ كَمــــا لمْ يَكْتَــــرِثْ عــــالَمٌ حَــــولي لِخَلْــــطٍ ألِفَــــهْ
جاحِــــدُ الحــــقِّ لــــهُ الخُسْــــرُ، فَمــــا يَخْسَــــرُ الحَــــقُّ جُحــــوداً حَذَفَــــهْ!

---

[1] نَصَفَهُ: خَدَمَهُ.
[2] السَّدَفَة: الظلمة.

نجمتي الجديدة

يـــــا نجمـــــةً في الأُفُـــــقْ
بعـــــالَمٍ لـــــي جديـــــدْ

تـــــأمَّلي في الشَّـــــفَقْ
ففيـــــه أمْســـــي البَعيـــــدْ

تَـــــأمَّلي في الشَّـــــفَقْ
ففيـــــهِ ذابَـــــتْ هُمـــــومي

وفيـــــهِ قَلْـــــبي احتَـــــرَقْ
وفيـــــه ماتَـــــتْ كُرومـــــي

وأسْـــــعِفي مِـــــنْ سَـــــناكِ
بنَشْـــــوةٍ لـــــي تُعيـــــدْ

مـــــا ضـــــاعَ قبـــــلَ هـــــواكِ
مـــــن الزّمـــــانِ السَّـــــعيدْ

رَشَـــــفْتُ وحيَـــــكِ نـــــورا
النـــــورُ لُـــــبُّ الخلـــــودْ

وقـــــد يُشَـــــمُّ عَـــــبيرا
والعِطْـــــرُ شِـــــعْرُ الوجـــــودْ

تَصَـــــوَّفَتْ فيـــــكِ روحـــــي
بكـــــلِّ معنـــــىً أراهْ

وقـــــد ضُـــــمِّدَتْ جُروحـــــي
بلَـــــثْمِ تِلـــــكَ الشِّـــــفاهْ

يـــــا نَجْمَـــــتي لا تَغـــــيبي
عنّـــــي فمـــــا لـــــي نَهـــــارْ

هـــــذي حَيـــــاةُ الأديـــــبِ
في عـــــالَمٍ مُنْهـــــارْ

لـــــولا حَنانُـــــكِ ماتَـــــتْ
دُنْيـــــايَ في كُـــــلِّ شـــــيّ

وعفتُهـــــا حـــــين خانَـــــتْ
أنفاسُـــــها كـــــلَّ حـــــيّ

لا تَكْتَفـــــي برُجـــــوعي
إلى عـــــوالِمِ حُبّـــــي

ولا تَقـــــولي دُمـــــوعي
ليْسَـــــتْ دُعـــــاءً لِرَبّـــــي!

إرفعيني إلى سمائك!

إرْفَعــيني إلى سَــمائِكِ حتّــى لا أرى في الوجــودِ إلاّ الجَمـالا!
أرْهَقَــتْ عُــزْلتي عُمْـراً رَغْمَ إبداعي السَّنا والخيالا
وتراءيــتِ في سَــمائِك إلهــا مــاً وحُبّــاً ونِعمــةً تَــتَلالا
فتعلّقْــتُ بالأشــعَّة مِــنْ حــو لــي وناشــدْتُ حولَــك الآمــالا
سامَحَتْني الأرضُ الّتي كمْ حَبَتني إذْ رأتْــنَي بنَشْــوَتي مُختــالاَ
ســامَحَتْ لَفْــتَتي إليــكِ، لأنّــي فيــكِ آمنْــتُ بالإلــهِ تَعــالى
واهــمٌ مَــنْ يَرى الحياةَ بِلا حُبٍّ حَيــاةً، ويضــربُ الأمثــالا
فمــآلُ التّقشُّــفِ المُتنــاهي كمــآلِ الفُتــونِ حــالاً وحــالا
لا قُيودُ الـوَرى ولا العُـرْفُ يُجْـدي إن أبــى الحُــبّ أو أرادَ المُحــالا
إذْ تعالَــتْ بــيَ السُّــنونُ فــإنّي كــالنّبيّين دائمــاً أتعــالى
وكــأنّي كــالكَوْنِ مــا شــابَ بالرَّغْــمِ مــن الـدَّهرِ، إن يُشِـبْ أجيـالا
أيُّ فَــنٍّ ســأخْلُقُ الآن مــن بَعْــدِ بُلــوغي بقربِــكِ الإجــلالا؟
قالَ لي الدهرُ: "سوفَ تأتي بإعجازٍ، فَصَبراً، وسوفَ تَحْيا مثالا
سوفَ تُعْطي الورَى الّذي أنتَ تُعطي مِنْ سناها، محققاً ما استحالا!"
أنــا مَثّالُــكِ المُغَنّــي الّــذي يَرْسُــمُ ألحانَــه، وإنْ قيــلَ غــالى
باتَ شِعْري وباتَ رَسْمي وما أجْــهلُ مَعْنــىً حَبَــوْتِ أو تِمْثــالا
ذاك فَنّــي في ظِلّــكِ الضّــاحــي ســيَنْمو ومجـدُه يَتَــوالى
وإذا مُــتُّ عــاشَ يَسْــخَرُ بالمــوتِ قريــراً ويُلْهِــمُ الأجيــالا

لا تحسبوه صديقي!

لا تَحْسَبوه صَديقي بعدَ خِذْلاني ... في العيش إنْ جاءَ بعدَ الموتِ يَرْعاني

وزَفَّ إكليلَ زهْرٍ ليسَ يَنْفَعُني ... كأنَّه حَجَرٌ من فوقِ أكْفاني

ما كان أولاهُ لَمَّا لجَّ بي مَرَضي ... لو زارني ورَعاني، ثُمّ عاداني

لا أن يُجانِبَني نَذْلاً ويَهْجُرَني ... والموتُ يَرْمُقُني في موقفِ الجاني

حَسِبْتُ أنّي أساوي بعضَ خردلةٍ ... لديه فانهالَ تَقْديري وحُسباني

وكان يُغْرِقُ إطراءً ويَذْكُرُني ... كأنّ ذِكْريَ تَسبيحٌ لدَيّانِ

حتّى إذا الموتُ في أثوابِ مُمْتَحنٍ ... أتى تَهارَبَ من إحْساسِ إنسانِ

وفاتَني لأُعاني أزمةً عَرَضَتْ ... كأنَّ موتي الذي قاسيتُ مَوْتانِ

فإنْ يكُن في شِفائي اليومَ مُعْجِزةٌ ... فبعْضُها بعدَ هذا البعثِ سُلْواني

أنا الغَنيُّ بِقَلْبي حينَ أرْخَصَني ... مَنْ كنتُ أُغْليه فاستغنى وألْقاني

وهو الفقيرُ بثَرْواتٍ يُجَمّعُها ... كأنَّها رَمْزُ إفلاسٍ لِخَوّانِ

عَزَّ الوفاءُ فما يَبْقى أخو ثِقَة ... كأنَّها نِعْمَتي في هَمِّ دَفّانِ

إنّي لأفقِدُ أحبابي وأدفنُهم ... إلاّ بَقاءَ خَيالٍ دونَ بُرهانِ!

الدّاعرة

كانَتْ بدايتُها خِتامَ زَعيمِ ... ونِهايةِ الإجْلالِ والتَّكْريمِ

مَنْ كانَ رمزَ كفاحِنا وفَخارِنا ... أمْسى أثيماً بلْ وأيَّ أثيمِ

قالوا: تَخَلَّصْ من مَديحِكَ أمْسَه ... هيهاتَ! لستُ وإنْ هوى بلَئيمِ

ماضيه ماضي أُمَّتي فأمانَتي ... وكَرامتي ذِكراهُ بالتَّعْظيمِ

والآنَ أذْرِفُ مَــــدْمَعي لرثائِــــه حَيّــاً، فمــا ألْقــاه غــيرَ رَمــيمِ
وأعــافُ ذكــرَ زنيمــةٍ غــالى بهــا فَهَــوى مــن العَلْيــاءِ أيَّ زَنــيمِ!

سقوط الثّلج المفاجئ

رويدَكَ يا غازياً يَنْهَمِرْ
ويَرْجُمُنا دونَ إعلانِ حربٍ!
وكنّا ائْتَمَنّا أوانَ الربيعِ، فكيفَ انقضى؟ ثمّ كيفَ اعتذرْ؟
أباتَ الرَّبيعُ خَصيماً غَدَرْ؟

*****

وهذي البراعمُ ما ذَنْبُها؟
ونَحْلي العزيزاتُ ماذا جَنَتْ؟
وتلكَ الولائمُ كيفَ استحالتْ وضاعتْ كحُلْمٍ غريبٍ عجيبْ
فماتَ الجمالُ ولّى الغِنى؟

*****

كأنَّ الحياةَ وناموسَها
على رَغْمِ أحكامِه الوافيهْ
تنابذَتا في أوانِ السَّلامِ وقد خَلَّفا الأنفُسَ العانيهْ
وسخريةً مرّةً جانيهْ!

صدّاحة الشرق

مهداة إلى الآنسة أم كلثوم وهي تستشفي بواشنطن العاصمة الأميركية

صــدّاحةَ الشــرّقِ مُــذْ أتَتْنــا نَجْــواكِ غَنّــى لنــا الأمــانُ
في النّــورِ، في العِطــرِ، رنَّحتْنــا أنفاسُــكِ العذبــةُ الحِســانُ
لم تَمْنَحــي العاشــقينَ حُلْمــاً بــلْ فــوقَ مــا أمَّلــوا وكــانوا
الكــونُ مــن حَوْلِنــا أغــانٍ وكــلُّ نَجْــمٍ لنــا كَمــانُ[1]
كأنَّمــا السِّــحْرُ قــد حَبــاه بكــلِّ مــا يُبــدعُ الحنــانُ!

*****

يــا مَــنْ أتَــتْ تَســتطِبُّ مينــاً عوفيــتِ والفــنُّ والبيــانُ
مــا كــانَ في قُرْبــكِ اغــترابٌ ولا عَنــاءُ الّــذين عــانوا
باللّــه جــودي علــى فُــؤادي بنَفْحــةٍ منــكِ تُسْــتَبانُ
وأنْشِــدي للْعَــزاءِ شِــعْراً في مِسْــمَعِ الخُلْــدِ قــدْ يُصــانُ:
عــادانيَ الــدّهرُ نِصْــفَ يــومٍ فانكشــفَ النــاسُ لــي وبــانوا
يــا أيُّهــا المُعْرِضــون عنّــا عــودوا، فقــدْ عــاودَ الزَّمــانُ!

جزيرة النّور

من وحي نيويورك

جزيــرةُ النّــور تُحَيّينــا وتنشُــرُ فَرْحَتَهــا فينــا
أضْــواؤُها أبْهَــجُ أشــعارِها وألوانُهــا تَحْكــي أغانينــا

---

[1] الكمان: القيثارة.

ما عابَها الصَّمْتُ، ففي صَمْتِها ... ما يُلْهِمُ الشَّدْوَ أفانينا
ساءَلْتُها لَمّا تأمَّلْتُها ... عن عِشْقها مِثْلي المجانينا
مَنْ أصْغَروا المالَ الّذي عنْدَها ... وأكْبَروا النّورَ المُناجينا
فاسْتَضْحكَتْ ثُمّ تَهادَتْ كما ... يَسْتَضْحِكُ الرَّوْضُ رَياحينا
وعَطَّرَتْني مثلَ تعطيرِها ... بالنّورِ أحلامَ المُحبّينا
دينٌ لأهْليها، ولمْ يَعْرِفوا ... مِن قَبْلُ إلاّهُ لَهُمْ دينا
لولاهُ، رَغْمَ كُنوزٍ لهمْ ... كانوا عُفاةً بلْ مَساكينا
البَسْمَةُ مِلْءُ أساريرِهِمْ ... فما تَرى الباكينَ باكينا
وإنْ تَنادَوْا بِشَكاةٍ لهمْ ... لم يُصْبحِ الشّاكونَ شاكينا
أنفاسُ هذا النّورِ لَمّا سَرَتْ ... حَوَّلَتِ العانينَ لاهينا
فَجَلْجَلَتْ فيهِ فُكاهاتُهُمْ ... كَأنَّهم باتوا فَراعينا
لا تَنْهَني عَنْ أيِّ مَجْلىً أرى الفِتْنَةَ فيه تُحَيِّينا
فإنَّني الشّاعرُ، مِنْ فَنِّهُ ... يَخْلُقُ لِلنّورِ مَوازينا
ويُسْبِغُ النِّعمةَ ممّا يَرى ... شَتّى على الخَلْقِ المُعانينا
هَشَّتْ ليَ الأشْجارُ في نَشْوَةٍ ... والماءُ والطَّيْرُ مُغَنّينا
كأنَّما قد زِدتُ تَطْريبَها ... وأسْكَنْتُها شِعْري بَساتينا
وداعبَتْني السّامقاتُ الذُّرى ... بألْسُنٍ للنّورِ راوينا
وبعضُها مِنْ خَلْفِهِ جنّةٌ ... وبعضُه بالنّارِ يُغْوينا
فكانَ إحساسي بها أنَّها ... قدْ حَجَّبَتْ جِنّاً مَلاعينا
وأنَّهم مِثْلي بعِرْفانِهم ... لِلْحُسْنِ، لاهينَ مُصَلّينا
وإنَّما الدّنيا بآياتِها ... وخيرُها مِنْ صُنعِ أيْدينا!

أربعاء الرماد[1]

أربعـاءَ الرَّمـادِ يـا عيـدَ أحْزانـي ويـا رمـزَ حُرْقَـةِ الإنسـانِ
فيـكَ ذِكْـرى لنكبـةٍ ولنصـرٍ، ومَـزيجِ الإيمـانِ والكُفْـرانِ
لـيسَ هـذا الرَّمـادُ مِـنْ سَـعَفِ النخْـلِ رمـاداً وإنَّمـا وِجـداني
إنَّ ماضـيَّ ماثـلٌ فيـه والحاضـرَ أيضـاً ومُقْبِلـي المُتَـداني
المسـيحُ النَّبيـلُ بـاركَ مـا فيـه مـن الوَجْـدِ والـرُّؤى والمَعـاني
أتركـوني يـا قـومُ أركـعُ فِي هَمّـي خُشـوعاً لهـذه الصُّـلبانِ
إنْ أكـنْ مُسـلِماً فقلْـبي حَـوى العـالَمَ طُـرّاً كخـالِقِ الأكْـوانِ
فلسـفاتُ الحيـاةِ ليسـتْ لـدينٍ واحـدٍ بـينَ سـائرِ الأديـانِ
إنَّهـا الحِـسُّ بالمَآسـي وتفسـيرُ وُجـودٍ مـوزَّعٍ حَيْـرانِ
مِـنْ تُـرابٍ نَشَـأْتُ، ثُـمَّ إلى التُّـرْبِ مـآلي كَئـائـبِ ظمـآنِ
وأنـا السـائحُ الشـريدُ الّـذي يَـنْعَمُ في بُؤْسِـهِ العـتيِّ المجـاني
ذكِّرونـي، نعـم هنـا ذكِّرونـي بانتصـاري العظـيمِ ثُـمَّ امْتِهـاني
وغُـرورِ الحيـاةِ والخلـقِ والـدُّنيا مُشـاعاً في روحِ هـذا الزَّمـانِ
ليسَ يَبْقى سوى الجَمالِ، سوى الخيرِ، سوى الحبِّ في الوجودِ الأناني!

[1] أربعاءُ الرَّماد هو بدايةُ الصَّوم الكبير عند طوائفَ من المسيحيِّين الغربيِّين. وفي هذا العيد الدينيّ تُعلَّمُ بالرَّماد جباهُ الورعين الراكعين أمامَ المذبح رمزاً إلى الأربعين يوماً التي يقضيها المسيحيون في التّوبة والصَّوم والزكاة، وإلى أنّ الإنسان يأتي من التّراب وإلى التُّراب يعود. ويُستمدُّ الرّمادُ من حرَقِ سَعَفِ النخل الذي كان يوزّع في أحد الشعانين بالعام السابق على جمهور المصلّين المبتهجين بدخول السيّد المسيح بيتَ المقدس منتصراً، وكان ذلك قبل أن نُكِب بمحاكمته وصلبه. وفي هذه القصيدة الوجدانيـة يعلن الشاعر عن عواطفه وفلسفته إزاء هذه الفاجعة الإنسانية.

بعث المسيح

أُرقصـــي أيَّتُهـــا الأضْـــواءُ بـــالحُلْمِ المُـــردَّدْ
وافْرَحـــي أيَّتُهـــا النّـــارُ لإيمـــانٍ مُجَـــدَّدْ
قَـــدْ مَضـــى الصَّـــوْمُ وزالَ الصَّـــلْبُ كابوســـاً تبـــدَّدْ
والمســـيحُ اليـــومَ في عَلْيائِـــهِ حُـــرٌّ مُسَـــوَّدْ
مَثَّـــلَ الحـــقَّ الّـــذي إنْ ظُـــنَّ بـــه بَبْلـــى يَتَجَـــدَّدْ
مَثَّـــلَ الحُـــبِّ الّـــذي في الكـــوْنِ يَسْـــتَجْليهِ مَعْبَـــدْ
مَثَّـــلَ النُّبْـــلَ الّـــذي لـــولاهُ في الـــدَّهْر تَشَـــرَّدْ
مثَّـــلَ الإنســـانَ في اللّـــهِ تَســـامى وتوحَّـــدْ
ثـــارَ لِلْعَـــدْلِ فَخَـــرَّ الظُّلْـــمُ حـــينَ اغْتَـــرَّ وانهـــدّ
وارْتَضـــى الآلامَ أصْـــحاباً وعَـــدَّ المـــوتَ أخْلَـــدْ
وَدَّعَ الـــدُّنيا عَيـــوفَ الـــنَّفْسِ بَيْنـــا الحـــظُّ عَرْبَـــدْ
حـــاملاً كُـــلَّ خَطايـــا النّـــاسِ كالصَّـــرْحِ المُمـــرَّدْ
صـــاعِداً نحـــوَ الســـماواتِ شِـــهاباً أوْ مُهَنَّـــدْ
فاتحـــاً مُلْكـــاً جَديـــداً مـــا تَنـــاهى وهـــو يَمْتَـــدّ
بَشَّـــرَ الأمـــلاكَ والأفْـــلاكَ بالسَّـــلْمِ وعَبَّـــدْ
فـــإذا الأكْـــوانُ في الأضْـــواءِ تُهْـــدي النّـــورَ للغـــدْ
بَعْـــدَما زُلْزِلَـــتِ الأرضُ وقـــدْ كانَـــتْ تُهَـــدَّدْ
بعـــدَما أظلَمَـــتِ الـــدُّنيا وكـــانَ الضَّـــوْءُ أسْـــوَدْ
فتَهـــادي اليـــومَ يـــا دُنْيـــا بمـــاسٍ أو بِعَسْـــجَدْ
عَيِّـــدي بـــينَ رُمـــوزِ الحُـــبِّ مخضـــلاً مُهَدْهَـــدْ

واجْعَلــــي الأرْضَ أزاهــــيرَ لآمــــالٍ تُمَهَّــــدْ
عابقــــاتٍ بشَــــذى الفرْحَــــةِ كالسِّــــحْرِ الموسَّــــدْ
عيِّــدي مــــا شِئْتِ، هــــذا العيــدُ كاللّــــه مُمَجَّــــدْ
عَبَّــــتِ الأديــــانُ والآدابُ مِنْــــهُ تَتــــزَوَّدْ
هــــذهِ الحَلْــــوى وهــــذا البــيضُ أشــعارٌ تُقَصَّــــدْ
والحَفــــيُّ الموكــــبُ السَّــــاني لشَــــعْبٍ يَتَعَبَّــــدْ

*****

أيُّهــــا الحُجَّــــاجُ في القُــــدْسِ زُرافــــاتٍ تَــــأوَّدْ[1]
أنــــا مِــــنْكم رَغْــــمَ بُعْــــدي في صَــــلاةٍ لا تُحَــــدَّدْ
عَرَفَــــتْ فلســــفتي الرَّمْــــزَ كعِرْفــــاني "المُجــــرَّدْ"
وكــــأنّي قــــد حَضَــــرْتُ الصَّــــلْبَ والبعــــثَ المُسَــــدَّدْ
فَأَبَــــتْ لــــي غــــيرُ ألْحــــانيَ مــــا يُــــروى ويُسْــــرَدْ
إنَّهــــا دَمْعــــي وأشْــــجاني وثــــأْرٌ يَتَوَقَّــــدْ
إنَّهــــا حُبّــــي الّــــذي يَبْقــــى علَــــى الــــدَّهْرِ المُخَلَّــــدْ!

لنكــلن

يا ابنَ الخَصاصةِ، حينَ تُحْسَبُ عِزَّةً — وابنَ الكِفاحِ علَى المَدى، قَهّارا
في ظُلْمةِ الكوخِ الحَقيرِ تَشَرَّبَتْ — روحٌ لكَ النّورَ النَّبيلَ مِرارا
فنشأْتَ كالرّاعي الشَّفيقِ على الوَرى — تَسْتَلْهِمُ الآلامَ والأكْدارا

---

[1] تأوّدَ: تتأوّدُ: ينثّقل سيرها المتلاطم.

وكَدَحْتَ طِفلاً في الحُقولِ، وبعدَها ... في اللّيلِ تَكدَحُ دارساً صبّارا
فإذا نُبوغُكَ في الطُّفولةِ ساطعٌ ... مِثْلَ الضُّحى نوراً أغرَّ ونارا
وإذا شبابُكَ في فَصاحةِ مِدْرَهٍ ... بَهَرَ الكِبارَ ومُلِّكَ الإكْبارا
وبُعِثْتَ مَنْدوباً لِنَدْوَةِ أُمَّةٍ ... قَدَرَتْ نُبوغاً فيكَ لا يَتَوارى
دافَعْتَ فيها عن كَرامةِ مَنْ هَوَوْا ... في الرِّقِّ واعتنقوا الأذى والعارا
ناديْتَ: "لن تَبْقى الغَداةَ حُكومةٌ ... ما لَمْ يكنْ أشياعُها أحْرارا
هيهاتَ غيرُ الحقِّ يَخْلُقُ قوّةً ... هيهاتَ مَهْما يَخْلُبِ الأنظارا
فلْنُطْلِقِ الأسرى وهمْ أُخوانُنا ... في الرِّقِّ، قدْ وَجَدوا الحياةَ بَوارا"
وبلغْتَ أعلى مَنْصِبٍ قدْ زِدْتَهُ ... فَخْراً، وزِدْتَ جَلالَه أعْمارا
لولا التَّعصُّبُ في الجُنوبِ أثاره ... زُعَماؤُه في حُمْقِهِمْ إعْصارا
وأبَوْا سِوى الحَرْبِ الأثيمةِ وحدَها ... ردّاً وغيرَ جُموحِهِم أنصارا
فجعَلْتَ تَحريرَ العَبيدِ سياسَةً ... وتَخِذْتَ تَوْحيدَ البلادِ مَنارا
حتّى إذا انتصرَتْ جُيوشُك لم تَعُدْ ... إلاّ زَعيمَ بلادِك الغَفّارا
وأخذْتَ تَبْني مِن جَديدٍ حظَّها ... كالغَيْثِ يُطلِعُ في الرُّبى النَّوّارا
وبَدا الرَّجاءُ مِنَ الرَّمادِ كأنَّهُ ... بَعْثٌ أعادَ خلائِقاً وديارا
فإذا القَضاءُ مُهيِّىءٌ لكَ مَصْرَعاً ... - واهاً له - والنَّصرُ صار مُعارا
كلاَّ، وكلاَّ، ما قُتِلْتَ لميتَةٍ ... بل للْخُلودِ مكرَّراً وجِهارا
عَمَّدْتَ بالدّمِ أيُّها الفادي لنا ... مُثُلاً على الأدهارِ سوفَ تُجارى
ما أنَّ مظلومٌ وضحّى ماجدٌ ... إلاّ وكنْتَ لهُ لَظىً وشَرارا
وراَكَ في أحْلامِهِ ويقينِهِ ... أبداً، فَهَمَّ يُصارِعُ الجَبّارا!

تحيّة الجمهوريّة المصريّة

١٨ حزيران / يونيه سنة ١٩٥٢

إنَنْ مصرُ عادتْ تقْتَفي مَجْدَها الأسْمى   فيا قُبَلي طيري لها واشْبَعي لَثْما

ويا فَرْحَتي لا تَكْتَفي بفريدةٍ   من الشِّعرِ، بل كوني لها الأمَل الجمّا

ورُغّي حَوَاليها رُؤىً تَستَعيدُها   فُنوناً مِن الإلهامِ تُكْسِبُها الحَزْما

شَئى الشِّعرُ وَحْيَ السَّيْفِ في وَثَباتِهِ   كَما أسْكَنَ المَجْدَ المُرَفْرِفَ والنَّجْما

وبَشَّرَ بالأحْلامِ[1] حتّى تَفَتَّقَتْ   لِنَشْوتِها الأحلامُ[2] أضعافَها نُعْمى

وأنْجَبَ فيا للحَياةِ مَعانياً   ضِخاماً تعالَتْ، لا تُحَدُّ وقد تُنْمى

فيا مِعْزَفَ الأرْبابِ جَلْجِلْ مُرحِّباً   بمصرَ، وبارِكْ أنْتَ وَثْبَتَها العُظْمى

إذا الحُكمُ للجُمهورِ أصبحَ رائداً   أبى الحقُّ أن يَلْقى به العارَ والظُّلْما

وما العدلُ إلاّ للمُساواةِ وَحْدَها   فإنْ هي ضاعَتْ صارَ ما دونَها إثما

فيا أُمَّةَ النّيلِ المُبارَكِ حاذِري   -وقدْ نِلْتِ ما تَهْوَيْنَ- أن تَخْلُقي الضَّيْما

ولا تَقْبَلي التَّفْريقَ في أيّ مَظْهَرٍ   فمنْ يَقْبَلِ التّفريقَ يَستأْهِلِ الرَّجْما

وما كانَتِ الآثارُ أبْقى على البِلى   مِنْ العَدلِ، لو آثرْتِهِ مَجْدَكِ الضَّخْما

أُعيذُكِ مِنْ وَهْمٍ يصيرُ عَقيدةً   فكمْ أُمّةٍ هانَتْ بإعزازِها الوَهْما

أُعيذُ جمالاً[3] والزَّعيمَ مُحمَّداً[4]   بِحِذْقِهما مِنْ حَدِّ مَطْلَبِكِ الأسمى

قدِ انتزَعا مِنْ قَبْلُ حَظَّكِ عُنْوَةً   وما بَرِحا والدَّهْرُ كالطّائِشِ الأعْمى

تَجَبَّرَ واسْتَعْلى فَرَدّاهُ صاغِراً   وقدْ كانَ كالمَحْمومِ سكْرانَ بالحُمّى

---

[1] الرؤى.
[2] العقول.
[3] جمال عبد الناصر.
[4] محمد نجيب.

وهـا أنـتِ بالعَهْـدِ الجَديـدِ طليقـةٌ ... ومُنجبـةٌ أعـلامَ نَهْضَـتِكِ الشُّـمَّا

ففـي كُـلِّ شِـبْرٍ مِـنْ ثَـراكِ خَميلـةٌ ... وقـدْ كانـتِ الـوَيْلاتُ تَغتالُـه قَضْـما

وفي كلِّ مَـرْأىً مِـنْ سمائِكِ كوكبٌ ... يَبُـلُّ بنـورٍ مِنْـهُ لوعـةَ مَـنْ يَظْمـا

وفي كُـلِّ رُكْـنٍ مِـنْ رُبوعـكِ ملجـأٌ ... تَلـوذُ بِـهِ خَـيرُ المواهِـبِ أو تُحْمـى

وفي كُـلِّ ذِهْـنٍ مِـنْ بَنيـكِ بواعـثٌ ... ليُنْجِبَ حينَ الأمْسُ قدْ أَلِفَ العُقْما

وفي كُـلِّ قلْـبٍ نَشْـوةٌ عَلَويَّـةٌ ... فصـار إذا يَـأْتمُّ بـالخيرِ مُؤتَمّـا[1]

تَبَـدَّلتِ الأيّـامُ حتّـى كأنَّمـا ... بِنِعْمَتِهـا لمّـا تَـزَلْ حَوْلَنـا حُلْمـا

كـأنَّ بَنانـاً للمسـيحِ لَمَسْـنها ... فبدَّدْنَ عنهـا الذُّعْرَ والحُـزْنَ والسُّقْما

فيـا مِصـرُ عَضّـي بالنَّواجـذِ حُـرَّةً ... علـى ما كَسَبْتِ اليومَ واغتنِمي اليَوْما

وهيّـا أعِـدّي لِلْغَـدِ المُرْتَجـى عُلـىً ... تَبُـزُّ بإِعْجـازٍ لهـا كُـلَّ مـا تَمّـا

إخـاءً وتَنْظيمـاً وعِلْمـاً وهمَّـةً ... وفنّـا تَهُـزُّ الغـافِلينَ أو الصُّـمّا

ولا تَشْـتَكي مِنْ لاعِجِ اليُتْمِ بعدَما ... أزَلْتِ بهذا النَّصْرِ مِنْ دَمِكِ اليُتْما

ألاَ في سـبيلِ المَجْـدِ مـا قـدْ غَنِمْتِـهِ ... وهـا هـو قدْ أضْحى لِكُلِّ الوَرى غُنْمـا

فإنّـكِ للأقـوامِ أُمْثولَـةُ الهُـدى ... وما خَصَّ شَعْباً يَستفيقُ ولا قَوْما

تَبـارَكَ ربّـي حـينَ يُنْصِـفُ أُمَّـةً ... تعافُ ذَليلَ العيشِ واليأسَ والنَّوْما

وتُـدرِكُ أنَّ الفهـمَ مِـنْ رأسِ مالِهـا ... وهل يُقْدَرُ الإنسانُ إنْ طلَّقَ الفَهْما؟

ولا تَسْـتَطيبُ المـوتَ طَوْعـاً لِمـارِدٍ ... وتَصْفَعُهُ إنْ ثـار واسْتَمْرَأَ اللُّؤْمـا

ولا تَرْتَضـي يَوْمـاً مُسـاوَمَةً لَـهُ ... فمَنْ ساومَ الطُّغيانَ مُقترفٌ جُرْما

وخـانَ تُراثـاً للجُـدودِ مُقدَّسـاً ... كما خانَ عَهْداً لا يُكَيَّفُ أو يُسْمى!

*****

عَزيزٌ علـى مِثْلـي البعادُ وقـد زَهَتْ ... مَنـائِرُكِ الزَّهْـراءُ تَستقبلُ السِّلْما

---

[1] متبوعا أو إماما.

عَزيــزٌ وفي قَلْــبي حَنــانٌ مــؤرِّقٌ ... وحَسْبي، على رَغْمي، مُفارقَتي الأمّا
إذا جِئْتُ هذا اليومَ أُزْجي نَهائِني ... فمِنْ قلبِ مَحْرومٍ تَهَلَّلَ إذْ يُدْمى
ولكنَّ نَفْسَ الحُرِّ نَفْسٌ عَجيبةٌ ... تَعيشُ على الأضدادِ مهْما تكُنْ غُرْما
وقد تَرْفُضُ الشَّهْدَ السُّلافَ لِوهْمَةٍ ... وتَعْشَقُ موتَ النُّبْلِ إذْ تكرعُ السمّا
فإنْ لمْ أزَلْ رَهْنَ التَّزَمُّتِ ثائِراً ... فَطَوْعَكِ قَلْبي المُسْتَعِزُّ بما ضَمّا!

جورج واشنطن

مُؤسِّسَ الدَّولَةِ المَرْهوبِ جانبُها ... ومَنْ شَأَتْ قِمَّةَ الدُّنْيا مَبانيها
ومَنْ تَظَلُّ المَعالي مِنْ مَبادِئها ... وباقياتُ المَزايا مِنْ مَعانيها
ومَنْ يَشيمُ بها الأحرارُ قُدْوَتَهُمْ ... ويَعْرِفون الأمانيَّ أمانيها
ومَنْ تَعيشُ بها الأجْواءُ أجْمَعُها ... مثلَ الشُّعوبِ الّتي قَدْ أُسْعِدَتْ فيها
كلٌّ لهُ مَنْزِلٌ حَيٌّ ومُؤْتَلِفٌ ... وعِزَّةٌ لم تَكُنْ وَهْماً وتَمْويها
حتّى الطُّيورُ تَغَنَّتْ في مَوائِلِها[1] ... بنَشْوَةٍ فَوْقَ ما أَوْحَتْ أغانيها
حتّى الوُحوشُ التي تُمْحى مَسارِحُها[2] ... مِنَ العَداءِ تهادَتْ في مَجاليها
حتّى الطَّبيعةُ في أرجائِها سَكَنَتْ ... فيها الأُلوهَةُ ألْواناً لِرائيها
اليومَ ميلادُكَ الوَضّاءُ نَعْرِفُهُ ... وإنْ حُجِبْتَ بآثارٍ نُحَيّيها
أبا البلادِ الّتي يَحْيا الجَميلُ بها ... مُكَرَّرَ العِطْرِ يَجْري في أقاحيها
وفي الجميلِ المُحَلّى مِنْ بَواسِقِها ... وفي الطَّليقِ المُغَنّي مِنْ قَماريها
وفي جَميعِ نواحيها كأنَّ بها ... لِذِكْرِكَ السَّمْحِ تَقْديساً وتَأْليها

---

[1] موائل: Sanctuaries.
[2] مسارح: Roomaries؛ (كذا في الأصل ولعلها Roomages؛ و.ف).

وفي جَميعِ مباديها الّتي انتشرَتْ   فَرَنَّحَتْ أُمماً شَتّى مباديها

يا مَنْ تَبَنَّتْكَ أخلاقٌ مُنَزَّهَةٌ   عَنِ الصَّغارِ فَتاهَتْ في تَبَنّيها

جَعَلْتَ سيرَتَكَ الغَرّاءَ رائِدَةً   للرّائدينَ فعَبّوا مِنْ دَراريها

يا قائِدَ الثّورَةِ الكُبْرى ومُنْمِيَها   حتّى استحالتْ لَظىً أفْنى أعاديها

وآخِذَ النَّصْرِ والأيّامُ مُدْبِرةٌ   والخَصمُ يُمْعِنُ تَحْقيراً وتَسْفيها

آمنْتَ بالحَقِّ حَتّى صِرْتَهُ رجُلاً   وبالتُّقى فغدا ديناً لأهْليها

وإذْ نَجَتْ مِنْ أذى الطّاغوتِ ظافِرةً   بعِزّها كُنْتَ رُبّاناً يُراعيها

ولمْ تَزَلْ يا أباً إنْ نامَ عنْ وَلَدٍ   وأمُّهم لمْ يَناموا عنْه تَنْويها

حاشاك، فالموتُ للأحرارِ مُخْلِدُهُمْ   وللمَبادِئِ مُعْليها ومُحْييها

وهكذا سيرةُ الأبطالِ مَلْحَمةٌ   الخُلْدُ شاعِرُها والدَّهرُ راويها

قصيدة

أهْتَزُّ قُرْبَكِ كالزَّمانِ قَصيدةً   يا ليتَ قَلبَكِ كانَ يُدْرِكُ ما بيا

وتُنَضِّدينَ قَصيدتي كمَشاعري   في حينِ تَنتَفضُ الحُروفُ أغانيا

تَجْري أنامِلُكِ الرّشيقةُ فوقَها   جَرْيَ النَّسائمِ مُنْعِشاتٍ باليا

يا نَبْعَ إلهامي المُنوَّرِ دائماً   ماذا سكبْتِ بها غِنىً ومَعانيا؟

في كلِّ لفظٍ فوقَ ما حمَّلْتُهُ   وَوَهَبْتُهُ نَصَفا وجاوَزَ روحيا

أتْلو سُطوري بَعْدَما دَبَّجْتُها   نَبَضاتِ قَلْبي المُرقصاتِ خياليا

الباسِماتِ وكُنَّ قَبْلُ بواكياً   والآسياتِ وكُنَّ قَبْلُ دَواميا

والعاطراتِ مِنَ الجِنانِ وما أرى   إلاّكِ يَنْفَحُها العَبيرَ الغاليا

والشّاعِراتِ وكُنَّ أمْسِ جَوامِداً والمُعْجِزاتِ المُخْلِداتِ الفانيا
والراوياتِ مِن الرَّحيقِ عَواطِفاً نَشْوى وأحْلاماً تُجَدِّدُ ماضيا
هذي قَصيدتيَ الّتي أنكَرْتُها من قَبْلُ عادتْ لي أحَبَّ رَجائيا!

حنين

مِنْ وحي يوم ٢٢ تموز / يوليه سنة ١٩٥٢

عيدانِ: عيدٌ تَحَرُّرٍ وتَفاؤُلٍ جَمٌّ، وعيدُ كَرامةٍ لِبلادي
بِهِما أتيهُ وإن نُسيتُ وأُهْمِلَتْ صُحُفي، وأسْعَدُ رَغْمَ طولِ بعادي
شَأنُ المُحِبِّ إذا جَفاهُ حَبيبُهُ جَعَلَ الحَنينَ لهُ عُطورَ وِدادِ
أوّاهُ مِنْ لَهَفي، كأنَّ خَواطِري حَرْبٌ عَلَيَّ ولَسْنَ مِنْ أوْلادي
فارَقْنني شَوْقاً لِمِصرَ، وَفُتْنَني مِنْ بعْدِهنَّ على البِعادِ أُنادي
مَن مُبْلِغٌ وَطَني الحبيبَ عَواطفي شَتّى تَزيدُ وفاتَها تَعْدادي
كالنَّبْتِ أُغْفِلَ فاسْتُثيرَ تَطَلُّعاً وَنَما، ولمْ يَقْتُلْهُ غَبْنُ أعادي
ومِنَ النّفوسِ رَوِيَّةٌ[1] مِنْ مائِها والجَذْبُ حَوْلَ جُذورِها مُتَمادي
ومِنَ النّفوسِ فَقيرةٌ لا تَغْتَني أبَداً، وإنْ رَوِيَتْ فَهُنَّ صَوادي
ظَمَئي إلى وَطَني ظَماءُ مُعَذَّبٍ فَداّهُ، لا مُسْتَتثمِرٍ مُتَمادي
فارَقْتُهُ لَمّا حُرِمْتُ وَفاءَهُ ومُنِعْتُ مِنْ إرْشادِهِ بِرَشادي
وجَعَلْتُ مِنْبَريَ المُعَلّى غُرْبَتي مِثْلَ المَنارَةِ[2] فوقَ كُلِّ سوادِ
في حينِ غَصَّ بِماكِرينَ تَذَبْذَبوا عُمْراً وما زالوا مِنَ الأسْيادِ

---

[1] أي مُرْوِيَة لذاتها.
[2] إشارة إلى بناء المنارة في موضع خارج المدينة، فكلاهما، (أي الشاعر والمنارة)، مغتربٌ عنها.

حَسْبي تَرَعْرُعُهم لأوثِرَ غُرْبتي وشُموخُهُمْ لأعيشَ في الأصْفادِ
ما كُنْتُ مَنْ يَرْضى الإهانَةَ صاغِراً ونُهايَ لي مَجْدٌ وقَلْبيَ زادي
سأعيشُ في استقلال روحي، نافياً نَفْسي، إذا ما خانَني أنْدادي
وأفوتُ لِلتّاريخِ ذِكْري هادياً إنْ فاتَ هذا الجيلَ حقُّ جِهادي!

*****

بوركْتِ جُمْهوريّةً لمْ تُمْتَهَنْ ما بَيْنَ إقطاعٍ وبينَ فَسادِ
عُنْوانُها الشّورى، ولُبُّ لُبابِها صَوْنُ الحُقوقِ وعِزَّةُ الأفْرادِ
أغْلى تُراثِكِ وَحْدَةٌ وَعَدالَةٌ بِهِما نَمَتْ وسَمَتْ أعَزُّ بِلادِ
فَلْتَحْفِلي بِهِما، وبَعْدُ فَعَيِّدي ما شِئْتِ، أو فَدَعي حُلى الأعْيادِ!

زفاف عيسى

من وحي بردجهامبتون في لونغ أيلند إلى الصديق الحبيب عيسى خليل صباغ

نُبِّئْتُ أنَّكَ عَنْ قُرْبٍ سَتُسْعِدُنا بيومِ عرسِكَ... إنّي جِدُّ منتظرِ!
وذي سُطورٌ على بُعدٍ أُحمِّلُها شَوْقي إليكَ بيومٍ عاطرٍ مطرِ
حيثُ الأزاهيرُ حولي ليس يَنْقُصُها إلاّ مُحيّاكَ سَمْحاً مالِياً نَظَري
وحيثُ في الطَّلِّ أنغامٌ تُداعِبُني كأنَّها من معاني شَدْوِكَ النَّضِرِ
وحيثُ بَكّرَتِ الأطيارُ شاديةً والطلُّ يغمرُها بالحُبِّ والخَفَرِ
وحيثُ تبتهجُ الأشجارُ راقصةً بالذِّكرياتِ، ومِنْ ألوانِها ذِكَري
وحيثُ في العُشْبِ عُبّادٌ تَصَوَّفُهُم سُجودُهُمْ في الحَصى والشَّوْكِ والحَجَرِ
وحيثُ رفّتْ فَراشاتٌ كآلهةٍ يَبْحَثْنَ عن عالَمٍ للحبِّ مبتكَرِ
وحيثُما حشراتٌ لا عِدادَ لها نَأيْنَ عن صوَرِ العُدْوانِ والخَطَرِ

وَنُــذْنَ بالغَيْــثِ والأزهــارِ آمنــةً
وقدْ حُمِينَ بِمَنْ ناجينَ منْ شَجَرِ

كأنَّمــا هــي أهْلوهــا وأخْوتُهــا
وإنْ شَمَخْنَ وما شاكَلْنَ للبَصَرِ

كأنَّهــا هــي بعضــي حــينَ أرْمُقُهــا
تَهْفو إلـيَّ ولم يَعْلَقْ بها ضَرَري

وحيثُمــا الســاحلُ الـدافي لزَوْرَتِـه
كنزٌ من التِّبْرِ أو كنزٌ من الدُّررِ

نَظَرْتُها كُلَّهــا في خطْفِ ناظِرَتي
كأنَّها معْرِضٌ قدْ طافَ بالصّورِ

فقلْتُ يا ليتَ عيسى كان ناظرَها
قُرْبي، وكانَ لساني اليومَ أو وَتَري

وإذْ حُرِمْتُكَ صاحَ الشّعرُ في قَلَمي
لكيْ أخُصَّكَ بالجيّاشِ من فِكَري

ومن عواطفِ قلبٍ أنتَ مُسْعِدُه
في كلِّ حالٍ، وحاميهِ من الغيَرِ

يا ما أقَلَّ الأُلى يَنْسَوْنَ أنْفُسَهُم
ويُسْعِدونَ الوَرى إسْعادَ مَقتدِرِ!

٢٣ تموز/يوليه ١٩٥٩

يوم الجمعة

من وحي بردجهامبتون في لونغ أيلند

مهداة إلى الصديق الأستاذ الدكتور موشي برلمن

حَلِمْتُ أنَّكَ قد أصبحتَ مُعتزِلاً
مثْلي، ونَحْنُ بحقٍّ كعبَ أحبارِ

هنا تُحدّثُ عن دينٍ عَناكِبُنا
كما يُحدّثُ عنه الجدولُ الجاري

ومارحُ الطيرِ غِرّيداً ومستمعاً
وواثبُ العطرِ من حانوتِ عطّارِ

ورهبةُ الريفِ في نبتٍ وفي حَجَرٍ
كمعبدٍ مستقرٍّ منذُ أدهارِ

كأنَّما كلُّ ركْنٍ فيه صومعةٌ
رفَّتْ أناجيلُها ما بينَ أشجارِ

ملءَ الأشعّةِ أو ظلٌّ لها نَضِرٍ
وفي تَبَسُّمِ أنداءٍ وأزهارِ

وفي هَوى حَشَراتٍ مِنْ تبرُّجِها
كلُّ المعاني لعُشّاقٍ وسُمّارِ

هُنــا تَوَحَّــدَتِ الأديــانُ صــادقةً ولمْ تــوزِّعْ لأنْجــاسٍ وأطْهــارِ
هُنــا المحبَّــةُ كنــزٌ لا انتهــاءَ لَــهُ والفــنُّ يَختــالُ في لَحْــنٍ وأشــعارِ
هُنــا الــوَرى كلُّهــم إيمــانُهم عَمَــمٌ ولا تُفــرِّقُهم أهــواءُ فُجّــارِ
هُنــا الحيــاةُ حيــاةٌ لا حُــدودَ لهــا وعُــزْلتي هــيَ تَسْــبيحي وإيثــاري
هُنــا وَدِدْتُــكَ في قُرْبــي تُشــارِكُني هــذا الجمــالَ زميلَــيْنِ بأسْــفارِ
قـدِ اعتنَقنــا الهُـدى، لكنْ تصــوّفُنا بَــزَّ التَّصَــوُّفَ في آيــاتِ "ذكّــارِ"
وفاتَ أوهامَ مَنْ هاموا ومن زَعَموا أن الطّبيعــةَ خصَّــتْهمْ بأسْــرارِ
فــنحنُ أبناؤُهــا الأبــرارُ أجمعُنــا لَــدى حِماهــا ومــا هامَــتْ بمُختــارِ
وكــلُّ مَــنْ جاءَهــا أهــلٌ لنِعْمَتِهــا وكــلُّ مــن زارَهــا كعــبٌ لأحْبــارِ

٢٤ تموز/يوليو ١٩٥٣

من وحي الطبيعة

في بردجهامبتن بلونغ أيلند من ولاية نيويورك

مهداة إلى الصديق الألمعي مصطفى عبد اللطيف السحرتي

دورٌ مــن القِــدَمِ الغــالي مُجلَّلــةٌ تَبَعْثَــرَتْ بَــينَ أشــجارٍ وغيطــانِ
أرْنــو إليهــا فتَعْــدوني بنظْرتِهــا إلى تَرَقْــرُقِ غُــدْرانٍ وشُــطآنِ
وبَعْضُها صاحَبَ العُلّيقَ في شَغَفٍ كأنَّهــا في عِنــاقٍ لــيسَ بالفــاني
جلسْتُ في المَرْجِ كالمشدوهِ أرقبُها فلـمْ تُعِرْنــي التفاتــاً بعــدَ نِسْــياني
أنــا الغريــبُ الّذي يَرْجـو رِعايَتَهـا فما لها شُغِلَتْ عن خَيْرِ حُسباني؟
هـلِ العصـافيرُ والغِرْبـانُ تُسْـعِدُها ولــيسَ تُسْـعِدُها أشـواقُ إنســانِ؟

لا بِدْعَ إن كانَتِ الأسْلاكُ[1] حاشِدَةً | بهِنَّ في صَلَواتٍ مثلَ رُهبانِ
والشمسُ تُضْفي سناءً من أشِعّتِها | كأنَّ إشعاعَها غُفْرانُ دَيّانِ
أم أنَّني في نُزوحي عن مَشاهِدِها | صارَ احتفائي بها أدْنى لنُكْرانِ
وصار أوْلى بها مَنْ رامَ أُلْفَتَها | في كُلِّ فصْلٍ ولمْ يَحْفِلْ بميزانِ؟
"حانِرْ من الشَّمْسِ" قالوا "إنَّها خَطَرٌ | وإنَّ تَقْبيلَها إحراقُ نيرانِ!"
فقُلتُ: "يا حَبّذا! فالنارُ في لَهَفي | فَما أُبالي إذا شبَّتْ بجُثْماني
لقد هجرتُ نيويوركَ لأعْبُدَها | فكيفَ أحْذَرُها في فرطِ إيماني؟
لم يَشْكُها شَجَرٌ أو طائِرٌ غَرِدٌ | ولا أزاهيرُ من ميراثِ نيسانِ
ولا اشتكَتْ حشراتٌ ثَمَّ راقصةٌ | كأنَّها الفنُّ والإشعاعُ في آنِ
فكيفَ أشكو وأخْشى من تَوهُّجِها | والشّمسُ روحي وإلهامي وجُسْماني؟
كأنَّما أختنتونُ حينَ مجَّدَها | قد نابَ عنّيَ في حُبّي وقُرْباني
كأنَّني البحرُ في مَوْجٍ يُغازِلُها | أو أنَّني العُشْبُ في أحلامِ نَعْسانِ!"
وأقبَلَتْ زُمَرٌ شتّى تُكلِّمُني | من الطُّيورِ، وقدْ جاوبْنَ ألْحاني
حتّى السكونُ الّذي حَوْلي له لُغَةٌ | تَردَّدَتْ في حَنايا كائِني الثّاني
حينَ السَّماءُ الّتي تاهَتْ بزُرْقَتِها | تُنافِسُ البَحْرَ في معْنىً وألْوانِ
مِنْ كُلِّ هذا وهذا أسْتَمِدُّ غِنىً | كأنَّما نظراتي لوْحُ فَنّانِ
أعيشُ في وَسْطِها مِنْ بَعْضِ نَفْحَتِها | وقدْ نَسيتُ تباريحي وأشْجاني
كَما رَجَعْتُ إلى المَفْقودِ من عُمري | مُجَدَّداً في نَعيمٍ ناضرٍ ساني
وأملأُ العَيْنَ من ألوانِ خَمْرتِهِ | كأنَّني شاربٌ أكوابَ رِضْوانِ
حتّى إذا اللّيلُ وافى في سكينتِهِ | ودغدغَ البَدْرُ بالإشْعاعِ وِجْداني
نظمْتُ شِعْريَ هذا من مباهِجِهِ | ومنْ مباهِجِ يَوْمي الناعمِ الهاني

---

[1] أسلاك التليفون المنصوبة على العمد.

هديَّةَ، الروح من نُعمى يُعاشُ لها إلى صديقٍ أُراعيه ويَرْعاني
مَضَتْ سُنونٌ على يَوْمٍ لفُرقَتِنا ولمْ نُفَرَّقْ بأرواحٍ وأبدانِ
فإنّنا شُعراءٌ في تَصَوُّفِنا وقدْ سَمَوْنا على تَحْديدِ إمكانِ!

٧ تموز/يوليه ١٩٥٣

تمهَّلْ يا قطار!

من وحي الريف في بردجهامبتون عند العودة إلى نيويورك
في الثامن والعشرين من تموز / يوليه ١٩٥٢

تَمَهَّلْ يا قِطارُ! علامَ تَجْري وأنتَ مُخلِّفٌ يَنْبوعَ شِعري؟
أتَحْسَبُ في المدينةِ أيَّ سِحْرٍ وهذا الرّيفُ يَنفُثُ كلَّ سحرِ؟
وهذا البحرُ يملَؤُه هديرٌ حَنونٌ مُشْبِهٌ هَمَساتِ فَجْرِ؟
وهاتيكَ السَّوائِمُ في إخاءٍ وأمْنٍ ها هنا تَلْهو وتَجْري؟
وكلُّ الناسِ في دَعَةٍ وبِشْرٍ وما عُرِفوا بمِقياسٍ وقَدْرِ؟
بُيوتُهُمو تُصانُ بغَيْرِ قفْلٍ وصفْوُهُمو يُشاعُ بغَيْرِ أجْرِ
أتُسرِعُ هكذا وتَفوتُ دُنيا تَفيضُ بكلِّ تَرحابٍ وبِشْرِ
وفيها الطَّيرُ صاحبُ فَلسفاتٍ وفيها كادَ يُنشِدُ كُلُّ صَخْرِ؟
وفيها الزَّهرُ رمزٌ لم يُكيَّفْ خِلافَ الزَّهرِ في أكنافِ مِصْرِ؟
وفيها تَعزِفُ الحشَراتُ شَتَّى أغاريدَ الصَّبابَةِ دونَ سِرٍّ؟
وفيها الأرنبُ اللاّهي حكَتْهُ صَداقةُ كَلْبِنا اللاّهي لِهِرٍّ؟
وفيها تَنبُتُ الخُضرُ ابتهاجاً إذا أثمارُها رَفَّتْ بسُكْرِ؟
وفيها النّورُ تَملَؤُه المَعاني فتغمرُ كلَّ وِجدانٍ وفِكْرِ؟

وغيهـا اللّيـلُ تَملـؤُه الأمـاني   كواكـبُ لم تُحَـدَّ بـأيِّ سَـيْرِ؟
وفيهـا الحُـبُّ ينضُـرُ في شَبابٍ   وإنْ هـو ثَـمَّ فـاتَ رَبيـعَ عُمْـرِ؟
أتُسـرعُ هكَـذا عـنْ كـلِّ هـذا   لعلَّـكَ أنـتَ تجهـلُ حـينَ تَـدْري!

٢٨ تموز/يوليه ١٩٥٣

أمّة الإسلام

أرْشَـدَ اللّـهُ أُمَّـةَ الإسـلامِ   إنْ تَـدُمْ في عِبـادةِ الأصْـنام
كلّمـا هزّهـا الصّـلاحُ لخَيْـرٍ   نبذَتْـه بحُجّـةِ الإسـلامِ
أيُّ مَعْنـىً لكـلِّ هـذي الـدّعاوى   غـيرُ معنـى الـدَّمارِ والألْغـامِ
بَثَّهـا الجَهْـلُ والحَماقـةُ بَتّـاً   في طَريـقِ الإصـلاحِ والإقـدامِ؟
لسـتُ أدري واللّـهِ أيُّهمـا أنْكـى: أبَطْـشُ المسـتعمرِ المتعـامي
أو بنوهـا اللُّصـوصُ مَـنْ أوْغلـوا ظُلْمـاً وبـاهَوْا بالعَسْـفِ والإجـرامِ؟
أمْ مُلـوكٌ لهـا صَـعاليكُ في الخُلْـقِ، مَفاليـكُ في نُهـى الحُكّـامِ؟
لَسْـتُ عَبْـدَ الألقـابِ، سِيّانِ عنْـدي ملـكٌ خَـسَّ أم رئـيسٌ حَرامـي
رُبَّمـا كـان مالـكُ العـرشِ فَـرْداً وادِعـاً مثْـلَ أصدقِ الخُـدّامِ
والـذي عَـدَّهُ الجَمـاهيرُ مِـنْهُمْ طاغيـاً ناهبـاً حُقـوقَ الأنـامِ
مـا أبـاحَ الإسـلامُ صـولَةَ جبّـارٍ ولا دَعـوَةً لغـيرِ السَّـلامِ
مـا أبـاحَ الإسـلامُ أن يُجْعَـلَ الـدّينُ سِـتاراً للكَيْـدِ أو للخِصـامِ
مـا أبـاحَ الإسـلامُ وهـو ضـياءُ الفِكْـرِ، تَصـويرَه نَصـيرَ الظّـلامِ
مـا أبـاحَ الإسـلامُ وهـو إمـامُ العقْـلِ، إلاّ الحِجـى وعـيشَ التَّسـامي
مـا أبـاحَ الإسـلامُ، مَـنْ ناصـرَ العِلْـمَ، حيـاةً للجهـلِ والأوهـامِ

ما أباحَ الإسلامُ، مَنْ قدَّسَ المرأةَ، حُسبانَها من الأنْعامِ
ما أباحَ الإسلامُ، مَنْ حرَّر الإنسانَ، ذُلَّ الجباهِ والأفهامِ
ما أباحَ الإسلامُ، داعي التآخي، عنْجهيّاتِ أهلِهِ الأقزامِ
ما أباحَ الإسلامُ وَصْمَةَ أهليهِ بضيمِ العبيدِ والأغنامِ
ما أباحَ الإسلامُ هَدْمَ تُراثٍ شيَّدَتْهُ عَباقرُ الأحْلامِ
بل أباحَ الإسْلامُ أن يُشْنَقَ الهَدّامُ جهراً وشيعةُ الهَدّامِ!

الأخطبوط

مهداة إلى الأديب المصري الحرّ الأستاذ وديع فلسطين

الأخطبوط أراهُ بدَّلَ شَكْلَهُ
كمُحيطِهِ، ولقدْ يُظنُّ صُخورا

ولسوفَ يَمتَصُّ الدّماءَ مُضَحّياً
بغَريمهِ ويَفوتُهُ مَعْصورا

يا للزّعامة حينَ تَحْسَبُ أنَّها
تَلْهو به وتظُنُّه مَقْهورا

وهو الّذي تَخِذَتْ وُصوليّاتُهُ
حيَلاً لِتقتُلَ مَنْ يَنامُ غُرورا

حينَ الّذين يُنافحونَ لِصَوْنِها
والماهِدينَ لها أُذيقوا الزّورا

أو أُهْمِلوا مِثْلَ النُّفايةِ، ما لهمْ
أمَلٌ يُداعَبُ لو غدا مَنْشورا

يا أيُّها الزُّعماءُ ليسَ بنافعٍ
إخلاصُكم إنْ لم يكنْ مَبْرورا

هل تُنكِرونَ الظلمَ، ثمّ بعَهْدِكم
يَبْقى الّذي عانى لكُمْ مَنْكورا

ويسودُ فيه الأُلعبانُ وكلُّ مَنْ
نَشَرَ الظّلامَ ومن أماتَ النّورا؟

إنْ تَرْتَضوا هذا فحَسْبي أنَّني
أبقى بمَنْفايَ السّحيقِ شَكورا

هيهاتَ أرضى أن أُساوِمَ مَرّةً
في الحقّ أو أرضى به مَدْحورا

إنّ الإساءةَ من عَتِيٍّ فاجرٍ
ملأ البلادَ مَقابِحاً وشُرورا

نِـدُّ الإسـاءةِ مـن زعـيمٍ صـالحٍ … قتـلَ المواهِـبَ جاحِـداً مغْـرورا
مَجْدُ البلادِ على المَدَى أحرارُها … الماهِـدونَ الرّائِـدونَ عُصـورا
المُلْـهمونَ بفِكْـرهم تَحْريرَهـا … والخـالقونَ لهـا مُنـىً وشُـعورا
فـإذا أُهينـوا أو أُذِلَّ تُـراثُهم … لم يَحْـيَ مَجْـدٌ بَعْـدَهُمْ مَـذْكورا
بل، لُطِّخَتْ صُحُفُ الفَخارِ برحمةٍ … تَبْقـى ويَحْسـبُها الزّمـانُ فُجـورا

آيــة الجبــن

مهداة إلى الشعب المراكشي

قالها الشاعرُ في الانقلاب الاستعماري بمراكش ليلة عيد الأضحى ١٢٧٢ هـ

خَبَـرتُكمْ فوجـدْتُ الجُـبنَ آيـتَكُمْ … حتّـى الشُّـجاعُ غدا بـالجُبْنِ مَسْحورا!
مَـنْ علّـمَ الصَّفْوةَ الأبطـالَ غفلَتَهم … كـأنَّهم مـا أعـزّوا الحَـقَّ والنّـورا؟
كـ أنَّهم حـالَفوا الجَبّـار وائْتَمـروا … بمـا أرادَ، ومـا رَدّوه مَـدْحورا؟
ليسَ الرِّجالُ سِوى مَعْنـى عَقيدتِهِم … فِعْلاً، ولَيْسـوا حـديثاً كـان مَذْكورا
أتَشْـمخونَ بماضـيكُمْ، وحاضِـرُكُمْ … يَكـادُ يَنْصُـرُ في ضَـعْفٍ لـه الزّورا؟
خَـذَلْتُمو نُخبـةَ الأحـرارِ في عَمَـهٍ … فهلْ غدا الحُـرُّ عندَ الحُـرّ مَنْكورا؟
أتُصْـغِرونَ الأُلَى ضَـحَّوْا لمبـدئِكمْ … وتُكْبِـرونَ أثيمـاً كـانَ مَـأْجورا؟
الحَـقُّ أبْلَـجُ، لا تَحميـهِ ذَبْذَبـةٌ … وَمَـنْ تَخـافونَ إلاّ العُمْـيَ والعـورا
والمـارقينَ الأُلَى سـادَ الطُّغـاةُ بهـمْ … وكـانَ أوقحُهـم لهفـانَ مَـذْعورا؟
أتُـذعِنونَ لهـم شُـكراً وترضـيةً … مِنْ بَعْدِ ما دمَّروا الأخلاقَ والدّورا؟
وهل نسـيتُمْ جِنايـاتٍ لهم قَصمَتْ … ظُهورَنا، أم حَسِبْتُم وَهْمَكُم شورى؟
مَـنْ ناصـرَ الإثْـمَ والأوهـامَ غايتُـه … أن يُسْـتَباحَ وإنْ عَـدّوه مَنْصـورا

حـلٌّ لِصـائِحكمْ زَهْـوٌ يُصـاحبُهُ وأن يَظَـلَّ بـرَغمِ الجهـلِ مَغْـرورا
فالشَّـعبُ مـا زالَ ذاك الشّـعبَ في سَفَهٍ قَدِ ارتضى أن يَظَلَّ الدّهرَ مأسورا
وأن يُصَـفّقَ للحُكّـامِ أجمَعِهِـم خيراً وشَرّاً فيبقى الفضلُ مقبورا!

*****

عـلامَ تحـزنُ يـا قلـبي ومـا فَتِئَتْ دُنيـا الجُحـودِ تَـرُدُّ الحُـرَّ مَقْهـورا؟
ملءُ العُصورِ المآسي وهي شاهدةٌ أنَّ النُّبـوغَ نَبـيحٌ كـانَ مَأْسـورا!

إمـامنا عَرَفـة

كـم زَعـيمٍ مُسَـخَّرٍ شَـرَفَهْ بـاتَ أقْصـى خَلاصِـهِ تَلَفَـهْ
لم تَخُنْـهُ سَـلامَةٌ مِثْـلَ مـا خانَتْـهُ طِبـاعٌ بِالغَـدْرِ مُؤْتَلِفَـهْ
لا تَقولـوا تَـزينُ عُثْنونَـه[1] الطيبَـةُ بَـلْ خَبّـروه مَـنْ نَتَفَـهْ!
لا تقولـوا الأعمـالُ رائِـدُها النّيّـاتُ يـا مَـنْ مَـدَحْتُمو خَرَفَـهْ
مَـنْ يَخُـنْ قَوْمَـهُ لِنَفْـعٍ يُرجّيـهِ فقـدْ بـاعَ خاسِـراً شَـرَفَهْ
مَـنْ يَقُـلْ بَرْبَـرٌ وعُـرْبٌ لتفريـقٍ يخُـنْ عَهْـدَ مُسْـلِمٍ حَلَفَـهْ
لا تَقولـوا لم يَعْـرِفِ الحَـقَّ إذْ زَلَّ فهـذا إمامُنـا عَرَفَـهْ
يَعـرِفُ العَـدَّ للحَمـيرِ حَوالَيْـهِ كَمـا عَـدَّ فـاخِراً أُكُفَـهْ[2]
حاسِـباً سَـتْرَ عَوْرَتِـهِ المـالَ الّـذي في جُموعِـهِ خَصَـفَهْ[3]

---

[1] العثنون: اللحية؛ (و.ف).
[2] الأكف (لغة) بمعنى البرادع، والاستعمالُ هنا رمزيّ.
[3] إشارة إلى قوله تعالى عن آدم وحواء: ﴿يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ أي يلزقان بعضه ببعض ليسترا به عورتيهما.

الّـــذي يَـــذْبحُ الخِـــرافَ ضَـــحايا وهـــو أولَى بـــذبحِ مَـــنْ عرَفَـــهْ[1]
أيُّ عيـــدٍ هـــذا الّـــذي يُرْجِـــعُ الشَّـــعْبَ قُرونـــاً فَيَغْتَـــدي تُحفَـــهْ؟
أيُّ عَهْـــدٍ هـــذا الّـــذي يجعـــلُ الإســـلامَ إثْمـــاً يَغُـــضُّ مَـــنْ كَشَـــفَهْ؟
أيُّ حُكْـــمٍ هـــذا الّـــذي نَصْـــرُهُ الإقطـــاعَ يـــوحي لخُبْثِـــه صَـــلَفَهْ؟
أيُّ مَعْنـــىً لِصَـــيْحَةِ النّـــاس بالتَّمْـــدينِ حـــينَ الـــبَلاءُ مـــا خَلَفَـــهْ؟
أيُّ فَخْـــرٍ تَرْجـــو فَرَنْســـا الّـــتي ثـــارَتْ علـــى الظُّلْـــمِ إنْ تُعِـــدْ هَدَفَـــهْ؟
أيُّ حَـــقٍّ يَخُـــصُّ مَـــنْ يَهْضِـــمُ الحـــقَّ مُصـــرّاً ويَـــدَّعي دَنَفَـــهْ؟
أيُّ صِـــدْقٍ هـــذا الّـــذي أعْلَـــنَ الكِـــذْبُ تبنّيـــهِ واشْـــتَهى طَرَفَـــهْ[2]
أيُّ رِقٍّ هـــذا الّـــذي غالَـــبَ الـــرّقَّ وقـــدْ مَـــدَّ خُبْـــثُكُمْ سَـــهَفَهْ[3]
أيُّ عَسْـــفٍ هـــذا الّـــذي يَـــدّعي التَّقْـــوى ومـــا زالَ فُجْـــرُهُ لَطَفَـــهْ؟
أيُّ بُـــؤسٍ يَبُـــزُّ بُؤْســـاً عَمـــيمَ الإثْـــمِ فيمـــا بَغـــى ومـــا اقْتَرَفَـــهْ؟
أيُّ حَمْـــدٍ يُصـــاغُ مِـــنْ بَعْـــدُ للعـــاهِرِ يُشْـــقي ولم يُسِـــغْ أسَـــفَهْ؟
قَـــدْ أبـــاحَ التّعْـــذيبَ شَـــرْعاً، فـــإنْ قَلَّـــتْ ضَـــحاياهُ زادَنـــا لَهَفَـــهْ!

*****

قيـــلَ: "هَنِّـــئْ بالعيـــدِ والهجْـــرَةِ الشَّـــعْبَ، وذَكِّـــرْه ليَقْتَفـــي سَـــلَفَهْ:
الّـــذي دَوَّخَ الجَزيـــرةَ واعتَـــزَّ كَمـــا اعتَـــزَّ شـــاعِرٌ وَصَـــفَهْ
الّـــذي لَـــمْ يَـــزَلْ بأنـــدلُسَ الخَضـــراءِ نَشـــيدٌ لِمَجْـــدِه عَزَفَـــهْ
الّـــذي نَسْـــلُهُ يُـــزَيّنُ إســـبانيا كَمـــا زانَ لُؤلُـــؤٌ صَـــدَفَهْ
الّـــذي ذِكْـــرُهُ أســـاطيرُ لِلْمَجْـــدِ إذا ضـــاعَ لم يُضِـــعْ أنَفَـــهْ
الّـــذي تَفْخَـــرُ الفُنـــونُ بِمـــا زانَ كمـــا تَرْتَجـــي حِمـــىً كَنَفَـــهْ

---

[1] أي أنه أولى بأن يذبحه من يعرفه.
[2] طرفه: منتهاه.
[3] سَهَفه: هلاكه.

الّـــذي قَـدْ بَنـــى وشـــادَ، وكـمْ جـادَ، ومـــا عـــابَ مُنْصِـفٌ سَـرَفَهْ[1]

الّـــذي خَيْـــرُهُ يُكَفّـــرُ في التـــاريخِ عَـــنْ شَـــرٍّ كُـــلُّ مَـــنْ قَذَفَـــهْ

الّـــذي لَـــمْ تَـــزَلْ حَضـــارتُهُ سِـــحْراً وسِـــرّاً قَـــدْ فـــاتَ مُكْتَشِـــفَهْ

الّـــذي وَحْيُـــهُ رَحيـــقٌ مِـــنَ الخُلْـــدِ يَنـــالُ الجِنـــانَ مَـــنْ رَشَـــفَهْ

الّـــذي في خَرائِـــبِ ســـاهِماتٍ مِـــن عَلـــى الأطْلَـــسِ الّـــذي انتصـــفَهْ

الّـــذي أنْجَبَـــتْ بِـــهِ مورِتانْيـــا حُـــرَّةً مِـــنْ أشـــاوِسَ طَرَفَـــهْ[2]

الّـــذي إنْ يَغِـــبْ بِـــبطنِ الصَّـــحارى لم يُغَيِّـــبْ خفاؤُهـــا صُـــحُفَهْ

الّـــذي يَسْـــتَعِدُّ بالصَّـــبْرِ واليَقْظَـــةِ كـــالنّورِ ماحِيـــاً سَـــدَفَهْ!"[3]

*****

قُلْـــتُ: "حَسْـــبي، والعيـــدُ يَنْضَـــحُ بالمأســـاةِ، لَعْـــنـي مُغـــامِراً كَسَـــفَهْ

ذاكَ أدْنـــى مِـــنْ أنّ يُلَطَّـــفَ أو يُنْعَـــتَ حَتّـــى بَشَّـــرَ مـــا اقترفَـــهْ

ثُـــمَّ تَهْليلَـــةٌ لأزْكـــى الـــدَّمِ الجـــاري الّـــذي صـــانَ كُـــلَّ مَـــنْ نَزَفَـــهْ

عرفـــاتٌ يَميـــدُ لـــو أنَّـــهُ يَـــدْري وقَبْـــرٌ بيَثْـــرِبٍ جَنَفَـــهْ[4]

جَنِّبونـــا الأقْـــوالَ في مَوْقِـــفٍ ضـــاعَ بِـــهِ كُـــلُّ غافِـــلٍ وَقَفَـــهْ

لَـــيسَ إلاّ تَطْـــويحُ شَـــرٍّ رؤوسٍ يُشْـــعِرُ البغـــيَ كَوْنَهـــا خَرَفَـــهْ

لَـــيسَ غَـــيرُ السّـــلاحِ مـــا يَفْهَـــمُ الغاصِـــبُ سَـــكْرانَ عابِـــداً تَرَفَـــهْ

لَـــيسَ غَـــيرُ الكِفـــاحِ في مَهْمَـــهِ الظُّلْـــمِ صَـــديقاً لِبـــالِغِ النَّصَـــفَهْ

لَـــيْسَ غَـــيرُ الثَّـــوراتِ مـــا يُرْهِـــقُ المُسْـــتَعْمِرَ حتّـــى يَـــرى بِهـــا جَدَفَـــهْ[5]

---

[1] السَّرَف: التعجل والإسراف.

[2] طرفة: طائفة منه.

[3] السَّدَف: الظلمة.

[4] الجنف: الإثم.

[5] الجدف: القبر.

قد سَئِمْنا منه دُموعَ التّماسيحِ فأدْموهُ قَدْرَ ما ذَرَفَهْ!"

*****

أيُّها الغاضِبُ الغَشومُ رويداً! رُبَّ سَيْلٍ يَخونُ مَنْ جَرَفَهْ

مُضْحِكاتٍ جَعَلْتَ ما أرخصَ الدَّمعَ وصَوَّرْتَ بُؤْسَهُمْ غَطَفَهْ[1]

والجَحيمَ الّذي تَلَظّى سَلاماً ومَجاري دِمائِهِمْ طُرَفَهْ[2]

إنَّ يومَ الحِسابِ غيرُ بعيدٍ! لا تُحقِّرْ مَنْ يومُهُم عجَفَهْ[3]

سُنَّةُ الدَّهْرِ أيُّها الأحْمقُ المَجنونُ، يا مَنْ جُنونُهُ احْتَرَفَهْ

ليسَ قَتْلُ الشُّعوبِ سَهْلاً، وكَمْ شَعْبٍ غَبينٍ أدالَ مَنْ خَسَفَهْ

يُنْجِبُ الشَّعْبُ في المُلِمّاتِ قِرْناً مُسْتَميتاً يَهُدُّ مَنْ جَزَفَهْ[4]

ساخِراً بالدَّعيِّ يَحْسِبُ الاستقلالَ يَهْوي إذا الهَوى حَذَفَهْ

وسُيوفُ الأنصارِ تَلْمَعُ في الشَّمْسِ بَلاءً لِسارقٍ خَطَفَهْ

ورَصاصُ الأتْباعِ يَزْأرُ كالرَّعْدِ وقَدْ مَدَّ طارِقٌ زَحَفَهْ

إبْتَدِرْهُ إنْ شِئْتَ أوْ لا، فَحَتْمٌ مَصْرَعُ الظُّلْمِ فَوْقَ ما سَلَفَهْ!

بردجهامبتن (بولاية نيويورك) ٢٠ آب/أغسطس ١٩٥٣

---

[1] الغطف: سعة العيش.

[2] الطُّرَف: المُلح.

[3] العجف: الهُزالُ.

[4] من جَزَفَهُ: مَنْ نَهَبَه جُزافاً، وأصلُ الكلمةِ من الفارسية.

الضحايا

لا الرَّمزُ يُغني ولا التَّصريحُ يُرضيني[1] وهذه أُممٌ حَولي تُقاضيني
مَكْدودةٌ[2] ما لها حَظٌّ يُراوِدُها ولا رجاءٌ بإنصافِ المَلايينِ
فيمَ التأدُّبُ في حَقِّ الأُلى نَهَبوا حَقَّ الشعوبِ، وكلٌّ شِبْهُ قارونِ؟
يَشْكونَ فقراً إذا ازدادوا غِنىً وغِنىً كأنَّهم في حِسابٍ للمجانينِ
وكُلَّ يومٍ ضَحايا لا عِدادَ لها مِنْ غَدْرِهم في جَحيمِ البؤسِ والهونِ[3]
أبعْدَ هذا نَصوغُ الشِّعرَ زَخرفةً لعَسْفِهم، ونُبيحُ اللَّهوَ بالدِّينِ؟
وما نُقَطِّعُ إلاّ لَحْمَ مَنْ عُصِروا مِن الضَّحايا وأرواحَ المَساكينِ
أقسمْتُ بعدَ تَجاريبي الّتي سَلَفَتْ وأنَّها مثْلُ كابوسٍ يُناديني
لأَبْذُلَنَّ الّذي أغْلَيْتُ من أدبي ناراً تُصَبُّ على رِجْسِ الشَّياطينِ
وأن أُثيرَ شُعوباً في اسْتنامَتِها جُرْمٌ، ولا جُرْمَ أشرارٍ ملاعينِ
حتّى يعودَ لمجدِ العُربِ ما سطعَتْ بهِ القُرونُ لأجدادٍ ميامينِ
حتّى نُطهّرَ أرضاً طالَما عَبَقَتْ بها المآثرُ أضْعافَ الرَّياحينِ
وما أُبالي مَتى عادتْ لعِزَّتِها إذا رُجِمْتُ كأنّي في القَرابينِ!

محمد نجيب

أبا البلادِ الّذي تَسْمو البلادُ بهِ جاهاً وحِلْماً وتَصْريفاً وأحْكاما
بورِكْتَ مِنْ ظالِمٍ لِلنَّفْسِ يُرْهِقُها كَيْما يُكافِحَ أشْراراً وظُلاّما

---

[1] يرضيني: يكفيني.
[2] المكدود: المغلوب؛ (و.ف).
[3] الهون: الخزي.

إن التَّقَشُّـــفَ لَمّـــا بِــتَّ تُــؤْثِرُهُ أضْـحى غِنـىً، وغَـدا نـوراً وإلهامـا

مـا غـرَّكَ البَـذَخُ الضّـافي إلى أجَـلٍ إنَّ النَّزاهَــةَ قَـدْ أوْلَتْـكَ مــا داما

هيهـاتَ يَبْلُـغُ مـا بُلِّغْـتَ مُنْـتَقِصٌ أنــتَ الَّــذي جَعَـلَ الأيّـامَ أيّامــا

أنْـتَ الَّـذي عَفْـوُهُ مِـن نُبْـلِ شـيمَتِهِ مَهْما أُسـيءَ، ويَلْقـى الطَّعنَ بَسّاما

أنتَ الَّذي قَـدْ تَسـامى حـولَ عِفَّتِـهِ شَـعْبٌ، وأبـدَعَ في الحِرمـانِ إنْعاما

أنْـتَ الَّذي مـا ادَّعـى يَوْمـاً لِهِمَّتِـهِ بَأْسـاً، وأشْـبَعَنا حَزْمـاً وإقْـداما

أنْتَ الَّذي نَطَقَـتْ تلـكَ الجِراحُ بـِهِ حَتّاً لِمَنْ خافَ أو مَنْ خابَ إحْجاما

أنْتَ الَّذي لا الرِّئاسـاتُ الَّتي ازْدَهَـرَتْ خانَتْهُ يَوْمـاً، ولا أضْـغاثُ مَنْ ناما

أنْـتَ الَّـذي كُـلُّ مـا يَعْنيـهِ واجِبُـهُ دينــاً ودُنيــا وتحْقيقــاً وأحلامــا

أنْتَ الَّذي يَرْهَـبُ الطّاغوتُ حِكْمَتَـهُ وإنْ يُحاصِــرْهُ أسْــيافاً وألغامــا

أنْـتَ الَّـذي قَـدْ حَمَتْـهُ مِـنْ كَرامَتِـهِ فَيالِقٌ حينَ يَحْمي السَّيْفُ أصْنـاما

أنْـتَ الَّـذي أيْنَمـا قَـدْ حَـلَّ مَوْكِبُـه حَـلَّ التُّقـى والهُـدى بِـرّاً وإسْـلاما

حـامى عـن النّيـلِ، والسّـودانُ شـاهِدُهُ فـأيْنَ مَـنْ بَـزَّهُ لَـوْ عَنْهُمـا حـامى؟

فَخْـرٌ لِمِصْـرَ علـى الأدْهـارِ سيرَتُهُ إنَّ الوَداعَـةَ أسْمَتْ كُلَّ مَنْ سـامى

يـا مَـنْ لـه بَيْتُـهُ غُنْيـانُ مَمْلَكَـةٍ ورَمْـزُهُ الحَـقُّ إحْسـاناً وإحكامـا

ومَـنْ لـه العَـدْلُ نِبْـراسٌ، وأوَّلُـهُ أنْ يَمْحـوَ العَدْلُ أتراحـاً وأسْقاما

وأنْ يُزيــلَ جَهــالاتٍ مُضَــلِّلَةً ويَهْـزِمَ الجـوعَ مَهْمـا عَـمَّ إجرامـا

وأن يُبَــدِّدَ عُرْيــاً لا مَجــالَ لَــهُ والقُطْـنُ يَنْشُـرُ أثْوابـاً وأعْلامـا

أُزْجي إليـكَ تَحايـا الشِّـعْرِ أنْغامـا ووَصْــفُهُ الحُـرّ مَثّـالاً ورَسّـاما

بنــو معــروف

بَـني مَعْـروفَ جاحِـدُكُمْ جَحـودٌ ... لآيــاتٍ تَســامَتْ فــوقَ عُــرْفِ
بكـمْ تُزْهــى العُروبــةُ إذْ تَــراكُمْ ... أعَــزَّ خِصــالِها لِلْمُسْتَشِــفِّ
فَمــا بَرِحَــتْ شَــهامَتُكُمْ تُغَنّــى ... مَلاحِــمَ للتَّتبُّــعِ والتَّقَفّــي
ومــا انفكَّــتْ محــارِمُكم شُــعاعاً ... مِــنَ الأَلَــقِ الإلهــيِّ الأعَــفِّ
ومــا زالَــتْ شَــجاعتُكُم مَــلاذاً ... وحِصْــناً يــومَ إرهــاقٍ وعَسْــفِ
وأنَّ التَّضْــحياتِ لكُــمْ شِــعارٌ ... وأعظَمُهــا يُبــالِغُ في التَّخَفّــي
كـذاكَ الشـمسُ كـمْ فاضَـتْ حَياةً ... ومــا مَنَّــتْ وتُعْطــي وهــي تُخْفــي
وهــلْ جَبَــلُ الــدُّروزِ سِــوى مَنــارٍ ... سَليلِ الشّـمسِ في وَحْـيٍ وعطْفِ؟
تُقبّلُــــه فَتَمْنَحُــــهُ حَيــــاةً ... ويَلْثِمُهــا وَفيّــاً خلــفَ شَــفِّ
وحــينَ تَبــادَلا حُبّــاً بِحُــبٍّ ... وحــينَ تَمازَجــا رَشْــفاً بِرَشْــفِ
تمخَّـضَ بالحَيــاةِ، حيــاةِ شَــعْبٍ ... أبــيٍّ عَــزَّ في جَبَــلٍ ونَعْــفِ
فَــدَوَّتْ في العُصــورِ مُزَمْجِــراتٍ ... دَويَّ السَّــيْلِ للسَّــهلِ المُسِــفِّ
وخلَّتْنــا علــى الأيّــامِ نُغْنــى ... بســيرتِهِ بــرغْمِ المُســتخِفِّ
ذكَــرتُ رِجالَــه الأخيــارَ حَـوْلي ... عَــزاءً لــي، ومِثْلــي شــبْهُ مَنْفــي
فَزادونــي بســيرَتِهِمْ وُلوعــاً ... بإقْــدامي، وبَأْســاً رَغْــمَ ضَــعْفي
كــذلكَ نَخْــوةُ الأبطــالِ مــنْهم ... فكُــلٌّ مُفْــرَدٌ بمكــانِ ألْــفِ
وأمّــا ديــنُهم فَنَــدىً ونُبْــلٌ ... وجَــمٌّ مُــروءةٍ وجَفــاءُ خُلْــفِ
وحُرّيّــاتُهُمْ قُــدُسٌ مُعَلّــى ... وقــدْ ثــاروا علــى غُــلٍّ ورَسْــفِ
وهُــمْ في قِلّــةٍ أغْلــى تُراثــاً ... وأروعُ مــنْ جَحافِــلَ لا تــوَفّي
"ومــا ســلُّ المُهنَّــدِ للتّــوَقّي ... كَسَــلِّ المشــرفيّةِ للتّشَــفّي"

"أباغي حَظَّه بِقَنـاً وخيلٍ كباغيه بمنوالٍ وحَفٍّ"
"وما الجبلُ الوَقورُ لجاذبيهِ على العِلاّتِ كالجُزءِ الأخفّ"[1]

لماذا الثورة اشتعلت؟

إلى الزعيم جمال عبد الناصر

لماذا الثَّوْرَةُ اشتَعَلَتْ؟ لِماذا؟ أوَهْمٌ أمْ أبى الجُبْنُ النَّفاذا؟
إذا ما اسْطَعْتَ تَسْقي الأرض غَيْثاً فلا تَقْنَعْ بِسُقْياها الرَّذاذا
ولا تَدَعِ الجنادِبَ حاكِميها كأنَّك لم تَجِدْ فيها مَلاذا
أُعيذُك أنْ تُعيدَ الظُّلْمَ فينا ومِثْلُكَ مَنْ أعَزَّ ومَنْ أعاذا
فكمْ وَغْدٍ حيالَكَ مُشْرَئِبٌ إلى الطاغوتِ في فِكْرٍ تَهاذى
يَدُسُّ ليُرْجِعَ الإفسادَ حَتْماً أهذا مَنْ تُحالِفُهُ؟ أهذا؟
وما مِنْ ثورةٍ نَجَحَتْ جُزافاً فإنّ النُّجْحَ يُتَّخَذُ اتِّخاذا
فيا مَثَلَ البُطولَةِ دونَ مَنٍّ ودونَ إساءَةٍ، وسِواه آذى
تَبَصَّرْ واضرِبِ الضَّرَباتِ بِكْراً مَعاذَ اللهِ أن تَنْسى، مَعاذا
وطَهِّرْ مِصْرَ من أرجاسِ جيلٍ تَعَلَّقَ بالخَساسةِ واسْتَعاذا
وما أدري المَشانِقُ ساخِراتٍ أحَقٌّ بهم أمِ النَّطْعُ المُحاذى؟
زَعانِفُ أرْهَقوا الأحرارَ دَهْراً فلا تَرْحَمْ، وإنْ تَكُ مُسْتَعاذا
وأقْزامٌ بآثامٍ تَعالَوْا لِماذا أنتَ راحِمُهم؟ لِماذا؟

١٣ تشرين الثاني/نومبر ١٩٥٣

[1] الأبيات الثلاثة الأخيرة مضمّنة من المعرّي في لزومياته.

ليس منّا![1]

"ليسَ مِنّا!" قال الحَسودُ المُعَنّى ... "ليسَ مِنّا!" أعادَها: "لَيْسَ مِنّا!"
عَلِمَ اللّهُ أنّني لستُ مَنْ يَرْغَبُ في مِثْلِكُم ولا مَنْ تَدَنّى
أيُّها السّارقُ الحَقيرُ الّذي يُزْهى بمَسْلوبِ غَيْرِهِ مُطْمَئِنّا
قَدْ أتَيْنا عَبْرَ المُحيطِ لنَلْقاكَ فكانَ البَلاءُ ما قَدْ رَأيْنا
قد حَسِبناكَ ثروةً أو تُراثاً فَوَجَدْنا، وشَرَّ ما قَدْ وَجَدْنا
الصَّغارَ الّذي تَدَهْوَرَ بالخُلْقِ، فشِمْنا الصَّغارَ مَعْنىً وعَيْنا
والغُرورَ الّذي تَضاحَكَ منْه كُلُّ غِرٍّ فقدْ شَأى المَيْنَ مَيْنا
والخَساساتِ، وهي أشْبَهُ بالأدواءِ طَعْماً وبالجِناياتِ لَوْنا
إنْ يَكُ الفَنُّ كُلَّ هذا فإنّي ... لَبريءٌ ممّا تَعُدّونَ فَنّا
إنَّ أهْلي في كُلّ أرضٍ بها الحَقُّ عَريقٌ وباسْمِهِ تَتَغَنّى
أينَ أنتمْ مِنْهُ؟ جَنيبٌ زَنيمٌ جاحِدٌ يُشْبِعُ المُعانينَ مَنّا
أينَ إحسانُكم؟ قُلامةُ ظُفْرٍ! أيُّها الحاسِبُ الإساءةَ دَيْنا
حَظُّكَ العُمْرَ في الدَّسائِسِ والوَعْظِ خَبيثاً، فبالخَبائِثِ تُعْنى
فلْتُهَنَّأْ بها، فإنَّكَ أوْلى بالمَخازي ودونَها لا تُهَنّا!
وأنا؟ ما أنا سِوى الشّاعِرِ المُلْهَمِ بالحُبِّ والجَمالِ المُغَنّى
ومِثاليَّتي تَناوَلتِ الكَوْنَ فَغَنّى وبُدِّلَ الكَوْنُ كَوْنا
إي نَعَمْ، وهو إنْ يُعَدَّ جَنيناً سادَ في الحِلْمِ قادِراً واستَكَنّا
سَتَراه الأجْيالُ في مُقْبِلِ الدَّهْرِ جِناناً في عَصْرِنا تُتَمَنّى

---

[1] عندما وصل أبو شادي إلى أميركا مهاجراً استقبلته مجلة السمير التي كان يصدرها الشاعر إيليا أبو ماضي بمقال عنوانه "ليس منّا"؛ (و.ف).

أتُراني مِنْ بَعْدِ هذا أُبالي بالحَسودِ الّذي من الحِقْدِ جُنّا؟
وأخافُ الهجاءَ يا أحقَرَ الخَلْقِ شُعوراً وأضأَلَ النّاسِ ذِهْنا
أهْمَلَتْ شَأْنَكَ المَوازينُ يا فاجِرُ حتّى عَدِمْتَ في النُّبْلِ وزْنا
شاعِرٌ نافَسَ التَّعالي، بما يَحْكي ويَحكي القُرودَ مَعْنىً ومَبْنى!

حزم الشباب

الشَّبابُ العزيزُ شِعْرٌ جَميلُ يَتَمشّى فيهِ المِثالُ النَّبيلُ
مِنْ نَشيدِ الإلهِ رَفَّ بأحْلامٍ تَناهَتْ فكُلُّ مَعْنىً أصيلُ
لا تلوموهُ إنْ طاشَ فَلَكَمْ طاشَتْ نُجومُ وليسَ مِنْها ذَليلُ
قوَّةٌ لِلْحَياةِ، نورٌ ونارٌ، ألْهَما الكونَ فهوَ حُرٌّ جَليلُ
لا تَخَفْ يا شَبابُ! إنَّك بالحَزْمِ كَفيلٌ إذا أبى المُستحيلُ
لا تَخَفْ! ليسَ غيرَ روحِك ما يَبْـقى وما قدْ عَداه ظِلٌّ يَحولُ
فَنيَتْ حينَ وَدَّعَتْكَ الأماني وَهَوَتْ حينَ باعَدَتْك الطُّلولُ
لَسْتُ لولاك مَنْ رأى العيشَ عَيشاً أنتَ روحي وليسَ عُمْري الطويلُ!

عفّة المختار

عَلِمَ اللّهُ عِرضُ غيريَ عِرْضي أنا حاميهِ، فهو كُلّي وبَعْضي
إنّ حُبّي الجمالَ حُبّيَ لِلْعِفَّةِ، حُبَّ المختار، مِنْ غَيْرِ حَضِّ
عجبَ الناسُ مِنْ وَلوعيَ بالطُّهْرِ ولم يَفْهَموا سمائيَ أرْضي
إشْهدي يا فُنونُ كيفَ تَسامَتْ صوَرُ الحُبِّ في شُعوري وقَرْضي

واشْـهدي كيـفَ يَسْـتَعِزُّ بـيَ الحُسْـنُ لِخُلْقــي، فـالخُلْقُ ديـني وفَرْضــي
موحيـاتي مِنْــهُ، ومِنّــي لــه الــوَحْيُ، وفي نَظْرتــي إلى الحُسْـنِ غضّــي
أتَعــالى عليـــهِ دونَ تعــالٍ، وأُجافيــهِ وهــو خَفْقــي ونَبْضــي
أنــا عَبْــدٌ لــه، ولكِــنْ أمـيرٌ بعَفــافي ونَخْــوَتي، كيــفَ أمْضــي
ركْـضَ النّـاسُ خَلْفَـه في جُنـونٍ وأبـى لـي حَتّـى خَيـاليَ رَكْضـي
أنــا نِـدٌّ[1] لَــهُ بروحــي وذِهْــني لَسْتُ أُرضيه عامِداً حين أُرْضي
وأنــا مَنْزِلــي قَــرينٌ لــه دَوْمــاً ومــا يسـتَطيعُ رَفْعـي وخَفْضــي
ليسَ مَدْحي ولا هِجائي بما يَعْني وُجودي ولـيسَ بَسْطي وقبْضـي
إنّـني قَبْسَــةٌ مــن الألَـق الأسْـمى، فمِــنْ وَمْضِــهِ المُقَــدَّسِ وَمْضــي
بعــد هــذا فلســتُ أحســبُ إطرائــي فخــاراً ولـيسَ بالمُسْـتَنَضِّ[2]
بعــدَ هــذا فلسْــتُ أحسَــبُهُ عــاراً ولــوْ كــانَ كــالرَّدى المُــنقَضِّ
فَــوْقَ هــذا وفَــوْقَ ذاكَ اعْتِبــاري واختياري وعِرْضُ غَيْري وعِرْضي

النّــصر

تَرَفَّــعْ عــن مُعــاداةِ الكَــريمِ وعَــنْ بَـذْلِ الصَّــداقةِ لِلَّئـيمِ
كِـلا الأمـرَيْنِ مَنْقَصـةٌ، وأسمـى نقـاءُ العَيْشِ مِنْ مَعْنى الخَصيمِ
فـإنْ فُـرِضَ العَـداءُ عليْـكَ فَرْضـاً فَلُــذْ بمكــارِمِ الخُلُــقِ الكَــريمِ
أحَــبُّ إلــيَّ أنْ أشْـقى بخُلْقــي عــنِ الإسْـفافِ في وَهْــمِ النَّعيمِ

---

[1] النّد: النظير؛ (و.ف).
[2] المستنضّ: المستنجَز (بفتح الجيم).

ومَنْ يحسَبْ جُنوني في اعتِزازي — فما هو بالحَصيفِ ولا الحَكيمِ

ففي نَفْسي عوالِمُ لم تَخُنّي — وما ضاعَتْ مع اللَّيلِ البهيمِ

فإنَّ من الألوهةِ في اعْتِزالي — نَصيري أو دَليلي أو نَديمي

يَرِفُّ الشِّعرُ لي في كُلِّ شيءٍ — رَفيفَ الشَّدْوِ في الصَّمْتِ المُقيمِ

وقد شَبِلَتْ فُنونُ تأمُّلاتي — فُنونَ الكَونِ في سِحرٍ عَميمِ

وأيْسرُها خَريرُ الماءِ حَوْلي — وتَغْريدُ الطُّيورِ مع النَّسيمِ

وبَسْماتُ المُروجِ مُلَوِّحاتٍ — بِنَشْوى الزَّهْرِ والنَّبْتِ الجَميمِ

وأنّاتُ السَّواقي وهي أشْجى — وأبْلَغُ مِنْ دُموعٍ لليَتيمِ

ومَوجُ البَحْرِ مُصطفِقٌ عَتيٌّ — كجَبّارٍ يُصفِّقُ للخَديمِ

وألوانُ الرِّمالِ على الرَّوابي — جَواهِرُ للغَنيِّ وللعَديمِ

ورَشُّ الماءِ للشَّلّالِ حَتّى — لَيَقْهَرُهُ كشَيْطانٍ رَجيمِ

وجيشُ النَّحْلِ حَوْلي في فُتوحٍ — هي القُبُلاتُ للزَّهْرِ الوَسيمِ

وأنداءُ الحُقولِ مُشَعْشِعاتٍ — بِخَمْرٍ في تَجَلّيها الحَميمِ

وأسرابُ السَّوائِمِ وهي تَرْعى — كَحاكِمَةٍ على مُلْكٍ عَظيمِ

ولَمْحاتُ النُّجومِ وراءَ سُحْبٍ — كسِتْرِ الجودِ مِنْ كفِّ الكَريمِ

ووَحْيُ الشَّمْسِ وهي تَمُجُّ حُلْماً — تَنَوَّعَ في النَّثيرِ وفي النَّظيمِ

فهذي كُلُّها من بعضِ صَحْبي — وكَنْزي حينَ عيَّرَني خَصيمي

وأمّا غَيْرُها فأجَلُّ شأناً — ولم يُدْرِكْه تَقْديرُ العَليمِ

رذاذ الربيع

يا رذاذَ الرَّبيعِ، يا مُعْلِنَ اليَقْظَةِ لِلنَّبْتِ وهوَ نَشْوانُ حالِمْ
يَرْقُصُ الحُبُّ في يَديْكَ عُطوراً ويَرِفُّ الخَيالُ نَجْوى عَوالِمْ
قُبُلاتٌ نَثَرْتَها فَوْقَ خدَّيَّ كأنّي نَجَوْتُ مِن سَيْفِ ظالِمْ
مَرْحَباً بالصَّديقِ لم يَنْسَ أحْزاني ومنْها الظَّمآنَ مثْلَ البَراعِمْ
ظَمَأُ الشوقِ للمَلاحَةِ والدّفْءِ وللنّورِ بعدَ تَعذيبِ ناقِمْ
سَقْبَسَقَتْ حولكَ العَصافيرُ بالفَرحةِ شِعراً كأنَّما أنتَ حاكِمْ
ألْمَعيُّ الإيقاعِ، في كلِّ ما تَحْكي غِناءٌ وإنْ يَكُنْ جِدَّ ناعِمْ
خَلَجاتُ الفؤادِ مِنْ بَعْضِ ما فيهِ ومن بعْضِهِ سَميعٌ وفاهِمْ
لُغَةٌ أو رِسالةٌ لم تُمَيَّزْ أو تُكَيَّفْ لباحثٍ أو لعالِمْ
إنَّما فَهْمُها لِمَنْ أشْعروا الكونَ جَمالاً وأُشْعِروا قَلْبَ راحِمْ

وطني الأول

لَحَّ الحَنينُ إليكَ حتّى خِلْتُني وأنا القَصيُّ غَدَوْتُ غيرَ النّائي
وإذا الفُصولُ جَميعُها فَوّاحَةٌ حَوْلي بعِطرِك تَسْتَثيرُ رَجائي
وإذا السَّماءُ برَعْدِها وبُروقِها زَرْقاءُ مِثْلَ سمائِكَ الزرقاءِ
وإذا الجَمالُ بكلِّ مَرأىً حَفَّني يَفْتَرُّ لي بجَمالِكَ الوَضّاءِ
وإذا الحَياةُ وقَدْ رَشَفْتُ نَعيمَها ليْسَتْ سِواكَ بخاطِري ودُعائي
هذي المَشاهِدُ كيفَ كُنَّ شَهيدةٌ لتَلَهُّفي وتَبَسُّمي وبُكائي
مُزِجَتْ بأفْراحي وأتْراحي مَعاً فكأنَّها مِثْلي مِنَ الشُّهَداءِ

وإذا بَكَيْتُ بها فإنَّك دَمْعَتي | وإذا شَدَوْتُ بها فأنتَ غِنائي
ما فاتَها منّي الوَفاءُ، وفاتَها | أرْضي لديكَ وَجنّتي وسَمائي
عاثَ الطُّغاةُ مَدىً فما هادَنْتُهم | ورحلْتُ أرشُقُهم بصِدقِ هِجائي
كانتْ فِعالي قُدوةً، وعواطِفي | ناريّةً وأسَلْتُها كَدِمائي
ما تَضْحياتُ الماهِدينَ ضَئيلةً | إلاّ لَدى الناسينَ والجُهَلاءِ
مَنْ لي بقُربِكَ لو ملَكْتُ قيادةً | للثائرينَ فكَمْ أُضيعَ نِدائي
لجَعلْتُ مِصرَ إذنْ حفيدةَ جَدَّةٍ | غَنّى بها الشُّعراءُ للشُّعراء
سَبَقَتْ مَبادِئُها المَسيحَ بعدْلِها | وشَأَتْ بأخناتونَ كُلَّ ضِياءِ
وَغَدا بها الوادي جِناناً حُرَّةً | طَهُرَتْ من الأوشابِ والدَّهْماءِ
يَنْسابُ فيها النيلُ سَيْفاً مُصْلَتاً | إلاّ على أحْبابِهِ الشرَفاءِ
رقصَتْ شواطِئُه بأشتاتِ المُنى | والحُبُّ عابقةٌ بكلِّ عطاءِ
غنّى الغُرابُ بها، وكانَ غِناؤها | وَقْفاً على الشُّحرورِ والوَرْقاءِ
فيها المُساواةُ العَميقةُ زينَةٌ | كالنّورِ في الأجْبالِ والأوداءِ
ما قيمةُ الإنسانِ إلاّ نَفْعُهُ | وكذاكَ حُكْمُ عَظائِمِ الأشياءِ
والشَّمْسُ لولا نَفْعُها هانَتْ لنا | بَلْ أصْبَحَتْ جَيْشاً من الأعداءِ!

*****

وطَنَ الصِّبا وعزيزَ أحلامِ الصِّبا | ما زِلْتَ لي حُلْماً وحُلْوَ عَزاءِ
حُمِّلْتُ في شَيخوخَتي أعباءَ مَنْ | قَبَعوا ومَنْ ناموا على الأقْذاءِ
ونَخِذْتُ لي مَنْفايَ مِنْبَرَ دَعْوةٍ | للثّأْرِ مِنْ ضَيْمٍ ومن أدواء
في موطنِ الأحرارِ، لم يُخْذَلْ به | فَرْدٌ، ولم يُسْحَقْ على الغَبْراءِ
يَسْمو به إقدامُهُ فوقَ السُّهى | ويُحوّلُ الغبْراءَ كالجَوْزاءِ
أو يَفْلِقُ الذرّاتِ فهي جَهَنّمٌ | للغاشِمينَ وجنّةُ العُلَماءِ

صـــارتْ شَـجاعتُهُ مِثـالاً يُحتَـذى وعَلَـتْ مآربُــه علــى الجُبنَــاءِ
فــإذا بَقيــتُ بــه عَزيــزاً آبيــاً ورضـيتُ مـن نَفيي بكنْـزِ إبـائي
فلِكَــيْ أبـــرَّ بعَهْـــدِ إنســـانيَّتي وأكـونَ رَمْـزَ تَجـاوُبٍ وإخـاءِ

شهر النور (رمضان)

رَمَضَــانُ يــا حُلــو الشَّــمائلِ يـا سَـميرَ الشّــاعرِ
يـــا مَـــنْ تـــزيَّنَ بـــالنُّجومِ فواتنـــاً كجَـــواهرِ
يـــا مَـــنْ تَفَـــنَّنَ فِي تَرَنُّمِـــهِ تَفَـــنُّنَ ســـاحِرِ
يـــا مَـــنْ يَعـــافُ الشَّـــمْسَ إيثـــاراً لِنَجْـــوى السّـــاهِرِ
يـــا مَـــنْ تـــلألأتِ المَوائـــدُ فيـــه مثـــلَ مَنـــائرِ
يـــا مَـــنْ تَبَسَّـــطَ فِي مَلاهيـــهِ تَبَسُّـــطَ قـــاهِرِ
يـــا مَـــنْ تـــدَفُّقَ بـــالمَواعظِ كالإلـــهِ الغـــافرِ
يـــا مَـــنْ تعلَّـــق بالطُّهـــارةِ مثـــلَ فجْـــرٍ طـــاهِرِ
يـــا مَـــنْ أتـــى كالفِصْـــحِ بَـــينَ مـــدامِعٍ وبَشـــائِرِ
يـــا مَـــنْ يُعَـــدُّ أخـــا الفقـــيرِ أمـــامَ دَهْـــرٍ كـــافرِ
يـــا مَـــنْ شَـــأى حُلْـــمَ الصِّـــغارِ بكـــلِّ حُلْـــمٍ طـــائرِ
مـــاذا ادّخَـــرْتَ ومـــا أتَيْـــتَ بـــه لِحَـــظِّ العـــاثِرِ؟
مِـــنْ كُـــلِّ فـــردٍ مُقْعَـــدٍ أو كُـــلِّ شَـــعْبٍ قاصِـــرِ
صـــاموا، وخـــيرُ الصّـــومِ مـــن عَبَـــثٍ لهـــمْ وصَـــغائرِ
إنَّ الشُّـــعوبَ كَـــبيرةٌ ليســـتْ عبيـــدَ كبـــائرِ

لا صــامَ مَــنْ جعــلَ الصّــيامَ ذريعــةً للفــاجِرِ

لا صـــامَ كالتّمســـاحِ أفْطَـــرَ في شَـبَـهيَّةِ غــادرِ

لا صــامَ مَــنْ لَــمْ يَــدْرِ فلســفةَ الصّــيامِ الثــائرِ

المســتهينِ بكُــلِّ وَضْــعٍ جــائرٍ أو مــاكرِ

الخــالقِ العَــدْلَ المؤيَّــدَ مِــنْ عديــدِ مــآثرِ

بورِكْــتَ شــهرَ النّــورِ تَغْــزو اللّيــلَ دونَ عَســاكِرِ

مــا بــينَ أعــراسٍ وألعــابٍ ولهــوٍ دائِــرِ

ومُسَــبِّحينَ مــرتّلينَ إلى نُهــىً ومنــابرِ

ونَــوافِحِ عُلويَّــةٍ ســارَتْ كشِــعْرٍ ســائرِ

بوركْــتَ ولْتَهْنَــأْ بــكَ الــدُّنيا هنــاءَةَ شــاكِرِ

حَتّــى إذا مــا عُــدْتَ جِئْــتَ مــع الخَمــيسِ الظّــافرِ

بالحُــبِّ لا بالسَّــيْفِ، فــوقَ سَــرائرٍ وبَصــائرِ

وفَتَحْــتَ للإســلامِ كَنْــزَ مــآثِرٍ ومَفــاخرِ

وأشــعْتَ أفراحــاً مكــانَ مَــآتمٍ ومَقــابرِ

حمّام العصافير

غَطَسَــتْ فيــه حــينَ بَعْثَــرَتِ المــاءَ ورَشَّــتْهُ كالضّــياءِ المُــنغَّمْ

أو رَذاذاً مــنَ الحُبــورِ تَــراءى قَطَــراتٍ فصــارَ مَعْنــىً تَجَسَّــمْ

أتمَــلاّه في مَــزيجِ الأحاســيسِ قَريــراً بفَرحــةٍ لم تُتَــرْجَمْ

المَرائــي الّــتي حيــاليَ بعضٌ مِــنْ سَــناها وبعْضُــهُ لــيسَ يُفْهَــمْ

وأنـــا واقِـــفٌ أُراقـــب كالمَشْـــدوهِ إحساسَـــها العَجيـــبَ المُـــنعَّمْ

وكـــأنّي منهـــا علـــى البُعـــد ألْتَـــذُّ بِمـــا لـــذَّها وبـــالوَهْمِ أنعَـــمْ

سَقْسَـــقاتٌ كـــأنّ أوتـــارَ قَلْـــبي عَزَفَتْهـــا لهـــا حَنانـــاً تبسَّـــمْ

فاســـتثارتْ حَنـــاجراً ناعِمـــاتٍ لاعِبـــاتٍ بكُـــلّ شِـــعْرٍ يُتَمْـــتَمْ

إعْبَثـــي أيُّهـــا العَصـــافيرُ بالمـــاءِ فأنـــتِ الأطفـــالُ تَلْهـــو وتَغْـــنَمْ

لا تَفِـرّي مِنّـــي فَمـــا ذاك يُرْضـــيني وروحـــي بـــكِ الحَفـــيُّ المُتـــيَّمْ

لَحَظـاتٌ كهـذي هـي مـن عُمْـري، وليســتْ أعــوامَ عُمْــرٍ تَصَــرَّمْ!

يوم الأم

مِـنْ فُـؤادي يـا أُمُّ هـذي التَّحيَّـهْ هـــيَ أسْـــمى تَحيَّـــةٍ أبديَّـــهْ

خُلِقَـــتْ والوُجـــودُ مِـــنَ نَفْحَـــةِ اللّـــهِ وبُثَّـــتْ مـــع الحَيـــاةِ الوفيَّـــهْ

أنـــتِ رَمْـــزٌ لهـــا تـــألَّقَ بالحُـــبِّ عَـــزاءً في لَوْعَـــةٍ لِلْبَريَّـــهْ

يُظْلِـــمُ الكَـــوْنُ حينَمـــا بَسْـــمَةٌ مِنْـــكِ تُضـــيءُ الوُجـــودَ والألمعيَّـــهْ

كُـــلُّ حـــيٍّ أرى وكُـــلُّ جَمـــادٍ يَتَغَـــذّى مِـــنْ روحِـــكِ السَّـــرمديَّهْ

رَفْـرَفَـــتْ فوقَـــه فأنجَـــبَ مـــا شِـــئْتِ وصـــارَ الخَـــرابُ دُنْيـــا هَنيَّـــهْ

إنَّمـــا مـــريمُ البَتـــولُ مِثـــالٌ لجَـــلالٍ وُهِبْـــتِ لِلبَشَـــريَّهْ

كـــلُّ مَـــرْأىً لحُسْـــنِكِ مَعْنـــىً بـــل مَعـــانٍ شَـــريفةٌ أرْيحيَّـــهْ

ذِكريـــاتي وإن تطـــلْ ذِكْريـــاتٌ لِـــدُيونٍ علـــى فُـــؤادي الضَّـــحيَّهْ

لم أُحـــاوِلْ تَسْـــديدَها، ثـــمّ هَيْهـــاتَ فقـــدْ كُنْـــتِ كالشُّـــعاعِ الضَّـــحيَّهْ

مَـــنْ يَفـــي للشُّـــعاعِ مِـــنْ بعـــدِ مـــا ضَـــحّى وأحْيـــا المَـــواتَ والعبقريَّـــهْ؟

*****

قيلَ هـذا يـومٌ لحبِّـكِ مَـذْخورٌ، فَمـا اليـومُ جَنْـبَ عُمـري هديَّـهْ؟
لـكِ خَلَّصْـتُهُ مـن الكَـدَرِ الشـائِع مِـرْآةَ كُـلِّ مـا صُـنْتِ فيَّـهْ
إنْ أبـى المـوتُ أن تَكـوني بقُربـي قـد أبـى الخُلْـدُ أن تَكـوني قَصـيَّهْ
كُـلُّ أمٍّ تُعِـزُّ أنْقـاكِ فيهـا فهـيَ أُمّـي، كأنَّهـا بـي حَفيَّـهْ
وأرانـي مُعَيِّـداً إذْ أرانـي أعـرفُ اليـومَ سِـرَّ نَفْسـي الأبيَّـهْ!

الرّموز

لعـلَّ جَميـعَ هـذا الكـونِ حَـوْلي رُمـوزٌ خَلْفَهـا مَعْنـى الإلـهِ
أُتابِعُهـا فتُشْـعِرُني جَديـداً كـأنَّ لهـا انتباهـاً لانتِباهي
وتِلْـكَ عِبـادَتي الكُبْـرى إذا مـا عَبَـدْتُ ولـيسَ تَمْتَمـةَ الشّـفاهِ
أُصَـلّي للجَمـالِ، ولا أُصـلّي كَمَـنْ جَعَلوا الصَّلاةَ مِنَ المَلاهي
فـلا تَقْطَـعْ عَلَـيَّ تـأمُّلاتي وإنْ طالَـتْ فلـيسَ لهـا تَنـاهي
وخُـذْ عَنْهـا التَّصَـوّفَ والتَّجَلّـي فَمـا كانـا بـتَعْفيرِ الجِبـاهِ
ومـا الـربُّ المُـذِلُّ الخَلْـقَ ربّـاً ولا المُتجبِّـرُ العـاتي المُبـاهي

ورد أيّـار

أيّـارُ كـادَ يَـذوبُ عِطْـراً سـابِغاً وجَمـالَ ألـوانٍ وجَـمَّ حَنـانِ
وأراكَ يـا وَرْدَ الرَّبيـعِ بِنَوْمَـةٍ طالَـتْ كأنَّـك لم تـذُقْ إيمـاني
أتظـنُّ عَهْـدَ أبيـكَ عَهْـداً غـابِراً وتَخـافُ مـا يَـأْتي بـه الحَـدَثانِ

أوْ لا، فَفيمَ إذَنْ رُقادُكَ هاجِراً ... للنّاسِ في الأكْمامِ والأرْدانِ
ولِمَنْ تَبَرَّجَتِ الطّبيعةُ بَعْدَما ... أعْطَتْكَ عهدَ سَماحةٍ وأمانِ؟
أوَلَسْتَ فاتِنَها المَليكَ، وطالَما ... جمّلْتَها بنَفائِسِ التّيجانِ؟
أسْفِرْ جَواهِرَ نَمَّقَتْ أصْباغَها ... أيْدي النُّجومِ ولَهْفَةُ الفنّانِ
ما زلتُ مُرْتَقِباً، فشِعْري لم يزلْ ... ظَمآنَ مُفتقِراً إليكَ يُعاني
لم تُغْنِهِ هذي المَوائدُ كُلُّها ... عن وَحْيِكَ المُتَحَجِّبِ الظّمآنِ
مِثْلي ظَمِئْتَ كأنَّنا غُرباءُ في الـ ... ـدُّنيا عنِ الإلهامِ والإحسانِ
ما قدَّرَتْنا رَغْمَ تَقْديرٍ لَنا ... أو أنْصَفَتْ بالرّيِّ للرّيّانِ
بي حُرقةُ الفنّانِ مثلَك قابعاً ... في خَلْوتي، وتَوثُّبُ الفنّانِ
فمَتى أراك إذَنْ تَهُمُّ مُمزِّقاً ... هذي السَّتائِرَ واثِباً لعَياني
حتّى أُرتِّلَ في سَناكَ تَحيَّةً ... بالنّورِ عابقةً وبالألوانِ
أفْصِحْ ولا تَكُ مُبْهَماً كقَصيدَةٍ ... مَطْويّةٍ بمَشاعرٍ وجَنانِ
أو كالأغاني في الغَديرِ تَسَتَّرَتْ ... بالمَوْجِ فاحتجَبَتْ عنِ الإنسانِ
أو كالصَّبابَةِ في القُلوبِ دفينةً ... وتَنِمُّ عن خَطَراتِها العَيْنانِ
أو كالحَقيقَةِ حُجِّبَتْ بعُزوفِنا ... عَنْها وما خَفيَتْ عنِ الوِجْدانِ
أفْصِحْ فَيَنْتَفِضَ الرّبيعُ مُجَدَّداً ... والحُبُّ والنُّعمى بكُلِّ مكانِ

أنا والنّجوم (صوفيّة)

غُضّي عُيونَكِ يا نُجومُ فإنّني ... أرْنو إلى القُدْسيِّ من أضْواءِ
لَنْ تَكْشِفي سِرّي، ولو أُعطيتِهِ ... ما كُنتِ كاشِفَةً مَدى إسْرائي

هــذي صَــلاتي لا أذانَ يَؤُمُّهــا غَـرِداً، ولا الأجْـراسُ بالضَّوْضـاءِ
بُهِـتَ المَسـاءُ لهـا كـأنَّ تـأمُّلي ألَــقٌ وذَوْبَ نُهــايَ في الظَّلْمــاءِ
إنْ كُنْـتُ في الحُسْبانِ أحقَـرَ ذرّةٍ فأنــا رُمــوزُ عَــوالمٍ وفضــاءِ
غنّـى الأثـيرُ بِهـا ففـاضَ عواطِفـاً واهتـــزَّ بالإلْهـــامِ للشُّـــعراءِ
أصْـغي إليهـا يـا نُجـومُ فربَّمـا أُلْهِمْـتِ مـا ضُـيِّعْتِ مـن إيحـاءِ
أيـنَ الأُلوهـةُ؟ إنّهـا حَـوْلي ومـا خَفيَــتْ وإنْ عُــدَّتْ كحُلْــمِ نــاءِ
هـيَ في الحيـاةِ وكلُّ مـا هـو كـائنٌ فجَميعُـــه حَـــيٌّ بـــلا اســـتثناءِ
وُجِدَتْ مـع الأزَلِ السّحيقِ قَصيدةً ناريَّـــةَ الأنْغـــامِ والأصْـــداءِ
لَسْنا سِوى مِنْ بعضِ تَفْعيلاتِها أو أنَّنــا صُــوَرٌ لَهــا ومَــراءِ
كانَـتْ وسـوفَ تَكونُ، ذلـكَ شـأْنُها فعَـلامَ فَلْسَـفَتي وشَـحْذُ ذَكـائي
والخُلْدُ مِنْ طَبْعِ الوُجودِ تَسَلْسُلاً لا طَـــوْعُ أفـــرادٍ ولا أشـــياءِ
والموتُ مِنْ صوَرِ الحياةِ، فَما مَضى حَـيٌّ بِـلا بَـدَلٍ ودونَ عطـاءِ
فَتَأمّليهـا يـا نُجـومُ، وجُـدْ لهـا يـا عَقْـلُ بالإشـعاعِ غَيْـرَ مُرائـي
فلرُبَّمـا أصْـبَحْتَ وَحْدَكَ هاديـاً لِــلأَرْضِ إنْ أصْـغَتْ وللجَـوْزاءِ!

هذا الوجود

هـذا الوُجـودُ كمـا تَـراهُ فلمْ يكُـنْ إلاّهُ في الماضـــي ورَهْـنَ الآتـــي
ولـئنْ تَعَـدَّدَ في مَظـاهِرِ كُنْهِـهِ فَصَـــميمُهُ مُتَوَحّـــدُ اللَّبنـــاتِ
بـاقٍ علـى الآبـادِ مِثْـلَ بقائِـه قَـبْلاً، وتلـكَ حَياتُـه كحَيـاتي
عُمْـري مَلايـينُ القُـرونِ وعَـدُّها دونـــي، وفي آياتِهـــا آيـــاتي
عُمْـري هـو الأزلُ الّـذي لا يَنْتَهـي حُسْـــبانُه أو يَنْتَهـــي لِصـــفاتِ

فيــه الحَيــاةُ مــع المَمــاتِ تَبــادُلاً كــالتَّوْأمَينِ، فَمــا المَمــاتُ مَمــاتي
فــمَ التّحــدُّثُ عــن صِـفاتٍ مــا لهـا أصــلٌ سِــوى الأوهــامِ والعَثَــراتِ
الكــونُ لــيسَ سِــواهُ كــونٌ آخــرٌ إلاّ المَـدى المحجـوبُ عــن نَظَراتــي
كَفَــلَ الزّمــانَ أبــوه إعْلانــاً لــهُ والعِلــمُ وَهْــوَ مُناصــرٌ ومــواتي
والخَلْــقُ فيــه تَحــوُّلٌ وتَجَــدُّدٌ وتَعَــدُّدٌ بعوامــلٍ أشْتــاتِ
هذي الألوهةُ في الصَّميمِ، فقلْ لِمَنْ في الـوَهْمِ فَلْسَـفَ جَهْلَـهُ بالـذّاتِ:
هَـوِّنْ عليْـكَ! فكُـلُّ مـا هـو كـائنٌ ويكــونُ، ماضــيهِ مَــدارُ الآتــي!

الضبــاب

بُسِطَ الضَّبابُ على الحُقولِ كأنَّـه كَــفٌّ لمــاردَ عــابسٍ قَتّــالِ
فَمَحـا بضَـرْبَتِه الجـداولَ والرُّبـى والغَــرْسَ دونَ تَمهُّــلٍ وسُــؤالِ
لم تَلْـقَ منْـه ولا مُحاكَمَـةُ امـرئٍ عــاتٍ فأسـرفَ بَطْشُــه المُتــوالي
قَتَـلَ الضّـياءَ كقتلِـهِ ألوانَهــا وأدالَ حُسْــناً لم يَكُــنْ بِمُــدالِ
فكأنَّمــا الــدُّنيا تأجَّــلَ خَلْقُهــا وكأنَّمــا العَـدَمُ الفسـيحُ حيــالي
ومَضـى الضَّـبابُ إلى المَدينـةِ فاختفَتْ مِثْـلَ اختِفــاءِ مَـدائِنِ الأطْفــالِ
أو أنَّهــا ظِـلُّ الخَيــالِ ظِلالُهــا فــإذا نُظِـرْنَ فهُــنَّ غـيرُ ظِـلالِ

*****

هــذا مَــآلي والضَّــبابُ يَحُفُّــني بــالحُزْنِ، لا أدري سِــواه مَــآلي
فكأنَّمــا أُسْـكِنْتُ كَهْفــاً مظلِمــاً مـا فيـه مـن صَحْبٍ سِوى إعْوالي
وكأنَّمــا انْطَـوَتِ الحيـاةُ بزَفْرَتــي وتَعثّــرَتْ مَنْهوكــةً بخَيــالي
وكأنَّمــا وُئِـدَتْ قُبيــلَ فِطامِهــا مُثْلــي أوِ انْتَحَــرَتْ بهــا آمــالي

وكأنَّمــا قُتِـلَ العَــزاءُ مضـرَّجاً بـدَمي وبــالوهْمِ الحَبيـبِ الغــالي

وكأنَّمــا لِلْيَــأسِ مُلْــكٌ خالِــدٌ وكأنَّمـــا إقبالُــــه إقْبــــالي

وكأنَّمــا ضُـيِّعْتُ في دُنْيــا طَـوَتْ صــوَرَ الجمــالِ وروعــةَ المِثّــالِ

فـ اعْتَزَّ فيهــا القُـبْحُ غـيرَ مُنـافسٍ واغْتَـرَّ فيهــا المـوتُ غـيرَ مُبـالي

دمـــوعي

لا تَرْقُبـوا منّـي الـدُّموعَ رَخيصـةً أغْلـى الـدُّموعِ المُحْرِقـاتِ دُمـوعي

ليسَــتْ علــى نَفْـسٍ تُـراقُ وإنّمــا هـي بعْـضُ قُربـاني لِغَـوْثِ جُمـوعِ

نُثِـرَتْ شـواظاً لـيسَ يَـرحمُ ظالمـاً أو عابثــاً، ويَبِــرُّ بـــالمَفْجوعِ

كالجَحْفَـلِ اللَّجِـبِ الّـذي تعْنـو لَـهُ أُمَــمٌ ويَسْـخَرُ بالظّمــا والجــوعِ

شِـعْري دُمـوعي، وهْـو إنسـانيَّتي وتَحَرُّقـــي لِمَــواطِني وخُشــوعي

يَنْســابُ في الغُـدْرانِ مِـنْ ألحانِـهِ ألَــقٌ، ويَعْبَـقُ ضــاحكاً لِـزُروعِ

ويَعــودُ بالأمَـلِ المُجانِـبِ راضـياً مِــنْ بَعْــدِ هِجْرَتِــهِ أعَــزَّ شَـفيعِ

ويَفـيضُ كالبُركــانِ في حِمَـمٍ لـهُ وَيْــلاً علــى المُتَجَبِّــرِ المَفْــزوعِ

شَخْصــيّتانِ لَــهُ تَوَحَّــدتا كَمــا يَتَوَحَّـــدُ المَنْظــورُ بالمَسْـــموعِ

أو كالصَّـــلابَةِ أودعَــتْ في رِقَّــةٍ أو كالبُطولَـــةِ في إهــابِ وَديـــعِ

هــذي دُمـوعي لا مُيوعـةُ عــاجِزٍ غِــرٍّ، ولا بــاكٍ بُكــاءَ خَليـــعِ

هــذا قَريضــي ثَـوْرَةٌ لِمَــواطِني في بُؤْسِــها، وهِدايــةُ المَجمــوعِ

هــو ثَـرْوةٌ لـي، حينَمـا هـو ثَـرْوَةٌ لِمَــواطِني، ورِســالتي ونُزوعـــي

فــاهْزَأْ بــهِ مـا شِـئْتَ، أو فـانْعَمْ بـهِ يا شَعْبُ، فهو حُشاشَتي ودُموعي!

رشيد سليم الخوري

كان الشاعر جدَّ مَشوقٍ للقاء شاعرِ العُروبةِ الأكبر رشيد سليم الخوري خلال زيارته أميركا وإذْ به يُفاجأُ بنبأ اعتزامه العودة إلى البرازيل دون أن يعرّج على نيويورك، فكتب إليه مبادلاً وداعه.

أمودِّعي من قَبْلِ أنْ يَلْقاني ... ماذا تَرَكْتَ لِحُلميَ الفَتَّانِ؟

لَيْلانِ[1] قد مَرّا مُرورَ جَحافلٍ ... والآنَ أُحْرَمُ وَحْيَكَ النّوراني

حينَ الغُبارُ المُسْتَثارُ يَحُفُّ بي ... والشّمسُ قد ضاعَتْ ضَياعَ هَوانِ

هَلاّ بقيتَ لِكَيْ أُمتّعَ ناظِري ... زَمَناً؟ وكيفَ تغيبُ في نَيْسانِ؟

يا تاركَ الشِّعرِ الوضيءِ ذَخيرةً ... كُبْرى، وقد خلَّفْتَ ما أغناني

الشّعْرُ أنتَ وكُلّ ما أوْدَعْتَهُ ... ديوانَكَ الحَيَّ المُعِزَّ زَماني

هيهاتَ يُغْني – رَغْمَ ذلكَ – شاعراً ... يَهْوى بك المَثَلَ الرفيعَ السّاني

يا أوْحَدَ العَصْرِ الّذي إيمانُهُ ... بالحَقّ أسْعَدَ دائِماً إيماني

يا مَنْ تَفَنَّنَ في ابتِداع عَوالِمٍ ... شَتّى، وجَدَّدَ مِنْ نُهى الفَنّانِ

يا مَنْ رَأتْهُ العَبقريّةُ نِدَّها ... في الخُلْقِ والآدابِ والإحسانِ

يا مَنْ شَأى[2] صوَرَ الحَياةِ مُصَوّراً ... عَجَباً من الإحساسِ والوِجْدانِ

يا مَنْ أحبَّتْه الطّبيعةُ حُبَّها ... لِلّه في مَلَكوتِهِ الرّوحاني

يا مَنْ يَرِفُّ النَّقْشُ نَفْضَ يَراعِهِ ... بيَتيمَةِ الألْحانِ والألْوانِ

يا مَنْ مَآثِرُ نُبْلِهِ وشُموخِهِ ... كَمَآثِرِ الأضْواءِ في لُبنانِ

يا مَنْ يُحرِّرُني مَتى ناجَيْتُهُ ... وإذا بَرِمْتُ ببيئتي ناجاني

يا مَنْ يُخَفِّفُ مِنْ لواعِجِ حَسْرَتي ... بِدُموعِهِ، ودُموعُه أوطاني

---

[1] إشارة إلى عهدين مظلمين عاني منهما الشاعر.

[2] شاى: رفع؛ (و.ف).

يـا مَـنْ خَـواطِرُهُ تَزيـدُ خَـواطري ... ألَقـاً، ويَرْفَــعُ حُبُّــهُ إمْكـاني

أُزجـي إليـكَ تَحيَّـةً مِـنْ مُهْجَـةٍ ... عَرَفَـتْ بـك الفَنّـانَ في الإنسـانِ

وأزفُّ أُغنيَـةَ الـوَداعِ، وإنَّهـا ... قُبَــلٌ وأشْــواقٌ لِحُلْـمٍ ثـانِ

إنْ كـانْ هـذا الجَـوُّ يَخْلُـقُ روحَنـا ... فالحُــبُ يخْنُقُــه عُتــوٌّ[1] أنــاني

عَـمَّ الضَّـبابُ مـعَ الغُبـارِ مُخَلِّفـاً ... رَهَقــاً مــن الآلامِ والأحْــزانِ

مـا كــانَ أوْلانـا بِنُبْلِـك بينَنـا ... كيْمـا نَصُـدَّ وَسـاوِسَ الشَّـيْطانِ

العابِـثِ الجـاني علـى ألْبابِنـا ... ومُمَــرِّغِ الألبـابِ أسْـفَلُ جـانِ

كَـم مَوْقِـفٍ للخُبْـثِ يَـرْقُصُ عِنْـدَهُ ... ويَعَــضُّ في الأعْـراضِ كالثُّعْبـانِ

ويَصــولُ في سَــرِقاتِهِ مُتَفَنِّنــاً ... كَتَفَــنُّنِ الشّــغّورِ[2] في الرَّوَغــانِ

يُطْريــهِ أطفــالٌ ويُطْــري نَفْسَــهُ ... وكِلاهُمــا نَــوْعٌ مــن الهَــذَيانِ

مـا كُنْتُ أحْسَبُ أن أُعَمَّرَ كَيْ أرى ... هـذي المَهـازلَ مـن خِصـالِ زمـاني

في مَــوطنٍ لِلْعَقْــلِ أسْـمى مَنْـزِلٍ ... فيــهِ، وفيــه الخُلْــقُ أعظـمُ بـانِ

مَــنْ لــي بمِثْلِـكَ كـالنّبيِّ مُكرَّمـاً ... في مَــوْطِنِ الإلهــامِ والعِرْفــانِ

يَتْلـو الخَوالـدَ مِـنْ هُـدى إنْجيلِـهِ ... فَيَبِــرُّ بالإنجيــلِ والقُــرآنِ

ويَهُــزُّ آلافَ المَشــاعرِ بعــدَما ... ماتَــتْ مــن التّغْريـرِ والبُهْتـانِ

ويُطهّـرُ الجيـلَ الجديـدَ بِشِـعْرِه ... مِــنْ كُـلِّ شَـعْوَذَةٍ ومـن كُفْـرانِ

يــا مَــنْ أودّعُــهُ ولسْـتُ مودّعـاً ... مَـنْ ظَـلَّ يَشْـغَلُ بـي أعـزَّ مَكـانِ

وتَخونُنــا الــدُّنْيا ولــيسَ يَخونُــه ... مِنّـي سِـوى دَمْعـي وفَـرْطِ حَنـاني

٢٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٣

---

[1] العتوّ: الاستكبار ومجاوزة الحدّ؛ (و.ف).

[2] الشغور: Hornet.

عند البركة

جلس الشاعر إلى حافّة البركة في المتنزّه المجاور لمنزله في ضاحية جاميكا بنيويورك يراقب البطّ السابح

يـا آبِـدَ الـبَطِّ سَـبّاحاً بِـلا وَجَـلِ ... والمـاءُ يَـرقُصُ في ذيـلٍ لـه فيهـا

والنـورُ يَـرْفَضُّ أصْـباغاً وزَرْكَشَـةً ... في الـرّيشِ والمـاءِ بـل آيـاً نُحَيّيهـا

أنـتَ المعلّـمُ للإنسـانِ أُلْفَتَـهُ ... بَعْـضٌ لـبعضٍ عِظـاتٌ في مَعانيهـا

وقـدْ تَفـوقُ جَمـالاً في تَناسُـقِها ... حُلـىً لـديْكَ، وتَزْهـى في مَجاليهـا

مـا بـالُ خِلّـي الّـذي أهْفـو لطلعَتِـهِ ... يَـزْوَرُّ عَنّـي كـأنّي مَـنْ يُجافيهـا

وأنـتَ تُشـرِقُ إيمانـاً وفلسـفةً ... كأنّمـا تَحْكُـمُ الـدّنيا ومـا فيهـا؟

أجاوَزَ البطُّ بعضَ الناسِ في خُلُقٍ ... حتّـى غـدا خَلْقُـه للنـاسِ تَسْـفيها؟

قدْ طارَ عنْهم فِراراً من جِنايَتِهم ... ولمْ يَـزَلْ أُمّـةً تُعْلـي مباديهـا

فَـلا يخـونُ فَريـقٌ منـه شـيعَتَه ... ولا المـودَّةُ تَلْقـى مَـنْ يُعاديهـا

والنـاسُ لَذَّتُهمْ تَنْغيصُ بعْضِـهِمو ... بَعْضـاً وتَهْـديمُ دُنيـاهمْ وبانيهـا

مَتـى أراهـمْ ولـو كـالبَطِّ في حلـقٍ ... وكـالطّيورِ وفـاءً في تَعاليهـا؟

مَتى أراهـم – وتـأميلي بهمْ أبداً – ... يُحْيـونَ مُعْجِـزَةً مـا زِلْتُ راجيهـا؟

مَتى أرى الحُبَّ فيهمْ غَيْرَ مُضْطَهَدٍ ... أوِ المبـادئَ إعـزازاً لأهليهـا؟

يـا مَنْ يَدوسُ علـى حُبّي ويُزْهِقُـهُ ... وتلـكَ روحـيَ أرواحٌ لرائيهـا

هَـوّنْ عليْـكَ فـإنّي – غَيْـرَ مـتَّهمٍ – ... قدْ بِعْتُها – دونَ مَنٍّ – مِنْ أعاديها

ومـا طَلَبْـتُ لهـا مـالاً ولا عِوَضـاً ... ولا ثَنـاءً ولا ذِكْـرى تُناجيهـا

يا حامل الثّمر

من وحي الريف

يا حاملَ الثَّمَرِ الرَّفّافِ من جَذَلٍ ... إنَّ الثمارَ لها كالنّاسِ إحْساسُ

تُزْهى بجُهْدٍ نَبيلٍ كُنتَ باذِلَه ... وما يَئِسْتَ فلم يقربْ لها الياسُ

وتوَّجَتْ جُهْدَكَ الحيَّ الّذي اكْتَمَلَتْ ... فيه الأمانيُّ ياقوتٌ وألماسُ

وكلُّ جَوْهَرَةٍ عَصْماءَ ضاحكةٍ ... بالنّورِ، والنّورُ أفراحٌ وأعْراسُ

أمّا الخُضارُ ففي ألوانِهِ صوَرٌ ... للفَنّ ما حازها لوحٌ وقرطاسُ

لكِنَّما بَثَّها مُسْتَنْبتاً شَغَفٌ ... بالنَّفْعِ، مُسْتَلْهِماً آياتِهِ الفاسُ

وحالَفَ الرِّيَّ حَتّى أنْجَبا تُحَفاً ... للنّاظرينَ وحَتّى أُسْعِدَ الناسُ

فاهتزَّتِ الأرضُ شُكْراناً وقدْ بُعِثَتْ ... وشُكْرُها مِلْءَ هذا النَّبْتِ أجْناسُ

هذا هو العيدُ يَعْتَزُّ الحَصادُ به ... كَما تُعَيِّدُ أقوامٌ وأغراسُ

شَتّانَ بينَ تُرابٍ باعثٍ مُهَجاً ... وآخَرٍ كُلُّهُ مَوْتٌ وأرماسُ

شَتّانَ بينَ صَحارى لا غَناءَ بها ... وبينَ جَنّاتِ عَدْنٍ عندَ مَنْ قاسوا

حَيْثُ الجَداوِلُ تَحْبو وهي راقصةٌ ... وحَوْلَها الأُنْسُ أزهارٌ وأنفاسُ

وحيثُ صارَ الحَصى في حَظِّهِ مَثَلاً ... للمُنْعَمينَ ولم يُرهِقْهُ وَسْواسُ

فكيفَ بالخَلْقِ مِن ناسٍ ومنْ بُهُمٍ ... ومِنْ طُيورٍ وحيثُ الوَرْدُ والآسُ

وحيثُ زَغْرَدَتِ النُّعمى بوَفْرَتِها ... ماءً وكَرْماً ولم تَعْلَقْ بها الكاسُ

في كلِّ فاكهةٍ راحٌ مُعتَّقَةٌ ... بَريئةٌ وبهِنَّ الكوبُ والطاسُ

وفي النّدى سُبُحاتٌ من طَهارَتِها ... فَما تَشوبُ جَمالَ الريفِ أدْناسُ

وما النجومُ الّتي نامتْ بقُبَّتِها ... إلاّ على مَلَكوتِ الحُسنِ حُرّاسُ

هذا هو العيشُ لو يَدْريهِ مَنْ صَدفوا ... وذا هو المَجْدُ لو يَدْريهِ مَنْ ساسوا

إلى لصّ الجزيرة

لِمـاذا أُعَـزّي بَـلْ لِمـاذا أُهَنّـىءُ
وشَـعْبُكُمو للـذُّلِّ والظُّلْـمِ مَـوطِئ؟

إذا قيـلَ هـذا غـابرٌ مـاتَ عَهْـدُهُ
رأينـا جديـداً عَهْدُه الشُّـؤمُ أسْـوأُ

نَحـارُ بتَكْييـفٍ لـه ثـمّ حَيْرتـي
تُجَـنُّ، فـلا أدري بما اليـومَ أبـدأُ

فهـذي المَخـازي مـا لهـنَّ نِهايـةٌ
وكُـلٌّ قَريـرٌ عنـدَها يتفيَّـأُ

سِوى الشّـعبِ لم يُدركْ وُجوداً لذاتِـهِ
كـأنَّ المماتَ الصّرفَ أحلـى وأهنـأُ

شِـعارُكُمو هـذا النّفـاقُ مجـدّداً
وفي صَخَبِ الأحداثِ حِصنٌ ومَرْفأُ

ويَقْتَـرِفُ الإجـرامَ غِـرٌّ مُسَـبِّحٌ
وبـالخَمْرِ غِـرٌّ آثِـمٌ يَتَوَضَّـأُ

ويَبْـرأُ مـن هـذا وذلـكَ مُجـرِمٌ
فمَنْ يا تُرى الجاني الّذي ليس يَبْرأُ؟

ألم يَبْـقَ بـينَ النّـاسِ شَـهْمٌ مُنَـزَّهٌ
يُـدوّي لـه صـوتٌ، وبـالحقّ يَجْـرُؤُ؟

وهـلْ أصْفَرَتْ أرضُ النُبوّةِ كُلُّهـا
وأرضُ الحِجـا عن زاجـرٍ ليسَ يَهْدأُ؟

وهل باتَ أهْلُ الشِّعرِ أمْثالَ غيرِهـم
صَـعاليكَ، كُـلٌّ للضّـلالِ يـوطّئ؟

ويَرْضَـوْنَ أمداحاً هـيَ الـذَّمُّ عينُـه
إذا عَقَـلَ الأحيـاءُ، بـل هـي أردأُ

تَفـوحُ نِفاقـاً كـلُّ حَـيٍّ يَمجُّـه
ومنْـه ضِياءُ الحـقّ يَكْبـو ويَصْـدأُ

إذا لم يكـنْ هـذا ولا ذاكَ فلْـتكُنْ
لصَـيْحةِ شِـعْري مـا يَهُـزُّ ويَفْقَـأُ

نَـذيراً وتَبْشـيراً، ووَعْظـاً وحِكمـةً
وما كانَ نُصْحٌ مثلُ نُصحيَ يُرْجَأُ

وإنّـي الّذي قدْ أنظُرُ الغيبَ شاخصـاً
أمـامي فأرْويـهِ ولا أتنبّـأُ

أقـولُ لكمْ لا بدَّ من هدمِ مُلْكِكـمْ
وإن كـانَ هـذا الهَدْمُ بالغِشّ يُنْسَأُ

لأنّكُمو خادعْتُمو القِسْطَ في الورى
وكُلُّكُمـو في النَّهْـبِ غَرْثـانُ يُمْـرَأُ

وفلسـفةُ الأقـدارِ ليسَ لهـا وَنـىً
إذا حكَمَـتْ، لكنّهـا تَتَهَيّـأُ

ومـا ظَمِـئَ الجبّـارُ إلاّ وهـدَّهُ
عَـتيٌّ مـن الأحْداثِ للعَدْلِ أظمَـأُ

فإن تَبْتَغوا عُقْبى تَصونُ رؤوسَكم فهُبّوا إلى سَعْيٍ شريفٍ يوطّئُ

ورُدّوا إلى الشّعبِ السّليبِ كُنوزَه وصونوا له عِرْضاً بكمْ صار يُهْرَأُ

وكونوا رَعايا بَيْنَهُ لا مواليا[1] فما كان مَوْلىً مَنْ يَخونُ ويَهْزَأُ

وإنّا بِعَصْرٍ سيّدُ النّاسِ خادمٌ لِعِزَّتِهم، لا غاشمٌ راحَ يَنْتَأُ[2]

وما عِزّةُ الإسلام في مَلَكيَّةٍ ولا روحهُ إلاّ جلالٌ ومَرْبَأُ

فمَنْ خانَهُ خانَ النبيَّ مُحَمَّداً ومَنْ خانَهُ لا بُدَّ يَشْقى ويُزْرَأُ

ولا بُدَّ للإسلامِ مِنْ بعثِ ثَوْرَةٍ ومن أخْطَرِ الثّوراتِ حُنْقٌ مُخَبَّأُ

وعندئذٍ تَغْدو الجَزيرةُ كُلُّها مَناراً لكلِّ الثائرينَ وتَرْبَأُ

فهلاّ ادّكَرْتُم واتّعَظْتُم وعِنْدَكم صَحائِفُ للتاريخِ بالنُّذْرِ تُمْلأُ

ستَفْنى قُصورٌ شِدْتُموها وتَمَّحي حُصونٌ لكمْ في حينِ يَرسَخُ مبْدَأُ!

١٩٥٣

ربّ عيش يفرّ منه الحمام![3]

هتفَ العابثونَ بالسَّلمِ للسَّلْمِ كأنَّ السّلامَ هذا الكلامُ

وأطاروا الرَّصاصَ يَردى به الخَلْقُ وقالوا الحَمامُ هذا الحِمامُ

قالَ لي ناصحي الصّديقُ ابنُ صبّاغ: "تأمَّلْ! فللطُّغاةِ ابتسامُ

يُرْهِقونَ الشعوبَ قَتْلاً وتَعْذيباً ويشكونَ أنَّها لا تنامُ

---

[1] موالياً: أسياداً.

[2] ينتأ: ينتفخ.

[3] بلغت الجزائرَ في الثاني عشر من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤ حمامة على ساقها حلقة تُشعر بأنها نزحت عن موسكو، فأوحتْ إلى الأستاذ عيسى خليل صبّاغ قوله "ربّ عيشٍ يفرّ منه الحمام" وأعجب الشاعر بهذه البداهة فضمّن تلك الخاطرة المموّهة بهذه الأبيات.

والشّقاءُ الشّقاءُ في قَوْمهم شبَّ وأضْحى أخفَّ منه الضِّرامُ
هَرَبَ الطيرُ حينَما عَجَزَ الخلقُ وماتَ النّباتُ بلْ والرَّغامُ
رُبَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمامُ هو عيشٌ يَفِرُّ منه الحَمامُ"!

الطّلّ والعشب

أهدى الأديب المهجري الكبير الدكتور أبو علي خير الله (١٨٧٩ – ١٩٥٩) الشاعر حين عاده في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٢ في مستشفى مدتاون في نيويورك باقة من الورد الأحمر فحيّا الشاعر مودته بهذه الأبيات

وفائي للصَّديق أبي عليٍّ وفاءُ العُشْبِ للطَّلِ السَّريِّ[1]
شمَمْتُ عَبيرَ وَرْدِكَ حينَ سُقْمي فأنعَشَني كَوَحْيٍ من نَبيٍّ
وما زالَ الأريجُ خَدينَ أنْفي وإلْفَ دَمي كمَعْنىً عبقريٍّ
يَواقيتٌ بِحُمْرَتِها أضاءَتْ فمَنْ مِثْلي بميراثي الغَنيِّ؟
كأنَّ ضياءها وشَذى حُلاها وقدْ مُزِجا تَفَنُّنُ جوهَريِّ؟
ولكنْ تلكَ أفئِدةٌ صِغارٌ كِبارٌ في الرُّموزِ وفي الرَّويِّ
تَرِفُّ بشَعْرِها فيرِفُّ قَلْبي مُناجاةً لها وإلى نَجيِّي
صَديقي مَنْ خَبِرْتُ هَواه صِدقاً كَنَحْلي والرّحيقِ السُّكَّريِّ
ومَنْ كانَتْ زيارتُهُ شِفاءً تَناثَرَ في الحَديثِ اللؤلئيِّ
ومَنْ كُمَّيْهِ في عَطْفٍ رَشيقٍ وفي أنسٍ عَجيبٍ مُستَحيٍّ
يَفِرُّ العامُ بعدَ العامِ مِنّي ويزدادُ اقترابُ أبي عَليٍّ
كأنَّ حَنانَه عِوَضٌ لعُمْري أجَلْ، وجَزاءُ تَسْبيحي التَّقيِّ

[1] السري: الجيد من كل شيء.

وجافى مَنْ مَحَضْتُ له وِدادي، كأنَّ الهَجْرَ من حَظِّ الوفيِّ
وأنتَ بقيتَ لي الذُّخْرَ المُرَجّى تُجَمِّلُ لي بحُبِّكَ كُلَّ شَيٍّ
ولو أنّي صُلِبْتُ جَزاءَ صِدْقي وَدِدْتُ نِهايَتي مِثْلَ الوَلِيِّ!

٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٣

الخريف!

"الخريفَ! الخريفَ!" رَدَّدَتِ الأطيارُ نَشيداً مُرَقْرِقاً كالضِيّاءْ
لستُ أدْري أكانَ يَصْحَبُه الخَوْفُ من البردِ أمْ حَواهُ الحَياءْ
كلُّ شيءٍ صافٍ وصاحٍ وبسّامٌ، كأنَّ الشَّبابَ في وَجْنَتَيْهِ
كلُّ شيءٍ قدْ نالَهُ البعثُ بعدَ الصَّيْفِ حُلْواً والشوقُ في مُقلَتَيْهِ
قد خَرَجْنا من الجَحيمِ مُعافينَ فَمَنْ ذا يَشتاقُ عهدَ الجَحيمْ؟
أيُّها المُشْتكي! تَنَعَّمْ قُبيلَ النفيِ شَريداً إلى الصَّقيعِ العميمْ!
الوجودُ القَريرُ حولَك يَفْتَرُّ بتَسبيحِ عابدٍ في صَلاتِهِ
غَلَبَ الخوفَ جَمُّ إيمانهِ الحُلْوِ فزادَ الإيمانُ مَجْلى حياتِهِ
وإخالُ الأشجارَ في نَثْرِها الأوْراقَ تَعَرَّيْنَ قبلَ يومٍ عَميقْ
كالجمالِ الّذي تَهَيَّأ للنَّوْمِ طَويلاً مع الشتاءِ الصديقْ!
لا تُبالي ما بعدَ نَوْمَتِها الكُبرى ولم تَكْتَرِثْ لِنُذْرِ الشّتاءْ
حَسْبُها اليومَ نَشْوَةٌ من حياةٍ لم تُنَغَّصْ، فما لها والفَناءْ؟

طابع البريد

خادمٌ آمِرٌ كفيلٌ بكُتْبي ... ما لهُ موطنٌ وإنْ عاش قُربي
بيعَ كالعبيدِ حينَ يختمُهُ البائعُ بالضَّرْبِ، وهو طَوْعاً يُلَبِّي
يَتَزَيّا بما تَعَدَّدَ في الأزياءِ والرِّواياتِ عنْ كلِّ صوبِ
يَمتطي البحرَ والهواءَ كَما يركبُ طُرْقَ الحديدِ بلْ كلَّ ركْبِ
خَرَسَتْه الجُنودُ أنْفَسَ ما تَحْرُسُ رَمْزاً لسيِّدٍ مُسْتَتِبٍّ
ومِئاتُ الأتباعِ في كلِّ صِقعٍ، مَنْ يَخُنْه يوصَمْ بأقبحِ ذنبِ
كمْ مرارٍ قدْ قَبَّلَتْه ثُغورٌ جاءَها راقصاً بقُبلاتِ حُبٍّ
كمْ مرارٍ جَرَتْ عليه دُموعٌ مِنْ شُجونٍ طفَحْنَ مِنْ ذَوْبِ قلْبِ
كمْ مرارٍ أُهينَ لَعْناً وتَمْزيقاً كَما جوزيَ المَسيحُ بصَلْبِ
وهو ذاك العفيفُ لا شيءَ يَرْضاهُ سِوى نَفْعِ غَيْرِه دونَ كسْبِ
جابَ كُلَّ الأقطارِ لا يشْتكي الأيْنَ وما زالَ بينَ سلْمٍ وحَرْبِ
ويُلاقي الأهوالَ غيرَ هَيوبٍ، وبه أُرّخَتْ عظائمُ شَعْبِ
وهو في الحجمِ أصغرُ الناس طُرّاً، وهو في الشأنِ شامخٌ مثلَ ربِّ
يَتَبارى والمالَ في قَهْرِه الخَلْقَ وإنْ كانَ لم يُلوَّثْ بعَيْبِ
وهو إنْ عِيبَ صارَ أعظمَ في القَدْرِ وأغْلى في عَيْنِ كُلِّ مُحِبٍّ
وإذا ماتَ لم يَمُتْ، وتَعالى شَأْنُهُ، واسْتحالَ كَنْزاً لِصَحْبِ!

مجلس قهوة

تُناديـنـا بنَكْهَتِهـا، فَهيّـا ... نَعَـمْ هيّـا لِنَعْبُـدَها سَـويّا!

لَتَحْسُـدُها الأزاهِـرُ والـدَّوالي ... وتَعشَـقُ روحَهـا، الـرّوحَ الشّـذيّا

نَماهـا الـزَّنجُ حبّـاتٍ صِـغاراً ... كَحَبّـاتِ القُلـوبِ لظـىً وريّـا

وقـدْ خَلَصَـتْ طويَّتُهـا جَمـالاً ... فَـلا حَـرجٌ إذا اسـودَّ المُحَيّـا

إذا شُـمَّتْ تَفـوحُ بكُـلِّ قَلْـبٍ ... جَنـىً كالشَّـهْدِ مُبتسِـماً زَكيّـا

وإنْ رُشِـفَتْ تَطـوفُ بكُـلِّ ذِهْـنٍ ... وتُبْدِعُـهُ الطّـروبَ العبقريّـا

هلُمّـوا! إنَّ مَجْلِسَـها ربيـعٌ ... بـألوانِ المَلاحـةِ قـدْ تَزَيّـا

وفي أقـداحِها حَـبٌّ بـريءٌ ... كحـبِّ الطفـلِ يمـرحُ مسـتحيّا

كـأنَّ حُبابَهـا مـن ذِكريـاتٍ ... هَواتـفُ كالكَواكِـبِ والثُّرَيّـا

إذا مـا استوعِبَتْ رفعَتْ نُفوساً ... إلى مـا لـيسَ تَرْفَعُهـا الحُمَيّـا

كـأنَّ سَـوادَها أخْفـى نُجومـاً ... يُلاعـبُ بَعْضُـها بَعْضـاً صَـبيّا

هَلُمّـوا نَقْتَـبِسْ مِنْهـا حُبـوراً ... يُشَعْشِـعُنا ونَلْثِمُـهُ نجيّـا

فمـا بَخُلَـتْ لنـا مـن قبـلُ يومـاً ... ببهْجتِهـا ولا جَفَـتِ النَّـديّا

وكـمْ عـادتْ لنـا عَـوْداً حَميـداً ... وكـم جـادتْ لنـا جـوداً سَـخيّا

ونُحْرِقُهـا ونَسْـحَقُها فَتَزْكـو ... كـأنْ لم نرتكِـب أمـراً فَريّـا

ونُغْليهـا فترقـصُ في غَـرامٍ ... وتمنحُنـا الرحيـقَ الكوثريّـا

أدِرْهـا أيُّهـا السّـاقي أدِرْهـا ... وبـادِرْ، ربّمـا خلقَـتْ نَبيّـا

فَمِـنْ أحلامِهـا سـوَرٌ وآيٌ ... وإلْهـامٌ نُطالِعُـهُ خَفيّـا

إذا مـا الـرّاحُ أغنَتْنـا بِـوَهمٍ ... وَجَـدْنا القهـوةَ الحـقَّ الغَنيّـا

ومـا حُلْـمُ النّيـامِ وإنْ تغـالى ... كحُلْـمِ الصَّـحوِ مُؤْتلقـاً سَـرِيّا

أدِرْهـــا كـــيْ أُغازِلَهـــا وَفيّـــا		كَمـــا أهْـــوى، وأتْرُكَهـــا وَفيّـــا!

تحيّة الزهر

إلى الصَّديقين العزيزين مارغريت عبد الأحد وزوجها الدكتور جان بينار في الرابع من تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٢ من مستشفى مدتلون بنيويورك حيث كان الشاعر مريضاً فاهديا إليه باقةً من الزهر تحيةً منهما

لَكُمـــا شَـــكَرْتُ تَحيَّـــةَ الزَّهْـــرِ		في باقـــةِ الألْـــوانِ والعِطْـــرِ

قـــدْ حَبَّبَـــتْ لـــي غائبـــاً سَـــقَمي		مُـــذ خَفَّفَـــتْ مِـــنْ نفْحِهـــا ألمـــي

وتحـــدَّثَتْ بحَنـــانِ إنســـانِ		إنْ غِبْـــتُ لا يســـلو وينســـاني

قرَّبْتُهـــا منّـــي فنـــادتني		ولـــو انَّهـــا قُطِفَـــتْ ونـــاجَتْني

وهـــي الجَريحـــةُ بعـــدَ مـــا قُصَّـــتْ		ولـــو انَّهـــا في زُخْـــرُفٍ رُصَّـــتْ

لكِنّنـــا بتَجـــاوُبٍ صِـــرْنا		صِـــنْوَينِ نَعـــرِفُ عُمْرَنـــا الفنّـــا

شَـــكرَتْكُما شُـــكْري وقـــد فرحـــتْ		بلقائنـــا وشَـــدَتْ بمـــا نَفَحَـــتْ

وأنـــا المُترجِـــمُ عـــنْ مَعانيهـــا		يـــا لَيْـــتَني أحْكـــي أغانيهـــا

صِـــرْنا كأنّـــا خالـــدانِ مَعـــا		والكـــونُ يَنفحُنـــا بمـــا جَمَعـــا

ولـــو انَّـــهُ خُلْـــدٌ لأحْـــلامِ		كَخُلـــودِ أطْيـــافٍ وأنغـــامِ

أغْلـــى الهَـــدايا لَحْظَـــةُ الأُنْـــسِ		لَطُفَـــتْ كـذَوْبِ الـنفسِ في الـنفسِ

حتّـــى الفَنـــاءُ بهـــا لـــه مَعْنـــى		مُســـتعذَبٌ يَرْضـــاهُ مَـــنْ يَفْنـــى

فَلِمَـــنْ أفاضـــا الأُنْـــسَ ألوانـــا		شُـــكْراً وشُـــكْراً مِـــنْ حَنايانـــا

ثورة عليل

من مستشفى مدتلون في نيويورك إلى جريدة السائح النيويوركية

إنْ نالني السُّقْمُ لم يبلغْ بيَ الجَزَعُ ... ما قدْ يُعابُ ولم يَعبَثْ بيَ الفَزَعُ

وما جزعْتُ لنفسي مثلَما جَزِعَتْ ... نَفْسي لغَيْري وقد هانوا وما جَزِعوا

كمْ للعُروبةِ في نَفْسي ملَثمُها ... والقاهرونَ لها جانٍ ومنتفعُ

الحاكمونَ بلا دينٍ ولا شَرَفٍ ... والغاصبونَ وأقصى نُبْلِهم طَمَعُ

والهازلونَ بتَهْريجٍ وقد خَلَقوا ... منه البُطولةَ ألواناً، وكم خَدَعوا

يا لائِمي مَنْ أدالوا عِزَّ أُمَّتِنا ... خَلّوا النفاقَ فأنتمْ في الأذى شَرَعُ

لولاكُمو ما استباحَ العِلْجُ عزَّتَنا ... ولا استبدَّتْ بنا الأوهامُ والبِدَعُ

وما نزالُ، فكمْ من زُمْرَةٍ شَقيَتْ ... دُستورُها الجهلُ أو دُستورُها الوَدَعُ

يوحي لها القاتُ والقنّابُ غَفْلَتَها ... فَما تُفيقُ، وما يَدْنو لها الهَلَعُ

وحولَها النّارُ بالعُدْوانِ صارِخةٌ ... كأنَّما ليسَ فيها اليومَ مُسْتَمِعُ

يا ليتَني مُستطيعٌ أن أُطَهِّرَها ... وأن أهُزَّ نياماً في الرَّدى قَبَعوا

وأن أُحكِّمَ سَيْفاً في أصاغِرِها ... الهادِميها بما بثّوا وما جَمَعوا

وأنْ أُقطِّعَ أذْناباً لها مَرَنوا ... على الفُجورِ وقالوا فُجْرُهُمْ وَرَعُ

وأنْ أُثيرَ جَميعَ العُرْبِ قاطبةً ... كما يُثارُ إذا ما هوجِمَ السَّبُعُ

إنّي لجِدُّ حزينٍ حينَ أرقبُها ... يودي بها الذِّئبُ أو يودي بها الضَّبُعُ

وحولَها للثَّعالي في بُطولتِهم ... ما لمْ يَعُدْ بَعْدَهُ لِلخُبْثِ مُتَّسَعُ

وكلُّ حوليَ في شِعرٍ أجودُ به ... كما أجودُ بأنفاسي لِمَنْ سَمِعوا

٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

مقبرة الإنسانية (اليمن السعيدة)[1]

"أفضل الجهاد كلمة حق تقال عند سلطان جائر"

حديث شريف

مَهْدُ الحَضارةِ للعُروبةِ كُلِّها ... كيفَ انتهيتِ إلى نِهايةِ ذُلِّها

قدْ كُنتِ سابقةَ القُرونِ بعلْمِها ... فرَجَعْتِ في ذَيْلِ القُرونِ وجَهْلِها

عَجِبَتْ تَماثيلٌ رُفِعْنَ جَلالةً ... فَهَوَتْ لِما بَلَغَتْه خِسّةُ مِثْلِها

وكأنَّما في أمْسِها قدْ أُشعِرَتْ ... أفعالَهم فتحطّمتْ مِن هَوْلِها

إنْ كانَ هذا وَحْيَ دينِ محمَّدٍ ... فعِبادةُ الأوثانِ نِعْمَةُ أهْلِها

حاشا، وحاشا، تلكَ نَكْبَةُ أُمّةٍ ... بالحاكمينَ القاتلينَ لنُبْلِها

مِنْ كلِّ سيفٍ قد تثلّم مَجْدُهُ ... في الموبقاتِ ويَستعزُّ بفعلِها

أو كلِّ أبكمَ صارَ يُحْسَبُ قاضياً ... والمومياءُ أجلُّ منه بأصْلِها

أو كلِّ زِنْديقٍ عَريقٍ، عابدٍ ... للمالِ يَحْتَرِفُ الدّعارةَ والِها

أو كلِّ مَنْ زَعَمَ الإمارةَ حينَما ... عينُ الحَقارةِ ما استباحَ مُؤَلِّها

أو كلِّ مندوبٍ تحشرجَ صوتُه ... مثلَ الجَنادبِ وهو دونَ أذلِّها

أو كلِّ مَنْ زعَمَ الإمامةَ بينَما ... حكَتِ الذُّبابَ بطَنِّها وبظلِّها

أو كلِّ مأفونٍ يَصيحُ مغالِطاً ... والسُّخْرُ يَتبعُ ما روى مُسْتَأْلِها

وطنٌ تجسَّمتِ العُروبةُ نكبةً ... فيه ولا نَكباتِ صورٍ وبعلِها

النّاطحاتُ بِه شَمَخْنَ سوابقاً ... واليومَ تسحقُها الصُّروفُ بنَعْلِها

والهندساتُ وسَدُّ مأربَ خلَّفتْ ... لَهْفى الخرائِبِ في مَهانَةِ رَمْلِها

والسّامِقاتُ من المَدارسِ كلُّها ... دَرَسَتْ ولم يَكُ مِثْلُها مِن قَبْلِها

لا ظُلْمَ؛ ظُلْمُ الدَّهْرِ عدلٌ صارخٌ ... ما دامَ أهلُ الأرضِ نقمةَ عَدْلِها

---

[1] كذا في الأصل.

يا مَنبتَ الكنديِّ[1]، يا مَنْ يَنْتَمي ... نُخَبُ الفَوارسِ والعقولِ لعقلِها

مَنْ أدهَشَتْ كِسرى بحكمةِ عَمْرِوها[2] ... من أنْجَبتْ بلقيسَ صورةَ دَلِّها

مَنْ شَيَّدَتْ غمدانَ[3] من إلهامِها ... وفُحولةُ الشُّعراء دونَ أقلِّها

مَنْ أطلعتْ صنعاءَ نَجْمَ حضارةٍ ... عمَّتْ بأنفسِ روعةٍ وأجلِّها

مَنْ لا نَزالُ نَثارُ في آياتِها ... إذْ تَغمرُ التاريخَ سيرةُ فَضْلِها

كيفَ استحلْتِ إلى مَباءةِ سوقةٍ ... عَمِلوا على هَدْرِ الكرامةِ كلِّها؟

جَعَلوا البلادَ وأهلَها كبهائمٍ ... مَوْبوءةٍ حُبِسَتْ على إسْطَبْلِها

القاتُ تَمْضَغُهُ فَيَجْري سُمُّهُ ... فيها، فنتركُ نشوةً لِمُذِلِّها

وإمامُنا يَحيى يُمَجِّدُ وَيْلَهُ ... شعراً، ويكنزُ تِبْرَهُ من ويلِها

أسفي، وما أسفي عليها وحدَها ... بل للشعوبِ العالقاتِ بذَيْلِها

أُممُ العُروبةِ في الضَّجيجِ عريقةٌ ... الفاخراتُ بخَيْلِها وبرِجْلِها

تَشْكو الطّغاةَ وحينَ تهملُ أختَها ... في الغلِّ تُصْبِحُ من تَهَشُّ لِغلِّها

إنَّ الحَوادثَ كلَّها عِبَرٌ لكُمْ ... يا غافلينَ عن الحياةِ وقولِها

تَتَسَتَّرونَ على الفضائحِ ضِلَّةً ... ولَطالَما خانَتْ عُهودَ مُحِلِّها

فتُمَكِّنونَ لسارقٍ ولمارقٍ ... جَعَلَتْهُما صَنعاءُ غايةَ شُغلِها

ليتَ ابنَ خلدونٍ وتلكَ رُبوعُهُ ... حَيٌّ ليُفصِحَ رأيَه عن خَتْلِها

أو ليتَ لي شِعْرَ الزبيريِّ الّذي ... في النفيِ ناحَ لخطْبِها ولثكْلِها

أو ليتَ لي يوماً عواصِفَ أحمدٍ ... وأبي فراسَ مُزمجِراً من أجلِها

وأبي العلاءِ العبقريِّ وغيرِهم ... من أهلِها قَدْ أُتْرِعوا مِن نَهْلِها

---

[1] الفيلسوف الكندي.

[2] عمرو بن معد يكرب.

[3] قصر غمدان.

المُسْـــهِمينَ بعِلْمِهِـــمْ وبفَـــنّهِمْ
في رِفعـــةِ الإنســـانِ أو في بـــذلِها

أو ليـت لـــي كالشَّـنْفَرى غضـباتِه
أو كـامرئِ القـيسِ الوفـاءَ لنصـلِها

أو شــأنَ مالـك[1] مـن سُـلالةِ حِمْيَـرٍ
في الـدينِ والتقـوى لطُهـرِ محلّهـا

أو وعـظَ نجـم الـدين[2] رَنّ كأنَّـه
قَـدَرٌ يُحـذّرُ في حَماسـةِ خِلّهـا

أو بأسَ سَيْف الدولةِ العالي الذُّرى
المسـتعزِّ بأصـلِه في سـهلِها

ونُهى الفراهيدي[3] الّذي أحيا اللُّغى
بعَروضِـهِ وبحِذقـهِ في شـكلِها

وسنا البهـاءِ[4] وكـم يُـداوي شِـعرُهُ
مَرْضـى النفـوسِ العانيـاتِ بِسُلّها

وبـروجَ صِـرْواحَ الّـتي لَمّـا تَـزَلْ
أطْلالُهـا تَـرْوي الخُلـودَ لطلّهـا

وهَيـاكِلاً مـا زالَ عَلْقَمَـةٌ[5] بهـا
يـوحي السّـيادَةَ والجَـلالَ لجلّهـا

يـا ليـتَ لـي هـذا وذاك وبضـعةً
مـن روح علقمـةَ الشـهيرِ بِفَحْلِها

حتّـى أهـزَّ السـادرين، لعلّهـم
يتنبّهـونَ إلى عواقِـبِ قَتْلِهـا

١٩٥٣

مذبحـة قبيـة

الفِتْنَـةُ الكُـبرى تُطِـلُّ قُرونُهـا
أمْ ديـرُ ياسـينٍ أُعيـدَ جُنونُهـا؟

يـا وَصْـمَةَ الإنسـانِ مِـن وَحْشـيَّةٍ
أقْسى الوُحوشِ لها تُراعُ عُيونُها!

---

[1] الإمام مالك بن أنس.

[2] هو محمد الميمني الملقب بنجم الدين القائل:

ولا تَحتقِـرْ كيـدَ الضّـعيفِ فرُبّمـا
تموتُ الأفاعي مِـن سُـموم العقـاربِ

وقد هـدَّ قِـدماً عـرشَ بلقـيسَ هُدهُـدٌ
وخَـرّبَ حَفْـرُ الفـارِ سَـدَّ مـأربِ

[3] الخليل بن أحمد.

[4] البهاء زهير.

[5] الإله علقمة هو القمر.

صَفَرَ الخَرابُ لها بفَرْحةِ فاجرٍ ... وإذا الدِّماءُ شَرابُها ومُجونُها

العُصْبَةُ الأنْذالُ لم يَتَوَرَّعوا! ... عن كُلِّ ما لَطَخَ الوَغى ويَشينُها

باسمِ العدالةِ والحُقوقِ تَشَدَّقوا ... وكأنَّما حامي الحُقوقِ خَؤونُها

وبكلِّ مَذْبحةٍ لهم تَهْليلةٌ ... وبكلِّ مَجْزرَةٍ يُعيِّدُ دونُها

ويُمَثِّلونَ من المهازلِ للوَرى ... صوَرَ المآسي القارحاتِ جُفونُها

كَبْشُ الفِداءُ هُمو، وأمّا مَنْ بَغَوْا ... وَعَدَوْا عليهِمْ: فالوَغى وأتونُها

جَعَلوا المُروَّعَ جانياً، بل صوَّروا ... جُثَثَ الضّحايا في الحُقولِ تَخونُها

كانَتْ لقومٍ في أمانِ بُيوتِهم ... ناموا، فأينَ بُيوتُها وسُكونُها؟

ذَهَبَتْ بهم وبِحِلْمِهِم، وتَبَعْثَرَتْ ... أشْلاؤُهمْ ودِماؤهمْ وحَنينُها

أللّهَ في الباغي، وعِنْدي تَسْتَوي ... كُلُّ الفِئاتِ وما يُسوِّغُ دينُها

فالبطْشُ ليسَ له حلالٌ مرَّةً ... مهْما أحَلَّ الموبقاتِ خَدينُها

والظُّلْمُ ليسَ يُحَدُّ بَيْنَ خُطوبِهِ ... مَنْ لَمْ يَصُدَّ خُطوبَهُ فمُعينُها

إيهاً بَني الأرجاسِ! أيَّةُ نصْفَةٍ[1] ... تَرْجونَها وشُرورُكُم مَضْمونُها؟

كَثُرَتْ دَعاويكم كوَفْرَةِ خُبْثِكُمْ ... والأبرياءُ طَعينُها ودَفينُها

مَنْ تَخْدَعونَ وتلكَ قبيةُ شاهدٌ ... والدّينَميتُ غَريمُها وقرينُها؟

هل هيئةُ الأُممِ الّتي قدْ كُفِّنَتْ ... في المَهْدِ؟ أم أُسَرٌ يَمُضُّ أنينُها؟

أمْ هَلْ تُرى أُمَمُ العُروبَةِ بَعْدَما ... زُرِئَتْ بكمْ، وبكمْ تُشَلُّ يمينُها؟

أمْ صادقُ التاريخِ وهو مُدَوِّنٌ ... آثامكُمْ إنْ فاتَكُمْ تَدْوينُها؟

قد كُنْتُ أرْجو العَدْلَ بعدَ تَفاهُمٍ ... فإذا العَدالةُ تُسْتَباحُ حُصونُها

وإذا القَذائفُ وَحْدَها قدْ أصبحَتْ ... لُسُنَ العَدالةِ، إنْ يُصِغْ مَفْتونُها

أوّاهُ من دولِ العُروبةِ كُلِّها ... خابَتْ وضاعَ أُسودُها وعَرينُها

[1] النَّصفة: الإنصاف والعدل؛ (و.ف).

هيهاتَ تَنْهَضُ والتّعالي فوقَها | يتحكّمونَ، وما تُعِدُّ طَنينُها
صِهيونُ ليسَ بمَحْضِ خَصْمٍ واحدٍ | فبكُلِّ باطنِ دولةٍ "صِهْيونُها"
مَنْ ذا ألومُ إذا الجُناةُ أقاربٌ | وأباعدٌ وإذا اللُّصوصُ زبونُها؟
وإذا الدَّمُ الغالي يُذالُ ولمْ تَثُرْ | هِمَمٌ، وفي وَقْفِ الجُيوشِ سُجونُها؟

*****

أبطالُ قِبْيَةَ أنتُمو، وكَفاكُمو | فَخْراً بتَدْميرِ لكُمْ تَمْدينُها
مَنْ كانَ في رَيْبٍ إزاءَ حَضارةٍ | شَقيَتْ بكُمْ فصنيعُكم تَأبينُها
مَنْ ذا يُصوِّرُ بعدَ ذلك أنَّكُمْ | من أُمَّةٍ بالغارِ خُصَّ جَبينُها؟
إنَّ التسامحَ بعدَ ذاك جَريمةٌ | يا ضَيْعة الإنسانِ حينَ يَزينُها!

١٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٣

المولد النّبويّ

عيدُ المَلايينِ ازْدَهَتْ بجَلالِهِ | وَرَأتْ جَمالَ حَياتِها بجَمالِهِ
عيدُ البَريَّةِ كُلِّها، إذْ كُلُّها | نَعِمَتْ بِوَحْيِ ضِيائِهِ وظِلالِهِ
عيدُ الحَضارةِ، فالحَضارةُ لمْ تَكُنْ | إلاّ وَليدَ العَقْلِ في استقْلالِهِ
عيدُ المُساواةِ العَميمَةِ، أُنْبِتَتْ | في فَجْرِهِ، وتَعَلَّقَتْ بهِلالِهِ
عيدُ الإخاءِ مَدى الزَّمانِ وباسمِهِ | خُلِقَ الرِّجالُ الشُّمُّ مِنْ أبْطالِهِ
عيدُ الهُدى والتَّضْحياتِ على الهُدى | لِتَحَرُّرِ الإنسانِ مِنْ أغلالِهِ
عيدُ الشَّرائعِ جُمِّعَتْ آياتُها | وَتَبلْوَرَتْ في نورِهِ وكَمالِهِ
عيدُ التَّشَبُّثِ بالحَقيقةِ وَحْدَها | والحَقُّ لا يَبْقى لَدى جُهّالِهِ
عيدُ التَّسامي، والتّسامي وَحْدَهُ | نَهْجُ الوُجودِ إلى سَعادةِ حالِهِ
عيدٌ إلى ميثاقِهِ مُتَحَرِّرٌ | يَدْعو، ومَلْهوفٌ لفَكِّ عِقالِهِ

عيدُ السَّلامِ، وربّما تَحقيقُهُ جَعَلَ الدِّماءَ فِدىً وبَعْضَ نَوالِهِ
عيدُ النُّبوَّةِ: لِلْحَياةِ رِسالَةً وبِها اسْتَعَزَّ وجَلَّ عَنْ أَمْثالِهِ

*****

شَرَفاً إمامَ المُصْلِحينَ لأُمَّةٍ لَكَ نَنْتَمي، ولعالِمٍ بِكَ والِهِ
أَلْهِمْ بِمَوْلِدِكَ السَّنيِّ شُعوبَهُ حَتّى تُثارَ إلى عِظاتِ جَلالِهِ
يا أيُّها الأُمّيُّ، يا مَنْ عَقْلُهُ وَسِعَ العُلومَ كَواكِباً لِرِجالِهِ
ومَنِ اكْتَفى لِوُجودِهِ بِبَلاغِهِ لا زَهْوَ مَفْتونٍ يُدِلُّ بِمالِهِ
يا مَنْ تَعَلَّقَ بالتَّقَشُّفِ خَلَّةً وأَشاحَ عَنْ مُلْكٍ وعَنْ أَمْوالِهِ
يا مَنْ تَماثَلَ حِلْمُهُ وإباؤُه لِلْمُفْلِحينَ تَزينُ نُبْلَ خِلالِهِ
اليومَ غَضْبَتُكَ الشَّريفَةُ تُرْتَجى وكِفاحُهُ لِلْحَقِّ مِثْلَ عِيالِهِ
اليومَ أَسْمَعُ مِنْكَ وَحْيَ رِسالَةٍ لِلْحَقِّ مَأْسوراً لَدى خُذّالِهِ
هَيْهاتَ تَرْضى لِلأَنامِ مَذَلَّةً يا مَنْ عَتَقْتَ العَبْدَ مِنْ إذْلالِهِ
والمُسْلِمونَ هُمُ الكُماةُ حَمِيَّةً الثائرونَ على العَتيِّ ونالِهِ[1]
وعلى اللُّصوصِ الغادِرينَ، وغَدْرُهُمْ لا يَنْتَهي، كالتّيهِ[2] في أَهْوالِهِ
جَعَلوا التَّبَجُّحَ كالوَباءِ شَريعَةً لِلظُّلْمِ، واحْتَكَموا لِخُبْثِ مَقالِهِ
واسْتَعْبَدوا الأَقْوامَ باسْتِعْمارِهِمْ وتَرَنَّموا بِصَلاحِهِ وفِعالِهِ
كالعَبْدِ يُرْهِقُ كُلَّ حُسْنٍ ناضِرٍ ويَمُنُّ بَعْدُ عليهِ باسْمِ وِصالِهِ
والسُّقْمُ يوغِلُ في السَّليمِ فَيَغْتَدي نَهْباً لَهُ، فَيُعَدُّ مِنْ أَفْضالِهِ
يا مَنْ أَبى الإِذْعانَ دونَ حُقوقِهِ واسْتَعْذَبَ الآلامَ في آمالِهِ
أَرْجِعْ إلى الإِسْلامِ عِزَّةَ أَهْلِهِ باليَقْظَةِ الكُبْرى لِنَيْلِ مُحالِهِ

---

[1] ناله: ما يناله.
[2] التيه: القفر يضلّ فيه.

وأدلْ مِــنَ المُـتَحكّمينَ بحَظِّهِـمْ
والجَهْـلُ أوَّلُهُـمْ بِسُـمِّ نِبالِـهِ

ولْيَبْـقَ مَوْلِـدُكَ الأغَـرُّ مَنـارةً
لُمجاهِـدٍ مُسْـتَقتِلٍ[1] بِقِتالِـهِ

فالعَيشُ مِنْ صوَرِ المَماتِ لِصاغِرٍ
والمَـوْتُ لِلحُـرِّ الأبـيّ كآلِـهِ

ولَكَمْ جَنَـى الإسلامُ مِنْ أعْدائِهِ
مِثْـلَ الّـذي لاقـاهُ مِـنْ أقْيالِـهِ[2]

فـإلى الهُـداةِ رِضـاكَ في إقْبالِـهِ
وَعَلـى الطُّغـاةِ جَفـاكَ في زِلْزالِـهِ!

١٧ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٣

الأقطـاب

عِصـابةٌ مِن لُصوصٍ أمْنُها خَطَرُ
قدْ ضَجَّ منْها وريعَ الجِنُّ والبَشَرُ

مـا لِلْعُروبةِ لا تَمْضـي وتَسْحَقُها
هلْ نالَها اليأسُ أم هلْ نالَها الضَّجَرُ؟

أمِ استَنامَتْ إلى وَعْدٍ تُزَوِّقُـهُ
مثلَ الفَقاقيعِ لا يَبْقى لها أثَرُ؟

لا نَفْعَ منْها وإنْ غنَّتْ بما وَعَدَتْ
فكُلُّ نَفْعٍ لَهـا في طَيِّـهِ الضَّرَرُ

صـنعاءُ أو جِـدّةُ المَنْهوبُ جِدَّتُها
أو كَرْخُ بغْدادَ أشْباهٌ بمَنْ غَدروا

معاقلُ المَجْدِ في الماضي قدِ احتُضِرَتْ
كأنّها لُعْبـةٌ قـد سـاقَها القَـدَرُ

صُـمُّ الجَلاميدِ أحْنـى في مقابرِها
مِمَّنْ أضاعوا حُقوقَ الشّعبِ أو قَبَروا

والأجْـنَبيُّ عَلـى عِلاّتِـهِ رَحِـمٌ
مَتى يُقاسُ بهِم في شَرِّ ما أمَروا

مـا بـينَ عـاتٍ وصُعلوكٍ بفِطْرَتِـهِ
ومُجْـرمٍ لمْ يَعُـدْ حَـقٌّ ولا وَطَـرُ

فَوْضى بها انْتَثَرَتْ أخْلاقُ مَنْ غَبِنوا
ومثلَها صـارَتِ الثّرواتُ تَنْدَثِرُ

الفقرُ والجهلُ والأمراضُ قاطِبةً
باتَتْ كُنوزاً لهُمْ من بعدِ ما افْتَقَروا

---

[1] مستقتل: مستميت.
[2] أقياله: رؤساؤه وملوكه.

أبَعْدَ هذا نَصوغُ الشّعْرَ في طَرَبٍ لِمَدْحِ حُكّامِهِم، لو أنَّهم شَعَروا؟

ألَيسَ في ضَرْبِ أعناقِ لهم أمَلٌ للمُصلحينَ، وفي تَدْويخِهِم عِبَرُ؟

ألَيسَ في تَرْكِهِمْ كالعُثّ مُرْزِئَةٌ عَمَّتْ، فكَمْ دولةٍ تَعْنو وتُحتضَرُ؟

لقدْ نَصَحْتُ فَعَدّوا النُّصْحَ لي سَفَهاً وكِدْتُ أبكي فعُدْتُ اليومَ أعْتذرُ

وما أُنادي سوى الشبّانِ في أُمَمٍ لم يَبْقَ فيها سواهُمْ بعْدُ مُدَّخَرُ

لعلّهم يُشعِلونَ النّارَ صاخِبةً يومَ الحِسابِ فلا تُبقي ولا تَذَرُ

وعلّهم بالدَّمِ الغالي لأُمَّتِهِم يَرْوونَ قُدْوَةَ مَنْ ثاروا ومَنْ ثَأروا!

إلى فيصل الحكيم

وجّهت إلى الأمير فيصل آل سعود لمناسبة إسناد ولاية العهد إليه في المملكة العربية السعودية

هلْ للأميرِ أعزَّ اللّهُ حِكْمَتَهُ أنْ يُنقِذَ الشّعبَ من ضَيْمٍ يُعانيهِ؟

والضَّيمُ ألوانُهُ شَتّى، وأظلَمُها أنْ يَشْعُرَ المَرْءُ أنَّ المَوْتَ يُغْنيهِ

يا فيصلَ الحُكْمِ هذي فُرصةٌ عرَضَتْ لِتَرْأبَ الصَّدْعَ في مَبْنىً وبانيهِ

فالشّعبُ لا بُدَّ من بَعْثٍ يحينُ له وسوفَ يَسْحَقُ حتْماً مُستغِلّيهِ

كنْ أنتَ قُدْوَتَه المُثْلى وزِدْه غِنىً ولا تَدَعْهُ شَريداً في دَياجيهِ

ووَزِّعْ على الشّعبِ آلافاً له نُهِبَتْ قبلَ انتقامٍ وشيكٍ كامِنٍ فيهِ

أو لا، فيا هَوْلَ يومٍ قادمٍ خَطِرٍ جَهنَّمٌ سَتُغَنّي وهي تَسْقيهِ!

إيـزيـــــس

الثّلج في الرّبيع

تَراقصْ كما شئتَ فوقَ الزُّروعْ

تُقبِّلكَ الأعْيُنُ

وتَلْقاكَ في ألَقٍ يَفْتِنُ

فَتَحْيا ابْتِساما

جَواهِرَ ما عوَّدَتْ أنْ تُضاما، فَتَأْبى النِّظاما

وَيَرْفَضُّ إشْعاعُها المونِقُ

خواطرَ لِلّهِ لا تُلْحَقُ

تُغذّي القُلوبْ

وتُحْيي الطُّيوبْ

كَلَهْوِ الرَّبيعْ

يُنمِّقُ للأرضِ عُمراً جديدْ

وكَمْ يَسْتَعيدْ

وَيضْمَنُ حُلْمَ العُفاةْ

فلا لوعةٌ تُرْهِقُ

وَلا بائِسٌ يُطرَقْ

كأنّا سَبَحْنا بنورِ القَمَرْ

وفيه اللُّجَيْنُ

طَهورٌ، نبيلٌ، سَخيّ

فَيُبْهِرُ أرْواحَنا

ويُبْدِعُ أفراحَنا

ويَقتلُ أتراحَنا

فَيَخْلُقُ دُنيا لَنا

تَرفُّ بكلّ الغِنى

وأثْمَنُهُ نورُها

نيويورك، ١٩٥٤

العـروبة

مهداةٌ إلى الرئيس جمال عبد الناصر

مِسْكينةٌ! إنَّ مَنْ خانوكِ أوْقَحُهُمْ ... أهْلوكِ، أو مَنْ تَراءَوْا شِبْهَ أهْليكِ

مِنْ كُلِّ عِلْجٍ حَقيرٍ يَدَّعي شَرَفاً ... وَهَمُّهُ دونَ هَمٍّ لِلْمفاليكِ

لا شَيْءَ غيرُ بَريقِ المالِ يَشْغَلُهُ ... ثُمَّ التِّجارةُ في أمْجادِ ماضيكِ

وفي شَقائِكِ يَتْلو حَوْلَهُ سوَراً ... مِنَ النِّفاقِ، وتَبْدو مِثْلَ فاديكِ

مُهَلْهِلاً كُلَّ شَهْمٍ لا تُراوِدُهُ ... إلاّ عظائمُ ماضيكِ وآتيكِ

وغامِزاً كُلَّ مَنْ آثارُهُ صوَرٌ ... مِنْ تَضْحياتٍ بِتَشْويهٍ وتَشْكيكِ

حتّى يَنالَ مَكاناً في تَفَرُّدِهِ ... بالزّورِ ما بَيْنَ تَهْديمٍ وتَفكيكِ

يَبْغي الزَّعامَةَ صُعْلوكٌ بفِطْرَتِهِ ... بِئْسَ الزَّعامَةُ في أيْدي الصَّعاليكِ

أمّا مُلوكُكِ — لا كانوا ولا مَلَكوا — ... فهمْ أخَسُّ مِثالٍ للمَماليكِ

باعوكِ دونَ جَزاءٍ في تَذَبْذُبِهِمْ ... إلاّ مَذَلَّتَهم أيّانَ باعوكِ

ومِثْلُهُمْ زُمْرَةُ الأقْطابِ، رائِدُهُمْ ... مِثْلَ الرَّحى طَحْنُ كَنْزٍ ماثِلٍ فيكِ

يُبَدِّدونَ القوى تَبْدبدَ مُتَّهِمٍ ... في العَقْلِ والخُلْقِ أوْ تبديدَ مَهْتوكِ

ويُطْمِعونَ الأعادي فيكِ عن سَفَهٍ ... حتّى يَعيثَ الأعادي في مَعاليكِ

صَـهْ يـا دَخيـلُ عَلَيْنـا ، لـيسَ تَعرِفُـه   إلاّ مَجـالي التَّـدنّي لا مَجاليـكِ
حِرْبـاءَةٌ أنْـتَ بَـلْ قُـلْ ثَعْلَـبٌ أشِـرٌ   يَخْتـالُ كـالهِرِّ أو يَخْتـالُ كالـدّيكِ
إنّـا سَئِمْنا الـدَّعاوى: كَمْ حَمَـتْ مَرَضـاً   وكَمْ حَمَـتْ غَرَضـاً بـينَ الأضـاحيكِ
لـولا المَآسـي الّـتي عَمَّـتْ أمانينَـا   فَـأيْنَ أيْـنَ الّـذي أحْيـا أمانيـكِ؟
لَعَـلّ ذاك جَمـالٌ في تَجَـرُّدِه   عَـنِ المَطـامحِ، إلاّ مـا يُعَلّيـكِ
سَـما علـى مَنْكِبَيْـهِ مَجْـدُ أُمَّتِنـا   حـينَ الخـؤونُ المُرائـي راحَ يَرْثيـكِ!

٣ نيسان/أبريل ١٩٥٣

مِنْبَري

نظَمها الشاعر في الرابع عشر من نيسان / أبريل ١٩٥٤
لمناسبة مرور ثماني سنواتٍ على هجْرته من مصر العزيزة

مِنْبَـري عـالَمي ولـيسَ بـأرْضٍ   يَسْـتَحِلُّ الطّـاغوتُ فيهـا الـدَّمارْ
إيـهِ نَفْسـي! اليَـوْمَ ذِكْرى نُزوحـي   عَـنْ رُباهـا، وعَـنْ بَـوارٍ وعـارْ
خَنَقَـتْني أوْ حاوَلَـتْ ثُـمَّ باهَـتْ   بِـأذاتي تِلْـكَ النُّفـوسُ الصّـغارْ
مـا أُبـالي إلاّ بإسْـداءِ رَأْيـي   وَانتشـارٍ لَـهُ وأيَّ انْتِشـارْ
قَيَّـدوني وحاصَـروني وآذَوْ   نـي فأقْسَـمْتُ أنْ أفُـكَّ الحِصـارْ
مِثْـلَ صَـقْرٍ مُكَبَّـلٍ هَشَّـمَ القَيْـ   ـدَ ودَوّى بِصَـيْحَةٍ، ثُـمَّ طـارْ
لم يُفَـرِّقْ مـا بَيْنَـهُ وديـارٍ   أرْهَقَتْـهُ، إنْ باعَدَتْـهُ الـدّيارْ
بَـل أثـارَ الصَّـيْحاتِ في كُـلّ أرضٍ   فاسْـتقلَّتْ بكُـلِّ أرضٍ شِـعارْ
إنَّـني شـاعرُ الكنانـةِ في البُعْـ   ـدِ وفي القُـرْبِ، كيـفَ كـانَ الجِوارْ
مـا ثَمـاني السِـنّين إلاّ ثَـوانٍ   مِـنْ حَيـاتي ومِـنْ وُجودي المُعـارْ

إنَّ عُمْريَ جُهْدي وفِكْري وإيمانـي وحُبِّي، فَإنَّ عُمْري مَنارْ
لا زَمانٌ ولا مَكانٌ يَحُدّانِ وجُودي ولا دُجىً أوْ نَهارْ
أيْنَما كُنْتُ صَيْحَتي صَيْحةُ النَّسْرِ وزَأْري زَئيرُهُ المُسْتَثارْ
وقَصيديَ اليَنْبوعُ يَرْشفُهُ الأحْـرارُ وَيَرْوَوْنَ، وهو نورٌ ونارْ
لا تَسَلْني عن مَسْكني، أيُّ دُنْيا هِيَ أرْضي إذا عَداها الصِّغارْ
لم أزَلْ بالوَفاءِ والعَمَلِ الحَيّ كَأنّيَ في مِصْرَ أحْمي الذِّمارْ
بَيْنَما الجاحِدونَ فيها سُكارى أوْ حَيارى، ويَنْشُدونَ الفَخارْ
مَبْدَئي لَنْ يَحولَ ما بَقيَ الحُبُّ وحُبّي لمصرَ حَيٌّ يُثارْ
وحياتي جَميعُها في كِفاحٍ آيَةٌ لا يَنالُ مِنْها الغُبارْ
أيُّها النّاعِقونَ حَوْلي اسْتَريحوا! هُزِمَ اللَّيْلُ إذْ أطَلَّ النَّهارْ!

أين الربيع؟

تاخر الربيع طويلاً بل ضاع في عام ١٩٥٤ وقد استمر جو الشتاء مديداً في نيويورك فاوحى غيابه إلى الشاعر بهذه القصيدة

أينَ الربيعُ؟ سألتُ عنهُ فلم أجدْ مَن ردَّ غَيْرَ تَدَفُّقِ الأمطارِ
ولّى ولم يحِضرْ، فغابَ كأنَّه قد عاشَ في الأوهامِ والأفكارِ
قالوا: هي الذّرّاتُ حين تفجَّرتْ نثرتْ نظامَ الجوّ أيَّ نثارِ
فغدا الرّبيعُ هو الخريفُ كأنَّما قد جُنَّ من مطرٍ ومن إعصارِ
ومن الرُّعودِ تكلَّمتْ كمدافعٍ ذرّيةٍ وتراشقتْ بالنّارِ
فتحجَّبتْ أطيارُه وتبرقَعتْ أزهارُه، وبكى الغديرُ الجاري
وبكيتُ في نَفْسي كأنّي فاقدٌ أهلي وكلَّ مجالسِ السُّمّارِ

وإذا أنـاخَ بنـا السـكونُ حَسِبْتُهُ ضوضـاءَ مـن قلـقٍ ومـن إنـذارِ
أيـن السـماحةُ والهـدوءُ تآلفـا والأمْنَ فاحتكمتْ على الأبصارِ؟
أيـنَ الجَمـالُ برقصـهِ وبلـهوهِ في النّـورِ أبـدعَ فـاتنَ الأنـوارِ؟
أينَ الصَّبايا النحلُ تجمعُ شهدَها كالصـيرفيِّ ونـدِّهِ العطّـارِ؟
أيـن الأزاهـيرُ الّـتي كـمْ سـابقتْ شَغَفي فما احتجبتْ عن الأنظارِ؟
أيـنَ المـروجُ الحاليـاتُ عرائسـاً كعـرائس الأحـلام في آذارِ
أيـنَ العصـافيرُ الّـتي لم تكتمـلْ أعشاشُـها بالحـبّ والأسـرارِ
ضاعتْ جميعاً كالطيوفِ إذا هَوَتْ واللَّحْـنِ فَـوْقَ مُقَطَّـعِ الأوتـارِ
إحْلَمْ بهـا يـا قلـبُ أوْ لا فانْسَـها فَجميـعُ مـا وهـبَ الربيـعُ عـواري
والعـامَ مـا عـرفَ الحيـاةَ كأنَّـه مَعْنـىً حَـواهُ المـوتُ بالإضـمارِ
الجـود تَرْقُـبُ مـن سَـماحةِ ميّـتٍ مـا كـانَ غـيرَ تعثُّـرِ الأقـدار

*****

أُخرى من السَّنواتِ أبدؤُها غداً[1] مُـتهلّلاً كـالورد في أيّـارِ
إنْ عَقَّني وطني القديمُ فما هوى حُبّـي لـدى الـوَطَنِ المعزّ شعاري
أو كـانَ جافـاني الربيـعُ فعلّـه مـرآةُ مـا عانيـتُ مـن تَـذْكارِ
سـأظلُّ عامـاً نـاظراً[2] لـوداده حتّـى يعـودَ لنـا مـن الأسـفارِ
ولرُبّمـا يـأتي رسـولَ محبّـةٍ مِـنْ مصـر بعـد تمتّـعٍ وتـواري
فـأرى الجنـانَ بـه نـوافحَ بـالهوى وتفـيضُ عـن أشـعارِها أشـعاري

---

[1] نظم الشاعر هذه القصيدة في نهاية نيسان/أبريل ١٩٥٤، وفي مثل هذا اليوم من عام ١٩٤٦ نزل في أميركا.
[2] ناظرا: مرتقبا.

وحي عيد الفطر

الفِطْـرُ جـاءَ بآمـالٍ نُجـدِّدُها إنَّ الحَيـاةَ لآمـالٌ وتَجْديـدُ

لـولا التَّعلُّـقُ بالآمـالِ نَعبُـدُها لم يُكْرَمِ العيدُ، بلْ لمْ يُعْرَفِ العيدُ

صلّى مع الفَجْر مَنْ صلَّوْا فقبَّلهم وقبَّلَـتْني بنَجْواهـا الأناشـيدُ

يا ليتَني كنتُ مِثْلَ الفجرِ عافيةً فـلا يَـردُّ صَـلاتي فيـه تَقْييـدُ

وأنْشَـقُ العِطْرَ في الأحـلامِ وارفـةً كأنَّهـا مـن رِضـاءِ اللّـهِ تأييـدُ

وأنْظِـمُ الحُـبَّ مـن قلْـبي مُعلَّقَـةً وإنْ سَـكتُّ فنَبْضُ القلْبِ توحيـدُ

أهـلاً بعيـدٍ رفيـقُ الحُـبِّ باركَـهُ وباركتْـهُ الأحاسـيسُ المواليـدُ

كأنَّمـا ليلـةُ القـدْرِ الّـتي سَـلفَتْ قـد أنجبتْهـا وسـوَّتْها التقاليـدُ

سـألتُ ربّـيَ إيحـاءً ألـوذُ بـهِ فـإنَّ عُمـريَ تفكـيرٌ وتَسـهيدُ

فقالَ لي الوحْيُ عِشْ للنّاسِ أجْمَعِهِمْ لـو أنَّ مُعْظَمَهُـمْ جـانٍ وعربيـدُ

واجعلْ من العيدِ مَبْداً يُسْتَعَزُّ بـه ففـي يديْـهِ إذا شـاؤوا المقاليـدُ

مَبْدا التَّطَلُّعِ للإصلاحِ يَشْـمَلُهم كمـا تَطلُّـعُ نحـوَ الواحـةِ البيـدُ

عيـدٌ أضـاءَ بـه الإسـلامُ أمثلـةً مـن الجَـلالِ، وفيـه النّـورُ تَغْريـدُ

عيدُ السَّلامِ وعيدُ الفطرِ قد جُمِعا مَدى العُصورِ، فإنَّ السِّلْمَ تَعييدُ

كـلُّ احتفـاءٍ بـه لِلسِّـلْم مَرْجِعُـهُ والسِّلْمُ كالحُبِّ لمْ يَعرِفْـهُ تحديـدُ

مَنْ يعشقِ السِّلْمَ حُرٌّ شامخٌ بَطَلٌ وعاشِقُ الحربِ رَغْمَ الزَّهْوِ رِعديدُ

فاسكُبْ علينا جمالاً أنْتَ مُبْدِعُـهُ يا عيدُ، وامْسَحْ دُموعَ الحُزْنِ يا عيدُ

وإنَّني باسمِكَ الميمونِ في فَرَحي أشْدو وأدْعو، كأنَّ الشدوَ تسديدُ

أدعو بلاداً أطالَ الجهلُ نومتَها حتّى تُفيقَ فـإنّ النـومَ تهديـدُ

وإنَّمـا أُمـمُ الإسـلامُ مَبْـدَؤُها عِلْـمٌ وسَـعْيٌ وإصـلاحٌ وتخليـدُ

فـإنْ تَفُتْهـا فمـا الإسـلامُ مِأْتُهـا وكُـلُّ مَـدْحٍ لهـا نَـوْحٌ وتعديـدُ

وإنْ تُسـابِقْ سِـواها في مَآثِرِهـا فلـنْ يُسـاوِرَها ظُلْـمٌ وتبديـدُ

وسـوف تُرْجَـعُ للإسـلام عِزَّتُـهُ كما تَسـامَى بهـا المـوْتى الصَّناديدُ

أيار/مايو ١٩٥٤

موائد حزيران

إنْ نـامَ أيّـارُ عَـنْ وَرْدٍ وُعِـدْتُ بِـهِ فَهَـلْ أنـالُ حُقـوقي مِـنْ حَزيـرانِ؟

إنَّ الـوُرودَ مَعـانٍ لـيسَ يَعْرِفُهـا إلاّ مُحِـبٌّ وإلاّ قلـبُ فنّـانِ

تَنـاوَبَ العِطْـرُ والألْـوانُ أمْثِلَـةً مِنَ النَّشيدِ لإحساسي ووِجْداني

وما غَنيتُ وحَوْلي مِنْ موائِدِها غُنْمٌ، ومِـنْ خَمْرِهـا ريٌّ لِظَمْـآنِ

أشمُّهـا إذْ أراهـا شِـعْرَ آلِهَـةٍ والعِطْرُ كالشِّعْرِ في اسْتِهْواءِ إنْسانِ

عَـرائسُ الزَّهْـرِ فاقَـتْ في مُنافَسَـةٍ عـرائسَ النّـاسِ في حُسْنٍ وألْـوانِ

أحنـو عليهـا كَـأنّي عاشِـقٌ وأبٌ أو أنَّهـا خُلِقَـتْ مِـنْ قَلْبيَ الحـاني!

يومُ العَلَم

الرابع عشر من حزيران/يونيه منذ ١٨٩٧ هو يوم العَلَم في أميركا، يوم الذكريات الوطنية المجيدة دفاعاً عن الحريات العامة وحقوق الإنسان..

حُيِّيـتَ يـا يـومَ العَلَـمْ يـا مَـنْ تـألَّقَ بالشَّـمَمْ

يـا مُسْـتَعِزّاً بـالنُّجومِ تَبَسَّـمَتْ لِمَـنِ ابتسَـمْ

يـا مَـنْ تَـدَفَّقَ بالحيـاةِ كأنَّهـا السَّـيْلُ العَـرِمْ

يـــا مَـــنْ يُـــذكّرنا بـــأنواعِ البُطولـــةِ والكَـــرَمْ

كيـــفَ الشـــجاعةُ والنّظـــامُ تآلفـــا بأســـاً أتَـــمْ

كيـــفَ السَّـــماحةُ بـــالنفوسِ أخَـــصُّ مـــا يـــبني الأُمَـــمْ

كيـــفَ التحـــرُّرُ والإخـــاءُ همـــا ذِراعـــا مَـــنْ حلَـــمْ

يـــا مَـــنْ تُرفْـــرفُ فيـــهِ آمـــالٌ تُغَـــذّي مَـــنْ حكَـــمْ

يـــا مَـــنْ تَســـيرُ بـــه المواكـــبُ كالقصـــائِدِ والـــنَّغَمْ

يـــا مَـــنْ حَـــديثُ شِـــعارِه، فـــوقَ المـــواعظِ والقَلَـــمْ

يـــا مَـــنْ تَنـــالُ رُمـــوزُهُ، مِـــنْ كـــلّ جبّـــارٍ ظَلَـــمْ

يـــا مَـــنْ بـــه التـــاريخُ يَشـــمخُ فـــوقَ مَبْنـــاهُ الأشَـــمّ

يـــا مَـــنْ تضـــمَّخَ بالـــدموعِ وبالـــدماءِ بـــلا نَـــدَمْ

يـــا مَـــنْ حَبَتْـــه التضـــحياتُ بكـــلّ مجـــدٍ يُغْتَـــنَمْ

يـــا مَـــنْ تَســـاوَتْ فيـــه أفـــراحُ البريّـــةِ والألمْ

يـــا مَـــنْ تَقَـــدَّسَ كـــلُّ مـــا فيـــه وَنـــوَّرَ والتـــأمْ

أشـــرقْ علـــى الـــدنيا شـــعارَ غـــدٍ أبـــيٍّ لم يَـــنَمْ

يَسْـــمو بـــه الإنســـانُ فـــوقَ صَـــغارِه، فـــوقَ العَـــدَمْ

ويَـــرى الحقيقـــةَ كَنْـــزَهُ والسَّـــلْمَ أشـــرفَ مُغْتَـــنَمْ

لا أنْ يُنـــالَ لِتُرَّهـــاتٍ هُـــنَّ نِعمَـــةُ مَـــنْ وَهَـــمْ

مـــا أجـــدرَ الإنســـانَ باســـتعلائِهِ فـــوقَ الـــرِّمَمْ

إنّ التنـــازعَ والحـــروبَ مَماتُـــهُ مهمـــا اعتصَـــمْ

والمـــوتُ لا يُحيـــي ولا يُجْـــدي ولـــو ســـكنَ الهَـــرَمْ

فَـــدُمِ المُـــذكّرَ للأُمَـــمْ وانشـــرْ عِظاتِـــكَ يـــا عَلَـــمْ!

١٧ حزيران/يونيو ١٩٥٤

أصدقائي

لــي قِلَّــةٌ في الأصْــدِقاءِ حَسَــبْتُهم فَــوْقَ الجَــواهِرِ لِلْبَخيــلِ المُعْــدِمِ
لم يَنْظُــروا يَوْمــاً إلــيَّ بريبَــةٍ[1] بَــلْ بَجّلــونِي كــالنَّبيِّ المُلْهَــمِ
مِـنْهُمْ قَبَسْـتُ أشِـعَّتِي، وإليْهمـو عــادَتْ مَفاخِرُهــا، وعُــدْتُ إلــيْهِمِ
دارَ الزَّمــانُ ولم يَـدوروا حَوْلَــهُ وتَجَمَّعــوا حَــوْلي وَحَــوْلَ تَــألُّمي
خَلَقوا ليَ الأفْراحَ مِنْ صُلْبِ الأسى حَتّــى كَــأنَّ الكارثــاتِ تَنَعُّمــي
لا مِنْهُمــو مَــنْ بــاعَ كَنْــزَ مَــوَدَّتي وكَأنَّــه قــد بــاعَ عِرْضــي أو دَمــي
تَخِــذَ[2] النِّفــاقَ طَعامَــهُ وشَــرابَهُ والكَيْــدَ مِهْنَتَــهُ، وبــارَكَ مــأْتَمي
ومَضَــى يَمُــنُّ عَلَــيَّ بَعْــدَ نِكايَــةٍ مــا لِلنِّكايــةِ غَيْــرُ فَــرْطِ تَبَسُّــمي
إنّــي امْــرُؤٌ أحْيــا لأنَّ عَقيــدتي تَحْيــا، ولَسْـتُ بِمَنْ يُـدَنِّسُ مِرْقَمـي
ولأنَّــني فــوقَ الظُّنــونِ، وَمبْــدَئي مــا كــانَ لِلرّاضــينَ أو لِلّــوَّمِ
وإذا طُعِنْــتُ مِــنَ الّــذي أحْبَبْتُــهُ فَعَلَــيَّ وِزْري، لا عَرَفْــتُ تَنَــدُّمي
دُنْيــا سَــأقْطَعُها بِغَيْــرِ تَــرَحُّمٍ مِنْهــا، ولم أبْخَــلْ لهــا بِتَرحُّمــي!
يــا مَــنْ يَعــيشُ مُشــاغِباً، وحَياتُــه خُــدَعٌ علــى خُــدَعٍ[3]، وَجَــمُّ تَــوَهُّمِ
لا تَحْسَــبَنّي بَعْــدَ غَــدْرِكَ وامِقــاً إنَّ المَحَبَّـــةَ لا تَكــونُ لأرْقَــمِ
إنْ كــانَ أعْمــاني تَــوَدُّدُ مــاكِرٍ مُتَفَــنِّنٍ، أوْ ســاحِرٍ مُتَــرَنِّمِ
فــالحَقُّ يَــأبى أن أضَــيِّعَ رَحْمَــتي والعَـدْلُ يـأبى أن أُضَـلَّلَ كـالعَمي!

١٩ حزيران/يونيو ١٩٥٤

[1] الريبة: الشك؛ (و.ف).
[2] تخذ: اتخذ؛ (و.ف).
[3] خُدَعٌ: جميع خُدعَةٍ، كظلمةٍ وظلم، والخُدْعَةُ هي الخِداعُ.

أعياد حزيران

في شهر حزيران/يونيه من عام ١٨٦٨ أدخل التعديل الخامس عشر على الدستور الأميركي ضامناً نهائياً الحريات الشعبية الشاملة، وفي حزيران/يونيه من عام ١٩٥٢ أعلنت الجمهورية المصرية

طوبى ومَرْحى إذا الأحْرارُ جَمَّعَهُمْ ... عيدٌ، وألَّفَهُمْ تحريرُ إنسانِ

لا مَجْدَ لِلأرْضِ إنْ دَبَّ العَبيدُ بها ... وإنْ تُسَخَّرْ لأصنامٍ وأوثانِ

إنْ أَطْلَعَ الوَرْدَ هذا الشَّهْرُ مُزْدَهياً ... فإنَّ أجمَلَهُ تحريرُ عُبْدانِ

العالَمُ الحُرُّ حَيّاهُ ومَجَّدَهُ ... وَحَفَّهُ بتراتيلٍ وقرآنِ

فاقَتْ بإخلاصِها الواعي ورَهْبَتِها ... آيَ التَّبَتُّلِ في تَسبيحِ رُهبانِ

إنَّ الأُخُوَّةَ للإنسانِ حِلْيَتُهُ ... قَبْلَ التَّضَلُّعِ من دينٍ وعِرْفانِ

إنَّ التَّحَرُّرَ للإنسانِ عِزَّتُهُ ... قبلَ الجَلالةِ من مُلْكٍ وسُلطانِ

إنّ المُساواةَ للإنسانِ قيمتُهُ ... قبلَ انتسابٍ لأجدادٍ وأوطانِ

في مِثْلِ ذا اليومِ ثارَ الحقُّ ثورتَه ... شَوْقاً لِفكّ قيودِ البائِسِ العاني

فأصبَحَ الحقُّ بالجُمهورِ مُنْدَمِجاً ... مِنْ بَعْدِ ما كانَ إرثَ الباطشِ الجاني

فأيّ نَجْوى إذَنْ تُرْجى لروعتِهِ ... أجلُّ من شُكْرِ أرواحٍ وأبدانِ؟

ومِنْ إطاعتِهِ، لا طوعَ عُمْيانِ، ... بلْ طَوْعَ ذي بَصَرٍ حُرٍّ وإيمانِ؟

في كلِّ عامٍ نُحَيّي عيدَه شَغَفاً ... كالفَيْضِ في شوقِ أنهارٍ وغُدرانِ

لَدُنْ يُجَدّدُ أرواحاً لنا فَنِيَتْ ... من الكفاحِ ومن ظُلْمٍ وبُهتانِ

أُنْسيتُ نيسانَ إذْ ماتَ الرَّبيعُ به ... لَمّا لَثَمْتُ الأماني في حَزيرانِ

كأنَّما خُلِقَتْ من نَوْحِ أفئدةٍ ... كالنّورِ يُخْلَقُ من تَسْعيرِ نيرانِ

أو أنَّها بَعْدَ جَدْبٍ شِبْهُ فاكهةٍ ... تألَّقَتْ طِفْلَةً في حِضْنِ بُسْتانِ

نَحْنو عليْها ونَرْجو أن تُزامِلَنا ... مَعَ الحَياةِ لأزمانٍ وأزمانِ

وأنْ تَعُـمَّ شُـعوبَ النّـاسِ قاطبـةً مثـلَ الهـواءِ ومثـلَ النّـورِ في آنِ
بوركتَ يا عيدُ، ما أحياكَ أحياني ودُمْتَ يا عيدُ ذِكرى كُلِّ إنسانِ!

منـزلي

وَلـي مَنْـزِلٌ لَقَنْتُـهُ سِـرَّ عُـزْلَتي فَبارَكَهـا، ثُـمَّ اسْـتَحالَ شِـعارا
وَمَـدَّ لَفيـفَ الكَـرْمِ حتّـى رأيتُـهُ سَـتائرَ غَنَّتْهـا الظّـلالُ مِـرارا
وحَفَّـتْ بـه الأشـجارُ مِلءَ حُنوِّهـا تُخَبِّئُـهُ مهمـا أطَـلَّ جَهـارا
كـأنَّ لهـا فيـهِ كُنـوزاً ثمينـةً وليسـتْ سِوى حُبّـي لهنّ تـوارى
فيا مُسْتَحَمَّ الطَّير[1] إنْ تُفْشِ سِرَّنا عَـذَرْتُكَ، كَـمْ طـيرٍ لـديكَ تَبـارى
وأيُّ خَفـاءٍ نَسـتطيعُ وهـذه حُلِيُّـكَ تَعْلـو في الهـواءِ نِثـارا؟
وحانَ كُسوفُ الشَّمْسِ لكنّما أبي لها الطّيرُ عُذراً حـين حـطَّ وطارا
وراح يعـبُّ المـاءَ سـكرانَ بـالهوى كما عَبَّ في عيدِ الربيع سُكارى
تَنَوّعـتِ الأحجـامُ مـن كـلِّ صِبغةٍ جـواهرَ أو كـالنور رفَّ وثـارا
وبعثـرتِ المـاءَ الضّـحوكَ للَهْوِهـا فردَّتْـه مجنونـاً فطـار شـرارا
فيـا شمسُ غيبي أو أطِلّـي فإنّنـا نَـرى ضَـوْءَكِ الوهّـاجَ كـانَ مُعـارا
وقـد وحَّـدَتْنا في تصـوُّفِنا مُنـىً تَفـيضُ ضـياءً في القلـوبِ ونـارا

٣٠ حزيران/يونيه ١٩٥٤

---

[1] النافورة التي يستحمّ فيها الطير بحديقة الشاعر فيعرض منظراً جدّ شائق بألوانه ورياضته.

يوم المعاد[1]

عيد الثورة المصرية

لم يَنْهَضِ الظُّلْمُ في يومٍ بإنسانِ ... فالظُّلْمُ والموتُ للإنسانِ سِيّانِ

وليس يُعْرَفُ عيدٌ في جَلالتهِ ... أجَلُّ مِنْ عيدِ تَحريرٍ لإنسانِ

فكيفَ بالعيدِ أحيا أمّةً رزَحَتْ ... تحتَ البَلاعَيْنِ مِنْ جَهْلٍ وَطُغْيانِ

كأنَّما كُلُّ ماضيها الّذي حَفَلَتْ ... بهِ الشُّعوبُ خُرافاتٌ لِسَكْرانِ

فلا هياكلُ أخناتونَ قدْ نَهَضَتْ ... على ثَراها، ولا تَوْحيدُ أديانِ

وليسَ أُحْمُسُ مَنْسوباً لِوَثْبَتِها ... ولا تَجَلَّتْ بها آياتُ عِرْفانِ

ولاَ تَهادى بها التّمْدينُ مُنْبَسِطاً ... والنّيلَ ما بينَ إحْياءٍ وإحْسانِ

وَلا تَهافَتَ مَنْ راموا مَوَدَّتَها ... على مَنائِرَ جازَتْ كُلَّ حُسْبانِ

شَأى الغُزاةُ فُنوناً مِنْ مَآثِرِها ... فما استطاعوا وأعْطَتْ كُلَّ فَنّانِ

وأوْغَلوا فَتَواروْا في مَقابِرِها ... تَواريَ السَّيْلِ في أعْماقِ كُثْبانِ

كأنَّما الفاطميّون الألى ابتدَعوا ... لها الحَضارةَ كانوا أهْلَ بُهْتانِ

كأنَّما الأزهرُ المَعْمورُ فارقَها ... وبيعَ سُكّانُها في سوقِ عُبْدانِ

كأنَّما كُلُّ ما أعْطَتْ وما خَلَقَتْ ... لَغْوٌ، ويَصْدُقُ فيهِ الحاقدُ الشّاني

مَنْ شَوَّهَ المَجْدَ حتّى صار مَنْقَصَةً ... وأفسدَ الحَقَّ حتّى صارَ كالجاني؟

لا شَيْءَ غَيْرُ عُتوِّ الظُّلْمِ دانَ لهُ ... مَنْ لا يَدينُ لأصْنامٍ وأوثانِ

كأنَّما أنكرَ الأديانَ أجْمَعَها ... مَنْ قَدَّسوها، فهانَتْ دونَ أثْمانِ

وباتَ كافورَ مَنْ كُنّا نُرَجّبُهُ ... وإنْ يكُنْ في أديمٍ أبيضٍ قاني

مَنْ سَخَّرَ الدّينَ عَبْداً في فَضائِحهِ ... ولمْ يَزَلْ خَصْمَ إنجيلٍ وقُرآنِ

---

[1] أذيعت هذه القصيدة من محطة صوت أميركا في الثالث والعشرين من تموز/يوليو ١٩٥٤.

مَن داسَ فوقَ رِقابِ الناسِ أجمعِهِمْ ... كأنَّهم حَشَراتٌ مَوْتُها داني
إلاّ فَريقاً مِنَ الأحْرارِ قد عَمِلوا ... لِلثَّأرِ ما بَيْنَ تشريدٍ وحِرمانِ
واستعذَبوا النَّفْيَ رغمَ البؤسِ يُرْهِقُهُمْ ... حتّى يُؤدّوا أماناتٍ لأوْطانِ
واسْتَمْرَؤوا الموتَ مِمَّنْ راحَ يَسْحَقُهُمْ ... كأنَّهم حَشَراتٌ مَوْتُها داني
واستُشْهِدوا في سَبيلِ النُّبلِ ليسَ لَهُمْ ... هَمٌّ يَمُتُّ لهذا العالَمِ الفاني
فِدىً لِمِصْرَ الّتي عَزَّ المَسيحُ بها ... طِفْلاً، وعادَ لها في دينِهِ السّاني
فِدىً لِمِصْرَ الّتي الإسلامُ باركَها ... كِنانَةِ اللّهِ ما دانَتْ لِكُفْرانِ
فِدىً لخيرِ مِثالِيّاتِها، وَفِدىً ... لجيلِها الواثِبِ المُستيقظِ الباني
حَتّى استجابَ لها الأحرارُ أجمعُهمْ ... والجَيشُ واحتَشَدوا في وَجْهِ شَيْطانِ
وخَرَّ مِنْ عَرْشِهِ المَنْهوكِ في وَجَلٍ ... كأنما هو مِنْ خوصٍ وعيدانِ
وراحَ شَرَّ طريدٍ مصرُ تَلْفُظُهُ ... لِلبحرِ مثلَ وَبيءٍ بينَ جِرْذانِ
يا ليتَ مِصْرَ الّتي قدْ خانَ نِعْمَتَها ... وارَتْهُ في إثْمِهِ مِنْ غَيْرِ أكْفانِ
وعلّها اليومَ في ذِكْرى لِثَوْرَتِها ... لا تَكْتَفي بازدراءٍ أو بِنِسْيانِ
فالحقُّ تأييدُه في كَفِّ إيمانِ ... والبَطْشُ تَبْديدُهُ في كَفِّ نيرانِ!

*****

تَمّوزُ يا شَهْرَ أعيادٍ مُحَجَّلَةٍ ... وكُلُّ عيدٍ لهُ عيدٌ لِوِجْداني
مَنْ لي بِزَوْرَةِ أوْطانٍ فُتِنْتُ بها ... وإنْ أكُنْ في رُبوعٍ مِثْلِ أوطاني
لأشْهَدَ الفَرْحَةَ العُظْمى وأنْشُرَها ... عِطْراً بشِعْرِيَ أو نوراً بألحاني
وأرسمَ اليومَ مَعْنى مَجْدِها الثّاني ... في فَخْمِ ألْوانِهِ لا فَخْمِ ألواني
وأرْقُبَ الكادحَ الفَلاّحَ مُمْتَلِكاً ... لأرْضِهِ، لا بَهيماً مِلْكَ أطيانِ
وأنْظُرَ المَجْلِسَ الشّوريَّ مُجْتَمِعاً ... في عِزَّةِ الحُرِّ لا في ذِلّةِ العاني
وكُلُّ أعْضائِهِ زانوا مَقاعِدَهُمْ ... كَما تَلألأُ أفكارٌ بأذْهانِ

قَدْ أقسَموا أنْ يَصونوا مِصرَ عنْ سَفَهٍ ... ويُبْلِغوهــا مكانــاً فــوقَ كيــوانِ

ويُســهِموا في حَضــاراتٍ مُنَوَّعَــةٍ ... لا في سَفاسِـفِ أوْهــامٍ وأضْـغانِ

وَيَجْعَلـوا الــدّينَ مَعْنــىً لا يُلَوِّنُــهُ ... إفْـكُ السِّياسـةِ أو تَسْـميمُ ثُعبانِ

إنْ كُنْتُ في البُعْدِ لم يَعْطِفْ سِوى حُلُمي ... علـى حَنيني، فهـذا الحُلْـمُ غُنْيـاني

أو كُنْتُ في البُعْدِ مَنْسيّاً فَما بَرِحَتْ ... روحي تُرَفْرِفُ في أصداءِ تَحْناني!

*****

أبْنـاءَ مِصْـرَ الّـتي تَسْمو مَناقِبُهـا ... فــوقَ الفَــراعينِ في تَقْـديرِ أزمــانِ

مِثْـلَ الجَـواهرِ زادَ العُمْـرُ قيمَتَهـا ... أو كـالنُّجومِ بِعُمْـرٍ جِـدٍّ نـوراني

اليــومَ مَبْــدَأُ عَهْــدٍ كُلُّــهُ هِمَـمٌ ... كـالنَّيِّراتِ أضـاءَتْ وَسـطَ إدْجـانِ

لا عُـذْرَ بَعْـدُ ليَـأسٍ قَـدْ يُسـاوِرُكُمْ ... فـإنّكمْ أهـلُ هـذا المَـوْطِنِ الحـاني

الجيشُ أنـتمْ وأنتمْ مِصْـرُ، لا مَلِـكٌ ... جـانٍ علـيكُم، ولا آثـامُ أعْـوانِ

وحَظُّكُـمْ بــينَ أعمــالٍ مُخَلَّــدةٍ ... وتَضْـحياتٍ لأبْطـالٍ وشُـجْعانِ

رِسـالَتي قَبْـلُ كانَـتْ في إثـارَتِكُمْ ... كَمـا يُثـارُ شـواظٌ طَـيَّ بُركـانِ

واليومَ غَنّى لكمْ شِعْري مَحامِدَكُمْ ... كَمـا تَغَنّـى بِنَفْحِ الزَّهْـرِ بُسْـتاني!

٢٣ تموز/يوليه سنة ١٩٥٤

الجـلاء[1]

الجَـلاءُ! الجَـلاءُ! رَدَّدَتِ الأصْـداءُ بُشْـرى، ويـا لَهـا اليـومَ بُشْـرى

لمْ يَقُلْهـا فَـرْدٌ ولا الجَـيْشُ والشَّـعْبُ، وَلكِـنْ كـلُّ الّـذي عُـدَّ مِصْـرا

[1] بعد اثنتَين وسبعينَ سنة من الاحتلال الأجنبي عقدَتْ مصرُ وبريطانيا اتفاقية الجَلاء واهتزَّ الأثيرُ بالنبأ العظيم الذي احتفتْ به مصرُ أروعَ احتفاءٍ، فاهتاجتْ قريحة شاعرنا على الفوْر لنظم هـذه الأبيـاتِ الوجدانيةِ الراقصةِ التي وَجَّهَ خاتِمتَها إلى أزهار الخُزامى المعدودةِ رَمْزاً لِمصرَ؛ وقدِ انتَظمتْ حديقتُهُ بعضَها.

مِـنْ ثَراهــا ومِـنْ سَـماها ومِـنْ كُـلِّ الّـذي أنْبَتَتْـهُ فَنّـاً وَفِكْـرا

في نَشـيدٍ مِثْـلِ المَـزاميرِ حَنْـوٍ رَنَّـحَ الأنبيـاءَ مِـنْ قَبْـلُ دَهْـرا

سَـمِعَتْهُ الآثـارُ فاهتـاجَ فيهـا عِـزَّةً والنخيـلُ فـاهتزَّ فَخْـرا

وتَهادى النّيـلُ الّـذي كـانَ مِـنْ قَبْـلُ أسـيراً إذْ أصْبَحَ اليـومَ حُـرّا

والحُماةُ الأبْطالُ مَنْ طَرَدوا الهِكْسوسَ أضْحى لَهُمْ فُتوحاً ونَصْرا

وجُيـوشُ الكُمـاةِ مِـنْ عَهْـدِ رَمْسـيسَ أطَلّـوا مُهَلِّلـينَ وسَـكْرى

مـا رَأتْهُـمْ عَـينٌ ولكـنْ رأتْهُـمْ مُهَـجٌ بالوَفـاءِ للأمْـسِ حَـرّى

وَرأتْهُـم أحْـلامُ جيـلٍ وجيـلٍ رَقَصَـتْ كالضّـياءِ لَحْنـاً وشِـعْرا

والخُزامـى الحييَّـةُ الّـتي مَثَّلَـتْ مصـرَ جَمـالاً وعَبَّـرَتْ عنـه عِطْـرا

أنْـتِ بَعْـضٌ منهـا نَزيلَـةَ بُسْـتاني، فَهَيّـا نُعَيِّـدِ اليـومَ جَهْـرا

ذاكَ دَمْعـي مِـنْ فَـرْحَتي نَثَرَتْـهُ مُهْجَـتي فارْشُـفيهِ حُبّـاً وشُـكْرا

إنْ نكُـنْ نَحْـنُ كـالغَريبَيْنِ لم نَبْـرَحْ بإيمانِهـا المُخَلَّـدِ أدْرى

غَمَرَتْنـا منهـا الحَيـاةُ علـى البُعْـدِ كـأنّ الأثـيرَ قَـدْ حـالَ غَمْـرا

فانْتَشَـيْنا، وكُـلُّ عيـدٍ سَيُنْسـى غَيْـرَ عيـدٍ لِفَـكِّ أسْـرى وأسْـرى!

٢٧ تموز/يوليه ١٩٥٤

عيد النّيروز[1]

ذِكْرى الأُباةِ ومَطْلَعَ الشُّهَداءِ ... هذا دُعاءُ المُفْلِحينَ دُعائي

عَبَّرْتُ عن أحرارِ مصرَ بِغُرْبَتي ... ولَرُبَّ ناءٍ كانَ غيرَ النّائي

وجَعَلْتُ تَبْريكي مُشاطِرَةً لها ... بعَواطِفي ومَدامِعي ورَجائي

في فرْحَةِ ألنّيلُ هَلَّلَ مِثْلَنا ... لِسَنائها واختصَّها بوفاءِ

أوْفى وحَوْضُ النيّلِ أصبحَ كُلُّه ... حُرّاً ففاضَ بِحُبِّهِ المِعْطاءِ

الحُسْنُ في نظراتهِ كالخِصْبِ في ... خَطَراتهِ، كالوَحْيِ لِلشُّعراء

مَرَّتْ عُهودُ الحاكمينَ بأمرِهِمْ ... واليومَ بَعْثُ الحَقّ والشُّهداءِ

مَنْ لم يُصَدِّقْني فذلكَ حَوْلَهُ ... جَمٌّ مِنَ الآياتِ والآلاءِ

الشَّعْبُ مَجَّدَها، وهذا جَيْشُهُ ... قد حاطَها بمَناعَةٍ وعلاءِ

أنّى نَظَرْتَ تَرى مَواكِبَ نُسِّقَتْ ... لِلْحُبِّ بينَ تَرنُّمٍ وضياءِ

وتَرى النّخيلَ على السَّماءِ زَواهياً ... فالنّيلُ فاقَ جَمالَ كُلِّ سَماءِ

تَتَألَّقُ الآمالُ فوقَ نُضارِهِ ... كَتَألُّقِ الأحْلامِ في الصَّحْراءِ

وتَرى جُموعَ الفالِحينَ تَعرَّفوا ... أقدارَهُمْ، فَغَدَوْا مِنَ الأُمراءِ

الفأسُ في يدِ كلِّ فَرْدٍ ماثِلٌ ... كالصَّولجانِ، وشامخٌ لِلرّائي

يا ليتَني في مصرَ ألْثِمُ تُربَها ... كالنّيلِ يَلْثِمُ شَطَّها بولاءِ

---

[1] النَّيروزُ هو بدايةُ السنة المصريةِ القديمة التي ما تَزالُ معمولاً بها لدى جَمْهَرَةِ الشّعْبِ المصريِّ أي الفلاحين، وتُعَدُّ أوَّلَ تقويمٍ شَمسي دقيقٍ في تاريخ العالم، وكنت مُتَّبعة حتّى بعدَ عهد محمد علي الكبير، إلى أن حلّتْ في مصر الرّقابةُ الأجنبيةُ. وفي سنة ٢٨٣ للميلاد وقتَ أنْ كانت مصرُ تحتَ حكم الرومانيين، وكانوا لا يزالون وثنيّين، بينما كان المصريون قد اعتنقوا الديانة المسيحية، اضطهدهم الأمبراطور إقلديانوسُ وسامهم العذابَ والقتلَ، واستشهدَ منهم عددٌ كبيرٌ جداً، ولذلك اعتبر الأقباطُ هذه السّنة سنةَ تاريخية، وصاروا يؤرّخونَ حوادثهم من ذلك الوقت وسموّها "سنة الشّهداء". وفي ١١ من أيلول/سبتمبر ١٩٥٤ تبتدئ سنة ١٦٧١ للشّهداء، ويكون دائماً الفرق ٢٨٣ سنة بين الميلادية والشّهداء. ويتّفق النيروز أو يكاد مع وفاء النّيل، ولذلك استوحاها الشّاعرُ كما استوحى أرواحَ الشهداء في هذه القصيدة الوطنية التي حيّا بها هذا العيد القومي.

حتّـى أُجَـدِّدَ مِـنْ غِنـى إكْسـيرِهِ	عُمْـري وَأرْشُـفَ نِعْمَـتي وروائـي
فرحـانَ كالطِّفْلِ الصَّغيرِ تَجَمَّعَتْ	كُـلُّ الكُنـوزِ لِصَـفْوِهِ في المـاءِ
لِـمَ لا ولِلنَّيْـروزِ رَوْعَـةُ سـاحرٍ	قـد جـالَ بـينَ عواطِفي ومَرائـي؟

*****

أبنـاءَ مِصـرَ المُخلصـينَ تَسـابَقوا	لأبيكُمـو المُعْتَـزِّ بالأبْنـاءِ
وخُـذوا هَديَّـةَ عيـدِهِ مـا نِلْتُمـو	مِـنْ نصْـفَةٍ وتَحَـرُّرٍ وإخـاءِ
حتّـى يُبارِكَهـا مُباركـةَ الهُـدى	فتَزيـدَ بـينَ سَـماحةٍ ونقـاءِ
وتَصـيرَ كالنّيـلِ العزيـزِ أبيكُمـو	قُدُسـاً تَنَـزَّهَ عـن هَـوىً وريـاءِ
العيـدُ هـذا! عيـدُ مِصْـرَ بِأسْـرِها	لا عيـدُ طائفـةٍ ولا أهْـواءِ
غَنّـى بـه الفَـلاّحُ مثـلَ زُروعِـهِ	ودُموعِـهِ في الحَقْـلِ والأنْـداءِ
يـا ليـتَ لـي في كـلِّ عـامٍ وقفـةً	كـالحَجِّ بينكُمـو، وليْـتَ ثـوائي
حتّـى أُنـافِسَ كُـلَّ حُـرٍّ مولَـعٍ	بالنّيـلِ، مبتـدِعاً فُنـونَ غِنـائي
وأُلقّـنَ الأحْفـادَ مـا لُقِّنْتُـهُ	مِـنْ قَبْـلُ مِـنْ سِـرٍّ لِفَـرْطِ إبـائي
لا يعـرفُ الأحـرارَ إلاّ مُسْـهِمٌ	في التَّضْـحياتِ وقـانِعٌ بِعَنـاءِ
فَلْتَحْـيَ يـا وَطَـني الأصـيلَ مُنَعَّمـاً	بِتَتـابُعِ الأعْيـادِ كالأضْـواءِ
ولْتَحْـيَ جُمْهوريّـةٌ أحْرَزْتَهـا	كالبَعْـثِ بَعْـدَ تَبَـدُّدٍ وفَنـاءِ
تَرْقى الشُّعوبُ على سَواعدِ أهْلِها	وتَهـونُ تَحْـتَ سَـنابِكِ الـدُّخَلاءِ

١٧ آب / أغسطس ١٩٥٤

باقة حبّ

وَدَّع بها الشاعرُ الدكتور عمادَ الدين إسماعيل الأُستاذ بمعهد التربية قُبيل عودته إلى مِصرَ في العشرين من آب/أغسطس ١٩٥٤، وضمَّنها تأميلهَ في شبابِ مصرَ الجديدةِ وحنينهُ إلى ربوع النيلِ

يا قاصداً مِصْرَ في زَهْوٍ وفي جَذَلٍ ... هُنِّئْتَ، ما مصرُ إلاّ أُمُّ أوطانِ

أُمُّ الحَضارةِ، ما كانَتْ طُفولَتُها ... إلاّ مَفاخِرَ فَنّانٍ وإنسانِ

لكُلِّ فردٍ بلادٌ يَستعزُّ بها ... ومِصْرُ، مهما استقَلَّ، الموطنُ الثاني

لها عُهودٌ على الدُّنيا موَثَّقَةٌ ... فطالَما حَبَتِ الدُّنيا بإحسانِ

أنتَ ابنُها البَرُّ لا تُنْسيكَ مَنزِلَةٌ ... حَقّاً عليْكَ، ولا كَرٌّ لأزْمانِ

ومَنْ يُعَدُّ عِماداً في تَخَصُّصِهِ ... وخالِقاً لِمَزايا جيلِها الباني

عَلِّمْ، وعَلِّمْ، فلا خيرٌ لأمّتنا ... إلاّ مِنَ العِلْمِ، إنَّ العِلْمَ نورانِ

والثِمْ ثَرى مصرَ عَنّي راكِعاً شَغَفاً ... وخُذْ فؤاديَ عَنّي بَعْضَ قُرباني

عِلْمٌ كَعِلْمِكَ غذّاني وأحياني ... كَذاكَ خُلْقُكَ يَوْمَ اليَأْسِ أحْياني

وما أقولُ "وَداعاً" بلْ أقولُ "عُلىً" ... في مَوْطِنِ الشَّمْسِ ناجاني وناداني

يا مَنْ تَواضُعُهُ عُنْوانُ حِكْمَتِهِ ... وقَدْرُهُ فوقَ تقْديرٍ وعُنْوانِ

ومَنْ شُغِلْتُ طَويلاً عَنْ مجالِسِهِ ... لأنْتَ أدنى إلى قَلْبي مِنَ الدّاني

عَهْدٌ عليكَ: شَبابُ النّيلِ تُرْشِدُهُمْ ... لِلْحَقّ إنْ خانَهُمْ تَدْجيلُ شَيْطانِ

إنَّ الشَّجاعةَ أسْمى ما اتَّصَفْتَ بِهِ ... فاصْدَعْ بها الباطِلَ المُسْتَأْسِدَ الجاني

لا خيرَ في العِلْمِ صارَ الجُبْنُ سَيِّدَهُ ... فالعِلْمُ بالعلمِ يَرْقى دونَ سُلْطانِ

هذي تَحيَّةُ مَهْجورٍ ومُغْتَرِبٍ ... وباقَةٌ مِنْ أحاسيسي وألحاني

لم ألْقَ غيرَكَ مَوْهوباً ليَرْفَعَها ... لمصرَ حينَ وفاءُ النّيلِ ناجاني

ولمْ أجِدْ نابغاً أوْلى بتَكْرِمَتي ... ولا مِثاليَّةً أوْلى بإيماني

فَعِشْ لقوْمِكَ، بَلْ للنّاسِ أجمعِهِمْ ... وعُدْ لِقَوْمِكَ ذُخْراً ليس بالفاني

وداع فرحات زيادة

ألقى الشاعرُ هذه القصيدة شبه الارتجاليّة في حفلة توديع الأستاذ الأديب فرحات زيادة الذي استقال من إذاعة صوت أميركا في أيلول/سبتمبر سنة ١٩٥٤ ليتفرّغ لتعليم العربيّة في جامعة برنستن

قـالوا لنـا: فَرحـاتٌ سـوف يَتركُنـا ... فقلْـتُ: يـا قـومُ! جـاءَ الهَـمُّ والكَـدَرُ!

مَـنْ ذا سِـواهُ خَليـقٌ أن يودّبَنـا ... وأن يُعَلّمَنـا مـا الخُبْـرُ والخَبَـرُ؟

ومـا "الجِرامَـرُ" أَلْغـازاً وأُحْجيـةً ... والفَرْقُ مـا بـينَ عَمْرٍو قال أو عُمَرُ؟

هيهـاتَ! هيهـاتَ! لم يَبْلُـغْ مكانَتَـهُ ... إلاّ حبيـبٌ[1]، فكـمْ عَـزَّتْ لَـهُ سـوَرٌ

ويـا لَـهُ "سَـيّداً للخلـقِ" نَعْبُـدُهُ ... كأنَّـه الصَّـنَمُ العُـزّى أو الحَجَـرُ

ولَسْـتُ أُنكِـرُ أنَّ الدِّسْـكَ[2] زيّنَـهُ ... "الشَّـمْسُ" والرائـعُ "المرّيخُ" و"القَمَـرُ"[3]

ثلاثَـةٌ فرحـاتٌ راحَ يَخْلُقُهُـمْ ... مِنْ بَعْدِ ما فَرِحوا بالموتِ أو قُبِروا!

يـا راحـلاً وَلَـهُ في ذِكْرِنـا أثَـرٌ ... بورِكْـتَ كـمْ حاضـرٍ لم يُبْقِـهُ أثَـرُ

إلى مَبـاءَةِ دَرْسٍ أنـتَ تَعْشَـقُهُ ... ونحـنُ نَـدْرُسُ في قَـيْظٍ ونُحْتَضَـرُ

عَلِّـمْ، وعَلِّـمْ، وأنْجِـبْ كُـلَّ نافِعَـةٍ ... فلـيسَ يَخْلُـدُ إلاّ العِلْـمُ والفِكَـرُ

واسْـعَدْ بِـدُنْياكَ في بَحْـثٍ وفي كُتُـبٍ ... إنْ كانَ يُسْعِدُ مَنْ لم تُرْضِهِ الهَذَرُ!

أيلول/سبتمبر ١٩٥٤

---

[1] يعني القسمَ العربيّ في الإذاعة.

[2] هو الأديبُ الرَّصينُ حبيب مصابني، عُضو القسم العربي في إذاعة "صوت أميركا" وهو ينافس الأستاذ فرحات زيادة في وسامة البنية وفي الطموح ويتميّز عنه بشكوى الزّمان، وممّا اشتهر فيه قول صديقه الشاعر المتفكّه في عيد الأضحى (على لسان الأستاذ حبيب):

أيـا كـبشَ الفِـداء فـدتْكَ نفسـي ... فـإنّي ذلـك الكـبشُ الكئيـبُ

يُرقّى الناسُ في voice of America ... ويَرْقـى فـوقَ خـازوقٍ حَبيـبُ!

[3] ثلاثة آخرون من زملاء الشاعر في الإذاعة.

يوم العمل

عَرفناكَ يا يومُ عيدَ الحَياةِ، فإنَّ الحياةَ لمن يَعْمَلُ
كَذا عَلِمَتْ عِلْمَنا الكائناتُ وأسمى الكواكبِ والمِنْجَلُ
وفي الحَركاتِ صَميمُ الحَياةِ، إذا فاتَها الميّتُ المُهْمَلُ
فَثِبْ حَوْلَنا راقِصاً ضاحِكاً أيا عيدُ واحْفِلْ كَما نَحْفِلُ
فهذي الجُموعُ شُهودُ الكِفاحِ، رُموزُ السَّلامِ الّذي يُؤْمَلُ
لها العَمَلُ المُسْتَعِزُّ الشّعارُ، وإيمانُها: المَعْبَدُ المَعْمَلُ
فَفيهِ الإخاءُ وفيهِ الرّخاءُ وفيهِ الحَضارةُ تُسْتَكْمَلُ
وفي كلِّ عامٍ لنا وَقْفَةٌ تُذَكّرُ بالحَجِّ أو مَحْفِلُ
نُحاسِبُ أنفُسَنا بينَما يُداعِبُنا المُقْبِلُ الأمْثَلُ
يَرى أنَّنا أُمَّةٌ لا تَنامُ على الضَّيْمِ أو قَدْرُها يُغْفَلُ
تَساوَتْ بها فُرَصُ العاملينَ ومنْها البَطالَةُ تُسْتَأصَلُ
وفيها التكافُؤُ أسمى المظاهِرِ والعَمَلُ المُثمرُ الأجْمَلُ
ومَنْ كانَ يَعْمَلُ فهو الأميرُ، ولا هكذا مُتْرَفٌ يَهْزِلُ
فيا عيدُ يا مَنْ سَبَقْتَ الخريفَ بِعَهْدِ الرَّبيعِ الّذي تَحْمِلُ
وَفيكَ الهُدوءُ وفيك التجدُّدُ والحزمُ والعزمُ والمَوْئِلُ
تَدَفَّقْ غِناءً، تَدَفَّقْ مَظاهرَ لِلصَّفْوِ والحُبِّ تُسْتَأهَلُ
فإنّا رُعاةُ حُقوقِ الشعوبِ ولو بينَها المُرْهَقُ الأعْزَلُ
وما هي إلاّ سنونٌ تُعَدُّ فَيَسْجُدُ للحقِّ مَنْ ضَلّلوا!
نَعيشُ بعَصْرٍ لَه ثَوْرَةٌ على الضعفِ والجهلِ لا تُجْهَلُ
فيا أُمَمَ الشرق لا تيأسي فما عَزَّ دونَكِ مستقبلُ

هَلُمّـي مُجَنَّحَـةً بـالعُلومِ إلى الشـمسِ فالشّـمسُ لا تَنْـزِلُ
هَلُمّـي مُحَصَّـنةً بالعَدالـةِ للمجـدِ، فالمجـدُ لا يُبْـذَلُ
وحَسْـبُكِ مَوعظـةً يـومُ عيـدٍ تَسـاوى بـه النـاسُ واسـتأهلوا

*****

وسـوئِلْتُ أيـنَ قَصيدي المُحيّـي؟ ومـا مِثْـلُ شِـعريَ مـا يُسْـأَلُ
تَـدَفّقَ كـالنَّبعِ فـوقَ الصَّـفاةِ إذا النبـعُ غازلَـهُ البلبـلُ
ففـي كُـلِّ مَـرْأىً حيـالي نَشـيدٌ وأهونُـهُ مـا شَـدا الجـدولُ
وأعظمُـهُ مـا حكـاهُ الأنـامُ قَصـائدَ كالحُـبِّ لا تَـذْبُلُ
فيـا عيـدُ فِـضْ بالأمـاني الحِسـانِ فـإنَّ الأمـانيَّ لا تُمْهَـلُ
ويـا عيـدُ رَتِّـلْ أحَـبَّ الأغـاني، أغـانيَ للحـقِّ لا تُغْفَـلُ!

أيلول/سبتمبر ١٩٥٤

وداع نيويورك

أُضَحّي بِتَرْحالي، ومِثْلِيَ مَنْ ضَحّى ... إذا الواجبُ المَحْتومُ ناشَدَ أوْ أوْحى
وهيهاتَ أن أنسى خُشوعيَ لاثِماً ... ثَراك، كأنّي مُذْنِبٌ يَطْلُبُ الصَّفْحا
لَدُنْ جُزْتُ آلافَ الفَراسخِ ساخِطاً ... على الظُّلْمِ والظُّلاّمِ، أُشْبِعُهُمْ قَدْحا
وهانَ لَدَيَّ الصّيتُ والجاهُ والغِنى ... فَمِنْ غَيرِها قَلْبي تَنَسَّم واسْتَوْحى
وقَدْ كُنْتِ لي بَيْتاً ومِنْبَرَ دَعْوَةٍ ... كَما كُنْتِ لي نوراً شَأى صُبْحُهُ الصُّبْحا
سنونٌ ثَمانٍ أو تَزيدُ عَرفْتُها ... كأنَّ لها مِنْ ألفِ ليلةَ مُسْتَوْحى
عَجائبُ مِنْ صُنْعِ الحَضارةِ جاوزَتْ ... تَهاويلَ مَنْ خالوا عجائبَها مَزْحا
وقد ضاقَ ذَرْعاً مَنْ سَلَبْتِ نُعاسَهُمْ ... فَلَيْلُكِ نورٌ مثلَ عِلْمِكِ لا يُمْحى

ولكـنَّني آنسْـتُ فيـكِ سَـعادَتي ... ولم أنْسَ تَرْحيباً طَلَعْتِ بـه مَنْحـا

كـأنّيَ مـن أهْليكِ بـلْ مِـنْ عُيونِهمْ ... فـأمْطَرْتِني حُبّاً، وجَدَّدْتِ لـي نَقْحـا

فأنجبْـتُ آثـاري الرَّوائـعُ مِثْلَمـا ... تَجـاوبَ نحـلٌ والبَسـاتينَ والطَّلْحـا

ولـيسَ الأُلى خـالوكِ مَحْضَ جَهامَةٍ ... بِمَـنْ عَرَفـوا مَجْلـىً لِحُسْنِكِ أو مَنْحـى

مُعَلِّمَـةَ الأحْـرارِ كيـفَ صُـمودُهُمْ ... وجاعلـةً أحْلامهـم كُـلَّ مـا صَـحّا

يُـؤَرِّقُ بُعْـدي عنْـكِ حَتّـى كـأنَّني ... إلى النَّفْـي أمْضـي، لا إلى جَنَّـةٍ فيْحـا

فإنْ عِشْتُ في نُعْمى فلا زِلْتِ كعبةً ... تُـزَوِّدُ بالإيمـانِ مُهْجَـتي الفَرْحـى

تَعَـوَّدْتِ مَـدْحَ الوافِـدينَ وقَـدْحَهُمْ ... جُزافـاً، ولكنّـي وَزَنْـتُ لـكِ المَـدْحا

وقـدْ صُـغْته حتّـى كـأنَّ عـواطِفي ... سَـكَنَّ بـه، أو أنَّـهُ آيَـتي الفُصْـحى

تَمثَّـلَ حُبّـاً بالغِـاً، وأمانيـاً ... أضَـعْتُ، وسَفْحاً من دُموعيَ أو جُرْحـا

وقدْ تُتْرَكُ الأمْصارُ، لا عَنْ تَجَنُّبٍ ... ولا عـنْ سُـلوٍّ، شـأْنَ مَـنْ يَنْشُدُ الرِّبْحـا

ولكنْ بِحُكْمِ الحَظِّ، فـالحظُّ كـالوَغى ... وفي عُنْفِها الهيجاءُ قدْ تَلِدُ الصُّلْحا

وتَرْكُـكِ أدْنـى للهَزيمَـةِ بعْـدَما ... بَلَغْـتُ بِـكِ النَّصْـرَ المُكَلَّـلَ والفَتْحـا

فهـل تُرْجِـعُ الأيّـامُ أيّـامَ أُنْسِـنا ... ولـو في قَصـيٍّ رُبَّمـا شِمْتُهُ لَمْحـا؟

إذَنْ مـا أُبـالي بالمَسـافاتِ أسْـرَفَتْ ... عَوازِلَ، أو بالدَّهْرِ ضـايقَني نُصْحـا

وسوفَ أُضَحّي الهَمَّ ذَبْحاً بلا ونىً ... وأكْفَـرُهُ أوْلى بإنهائِـهِ ذَبْحـا!

*****

فيـا مَجْمَـعَ الأحْـرارِ مِـنْ كـلِّ أُمَّـةٍ ... تَعـالَيْ بـلا حَصْرٍ، ولا تَسْأمي كَدْحا

وَخَلّـي وَداعـي لا لِصَـرْحٍ أقَمْتِـهِ ... ولكـنْ لِروحٍ فيكِ قَدْ جـاوَزَ الصَّرْحا

لَـئِنْ شَـرَّدَتْني عَـنْ مَعاليـكِ حَيْرَتـي ... ورِزْقـي، فَقَلْبـي عـالِقٌ بِكِ أو أضْحى!

١٠ أيلول/سبتمبر ١٩٥٤

فلسفتي[1]

شَربْتُ فَلسفتي مِنْ نَبْعِ آلامي ... وقَبْلَها عَبَّ مِنْهُ قَلْبيَ الدّامي

وما بَرِحْتُ أُغَنّي زاخِراً أبَداً ... كأنَّ آلامَ قَلْبي لَسْنَ آلامي

كأنَّ دَمعي أناشيدٌ قدِ احْتَبَسَتْ ... حتّى تُراقَ على قُدْسيٍّ أنْغامِ

أنَّ المَسيحُ قُبَيْلَ الصَّلْبِ مِنْ حَرَقٍ ... كما أُعاني تَباريحي وإعْدامي

وإنْ حُسِدتُ، كأنَّ البُؤْسَ لي شَرَفٌ ... وكُلَّ أهْلِ الغِنى في البُؤْسِ خُدّامي

أنا الضَّعيفُ، ولكنّي العَتيُّ على ... نَفْسي، إذا النَّفْسُ لم تَعْبَأْ بأحكامي

إيّاكِ إيّاكِ يا نَفْسي مُهادَنَةً ... لِلظُّلْمِ، أو فاقْبَعي في سِجْنِ ظُلّامِ

مَعْنى الحَياةِ ابتِسامٌ لا يُفارِقُها ... وإنْ أُحيطَتْ بِجَدْبٍ غَيْرِ بَسّامِ

وهلْ أكونُ سِوى رَمْزٍ تَضِنُّ بهِ ... على الفَناءِ وإنْ أفْنَيْتُ أعْوامي؟

عابوا الحَقيقةَ في شِعْري، وما سَكَنَتْ ... سِوى الحَقيقةِ أسْمى شِعْريَ السّامي

ما سَفَّ يَوْماً، وإنْ يَجْهَلْهُ مَنْ جَهِلوا ... أنَّ الحياةَ تَعالَتْ فوقَ أحْلامِ

وأنَّ وَجْدي وتَفْكيري وفَلْسَفَتي ... لَيْسَتْ سِوى مُثُلٍ مِنْ فَنِّ رَسّامِ

ذاقَ الخُلودَ بألْوانٍ مُجَنَّحَةٍ ... فَوْقَ النُّجومِ وفي ألْوانِ آكامِ

كُلُّ الطَّبيعَةِ مَعْبودٌ لِمُهْجَتِهِ ... تَشَكَّلَتْ حَوْلَ أطْيافٍ وإلْهامِ

تَمْتَدُّ خَفّاقَةً لا حَدَّ يَحْصُرُها ... كخَفْقِ قَلْبي على إحْساسيَ النّامي

أنا ابْنُها، لا يَنالُ الدَّهْرُ مِنْ أثَري ... ولَمْ يَنَلْ قَبْلُ مِنْ نورٍ وأجْرامِ

كَمْ مِنْ صَغيرٍ تَرَدّى، في حَقارتِهِ ... لِلنّاسِ، وهْوَ جَليلٌ شامخٌ سامِ

---

[1] ودَّعَ الشاعرُ نيويورك بهذه القصيدة قُبَيْلَ انتقالهِ إلى واشنطن العاصمة الأميركية في منتصف أيلول/سبتمبر سنة ١٩٥٤. وفي هذه القصيدة يُشير إلى استقباله نيويورك في بَدْءِ هجرته إلى أميركا سنة ١٩٤٦، وقد عبَّر عنه في قصيدة تضمنها ديوانه المهجريّ الأوّلُ الموسومُ من السَّماء.
(وقد صدر الديوان المذكور في العام ١٩٤٨ عن مطبعة جريدة الهدى، نيويورك، في ١٦٠ صفحة متضمناً ما نشره أبو شادي بين ١٩٤٢ و ١٩٤٧ وهو بين مصر ونيويورك؛ و.ف).

كالبَـذْرِ أو قَطْـرَةٍ للبَحْـرِ شـارِدَةٍ
هـيَ الوُجـودُ تَناهَـتْ فـوق أنْسـامِ

وَعَيْتُهـا في خَيـالي، فَهْـيَ فَلْسَـفَتي
وإنْ تَعِـزَّ علـى بُهْـمٍ وأصْـنامِ

تَطيرُ في فرَحْـةٍ نَشْـوى، ويَرْفَعُهـا
حُـبُّ الحَيـاةِ إلى غايـاتِ إقْـدامِ

كأنَّهـا صـائِدٌ رَدَّتْ حَماسَـتُه
خَـوْفَ المَمـاتِ بأدْغـالٍ وآجـامِ

أغْزو كَما غَزَتِ[1] الدُّنْيا، وإنْ فَشِلَتْ
وإنْ تَمَزَّقْـتُ مِـنْ غَـدْرٍ لأخْصـامي

حَسْبي التّجارِبُ في دُنْيايَ أفهمُها
وإنْ تَـدِقَّ ولمْ تُكْشَـفْ لأفْهـامِ

حَسْبي شُعوري بأنَّ الكَوْنَ أجْمَعَهُ
يَوْمـاً سَـيُتْلى ويَجْـري فـوق أقْـلامِ

حَسْبي على الرَّغْمِ مِنْ هَمٍّ ومِنْ نَصَبٍ
أنّـي الطَّلِيـقُ، ولمْ أرْضَـخْ لإرْغـامِ!

٢٧ أيلول/سبتمبر ١٩٥٤

فَنّـي

شـاعرَ الحُـبِّ والجمـالِ دَعَـوْني
شـاعرَ النّـورِ عـاطراً والتّغنّـي

أنـا راضٍ بِمـا دَعَـوْني، ولكـنْ
أتُـرى الفَـنُّ يَرْتَضـي مـا دَعَـوْني

مـا الوُجـودُ الّـذي تـراءى حِيـالي
مِلْءُ ذِهْـني، وإنّمـا بَعْـضُ ذِهْـني

لا عَرَفْـتُ الحَيـاةَ إنْ كـانَ فَنّـي
مـا بَـدا لـي ولسـتُ أخْلُـقُ فَنّـي

مَنَحَتْني إيـزيسُ مـا يَهَـبُ الخِصْـ
ـبُ، وخِصْبي كالرّوحِ يُغْنى ويُغْني

أنـا بعـضٌ مِـنَ الوُجـودِ، ولكـنْ
كُلُّ ما في الوُجودِ من بَعْضِ كَوْني

مَـلأتْ مُهْجَـتي الأثـيرَ طُيوبـاً
وتَناهَـتْ بكُـلِّ مـا نَـدَّ[2] عَنّـي

أُنظـرِ الشَّـمسَ، إنَّ فيهـا شُـعوراً
كَشُـعوري، وكُـلَّ مـا شَـعَّ مِنّـي

---

[1] أي القطرة أو البذرة الطائرة.
[2] ندَّ: انتشر وتفرّق.

وانظرِ النجمَ وهو يغمز للشَّمْـ ـس بشَوقٍ ولَوْعَةٍ لم تَفُتْني

وانظُرِ السُّحْبَ وهي تَمْضي نَشاوى باكياتٍ، وقدْ أصاخَتْ لِلَحْني

ضَمَّخَتْها أنفاسُ شِعْري فَحالَتْ في الأزاهيرِ بَيْنَ شَهْدٍ ومَنٍّ

سِنُّها مِنْ سِنِيَّ لو كُنْتَ تَدْري أنّ هذي الآبادَ رفّتْ بسِنّي

وشُعاعُ الأجْرامِ يَحْسُدُ وِجداني ونَفْسي كَكائنٍ لم تَسَعْني

أنا مَعْنىً مِن السَّلامِ، مِن النّورِ، مِن الحقِّ والعُلى، لا التّدَنّي

ما اضطِهادي بِنائلٍ مِنْ جَناني لو رأيْتَ الضّياءَ يَعْنو لِغَبْنِ

جاحِدي يُعْلِنُ الهَزيمةَ لاقا ها، فما كان طَعْنُهُ فِيَّ طَعْني

إنَّ روحي تَبَرُّ بالطائِش الها وي كأنّي مُسَدِّدٌ بَعْضَ دَيْني

ليسَ فَضْلُ الحَكيمِ أن يَنشرَ الحِكْـ ـمَةَ قولاً فَحَسْبُ مِنْ دونِ عَيْنِ

رَحْمَتي لا تَضِنُّ بالصَّفْحِ لِلاَّ ثِمِ إنْ خُصَّ مِنْ جُموعٍ بضَنٍّ

فَكَأنّي المَسيحُ فَدّى غَفوراً وتَسامى مِنْ بَعْدِ صَلْبٍ ودَفْنِ

وتَناهى مَبادِئاً هي أبْقى مِنْ خُلودِ العُلى ومِنْ أيِّ كَوْنِ

باذِلاً روحَه فَتَنْمو وتَسْري سَرَيانَ الحَياةِ في غَيْرِ مَنٍّ

فَلْيَخُنّي الحُسّادُ بالعَيْبِ ما شاؤوا ولا عاشَ حاسِدٌ لم يَخُنّي

ولْيُغَنّوا نَقيضَ ما هُمْ عَلَيه فبِحَسْبي أنّي أقولُ وأعْني

ولْيُنادوا بِنُبْلِهِمْ، وهو زورٌ وبيَأْسٍ لهمْ شَبيهٍ بِجُبْنِ

ولْيُباهوا الجُناةَ، لَسْتُ حَقوداً فأُجاري، ولا أثيماً فأَجْني

ذاكَ صَدْري: هو السَّماحَةُ والرَّحْـ ـمَةُ للعالَمينَ رَغْمَ التَّجَنّي!

١١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

عاصفة ١٥ أكتوبر[1]

وَلْـوِلي! وَلْـوِلي! وصـيحي وطـيري ... واقرَعي وامْنَعي بِعَصْفٍ مَسيري

واكْسِري الباسِقاتِ أو فاخلَعيها ... كُـلُّ هـذا يُـرى بَقَلْـبي الكَسـيرِ

أنـا مُـذْ جِئْـتُ هـذه الجَنَّـةَ السَّمْـ ... ـحَةَ مـا زِلْـتُ في عَـذاب السَّـعيرِ

أمْطري يا رياحُ، أو فاسكُبي النّا ... رَ فإنّي ما عُدْتُ أخْشى مَصيري

ليسَ شَكْوى الزَّمانِ طَبْعي، ولكِنْ ... هو سُخْري مِنْ فِعْلِ دَهرٍ حَقيرِ

ما نَثيرُ الأوْراقِ يُحْرَمُها الدَّوْ ... حُ وقَصْفُ الأغْصانِ إلاّ نَظيري

ما سُقوطُ المِصْباحِ يَتْبَعُهُ المِصْـ ... ـباحُ إلاّ كَثَوْرَتي في ضَميري

ما زَئيرُ الهَبوبِ[2] حولي سِوى وَجْـ ... ـدي فأعْوِلْ يا وَجْدُ بَيْنَ الزئيرِ!

ما أُبالي مِنَ بَعْدِ مُعْتَرَكِ الأحْـ ... ـداثِ في خاطِري جُنونَ المُغيرِ

لَيْلَةٌ تَنْقَضي، وعاصِفَةُ النَّفْـ ... ـسِ تَناهَتْ بِظُلْمَةٍ للأسيرِ!

وَتَرامَيْتُ فوقَ سُلَّمِ داري ... لا أُبالي بِصَرْخَةٍ للنَّذيرِ

ومُثارُ الحَصى تَدَفَّق حَوْلي ... كَرَصاصٍ يَئِزُّ بينَ الصَّفيرِ

ثُمَّ لَمّا وَلَجْتُ داري أبى أهْـ ... ـلي عَزاءً سِوى أمَرِّ النكيرِ!

١٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

---

[1] مَرَّتْ عاصِفَةٌ هوجاء بواشنطن، العاصمة الأميركية، يوم الجمعة الخامسَ عشرَ من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤، فدفعت الشاعر إلى نظم هذه الأبيات الوصفية الوجدانية التي أوحتها له أيضاً أزمته النفسيّة من جرّاء خسارته الجمّة وتضحياته بنقله إلى واشنطن.

[2] الهَبوبُ (بفتح الهاء) من الرياح: المثيرة لِلغَبَرةِ.

لوعة[1]

إلى الصَّديقِ خَفاجي في عَوالِمِهِ ... ما بَيْنَ شاهِقِ أبْحاثٍ وأسْفارِ

أبُثُّ مِنْ لَوْعتي ما فاضَ عنْ كَلِمي ... وإنْ تَحَجَّبَ في مَكْنونِ إضْماري

تَجَمَّعَتْ غُصَصُ الدُّنيا، وما فَتِئَتْ، ... حَرْباً علَيَّ، وعادَتْني لإيثاري

فَإنْ أعِشْ في جِنانٍ كُلُّها عَجَبٌ ... فإنَّ قَلْبيَ بالتَّعْذيبِ في النارِ

قد ضَيَّعَتْ عُصْبَةٌ للنَّقْلِ مَكْتَبَتي ... يا عُصْبَةَ النَّقْلِ قدْ خُلِّدْتِ في العارِ!

وضيَّعَ النَّقْلُ رِزْقاً كانَ لي سنداً ... كأنَّما الدَّهْرُ مَشْغولٌ بإفْقاري

وضيَّعَ الهَمُّ نَزْراً كانَ عافيَتي ... فَما انْتَفَعْتُ بِسُكّانٍ ولا جارِ

وصارَ دَيْني رفيقاً لا يُفارِقُني ... وكانَ وَدَّعَهُ أو كادَ إنْذاري

وَإذْ عَرَضْتُ لبيعِ كُلَّ ما مَلَكَتْ ... يَدي خُذِلْتُ كَما قَدْ ضَيَّعوا داري

أنا المُعاقَبُ، لا ذنبٌ جَنَيْتُ سِوى ... بِرّي، كأنَّ عَظيمَ الذَّنْبِ آثاري

وَمِنْ عَجيبٍ إذا ما الحُزْنُ يَغْمُرُني ... لَطِمْتُهُ مِثْلَ سَبّاحٍ بتَيّارِ

لم أدرِ: هَلْ جُنَّ قَلْبي في تَفاؤُلِهِ ... أمْ ما دَرى خَطْبَهُ أمْ أنَّه الدّاري؟

لقدْ تمرَّسْتُ عُمْري بالأسى فغَدا ... مِنّي ومَدَّ الأسى عُمْري لأعْمارِ!

لِمَنْ أُعَذَّبُ؟ ما جَدْوايَ مِنْ زَمَني ... وما حَياتي؟ ومَنْ يَعْنيه إكْباري؟

لَجَّ "المُراقِبُ" في شَطْبٍ لأفكاري ... ما كانَ أوْلاهُ تَثْقيفاً بأفْكاري

إنَّ الخيانَةَ لِلأوْطانِ أخْطَرُها ... حَجْرٌ على الحقِّ أو إرْهاقُ أحْرارِ

وتَرْكُ مِثْلي يُعاني في تَحَرُّقِهِ ... عارٌ على الجيلِ، لا ذَنْبي ولا عاري!

١٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

---

[1] هذه قصيدة من صميم الشعر الوجدانيّ عَبَّرَ فيها الشّاعرُ عن لوعتهِ إزاءَ الأحداثِ المختلفةِ التي اقترنتْ بنُقلتِهِ من نيويورك إلى واشنطن، ولا ذنبَ لإحداهما فيها، وإنّما هو عاملُ القدَرِ أو سوء الحظّ الذي اعترضه، ومع ذلك ففي القصيدة من نغمة التفاؤُل والتأمُّل الفلسفيّ والإشادة بحريّة الفكر ما يَستَرعي الانتباه، وقد وجّهها الشّاعرُ إلى صديقهِ العلاّمة الأديب الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي.

ميلاد الحرية

قيلت في المولد النبويّ الشريف يومَ الحادي عشر من ربيع الأول ١٣٧٤هـ، الموافق السابع من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤

مـا جـاءَ قبلَـكَ للتَّخْليـدِ إنسـانُ ... عَنـا لـهُ الظُّلـمُ والظُّـلاّمُ أوْ دانـوا

أو دَوَّنَـتْ صُحُفُ التّاريخِ مُعْجِزةً ... كمُعجزاتِـكَ فيهـا العقـلُ بُرْهـانُ

ألم تكُنْ أنتَ في صَحْراءَ موحِشَـةٍ ... الواحـةَ السَّمْحَةَ المُثْلى لمنْ عانوا؟

ألْـم تَكُـنْ أنـتَ في دَهْمـاءَ قاسـيَةٍ ... الـنَّجْمَ أضْـواؤُهُ هَـدْيٌ وعِرْفـانُ؟

ألمْ تَكُنْ أنتَ مُحْيي النّاسِ مُكْرِمَهُمْ ... مِنْ بَعْدِ ما أغْرَقوا في الموتِ أو هانوا؟

ألم تَكُـنْ أنـتَ للـدُّنْيا مُعَلِّمَهـا ... حـينَ الخُرافَـةُ أدْيـانٌ وسُـلْطانُ؟

ألمْ تَكُـنْ أنـتَ لِلأسْـرى مُحَـرِّرَهُمْ ... والأسْـرُ والـرِّقُّ مِثْلَ المـوتِ ألـوانُ؟

ألمْ تَكُـنْ أنـتَ لِلإنسـانِ حُجَّتَـهُ ... علـى الفَنـاءِ إذا الإنْسـانُ إنْسـانُ؟

يـا أيُّهـا البَطَـلُ الأُمِّـيُّ عِـشْ أبَـداً ... ذِكْـراكَ عِطْـرٌ وأضْـواءٌ وألْحـانُ

إنَّ الزّمـانَ الّـذي نَـوَّرْتَ طَلْعَتَـهُ ... مِـنْ نـورِهِ سَـطَعَتْ لِلخُلْـدِ أزمـانُ

لَـوْلا تَعاليمُـكَ اللاّتـي قَـدِ ازْدَهَـرَتْ ... مَـدى العُصـورِ لَعَـمَّ الأرضَ طوفـانُ

والجَهْلُ أخْطَرُ مِنْ إعْصارِ كارثَـةٍ ... فَمـا سِـواهُ لِـرُزْءِ النّـاسِ شَـيْطانُ!

مـيلادُكَ الحُـرُّ مـيلادٌ يفـوحُ شَـذىً ... كَمـا يَفـوحُ بِشِـعْرِ الحُـبِّ بُسْـتانُ

قـالوا: أتـنْظِمُ شِـعْراً في مَحَبَّتِـهِ ... فالشِّـعْرُ للصّادِقِ الإحسـاسِ ميزانُ؟

وأيُّ شِـعْرٍ لِمثْلـي كَيْفَمـا عَظُمَـتْ ... رُمـوزُهُ في الّـذي نَجْـواهُ قُـرآنُ؟

مَنْ حَرَّرَ العَقلَ حينَ الناسُ أكثرُهُمْ ... دونَ البَهـائِمِ والأديـانُ أوثـانُ

مَنْ ثارَ في الناسِ لا تَخْشى عَقيدَتُه ... إلاّ الإلـهَ، فلَـمْ يَرْدَعْـهُ طُغْيـانُ

مَـنْ علّـمَ النـاسَ مَعْنـى السِّلْمِ في زَمَـنٍ ... كـانَ الأعَـزُّ بِـهِ بَطْـشٌ وعُـدْوانُ

مَنْ لَقَّنَ الحِكْمَةَ الشّوْرى بِسيرَتِهِ ... ووَزَّعَ الحُـبَّ، فالأعْـداءُ إخْـوانُ

مَنْ رامَ كُلَّ الوَرى أنصارَ دَعْوَتِهِ
عَلى المَدى، واصطَفاهُمْ أينَما كانوا

مَنْ راضَ لِلنّاسِ أحْلاماً لِعِزَّتِهِمْ
وبَعْضُ إلْهامِهِ السّامي "السُّبَرْمانُ"

ماذا أقولُ وشِعْري دونَ ما مَلَكَتْ
نُهايَ[1] حينَ جميعُ الكَوْنِ آذانُ؟

حَسْبي قَليلي، فَنَزْري في جَواهِرِهِ
مِنْ وَحْيِ مَنْ حُبُّهُ كَنْزٌ وديوانُ

في ظِلِّهِ كُلُّنا أبناءُ مِلَّتِهِ
فما تَناءَتْ. بِرَغْمِ البُعْدِ، صُلبانُ

وكُلُّنا بَومَ هذا العيدِ أُمَّتُهُ
إنَّ العُروبَةَ إيمانٌ وأوطانُ

٢٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

توأمي

كادَ الخَريفُ يَموتُ مِثْلَ مَماتي
بِتَساقُطِ الأوراقِ والآهاتِ

إنّي أخوهُ بِمُهْجَتي وبِلَوْعَتي
زَفَراتُهُ تُشْتَقُّ مِنْ زَفَراتي

إنْ أرْثِهِ فَبِنَظْمِهِ وبِنَثْرِهِ
أوْ أبْكِهِ فلَقَدْ بَكَيْتُ حَياتي

لَم يَدْرِهِ مَنْ أولِعوا بِبَهارِجٍ
للصَّيْفِ يَمْرَحُ كالمَليكِ العاتي

إنْ عُدَّ نَسْلَ الصَّيْفِ لمْ يَعْلَقْ بِهِ
عَيْبُ الإباحيِّ الحَقيرِ الذّاتِ

عَرَفَ التَّنَسُّكَ مُنْذُ يومِ وِلادةٍ
فَكَأنَّهُ صُوَرٌ لِوَحْيِ صَلاتي

واسْتَقْبَلَ الإعْصارَ غَيْرَ مُرَوَّعٍ
وهْوَ الصَّريعُ الشَّيْخُ بَيْنَ جُناةِ

تَخِذَ الكِفاحَ إلى النِّهايَةِ مَبْدأً
وأبى خُنوعَ المَوْتِ عِنْدَ مَماتِ

إنْ كُنْتُ أُشْبِهُهُ فَتِلْكَ حَمِيَّتي
رَغْمَ السَّقامِ وصُفْرَةِ الأمْواتِ

عِلَلٌ على عِلَلٍ أنوءُ بِرُزْئِها
وأظَلُّ أسْخَرُ بالشِّتاءِ الآتي

إنْ كانَ في دَمْعِ الخريفِ مَدامِعي
أوْ كانَ في أنّاتِهِ أنّاتي

[1] نُهاي: مَداركي.

فَوراءَهـا أنَـفٌ لِكُـلِّ دَنيَّـةٍ ... ولَـئِنْ هَطَلْـنَ وصِحْنَ مَجْنونـاتِ[1]

وَلَـئِنْ نـأتْ عنْـه الحَـرارةُ مـا نَـأى ... دِفـءٌ تَحَجَّـبَ في نُهـى الـذَّرّاتِ

والموتُ مِنْ صورِ الحَياةِ، ولُغْزُهُ ... لُغْـزُ الوجـودِ وآيَـةُ الآيـاتِ

إنْ تَنْـأ يـا خِلّـي فَلَسْـتُ بِراحِـلٍ ... مـا دُمْـتَ تُحْيـا في نُهـايَ وذاتـي

هَشَّـتْ لـيَ الأغْصـانُ وهْـيَ جَريمَـةٌ ... وتَطَلَّعَـتْ لخُطـايَ في الغابـاتِ

فكأنَّمـا أنـا مَـنْ يُجَـدِّدُ روحَـهـا ... مِـنْ روحِـهِ بـالعَطْفِ والبَسَـماتِ

وكأنَّمـا أنـا مَـنْ يَمُـدُّ جُـذورَها ... بِشُـعورِهِ فَتَعِـزُّ دونَ حُمـاةِ

جَـرْداءُ كـالفَنِّ المجـرَّدِ[2]، فَهْمُهـا ... قَـدْ دَقَّ في كُنْـهِ وجُـلُّ سِـماتِ

إلاّ علـى نِـدٍّ يُبادِلُهـا الهَـوى ... فلُغاتُهـا مَوْصـولةٌ بلُغـاتي

سَكَتَتْ أهـازيجُ الجَنادِبِ واكْتَفَـتْ ... بِخُطـايَ فَـوْقَ العُشْـبِ مُسْـتَمِعاتِ

والنَّحْـلُ تَـأْوي لِلقَفـيرِ هَنيئَـةً ... حَتّـى كـأنَّ الشَّـهْدَ في نَظَراتـي

لِلّـهِ، كَـمْ خَلَـقَ التَّجـاوُبُ صُحْبَةً ... حَتّـى مَـعَ الأشْـجارِ والحَشَـراتِ!

٣٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

استقبال واشنطن

الحُـبُّ والحُسْـنُ والأمـانُ ... أعَـزُّ مـا يَمْـنَحُ الزَّمـانُ

أحَظِّـيَ اليَـوْمَ أنْ أراهـا ... تَعـودُ أمْ فاتَهـا الأوانُ؟

مَشـاهِدٌ قَـدْ خَلَبْـنَ لُبّـي ... كأنَّمـا بَيْنَهـا رِهـانُ

قَـدْ أبْـدَعَتْها بِـلا شَـبيهٍ ... العَبْقَرِيّـاتُ لا المَـرانُ

---

[1] أي المدامع والأنّات.
[2] الفنّ المجرَّد: Abstract art.

فَكُـــلُّ شـــيءٍ بهـــا طَريـــفٌ وبَعْـــضُ آياتِهـــا الجِنـــانُ

والنّـــاسُ آدابُهـــمْ تَســـامَتْ بهـــا، فزينـــوا بهـــا وزانـــوا

وَســـادَ أصْـــفى الهُـــدوءِ حَتّـــى كأنَّمـــا عِنْـــدَها يُصـــانُ

أتَيْتُهـــا خائِفـــاً حَزينـــاً فَهَـــشَّ لـــي الحُـــبُّ والأمـــانُ

ونَقْسَـــقَتْ لـــي الغُصـــونُ شِـــعْراً كَأنَّمـــا الـــدَّوْحُ مِهْرَجـــانُ

والجَـــوُّ في دِفْئِـــهِ عَطـــوفٌ كأهْلِهـــا دِفْـــؤُهُ حَنـــانُ

يُطِـــلُّ مِـــنْ نُصْـــبِها جَـــلالٌ وذِكْرَيـــاتٌ لهـــا بَيـــانُ

وكَـــمْ بِهـــا مُتْحَـــفٌ أثـــيرٌ يَفـــوحُ مِـــنْ مَجْـــدِهِ الـــدِّهانُ

وكَـــمْ بهـــا نِعْمَـــةٌ ولكـــنْ هـــل يَجْـــذِبُ النِّعْمَـــةَ افْتِتـــانُ؟

أنّـــى تَلَفَّـــتُّ لم أجِـــدْني إلاّ رُؤىً فاتَهـــا الحِســـانُ

وكُـــلُّ مـــا في الحَيـــاةِ يَلْهـــو كأنَّمـــا الكُـــلُّ دونَ جَـــوانُ

إنْ يَحْـــرُقِ النّـــاسُ نَثْـــرَ رَوْضٍ في حـــينِ أوراقُـــهُ جُمـــانُ

فَقَبْلَـــهُ النّـــارُ بَـــدَّدَتْني ومـــا تَبَقّـــى هـــوَ الـــدُّخانُ!

١٥ أيلول/سبتمبر ١٩٥٤

رثاء الدكتور محمود عزمي

وقد توفّي فجأةً في نيويورك يوم الأربعاء ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤ حينما كان يدافع عن حقوق مصر في مجلس الأمن، وكان الفقيد صديقاً حميماً للشاعر منذ عهد التلمذة بالمدرسة التوفيقية بالقاهرة

عَزاءً بهذا الموتِ يا مَنْ فَدى مِصْرا ومَنْ عَيْشُهُ ذِكْرى ومَنْ موتُهُ ذِكْرى

صَديقَ الصِّبا! ماذا غَنِمْنا مِنَ الصِّبا وما عُمْرُنـا إلاّ مَغارِمُنـا تَتْـرى

ولمْ يَبْقَ فينـا مُنْصِفاً غيرُ ميتةٍ أنالَتْكَ مَجْداً لا يُباعُ ولا يُشْرى؟

سَقَطْتَ كجُنديٍّ شهيدٍ، مَماتُه حياةٌ لَعَمْري حُرَّةٌ تُخلِدُ الفِكْرا

ومُتَّ عَزيزاً في الدِّفاعِ لأمَّةٍ أنابَتْكَ عَنْها في مُلِمّاتِها الكُبرى

إذا سَقَطَ الجُنديُّ في ساحَةِ الوَغى فأيُّ قصيدٍ بعدَ هذا بهِ يُطْرى؟

كأنَّ مَماتاً ذُقْتَ أبْلَغُ حَجَّةً وأوقَعُ في تَفْنيدِ مُتَّهِمٍ مِصْرا

ولو أنَّ ناراً مِنْ بيانِكَ أشْعَلَتْ رُكاماً من الإسْفافِ خُصَّ بهِ الأسْرى

فَيا مِدْرَهَ الأحْرارِ عُمْرُكَ كُلُّه خِطابٌ مُدَوٍّ بالحَقيقةِ لا يُغْرى

فلَمْ تَدْرِ مَعْنى الجُبْنِ يوماً ولا الهَوى ولمْ تَرْضَ يَوْماً في اتّباعِهِما عُذْرا

ولم تَهْوِ للطّاغوتِ يوماً مُصَلّياً وكُنْتَ ليَ الخِلَّ المُدافِعَ والبَرّا

وأنْحى عَلَيَّ الصّاغِرونَ فَزِدْتَني ولاءً، وقدْ كفَّرْتَ مَنْ خَصَّ بي الكُفْرا

وبَجَّلْتَني حَتّى كأنّكَ تابِعي ولَسْتَ الّذي صالَتْ مواهِبُهُ دَهْرا

سَجيَّةُ نَفْسٍ حُرّةٍ ليسَ تَمْتَري كَذاكَ النبيلُ الحُرُّ مَنْ يُكْرِمُ الحُرّا

ومَهْما اخْتَلَفْنا كُنْتَ تَرْفَعُ قُدْرَتي إلى قَدْرِكَ العالي فَتَخْلُقُ لي قَدْرا

وما كُنْتَ مَنْ بالى الخَفافيشَ مَرَّةً ولا الصَّقْرَ مُجْتاحاً ولا الجارِحَ النَّسْرا

ولكنّما باليْتَ بالحَقِّ وحدَه ولمْ تَخْشَ دونَ الحَقِّ في شِدَّةٍ أمْرا

وأُشْغِلْتَ بالإنسانِ فرداً وأُمَّةً ويا لِجُهودٍ منكَ لَمْ تَعرِفِ الحَصْرا

وأُشْغِلْتَ بالفكرِ النَّزيهِ مُحَرَّراً وكلُّ الّذي جافاه صَوَّرْتَهُ نُكْرا

كأنَّ خَرابَ الكونِ رهنٌ بذلَّةٍ يُصابُ بها العقلُ الّذي عَزَّ واستَثْرى

حَرامٌ على عَيْني الدّموعُ فإنّها شِفاءٌ وحُزْني قدْ يَموت ولا يَبْرا

حَرامٌ على شِعْري رِثاؤُك قادراً فإنَّ الرِّثاءَ الفَخْمَ قدْ يَلِدُ الصَّبْرا

حَرامٌ على نَثْري البَيانُ وهذهِ صَحائِفُكَ الشَّمّاءُ آيتُك الأُخرى

لقد كُنْتُ مَنْ شَخَّصْتُ داءَك أوّلاً فكُنْتُ كأنّي لاحِدٌ يَفْتَحُ القَبْرا

ومَرَّتْ سُنونٌ لالتياعي عَديدةٌ وفي كُلِّ عامٍ كُنْتُ أسْتَبِقُ العُمْرا

إلى أنْ أتى العامُ الّذي رانَ نَصْرُه ... ولكنَّ حكْمَ الموتِ قَدْ صَحِبَ النَّصْرا!

٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤

رثاء الزعيم الإيراني الحر الدكتور حسين فاطمي

وقد قُتل في العاشر من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤

رمياً بالرصاص لمناداته بالحكم الجمهوري في إيران

نِعْمَ الرَّصاصُ جَزاءَ خادِمِ شَعْبِهِ ... ما دامَ يوقِظُ مَنْ وَنوا عن دَأْبِهِ

أحُسَيْنُ سابقُكَ الحُسَيْنُ، مَماتُهُ ... هو قُدْوَةُ الأبْطالِ لو شُغِلوا بِهِ

الفاطِميُّ غُذيتَ أنْتَ بِنُبْلِهِ ... والألْمَعيُّ شُغِفْتَ أنْتَ بِحُبِّهِ

ما كانَ خَطْبٌ فيكَ إلاّ خَطْبَهُ ... طهرانُ ساوتْ كَرْبَلا في كَرْبِهِ

قَتَلوكَ رَمْياً بالرَّصاصِ، ولو دَرَوْا ... نَثَروا عليكَ الوردَ نثرَ مُحِبِّهِ

يا ابنَ الشهيدِ، أو الحفيدَ لمجدِه ... طوباكَ، هذا الشاهُ شاهُ برُعْبِهِ

الشّاةُ أكرمُ منْه في نَفْعٍ لها ... وهيَ الضحيَّةُ، وهو ذِلَّةُ شَعْبِهِ

عَصْرُ المُلوكِ مَضى بكلِّ عُيوبِهِ ... فَعَلامَ نُبْقي مَنْ يَتيهُ بعَيْبِهِ؟

هي فترةٌ سَتَمُرُّ يُخْصِبُ مُصْلِحاً ... دَمُكَ الزَّكيُّ[1] قُرىً تَحِنُّ لِخِصْبِهِ

فتثورُ[2] كالسَّيلِ العَرَمْرَمِ صاخِباً ... مُتمرِّداً لا يَنْتَهي لَمَصَبِّهِ

حتّى تُصابَ بهِ[3] ديارٌ جَمَّةٌ ... يَتَبَخْتَرُ الطّاغوتُ ثَمَّ بِخَبِّهِ

فيُطهِّرُ[4] الأرضَ الّتي دَنِسَتْ بهِ[5] ... وبِحِزْبِهِ وبِنَهْبِهِ وبِسَلْبِهِ

---

[1] أي القرى.

[2] الزّكي: الطاهر؛ (و.ف).

[3] أي السّيل، كناية عن الثورة.

[4] أي السّيل، كناية عن الثورة.

[5] أي دُنّست بالطاغوت.

كمْ في رُبوعِ الشَّرقِ من مُتَجبِّرِ ... ذخَرتْ له الأيّامُ طَعْنَةَ قَلْبِهِ
ما ضاعَ عُمْرُكَ في تَجارِبِهِ سُدىً ... يومَ الفِداءِ ولا انْتَهى منْ رأْبِهِ
هيهاتَ! ليسَ الرَّأْيُ وَهْماً فانياً ... حتّى ولو حَرَقوا بعالَمِ كُتْبِهِ
الرّأيُ أخْلَدُ من خُلودِ زَعيمِهِ ... والرأيُ أعظمُ من عَظائمِ رَبِّهِ
هيهاتَ! ما الحرّيّةُ الشّمّاءُ ما ... يُمْحى وإنْ يَطْغَ الغَشومُ بِحَرْبِهِ
يَمْضي ولا يَمْضي الشّهيدُ لحُبِّها ... بلْ يُستعادُ لقَتْلِهِ أو صَلْبِهِ
هيَ أمُّ هذي الأرضِ فاشْرَبْ نَخْبَها ... أنّى هَتَفْنا للشّهيدِ ونَخْبِهِ!

العمّ سام[1]

بُشْراكَ! هذا العَمُّ عيـ ... ـسى صارَ فينا العَمَّ سامْ!
أُنظُرْ إلى عُثْنونِهِ ... فلقدْ تَزايدَ واستقامْ
قدْ كانَ في حَزْمِ الشُّيو ... خِ فصارَ في زَهْوِ الغُلامْ
مَنْ ذا يُطاوِلُهُ، وهـ ... ـذي النّاطِحاتُ له تُقامْ؟
اليومَ يَمْلِكُ كُلَّ شيءٍ حَولَهُ مِلْكَ الهُيامْ
في مَوطنٍ حُرٍّ بهِ الأحْرارُ خُدّامُ السَّلامْ
لا عَيْبَ فيهِ سوى سَما ... حَتِهِ الّتي تُغْري اللّئامْ
فيهِ المساواةُ العَميـ ... ـمَةُ مِلّةٌ ولهُ ذِمامْ
فُرَصُ النُّهوضِ تَكافَأتْ ... فيهِ كَذَرّاتِ الغَمامْ

---

[1] أُنشِدَت في مَساء الجمعة السّابع عشر من كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٤ في حفلةٍ تكريمية بمطعم شَهرزاد بواشنطن للصديق الأستاذ عيسى خليل صباغ، بعد أن صار مواطنا أميركيا، وقد حال مَرَضُ الشّاعر دونَ اشتراكِهِ شخصياً في الحفلة.

لا بـــدْعَ إنْ جَـــذَب النُّجـــو مَ إليـــهِ واعتَنَـــقَ الـــدَّوامْ
واليـــومَ يَغْـــنمُ فَضْـــلَ عيـــ ـــسى الشـــامِخِ الحُـــرِّ الهُمـــامْ
كـــمْ مَوقـــفٍ لِلْحـــقِّ نَـــذْ كُـــرُهُ لَـــهُ عامـــاً فعـــامْ
كـــمْ مِـــنْ نَصـــائِحَ بَثّهـــا كـــالنّورِ يَخْتَـــرِقُ الظّـــلامْ
فتنـــاوبوا أنْخابَـــهُ بالحُـــبِّ، لا وَهَـــجِ المُـــدامْ
إنَّ الكُـــؤوسَ مِـــنَ الـــوَلا ءِ أحَـــبُّ مِـــنْ راحٍ وجـــامْ
اليَـــوْمُ يَـــوْمُ الصَّـــفْوِ نَغْـــ ـــنَمُه، ومـــا الصَّـــفْوُ حَـــرامْ
مُتَضـــاحِكِينَ، مُهَلّلـــينَ يَهُـــزُّ نَشْـــوتَنا الزّحـــامْ
ولربّمـــا أصْـــغى النّيـــا مُ، فَلَـــمْ يَعُـــدْ فينـــا نيـــامْ
أنـــا بيـــنَكُم مَهْمَـــا نَأيْـــ ـــتُ إذا اســـتبدَّ بـــيَ السَّـــقامْ
شِـــعْري نَظـــيري، بَـــلْ أعَـــزُّ نُهـــايَ في شِـــعْري أقـــامْ
فتَقَبَّلـــوهُ بـــرَغمِ عَجْـــ ـــزي أيُّهـــا الصَّـــحْبُ الكِـــرامْ
واسْـــتَلْهموا مِـــنْ شَـــهرزاد الحُـــبَّ قبـــلَ غِنـــى الطّعـــامْ
فـــاليومَ عيســـى كالرّشـــيدِ وحَقُّـــه حَـــقُّ الغَـــرامْ!

أميـر السـّلام[1]

أللّـــهُ في الحُـبِّ ألحـانٌ وأضـواءُ واللّـــهُ في السَّـلْمِ أزهـارٌ وأنـداءُ
حُيّيـتَ يـا سَـلْمُ! هـذا يـومُ سـيّدهِ فَلْتَخْجَـلِ الحـربُ، ولتعتـزَّ ورْقـاءُ!

[1] لمناسبة عيد الميلاد في سنة ١٩٥٤ غُرسَت على جانبي "جادّة السلام" في واشنطن العاصمة الأميركية أشجارٌ مهداةٌ من أقطار شتّى، وتخلّفَ عددٌ من الأقطار الإسلامية، وأمّا الباكستان فوضعت في المكان المخصّص لها رمزَ جامع صغيراً، على اعتبار أنّ الجامع هو عنوان السلام في الإسلام.

وَلْيَفْرَحِ العالمُ المنكوبُ عن سَفَهٍ فقدْ تعالتْ على الضّوضاءِ أشْذاءُ

إنّي أشُمُّ عُطوراً لا أُكيِّفُها لكنْ يُكيِّفُها للنَّفْسِ إيحاءُ

فَأينَ مَبْعثُها الرّوحيُّ يَشمُلُني فليسَ تُدرِكُه عينٌ وإصغاءُ؟

لعلَّ في الجامعِ المبرورِ تَذكِرةً فها هو الجامعُ المبرورُ وضّاءُ

مِنْ وَضْعِ أمْجدَ[1] عَنْ بِرٍّ بملَّتِهِ كذاكَ يصطحِبُ الأكفاءَ أكفاءُ

بِلادَ إقبال[2] لا فاتَتْكِ فلسفةٌ تُعلي السَّلامَ، ولا نالتْكِ ضرّاءُ

إنَّ السّلامَ هو الإسلامُ مِنْ قِدَمٍ كَما رآهُ الألبّاءُ الأجِلّاءُ

وليسَ ألْيَقَ رَمْزاً في رسالتِهِ مِن جامعٍ حولَه الإيمانُ أضواءُ

في جادَةٍ أسْهَمَتْ في عُرْسِها أُمَمٌ وبوركَتْ، فإذا الظّلْماءُ لألاءُ

ما بالُ مصرَ تناسَتْ ثَمَّ مَغْرِسَها وفي ثَرى مصرَ لِلجنّاتِ أفياءُ؟

كأنَّما مَشَى نورُ المسيحِ بها ونورُه في جَميعِ الأرضِ مَشّاءُ

كأنَّما ما مَريَمُ العذراءُ ما سكنَتْ بأرضِها وكأنّ الأرضَ جرداءُ

وأينَ ما وُهِبَ الأردنُّ مِنْ شَجَرٍ وفي بَساتينِهِ الأدواحُ غنّاءُ؟

وأينَ قُدْسيُّ أرضيهِ الّتي سَطَعَتْ أمالَها اليومَ في الإسراءِ إسراءُ؟

يا ليتَني المتنبّي الآنَ، صَوْلَتُهُ تَهُزُّ مَنْ أُذْنُهُ لِلْحقِّ صمّاءُ

حَتّى أُعلّمَ قَوْمي في تَوَجُّسِهِمْ أنَّ العُروبةَ كالإسلامِ زَهراءُ

أنَّ التسامُحَ أسنى ما يُشادُ بِهِ وما عَداهُ فللإسلامِ أعْداءُ

شَذا السّلامُ وأنفاسُ المَسيحِ بهِ فكُلُّ ما رفَّ أنغامٌ وأصْداءُ

وإنْ تكُنْ قدْ تَناهَتْ في مشاعِرِنا مِن العواطفِ أطهارٌ وعَذْراءُ

فَهَلّلي يا بُروجاً طالَما هَتَفَتْ كما هَتَفْتُ، وناجاها الأرِقّاءُ

---

[1] السيّد أمجد علي، سفير الباكستان لدى الولايات المتحدة الأميركية.

[2] الفيلسوف محمد إقبال.

وحَرّرينا مِـن الأحـزانِ قـاهرةً كمـا تَحـرَّر مِـنْ أسْـدادِهِ المـاءُ!

٢١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٤

تعزيـة

إلى الأستاذ محمود أبو رية

قال الصديقُ وديعٌ[1] في سَوانِحِه[2]: "تَقْسو الحياةُ على الأخيار أرزاءَ"

وراحَ يـذكرُ مَـنْ آثـارُهُ مُثُـلٌ للمُحسـنينَ، أسَـرَّ الـدَّهرُ أم سـاءَ

مَـنْ رَنَّـقَ الأدبَ العـالي بنفْحَتِـهِ وحَظُّه مِنْ عُقوقِ الـدَّهْر مـا شـاءَ

لم يكفِـهِ الخطـبُ في زَوْجٍ وفي ولـدٍ حتّـى أراه جُحـودَ النّـاس أنـواءَ

فـيمَ التفجُّـعُ والـدُّنيا فواجعُهـا لا تَنْتَهـي، وتُعيـدُ الأمـسَ أصـداءَ؟

خَـلِّ احتمالَـكَ ثـأراً مـن نِكايتِهـا واسْخَرْ بها حينما تُشقي الألبّاءَ!

*****

جِئنا إلى الكون في الذرّاتِ من قِدَمٍ ولم نُفارِقْـه أطيافـاً وأضْـواءَ

ولـيسَ يعـرفُ منّـا كُنْهَـهُ أحـدٌ وإنْ تَغَلْغَـلَ في ماضـيهِ مَشّـاءَ

وإنْ عَرَفْنـا عَرَفْنـا بعـضَ أخْيِلـةٍ كأنّمـا البَحْـرُ مـا نَلقـاهُ أنـداءَ

ليسَـتْ نِقـاطُ حُـروفٍ لا نُكيّفُهـا قصـيدةً راودتْنـا اليـومَ عَصـماءَ

ولا المآسي الّتي غاضتْ مَدامعُنا مِـن نارِهـا سَتَزيدُ الكونَ أشـلاءَ

سـاوى النّشوءُ دَماراً في مَسارحِهِ كما عرفْتَ، وساوى البؤسُ نَعْماءَ

ومـا شكوْتُ التياعـاً، بـل مُسايَرَةً للفـنِّ، أجْتـازُ أمواتـاً وأحيـاءَ

---

[1] الأستاذ وديع فلسطين.

[2] مقالاته الشهيرة "سوانح" التي تظهر بجريدة الإنذار المنياوية بمصر. والإشارة هنا إلى مقالة الذي ظهر بعدد ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٤.

فَسِرْ معي يا أديباً عَيْشُهُ حَرَقٌ   في مَهْمَهِ العُمر مَغْمورَيْنِ أهواءَ
نَحْيا لَهيباً كأنّا شِبهُ آلهةٍ   ونَغْتدي بانتهاءِ النارِ إيحاءَ!

٢٩ كانون الثاني/يناير ١٩٥٥

تعزية الشّاعر القروي في وفاة والدته

عَلَمَ الإباءِ وأحكَمَ الشُّعَراءِ   هذا عَزاءُ الوامِقينَ عَزائي
أطْلَعْتَهم في كُلّ أرضٍ أنْجُماً   مِنْ وَحْيكَ المتفنِّنِ الوضّاءِ
واليومَ ليسَ لهمْ سواكَ ملاذُهم   مهما لَجأْتَ للوعةٍ وبُكاءِ
منكَ استمدَّ العارفونَ يقينَهم   فلديْكَ مَلْجَؤُهُم وخَيْرُ عَزاءِ
يا مَنْ رأى مِثْلي المنيّةَ صورةً   لِلعَيشِ لا تجْزَعْ من الأرزاءِ[1]
وَلَوَ انَّ موتَ الأمِّ أفدحُ نكْبةٍ   ويضِلُّ فيه تفلسفُ الحُكماءِ
أُمَمُ العروبةِ كلُّها مَحْزونةٌ   لأساكَ يا مَنْ خَصَّها بوفاءِ
وبَنى لها شُمَّ الخَوالدِ شعرُهُ   بمعالمِ الإرشادِ والإيحاءِ
نِـ يمَ البُكاءُ وفي المنيّةِ رحمةٌ   حينَ الظّلامُ مُفَوَّقٌ بضياءِ؟
أنّى نَظَرْتَ تَرى المَناحةَ حولَها الـ   أعراسُ والأحبابَ في الأعْداءِ
ولئنْ شَقيتُ من الجُحودِ فإنّني   آثرْتُ أنْ أحْيا معَ الشُّهَداءِ
فتلقَّ بَطْشَ الدَّهْرِ غيرَ مُروَّعٍ   فالدَّهرُ معتنِقٌ لِكلِّ غباءِ
واجْرعْ كما جُرّعْتُ فرطَ جُحودِهِ   واصْبِرْ فحسبُك غايةُ العَلْياءِ
مَنْ كانَ مثلَك في سماءِ نُبوغِهِ   يَسْمو على الأعْصارِ والأنواءِ
ويَرى الخُلودَ المَعْنويَّ كِفاءَهُ   ويُحَقِّرُ التَّخْليدَ في الأعضاءِ

٨ شباط/فبراير ١٩٥٥

---

[1] الارزاء: المصائب.

رثاء سليمان نجيب

الأديب المُمثل والسّينمائي الشهير، والمدير السابق للأوبرا المصريّة

أخـي سُـليمانُ هـذي غُـرْبتي بَلَغَـتْ ... بـي غُـرْبَتَيْنِ، وزادَ المـوتُ إقصـائي

قدْ كُنْتُ أُشْجى لنـأيي عنْكَ في أسفي ... يـا لَيْتَني دُمْتُ ذاكَ الآسِفَ النّـائي

مـا لـي سـبيلٌ إلى لُقْيـا فأنْشُـدُها ... فَعـالمُ الغَيْـبِ مَحْفـوفٌ بِظَلْمـاءِ

إلاّ علـى ذِكريـاتٍ حَيَّـةٍ أبـداً ... مـن الطُّفولـةِ لَـم يَبْـرَحْنَ تِلْقـائي

عِشْـنا سَـوِيّاً أليفَـيْ نعمَـةٍ وهَـوىً ... نَحْسو الشَّذى بينَ أزهـارٍ وأضْـواءِ

لم يَبْلُـغِ الطَّيْـر مـا نِلْنـاهُ مِنْ مَـرَحٍ ... ومِـنْ طَلاقَـةِ أحْـلامٍ وأهـواءِ

ولا ابتسامُ شَواطي النّيلِ ما بَلغَتْ ... عُيونُنـا مِـنْ صَـفاءٍ دونَ أقْـذاءِ

ولا خَريـرُ السَّـواقي في تَعَثُّرِهـا ... تَعَثُّـري ضـاحِكاً في الطّـينِ والمـاءِ

ولا اختِصـامُ الـوَرى والحَرْبُ[1] صـاخِبَةٌ ... مِثْلَ اختصـامٍ لَنـا مِنْ غيرِ شَحْناءِ

ولا الأمـانيُّ لِلـدُّنْيا بأجْمَعِهـا ... سـاوَتْ أمانيَّنا أو بَعْضَ إحْصـائي

تلكَ السّنونُ الّتي مَرَّتْ على عَجَلٍ ... ذَخـيرةٌ لم تَفُـتْ لَحْظـي وإصْـغائي

أُحِسُّـها وأُناجيهـا وأعْرِفُهـا ... كأنَّمـا هـيَ مِـنْ ذاتـي وأعْضـائي

يـا خـادِمَ المَسْرَحِ العـالي بسـيرَتِهِ ... هـذي رِواياتُـكَ العَصْـماءُ لِلرّائـي

قَدْ خُلِّدَتْ في المَرائـي، فهـي نابِضَـةٌ ... بـينَ الـوَرى، والمَرائـي مِثْـلُ أحْيـاءِ

مَـنْ عاصَـروكَ استَقَلّوا في مَشـاعِرِهمْ ... عن عَرْضِـها، فهـيَ لنْ تُنْسـى لِنُسّـاءِ

ومَـنْ يَجيئـونَ حَيْـثُ الضّـادُ مُكْرَمَـةٌ ... سَـيُكْرِمونَكَ إكْـرامَ الألِبّـاءِ

---

[1] الحرب الروسية اليابانية في مطلع القرن.

فَـنٌّ كَفَنّـكَ لَـنْ يَفنـى وإنْ بَعُـدَتْ ... بـه السُّـنونُ كَبُعْـدٍ لِلأَحِبّـاءِ
لم نَـدْرِ أيُّهمـا أوْلى بِتَكرِمَـةٍ ... تأليفُـكَ الحُـرُّ في نَقْـدٍ وَإيصـاءِ
أمْ عَبْقَرِيَّـةُ تَمْثيـلٍ خُصِصْـتَ بـهِ ... حَتّـى تَعَـدَّدَ في ألْـوانِ إيحـاءِ
يا مُصْلِحاً كُلُّ ما أهْدى لنا مَثَلٌ ... لِلْمُصْـلِحينَ ودُسْـتورُ الأطِبّـاءِ
تَخِذْتَ بعدَ أبيكَ[1] الشَّهْمِ سيرَتَهُ ... شِعارَكَ الحَـيَّ في تَنْـويرِ دَهْمـاءِ
وفي التَّسامي بِمَنْ هانوا ومَنْ قَبَعوا ... في اللَّهْـوِ حَتّـى غَـدَوْا أدْنـى الأذِلّاءِ
إنّـا افْتَقَـدْناكَ في وقْـتٍ أحـقُّ بـهِ ... مَـنْ كـانَ مِثْلَـكَ يَحْمـي كـلَّ عَلْيـاءِ
مَـنْ كـانَ دونَ شَـبيهٍ في مَناقِبِـهِ ... حُلْـوَ الفُكاهَـةِ حَتّـى لِلألِـدّاءِ
ويَمْـزِجُ الجِـدَّ طَـيَّ المَـزْحِ تَحْسَـبُهُ ... يَلْهـو، وفيـهِ أفـانينٌ لإغْـراءِ
نَمْ في ضَريحِكَ نومَ الأُنْسِ في سُرُرٍ ... مِـنَ الضِّـياءِ وفي ألْـوانِ أشْـذاءِ
واقبلْ دُموعي رِثائي فهوَ مِنْ مُهَجٍ ... شَـتّى، وإنْ كُـنَّ أزهـاري وأنْـدائي

واشنطن، ١٣ شباط/فبراير ١٩٥٥

"أبطال" غزّة

نُظِمَتْ لمناسبة الهُجوم الإسرائيلي الغادرِ على غَزّة في مَساءِ الثامن والعشرين من شباط/فبراير ١٩٥٥

"أبْطـالَ" غَـزَّةَ[2] بعْـدَ قِبْيَـةَ[3] هَلِّلـوا ... إنَّ المَخـازي الموبِقـاتِ فَخـارُكُمْ
لا تُنْكِروهـا مـا الّـذي يَبْقـى إذا ... أنكَرْتُموهـا وهـي بَعْـدُ شِـعارُكُمْ؟

---

[1] الزعيم الوطني والأديب الشاعر مصطفى نجيب.
[2] وجّه الشاعر هذا الخطابَ السّاخرَ إلى الصهيونيين المعتدين.
[3] للشّاعر قصيدة لاذعة عن مذبحة قبية.

ذَهَبَ السَّمَوْأَلُ والمروءةُ والنَّدى وعَبَدْتُمو صِهْيونَ وهو نُضارُكُمْ[1]

وعَقَقْتُمو موسى كَسابِقِ عَهْدِكُمْ فإذا الدَّنايا دينُكُمْ وعُقارُكُمْ

عارٌ على وطَني الشَّكاةُ، وحَقُّهُ تأديبُكُمْ إذْ تُستَباحُ ديارُكُمْ

يا غاصِبينَ تَمَرَّغوا في رِجْسِهِمْ أكَذا يَتيهُ بِرِجْسِكُمْ "أطْهارُكُمْ"؟

أنا لا ألومُكُمو كَلَوْمي أُمَّتي بَلْ كُلَّ يَعْرُبَ حينَ جُنَّ حِمارُكُمْ[2]

رَفَضَ المَدافِعَ والذَّخائِرَ، فانْبَرَتْ نيرانُها، ومَضى بها إعْصارُكُمْ

وبَنو العُروبَةِ بَيْنَ لَهْوِ صارِخٍ أو جَعْجَعاتٍ كُلُّها أنْصارُكُمْ

ولَهُمْ مِنَ الدُّخَلاءِ ألْفُ مُهَرِّجٍ يَتَنافَسونَ، وبَيْنَهُمْ أصْهارُكُمْ

زَعَموا العُروبَةَ دينَهُمْ، واستَمرؤوا طَعْنَ الحُماةِ، لكَيْ تُعَزَّ شِفارُكُمْ

مِسْكينَةٌ هذي العُروبَةُ! ما دَرَتْ ما عارُها الباقي وما هوَ عارُكُمْ!

حمدت ربّي!

يَضْرِبُ الفَرنسيّون المَثَل بقصّة المسيو برشون على الجُحود المُتناهي، ويذكر المسلمون الحِكمة النبويّة الشّريفة، "إتقِ شرَّ مَنْ أحْسَنْتَ إلَيْهِ"!

حَمِدْتُ رَبّي على ذَمّي، فَأكْثَرُهُ مِمَّنْ وَهَبْتُ لَهُ حُبّي وإيثاري

فَراحَ يَخْتَرِعُ الأوْهامَ يَلْفَحُني بها، ويَحْسَبُ أنّي بِتُّ في النّارِ

أبا العُقوقِ روَيْداً! لم تَنَلْ وَطَراً سِوى اتّسامِكَ بالتّهريجِ والعارِ

ما شَكَّ يوماً بإيماني ولا عَمَلي حُرٌّ نَبيلٌ، فَعَيْشي عَيْشُ أحْرارِ

وَهَبْتُ عُمْري لِخَيرِ النّاسِ قاطِبَةً فصارَ عُمري المُرجّى بينَ أعْمارِ

---

[1] النضار: الذهب.

[2] يقصد بن غوريون وزيرَ الحربيّة الإسرائيلي المشغوفَ بالاعتداء على العرب، المتشبّع بمبادئ الطّغيان.

وما عرَفْتُ الدّنايا كيفَما اتّسَمَتْ ... يا مَنْ عَرَفْتَ الدّنايا بينَ فُجّارِ

ولا وُصِفْتُ بغَيرِ العَقلِ أبْذُلُهُ ... وَعْظاً وفلسفةً في جَمٍّ أشْعاري

فكيفَ تُعْرِضُ عنّي ثم تَشْتُمُني ... يا أيُّها الغِرُّ، يا مَنبوذَ أغْرارِ؟

سُقْراطُ ما عابَهُ مَنْ راحَ يَشْتُمُهُ ... ومَنْ حَباهُ بتَلْفيقٍ وأوْضارِ

ومَنْ تَفَنَّنَ في تَجْريحِ ذِمَّتِهِ ... أو نَعْتِهِ بِسَخافاتٍ وأضْرارِ

حَتّى تولّى شَهيداً صارَ يَحْسُدُهُ ... مَنْ رافقوه بأدْهارٍ وأدْهارِ

لَئِنْ تَذَوَّقْتُ سُمّاً أنتَ واضِعُهُ ... فيما طَهَوْتَ، فهذا السُّمُّ أزهاري

نَفْسي تُحيلُ الأذى نُعْمى وَيُخطِئُها ... ألكائدونَ ولو لاذوا بأسْوارِ

إنّ الكَفيلُ بإشهارِ الّذي صَنَعَتْ ... يَداكَ، يا صاغِراً يُغْنى بإصغاري

فذاكَ شَرُّ عِقابٍ للّذي حُقِرَتْ ... جُهودُه، وتَهادى بينَ أشرارِ

ثُمَّ ادَّعى الطُّهْرَ في سَتْرٍ لِعَوْرَتِهِ ... بِئْسَ الطَّهارةُ في مَجْموعِ أوزارِ

لا عِشْتُ إنْ كانَ نِبْراسي سِوى أدَبي ... ومُهْجَتي وضَميري النّاصِعِ الواري

أنا المُعلِّمُ أجْيالاً مفاخِرُها ... والرائدُ الحُرُّ في سَعْيي وآثاري

هل جُنَّتِ الأرْضُ حتّى صِرْتَ تحرثُها ... وكُنْتَ مُلْقىً عليْها بينَ أحجارِ؟

أمْ هلْ جُنِنْتُ بإحساني بلا سَبَبٍ ... حَتّى لُدِغْتُ بمكّارٍ وغدّارِ؟

أصارَ مثلُك حقّاً مَنْ يُحاسِبُني؟ ... يا خَيْبَةَ الدَّهْرِ في إعْزازِ ثَرْثارِ!

وَضَيْعَةَ الحَقِّ بينَ العابِثينَ بِهِ ... كأنّه زَهْرةٌ في رَغْوِ تَيّارِ

تَحْيا العُروبَةُ في قَوْلي وفي عَمَلي ... وفي مِثاليَّتي العُلْيا لأبْرارِ

ولا تَعيشُ بأفّاكٍ وَمُرْتَزِقٍ ... وعاجِزٍ هَمُّهُ ألْوانُ إتْجارِ

لَمَسْتُ مِنْ حَشَراتي كُلَّ مَرْحَمَةٍ ... وما أنِسْتُ بِها من صاحِبي الضّاري

١٥ آذار/مارس ١٩٥٥

نوّار الكرز في واشنطن[1]

تَمَهَّلْ أمامَ الماءِ حينَ ابتسامُهُ … على الكَرَزِ البَسّامِ غير مُرائي!

تَولّى صَقيعٌ كادَ يودي بحُسْنِهِ … وجَمَّدَ حتّى دَمْعَهُ كَرَجائي

تَخَيَّلْتُهُ في الحُلْمِ مَيْتاً مُجَرَّحاً … ففاءَ، ولكنْ عالِقاً بدِماءِ

وقد نَفَضَ الأكْفانَ بيضاً تَبَعْثَرَتْ … وبُدِّلَ منْها حالِماتِ ضِياءِ

بَناتُ الهوى والفَنِّ تُشْرِقُ بالمُنى … كما تُشْرِقُ الأطْيافُ لِلشُّعَراءِ

نَماها القَصيُّ الشَّرْقُ ثُمَّ أتى بها … شُعورُ إخاءٍ أوْ شُعورُ وَلاءِ

فَرَفَّتْ حَنيناً كالأشِعَّةِ عندَما … تَحِنُّ إلى أصْلٍ لها وسَماءِ

ورَفَّتْ وَفاءً للدِّيارِ الّتي احتَفَتْ … بها، وأعزَّتْها على النُّظَراءِ

وقد أشْعَلوا المِصْباحَ[2] رمزاً لعيدِها … كأنَّ بهِ للعيدِ كَنْزَ ضِياءِ

لَئِنْ سَكَنَتْ هذي البُحيرةُ لم يكنْ … سُكونٌ لها إلاّ سُكونَ حَياءِ

وفيها ضُروبٌ مِنْ عَواطِفَ لمْ تَكُنْ … لِتَسْكُنَ بَلْ جاشَتْ بغَيْرِ نِداءِ

أتَسْمَعُها؟ إنّي لأسْمَعُ شِعْرَها … أغانيَ مِنْ حُبٍّ لآخَرَ ناءِ

أتُبْصِرُها؟ إنّي لأُبْصِرُ بَعْضَها … مَرائيَ تَجلوها فُنونُ مَرائي

وقد عُكِسَتْ في الماءِ فاهتاجَهُ الغِنى[3] … فكانَ لَهيباً أو مُذابَ ذُكاءِ

لَئِنْ زارَها العُشّاقُ مِنْ كُلِّ بُقعةٍ … فكمْ عاشقٍ في غُرْبَةٍ بعَنائي[4]

وأمّا العَصافيرُ اللَّواهي بِقُربِها … فهُنَّ مَعاني رُفْقَةٍ وإخاءِ

تَلاهَتْ تَلاهي النَّحْلِ غَنَّتْ لِطَلْعِهِ … على زُمَرِ الأزْهارِ دونَ عَناءِ[5]

---

[1] تحتفي واشنطن العاصمة الأميركية في أواخر آذار/مارس من كلّ عام بتفتّح أكمام شجر الكرز الياباني، وقد أوحى منظرهُ الشّائق هذه القصيدة إلى الشاعر.

[2] المصباح الذي أوقده سفير اليابان بواشنطن إيذاناً بافتتاح هذا العيد.

[3] البحيرة الاصطناعية في واشنطن التي غُرست على حافتها بأشجار الكرز الياباني.

[4] بعنائي: بأسري، ومنه العاني بمعنى الأسير.

[5] عناء: مشقة.

فـأخْجلَني أنّــي المُقصِّـرُ بَيْنَهــا وأنَّ غِنــائي لــيسَ فيــهِ غِنــائي!

٣٠ آذار/مارس ١٩٥٥

وحــدتي

وَحْـدَتي فيلســوفةٌ تَمْسَــحُ الـدَّمْعَ وتَـأبى عَلَــيَّ حُزْنـاً سـقيما
عــانَقَتْني كأنَّمــا أنــا طِفْــلٌ وحَبَــتْني التَّــدليلَ والتَّكْريمــا
واحتـوتْني وهَدْهَـدَتْ حُزْنــيَ البـالغَ حتّـى اسـتحالَ حُزْنــي نَعيمـا
أيُّ حـزنٍ هــذا ومــا كُنْــتُ بالهـارِبِ منــه وقــدْ أراه النَّــديما؟
هـو روحـي الّـذي يثـورُ علـى الظُّلْـمِ ويَـأبى الخُنـوعَ والتّسـليما
هــو قَلْـبي الّـذي يُرفـرفُ كـالطّيرِ علـى الحُـبِّ آسـياً أو رَحيمـا
هــو عَقْلــي الّـذي تمثّـلَ في النـاسِ وأهـدى لهـمْ رجـاءً مُقيمـا
هــو فنّــي الّـذي تَغَلْغَـلَ في الفـنّ وأعْطـى الحيـاةَ سـرّاً عَظيمـا
هـو ديـني الّـذي تَسـامى علـى الـدّينِ كمـا جـاوزَ العـبيرُ النَّسـيما
هــو كُـلّ الغِنـى وكُـلُّ وُجـودي يـا زمـاني فَلَـنْ تَراني العَـديما

الذّكريات المدلّلة

أيا ذِكرياتِ الأمسِ ترقُصْنَ في الرُّؤى تَعـالَيْ إلى حِضْـنِ الجَمـالِ تَعـالي
بَسَـطْتُ لـكِ الأرضَ المَريعـةَ[1] جنّـةً وقـد أزْهَـرَتْ فيهـا فُنونُ خَيـالي
وأبـدعْتُ أفراحـاً لهـا، لـيس تَنْتَهـي أطايِبُهــا مــن نَشْــوةٍ وجَمــالِ

---

[1] المريعة: المتنعّمة.

تيقّظَ فيها الصَّيفُ من بَعدِ غفوةٍ وأطلعَ فيها الحُبُّ كُلَّ مُجالِ
وغنَّتْ بها الأحلامُ حتّى تمثَّلتْ شُخوصاً أغانيها الحسانُ حيالي
كأنَّ نُجومَ اللّيلِ في وَهَجِ الضُّحى أتَينَ إليْها في نَثيرِ لآلي
مباهجُ لم يظفرْ بها غيرُ شاعرٍ وغيرُ حَفيٍّ بالحياةِ موالي
تطوفُ بها كلُّ الأحاسيسِ مثلَما يُطوِّفُ حُجّاجٌ حيالَ مِثالِ
وما كُنْتُ في شرخِ الشبابِ مُبالياً بها، فلِماذا في المشيبِ أُبالي؟
فيا ذِكرياتِ الأمسِ عودي وجَدِّدي شَبابي بِسِحْرٍ كالشّبابِ مُغالي
فإنّ عَصا الأيّامِ تُرْهِقُ كاهِلي بتأْديبها إيّايَ قبلَ زَوالي!

النّدوب

يا نُدوبي، تَصَبَّري يا نُدوبي! وتَناسَيْ هُمومَ أمْسي العَصيبِ
يا بناتِ الجِراحِ، أهْلوكِ أعْدائي وقد خَلَّفوكِ رَغْمَ المَشيبِ
في فُؤادي عَبَثْنَ، ثُمَّ بِنزهْني قد تَزاحَمْنَ في غِمارِ الحُروبِ
تَرَكَتْكِ الجِراحُ مِثْلي ضَحايا كاللُّظى في السَّماءِ بعدَ المَغيبِ
إنَّ هذا اللَّظى نُدوبُ جِراحٍ منْ حَبيبٍ، فالشّمسُ سِرُّ الحَبيبِ
وأنا والسَّماءُ شَخْصانِ قدْ با تا غَريمَيْنِ بعدَ طَعْنِ الغُروبِ
قدْ أُغَنّي، وما غِنائي سِوى دَمْـ ـعي، وحيناً دَمي سَرى في نَسيبي
وكأنّي المَصْدورُ أنْفُثُ في شِعْـ ـري حَياتي بكلِّ لحْنٍ خَضيبِ
وجِراحُ الأجْسامِ تُشْفى، وما تُشْـ ـفى جِراحٌ سَكَنَّ طَيَّ القُلوبِ

هاتي المشّ![1]

غَلَبَ الجوعُ فهاتي المشّ هاتي! لا تَقولي اللّحمُ – إن أصبِرْ – سَياتي!
سادتي أوْلى بهِ، مذْ نَهَبوا كُلَّ حقٍّ لي وعاثوا بحَياتي
لا تقولي الدّودُ قد أفسَدَهُ إنّما الدّودُ وإنْ يُحقَرْ لِداتي[2]
حَقُّهُ العيشُ كحقّي، ما لَهُ أيُّ ذنبٍ غيرُ ذنبي أو أذاةِ
مَدَحوني مثلَما قدْ لَعَنوا قدْ تساوى المَدْحُ واللَّعْنُ لِذاتي
ليتَهُمْ قدْ أطْعَموني أو كَسَوْا رِمَّتي[3] قبلَ ارتقابٍ لِمَماتي
هذه الأمراضُ لمْ تَتْرُكْ سِوى رمقٍ داسَتْهُ أقدامُ الجُناةِ
أتُراني في غدٍ مُسترجِعاً قوَّتي أو طارحاً عنّي أناتي
ليتَني حتّى تُدوّي صَرْخَتي ويُجازى كُلُّ مأفونٍ وَعاتٍ
أسْرِعي! فالوَقْتُ قاسٍ صارمٌ إنَّ وَقْتَ العَبْدِ من وَقْتِ العُتاةِ!
أسْرِعي! لا تَحْلُمي واهمةً واتركيني في هُمومي يا فَتاتي!
ربَّما تُثْمِرُ يَوْماً حَنْظَلاً بلْ سُموماً للشّياطينِ الطُّغاةِ
كمْ نباتٍ ديسَ بالأقدامِ لم يقبلِ الدَّوْسَ حقيراً في النّباتِ
ومَضى مُسْتَشْرياً يَقْضي على شامِخِ الأشْجارِ فذّاً في العُصاةِ
هذه حالي وذي فَلْسَفَتي وكِفاحي بَيْنَ صَبْرٍ وصَلاةِ
إن يكنْ جَهْلي وفَقْري حُجّةً لاضطهادي، فأمَرُّ الثأرِ آتٍ!

---

[1] وصفَ الشاعرُ في هذه القصيدة التي تمثّل لوناً من الأدب الواقعي، شعورَ الفلاح المضطهد في الأقطار المتخلفة بعد أن بلغ منه اليأس كل مبلغ. والمشّ هو الجبن المعتّق، وهو طعام الفقراء في مصر.
[2] لِداتي: أترابي.
[3] رمّتي: ما بلي من عظامي.

يا سَلم

يا سَلْمُ خَيْرٌ أن نَراكَ مُزَعْزَعاً ... مِنْ أنْ نَرى لِلْحَرْبِ سوقاً بينَنا

يا جاعِلَ النِّيرانِ جَنّاتٍ لَنا ... ومُطَهِّرَ الإنسانِ حَتّى آمَنا

لا تُلْقِنا يَأْساً، وصَبْراً، رُبَّما ... عَلَّمْتَنا وَصَقَلْتَنا فَخَلَقْتَنا

إنْ كُنْتَ نَرْجونا الفِداءَ فكُنْ لَنا ... بَعْضَ الفِدى، فَنَرى السَّعادةَ والغِنى

يا نَفْحَةَ الأربابِ حينَ تَجاوَبوا ... والفَنَّ فابْتَدعوا سَناكَ فَهَيْمَنا

إنْ تَبْقَ حارِسَنا رَفَعْتَ نُفوسَنا ... وإلى الحَضيضِ نَزِلُ إمّا فُتَّنا

وَلَئِنْ تَمادى الأشْقياءُ بِغَبْنِنا ... فَكُنِ الملاذَ ولا تُسَوِّغْ غَبْنَنا

إنْ نَحْنُ ضِعْنا ضِعْتَ أنْتَ وإنْ تَصُنْ ... آمالَنا صانَتْكَ كَنْزاً يُقْتَنى

ويَجيءُ يَوْمٌ لِلْحَياةِ مُقَدَّسٌ ... فَتكونُ مَعْبودَ الحَياةِ المُعْلَنا

لولاكَ كانَتْ مِثْلَ أشْباحِ الرَّدى ... بِجَهَنَّم، لا مِثْلَ أطيافِ المُنى

فَأجِبْ دُعاءَ لِلْبَرِيَّةِ شامِلاً ... مَنْ قَدْ أساءَ لَنا ومَنْ قَدْ أحْسَنا

عيد الفصح

يَحتفي المسيحيّون الشرقيّون في العشرين من نيسان/أبريلَ بذكرى صُعود السيِّد المسيح عليه السَّلام، فيحتفون ويحتفي العالَمُ معهم بتغلّبِ الحياة على الموت، والأملِ على اليأسِ، والخيرِ على الشرّ، وباعتزاز القيمِ الروحية. فهذا عيدُ الرجاءِ المتجدِّد، وأيّةُ قيمةٍ للبشرية وأيّةُ سعادةٍ لها بغير هذا الرجاءِ المجدَّدِ الّذي يوحي لها بالعملِ والابتسام؟

ومِن قديم اقترنَتْ فَرْحَةُ هذا العيد بينَ مظاهرها المتعدّدة الجميلة بأكلِ البَيْضِ الملوَّنِ، إذْ إنّ البَيْضَ عُدَّ تاريخياً رمزاً للبعث، كما أنَّ نيرانَ عيد الفِصحِ كانت رمزاً لانتصار الربيع على الشتاء. فلا غروَ إذا رتَّلَ المنشدونَ وهم فَرِحون في حفلاتهم:

يـــــا أمَـــــلْ! يـــــا أمَـــــلْ

يـــــا هَـــــوى مَـــــنْ عَمِـــــلْ

يـــــا حُلـــــىً للبطـــــلْ

يـــــا قـــــوىً في الجلـــــلْ

يـــــا دَواً لِلكَلَـــــلْ

يـــــا لظـــــىً لِلْكَسَـــــلْ

يـــــا عُلـــــى مَـــــنْ وَصَـــــلْ

يـــــا حِمـــــى مَـــــنْ فَشَـــــلْ

يـــــا شـــــذاً يـــــا قُبَـــــلْ

يـــــا سَـــــنىً للغَـــــزَلْ

يـــــا نَـــــدى مَـــــنْ نَهَـــــلْ

يـــــا فِـــــدىً كَـــــمْ قتَـــــلْ

يـــــا جَنـــــىً كالعَسَـــــلْ

يـــــا رَدىً للشَّـــــلَلْ

يـــــا هُـــــدىً لِلرُّسُـــــلْ

إنْ تَضِـــــعْ فالمِلَـــــلْ

والمُنـــــى والحيَـــــلْ

والـــــوَرَى والـــــدّوَلْ

مَوْتُهـــــا مُحْتَمَـــــلْ!

ويَقترنُ عيدُ الفصح بتوثُّب الربيع وتألُّق نجومه وفوح عبيره، وقد تبرّجت أزهارُه تَبَرُّجَ البَيْض بألوانهِ الزاهية، وما الربيعُ إلاّ الأملُ المتجدّدُ، إنَّه معنى عيد الفصح بعد غدر الشتاء بأعاصيره وجليده. وفي هذا العيد المجيد تكثر مواكبُ

البهجةِ وحفلاتُ الموسيقى والتزاورُ بين الأُسَرِ، ويتبارى الأطفالُ خاصّة في لبْسِ أحمل الأزياء البديعةِ الألوان، وكلُّها رموزٌ للتجدّد وللفرحة وللحيويَّة وللأمَلِ. يأتي الفصحُ بعد أُسبوعِ الآلام، فهو مكافأةٌ على الصَّبْرِ والعذاب. وهو بُشرى للمؤمنين الّذين يحتملونَ التضحية ويثقونَ بالعدلِ الإلهيّ. هو داعٍ إلى الثباتِ على المبدأ الحقّ ولو اجتاز صاحبُهُ الموتَ لبلوغ هدفه الأسمى. وهذا الرمز الجليل حريٌّ بأن يؤمنَ به الأفرادَ والأُمَمُ على السواء.

وكما يأتي الربيعُ بهدوئِهِ العميقِ يأتي عيدُ الفصح وشعارُهُ السلامُ والمحبّةُ، والإخاءُ، وتاجُه الأملُ. وتَزدحمُ الكنائس بالمصلّينَ الخاشعينَ كما ازدَحَمَتْ من قبلُ سفوحُ الجبالِ في أميركا عند الفجرِ يغمرُهمُ جميعاً في صلاتهم السّلامُ والمحبّة والإخاء، ويتطلّعون في السماء إلى إشراق الأمل.

هيئة الأمم

مِــنْ هُمــومِ الإنســانِ ثــمّ أمانيــهِ تألّفْــتِ[1] هــيكلاً لا ينــامْ

يَتـوالى الإشـعاعُ منـه علـى الـرَّغْمِ مـن اليـأسِ واحتِشـادِ الظّـلامْ

كلّمــا أدجَــنَ الظــلامُ تــلألأتِ كمــا شــعَّ فَرْقَــدٌ مســتهامْ

أنــتِ أمُّ الجميــعِ لــو يَعقِــلُ النــاسُ ولــو يُــدركون ويــلَ الخِصــامْ

لائــمٌ بعــدَ لائــمٍ لــكِ مــنْهم وعلــى الــرَّغم تَنشــرينَ الوئــامْ

كم أيادٍ[2] بذَلْتِها هـي قـد ضـاعتْ ضَـياعَ الإحسـانِ بـينَ اللّئـامْ

إنْ تُبــالي بهــمْ وإن تَنْهَــريهمْ فهْــو بــرٌّ بهــمْ لأمٍّ تُــلامْ

كــلُّ مــا أســلفوا ذُنوبــاً تناسَــوْها وحُمِّلْتِهــا كــإرثٍ مُقــامْ

---

[1] بمعنى انشأت؛ (و.ف).

[2] اليد: المعروف؛ (و.ف).

عيّدي وانصري الحقيقةَ لا تخشي سواها ولو يُسَلُّ الحُسامْ

عيّدي فالأنامُ مَوْئِلُهم أنتِ وإن لَجَّ جُلُّهم بالخصامْ

عيّدي فالشعوبُ نحوَك ما زالتْ شُخوصاً نَواشِدَ الإلهامْ

عيّدي للأنامِ في كلِّ يومٍ، كيفما كنتِ، لا لِعامٍ وعامْ

عيّدي فالنجاحُ والفشَلُ العارضُ سيّانِ إنْ خَلَقْتِ السلامْ

الاستقلال الأعرج أو الاستعمار المقنّع

إلى أحرار تونس

مقدّمة إلى الصديق الأديب الحرّ الأستاذ أبو القاسم محمّد كرّو

لا أرتضيهِ لكُمْ ولا أرضاكُمو — فحياةُ الاستقلالِ ما أحْياكُمو

هو خُطوةٌ عَرجاءُ مهْما حَبَّذَتْ — فَدَعوا المُحبّذَ أن يكونَ سِواكُمو

إنَّ القُيودَ وإنْ تُفَكَّ ثقيلةٌ — فلْتَطرحوها طَرْحَ مَنْ عاداكُمو

ودَعوا الرَّصاصَ يَنامُ عاماً واحداً — حَتّى يُجلجِلَ بعدَ ذاكَ نِداكُمو

بعضُ السُّكونِ هو التأهُّبُ لِلْوغى — فَتَنَظّروها فهيَ سوفَ تراكُمو

لا تحَسَبوا الضِّلّيلَ أصبحَ هادياً — لو يستطيعُ لهدَّكم ورثاكُمو

لكنّه احترفَ الدّعارة فاغْتدى — مَنْ تُبصرونَ كأنَّما آغناكُمو

لا غُنْمَ للأوطانِ حينَ عِداتُكُمْ — ساداتكُم، وإذا الفُتاتُ غِذاكُمو

أهلُ الحضارةِ من قديمٍ أنتُمو — فَمَنِ الدعيُّ ليَستبيحَ عُلاكُمو؟

أيُقالُ إنَّكُمو محطُّ حِمايةٍ — لهوانِكُم؟ فَمَنِ الّذي أدناكُمو؟!

حاشا وربّي، أنّكم ساداتُهم — لو يُنْصِفونَ رِجالَكُم ونِساكُمو

لا بدَّ في الغدِ من قيامِ جُموعِكُم — لِحسابِهم إنْ يومَكُم أنْساكُمو

سرقَ الغشومُ بلادَكُم وإذا بهِ … صارَ الوصيَّ عليكُمُ لأذاكُمو!

أوَ أنْتمو مَنْ يَستنيمُ لِمَكْرِهِ … حاشا، وبينَ جُموعكُم شُهداكُمو!

عيدُ السائح

تهنئة لجريدة السائح النيويوركية لصاحبها عبد المسيح حدّاد (١٨٩٠ – ١٩٦٢)

يا شعرُ! مَنْ تَرْجو وتَحْسَبُ أنَّهُ … أوْلى بحُبِّكَ أو بِعيدٍ باهرِ؟

وُلِدَتْ أزاهيرُ الرَّبيعِ بِعيدِهِ … فتَضَمَّختْ منه بنفحٍ عاطرِ

وَمَشى الجَمالُ مواكِباً بحُقولِهِ … عَلويَّةً مِثْلَ المَسيحِ الطّاهِرِ

جاءتْ عُقودُ سِنينِهِ بتُراثِها … للعارفينَ بهِ عُقودَ جَواهرِ

أنسيتَهُ يا شِعرُ؟ حاشا أن تُرى … في الجاحدينَ لِماهِرٍ ولِماهِرِ

ضَحّى وضَحّى باسماً أو صابراً … حتّى مَشى لِلصَّلْبِ أكْرمَ صابرِ

هيهاتَ تَنْسى! كيفَ تَنْسى مُبْدِعاً … نَجْواه كالإيمانِ مِلْءَ خَواطرِ

مَنْ ساحَ في دُنْيا الفُنونِ ولَمْ يَزَلْ … السّائحَ القَهّارَ غَيرَ مُفاخِرِ

مَنْ أبدعَ القِصَصَ العَجيبةَ مثلَما … خُلِقَتْ بإبداعِ الإلهِ القادرِ

مَنْ سَلْسَلَ الإنْشاءَ سِمْفونيّةً … أخّاذةً ومَلاحِماً لِلسّاحِرِ

مَنْ أرْجَعَ التّاريخَ بينَ دُروسِهِ … عِبَراً، وأوْقَفَهُ مكانَ الحاضِرِ

مَنْ علّمَ الآدابَ إنسانيّةً … شَعَّتْ بإشراقِ الصَّباحِ لثائرِ

مَنْ لَقَّنَ الإيثارَ ديناً للوَرى … كأخيهِ[1] واسْتَبَقا استباقَ الغافِرِ

مَنْ فلسفَ الشّعرَ الّذي غنّى بهِ … فَشَدَتْ جداولُهُ كبحرٍ زاخرِ

---

[1] فقيد الشعر ندرة حداد.

مَـنْ ظَـلَّ يُحْسَـبُ جِـدُّه ومُزاحُـهُ كـــالآيَتَيْنِ لِمــؤمنٍ ولكـــافرِ
عبـدَ المسـيحِ العبقـريَّ وحسـبُه في العبقريّــةِ خُلْـقُ شـهمٍ نــادرِ
أنّـا التَفَفْنـا حـولَ أمجـادٍ لـه مثـلَ التفـافِ السـفنِ حـولَ منـائِرِ
أو كالتفـافِ النَّحـلِ لمّـا أولِعَـتْ بالشَّـهدِ حـولَ معاسِـلٍ لأزاهـرِ

*****

جِئْنـا نُعَيِّـدُ شـاكرينَ، ورُبَّمـا يَـدْري جـلالَ العيدِ غَيرُ الشّـاكِرِ
والشَّمْسُ قد يَشْكو نُفوذَ شُـعاعِها عـانٍ ويُصْـغِرُها حَليـفُ صـغائِرِ
الأربعـونَ ونيِّـفٌ مـن عُمْـرِهِ متَلَـئْ بهـذا العيـدِ مثـلَ بَشـائرِ
تـوحي الجَديـدَ لنـا وقَبْلاً طالَمـا أوْحَـتْ، ولم تَبْـرَحْ كفُلْـكٍ دائـرِ
مَـنْ فاتَـهُ إبـداعُها قـدْ فاتَـه إشـعاعُها النفّـاذُ خلـفَ سـتائِرِ
أرثـي لـه أضـعافَ مـا يَرثـي لنـا ولَـئِنْ تَمـادى في رُقاعـةِ سـاخِرِ
فـالحقُّ لا تُخفيـهِ ضِـلّةُ سـاخِرٍ كاللّـهِ لا تَنْفيـهِ غَضْـبَةُ فـاجِرِ!

في حديقة البلّور بواشنطن

وَقَفْنـا لَـدى الشَّـلاّلِ وِقْفَـةَ عابـرٍ ففيـهِ لنـا نـورٌ وفيـه ضِـرامُ
تُغازِلُـهُ الشَّـمْسُ الحَيِيَّـةُ مِثْلَمـا تُغازِلُـهُ الأشْـجارُ حِـينَ تَنـامُ
وهـذي نُجـومٌ أُطلِعَـتْ دونَ ليلِهـا وألْوانُهـا فَـوْقَ الغُصـونِ مُـدامُ
ومِنْ حَوْلِهـا الأدْغـالُ، لكنْ تَهَذَّبَتْ فـلا رِيْبَـةٌ للنّـاظرينَ تُشـامُ
يُغَنّـي خَريـرُ المـاءِ عَـذْباً كأنَّمـا شَـدَتْ خَلْفَـهُ حـورٌ ورَفَّ سَـلامُ
وهـذي الظِّـلالُ النّاعِسـاتُ تَثاءَبَـتْ وأسْـكَرَها للحـالمينَ غَـرامُ

نَسيتُ مُرورَ الوَقْتِ أوْ قَولَ صاحِبي ... فَما هو وَقْتٌ يَنْقَضي وكَلامُ؟
هُنا مَظْهَرُ الجَنّاتِ بلْ ذاكَ كُنْهُها[1] ... وعمّا عَداها في الحَياةِ يُصامُ
تَطَلّعْتُ مَفْتوناً وحَولِيَ أُمّةٌ ... مِنَ النَّبْتِ، بل دُنْيا كَذاكَ تُقامُ
مَشاهِدُ شَتّى مِنْ أراضٍ قَصيّةٍ[2] ... يُجَمِّعُها للعارِفينَ نِظامُ
ويَشْمَلُها رِفقٌ[3]، وأحْسَبُ أنّها ... بأُلْفَتِها تَغْنى غِنىً وتُرامُ
تَلاقَتْ وإنْ تُنْسَبْ إلى كُلِّ مَوْطِنٍ ... وباعَدَها هَمٌّ وبانَ خِصامُ
فكيفَ بَنو الإنسانِ، وهو مُتَوَّجٌ ... كأنَّ ضِياءَ العَقْلِ فيه ظَلامُ؟!

عند الفسقيّة

قالوا طُيورٌ تُغالي في مَحبّتِها! ... فقُلتُ! ما كُنَّ إلاّ بعْضَ أبنائي!
مَرِحْنَ حوليَ كالأطفالِ في لَعِبٍ[4] ... حتّى تحارَبْنَ في فَسقيّةِ الماءِ
وألْبَسَتْ ريشَها الألوانَ أوسمةً ... كأنَّما تَتَحدّى مَجْدَ أضْواءِ
يُبَعْثِرُ الماءُ دُرّاً في تنافُسِها ... كأنَّها كرنفالُ الفنِّ للرّائي
ويَغْضَبُ الماءُ حيناً في تبجُّحِها ... فيُستَثارُ كمَوجٍ فوقَ أنْواءِ
وكمْ تَعالتْ لنا أصواتُها هَرَجاً ... فأضحكَتْنا وشاقتْنا بإيماءِ
كأنّما صوَرُ التَّمثيلِ مَعْرِضُها ... ما بينَ وثْبٍ وتَرْتيلٍ وأزياءِ

---

[1] الكنه: جوهر الشيء؛ (و.ف).
[2] قصيّة: بعيدة؛ (و.ف).
[3] إشارة إلى التدفئة الصناعية للحديقة.
[4] تأثر الشاعر في مطلع هذه القصيدة بقول والدته أمينة نجيب في وصف عصفور:

إمرحْ صغيرَ الطيورِ ... إمرحْ هُنا! لا تُبالِ
إنّا نَعُدُّكَ منّا ... وواجِدَ الأطفالِ!

أنظر: محمد محمود، الشعر النسائي العصري وشهيرات نجومه، ص ٢٢١.

وأشربُ الشـايَ عن قُربٍ أراقِبُها مُنعَّمـاً، وكـأنَّ الشـّـايَ صَـهْبائي
تَركْـتُ ديـوانَ شِـعرٍ كُنـتُ أقـرؤه لَمّـا تسـامَتْ بألحـانٍ وأصْـداءِ
كـمْ شـاعرٍ بينَهـا في قولِـهِ عَجَـبٌ للمُلْهَمِـينَ فمـا يكفيـهِ إصـغائي
لا تَسْخَروا من وِدادي حينَ أرمُقُها وحِـينَ أعْشَـقُها مِـنْ دون أسْـماءِ
لِكُـلِّ طَـيرٍ مَعـانٍ وهـي كافيـةٌ لتَسْـتَقِلَّ بأشْـعاري وأهـوائي
أسْكَنْتُها في عُيوني وهـي شـارِدَةٌ كـالزّهرِ تَسْـكُنُهُ ذراتُ أنْـداءِ
وحوَّمَتْ حولَ سَمْعي حينَما صَمَتَتْ كأنّمـا الصـمتُ مقـرونٌ بإفشـاءِ
فهلْ أُغـالي إذا أخلَصْتُها مِقَتي؟ وهـل تُغـالي بتَجْديـدي وإحيـائي؟

الصّيف الشّريد

الصَّيفُ؟ أينَ هوَ الحَبيبُ؟ فما أرى وَهَجـاً يَـنِمُّ عليـه أو أحْلامـا؟
الجَـوُّ تَخْنُقُـهُ الـدُّموعُ لِوَحْشَـةٍ والشَّمْسُ أرْهَقَها الغَمامُ خِصاما!
مَـنْ صَـدَّهُ عنّـا ونَحْـنُ رَعيَّـةٌ؟ ولِـمَ اسْـتَبَدَّ بِنـا وكـانَ إمامـا؟
أيَجـيءُ مَوْعِـدُهُ بِسُـخْرٍ جـائِرٍ ويَكـونُ مَوْلِـدُهُ الأغَـرُّ ظَلامـا؟
لِمَـنِ الأزاهـيرُ الحِسـانُ تَبَرَّجَـتْ والنَّحْـلُ والحَشَـراتُ إذْ تَتَسـامى
وَلِمَـنْ تَعَطَّـرَتِ الطُّيـوفُ وهَوَّمَـتْ وتَجاوَبَـتْ بِنُفوسِـنا أنْغامـا؟
أمُشَـرَّدٌ عَنّـا وتلـكَ رُبوعُـهُ؟ فَعَـلامَ بَشَّـرْنا الرُّبـوعَ عَلامـا؟
نَهْفو إلى الدِّفءِ الجَميلِ فَلا نَرى، إلاّ الشِّـتاءَ السّـاخِرَ اللّوّامـا
وكأنَّمـا هـذي المَنـاظِرُ كُلُّهـا وَهْـمٌ وتَمْثيـلٌ طَغـى وتَرامـى!

إسفِنْدانتي[1] الحمراء

مَدَّ الخريفُ رواقاً مِنْ مباهِجِهِ … وَبَيْنَهَا نَثْرُ أطيافٍ وألوانِ

وهذه غادتي الحَمْراءُ راقِصَةٌ … كأنَّها وَحْدَها خُصَّتْ بِبُستاني

أوْ أنَّ أوراقَها لاحَتْ تُراوِدُني … بحُمرةِ الشَّمْسِ قبلَ المغربِ القاني

كأنَّها ما دَرَتْ ما اشتدَّ مِنْ مِحَني … أوْ - إنْ دَرَتْ - لَمْ تُشاطِرْ بعضَ أحزاني

شَقيقَةَ الزَهْرِ في أصْباغِ فرحتِهِ … أحْسَنْتِ، حتّى وإنْ أحْسَسْتُ نِسياني

بُثّي مِنَ الفَرْحَةِ الألوانَ زاهيةً … لفتنةِ الطَّيْرِ والإنسانِ في آنِ

ولا تُبالي عُزوفي، فهو عن مِقَةٍ … كأنَّما أنا أخْشى بَثَّ أشْجاني

وكانَ أوْلى بمثْلي في تَفَجُّعِهِ … صَبْرٌ على الضّيقِ مهما الضّيقُ آذاني

أنا الّذي علَّمَ المَكْلومَ بَهْجَتَهُ … فصارعَ الهَمَّ جيّاشاً بألحاني

رِفّي إذَنْ في نُضارٍ رائعٍ بَهِجٍ … وحُمْرَةٍ مِنْ يَواقيتٍ ومَرْجانِ

بلْ مِنْ مَعانٍ تَخَيَّلْنا نفائِسَها … وما عَرَفْنا لها كُنْهاً بوِجدانِ

كأنَّها بَعْضُ أحلامٍ مجنَّحَةٍ … تَمَثَّلَتْ فوقَ أوْراقٍ وأغْصانِ

كأنَّها حُلْوُ إلْهامٍ يُداعِبُنا … لكِنَّهُ فَوْقَ إحْساسٍ لإنْسانِ

إلاّ التَّفاؤُلُ يَبْدو مِنْ مَخائِلِها … وإنْ سَما فَوْقَ تَكْييفي وحُسْباني

ولا تَعيبي الّذي ما حُدَّ مِنْ نَظَري … إليكِ مِثْلَ غريبٍ جائعٍ عانِ

فإنَّ فيكِ مِنَ الصّوفيِّ فلسفَةً … وفيَّ مِنْ عابدٍ ما بَزَّ إيماني

وقد قَتَلْتِ سُلُوّي عنْكِ ساحِرةً … فلا تلومي إذَنْ قُرْبي وتَحناني!

١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤

---

[1] إسفِنْدانةِ (Maple) من أجمل الأشجار الأميركيّة ومن أعظمها مَنافعَ. وقبل انتهاء الخريف تتّخِذُ أوراقُها لوناً أحمرَ للناظرين وفتنةً للشّاعرين. ولعلَّ هذه القصيدةُ هي أولى ما نُظِمَ في موضوعها بالعربيّة.

الحقيقة الموزّعة

أنا مَنْ يُفَتِّشُ عن مَحاسِنِ ناقدي ... فأُذيعُها كمحاسِنِ لِجَناني

حُبُّ الجَمالِ أراه فوقَ خُصومةٍ ... وأرى الجمالَ موزَّعَ الإحسانِ!

وأرى الحَقيقةَ لا تُحَدُّ فَما لنا ... نَهْوى التَّعَصُّبَ في غرورٍ جانِ؟

لِمَ لا نُفتِّشُ في شُعورٍ مُخلِصٍ ... للحقِّ دونَ تَحَزُّبٍ وهَوانِ؟

ليستْ أنانيَةُ الحَياةِ جَميلةً ... كَلاّ ولا عَجْزَ الضّريرِ الواني

وإذا تَأمَّلْتَ الخِلافَ وَجَدْتَهُ ... يَحْوي بُذورَ الحَقِّ للإنسانِ

فهرس

